مجلة الأزهر

٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

سقيفة الصفا العلمية

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٦١

المجلد الثالث والخمسون ـ القسم الأول

السنة ١٤٠١هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25899823 / 25907497

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م

SAQIFAT AL-SAFA TRUST

لبوان ـ ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail : info@saqifat-alsafa.org

مدير المجلة
محمد صابر البريسي

مجلة
الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
ت :
٩٠٩٩٢٢
٩٠٥٥٠٦

الجزء الاول ـ السنة الثالثة والخمسون ـ المحرم سنة ١٤٠١ هـ ـ ديسمبر سنة ١٩٨٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

لمحات ونفحات من الهجرة

دعـــوة وتوجيه

لفضيلة الإمام الأكبر
الدكتور/ محمد عبد الرحمن بيصار
شيخ الأزهر

عندما يهل المحرم من كل عـــام يفوح علينا عبير هجرة الرســـول الأمين •• حـــين تمر ذكرياتهـــا المجيدة على القلوب فتحييها •• وعلى الأفئدة فتجلوهـــا •• لمـــا تنطوى عليه من لمحات ونفحات •• وما تحمله من دروس وعظات •• وما ترمـــز اليـــه من أهـــداف وغايات •• فمن خـــلالها تتجلى آيات الايمان واليقين •• وترتسم معالم الصبر والصمود •• وتشرق صور الجهاد والنضال •• وينطلق صـــوت الحق هاتفا فى مســـمع الوجود بأن العقيدة الراسخة •• لا تنال منها العواصـــف •• ولا الرياح القواصـــف •• بل تبقى شامخة باسقة •• وأن الخلـــود للحق دون سواه •• وعندما نتطلع الى الهجرة النبوية الشريفة يجمل بنا أن نعيش فى رحـــابها •• وأن

نتأثر بها •• وأن نتلقى منها العبر لتكون لنا زادا فى حياتنا •• ونورا فى مسيرتنا •• وقدوة فى سلوكنا •• لأنها هجرة النفوس الى الحرية والكرامة •• والأرواح الى النقاء والصفاء •• والضمائر الى الطهر والحق والعدل •• ولئن كانت الهجرة المألوفة انتقالا من أرض الى أرض •• وارتحالا من مكان الى مكان •• فان هجرة محمد عليه الصلاة والسلام فوق ذلك انتقال معنوى •• وارتقاء بالعقيدة الى آفاق الانفتاح والاشراق •• وسمو بالفكرة من الضيق الى الانفراج •• ومنازل العزة •• ورحاب السكينة •• واختيار للمناخ الخصيب لتنمو فيه شجرة الايمان عميقة الجذور •• مديدة الفروع •• رحيبة الظلال •• سخية الاثمار •• اننا عندما نقف أمام الهجرة نقلب صفحاتها نرى عليها صورا مضيئة •• تمثل مضاء العزيمة •• وقوة الارادة •• والسعى الدائب •• والجهاد المتواصل •• الذى يكمن فى جهاد النفس •• بمقاومة شهواتها •• واستئصال سلطانها وقمع نزواتها •• وتخليتها من الشوائب وتحليتها بالفضائل وتهيئتها لاستقبال •• أطهر المبادىء •• وأسمى المقاصد •• وأشرف القيم •• لذلك كانت هجرتهم خالصة من المآرب الشخصية •• والمنافع المادية •• والأغراض الذاتية •• وهنا سر العظمة •• وسبب النجاح •

عرفوا الله فعبدوه •• دعاهم فأطاعوه •• قرأوا القرآن فتدبروه •• وأخذوه فطبقوه •• وجعلوا منه نور حياتهم •• وسبيل رشادهم •• وقانون سلوكهم •• ودستور •• مجتمعهم •• اقتدوا برسولهم فأقبلوا عليه ينتهلون من ينبوعه الصافى •• ويغترفون من رحيقه الميمون •• وتناقلوا سنته الشريفة ترجمة عملية •• فعكسوها أقوالا وأفعالا •• دعوا الى الجهاد فاستجابوا •• وقدموا أموالهم وأرواحهم تضحية وفداء •• لاعلاء دين الله ورفع راية الاسلام •

ان الهجرة النبوية الخالدة كانت انتقاضة ضد الظلم والاضطهاد ••

وثورة على الباطل والفساد .. ومسيرة الى الخير والسلام .. واستنفارا الى العمل والبناء والعطاء .. فدانت لهم الدنيا .. واستسلمت الحياة .. وتحقق النصر .. ورضى الله عنهم ورضوا عنه وذلك هو الفوز العظيم .

ونحن اذ نقف أمام مشارف عام جديد .. يجدر بنا أن نستعرض ما قدمناه فى الماضى .. لنحاسب أنفسنا .. وننظر الى واقعنا .. لنرى علامة استفهام ترتسم على الآفاق .. هل سرنا على النهج القويم .. ؟ هل حققنا الأخوة الصادقة كما حقق الرسول صلى الله عليه وسلم من المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار .. ؟ هل أعطينا لديننا الحنيف ما أعطاه الصحابة الأبرار .. ؟ هل توحدت صفوفنا كما توحدت الصفوف فى صدر الاسلام .. ؟ هل انتشرت الرحمة بيننا كما كانت فى عهد رسول الله..؟ « **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود** » .

فاذا كنا على غير ذلك .. فهلا أخذنا من الهجرة الشريفة التى نحتفل بذكراها انتفاضة من غفوتنا .. وصحوة من رقدتنا .. وشحنة تدفعنا الى الامام .. ونورا يهدينا الى طريق الرشاد ..

ان صاحب الهجرة عليه السلام ينادى الأمة بتوحيد الكلمة وجمع الصفوف وتصفية القلوب .. وايقاظ الضمائر .. وتنقية النفوس .. فالمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا ...

ان صاحب الهجرة يهتف فى أسماعنا معلنا أنه لا فلاح الا بالترابط .. ولا نجاح الا بالتعاطف .. ولا سلامة الا بالتآزر .. ولا نجاة الا بلزوم الجماعة .. : « **مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وترابطهم كمثل** الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .

ان صاحب الهجرة يوصينا بالرجوع الى الله بالتوبة الخالصه •• والانابة الصادقة •• لتطهر قلوبنا •• وتزكى نفوسنا •• وتجلو أرواحنا •• وتصقل أخلاقنا •• « **ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين** » •

ان صاحب الهجرة يدعونا الى كتاب الله ليحكم بيننا •• ويضىء حياتنا •• ويحسم أمرنا •• ويوجهنا الى سنته الرشيدة لترسم لنا معالم الخير •• وتوضح سبل السلام •• وتأخذ بأيدينا الى السمو والجلال •• ولنحولهما الى نبض حى •• وحركة ايجابية •• ونترجمهما الى تطبيق وسلوك •• فمن تمسك بهما فاز ونجا •• ومن انحرف عنهما ضل وغوى •• « **تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى** » •

اننا عندما نتطلع الى اطلالة عامنا الهجرى •• نرى معها بداية قرن جديد •• وكأنه كتاب أبيض •• فلنسجل على صفحاته صورا حافلة بالبر والخير•• والعز والمجد •• والفوز والنصر : « **وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم** •• » « **ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ••• » •

فاللهم يارب الهجرة •• ارزقنا قلوبا مهاجرة اليك •• مسلمة لك •• مؤمنة بك •• متوكلة عليك •• اللهم يارب محمد •• خلقنا بأخلاق محمد •• وأدبنا بآداب محمد •• واجعلنا تحت راية محمد •• اللهم يارب القرآن •• اجمع شمل الأمة على كلمة سواء •• واجعل كتابك الكريم نور حياتنا •• وربيع قلوبنا •• وشفاء صدورنا •• فأنت **الأول والآخر والظاهر** والباطن وأنت بكل شىء عليم •• يانعم المولى ويانعم النصير •

دكتور محمد عبد الرحمن بيصار
شيخ الأزهر

خواطر حول الهجرة النبوية

لفضيلة الدكتور / محمد الطيب النجار
وكيل الأزهر

كانت الهجرة النبوية تدبيرا وانتصارا ولم تكن هزيمة أو فرارا

يعى التاريخ الاسلامى كثيرا من الذكريات الخالدة المجيدة ، وتثير هذه الذكريات فى نفوسنا عبرا وعظات نرى من الحق علينا — نحن المسلمين — أن نتغنى بها أمام القرون والأجيال ، وأن نتخذ منها أساسا نبنى عليه أمجادنا ، ونبراسا نسير فى ضوئه الى آمالنا المرجوة وأهدافنا النضالية •

وحينما يطالعنا هلال المحرم بعد أن طويت الصفحة الخاتمة فى حياة القرن الرابع عشر الهجرى • وبدأت صفحة جديدة لتبشر بميلاد قرن جديد هو القرن الخامس عشر بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم •• حينما يطالعنا هذا الهلال فانه يهيب بنا — نحن جماعة المسلمين وأمة محمد فى أرجاء هذا العالم — أن نقلب صفحات القرون التى غبرت منذ أشرق نور الاسلام لنرى ماذا قدمنا لأنفسنا ؟ وماذا حققنا من الآمال لديننا ووطننا وللمجتمع الذى نعيش فيه ؟ • فالعبرة دائما هى ضالة المؤمن والهدف المرجو لكل عاقل • وهى النبراس الذى يضىء طريق الخير ويهدى للتى هى أقوم •

ومع اطلالة هذا القرن الخامس عشر الهجرى على الوجود • ومع مطلع شهر المحرم يتحتم علينا أن نعيش تلكم الذكريات المضيئة عن هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى يثرب ، ونتمثل

تلك النماذج الرائعة من التضحية والايثار والفداء ، وهى ذكريات تسعد لها النفوس وتطمئن بها القلوب . وتزيد المؤمنين ايمانا ويقينا ..

صبر وايمان :

لقد هاجر الرسول الكريم من مكة وهى أحب بلاد الله اليه وأحب بلاد الله الى الله بعد ثلاثة عشر عاما من البعثة النبوية لم يذق خلالها طعم الراحة والطمأنينة ، وكان الشيطان خلال هذه الفترة يصول بين جنبات مكة ويجول . وينفث فى أرجائها سمومه القاتلة من أفن الرأى وطغيان الهوى واستبداد الفساد . ومن الحقد البالغ على أولياء الله وأعوان الحق . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى بين هذه الظلمات المتكاثفة وهو يحمل فى احدى يديه مصباح الحق ليضىء للناس الطريق ، ويحمل فى اليد الأخرى سلاح الصبر والايمان ليقاوم جنود الشيطان وأعوان الظلم والعدوان ..

وكان الملأ من كفار قريش يتآمرون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غدوه ورواحه ، وفى مسائه وصباحه . ويحشدون كل القوى الآثمة لاغوائه عن الحق واغرائه بالباطل . ويتفننون فى الكيد له وللمؤمنين من أصحابه حتى وصل بهم الطغيان الى مقاطعته هو وعشيرته من بنى هاشم وبنى المطلب فلا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم ، ولا يبيعونهم ولا يشترون منهم ولا يتعاملون معهم ولا يتحدثون اليهم حتى عضهم الجوع وأمضهم الحرمان ، ونبشوا صخور الجبل بأظافرهم بحثا عن عظام الحيوانات وجلودها ليطحنوها كالدقيق ويتخذوا منها طعاما . وقد استمرت هذه المقاطعة المروعة ثلاثة أعوام متتابعة — ويالها من محنة أليمة . ومصيبة عصيبة — ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظل طوال هذه الفترة الرهيبة معتصما بالصبر الجميل حتى ذهبت هذه الغمة وانجلى ليلها الطويل .

وقصة العذاب الذى صبه

المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والبلاء الذى أذاقوه لأصحابه الأطهار قصة طويلة ، والأمثلة على عداوتهم البالغة وطغيانهم الآثم كثيرة تحفل بها كتب التاريخ والسيرة • ولكنها — على كثرتها — لم تنل من ايمانهم ، ولم تضعف من عقيدتهم بل زادتهم — بحمد الله — ايمانا على ايمانهم حتى جعل الله لهم من هذا الضيق المستحكم فرجا ومخرجا فكانت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم هى الفجر الصادق بعد ليل داجى الجوانب • وكانت هى باب الفرج وسبيل الخلاص من هذا الشر المحدق والبلاء المطبق ••

تدبير وتقدير :

وحينما أراد الله أن تعلو كلمة الحق ويرتفع لواؤه يسر للنبى صلوات الله وسلامه عليه طريقا الى النجاة بعد أن طال ليل الظلم وظن الناس أن الصبح ليس بقريب ، وقد لاحت بشائر الفرج من جانب يثرب حينما أقبل جماعة من الأوس والخزرج وبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موسم الحج عند جمرة العقبة بعد اثنى عشر عاما من البعثة النبوية وكانت بيعتهم على ألا يشركوا بالله شيئا ، وألا يسرقوا ، وألا يزنوا ، وألا يقتلوا أولادهم ، وألا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم • وألا يعصوا رسول الله فى معروف ••

ثم عادوا فى العام الذى يليه • وفى نفس المكان بايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وكان عددهم ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين ، وكان معنى هذه البيعة أنهم يلتزمون بالدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • والتضحية فى سبيل دعوته بأنفسهم وأموالهم •• وبهذا أصبح الرسول والمسلمون فى مكة يشعرون بأن قوة جديدة تقف الى جانبهم • وأن أرضا طيبة تتهيأ لاستقبالهم • وأخذ الأوس والخزرج بعد رجوعهم الى يثرب يبشرون بالدعوة الاسلامية بين أهلهم وذويهم فتقع من نفوسهم

موقع الرضـــا والقبول • ويمدون ايديهم لتأكيـــد البيعة التى التزم بها اخوانهم الذين ســـبقوهم الى لقاء محمد صلى الله عليه وسلم •• وهكذا أشرقت يثرب بنور الحق • وانتشرت فيها مبادىء الاســـلام وأصبحت مكانا مناســـبا يأمن فيه المســـلمون على أنفسهم من أذى المعتدين وطغيان الظالمين •

وهنا يجىء التدبير والتقدير • فقد تهيأت الفرصة المناسبة والمكان المناســـب والجو المناســـب الذى يصلح لأمن الاسلام واستقراره ، ونموه وازدهاره • ولم يعد هناك مجال لبقاء الاسلام فى مكة حبيسا فى جوها الخانق الذى يشـــتعل بالحقد والضغينة • وتمزق الاثرة البغيضـــة والعصـــبية الحمقاء • فكانت الهجرة فى واقع الأمر تدبيرا وتقديرا • دبرها المولى الحكيم ، وقدرها العزيز العليم • ولا تعتبر هزيمة وفرارا كما يزعم الزاعمون ويرجف المرجفون ••

اخلاص فى الصـــحبة وصـــدق فى الصـــداقة :

وفى يوم الهجـــرة الخالد ذهب الرسول صلى الله عليه وسلم الى صـــــــاحبه الوفى الأمين أبى بكر الصديق رضى الله عنه وقال له : يا أبا بكر • ان الله أمرنى بالهجرة• فيقول أبو بكر : الصحبة يا رسول الله ؟ ويجيبه الرسـول : الصحبة يا أبا بكر • فتنهمـــر الدمـــوع من عينى الصـــــديق الأمين فرحـــا وسرورا • وتقول السيدة عائشـــة بنت أبى بكـــر رضى الله عنهمـــــا تصـــــويرا لهذه اللحظة الخالدة : فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكى • ثم يجهـــــز أبو بكر ما يلزم لهذه الرحلة الشاقة من حر ماله مستبقيا عون الله لأهله وعياله •• ويخرج الصـــــاحبان العظيمان بعد ذلك فى ظـــلام الليل يطاردهما الظلم بجحافله الجرارة • ويضىء أمامهما الايمان فيبدد هذا الظلم والظلام حتى يصلا بعد عناء شديد الى غار فى أعلى جبل ثور • وحينئذ يسبق أبو بكر رسول الله ليســـــتبرىء هذا الغار ويضمن ســـــلامته من الهوام والحشرات المؤذية ، حتى اذا اطمأن لسلامته

سمح للرسول صلى الله عليه وسلم بالدخول وجلس الى جواره فى هذا الغار الموحش ..

ولكن المشركين الذين تآمروا على الرسول صلى الله عليه وسلم وصمموا على قتله والقضاء على دعوته لم يهدأ لهم بال . ولم تغمض لهم عين فتتبعوا آثار الصاحبين الجليلين حتى وصلوا الى مكان قريب من هذا الغار . ودارت بينهم وبين أحد الرعاة فى هذا المكان مناقشة وتساؤل : هل رأيت هنا رجلين ؟ فأجاب الراعى : قد يكونان بهذا الغار وان لم أر أحدا أمه .. !! وحينما سمع أبو بكر هذا الكلام تصبب عرقا وفزع لهول المفاجأة واشتد خوفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله . لو نظر أحدهم الى موضع قدميه لرآنا . ــ وكأنما يريد أبو بكر من الرسول أن يشير عليه بما يمكن أن يقوم به لانقاذ الموقف والتخلص من هذا الحرج البالغ ــ فيجيبه الرسول صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما . لا تحزن ان الله معنا ..

وحقا . لقد كان الله معهما بعونه وتأييده . اذ جاء أحد المشركين وأمعن النظر فى مدخل هذا الغار فاذا به يرى خيمة كثيفة من نسيج العنكبوت قد نسجت على باب الغار فاعتقد أنه غار مهجور . فرجع مسرعا الى صحبه المتربصين وقال لهم . انه غار مهجور لم يدخله أحد من سنين وان العنكبوت قد خيم عليه من قبل ميلاد محمد .. فرجعوا خاسرين خائبين .. وبذلك ضرب أبو بكر فى صداقته وحبه واخلاصه للرسول أروع الامثال . وفى ذلك يقول الله عز وجل فى سورة التوبة :

« الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » .

ولله قول شوقى رحمه الله :

سل عصبة الشرك حول الغار حائمة
لولا مطاردة المختار لم تحم
هل أبصروا الأثر الوضاء أم سمعوا
همس التسابيح والقرآن من أمم؟
وهل تمثل نسج العنكبوت لهم
كالغاب والحائمات الزغب كالرخم
فأدبروا ووجوه الأرض تلعنهم
كباطل من جلال الحق منهزم
لولا يد الله بالجارين ما سلما
وعينه حول ركن الدين لم يقم
تواريا بجناح الله واستترا
ومن يضم جناح الله لا يضم

فما أجل وأجمل الاخلاص فى الصحبة والصداقة ، ويا لها من صداقة يعتز بها المسلمون على مدى الأجيال والقرون ٠

آيات فى طريق الهجرة :

وكم لله سبحانه من آيات تملأ الآفاق ، وتنطق بعظيم قدرته وجليل حكمته وقد جرت سنة الله فى أنبيائه ورسله بأن يظهر على أيديهم من الآيات والمعجزات ما يثبت القلوب القلقة ويرشد النفوس الحائرة ٠ ويزيد المؤمنين ايمانا على ايمانهم ٠٠ وفى طريق الهجرة النبوية وقعت آيات بالغة ومعجزات دامغة تكفى الواحدة منها لكى تضع أيدى الناس وعقولهم على الطريق القاصد والمحجة الواضحة ، وحسبنا الآن أن نثرى بالقليل منها وفى ذلك بلاغ أى بلاغ ٠٠

ففى طريق الهجرة مر الرسول صلوات الله وسلامه عليه ٠ وصاحبه الصديق رضى الله عنه بخيمة أم معبد الخزاعية ٠ وكانت امرأة تقعد بفناء الخيمة تسقى المسافرين وتطعمهم وتبيعهم ما يحتاجون اليه ، فسألوها تمرا أو لحما يشترونه فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك ٠ فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة فى كسر الخيمة فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : هى شاة خلفها الجهد عن الغنم (أى انها هزيلة لم تستطع الذهاب الى المرعى) فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : هل بها شىء من اللبن ؟ قالت : هى أجهد من ذلك ٠

قال : أتأذنين لى أن أحلبها ؟ قالت : نعم • بأبى أنت وأمى انهـا ليس فيها لبن • فدعا رسـول الله صلى الله عليه وسلم بالشـاة فمسـح ضرعهـا وذكر اسم الله ، وقال : اللهم بارك لها فى شـاتها ففرجت الشاة رجليها فدعا رسـول الله صلى الله عليه وسـلم باناء كبير وحلب بنفسـه الشاة فدرت بلبن غـزير حتى امتـلأ الاناء فشربت المرأة وشرب الحاضرون جميعـا حتى ارتووا ثم حلب بعد ذلك حتى امتلأ الاناء مرة ثانية وغادره عندها وانصرف • وجاء زوجها أبو معبد بعد قليل فلما رأى اللبن عنـدها عجب وقال : من أين لكم هـذا والشاة عازبة ولا حلوبة فى البيت ؟ قالت : والله انه مر بنا رجل مبارك كان من أمره كيت وكيت • وقصت عليه ما وقع • وعرف الناس بعـد ذلك أنه محمد • وأن ما وقع لأم معبد وشاتها انما هو كرامة وتكريم لمحمد • وكان الناس ــ والمؤمنون منهم ــ يـرددون فى ذلك الحين :

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حـلا خيمتى أم معبـد
همـا نزلا بالبر ثم ترحـلا
فأفلح من أمسى رفيـق محمـد
سلوا أختكم عن شـأنها وانائهـا
فانكم ان تسألوا الشاة تشـهد

وهل أتاكم حـديث سراقة بن مالك ؟ •• انه رجل من بنى مدلج تتبع رسـول الله صلى الله عليه وسـلم طمعـا فى الجـائزة التى رصدتها قريش لمن يأتى بمحمد حيا أو ميتا ، وكانت هذه الجائزة مائة من الابل ، ويا لها من جائزة سنية يسـيل لها لعاب الطامعين فى متاع الدنيا وعرضها الزائل ••

ويذكر الرواة أن هذا الرجل قد جهز عدته وسـلاحه ، وامتطى فرسـه • وانطلق يعدو به ميمما الطريق والمكان الذى يتوقع وجود محمد فيه وكان قد سمع من بعض المسافرين القادمين من مكة أمارات واضحة تدل على الطريق الذى كان يسـير محمد فيه ، فأخذ يضلل السامعين ويعمى عليهم حتى يظفر وحده بالابل المائة • ويظفـر الى جوار ذلك بالفخـر أمام أهل مكة الذين أعياهم البحث عن محمـد

واستسلموا فى النهاية الى اليأس والفشل ..

وهكذا مضى سراقة فى طريقــه حتى أصــبح على مرمى البصر من محمد وصــــاحبه ، ولكنه فوجىء بفرسه التى لم تكب فى حياتها مرة واحدة تكبو ثلاث مرات متتابعات ، وفى المرة التالية تسوخ قوائمها فى الرمال ، ويتصــــاعد منها دخان كالاعصار .. وحينئذ فزع سراقة وأدرك أن سرا عجيبا وعناية خاصة تحيط بمحمد . وأنه اذا استمر فى مطاردته فسوف يسعى الى حتفه بظلفه ، فرجع سراقة عن محاولته الآثمة وعاد الى مكة وقــد أشرق الايمان فى قلبه فأخذ يضـــــلل المشركين حتى لا يلحقوا برســـول الله . ثم شاء الله له بعد ذلك أن يصبح من أصحاب الرســـــول المخلصين المجاهدين فى سبيل الله .. وهكذا تتابعت المعجزات النبوية فى طريق الهجرة وتتابعت الآيات ، وذلك فضل الله والله ذو الفضـــل العظيم ..

أخوة مثالية ودولة مثالية :

وحينما وصل الرسول صلى الله عليه وســــلم الى المدينة أحاط به المهاجرون والانصــــار عن يمين ويســــار . فدخلها فى موكب من النور .. ومنذ أول يوم استقر فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فى يثرب بدأ يؤسس الدولة الاسلامية الكبرى التى أذن الله لها فيما بعد أن تمتــد فى كل اتجــاه وتضم بين ذراعيهـــا أقوى دولتين كانتــا تتحكمان فى هذا العالم وهما دولة الفرس ودولة الروم .

وكان موقف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين الذين تركوا وطنهم وأخــرجوا من ديارهم وأموالهم موقفـــا دقيقا يتطلب الاخلاص والتضــــامن . ويقتضى أن يســود التعاون بينهم وبين اخوانهم الانصار ..

وكان الانصار وهم الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبــون من هاجر اليهم ولا يجـــدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفســــــهم ولو كان بهم خصاصة ، ولا غرو فقد شــعروا بحاجة اخوانهم المهاجرين وقدروا

ظروفهم العصبية فآووهم ونصروهم وضربوا فى الاخلاص لهم والتفانى فى خدمتهم أروع الأمثال ، حتى لقد وصفهم الله عز وجل بذلك الوصف الرائع حيث يقول : « **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** » أى يفضلون اخوانهم المهاجرين على أنفسهم مهما كان فقرهم ومهما اشتدت حاجتهم . وقد دعم الرسول هذا الاخلاص فعقد بين المهاجرين والانصار أخوة نادرة المثال ، اذ جعل لها من الحقوق والواجبات ما لأخوة النسب . وكانت تلك المؤاخاة أساسا لتقوية المسلمين وتوكيدا لوحدتهم وألفتهم وضمانا لحياة كريمة صافية . وعيشة راضية . بل كانت من أقوى الأسس وأهمها فى تكوين الدولة الاسلامية الكبرى .. ولايزال هذا المظهر الرائع من التضامن والتعاون هو النداء الخالد الذى يهتف بالمسلمين بعد أربعة عشر قرنا كاملة مرت عليهم .. أن تعالوا الى كلمة الحق التى آوى اليها اخوانكم الأبرار . من المهاجرين والأنصار .. « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** » واتركوا العصبية الباطلة والجاهلية الجاهلة . وكونوا يدا واحدة على أعداء الاسلام ، ولا تكونوا وقودا للمطامع والأهواء والفتن الرعناء .

دروس وعبر :

وهكذا كانت الهجرة النبوية — ولاتزال — معلما على الطريق ومنارة هادية ترشدنا الى أن الكفاح سبيل الفوز والنجاح . وأن آيات الله تسير أبدا الى جوار المخلصين والمصطفين من عباده .. وأن التضامن والتعاون الذى كان أساسا بنيت عليه الدولة الاسلامية الأولى التى قوضت صروح الظلم والطغيان — هو الأمل المرجو الذى يتطلع اليه المسلمون فى هذا الوقت العصيب والجو الرهيب الذى نعيش فيه الآن .

فيا أمة الاسلام : ارجعوا الى جوهر الحق فى دينكم ، وخذوا العبرة من سيرة نبيكم واجعلوها

نورا يسعى بين أيديكم وبأيمانكم ، واعلموا أن الفجر الصادق فى حياة العروبة والاسلام لن يبزغ فى جو مشحون بالظلم والظلام والخلاف والانقسام • انما يبزغ الفجر حينما ينتهى هذا الليل الحالك وتشرق النفوس بالمودة والأخوة والايمان •

د• محمد الطيب النجار
وكيل الأزهر

« عبرة الهجرة »

ان فى اخلاق النبى صلى الله عليه وسلم وسجاياه ، التى لا تشتمل على مثلها نفس بشرية ــ ما يغنيه عن كل خارقة تأتيه من الأرض أو السماء أو الماء أو الهواء •

ان ما كان يبهر العرب من معجزات علمه ، وحلمه ، وصبره ، واحتماله ، وتواضعه ، وايثاره وصدقه واخلاصه ــ اكثر مما كان يبهرهم من معجزات تسبيح الحصى ، وانشقاق القمر ، ومشى الشجر ، ولين الحجر •

مرحبًا بهلال مطلع القرن الخامس عشر الهجرى

لفضيلة الدكتور / الحسينى هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

مرحبا بك يا هلال مطلع القرن الخامس عشر الهجرى ، نستقبلك بدعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما كنت تشرق فى سمائك وضاء منذ خمسة عشر قرنا فينظر اليكْ رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه المشرق الوضاء مناجيا ربه أن يجعلك مطلع خير ، وبر ، ورشد وسلامة وأمن على الأمة الاسلامية ونحن نردد ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم عند رؤيتك ونطلب من المسلمين جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها أن يرددوا معنا فى وعى وصدق قول الرسول صلى الله عليه وسلم (اللهم أهله علينا بالأمن والايمان والسلامة والاسلام ربى وربك الله هلال رشد وخير) (١) .

بالله حدث أمة الاسلام يا هلال مطلع القرن الخامس عشر الهجرى عن أمجاد الاسلام ، حدثهم عن المثل الرفيعة ، عن التضحية فى سبيل عقيدة الاسلام حدثهم عن نور الاسلام وسماحته ، حدثنا عن المعالم النيره الصادقة والحديث العذب البليغ الذى قاله جعفر بن أبى طالب عندما هاجر المسلمون الى الحبشه وأرسلت قريش وفدا فى أثرهم الى النجاشى ليردوهم الى مكه لتقوم قريش بتعذيبهم من جديد ، وليضيقوا عليهم ، لقد قال جعفر بن أبى طالب للنجاشى ملك

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

الحبشة قولا بليغا معبرا فيه عن فضل الاسلام وأهدافه النبيلة خير تعبيرا أوجز فيه رسالة الاسلام وسماحته ، وأقنع به النجاشى ملك الحبشة . قال أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسىء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ..

فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ماكنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه : من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء .

ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتم وقذف المحصنات وأمرنا أن نعبد الله وحده لانشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام : وعدد عليه أمور الاسلام ، فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ولم نشرك به شيئا ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا .

فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا الى عبادة الأوثان عن عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ماكنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك ، ولماقرأ عليه صدرا من سورة مريم بكى النجاشى ثم قال، ان هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، ثم التفت الى عبد الله بن أبى ربيعه وعمرو بن العاص فقال لهما انطلقا فلا والله لا أسلمهم اليكما » .

حدثنا يا هلال مطلع القرن الخامس عشر الهجرى عن مؤامرة قريش فى دار الندوة للتشاور فيما يبيتون من شر لرسول الله صلى الله عليه وسلم من حبسه أو قتله أو طرده ، واستقر رأيهم على قتله ، وما دروا أن الله مطلع عليهم وأنه ناصر لرسوله وأن الله متم نوره ، عاصم لرسوله ، وقد سجل الله ذلك فى القرآن الكريم ، بقوله « وإذ يمكر بك الذين كفروا

ليثبتوك أو يقتلوك أو يخـرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خـير الماكرين » (١) ٠

حدثنا عن يوم الهجرة وعـن تضحية عـلى بن أبى طالب رضى الله عنه وتلبيته لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم وقد بات مكـان الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج الرسول على المشركين وهـو يقرأ قول الله تعـالى : « **وجعلنا من بين أيديهم سدا ومـن خلفهم سـدا فأغشـيناهم فهم لا يبصرون** » (٢) والقى اللـه النوم عليهم فلم يره منهم أحد ٠

حدثنا عن الصحبة والصـدق والصديق وعن ثقة الرسول صلى الله عليه وسلم فى ربه وهو يقول فى غار حراء يا أبا بكر ماظنك فى اثنين الله ثالثهما ؟ يا أبا بكر لا تحزن ان الله معنا ولقد سجل القرآن الكريم ذلك فى قوله « **الا تنصروه فقـد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن أن الله معنـا فأنزل الله سـكينته عليـه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم** » (٣) ٠

حدثنا عن موكب النور وفرحة الانصار برسـول الله صـلى الله عليه وسلم وردد فى سـمع الزمان هذا النشيد الخالد الذى اسـتقبل به الرسول صلى الله عليه وسلم ٠

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
مادعا لله داع
أيها المبعوث فينا
جئت بالامر المطاع
جئت شرفت المدينة
بالهدى ياخير داع

حدثنا عن أهمية المسـجد ، ورسـالة الطهـر والتقوى التى سـجلها القرآن الكريم بقوله : « **لمسجد أسس على التقوى مـن أوليوم أحق أن تقوم فيهفيه** رجال

---

(١) سورة الانفال آية ٣٠ ٠
(١) سورة يس آية ٩ ٠
(٣) سورة التوبة آية ٤٠ ٠

يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » (١) .

ان أتباع الاسلام متطهرون مظهرا فهم شامة الناس وضاءون متلألئون نظافة فى أبدانهم وملابسهم وهم متطهرون قلوبا ونية وسلوكا ، انهم خير للانسانية عامة لقد كانت المدينة تسمى بيثرب ولما هاجر اليها الرسول صلى الله عليه وسلم أصبحت المدينة المنورة وأصبحت حرما آمنا لا ينفر صيدها ولا يصلح لرجل أن يحمل السلاح فيها لقتال ، ولا تلتقط لقطتها الا لمن أشاد بها ، وارتفعت مكانتها وقال صلى الله عيه وسلم ان ابراهيم حرم مكة ودعا لها ، وانى حرمت المدينة كما حرم ابراهيم مكة ودعا لهم بالبركة فى كل مايملكون فى مدهم وصاعهم عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم أشرف على المدينة فقال اللهم انى احرم ما بين جبليها مثل ما حرم ابراهيم مكة ، اللهم بارك لهم فى مدهم وصاعهم ، وحلت البركة وحل النور فى أرجاء المدينة وأصبحت حرما له أحكامه ، فالصلاة فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بألف صلاة فى غيره الا البيت الحرام وللروضة شرفها، وللسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فضله العظيم فان الرسول صلى الله عليه وسلم يرد السلام على كل من سلم عليه حول قبره الشريف .

هل رأيت ياهلال مطلع القرن الخامس عشر الهجرى مايحل بالمسلمين فى أفغانستان على أيدى الشيوعية الملحدة وما فى اليمن الجنوبية وما فى القدس ، ومايسفك من دماء المسلمين على يد من يدعون الاسلام فى الأوطان الاسلامية ، وهل اطلعت على تخاذل المسلمين وتفرقهم وقد طمع فيهم الأعداء وأشاعوا الفتن بينهم ، بالله حدثهم عن منهج الاصلاح الذى جعله الرسول صلى الله عليه وسلم أساسا للقوة والفلاح وهو الاخاء والتآلف ، حدثهم عن اخاء

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٨ .

المهاجرين والانصار وردد على سمعهم قول الله تبارك وتعالى : **« والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »** (١) .

وردد على سمعهم قول الله تبارك وتعالى : **« ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم »** (٢) .

وردد على سمعهم قول الله تبارك وتعالى : **« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »** (٣) .

ذكرهم بقول الرسول صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاث ، يلتقيان فيعرض هذا ، ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام ، فالخير الذى يبادر بالسلام والمصافحة والصفح لجمع الكلمة ، ففى اتحاد المسلمين قوتهم ونصرهم ، ذكرهم بقول الشاعر :

وان الذى بينى وبين بنى أخى
وبين بنى عمى لمختلف جدا
فان أكلوا لحمى حفظت لحومهم
وان هدموا مجدى بنيت لهم مجدا

ذكرهم بسماحة الاسلام وعفوه ورحمته وبقول الرسول الخالد عندما فتح مكة وقال لمن أساءوا اليه ماتظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم ، وقال كلمته الخالدة الوضاءة اذهبوا فأنتم الطلقاء وقال عن أبى سفيان الذى قاد المعركة ضد الاسلام يوم بدر : من دخل دار أبى سفيان فهو آمن فأى أخلاق عرفتها الانسانية تسمو الى هذه الأخلاق العملية الكريمة ، ياهلال مطلع القرن الخامس عشر الهجرى ذكر المسلمين فى كل مكان بأسمى وثيقة لحقوق الانسان قالها الرسول صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع حرم فيها سفك الدماء واباحة الأعراض ونهب الأموال عندما وقف يوم النحر فقال : « فان

---

(١) سورة الحشر آية ٩ .
(٢) سورة الأنفال آية ٤٦ .
(٣) سورة ال عمران آية ١٠٣ .

دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا الى يوم تلقون ربكم ألا هل بلغت ؟ قالوا نعم قال اللهم اشهد فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » .

بلغ ياهلال مطلع القرن الخامس عشر الهجرى المسلمين قول الرسول صلى الله عليه وسلم وقل لهم . قال فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وردد على سمع المسلمين قول الله تبارك وتعالى : « **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** » (١) وذكرهم وقل لهم أن يتفكروا ويتدبروا فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم ، المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر مانهى الله عنه .

يا هلال مطلع القرن الخامس عشر قل للمسلمين ان خير احتفال بقدومك هو التآلف والاعتصام بحبل الله « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا** » (٢) .

وتحية الى المسلمين وتهنئة بمطلع القرن الخامس عشر الهجرى ودعوة لهم أن يؤلف الله بين قلوبهم كما ألف رسولهم صلى الله عليه وسلم بين الأوس والخزرج ، وبين المهاجرين والأنصار قال تعالى « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** » .

هذا وبالله التوفيق .

دكتور / الحسينى عبد المجيد هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية

---

(١) سورة المائدة آية ٢ .
(٢) آل عمران آية ١٠٤ .

لمحات من الهجرة

للأستاذ/ محمد صابر البرديسى
مدير المجلة

لم يكن التفكير فى الهجرة الى المدينة هو أول خاطر يخطر ببال محمد « صلى الله عليه وسلم » ، بل خامرت الهجرة نفس محمـــد « صلى الله عليه وسلم » منــذ أوحى اليه أول مرة ، وهو فى غار حراء حين ذهبت به السيدة خديجة « رضى الله عنها » الى ورقه بن نوفل يرتجف من الوحى فقال له ورقة « انه النـــاموس الذى كان ينزل على الأنبيــاء قبلك . ليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك ، فقال له النبى « صلى الله عليه وسلم» أو مخرجى هم ؟ قـــال نعم . لم يأت أحـــد بمثـــل ما أوتيت بـــه الا عودى ، ولئن أدركت يومـــك لأنصرنك نصرا مؤزرا ، انك يابن أخى لنبى هذه الأمة . » وما لبث ورقة أن توفى .

ويمكن أن نعتبر ورقة بن نوفل أول من آمن بنبوة محمد « صلى الله عليه وسلم » قبل بعثته وقبل أن يؤمن بها الناس .

ولما أمر بتبليغ الرســالة بقوله تعالى « **يا أيها المدثر قم فأنذر** » وبقوله تعالى : « **وأنذر عشيرتك الأقربين** » أخذ يوطن نفسه على الجهاد والتضحية من أجل هـــذه الرسالة .

وما أن أعلن رسالته ، وعرض على قريش ما أوحى اليـــه حتى كذبوه وآذوه وتفنن المشركون فى تعذيب كل من يسلم ويســتجيب لدعوة محمـــد ، وتحمل محمـــد وصحبه ألوانا من العذاب والهوان

والحرمان وكان أصحاب محمد من المسلمين الضعفاء ممن ليست لهم حماية أو منعة يعــذبون بالضرب والحبس وتوضع الأحجار المحمية على بطونهم فى الرمضاء اذا اشتد الحــر • فهذا بلال بن رباح ، كان أمية بن خلف يطرحه على ظهره فى الظهيرة ، ثم يضع الصخرة على صدره ، ويجلده ، ويتوعده ويهدده ليرغمه على أن يكفر بما جاء بـــه محمد فما يحوله ذلك عن دين محمد وما يزيد عن أن يقول «أحد أحد» وذاك « عمــار بن ياسر » وأبوه وأمه ، كانوا يعــذبون مــن بنى مخزوم برمضاء مكة وقت الظهيرة وكان يمر بهم رسول الله « صلى الله عليه وسلم » فيراهم فى هذه الصورة التى تتفتت لها الأكباد ، وتتقطع لها القلوب ، فيقول لهم « صبرا آل ياسر ، فموعـــدكم الجنة » •

قعد الكفار والمشركون لرســول الله وأصحابه كل مرصد ، وضيقوا عليهم الخناق وخاف أبو طالب عم رسول الله على محمــد أن يلحقه ضرر لا قبل له به ، فأشار عليه بأن يكف عن دعوته وأن يتريث الأمر ، فقال له قولته التى تبقى على مر الزمن ويبقى معها صــداها يوقظ كل قلب ضعف فيه الايمان ويحرك كوامن النفوس حين يغشاها الفتور والركود •

ويثبت به قلوب المؤمنين ويزداد الذين آمنوا ايمانا •

قال له : « والله يا عمـــــاه لو وضــــعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يســارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » وبعـــد أن فقد رسول الله «صلى الله عليه وسلم» الحمايتين بموت زوجه « خديجة » رضى اللــه عنها ، ومــوت عمــه « أبى طالب » نالت قريش منـــه ما لم تنله فى حياتها وضاقت مكــة برســـول الله « صلى الله عليه وسلم » وبأصــحابه الذين التفوا حوله وأصـــبح البقاء بمكة أمرا صعبا يهدد الرسول والدعوة معــا بالفناء ، ويجعــل الطريق الى نشر الدعوة طريقا مسدودا ، وكان لابد من منفذ ينفذ المســلمون منــه للوصـــول الى نشر الدعــوة

وحمايتها ، وكان لابد من الهجرة •

ومن رحمة الله بالمسلمين أن الفترة التى قضوها بمكة قبل الهجرة كانت فترة تربية للنفس ، ولقلوب حملة هذه الدعوة الراغبين اليها •

كانت هجرة نفسية تعود المسلمون فيها — طوال مدة وجودهم فى مكة — على الصبر والتضحية والاحتمال ، وعاشوا أياما بلا زاد ولا مأوى ، وهجروا ملاذ الحياة •

فترة اعداد لهجرة شاقة تكون النفوس فيها مستعدة لتحمل وعناء السفر ومشاق الغربة ، وعناء الطريق ، وبذل النفس والمال فى سبيل الله •

وجاء موسم الحج ، وتدفقت القبائل على الأسواق ، فكان الرسول « صلى الله عليه وسلم » يعرض نفسه فى كل سوق ، ويقول : « ألا رجل يعرض على قومه فان قريشا قد منعونى أن أبلغ كلام ربى » • فكان الناس يعرضون عنه ، لأن عمه أبا لهب كان يصرف الناس عنه ، ويتعرض له ويقول لهم : « لا تسمعوا منه فانه كذاب ، ولا ترفعوا بقوله رأسا فانه مجنون يهذى من أم رأسه ، فكان رجال القبائل يصدون عنه ويقولون : قوم الرجل أعلم به أترون أن رجلا يصلحنا وقد أفسد قومه ؟

وظل الأمر على هذا الحال ، محمد يعرض نفسه على القبائل ، وأبو لهب يتعرض له ، ولكن الله « جل شأنه » اذا أراد بعبده خيرا يسر له أمره ، وكشف عنه ضره ، وفرج عنه كربه « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ، ذلك أمر الله أنزله اليكم » (١) •

وقد أراد الله بمحمد « صلى الله عليه وسلم » خيرا ، فقد هيأ له الفرصة لعرض نفسه على القبائل بعيدا عن مضايقات عمه أبى لهب • حيث انه توجه ناحية جمرة العقبة (٢) وهناك التقى برهطين

---

(١) سورة الطلاق — آية رقم ٤ ، ٥

(٢) يسار الطريق الى منى من جهة مكة

من الخزرج من بنى النجـــار فى يثرب ، وعلى رأسهم أســـعد بن زرارة ، فدعاهم صـــلى الله عليه وسلم الى الاســـلام ، وتلا عليهم آيات من القرآن ، فهداهم الله الى الايمان وقالوا لرسول الله « صلى الله عليه وســـلم » « آمنـــا بك وصـــدقناك فمرنا بأمرك فانا لن نعصـــيك » فملأت الفرحة قلب محمـــد « صلى الله عليه وسلم » فخر ساجدا ، شاكرا لله أن هداهم للايمـــان ، ثم فقههم فى دينهم ، وطلب منهم أن يدعـــوا قومهم الى الاسلام ، ورغبوا فى أن يرتحـــل معهم ، فقال : « حتى يأذن الله » .

ثم جاءت الاشهر الحرم ، بعـــد أن دار الـــزمن دورته ، وبلـــغ اليثربيون مكة ، والتقوا برســـول الله ، وكانت بيعة العقبـــة الكبرى وراح رسول الله « صلى الله عليه وسلم » يبايع القوم ، وقد تعلقت به قلوبهم وارتبطت به نفوسهم ، كان لقاء مفعما بالحب والنشوة ، وكانت متعة اللقاء لا تدانيها متعة ، وكانت المعاهدة التى وطدت روابط الأخوة بين الأحبة .

كان المســـلمون فى يثرب ، وقد كثر عددهم ــ يصلون خلف أسعد ابن زرارة فطلبوا منـــه أن يبعث معهم رجلا من أصحابه يفقههم فى الدين ، ويقرئهم القـــرآن ، فبعث اليهم « مصعب بن عمير ، فنزل على أسعد بن زرارة وأسلم على يديه خلق كثير .

ويذكر المؤرخون أن الرســـول « صلى الله عليه وسلم » فى البيعة الكبرى كان معـــه « العباس بن عبد المطلب عمه ، وقد تحمس له ، ووضع عيونا لحراسة ابن أخيه ، وضـــع عليا على فم الشـــعب ، وأوقف أبا بكر على فم الطـــريق الآخر .

فهل فعل العباس ذلك وهو على دين آبائه ، أم أنه أســـلم سرا ، وكتم اسلامه بأمر من الرســـول ، ليكون عونا له فى اعلامه بالاخبـــار بعد الهجرة .

وقد تحادث العباس مع القوم ، وأخـــذ عليهم المواثيق حفاظا على ابن أخيه ، فأخذ البرار بن معرور بيد الرســـول « صلى الله عليه

وسلم » فبايعه وبايع قومه معه ، فقال العباس :

« اللهم انك سامع شاهد ، وان ابن أخى قد استرعاهم ذمته واستحفظهم نفسه ، اللهم كن لابن أخى عليهم شهيدا » •

ثم أخرجوا لهم من بينهم اثنى عشر نقيبا يكونون على قومهم •

كانت تلك الساعات التى تعاهد فيها القوم مع رسول الله « صلى الله عليه وسلم » من أروع الساعات ، وأخطرها فى تاريخ البشرية ، انها تبشر بفتح قريب ، وبداية لنشر راية الاسلام فى كل مكان •

ومن بعدها كان الرسول « صلى الله عليه وسلم » يقول لمن يشكو من المسلمين ضراوة المشركين « ان الله قد جعل لكم اخوانا ، ودارا تأمنون بها » وكان ذلك أمرا من رسول الله بالهجرة الى يثرب ، فهاجروا اليها زرافات ووحدانا ، مختفين ماعدا عمر « رضى الله عنه » فكما أعلن اسلامه ، أبى الا أن يعلن هجرته متحديا المشركين ، فتقلد سيفه ، وتنكب قوسه ، وانتضى فى يديه أسهما ، وعلق جربته الصغيرة عند خاصرتيه ، والملأ حوله من قريش يرقبونه ، ثم نظر اليهم ، وقال قولته المشهورة « من أراد أن تثكله أمه ، أو يوتم ولده أو ترمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى، وسار عمر فما تبعه أحد ، ففرح الرسول ، وانشرح صدره بشجاعة عمر ، وتحديه للجميع •

وأراد أبو بكر الهجرة ، فقال له الرسول « صلى الله عليه وسلم » « لا تعجل ، لعل الله أن يجعل لك صاحبا » •

وطمع أبو بكر أن يكون ذلك الصاحب هو رسول الله نفسه ، فزعت قريش والمشركون من تجمع المسلمين بيثرب ، وخافت أن يهاجر محمد فيكون جيشا لحربهم ، فاجتمعوا فى دار الندوة وتشاوروا فى أمره ، وانتهى أمرهم الى أن يأخذوا من كل قبيلة شابا جلداً ، ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل ،

فلا تستـــــطيع بنو عبد مناف على حربهم جميعـــــا ، ثم تدفـــع لهم الدية .

وجاء خبر الســـــماء فكشف كيدهم ، ونزل جبريل عليه السلام بقول الله تعالى : « **وإذ يمكر بك الذين كفــروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكـــر الله والله خير الماكرين** » (١) .

وقال له جبريل « **لا تبت هــذه الليلة فى فراشـــك الذى كنت تبيت عليه** » واجتمـــع القوم أمام البيت لقتله ، ورأى رســـول الله « صلى الله عليه وســلم » مكانهم ، فقال لعلى : « نم على فراشى ... فانه لن نخلص اليك شىء تكرهه منهم» فنام على « رضى الله عنه » هادىء النفس مطمئنا ، ثم أخذ الرســـول حفنة من التراب وتلا قوله تعالى : « **يس والقـــرآن الحــكيم** » الى قـــوله ، « **فأغشـــــيناهم فهم لا يبصرون** » (٢) .

فأخذ الله على أبصــــارهم فناموا فخرج « صلى اللـــه عليه وسلم » ولم يروه بعد أن نثر عليهم التراب ثم ذهب حيث يريد .

هاجر الرسول « صلى الله عليه وسلم » ومعه أبو بكر « رضى الله عنه » مســـــتخفين حتى اذا كانت الكعبة خلفهما نظر عليه الســـلام الى مكـــة ، وقال فى لهفـــة وحنين اليها :(والله انك لأحب أرض الله الى وانك لأحب أرض الله الى الله ، ولولا أن أهلك أخرجونى منــــك ما خرجت) ومضيا حتى وصــــلا الى غار ثور فدخلاه مستخفين .

وحدثت من المعجزات على مدخل الغار ما صرف عنهمـــا أنظــــار المشركين .

وقد حــــزن أبو بكر حين رأى الكفـــــار على فم الغار ، وقال للرسول :

« لو نظر أحـــدهم تحت قدميه لرآنا » فطمأنه الرســـول « صلى الله عليه وسلم ».

---

(١) سورة الانفال ـ آية ٣٠

(٢) يس ــ ٩

وقال له : « ما ظنك باثنين الله ثالثهما ، لا تحزن ان الله معنـــا » فانصرف المشركـــون لا يلوون على شىء » •

وجاءت الساعة المحددة لخروج النبى «صلى الله عليه وسلم» من الغار حتى اذا انتهى الى أســـفل الجبل وجد الأريقط « الدليل » فى انتظارهما ثم انطلق أفضل ركب فى رعاية الله •

أما على فقد بقى بمكـــة ليؤدى أمانات وودائع كانت عند رســـول الله « صـــلى الله عليه وســـلم » يؤديها الى أصـــــحابها نيابة عنه ، وهذا سبب تأخره عن الهجرة فوق ما قام به من تضحيات وبطولات •

أما قريش وقد أنهكها التعب ، وبلغ منها الجهد مبلغه ، فقد جعلت جعلا لمن يأتى بمحمد حيا أو ميتا •

وأراد سراقة بن نافع أن يفوز بهذا الجعل ، فخرج لابســـــا سلاحه يجد فى ســـيره حتى أدرك محمـــدا « صلى الله عليه وسلم » واذا بفرسه يعثر ويسقط عنه وقد تكـــــرر ذلك مرارا ، فأدرك أنه فى حماية وأنه قد منع منه • ووقع فى نفسه مكانة محمد « صلى الله عليه وســـلم » فطلب الامان ، فأمنه ، ووعده رسول الله ، « وقد عرف ايمانه » أن يتســـــور بســـوارى كسرى ، وقد صدقت نبوءة محمد ، فان عمر بن الخطاب حين جىء له فى زمن خلافته بسوارى كسرى ، دعا سراقة وألبسه السوارين •

وبينمـــا يسير « صلى الله عليه وسلم » فى طريقه المهجور موليـــا وجهه شطر المدينة قريبا من منازل خـــزاعة نزل أمام بيت هو بيت أم معبد ، واسمها عاتكة امرأة برزة تجالس الرجال وتتحـــدث اليهم فى عفة وشرف ، وقد أقامت بيتهـــــا على جانب الطريق الذى يســـلكه المسافرون تبيعهم الطعام والشراب واللبن وطلب منها الرسول لبنـــا ، ــ وكان الوقت وقت جدب ، فلم يجد عندها ما يسد حاجته ، وكان عندها شـــــــاة هزيلة ، فقال لها الرسول « صلى الله عليه وسلم » : « هل بها من لبن ؟ فقالت : ليس بها لبن ، لقد أجهـــــدها القحط ، فقال : أتأذنين لى فى حلبهـــا ؟ ثم

أمسك الرسول بالشاة ومسح على ضرعها بيده الشريفة ، وذكر اسم الله تعالى : وقال : « اللهم بارك لنا فى شاتنا » فدرت وملأت اناء اسبعهم ، ثم حلب ثانيا وترك الاناء مملوءا باللبن ثم ارتحل ومن معه داعيا لها بالبركة .

رجع زوجها «أبو معبد» فرأى عجبا ، رأى أم معبد يعلوها البشر والسرور ورأى انـاء مملـوءا باللبن ، فسألها :

من أين لك هذا ؟ قالت مر بنا رجل صفته كذا وكذا وحدثته بما رأت وبما حدث من رسول الله « صلى الله عليه وسلم » فقال :

والله انى لأراه صاحب قريش الذى تطلبه ، ولو رأيته لاتبعته ثم طلب منها أن تصفه ، ومما جاء فى وصفها للرسول « صلى الله عليه وسلم » .

ظاهره الوضاءة (١) ، منبلج الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبه ثجلة (٢) ، ولم تزريه صعلة (٣) . كأن عنقه أبريق فضة (٤) .

وسيم قسيم فى عينيه دعج (٥) .

الى آخر ما وصفته من أوصاف الكمال . وقد أسلمت هى وزوجها . ولحقا برسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

سمع المسلمون بالمدينة بهجرة الرسول من مكة ، قاصدا المدينة ، فأخذوا يغدون كل صباح الى ظاهر المدينة (بالحرة) ينتظرونه ، حتى اذا ما اشتدت عليهم حرارة الشمس قفلوا راجعين فى قلق لتأخر وصوله ، وغاب عنهم أنه مكث فى الغار ثلاثة أيام .

وفى صبيحة يوم مشرق من أيام ربيع الأول تأهب الرسول « صلى الله عليه وسلم » لدخول المدينة « يثرب » فى رائعة النهار ، وصعد رجل الى الجبل ، فأبصر رجالا

---

(١) أى مشرق
(٢) كبر البطن
(٣) صغر الرأس
(٤) السيف يبرق
(٥) شدة سواد العين فى بياض مشوب بحمرة علامة على الشهامة .

قادمين ، وبينهم من يلبس الثياب البيض ، يضيء وجهه كالقمر فقال بأعلى صوته : يا معشر العرب ، هذا جدكم (١) الذى تنتظرونه فخرج الناس فرحين مستبشرين يتطلعون الى رؤية الهادى النبى الأمين يهللون فرحين ، وكان النساء والصبيان ينشدن :

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا
جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة
مرحبا يا خير داع

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء ، ووفد الناس عليه من أطراف المدينة فرحين بمقدمه .

وفى غمرة الفرح طلب الرسول « صلى الله عليه وسلم » من المسلمين أن يأتوه بالأحجار ليبنى مسجدا ، وجمعت الاحجار ، وخط القبلة وبدا فى البناء ، ولم يزل به حتى أقام أول مسجد أسس فى الاسلام ونزل فيه قوله تعالى **« لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » (٢) .**

ثم توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، ووجد المسلمين هناك كثرة ، فبنى لهم مسجدا وكان أول عمل قام به الرسول « صلى الله عليه وسلم » بعد بناء المسجد أنه آخى بين المهاجرين والأنصار ، وكان الأنصار يؤثرون المهاجرين على أنفسهم ، وفيهم نزل قول الله تعالى فى سورة الحشر **« والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ، ولايجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه ، فأولئك هم المفلحون»(٣).**

---

(١) حظكم
(٢) سورة التوبة ــ ١٠٨
(٣) الحشر آية ٩

وكان لهــذه الأخوة تأثير عظيم فى وحدة المسلمين وجمع صفوفهم ، وتصــــفية قلوبهم ونبذ الأحقاد والضــغائن التى كانت بين قبائلهم حتى أصبح المسلم للمسلم كالبنيان يشـــــد بعضه بعضا ، وكان لهذا أيضــا أثره فى قوة المســـلمين ، وما أصــــابوه بعد ذلك من الفتح والنصر المبين .

كانوا بهــذا التآخى يتوارثون بعد الموت ، وحين عمل المهاجرون فى التجارة والصــناعة ، وأصـبح لكل مهاجر مسلم أسرة مسلمة ذات كيان بعد فراق زوجاتهم المشركات نســــخ الله ميراث الأخوة بآيات المواريث وبقى التآخى فى الله على الحب والاخــــلاص ، والحـــق والمســاواة .

ان هذه الهجرة حدث عظيم فى تاريخ الاســـــلام ، فقد انتقلت الدعوة الاســلامية من الضيق الى الســعة ، ومن الضعف الى موقف القوة ومن اســــــتهتار المشركين بالمسلمين الى ســــيادة المسلمين وعزتهم ، وانتقلت بها الأمة العربية من جمــود الى حركة ومن فوضى الى نظــــام ، ورفعت الهجرة من مستوى البشرية، وأخرجت الناس من الظلمـــات الى النور ، وكانت نقطة تحول فى تاريخ الامة كلها .

على أســاس من الايمان بالله ، والثقة فيه ، والعقيدة الصـحيحة قامت دولة الاســـلام فى يثرب ـ « والعقيدة السليمة أساس فى كل حركة يرجى لها النجـــــاح والفلاح » ـ وعلى هذا الاساس استطاع الرسول « صلى الله عليه وسلم » أن يكون من جماعة مؤمنة «حكمت بكتاب الله وسنة رسوله» دولة اسلامية مستقرة نسبيا لان المشركين لم يتركوا المســـلمين فى راحة ، فاليهود داخل المدينة كانوا يكيدون لرســول الله « صلى الله عليه وســـلم » بما يدبرون له من مؤامرات ودســـائس وخيانات ، وكثير من القبائل المجــاورة كانوا يعاونون قريشا ويشايعونها .

وقبل أن يلتحق الرسول « صلى الله عليه وسلم » بالرفيق الأعلى كانت الانتصارات تتوالى لجيوش

المسلمين فى كل معركة يخوضـــونها وتم فتح مكة وعفا رســـول الله « صلى الله عليه وسلم » عن أهلها وقال لهم « **اذهبوا فأنتم الطلقاء** » وكان لهـــذا العفو أثره فى نفوس المشركين والمسلمين على الســـواء فأسلم أهل مكة وتحابوا وتعاونوا وبسبب تلك الســـماحة انطلق الاسلام يشع نوره فى كل مكان ، وما كاد يلتحق الرسول بربه حتى انتشر الاسلام وعم أنحاء الجزيرة العربية كلها •

وحينئذ أتم الله نعمتـــه على المسلمين ونزل قوله تعالى « **اليوم أكملت لكم دينـــكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » وأدرك الصحابة أن بقاء الرســـول معهم قد لا يطول • لأنه ما تم شىء الا وبدأ فى النقصـــان ، وأكد لهم ذلك أيضا ما نزل من قوله تعالى : « **اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واســـتغفره انه كان توابا** » •

ولم يلبث الرسول « صلى الله عليه وسلم » طويلا بعد ذلك حتى توفى •

كان العرب قبل الاســـلام يؤرخون بالحـــوادث فيقولون : حدث ذلك فى عام الفيل أو عام كذا من الأحداث الجســـام ، ولقد كان هناك بعد الاســـلام أكثر من حادث ، يمكن أن يؤرخ به كحادث البعثة ، أو فتح مكـــة ، ولكن عمر رضى الله عنـــه رأى أن يؤرخ بالهجرة الى المدينة وترك التوقيت ببقية الحوادث ، ذلك لأن الهجرة رمز للتضـــحية والفداء ، وعنوان لانتصار الحق على الباطل •

ولما كانت الهجرة فى ربيع الأول رجع « رضى الله عنـــه » بالتاريخ الى أول المحرم مراعاة لضـــبط الحســـاب •

يدور الزمان دورته ، ويعـــود المحرم كل عام ليذكر المســـلمين بما كان عليه أســـلافهم من ايمان بالله ، واعتصام بحبله ، ووحدة فى الصـــف والهـــدف ، ويقين فى النصر •

ان أعداء المسلمين يقفون لهم بالمرصاد ، ويحيطون بهم من كل جانب ويتحينون الفرص للقضاء عليهم • فيجب علينا أن نواجههم بحزم وقوة وبايمان صادق وعمل خالص لوجه الله ، جاعلين كتاب الله وسنة نبيه أساس التشريع قانونا وتطبيقا وعملا فان فى نصر دين الله نصر للمسلمين **« ولينصرن الله من ينصره »•**

محمد صابر البرديسى

مدير المجلة

« حسن الجواب »

يحكى أن الحجاج الثقفى بنى هو وعبد الملك بن مروان فى المسجد الأقصى بابين فوقعت صاعقة فأحرقت باب عبد الملك ، فداخله حسد للحجاج فكتب اليه الحجاج ، انما مثل أمير المؤمنين ومثلى كمثل ابنى آدم اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، فزوى عن عبد الملك ما وجده عليه ، واستحسن جوابه •

الهجرة وبركتها على الاسلام
المسلمون فى مطلع القرن الخامس عشر

لفضيلة الشيخ / مصطفى محمد الطير

قال تعالى فى سورة النساء :

« ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله .. » الآية ١٠٠ .

كان لهجرة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ من مكة الى المدينة أثر عظيم فى نمو المسلمين ، واتساع نطاق الاسلام ، وانتشاره فى المشارق والمغارب ، فلقد ظل الاسلام حبيسا بمكة ثلاثة عشر عاما لم يتجاوزها الى سواها ، بل لم يعتنقه من أهلها الا عدد قليل معظمهم من الضعفاء والموالى ، وذلك : لأن زعماء قريش وقفوا لدعوته وداعيها بالمرصاد ، يعرضون عنه ويصدون الناس عن سبيله ، ويتناولون من آمن به بالتشهير والايذاء ، ووصل الأمر بهم الى قتلهم بعض من آمن به من الضعفاء : كياسر وسمية والدى عمار بن ياسر الصحابى الجليل .

ولقد صبر النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ والمؤمنون لمختلف المحن والمصائب فى سبيل ربهم ، ولما اشتد عليهم الايذاء أذن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ للمؤمنين بالهجرة الى الحبشة مرتين ، فلقوا من النجاشى كل اكرام واحسان ، وكان وفودهم عليه سببا فى ايمانه وايمان بعض

قومه ، ليصبحوا أساسا للايمان فى تلك الأرض الطيبة .

ولما استيقن الرسول من يبس القلوب وتحجر الأفئدة فى أهل مكة ، قرر الهجرة الى المدينة ، لتكون منطلقا للدعوة الاسلامية من عقالها ، وقد كان ذلك بتوجيه من الله — تعالى — كما سنبينه بعد — ان شاء الله تعالى — .

الحث على الهجرة

ولقد أنزل الله تعالى حثا للمؤمنين على الهجرة وترغيبا لهم فيها قوله سبحانه « **ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما** » (١) .

أى أن من يهاجر من بلد لا يأمن فيه دينه ورزقه ، يجد فى أرض الله موضعا للهجرة يرغمفيه أنوف أعداء الله الذين حملوه على الهجرة ، ويجد فيه سعة فى رزقه وصدره وفكره ، بعد الذى كان فيه من الذل والضيق فى أمره كله، ومن يخرج من بيته يريد الهجرة فى سبيل الله ، فقد ثبت أجره عند الله تعالى وان لم يصل الى المكان الذى قصد الهجرة اليه ، وكان الله عظيم الغفران واسع الرحمة.

وقد أوجب على المسلمين بمكة أن يهاجروا الى المدينة ، ليجتمع شمل المسلمين بالمدينة ، فيقوى الاسلام ، ويشتد بتعاضد مسلمى مكة المهاجرين مع الأنصار بالمدينة، فقد أنزل الله سبحانه قبل هذه الآية : « **ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا** » (٢) .

(١) سورة النساء — الآية ١٠٠

(٢) الآيات ٩٧ — ٩٩ من سورة النساء .

وبلغ من اهتمام المسلمين بالهجرة امتثالا لأمر ربهم ، واقتناعا بجدواها ، ما حكاه معمر عن قتادة قال : لما نزلت **« ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم .. »** الآية قال رجل من المسلمين — وهو مريض — : والله مالى من عذر ، انى لدليل فى الطريق ، وانى لموسر فاحملونى ، فحملوه فأدركه الموت فى الطريق ، فقال أصحاب النبى — صلى الله عليه وسلم — : لو بلغ الينا لتم أجره — وقد مات بالتنعيم — وجاء نبؤه الى النبى — صلى الله عليه وسلم — وأخبروه بالقصة ، فنزلت هذه الآية : **« ومن يخرج من بيته مهاجرا .. » الآية ، وكان** اسمه : صخرة بن جندب ، وقيل : جندب بن صخرة .

لماذا لم يستجب أهل مكة قبل الهجرة ؟

كان من حكم الله تعالى اعراض أهل مكة عن دعوة الاسلام وداعيها ، وحربهم المسعورة للمسلمين على اختلاف درجاتهم ، فان قريشا لو آمنت لما هاجر الرسول ، ولقال غيرهم من قبائل العرب — حينئذ : هؤلاء قوم تواقون للزعامة على العرب ، لأنهم أهل البيت وحراسه ، فلهذا عمدوا الى رجل منهم وحملوه على ادعاء النبوة ، لكى يملكوا بهذه الحيلة سواهم ، وحينئذ تنصرف القبائل عن قبول دينه فرارا من زعامة قريش عليهم .

فمن أجل ذلك : شاء العليم الحكيم ، أن يتنكر أهل مكة للاسلام وأهله ، وأن يتابعوهم بالصد والاعراض ، وبالتشهير والايذاء ، ليهاجر الرسول وأصحابه من مكة الى المدينة ، فيؤمن به الغرباء من أهلها بالحجة والبرهان ، لا بالسيف والسنان ، ويكون ذلك دافعا لدخول الناس فى الاسلام ، اذ يقولون فى أهل المدينة : قوم لم يعمهم التعصب والاستكبار عن قبول الحق فآمنوا ، فلماذا لا نؤمن كما آمن هؤلاء .

الهجرة سنة المرسلين

على أن الهجرة ليست قاصرة على النبى - صلى الله عليه وسلم - فقد حدثت للمرسلين قبله ، فهاهو ذا : ابراهيم - عليه السلام - دعا قومه - أهل بابل الى ترك عبادة الكواكب والأصنام التى تمثلها ، فعارضوه وقاوموه ، وكان أبوه : آزر أول معارضيه ، ولم يفلح نقاشه اياهم بالحجة والبرهان ؛ فعمد الى أصنامهم فحطمها ليكون هلاكها برهانا على عدم صلاحيتها للألوهية ، **« فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون • ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون » (١)** •

ورأوا أن ينتقموا لآلهتهم ، فأوقدوا نارا هائلة وألقوه فيها ، فجعلها الله عليه بردا وسلاما ، وقال لقومه متاركا لهم : **« انى مهاجر الى ربى سيهدين »** وهاجر الى الشام عابرا النهر اليها كسائر العبرانيين قبله وبعده ، واختار الشام ، لأنها أرض مباركة بالخير والثمر •

وها هو ذا : لوط دعا قومه الى عبادة الله تعالى ، وترك ما هم عليه من اتيان الذكور شهوة من دون النساء ، فلما أبوا هاجر مع ابراهيم الى الأرض المباركة ، وعاقب الله قومه فجعل عالى أرضهم سافلها ، وأمطر عليهم حجارة من سجيل ، وفى هجرتهما يقول الله تعالى فى سورة الأنبياء : **« ونجيناه ولوطا الى الأرض التى باركنا فيها للعالمين » (٢)** •

وها هو ذا : موسى - عليه السلام - دعا فرعون وقومه الى الايمان بالله ، وقدم لهم تسع آيات بينات ، كبراها انقلاب عصاه حية وابتلاعها سحر السحرة أجمعين ، فأصر على كفره قائلا : **« ما علمت لكم من اله غيرى »** واستمر الجدل بينه وبين موسى فترة طويلة أرسل الله عليهم فيها

---

(١) سورة الانبياء : ٦٤ - ٦٥

(٢) الآية ٧١ من سورة الانبياء ٠

الطـوفان والجـراد والقمـل والضفادع وغير ذلك من الايات ، فلما لم يؤمنوا وأصر فرعون على الانتقام من موسى وبنى اسرائيل، أمره الله بالهجرة الى سيناء ، وفى ذلك يقول الله تعالى : فى سـورة الشعراء : **« وأوحينا الى موسى أن أسر بعبـادى انـكم متبعون » (١) .**

وها هو ذا : المسـيح : عيسى ــ عليه السلام ــ عارضه قـومه وكذبـوه وآذوه ومن معـه من المؤمنين ، وكادوا يقتلونه ، فهاجر ومن معه من المؤمنين ، وبشرهـم قائلا : **(طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السماء)** ثم قال : **(افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم فى السموات ، فانهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلـكم) .**

الى غير ذلك من هجرة النبيين بسبب اضطهاد أهل الكفـر لهم ، فلا غرابة فى أن يهاجر النبى من مكة بعـد أن تحجرت من أهلهـا القـلوب ، وعميت البصـائر ، وتحكمت فيهم عقائد الآباء وكبرياء الجاهلية .

الاعداد للهجرة الى المدينة

كان هناك نوعان من الاعـداد للهجرة الى المدينة : أحـدهما فى السماء ، والآخر فى الأرض ، فأما الذى فى السـماء فهو : الاسراء والمعراج فى رحلة قدسية ترفيهية، بعد الذى نال الرسول من متاعب الدعوة ليستعد بهذه الرحلة نفسيا الى مرحلة الهجرة المقبلة ، ومـا تستتبعه مشاق الدعوة والجهاد فى سبيل الله ، ولهذا : كان الاسراء والمعراج فى ليلة السابع والعشرين من رجب ، من السنة الثانية عشرة من النبوة ، أى : قبل الهجرة بعام واحد تقريبا ، ويشـير الى أن الرحلة خاصة بهذا الغرض ، قوله **تعالى : « سـبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السـميع البصـير » .**

---

(١) الآية ٥٢

أما الاعــداد لها فى الأرض : فكان من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وذلك باتصـــاله بقبائل أهل المدينة ، تميهدا للهجرة اليها ، وذلك بأمر الله تعــالى ، فقد أخرج الحــاكم وأبو نعيــم والبيهقى باسناد حسن ، عن ابن عباس قال : حدثنى على بن أبى طالب قال : « لما أمر الله نبيه أن يعرض نفسه على قبائل العرب ، خرج وأنا معه وأبو بكر الى منى ، حتى دفعنا الى مجلس من مجالس العرب ، وتقدم أبو بكر ــ وكان نسابة ــ فقال من القوم ؟ قالوا من ربيعة ، قال : من أى ربيعــة أنتم ؟ قالوا : من ذهل ••) فذكر حديثا طويلا فى مراجعتهم وتوقفهم عن اجابة الدعوة • وقال : (ثم دفعنـــا الــى مجــلس الأوس والخزرج ، وهم الذين ســماهم الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ الأنصــار ، لكونهم أجــابوه الى ايوائه ونصروه ، قال : فما نهضنا حتى بايعوا النبى صلى الله عليه وسلم) •• ا هـ •

من هم الأوس والخزرج ؟

هى : قبيلتـــان من ولد أخوين من اليمن ، نزحوا الى المدينة بعد انهدام سد مأرب ، وحدوث سيل العرم ، وكان يجاورهم بالمدينــة بنو قينقاع وبنو النضــير وبنــو قريظة من اليهود ، وكانت الغلبــة لهؤلاء على المــدينة ، فحــاربهم رجـــال الأوس والخــــزرج ، واستعادوا حقهم فى الغلبة عليها•

وكان اليهــود اذا خــذلوا فى حربهم معهم ، يستفتحون عليهم باسم نبى عربى قرب زمانه ، ثم اختلفت القبيلتان وحــدثت بينهما حروب دامية ، وحالفوا اليهــود على أنفسهم ، فحالفت الأوس بنى قريظة ، وحالفت الخــزرج بنى النضير وبنى قينقاع ، وآخر حرب بين الأوس والخزرج كانت يــوم بعاث ، وقد قتــل فيهــا غــالب رؤسائهم ، ويعتبر يوم بعــاث من أسباب النجاح للدعوة الاسلامية بالمدينة ، قالت عائشة ــ رضى الله عنها ــ (كان يوم بعاث يومــا

قدمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم) •

أقول : انه كان كذلك ، لأنه أخاف بعضهم من بعض ، فكانت كل قبيلة تريد أن تحالف من تتقوى به على الأخرى ، أو أن تجد لها مخرجا من الحرب معها •

بدء اسلام الأنصار

جاء موسم الحج فى السنة الحادية عشرة من النبوة ، فلقى فيه الرسول سته من الخزرج ، وهم أسعد بن زرارة وعوف بن الحرث من بنى النجار ، ورافع بن مالك من بنى زريق ، وقطبه بن عامر من بنى سلمة ، وعقبة بن عامر من بنى حرام ، وجابر بن عبد الله بن رياب ، وهو غير جابر بن عبد الله الصحابى المعروف ، فقد كان صبيا حينئذ وقد دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم الى الاسلام ومعاونته فى تبليغ رسالة ربه، فقال بعضهم لبعض : هذا هو النبى الذى كانت تعدكم به اليهود فلا يسبقنكم اليه ، فآمنوا به وقالوا : انا تركنا قومنا بينهم من العداوة ما بينهم ، فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ، ووعدوه المقابلة فى العام المقبل •

بيعة العقبة الأولى

فى موسم العام الثانى عشر قدم اثنا عشر رجلا ، عشرة منهم من الخزرج ، فيهم خمسة ممن أسلم فى العام الماضى ، واثنان من الأوس ، فاجتمعوا بالنبى — صلى الله عليه وسلم — عند العقبة ، وأسلم من لم يكن أسلم منهم ، وبايعوا النبى — صلى الله عليه وسلم — على أن لا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ، ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ، ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصوه فى معروف ، كما بايعوه على السمع والطاعة فى العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وأن لا ينازعوا الأمر أهله ، وأن يقولوا الحق ولا يخافوا فى الله لومة لائم •

ثم انصرفوا الى المدينة يحملون مسئولية الدعوة فيها ، وكان أسعد

ابن زرارة يجمع بمن أسلم من قبل أو من بعد ، ثم كتب الأوس والخزرج الى الرسول أن يبعث اليهم من يقرئهم القرآن ويفقههم فى الدين ويجمع بهم ، فبعث اليهم مصعب بن عمير ، ومعه عبد الله ابن أم مكتوم ابن خالة خديجة ليساعده فى مهمته ، وكان المسلمون قد بلغوا أربعين — كما أخرجه أبو داود ، فجعل مصعب بن عمير يدعو بقية الأوس والخزرج الى الاسلام حتى انتشر بينهم ولم يكن لهم حديث سواه .

بيعة العقبة الثانية

فى موسم الحج من السنة الثالثة عشرة للنبوة ، رجع مصعب الى مكة وجاءها خلق كثير من أهل المدينة مسلمين ومشركين ، وكان البراء بن معرورزعيم القوم ، فلما كانت ليلة العقبة فى الثلث الأول منها ، تسلل الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان ، بعد أن تواعدوا مع الرسول على ذلك ، وكان قد أوصاهم ألا ينبهوا فى ذلك الوقت نائما ، ولا ينتظروا غائبا ، حتى لا تعلم قريش فتفسد الأمر بينه وبينهم .

ووافاهم الرسول فى الموعد المحدد ، ولم يكن معه سوى عمه العباس — وكان على دين قومه يومئذ — جاء يستوثق لابن أخيه ، فلما التأم الجمع قال العباس ان محمدا فى منعه من قومه فلم يمكنوا منه أعداءه ، وتحملوا فى ذلك أعظم المشقة ، فان كنتم وافين له وما نعيه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك ، والا فدعوه بين عشيرته فانه لبمكان عظيم .

فقال كبيرهم البراء بن معرور : والله لو كان لنا فى أنفسنا شىء غير ما ننطق به لقلناه ، ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل المهج دون رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خذ لنفسك ولربك ما أحببت ، فقال : أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، ولنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم متى قدمت عليكم .

فقال الهيثم بن التيهان : يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ، فتبسم — صلى الله عليه وسلم — وقال : بل الدم الدم والهدم الهدم ، يعنى ان طالبتم بدم طالبت به ، وان أهدرتموه أهدرته، فبايعوه على ما طلب ، واختار منهم اثنى عشر نقيبا ، لكل عشيرة منهم واحد ، تسعة من الأوس وثلاثة من الخزرج ثم قال لهم: أنتم كفلاء على قومكم كفالة الحواريين لعيسى ابن مريم ، وأنا كفيل على قومى •

تسرب الخبر الى قريش

ولقد تسرب الخبر الى قريش ، فأدركت خطورة هذه البيعة ، فطار صوابهم ، وجاءوا الى الأماكن التى ينزل بها الأنصار ، وقالوا يا معشر الخزرج • بلغنا أنكم جئتم لصاحبنا تخرجونه من أرضنا وتبايعونه على حربنا ، فأنكروا ذلك ، وجعل بعض المشركين من أهل المدينة الذين لم يحضروا البيعه يحلفون أنه لم يحصل ذلك فى ليلتهم وقال عبد الله بن أبى ابن سلول : ما كان قومى ليفتاتوا على بشىء من ذلك •

هجرة المسلمين الى المدينة

ولما رجع الانصار من حجهم وبيعتهم التانية الى المدينة ، نشروا الاسلام فيها على أوسع نطاق ، وبذلك أصبحت المدينة مهجرا أمينا لمسلمى مكة ، فأمرهم الرسول بالهجرة اليها ، فجعلوا يتسللون نحوها خوفا من منع المشركين أياهم منها ، وتتابع المهاجرون ارسالا ، ولم يبق بمكة الا أبو بكر وعلى وصهيب الرومى وزيد بن حارثة ، وقليل من المستضعفين الذين لم يتمكنوا من الهجرة •

ولما أراد أبو بكر الهجرة قال له الرسول : على رسلك فانى أرجو أن يؤذن لى ، فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك — بأبى أنت وأمى ؟ — قال نعم ، فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ليصحبه ، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر استعداد لذلك •

مؤامرة فاشلة بدار الندوة

ولما علمت قريش بهجرة المسلمين الى المدينة التى أصبح لهم بها أنصار بايعوا النبى على الموت فى سبيل الله ، خافوا هجرة الرسول اليهم ، حتى لا يثير بالمهاجرين والأنصار حربا عليهم ، فاجتمعوا بدار الندوة للتشاور ، وأبدى كل من زعمائهم رأيه ، وكان كل رأى يناقش من حيث أخطاره وآثاره ولا يوافقون عليه ، فقال أبو جهل : ان لى رأيا ما أراكم وقعتم عليه ، أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى شابا جلدا نسيبا وسيطا ، ثم نعطى كل فتى سيفا صارما ، ثم يعمدوا اليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ، فنستريح منه ، ويتفرق دمه فى القبائل فلا يقدر بنو عبد مناف على حربهم ، فنعطيهم فديته ، فوافقوا وتفرقوا على تحقيق ذلك: « **ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** » ، فقد بعث الله جبريل يوصى النبى — صلى الله عليه وسلم — أن لا يبيت على فراشه فى الليلة التى حددوها لتنفيذ ما تآمروا عليه ، وأخبره بما حدث منهم .

فلما جاءت الليلة المتفق عليها ، اجتمعوا على بابه يرصدونه ، فأمر عليا فنام على فراشه وتغطى ببرده الأخضر ، وقال له : لن يخلص اليك شىء تكرهه ، ونفذ علىٌ ما أوصاه به الرسول ، بائعا نفسه فداء له .

هجرة الرسول الى المدينة

تمت عملية المبادلة بين الرسول وبين ابن عمه على والقوم يرصدونه ، ولكن الله أعماهم فلم يروها ، مع أنهم كانوا يتابعون النظر اليه من فرج الباب ، ثم خرج صلى الله عليه وسلم من بين الراصدين ، ونثر التراب على رؤوسهم وهو يتلو سورة (يس) الى قوله تعالى : **فأغشيناهم فهم لا يبصرون** » فأعماهم الله عن مشاهدته . وكان الرسول قد توجه ظهرا الى أبى بكر يخبره بأن الله تعالى أذن له فى الهجرة ، فسأله الصحبة فأجابه اليها ، فعرض عليه

احدى راحلتيه فقبلهـا بالثمن ، فجهزاهمـا بأسرع مـا يمكن ، وصنعت لهما سـفرة فى جراب ، فقطعت أسماء بنت أبى بكر نطاقها قطعتين ، وربطت بقطعـة منه فم الجراب ، واستأجروا عبد الله بن أريقط ودفعـا اليـه الراحلتين ــ وكـان دليـلا ماهرا وأمينـا ، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال ، ثم لقى النبى أبا بكر فى داره ليلة المـؤامرة ، بعد خروجـه من بين راصديه ، ثم خرجـا من خـوخة فيها (١) ، وسارا حتى بلغا غـار ثور فاختفيا فيه ، وأما راصـدوه فقـد مر بهم رجـل أخبرهم أن محمدا أخـرج من بينهم ، ومضى لحـاجة ، وترك التـراب عـلى رءوسهم فتحسسوا رءوسـهم فوجدوا التراب عليهـا ، ولكنهم شكوا فى الخبر ، فانتظـروا حتى الصباح فاذا الذى كان نائما متغطيا بالبردة هو على ، فقـالوا : لقـد صدقنا الذى حدثنا •

ولما سألوا عليا أين صاحبك ؟ قال لا أدرى ، وكان خروجه صلى الله عليه وسلم للهجرة بعد بيعـة العقبة الثانية بثلاثة أشهر تقريبـا ــ كما ذكـره الحـاكم وابن اسحاق •

هياج قريش وحسرتهم

ولما تحققت قريش من خيبتهم ، وأنهم كانوا فى الحقيقة يحرسون عليا ، هاجت عواطفهم ، وتحسروا على ضياع تدبيرهم ، فطلبـوه من كل جهة مسـتعينين بالعرافين بالأثر ، وجعلوا لمن يأتى بالرسول أو يدل عليه مائة من الابل ، فوجد أحدهم أثره متجها الى جبل ثور ، فتبعه حتى الجبل ، وقـال : هنـا انقطع الأثر ، ولا أدرى أين اتجه بعد ذلك •

عناية الله برسـوله فى غـار ثور

كان متعـذرا على القـائف أن يعرف مصير الرسول بعد وصوله الى جبل ثور ، فقد أحاطه اللـه بعنايته ، فأنبت شجرة بباب الغار الذى ثوى اليه فيـه ، وسـخر

(١) الخوجة : باب صغير

العنكبوت فنسجت عليها وعلى باب الغار — كما رواه البزار وغيره — وأرسل حمامتين فباضتا فى مدخله، فلما أقبل فتيان قريش مع القائف، ورأوا تلك الظواهر التى أخفى الله بها رسوله ، استبعدوا دخوله فيه، وقال أمية بن خلف : وما حاجتكم الى الغار • ان فيه عنكبوتا أقدم من ميلاد محمد ، ولو دخل لكسر البيض وقطع العنكبوت ، وفى ذلك يقول البوصيرى فى البردة :

حماية الله أغنت عن مضاعفة
من الدروع وعن عال من الأطم

ويقول فى همزيته :

ويح قوم جفوا نبيا بأرض
لفته ضبابها والظباء
وسلوه وحن جذع اليه
وقلوه ووده الغرباء
أخرجوه منها وآواه غار
وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت
ما كفته الحمامة الحصداء

خروجه من الغار — بعض أحداث الطريق

فى صبح الثالثة جاء الدليل : عبد الله بن آريقط ، وقد انقطع الطلب عنهما ، فارتحلا ، وسار الدليل أمامهما وعين الله تكلؤهما ، واتجهوا نحو الساحل وحدثت أثناء الرحلات عدة معجزات لا تحتمل هذه العجالة بيانها •

وكانت قريش قد وعدت من يقبض على الرسول بجائزة — كما تقدم بيانه — وكان ممن يطمع فيها بريدة بن الحصيب ، فتعرض له ولكن الله هداه فأسلم •

أخرج البيهقى عن بريده قال : (لما جعلت قريش مائة من الابل لمن يرد النبى صلى الله عليه وسلم ، حملنى الطمع فركبت فى سبعين من بنى سهم فلقيته فقال : ممن أنت؟ قلت بريدة ، فالتفت صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر وقال : برد أمرنا وصلح ، ثم قال: من أنت ؟ قلت من أسلم ، قال : سلمنا • ثم قال : ممن ؟ قلت من بنى سهم ، قال اخرج سهمك يا أبا بكر ، فقال بريدة : من أنت ؟ قال : أنا محمد بن عبد الله رسول الله ، فقال بريدة : أشهد أن لا اله

الا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وأسلم من كان معه جميعـا • قال بريدة : الحمد لله أسلم بنو سهم طائعين غير مكرهين ، فلما أصبح قال بريدة : يا رسول اللـه • لا تدخل المدينة الا ومعك لواء ، فحل عمامته ثم شدها فى رمح ، ثم مشى بين يديه حتى دخلوا المدينة) •

أفراح أهل المدينة بوصول الرسول

لما علم أهل المدينة بهجرة الرسول اليها وقرب وصـوله ، كانـوا يخرجون كل يـوم لاستقباله ، ولايزالـون حتى يردهم حـر الظهيرة ، وفى يوم رآه يهودى كان على حصن من حصونهم ، فنادى الأوس والخزرج وأخبرهم بوصول الرسول الى مشـارف المدينـة فخرجوا الى لقائه مسرعين فرحين ونزل الرسـول بقباء ، ومكث بها أربع عشرة ليلة أسس فيها مسجده الذىوصفه الله تعالى : بأنه أول مسجد أسس على التقوى ، وهو أول مسجد صلى فيه الرسـول بأصحابه جماعة •

ثم خرج من قباء يوم الجمعة حين ارتفع النهار، فأدركته الجمعة فى أرض بنى سـالم بن عـوف ، فصلاها بمسجد أقاموه بها ، وقد سمى بعدها بمسجد الجمعة ، ثم ركب متوجها الى المدينة ، وكلمـا مر على دار من دور الأنصار دعوه الى الاقامة لديهم واخذوا بزمام ناقته ، فكان يقول : (خلوا سبيلها فانهـا مأمورة) وقد أرخى النبى زمامها ، ثم بركت أمـام مربـد لسهل وسهيل ــ ولـدى رافـع ابن عمرو ــ وهمـا يتيمـان يكفلهما أبو أيـوب الأنصـارى ، ثم قـامت والرسـول فوقها ، وسـارت حتى بركت أمـام باب أبى أيوب الأنصـارى ، ثم قامت وعادت الى مبركهـا الأول وأرزمت ــ أى صونت من غير أن تفتـح فمها ــ ونزل عنهـا النبى وقال : هنا المنزل ان شاء اللـه تعالى :

واحتمل أبو أيوب رحله وأدخله بيته ومعه زيد بن حارثة ، وأخذ سعد بن زرارة ناقته ، ونزل النبى فى ضيافة أبى أيوب الأنصـارى وهو من بنى النجار أخـوال أبى الرسـول •

وقد خرجت ولائد بنى النجار يقلن :

نحن جــوار من بنى النجــار
يا حبــذا محمــد مــن جــار

وروى عن أنس بن مــالك أن ذوات الخدور صعدن على الأجاجير (الأسطحة) عند مقدم الرسول ينشدن :

طــلع البــدر علينــا
مــن ثنيــات الــوداع
وجــب الشــكر علينــا
مــا دعــا للــه داع
أيهــا المبعــوث فينــا
جئت بالأمــر المطــاع

وروى البخــارى بســنده عن البراء ابن عازب قال : (ما رأيت أهل المدينة فرحــوا بشىء فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم)

أخوة الاســـلام بين المهاجرين والأنصار وآثارها

لقى المهاجرون كل حب وايثــار وبشاشة من أهل المدينة ، مكافأة من الله لهم على صبرهم على ايذاء أهل مكة لهم ، وحسبك فى تصوير هذا الحب والايثار قوله : **« والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهــم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجــة ممــا أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولــو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »** .

ولقد تنافس الأنصار فى ضيافة المهاجرين حتى حــكموا القرعــة بينهم ، وقد آخى النبى بينهم على المواســاة والحق ، وأن يتوارثوا بعد الموت ، الى أن نسخه اللــه تعالى بقوله : **« وأولو الأرحــام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله »** وذلك بعد أن فشا الاســـلام فى الأقارب .

وعلى أســـاس هــذا الحب والمؤاخاة والاخلاص لدين الله ، بنى المجتمع الجديد الــذى تفجر طاقات متوثبة فى سبيل الله تعالى، مندفعة بدعوة الحق فى المشــارق والمغارب تحت لواء رســول الله — صلى الله عليه وسلم — تنشر النور والهــدى والرشــاد والأمن والســـلام .

وعلى منهاج الرسول سار الخلفاء

الراشدون ومن بعدهم ، فانضوى تحت لوائهـم أهل المشـــارق والمغارب ، وأصبحوا لا تغيب عن بلادهم الشمس ، فـلا يمكن أن يغلبوا من قلة ، وانما يغلبون عن تفرق •

حاضر المسلمين اليوم

كان ماضى المسـلمون ما عرفت من القوة والمنعة والعزة ، بسبب توادهم وترابطهم ، وحب بعضهم لمصـالح بعض ، أما حاضرهـم اليوم • فهو كما ترى من التفكك والانحلال والضعف ، ولا أجـد وصفـا لحالهم أوضح من قـوله تعالى : « **كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا** » أو قوله صلى الله عليه وسلم: «**غثاء كغثاء السيل** »•

لقد أصـبحوا دولا أو دويلات يكيد بعضهم لبعض فى الخفـاء ، وقد يرائيه فى العلن ، ومنهم من يستعلن بكيده ، ويجاهر بعداوته ، ويستعدى أعداء الأسلام على أخيه وجاره ، على عكس ما كانوا عليه من الوحدة والألفة ، ومشـابهتهم للبنيان المرصوص يشد بعضـه بعضـا ، وترتب عـلى تفككهـم وتعاديهم طمع أعداء الاسـلام فيهم ، وامتصـاصهم لدمائهـم ، وضرب بعضهم ببعض ، وكل ذلك: بسبب تنكرهم لدينهم ، وتوليهـم عن كتاب الله وسنة نبيهم : « **ومن يبتغ غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا** » •

فلا صلاح لحالهم ولا عـودة لعزتهم وقوتهم الا بالاعتصـام بكتاب الله ، والعمل بسنة رسول الله ، والعـودة الى الاتحـاد والألفة ، فان فعـلوا فلن يتمكن أعداؤهـم من اذلالهـم : (**ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعـل الله لكل شىء قدرا**) فاجعلوا فاتحـة القـرن الخامس عشر صيحة موقظة لكم ، ومحركة لتقاربكم ، فهـل مـن مدكر ؟ •

التاريخ الهجرى

لما كانت هجرة النبى ــ صـلى الله عليه وسلم ــ سببا لظهـور الاسلام وانتشاره ، جعلت أساسا

للتاريخ الاســلامى ، واختلف فى أول من أرخ بها ، فقيل : انه صلى الله عليه وسلم هــو الذى أرخ بها ، حيث أمر بذلك عند نزولــه بقباء ، رواه الحاكم فى الاكليل عن الزهرى .

وقيــل انه عمــر بن الخطــاب ــ وهو المشهور ــ أخرج أبو نعيم فى تاريخه ؛ من طريق الحاكم عن الشعبى أن أبا مــوسى كتب الى عمر : أنه يأتينا منــك كتب ليس لها تاريخ ، فجمع عمر النــاس ، فقال بعضــــهم : أرخ بالمبعث ، وبعضهم بالهجرة ، فقــال عمر : الهجرة فرقت بين الحق والباطل ، فأرخوا بها وبالمحرم ، لأنه منصرف الناس من حجهم ، فاتفقوا عليه ، وذلك سنة سبع عشرة ــ أى من الهجرة .

ومما دعا عمر الى جعل المحرم أول العام الهجرى ، مع أن الهجرة كانت فى ربيع الأول ، أن العــزم عليها كان مشارفا له ، اذ البيعــة الثانية كانت فى ذى الحجة ــ وهى مقدمة الهجــرة ــ وتلاها هــلال المحرم فناسب أن يكون أول العام، والله تعالى أعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصــحبه وســـلم .

مصطفى محمد الحديدى الطير

« المشــــورة »

قيل لحكيم : ما الصــــواب ؟

قال : المشــــورة .

الصديقية

فى موكب الهجرة

للدكتور / رءوف شلبى

« الا تنصروه فقد نصره الله ، اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » التوبة

ان مقياس الصداقة ليس هو التبعية الجوفاء ، ولا المؤازرة الخرقاء ، انه ليس الحمق فى جانبيه السلبى والايجابى .

انه تبعية لا حدود لها بقدر ماهو اتباع للثقة فى أداء رسالته .. وتحمل لمسئولية الاداء من غير ان يوجه طلب أو يقدم رجاء .

وقد شهد التاريخ قديما وحديثا عديدا من الصداقات على المستوى العالى لاصحاب الدعوات والنظريات .

وكم من قوم جمعتهم الفكرة التى تحمسوا لها فجر اللقاء ولكنهم تفرقوا بددا عندما خبرهم مقياس الصداقة :

صداقة الهدف والمصير والرسالة .. أو صداقة الوفاء للمبادىء .

وعلماء الاجتماع فيما قننوه لاستمرار ربط الاتباع بالقائد اشترطوا فى اسلوب العمل مع الجماعة :

وضوح عرض الدعوة .

ووضوح تحديد الهدف المنشود .

وتلك مسألة شاقة فى المستويات البشرية العادية ، عند التنفيذ وعند الاختيار ومن هنا نبرز قيم الصداقة التى يمكن ان تكون المحور الأساسى لاسلوب العمل مع الجماعة فى النفحات التى ورثها سيدنا أبو بكر رضى الله عنه للتاريخ الاسلامى فى لحظات

العسرة التى تفصح عن معـــانى الصديقية •

فقد عاش أبو بكر رضى اللـــه عنه مسلما كامل الانقياد للدعــوة زهاء ثلاثة عشر عاما فى مكة وكانت كلها مرارات وتعذيبات •• انتهت بالنقلة الى المدينة المنورة ، وتلك الفترة فترة طويلة بمقياس انانية الفرد ــ ولكنه لم يختـــــزن فى مشاعره شيئا من هذه الآلام فلما جاءت لحظة الهجرة من مكة :

لم يرتض أن يكون مهاجــــرا بمفرده ، أو فى ركب مع الناس ولو فعل لكان صادقا فى ايمـــــانه ، متحمســـا للنقلـــة الى المدينـــة « المنورة » •

كذلك :

لم يرتض ان يكون مهاجــــرا بجسده تابعا كالكل الذى هاجر •• ولو فعل لكان صـــادقا فى ايمانـــه ومتحمسا للنقلـــــة لانه تابــــع مستسلم •

ولكن الرجل منذ عرض عليـــــه الاسلام وليست له كبوة ، فهــو صاحب مستوى خاص •

انه ليس هذا الذى يقبل منـــه التبعية وفقط ، ولكنه بسلوكه سوف يكون مقياسا للاتباع الصـــادق فعرض على النبى صلى الله عليـــه وسلم الصحبة •

وجهز لذلك وسائل السفر •

وأعد العدة لمناوأة الخصوم دون أن يطلب النبى صلى الله عليــــه وسلم منه شيئا من ذلك ، يقـــول ابن هشام :

فلما رآه أبو بكر قال : ما جــاء رسول الله صلى الله عليه وســلم هذه الساعة الا لأمر حدث ، قالت ــ عائشة ــ فلما دخل تأخر لــه أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وســلم وليس عند أبى بكر الا أنا وأختى أسماء بنت أبى بكر ، فقال : رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم « اخرج عنى من عندك » فقال : يارسول اللـــه انما هما ابنتاى ، وماذاك فــداك أبى وأمى » •

فقال : ان الله قــد اذن لى فى الخروج والهجرة قالت : فقـــال أبو بكر الصحبة يارسول الله قال :

الصحبة ، قالت فو الله ما شـــعرت قط قبل ذلك اليوم ان أحـــدا يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكى يومئـــذ ••

ثم قال : يانبى اللـــه ان هاتين راحلتان اعددتهما لهذا ••

انها للحظة عسرة وشدة يهـــرب منها ذو الانانية ، ويتردد فيها من يقدم يوم سبته لأحد قادم على ذمة الربح والخسارة •

وهى لحظة فى العصر الحـــديث كافية لاقتناع أحذق ســـــياسى بالهرب من التبعية لقائد يفـــر من ديار أهله الى ديار قوم لم يمنحه التجربة معهم بعد عمرا يتعرف فيه على مستقبل الحياة معهم •

ولكن أبا بكر وهو مقياس كامل للمؤمن الصادق لم يفكر مطلقا فى شىء من هذه الخواطر لم يفكر فى ان الهجرة قد لاتتم لتكتل أهل مكة من أقارب وأباعد ، شيوخ وشبان وقد احتشدوا لقتل محمـــد عليـــه افضل الصلاة والسلام •

ولم يفكر أن الهجرة قد تتـــم ولكن الدعوة قد تتعثر ثلاثة عشر عاما أخرى فى يثرب كما تعثرت فى مكـــــة •

واذن فالذى ينفقه ســـوف يكون هبـــاء •

لم يفكر فى شىء من ذلك وهـــو لم يجازف يوم ان أعد بيته وأهله وماله لهذه النقلة لقد أدرك معنى : انه اتبع محمدا وارتضاه نبيـــا ورسولا ان يكون معـــــه بالنفس والأهل والمال •

لان ذلك هو الحق وما وراء ذاك من شئون المستقبل فأمره موكول الى الله وهو لهذا يؤثر رســـــول الله صلى الله عليه وسلم عـــــلى نفسه فى كل شىء •

لقد آثره فى راحلتى السفر •

يقول ابن هشـــام :

فلما قرب أبو بكر رضى الله عنه الرحلتين الى رسول الله صـــلى الله عليه وسلم قدم أفضـــلهما ثم قـــال :

اركب فداك أبى وأمى ••

فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم « انى لا أركب بعيرا ليس لى » •

فقال : فهى لك يا رسول الله بأبى أنت وأمى ••

قال : لا ، ولكن ما الثمن الذى ابتعتها به ؟

قال : كذا وكذا ••

قال : قد أخذتها به ••

قال : هى لك يارسول الله ••

فركبا وانطلقا ••

وفى هذه اللحظات ــ التى يعذر فيها كل من يبخل بماله : يحمل أبو بكر جميع ماله يقول ابن هشام :

لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر احتمل أبو بكر ماله كله من خمسة آلاف درهم ، أو ستة آلاف ، فانطلق بها معه •

ولو كان أبو بكر يعيش بمنطق القرن العشرين لاحتملها الى غير هذه الوجهة ••

ولكنه الصديق الذى آثر نبيه على نفسه حتى فى لحظة الضيق بالغار وهو يقول :

لو أن أحدهم نظر الى قدميه لأبصرنا تحت قدميه والرسول صلى الله عليه وسلم يقول له يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ كان ثقلا يزن ثقل قريش•

فكانت قريش بخيلها ورجالها بمادتها وكفرها فى كفة المخاصم وكان أبو بكر وحده فى كفة الصديق • يزنها ويزيد عليها ، وبفضلها ، بمالا يقارن من الدرجات ••

فلقد كان صديقا بنفسه

وصديقا بأهله

وصديقا بماله

وصديقا بيقين لا يحد

وصديقا بعزم لايفل

كان صديقا فوق المثل كلها

مثل الاخلاص التى من أجل مستقبل منشود فى الدنيا •

مثل التضحية التى تبذل من أجل

الثمن الفعلى للمساومة عند ساعة الصفر •

مثل المحبة التى تكون من أجـــل محسوبية تحطم المعاقير •

انه : صديق : فوق المثل كلهـــا الامثال الصديقية التى بها لو وزن ايمان أبو بكر بايمان الأمة كلهـــــا لرجح ايمان أبى بكـــر ، فياليت شعرى • لو قلد المسلمون هـــــذه الصديقية لجاءهم النصر كما جـــاء صاحبى الغار نصر من الله وفتـــح قريب •

هـــــذا :

وبالله التوفيـــق ••

دكتور رءوف شـــلبى

الناس والحـــق

الناس والحق أصناف ثلاثة :

قليلون جدا ينصرون الحق ويتشجعون فى الجهر به والدفاع عنه •

وقليلون مجرمون يقفون فى وجه الحـــق لمصـــالح شخصية وأكثر الناس يحبون الحق ، ويحبـــون نصرته ، ولكن ينتظرون من يجهر به ليكونوا اتباعه •

الهجـــرة ومشروعية القتال

للدكتور / محمد رجب البيومى

يحاول بعض الدارسين أن يجعل الهجرة الى المدينة فاصــلا بــين اتجاهين فى حياة المسلمين من ناحية السلام والحرب ، اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رأى هؤلاء قبل النزوح الى المدينة لا يفكر الا فى الــدعوة عن طــريق الحسنى ، والنقــاش بالتى هــى أحسن ، ثم رأى فى المدينـــة من أنصاره قوة قوية جعلته يعدل عن طريق السلم الى الحــرب ، فأمر باعداد السرايا المتوالية تهيئة لغزو شامل ينتقم به ممن أخرجوه من مكة ظالمين !

هذا التفكير المنحرف ، يجد من يروجون له عن غرض مشـــبوه تارة ، وعن سلامة نية تارة أخرى ونريد هنا أن نحقق الحــق بمــا يقضى على الباطل ، لأن انتطاع الأحداث عن مجرياتها الطبيعية ، ومحاولة تفســيرها فى ظــل وهم خادع لا أســاس له من اليقين ، مما يشوه روح الدعوة الاسلامية، وممــا يلجىء المخلصــين الى الاعتذار من ذنوب موهــومة لم يقترفها المسلمون .

ان المتابع المنصف لتيار الأحداث قبل الهجرة وبعــدها ، يجــد أن الرسول صلى الله عليه وسلم فى بيعة العقبة بمكة ، قد اشترط على الأنصار أن يمنعوه مما يمنعــون منه أهليهم وذويهم ، يريــد بذلك أن يدافعوا عنه فقط ، لا أن يكونوا مهاجمين لمن ألقــوا الســـلم ، وارتضوا الامــان ، وقد هــاجر المسلمون الى المدينة ليجدوا الأمن

وليسعدوا بالهدوء ، لا ليخوضوا المعارك الدامية ، وقد بدأ رسول الله فآخى بين المهاجرين والأنصار ، ليحدث من التلاحم الأخوى بما تقوى به الروابط ، وتتماسك الوشائج ، ثم بادر بتوقيع معاهدة مع اليهود ، يبسط اليهم يد السلام ، ويؤكد حرية العقيدة وحرمة المال والنفس كيلا يظنوا أنه يحارب معتقداتهم ، ويدعو الى استئصالها ، كما حارب عبادة الأوثان ، كما أدرك بصائب فراسته أن قوما من الأوس والخزرج دخلوا الاسلام عن نية مدخولة ، وعن حقد مستتر ، وهم المنافقون الذين يلقون المسلمين فيقولون آمنا ، واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون ، أدرك هؤلاء الذين يبدون ظاهرا راضيا ويضمرون حقدا لاهبا ، فرأى أن يأخذ بظاهر القول فلا يحاسبهم على ما يضمرون، كأنه بذلك يحاول أن يسد كل منفذ يفضى الى الخلاف ! سالكا ما يوحى به العقل حين آخى بين الصادقين ، وعاهد أهل الكتاب ، وتغاضى عن الحاقدين وليس وراء ذلك من طريق للمسالمة ، وبخاصة اذا كان المهاجرون قد خرجوا من مكة مضطرين دون أن يقدروا على اصطحاب مالهم من الأموال ، فهم مضطرون أولا الى البحث عن وسائل الكسب المشروع تجارة وزراعة فى موطن جديد ليس لهم به عهد ، ومثل هؤلاء فى ضائقتهم المادية لايتجهون الى شراء السلاح وتكديس الذخيرة ، وفيهم من يعصب بطنه من الجوع يوما وبعض يوم ، وقد آثرهم الأنصار ايثارا كريما شهد به القرآن حين قال الله عز وجل فى سورة الحشر (١) **(والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ، ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح**

---

(١) الحشر : الآية (٩)

نفسه فأولئك هم المفلحــون » ٠
ولكن الانصار مهما بذلوا عن سماح راض لا يستطيعون القيــام بكل ما يطلب المهاجرون من ضروريات ، وحســبهم انهــم يؤثرون عــلى أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، لذلك كانت ظروف المسلمين تدعو الى المســالمة ، لو أمنــوا عــلى أنفســــهم ، ومــا كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفرغ الى بناء أمته الناشــئة داعيا الى مكارم الأخلاق ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر،واسعاد المجتمع الانســــانى ، دون أن يضطر الى مواجهة خصوم يملكون من قوة العتاد مالا يملك ، ولهــم حلفاؤهم المنتشرون فى القبــائل المترامية حول المدينة ، ويوشكون أن ينقضــــوا عليها متــآمرين ! ما كان أحب الى رسول اللــه أن يفرغ الى أداء الرسالة فى جــو هــادىء مطمئن ، ولكــن عــدوه ساهر مستيقظ ٠ يرصد له المكائد، ويغرى به القريب والبعيد ، فلابد من المجابهة السافرة ، وان كانت ذات أعباء ثقال ٠

كانت قريش تكابــد غصــص الحسرة أن فاتها الرســول يــوم الهجرة فلم تقدر على اغتيــاله ، وكانت حسرتها تزداد لهيبا كلمــا تسمعت أنباء المدينة ، فعلمت أن الرسول قد نزل خــير منزل وأن المسجد قد أسس على التقوى من أول يوم ، وأن المهاجرين قد لاقوا من الانصار أهلا بأهل ومن طيبة دارا بدار ، ولم تجد أمامها متنفسا لما يضطرم من غل الصــدور ، واحن النفوس غــــير المستضعفين من المؤمنين الذين حالت ظروفهم دون الهجرة فظلوا بمكة قابعين ، لقد كان هؤلاء المستضعفون قبل رحيل محمد وأصــحابه يجــدون بعض الراحة فى لقاء النفوس، والتواصى بالاحتمال ، فأصبحوا منذ الفراق هدفا للنكال يصب عليهم صبا من أمثال أبى جهل وأميــة بن خلــف وعقبة بن أبى معيط ٠ وكانت هذه الأنباء تفد الى المدينــة فتقــــع موقعها المــؤلم مــن النفــوس ، والرسول صابر يتحمل ٠ ولكنــه يبحث عن حــل لانقــاذ هــؤلاء المضطهدين ، اذ صــاروا أشــبه

بالأسرى ، لا يفك لهم عقال ، وما كابدوا برح الاضطهاد الا لأنهم قالوا ربنا الله ! وكيف يظلون هكذا دون انقاذ ، وقد نزل قول الله عز وجل « **وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله ، والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك وليا ، واجعل لنا من لدنك نصيرا ، الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا** » (١) .

يقول أستاذنا الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله فى توضيح هذه الحقيقة :

ان الحلقة الأولى (من حلقات الغزو النبوى) ظلت صفحة منسية منعزلة من قصة الحرب فلم تأخذ مكانها فى سلسلة السرد التاريخى لهذه الفترة من الزمان ، وأن مؤرخى العرب ومؤرخى الغرب معا كانوا سواء فى السكوت عنها ،فحق علينا أن نرد هذه اللبنة المفقودة الى مكانها من البنيان .

لقد بدأت قريش بعد هجرة النبى وأصحابه تغير أسلوب معاملتها للمسلمين المستوطنين بمكة، وهم الذين لم يجدوا سبيلا للحاق باخوانهم ، فبعد أن كانت حوادث عدوانها عليهم حوادث فردية متفرقة . وكان يلطف من حدتها فى غالب الأمر مقام الرسول وعظماء أصحابه بين ظهرانيهم ، أخذت حين خلا لها الجو تهاجم جموعهم ، وتوالى التنكيل بهم وهى آمنة أن تلاقى لهم وليا حميما تخشى غضبه ، أو يلاقيها شفيع متوسل تستحيى أن ترد سعيه ، ومازال طغيانها عليهم يزداد يوما بعد يوم ، حتى عيل صبرهم ، وطفح كيل بلائهم ، فهناك أخذوا يجأرون الى الله مستغيثين ، وهناك

---

(١) النساء ٧٥ ، ٧٦

فقط أمر الله المهاجرين والأنصار أن يخفوا لاعاثتهم ـ ثم قال العلامة الكبير « فلم تكن الغزوة الأولى حملة تحرش وبدء بالعدوان كما زعم الجاهلون فذلك ذنب خليق أن يعتذر منه لو وقع ولم تكن دفعة ثأر وانتقام لجروح قديمة قد اندملت لم تكن هذا ولاذاك ولكنها كانت عملا أعلى من ذلك وأسمى ، لقد كانت قياما بواجب منزه القصد ، مبرأ الغاية عن الأغراض والمنافع العاجلة ، واجب نجدة المظلوم واغاثة الملهوف » (١) .

لم تكد تمر ثمانية أشهر على مقام المسلمين بالمدينة حتى ظهرت الحقود المستترة من اليهود والمنافقين معا ، لقد كان اليهود يظنون بادىء ذى بدء أن فى طوقهم أن يخدعوا الرسول عن دينه وأن يتخذوا من دعوته بابا الى تأييد معتقداتهم لقد تعاهد معهم على ضرورة حرية العقيدة صادقا ، ولكنهم كانوا كاذبين حين أظهروا الاخلاص للمعاهدة ، لقد درسوا نفسيات المجتمع المدنى فعرفوا المؤمن من المنافق ، وبدءوا يستميلون ذوى النفاق لينشروا الدسائس قولا وعملا ، وليكونوا رأيا عاما يجمع على طرد من يصفوفهم بالدخلاء المهاجرين ، ثم رأوا أن يتشجوا بالعلم فأخذوا يجادلون الرسول فى بعض ما لديهم من أنباء التوراة يبغون الفتنة من شتى الوجوه حين يقفون على بعض الخلاف بين ما ينزل على رسول الله من آيات القرآن ، وما حرف بين أيديهم من نصوص التوراة ! قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ، وقد وجدوا من المنافقين آذان سوء تسمع الشر ، وألسنة رجس تذيع الخبيث ! ولم يكن الأمر أمر هذين الفريقين وحدهما! ولكن العدو الرابض بمكة يتحسس الأنباء ، فيذيع استعداده

(١) مجلة الأزهر ص ١٨ (محرم ١٣٧٢ هـ) المجلد الرابع والعشرون

لمنازلة المسلمين فى صـميم يثرب ليزيد من بلبلة الناس : ثم ينهض الى أحلافه من القبائل حول المدينة ليغريهم بمهاجمة المسلمين ، فاذا وجد بعض النفور ، بذل العتاد ، واكتفى بالمعاهـدة كى يتنـاصر الجميع حين تأزف الآزفة ويشتغل القتال ان قريبا وان بعيدا !! لقد فكر الرسـول فى كل ذلـك ولمس ما يدور فى الداخل والخارج طى نفوس هالها أن يجد المسلمون فى المدينة أمنا من خوف ، وراحة بعد عناء ، ولئن طال سكوته على مـا يرى فان الشرر المتقطع سيستطير فى هوج الرياح ، وسيكون ضراما يهب فيحـرق ! لابـد أن يثبت للأعداء جميعا أنه قـادر عـلى التحدى ، وأنه يحيط علمـا بمـا يحاك فى الظلام ، ولابد أن تعلم قريش بمكة أنه فى وضع قـوى ! وأن ما يجيئها من الأخبار عن ألسنة اليهود والمنافقين كذب أثيم ، ولن يكون ذلك بغير الدليـل الناهض ، يراه العيان الناظر فتأوى الأفاعى الى الجحور •

هـذا مكمن السر فى اعـداد السرايا التى تقـدمت غزوة بدر ! وأن النظرة الفاحصـة الى عـدد جنود السرية الواحدة ، وعدتهـا الحربية تدل فى سطوع على أنهـا سرية ارهـاب وتخويف لا غـزوة حرب وتدمير ، لقد أرسل رسـول الله صلى الله عليه وسـلم عمـه حمزه بن عبد المطلب فى ثلاثين من المهاجرين ليلقى أبا جهل يقـود قافلة لقريش ومعه ثلثمائة راكب ، فسار أسد اللـه حتى وصـل الى البحر من ناحيـة العيص ، وذعر أبو جهل لرؤية حمزة ، اذ حسب أنه طليعة لجيش كبير ، وكاد الشر يقع ، لولا أن تدخل سـيد جهينة المقيم بالعيص بين الفـريقين ! وتابع أبو جهل سيره الى مكة فى ذهول ! فمـا أثر ذلك ؟ أثره أن الهلع قد استولى على قريش ، وأن ما حسبوه من تضـاؤل شـأن المسلمين بالمدينة كان وهما خادعا ! وهذا ما عناه الرسول !

وبعد شهر واحد من لقـاء أبى جهل خف عبيدة بن الحـارث بن عبد المطلب فى سـتين راكبـا من

المهاجرين الى مقابلة المشركين فى (وادى رابغ) وكانوا أكثر من مائتين تحت قيادة أبى سفيان بن حرب بترامى الفريقان بالنبال وشاءت حنكة أبى سفيان أن يبذل الحيلة لينجو دون لقاء مواجه ، وكان معه من المسلمين الذين يخفون اسلامهم من اهتبلوا الفرصة فهربوا الى المدينة ! وجاءت السرية الثالثة بقيادة سعد ابن أبى وقاص ! وتتابع الموقف ! وفى كل يوم نبأ مفزع لقريش .

هل كان الرسول صلى الله عليه وسلم يريد بهذه السرايا قتالا صريحا ؟ سؤال يجيب عنه المؤرخ الكبير محمد حسين هيكل (١) .

« أما أنهم بهذه السرايا — يريد المسلمين — كانوا يقصدون حرب قريش وغزو قوافلها فذلك ما يقف الانسان منه موقف التردد والتفكير ، فلم تكن سرية حمزة لتزيد على ثلاثين رجلا من المهاجرين ! ولم تكن سرية عبيدة تزيد على ستين ! وكانت سرية سعد لا تتجاوز ثمانية نفر على قول ، وعشرين على قول آخر !! وكان الموكون بحماية قوافل قريش عادة أضعاف هذه الأعداد ، وقد زادتهم قريش عددا وعدة منذ أقام محمد بالمدينة ، وبدأ يحالف القبائل التى بها والقريبة منها ، ومهما يكن من بأس حمزة وعبيدة وسعد ممن كانوا يرأسون سرايا المهاجرين ، فان عدة من معهم لم تكن لتشجعهم على الحرب ، مما جعلهم يعودون من السرايا كلها دون قتال ، الا ما قيل عن السهم الذى رمى به سعد » .

واذا كان الدكتور هيكل يقف موقف التردد والتفكير حين يتساءل عن نية المسلمين فى ارسال السرايا مرجحا أن المسألة مسألة ارهاب فقط ، فأنا أتجاوز التردد الى اليقين كل الايقان ومعى دليلى فى سرية عبد الله بن جحش الأسدى

(١) حياة محمد ط ٣ ص ٢٣٩ للكاتب الكبير الدكتور محمد حسين هيكل

اذ تنطق بالحكم الفاصل فى هذه القضية دون التباس .

لقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن جحش الأسدى فى (رجب) من السنة الثانية للهجرة مع جماعة من المهاجرين حتى ينزل بين مكة والطائف مترصدا قريشا كى يأتى له ببعض أنبائهم فسار عبد الله حتى نزل بمكان يقال له (نخلة) فمرت بهم عير لقريش تحمل أنواعا من التجارة وكان فى عبد الله حماسة وحمية فأخذ يذكر أصحابه كيف أخرج هؤلاء جماعة المسلمين من ديارهم ظالمين وكيف سلبوا أموالهم ، واحتلوا ديارهم ، وملكوا عقارهم عن بغى وعدوان ، ولئن تعرضوا لهذه القافلة فانما يستولون على مال قد غصب منهم ظلما دون حق ، ونازعه القول من أصحابه من نازع ، وأيده من أيد حتى رجحت كفة الهجوم ، فواجهوا القافلة وأصيب رئيسها القرشى بسهم فقتله ، وأسر المسلمون رجلين من قريش ، وذهبوا بالقافلة التجارية مع الأسيرين راجعين الى رسول الله بالمدينة فماذا حدث ؟

لقد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال لابن جحش وأصحابه : لم آمركم بالقتال ، وأبى أن يأخذ شيئا مما اقتادوا ، وتألم عبد الله بن جحش لموقف النبى منه ، وأدرك أنه جاوز الصواب حين قاتل دون اذن ، وهنا موضع الشاهد حقا ، فلو كانت هذه السرايا ذات أهداف حربية يرسلها النبى للقتال ، ماوجه لابن جحش ملام ، ولدافع عن نفسه حين لامه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن السرايا كانت ذات غرض تخويفى دون أن تتخطى حدها المرسوم ، فحين جاوزه عبد الله وأصحابه وقع الملام .

أما قريش فقد ثار ثائرها وأعلنت أن المسلمين قد انتهكوا حرمة الشهر الحرام ، ووصل الحديث الى المسلمين بالمدينة بعد أن نقلته طوائف المغرضين الى

شتى القبائل حول المدينة ليظهروا المسلمين فى مظهـر المعتـــدى ، المستهزىء بحرمة الشهر الحرام ، كما انتقل اللغط الى اليهود بالمدينة وجمـاعة المنافقـين من خلفهم ، فأخذوا يجوفون الأمر ويعـدونه حدث الأحداث ، وجريمة الجرائم التى مـا كان ينبغى أن تحـدث ! وقد جاء الفرج من السـماء حين نزل قول الله عز وجل •

« يسألونك عن الشهر الحـرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير ، وصد عن سبيل الله وكفر به ، والمسجد الحرام واخراج أهله منه ، أكبر عند الله ، والفتنة أكبر من القتل ، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان اسـتطاعوا ، ومن يرتدد منكم عن دينـه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمـالهم فى الدنيا والآخرة ، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » (١) •

والذى ينظر الى ثورة المشركين وتعظيمهم الظاهرى لحرمة الشهر الحرام يظن أنهم يحترمون الشهر حقيقة ، ويصمون السلاح أن يقعقع فيه ، ولكن الأمر ليس كذلك ، فهم يقاتلون فى الشـهر الحرام اذا أرادوا ، ثم يزعمون أنهم أبدلوه بشهر آخر مما يعـرف بالنسىء ، وفيهم نزل قول الله عز وجل (٢)•

« انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الـذين كفروا يحلـونه عاما ، ويحرمونه عاما ليواطئوا عـدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، زين لهم سوء أعمالهم ، واللـه لا يهدى القوم الكافرين » •

فليت شـعرى : أى الفريقين أخلص للحق ، وأطهر فى السلوك؟! فريق يذهب الى أن القتـال فى الشـهر الحرام مباح اذا خيفت الفتنة ، مباح حـين يوازن بمـا استحله المشركون من صد المسلمين عن البيت ، واخراج أهله منـه ، وسـلب ما يملكون ، وتعـذيب المستضعفين الى درجـة القتل !! أم فريق لئيم يتستر فينافق نفاقا

(١) سورة البقرة : آية ٢١٧

(٢) سورة التوبة آية ٣٧

آثما حين يدعى حرمة الشهر ، ثم يقاتل فيه عامدا مختارا ، ويقـول انه أرجأه الى شهر آخر !! وهو تدليس دنىء وصفه الله عز وجل بأنه «زيادة فى الكفر» ، وكان على كل القبـائل التى رددت هـراء قريش أن تسأل نفسـها ! هـل حفظت قريش حرمة الشهر حقيقة أو أنه ادعاء يقال ؟! وهى لا شك تعرف الجواب الصحيح •

نخلص من هـذا كلـه الى أن الهجرة كانت باب السلام ومنـاط الأمن ، لو وجد المسـلمون من أعدائهم كفا عن الشر ، واحتجازا عن الدم ، وقد تركوا أرضـهم ليأمنوا من خوف ، لا ليشـبوا الحريق فى كـل مكـان ، ولكنهم فوجئوا بمن يتحرش بهم ، ويؤلب القبـائل عليهم ، ويدعـو الى استئصالهم فاضطروا الى مواجهة سافرة لم يكن منها بد وأمامهم قول صريح يلتزمون به ، ذلك هو قول الله عز وجل **(وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم)** (١) •

محمد رجب البيومى

المقـالات التى لا تنشر

لا تلتزم ادارة المجلة بردها

---

(١) سورة الأنفال : ٦١

الهجـــرة ومنهج التغيير

للدكتور / عبد الغني الراجحي

الطاقات الخلاقة والمبدعة والتى تصنع التغيير والتحـول لا يمكن مهما حوصرت وضيق عليها الخناق وسدت حولها المسالك الا أن تجد فى يـوم من الأيام منفـذا لفك حصارها وسبيلا لفتح المسـالك حولها والانطلاق لأداء فاعليتها • والفاعلية وآثـارها تتـوقف على وجود القابل والقابليـة • فلكـل تأثير ونتيجـة فاعل وقـابل • والاسلام فى مكة وقبل الهجرة طاقة وفاعلية لكن ليست لها قابليـة • لأن القابل رافض ومعرض ومعاند واعطاه الشيطان مناعة وحصانـة ضد الاسلام وأصـبح أهـل مكة مصممون على ذلك كأنهم عند سماع دعوة الاسلام حمر مستنفرة فرت من قسورة • هذا بينما القابل فى يثرب يتحرق شـوقا الى الفـاعل ويتنطس أخبـاره للالتقـاء بـه والالتحام معه • فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى يثرب وانتقلت كلمة الاسلام ودعوة القرآن اليها أقبل أهلوهـا يعتنقونه بحـرارة ويلتفون حول رايته فتجلت الطاقة الاسلامية وأدت فاعليتها وأصبحت آثارها ونتائجها الدينيةوالاجتماعية والسياسية ملموسة ظاهرة للعيان وبرزت للوجود على مسرح الحياة خير أمة أخرجت للناس وصـار الأمر فى الرسول ودعوته وأصحابه كما قال القرآن الكريم « **محمـد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعـا سجدا يبتغون فضـلا من اللـه ورضوانا سيماهم فى وجـوهم من**

أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الأنجيل كزرع أخرج شطاه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » (١) ٠

التقبل والقبول فى يثرب بعد الرفض والاعراض فى مكة والتجمع والتكاثر لمجتمع الاسلام فى يثرب بعد التمزق والشتات فى مكة ٠ وكانت الهجرة حدا فاصلا بين عهدين عهد الرفض والرافضين والمعرضين عن دعوة الله من أهل مكة وعهد القبول والتقبل والاقبال على دعوة الله من أهل يثرب ٠ وكان من الممكن لو لم يهاجر الرسول بدعوته من مكة الى المدينة أن تظل دعوة الاسلام عقيما لا تنتج وأن يستأصل الله أهل مكة بعذاب عاجل ماحق كسنته فى الذين خلوا من قبلهم ممن عاندوا رسلهم وأصروا واستكبروا استكبارا فانتقم الله منهم بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون وقال فيهم « **فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**» (٢) لكن من رحمة الله ولطفه وحكمته المقررة أزلا (٣) أن هيأ للهجرة أسبابها وظروفها فكانت خيرا وبركة وأخذا بزمام الأمور الى صالح عام حتى للكفار من أهل مكة ٠ فما كانت الهجرة فرارا من الظالمين ولا يأسا ولا قنوطا من اصلاح

---

(١) سورة الفتح ٢٩ ٠

(٢) سورة العنكبوت ٤٠ ٠

(٣) كان القرآن يهدد كثيرا أهل مكة بأن تأتيهم سنة الاولين ٠ لكنهم لما قالوا « اللهم ان كان هذا الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم » قال الله لرسوله « ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » سورة الانفال ٣٢ ، ٣٣ ٠

حالهم ولكنها كانت خطة وحركة التفاف حول الظلم وتطويقه ليتعامل الاسلام معه بأسلوب أو بآخر حتى يهيىء الله له من أمره رشدا . فكانت الهجرة المباركة منطلقا لكل ما جرى بعدها من غزوات وحروب مع الباطل وأهله حتى قضى عليه القضاء المبرم يوم فتح مكة وحتى نزل قوله تعالى **«اذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا»** .

نعم كانت الهجرة حدا فاصلا بين دورين وعهدين دور وعهد مكى تعثرت فيه دعوة الاسلام وأوذيت واضطهدت وضيق عليها الخناق وهوجمت بكل ما يتصوره العقل من أسلحة الدعوة المضادة الهوجاء . ودور وعهد مدنى تألقت فيه دعوة الاسلام وعزت وبزت وانتصرت وصارت كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى . واتسع نطاقها وامتد نورها لا الى جزيرة العرب فقط ولكن الى مشارف كثيرة على حدود الأكاسرة والقياصرة والفراعنة والنجاجشة حيث ارسل النبى الكريم كتبه يدعو بدعاية الاسلام نذيرا وبشيرا فأرسل الى كسرى ملك فارس وهرقل قيصر الروم والمقوقس عظيم مصر والنجاشى ملك الحبشة والى غيرهم من عظماء عصرهم .

لا نكاد نعرف حدثا من الأحداث له فى تاريخ الاسلام وانتشار دعوته هذه الآثار البعيدة المدى كحادث الهجرة النبوية الشريفة ومالابسه من مقدمات ونتائج لقد كان اختيار عمر للهجرة مبدأ ومنطلقا للتاريخ الهجرى والاسلامى اختيارا عبقريا موفقا له دوافعه وهواتفه النفسية ودلالته القوية على قيمة هذه الهجرة وتوجيه انظار الناس اليها والى دراستها وتعمق معانيها عبر التاريخ وطول الأزمان والدهور فهى مبدأ التاريخ وهى نفس التاريخ لأنها كطبيعة عظائم الأحداث لم تنطلق من فراغ ولم تنته الى فراغ بل كانت تحولا

تاريخيا كبيرا وكانت نقطة تحـــول لا فى تاريخ العرب والمســـــلمين فحسب بل فى تاريخ الانسانية كلها بقدر ما تأثر تاريخ العالم أجمـــع بتاريخ الاســـــلام وظهوره وما أحدثه فى العـــالم من آثار لا زال يجنى ثمارها الى اليوم فان تاريخ العالم بعد ظهور الاســـلام متأثر به تابع له •

من حق الهجرة على الناس أن يحتفوا ويحتفلوا بذكراها ويقبلوا على دراسة أحداثهـــا ليجـــدوها شريطا طويلا يتكـــون من ثـــلاث حلقات يفضى بعضـــها الى بعض ويتصـــل بعضـــها ببعض بأوثق الروابط وأقوى الصلات •

أما الحلقـــة الأولى من هـــذا الشريط فهى حلقـــــة التجهيــــز والاعـــداد والتخطيط للهجــــرة كاستجابة طبيعية وحتمية للظروف التى تمر بها الدعوة الاســـلامية وتقتضيها طبيعة الحق ونضاله مع الباطل الذى يحاول تطويقه وخنقه فأسلحة الكفرة والدعوة المضـــادة قـــد تكاثرت أنواعهـــا وتعـــددت مصادرها ومنطلقاتها • فمن تعذيب لضعفاء المسلمين قد التهب أواره واشتد سعاره الى اتهامات رخيصة وبذيئة لصاحب الدعوة بأنه ساحر أو كاهن أو شاعر أو مجنـــون أو يتلو أساطير الأولين • الى القـــاء الأتربة والقاذورات على رأســـه الشريف وهو ساجد لربه أو قابع فى بيته أو ماض فى طريقـــه ، الى المقاطعـــة والتجويع والحصـــــار الاقتصادى الى عمليات العروض والاغراءات لصاحب الدعوة ليكف عنها وهو يعلن الرفض حتى لـــو وضعوا الشمس فى يمينه والقمر فى يســـاره الى ما الى ذلـــك مما حفلت به كتب السيرة وســـــجلته على هؤلاء الأوغـــاد من المخازى والضراوة فى العداوة • فلماذا لا يأخذ المصطفى صـــلى الله عليـــه وسلم أهبته للرحيـــل عن هـــؤلاء الناس الذين لا أمل فيهم وصاحب النفس الأبية يقول :

اذا نكرتنى بلـــدة أو نكرتهـــا
خرجت مع البازى على ســـواد

ويقول :

وفى الأرض عن دار المذلة مهرب
وفى الأرض عن دار القلى متحول

ما الذى ينتظر وقد تطورت عداوتهم الى هذا المدى الذى صورته الآية الكريمة « **واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** » (١) .

لقد فكر النبى فى الهجرة رأى فى منامه أنه يهاجر الى أرض ذات نخيل وفسرها بأنها مدينة يثرب وصدقت الأحداث رؤياه حيث التقى بأهل المدينة فى موسم الحج وأبرم معهم معاهدة فى بيعة العقبة الأولى ثم تكررت هذه البيعة وهذه المعاهدة فى الموسم الثانى فى بيعة العقبة الثانية وبعيدا عن أعين أهل مكة مع ازدياد كبير فى عدد أهل المدينة الذين أخذوا معهم من يعلمهم القرآن الذى صار يتلى فى بيوت أهل يثرب قبل أن يهاجر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ذلك أعظم تمهيد لنجاح الهجرة وثبات دعائمها وكان صلى الله عليه وسلم يعلم أنه سيهاجر حتما ولكنه كتم كل شىء عن أقرب الناس اليه لأن كتمان الأسرار من عوامل النجاح . فلم يبح بشىء الا فى حينه وعندما يجد الجد وتقتضيه الضرورة نراه يفضى الى على بسره لينام فى فراشه لايهام الأعداء المتربصين به أنه هو النائم بينما يكون هو قد خرج للهجرة ونراه يذهب فى حر الظهيرة الى دار أبى بكر فى ساعة لم يكن يأتيه فيها الا لأمر ذى بال فيقول لأبى بكر قد أذن لى فى الهجرة والخروج فيقول أبو بكر الصحبة بأبى أنت وأمى يارسول الله فيقدم أبو بكر احدى راحلتيه للسفر عليها ويجند أسرته فى مخطط الهجرة فتشق أسماء بنته نطاقها نصفين تمنطقت بأحدهما وربطت الزاد بالآخر فسميت ذات النطاقين وكان أخوها عبد الله بن

---

(١) سورة الانفال ٣٠ .

أبى بكر وكان عامر بن فهيرة مولى أبى بكر وراعى غنمه يتجهزان لدور يقومان به فى الحلقة الثانية من حلقات هذه الهجرة الميمونة .

أما الحلقة الثانية من شريط هذه الهجرة فانها تبدأ بخروج النبى صلى الله عليه وسلم من دار أبى بكر فى غسق الليل الى غارثور يختبئان فيه عن أعين الطالبين من كفرة مكة بعض الوقت . وغار ثور فى جهة غير جهة يثرب اختاره الرسول ليضلل أهل مكة الذين سوف يتعقبون أثره للاتيان به . وكان عبد الله ابن أبى بكر يذهب اليهما سرا ليخبرهما بكل مارأى وسمع من قريش فى مكة التى ودعها النبى وهو خارج منها بقوله انك لأحب بلاد الله الى قلبى ولولا أن قومى أخرجونى منك ما خرجت . وكان عامر بن فهيرة مولى أبى بكر وراعى غنمه يذهب الى الغار ليعطى الرسول وصاحبه مايشاءان من لبن وهما فى الغار . ثم ان العنكبوت ينسج خيوطه على باب الغار وتأتى حمامة لتبيض وترقد على بيضها بباب الغار حتى اذا وجد الكفار باب الغار على هذه الحال لا يظنون أن بالغار أحدا وكان أبو بكر يقول للرسول خوفا عليه يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا فيقول له الرسول يا أبا بكر لا تخف ولا تحزن . ما ظنك باثنين الله ثالثهما . وفى هذا المشهد الطريف العجيب تقول الآية الكريمة « **الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم** » (١) .

وقد حاول البوصيرى تصوير هذا المشهد فى قوله :

---

(١) سورة التوبة ٤٠ .

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البريــة لم تنســج ولم يحم وقاية اللــه أغنت عن مضــاعفة من الدروع وعن عال من الأطــم

وكان صلى الله عليه وسلم قد استأجر رجلا دليلا خريتا حاذقا هو عبد اللــه بن أريقط يعبر بهم الصحراء الى حيث يثرب فدفع هو وأبو بكر الى هذا الدليل راحليتهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما بالراحلتين صــبيحة ثلاث فارتحلا ومعهما عامر بن فهــيرة فأخذوا الطريق الى يثرب وكــان أبو بكر اذاسأله فى الطريق سائل عن الرسول من هذا الذى معــك يقول له انه هاد يهدينى الطــريق يقصد بذلك أنه هــداه الى طريق الاسلام وفى الوقت نفســه يظن المخاطب أنه يهديه طريق الصحراء ولا يدرك أنه رســول اللــه وكان أبو بكر من شــــدة خوفه عــلى الرسول يمشى تارة أمامه ويمشى تارة خلفه فيقول له النبى ما هذا يا أبا بكر تارة خلفى وتارة أمامى ؟ فيقول له اننى أتخيــــل العدو فى الامام فآتى أمامك ثم اتخيله فى الخلف فآتى خلفك فيقــول لــه الرسول أتود اذا نزل بنا مكروه أن يكون بك دونى ؟ فيقول نعــم يا رسول اللــه • اننى ان هلكت فانما أنا رجل من الناس ولكنك اذا ذهبت يا رســول الله ذهب دين اللــه • وظهــر فى الطــريق من الألطاف والمعجزات فى خيمــة أم معبد الخزاعية ما أفاضت فى ذكره كتب السيرة وقال فيه القائل :

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حــلا خيمتى أم معبــد
همــا نزلا بالبشر وارتحــلا به
وأفلــح من أمسى رفيــق محمد
ســلوا اختكم عن شــاتها وانائها
فانكم ان تسألوا الشــاه تشــهد

ويقال ان أهل مكة ســمعوا فى شوارعها صوتا يردد هذه الأبيات ولا يدرون مصدره • وفى الطريق كذلك كان من أمر سراقة ما هــو مشــهور ومعروف من أنه انطلق بفرسه خلف الرسول وصــاحبه ليدركهما ليحظى بجائزة قريش لمن يأتيها بخبر محمد فاذا بفرسه قد

ساخت أقدامها فى الرمال ثلاث مرات تقوم وتكبو حتى فهم سراقة أن الرسول لابد أن يكون نبيا صادقا فى رسالته مؤيدا بمعجزات من ربه وقد زاده النبى يقينا فى هذا بقوله له كيف بك يا سراقة اذا لبست سوارى كسرى • كناية عن البشارة بانتصار الاسلام واتيان المسلمين على ملك كسرى وقيصر • وقد تم ما بشر به النبى فى خلافة عمر وألبس عمر بنفسه سراقة سوارى كسرى تنفيذا وتحقيقا لبشارة الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم •

أما الحلقة الثالثة فى شريط هذه الرحلة المباركة فهى وصول الركب الميمون الى قباء واقامته صلى الله عليه وسلم فيها على مشارف يثرب أربعة أيام أسس فيها أول مسجد يقول فيه القرآن « **لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين** » • كانت القلوب فى يثرب تلتهب شوقا لمقدمه وازدانت المدينة وأشرقت بالبهجة والسرور وأخذ الصبيان يهللون فرحين بمقدم الرسول والجوارى يضربن بالدفوف ويغنين :

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع
ايها المبعوث فينا
جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة
مرحبا يا خير داع

ها هو ذا حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم يدخل يثرب والانصار يتنافسون فى دعوته للنزول عندهم فى بيوتهم كل واحد يريد أن يحظى بهذا الشرف فيلتفون حول الناقة ليأخذوا بزمامها فيقول لهم الرسول دعوها فانها مأمورة كأنه يريد أن زمامها بيد الله وحده يقودها حيث يشاء فلم تزل ناقته تمشى به وتمشى حتى وصلت الى فناء متسع فبركت فيه قليلا ثم قامت ومشت قليلا ثم رجعت الى نفس المكان فبركت

فيه كأنها عملية تأكيد لفظى أو معنوى فنزل من فوقها الرسول وهو يقول ها هنا المنزل ان شاء الله وكان هذا الفناء قريبا من باب أبى أيوب الأنصارى من بنى النجار أخوال النبى فأخذ أبو أيوب رحل النبى فوضعه فى منزله ليحظى باستضافة الرسول وسأل النبى عن الأرض الفناء لمن هى فقيل انها ليتيمين اسمهما سهل وسهيل فتفاءل النبى بهذين الاسمين وكان يحب التفاءل وقال لقد سهل أمرنا • اشترى النبى هذه الأرض ليبنى عليها هذا المسجد الى يومنا هذا والمدفون فيه صلى الله عليه وسلم والذى كان مركز اشعاع أضاءت به مشارق الأرض ومغاربها وطوفت كلمة الاسلام منطلقة منه بآفاق المعمورة حتى بلغ تعداد المسلمين اليوم اتباع هذا الدين الحنيف أكثر من تسعمائة مليون نسمة هم ربع سكان المعمورة تقريبا وعند استقرار النبى بالمدينة أخذ ينسق الحياة بين المسلمين بعضهم مع بعض وبين المسلمين من جانب واليهود من جانب آخر • فقد آخى بين كل اثنين من المهاجرين والانصار ليستأنس كل منهما بالآخر ويشتد أزره به ويلتحمان الى درجة التوارث بينهما • وأعطى لليهود عهدا وأمانا بالمساواة بين اليهود والمسلمين فى الحقوق والواجبات العامة والتعايش السلمى لا يعتدى فريق على فريق ولا يكيد فريق لفريق • أخذ النبى فى اعداد السرايا وتكتيب الكتائب وتجييش الجيوش ودفع المسلمين الى التكتل والاستعداد للجهاد فى سبيل الله • ثم كان ما كان من أمر غزواته مع كفرة مكة فى بدر وأحد والخندق والحديبية وغزواته لليهود فى خيبر وقريظة حتى كان فتح مكة وانتصار الاسلام انتصارا حاسما ولفظ الشرك آخر أنفاسه فى جزيرة العرب نهائيا والى الأبد •

من قلب كل مسلم تحية اعجاب وتقدير وعرفان بالجميل الى مواقف البطولة والفدائية

والتضحية فى مخطط الهجرة النبوية الشريفة . الى على بن أبى طالب فى بسالته ونومه فى فراش الرسول وهو يعلم أنه عرضة لأن يقطع بسيوف الأعداء الذين أحاطوا ببيت الرسول شاهرى سيوفهم للانقضاض عليه لولا أنه أفلت بأعجوبة والى أبى بكر الصديق وأسرته الذين أسهموا بجهود مشكورة فى هذا الصدد . الى المهاجرين الذين تجشموا الصعاب وأوذوا فى سبيل الله وهاجروا فى سبيل الله . الى الانصار أهل المدينة الذين فتحوا قلوبهم ونفوسهم للمهاجرين قبل أن يفتحوا لهم دورهم وقال فيهم القرآن « **يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** » (١).

« **والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم** » (٢) .

دكتور
عبد الغنى الراجحى

« الصبر »

قيل للمحاسبى : بم يقوى الصابر على صبره ؟

قال : اذا علم أن فى الصبر رضى المولى .

---

(١) سورة الحشر ٩ .
(٢) سورة الأنفال ٧٤ .

الهجرة بداية صراع مسلح

للدكتور / محمد محمد خليفة

كانت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدنية ايذانا ببدء صراع مسلح بين الحق والباطل بعد أن بح فى مكة صوت الكلمة الداعية الى الله ثلاثة عشر عاما ، وتاهت صيحاتها بين عواصف الحقد المحموم ورياح العناء الأحمق الذى أعمى قلوب المشركين عن التبصر فيما تتدفق به الآيات القرآنية من دلائل الوحدانية وآيات القدرة الناطقة بكل دافع من سلطان الحجة •

ولم يكف الرسول خلال مقامه بمكة عن تبليغ رسالة ربه لقريش وغيرها من الجميع الذين كانوا يفدون على مكة فى الموسم ، ولم تنم قريش عن مناوأة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورميه بأفانين من الكيد ، فاتهمته بالجنون والسحر والكذب ، وقريش هى التى لقبته قبل الرساله بالصادق الأمين •

ولقد كان يحرص الحرص كله على استجابة قومه لدعوته التى أرسله الله بها ، وكم آلمه وأحزنه عناء قومه ، ومن ثم توالت عليه الآيات من ربه لبيان مهمته : **« ان عليك الا البلاغ » (ان أنت الا نذير) (فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) الكهف ٦** •

ثم أذن الله له فى الهجرة الى المدينة يتخذ منها قاعدة للدعوة وحاضرة للدولة الاسلامية •

ولم يكد يستقر قرار محمد صلى الله عليه وسلم بين قلاع

الأمن اليثربى تحوطه عناية الله وقلوب المهاجرين والأنصار حتى راح يملأ قلوب أصحابه ثقة بوعد الله الذى فرضه على نفسه (**كتب الله لأغلبن أنا ورسلى) المجادلة ٢١ ـ (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد)** غافر ٥١ .

(**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا)** النور ٥٥ .

ومازال يتلو على أصحابه قصص الأنبياء ونصر الله لمن آمنوا به وبرسله ليزيدهم ايمانا ، ويشحن قلوبهم يقينا حتى صنع من كل قلب مادة أقدر على نسف كبرياء المعارضين وعنادهم من القوى النووية قبل أن تعرف دنيا الناس ما تحدثه المادة النووية من تفجير الأرض والجبال .

وكم عانى محمد صلى الله عليه وسلم وعانى أصحابه من ايذاء قريش ، ولكن الله منحهم طاقات من الاحتمال والصبر تحطم أمامها كل بطش ، وأين بطش قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بطش فرعون بقوم موسى عليه السلام حين كان يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم ، وأين بطش قريش وفرعون من بطش الله (**ان بطش ربك لشديد)** البروج ١٢ .

ان الذى أغرق فرعون وجنوده، وأهلك عادا وثمود لايغلبه غالب ، وهو ناصر عبده ، ونصر جنده ولم يزل محمد صلى الله عليه وسلم يبنى نفوس أصحابه ، ويشد بالايمان أسرهم حتى اطمأن قلبه الى بناء القوة التى يواجه بها شرور المناوئين ، ورأى فى كل مؤمن قوة ضاربة لم تشهدها البشرية من قبل لها من جلال الايمان ، وصدق العزيمة ، والانطلاق فى سبيل الله لاعلاء كلمة الله ، وحب التضحية فى سبيل العقيدة ما يجعل منها معجزة يتحدى بها رسول الله قوى الشرك فى مكة قاعدة الوثنية ، وفى غيرها من القبائل المشركة التى قضى

سلطانها على الكثير من سكان جزيرة العرب والتى طالما عرفت بين العرب بالبأس والبطش وخلال الاستعداد لقتال الجاحدين نزل الكثير من آيات القتال والجهاد :

(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله) الحج ٣٩ ، ٤٠ .

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) الانفال ٣٩ـ

وقد تجلت حكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موادعة يهود المدينة ــ قبل أن يخوض معاركه مع الوثنيين ، فكتب كتاب الموادعة وأقرهم على دينهم ، واشترط عليهم ولهم حتى يتفرغ لقريش وغيرها من عباد الاصنام . وقضى رسول الله فى المدينة عاما يبنى نفوس أصحابه حتى اطمأن الى كفاءتهم وقدرتهم علىمواجهة أعداء الله ، ثم بدأ المواجهة ببعث السرايا ، وكان أولها سرية عبيد الله ابن الحارث بعثه رسول الله فى ستين راكبا حتى بلغ ماء بالحجاز لقى به جمعا من المشركين على رأسهم عكرمة بن أبى جهل ولم تكن مهمة تلك السرية قتالية ولكنها للاستطلاع ونشر الرعب فى نفوس المشركين ، ولم يحدث بين الفريقين قتال ولا تراشق اللهم الا ذلك السهم الذى رمى به سعد ابن أبى وقاص وهو أول سهم رمى به فى الاسلام وفى ذلك يقول سعد من قصيدة :

فما يعتد رام فى عدو
بسهم يارسول اللهقبلى

كما بعث سرية بقيادة حمزة ابن عبد المطلب الى ساحل البحر الاحمر فى ثلاثين راكبا حيث لقى أبا جهل فى ثلاثمائة راكب ، وحجز بين الفريقين مجدى بن عمرو الجهنى ــ فلم يحدث بين الفريقين قتال .

وتتابعت السرايا والغزوات : كغزوة العشيرة وسفوان وسرية سعد بن أبى وقاص .

ثم كانت غزوة بدر التى خرج اليها النبى صلى الله عليه وسلم فى ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا نصره

الله بهم على ألف من المشركين وقد قتل من رءوس الكفر من صناديد قريش وأسر الكثير ، وعادت قريش من بدر منكسة الهامات يلطخ رءوسها العار حيث خسرت أول معركة واجهت بها المسلمين بل فئة قليلة منهم قد اجتاح ايمانها صلف ألف ممن حسبوا أن كثرتهم تعصمهم من الموت أو الهزيمة .

وانتصر سبعمائة من المسلمين فى أحد أولا على الجيش الكثيف الذى جمعته قريش لتدمر به المدينة على المسلمين وقد هزم المسلمون أخيرا فى المعركة لأن الرماة خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الثبات على الجبل لحماية ظهور المسلمين ، ولكن فتنت الغنائم بعض الرماة ، فتركوا مواقعهم ليظفروا بنصيب من الغنائم ، فانكشفت ظهور المسلمين وهزموا بعد النصر .

وفى غزوة الخندق تكفل الله بتمزيق الألوف التى عبأتها قريش من أبنائها وحلفائها من غطفان وغيرها فأرسل الله ريحا أطارت الخيام وكفأت القدور ، ومزقت الطبيعة الثائرة برياحها ورمالها التى جندها الله كل ما عبأت الأحزاب من قوى ، ورجع المتحزبون الى الحواضر والبوادى تطحنهم الخيبة . ونصر الله المسلمين فى معاركهم مع اليهود على بنى قريظة والنضير وبنى المصطلق وغيرهم من اليهود حينما نقضوا عهودهم ومواثيقهم وغدروا بالجوار وحاولوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل من قتل وأسر من أسر وأجلى من أجلى حتى تطهرت المدينة وما حولها من اليهود وكيدهم .

وكان صلح الحديبية بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين قريش فتحا مبينا ، ثم توالت انتصارات المسلمين على المشركين ففتحوا مكة وانتصروا فى حنين والطائف ثم فى تبوك .

ودانت الجزيرة كلها للقوة الاسلامية ، وكان الايمان أعظم أسلحة ذلك الصراع ، وبقوته صرعت شوكة المسلمين عتاد الباطل وجموعه ، وعنت أمام سلطان الحق

هامات المتجبرين الذين طالما أبت نفوسهم الاستجابة الى نداء الحق •

ذلك هو الماضى المشرق الذى صنعت فيه القلة المؤمنة تاريخا مازلنا نجتره ، وسيعيش المسلمون على اختلاف أفكارهم وأجيالهم يفخرون بأمجاده •

أما حاضركم فيبكى قلوب المشفقين ، لأن كثرتكم التى تجاوزت الثمانمائة مليون قد نخر الخلاف فى كيانها فأصبحت جوفاء خاوية من كل القيم التى بنت عليها القلة المؤمنة فى فجر الاسلام سلطانها :

ان المعارك الدامية التى تدور رحاها بين ايران والعراق تدمى قلوب المشفقين على المصير المرتقب للشعبين بعد أن يأكل بعضهم بعضا ، وتضيع بين نيران المعارك قوى الدولتين وينهب الخراب والدمار اقتصادهما بل وجودهما •

وان الخلاف بين ليبيا وتونس ينذر بالشر الذى يلوك كل مقومات السلام والأمن بين الدولتين وان الأحقاد التى ألهبت حياة النظام الليبى ضد مصر وغيرها من شعوب أفريقيا لا يستفيد منها غير أعداء الاسلام الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر •

وان الخلاف بين الجزائر والمغرب لينذر بالقاء الشعبين فى صراع يعلم الله أنه يهدد وجودهما ويأتى على سلطانهما •

وان ما بين سوريا والأردن من الشرر المتطاير لينذر بأخطار الغد القريب أو البعيد •

وان الصراع الداخلى فى سوريا بين المسلمين والبعثيين يؤذن بانفجار يلتهم سلامة الشعب السورى وأمنه ، وان المعارك الدائرة فى أفغانستان بين الثوار المسلمين وعملاء الشيوعية ليذهب ضحيتها الكثير من المسلمين ، ومن عجب أن تطحن تلك المعارك فى الحواضر والقرى الأفغانيةالشيوخ والأطفال والنساء بلا رحمة وحكام المسلمين يلوذون بالصمت فلم يقدموا لأولئك الثوار عونا يقضون به على الزحف الشيوعى الذى يهدد الشرق الاسلامى •

أيها المسلمون :

ان أصابع الفتن تلهو بالشعوب الاسلامية ، وتهدد مصائرها بل تسوقها الى حتفها ، وليس بين المسلمين من رشيد يرتفع بايمانه عن أو حال الاهواء ليدعو الحكام والملوك الى نبذ الخلافات وتوحيد الكلمة والقوى أمام تيار الالحاد الشرقى والاستغلال الغربى .

أيها المسلمون :

ليتنا نتخذ ونحن فى مستهل القرن الخامس عشر الهجرى درسا من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم فنبعث فى نفوسنا الثقة بوعد الله ونصره للمؤمنين فان تلك الثقة زلزلها الخوف والاستسلام والشعور بالضعف حتى أصبح حكام المسلمين فى نظر الشرق والغرب معا كالدمى تحركهم خيوط تعلقت بها رءوسهم بين أصابع الشرق أو الغرب فلا تروح خطاهم أو تغدو فى الحياة الا حيث يشاء لهم أعداء الاسلام .

وليتنا ونحن فى مستهل قرن هجرى نذكر الهجرة على أنها كانت بداية صراع بين الحق والباطل فنعيد ذلك الصراع لنسترد للحق والخير مكانهما بين عالم ضلت به أهواؤه ، وانحرف عن صراط الله مساره فتشعبت مذاهبه .. وتحكمت فى خطى أجياله وعقولهم مخططات الالحاد والانحلال .

ليتنا نثبت للعالم ونحن أحفاد القلة المؤمنة المناضلة فى سبيل الله أن كثرتنا ليست غثاء السيل وانما هى كثرة تموج فى الوجود لتصنع فيه الحياة الناضرة المزدهرة بالخير والحب .

وليت حكامنا يفيئون الى ربهم ويرجعون الى القيم الكريمة التى بثها فى الحياة كتاب الله وتعاليم رسول الله والتى كان أسماها الاخوة فى الله تلك الاخوة التى اقتلعت من القلوب جذور الاحقاد ، وجمعتهم حول حبل الله ودينه فكانت لهم به منعة وعصمة من كل شر ..

وليتنا نرى أيديهم وقد تشابكت حول كتاب الله تعلن تآلفها واتحاد كلمتها وصفوفها لتدرأ عن العالم

الاسلامى كل سلطان يسعى الى السيطرة على أقطار المسلمين واضاعة مقدساتهم .

انه ليس بعزيز على الله أن يخلق من كثرتنا المسلمة قوة تعنو لها كل القوى وفى بطون أرضنا ثروات نمد بها العالم وفينا علم وخبرات ولدينا من القوى البشرية مئات الملايين تستطيع لو آمنت أن تصنع المعجزات ..

وانه ليس بعزيز على الله أن يلم شتات العروبة ويجمع قلوب أصحابها على خير الاسلام وشعوبه ويأخذ بأيديهم الى صراط الله فهو نعم المولى ونعم النصير .

د. محمد محمد خليفه

(رجاء الى كتاب مجلة الأزهر)

تسهيلا لعمليات المراجعة ، يرجى من السادة كتاب المجلة التكرم بكتابة مقالاتهم على الآلة الكاتبة ثم مراجعتها أو كتابتها بخط واضح مع مراعاة ترقيم الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية ، والمجلة لا تقبل صور المقالات التى يراد نشرها .

الهجرة ومطلع القرن الخامس عشر الهجرى

للدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى

— ١ —

الهجرة : ذلك الحدث التاريخى العظيم ، الذى كان فاصلا بين العصور القديمة والعصور الجديدة ، وكان حدا بين الهمجية والانسانية ، وفارقا بين حكم الشورى وحكم الاستبداد .. مايزال الزمن يذكرها ، والأجيال تترنم بنشيدها ، والعصور تردد آياتها المعجزات الباهرات الضخام .

ان حادث الهجرة النبوية العظيمة من مكة الى المدينة ، كان أكثر الاحداث العالمية عظمة وجلالا ، وأثرا وذكرا ، ومفاخر ومآثر ، ونتائج كبيرة فى تاريخ الاسلام والمسلمين .

وقد عرف الخليفة عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — هذا الاثر الكبير للهجرة ، فى تاريخ الاسلام ، فتوج بها التاريخ الاسلامى كله ..

ففى العام السابع عشر من الهجرة ، وفى عهد الفاروق عمر بن الخطاب ، تشاور أصحاب رسول الله فى أمر الاتفاق على تاريخ اسلامى ، يدون به المسلمون أمورهم وشئونهم ، وتواريخ أيامهم وأحداثهم ، فأخذوا يفكرون مليا فى الأمر ، ويناقشون مختلف الآراء والأفكار ، حتى انتهى بهم الأمر الى اتخاذ الهجرة مبدأ للتاريخ الاسلامى ، لأنها أوثق الحوادث صلة بالاسلام والمسلمين ، كما يقول البيرونى فى كتابه « الآثار الباقية » ، وقد

أجمعوا على المحرم لأنه منصرف الناس من حجهم كما يقول الطبرى .

فالهجرة هى بدأ استقرار المسلمين ، والتفاتهم الى اقامة مجتمع اسلامى كامل ، تنفذ فيه تعاليم الاسلام روحا ونظما ، تشريعا وتطبيقا ، عملا وسلوكا ، وهى بدء تكون الدولة الاسلامية فى المدينة ، التى كانت أول دول الاسلام ، وكان رئيسها هو صاحب الرسالة السماوية العظمى ، محمد بن عبد الله النبى الرسول ، الذى نزل عليه الوحى من السماء ، بكتاب منير ، وقرآن كريم :لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ولم يكن للعرب تاريخ ثابت قبل صنيع عمر الفاروق فقبل الاسلام كانت بعض القبائل تؤرخ بالأحداث الكبيرة فى حياة العرب : كيوم الفجار (٣٣ ق هـ — ٥٨٩ م) وحلف الفضول ، وموت هشام بن المغيرة المخزومى اجلالا له وتكريما ، وحادث الفيل .

وقد ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والعرب وقريش تؤرخ بموت هشام ، وبعام الفيل ، كما يقول المسعودى فى كتاب « التنبيه والاشراف » — ص ١٨١ — .

ومن الأحداث الكبرى التى كانت قريش تؤرخ بها : موت كعب بن لؤى (٦٨٣ ق هـ — ٤٠ — قم)، وعام الغدر (١٦٣ ق هـ — ٤٦٤ م) وهو العام الذى نهبت فيه بنو يربوع الكسوة ، التى بعث بها ملوك حمير للكعبة ، وكذلك : بناء الكعبة على حكم الرسول صلى الله عليه وسلم (١٨ ق هـ — ٦٠٥ م) والرسول فى الخامسة والثلاثين من عمره ، وبين بناء الكعبة والبعثة النبوية خمس سنين .. وكان ميلاد رسول الله بعد عام الفيل بخمسين يوما .

وكان السبب المباشر فى وضع التاريخ الهجرى هو : أنه « رفع الى الخليفة عمر بن الخطاب صك » بتاريخ شعبان ، فقال عمر : أى شعبان هو ؟ ثم جمع أصحاب رسول الله — صلى الله عليه

وسلم ــ فاستشــــــارهم فى أمر الأوقات ، فقالـــــوا : يجب أن نتعرف الحياة فى ذلك من رســوم الفرس ، فاســتحضروا الهرمزان الفارسى ، واستعلموه ذلك ، فقال : ان لنا تاريخا نعرف به حســــاب الشــهور والأيام والأعوام ، فقال عمر لأصحاب رسول الله : ضعوا للناس تاريخا يتعاملون به ، فقال البعض : اكتبــــوا على تاريخ الفرس ، وقال البعض : اكتبوا على تاريخ الروم .

وفى تلك الأثناء جاء الى الخليفة عمــر كتـــاب من « ابو موسى الأشعرى » يقول فيه : انه تأتينا كتب ــ أى رسائل ــ من قبلك ، ليس لها تاريخ ، فوضـــــع عمر التاريخ الهجــرى ، وهو التاريخ الذى دون به المســلمون أيامهم ، وشهورهم وأعوامهم ، وصـــار عنوانا لمآثر الاســلام ، ومفاخر المسلمين .

ــ ٢ ــ

والهجرة النبوية من مكة الى المدينة وضعت حدا لاضـــطهاد قريش للمسلمين فى مكة ، ولتعذيب من آمنوا برســـالة الله ودينه ، وكتب الله بها النجاة لرســول الله من المؤامراة الدنيئة ، التى دبرها المشركون سرا لاغتياله ، وللقضـــاء على كل مســـلم يعبــد الله فى الأرض ، ولاطفـــاء نور الله ووأد الدعوة والرسالة والشريعة .

وكانت الهجرة قضـــاء على كل ما دبره المشركون ، وما أعـــدوه بليل وما بيتوه بسر من خطط ومكر وكيد للاسلام وللمسلمين .

وبالهجرة زالت ســيطرة قريش على أصحاب رسول الله ، وهاجر المؤمنون الأولون الى المدينــــة زرافات ووحدانا ، وعاش المسلمون فى بيئة المدينة ، التى انتشر فيهــا الاسلام انتشارا كبيرا ، دون أن يتعرضــــوا لامتحان أو تعذيب وعاشوا بالهجرة فى أمن وسلام ، وطمأنينة وحرية .

وبذلك اهتز كيان الوثنية ، وبان زيفها وضلالها وبهتانها ، أمام نور الله ، ودين الله ، وصمود أصحاب رسول الله .

وبالهجرة انتقل الاســـلام من النظرية الى التطبيق ، فأصبح له

مجتمـــــع ، ودولة وكيان وأمة ، وقامت قوة اســــلامية تحميه ، وجيش صامد يدافع عنه ، ووطن يأوى اليه .

وحدث عن تدبير رســـول الله صلى الله عليه وسلم للهجرة ، وعن خروجـــه بليــل الى غار ثور ، والمشركون يحيطون ببيته . احاطة السوار بالمعصم ، للانقضاض على رسول الله واغتياله ، وعن خروجه من الغار ، وسيره فى طرق بعيــدة الى المدينـــة ، وعن الذين تتبعوا آثاره هو وصـــاحبه ابى بكــر للانقضــاض عليهما واعادتهما الى مكة ، وعن نجاة رســـول الله ، ودخوله قباء ، ثم المدينة ســالما ناجيـــا ، محــاطا برعاية الله وحفظه .. حــدث عن كل ذلك ، وعما كان من سراقة ، وما حــدث لسراقة ، ولا حرج .. فالحــديث كله عطر وسحر وشئون وشجون .

ولا ننسى هذا الاستقبال الحافل لرسول الله وهو يدخــل المدينة ، والأناشـــيد التى كان المدنيون صـــغارا وكبارا يرددونهـــا فى اســـتقباله ، ويروى عن ابن عمر قال ، قال أهل المدينة لرسول الله : ادخل المدينة راشـــدا مهديا ، والناس ينظرون اليه ، كلما مر على قوم وهو على ناقتـــه قالوا : يا رسول الله هاهنا ، فقال صلوات الله عليه : دعوها فانها مأمورة ، حتى بركت على باب أبى أيــوب ، وهو من بنى النجار ، وهم أخوال رســـول الله ، وظل كذلك الى أن بنيت له حجرة أم المؤمنين سودة ، وبنى المسجد النبوى الشريف وبعد ذلك أطلق على يثرب اسم المدينة ، أى : مدينة النبى ، وصارت الهجرة وأيامها الخوالد مفترق الطريق ، فى حياة الرسالة والرسول ، والاسلام والمسلمين .

وبنى رسول الله المســـجد النبوى ، الذى ما لبث أن صـــار جامعة اســلامية كبرى ، كان هو أول جامعة اســـلامية فى حياة الاســـلام والمسلمين ، ثم تحول المســجد الحرام بعد فتح مكة الى جامعة أخرى ، أضـــاءت بنورها المشارق والمغارب .

لولا الهجرة لعاشت الانســانية حتى اليوم فى ظــلال الوثنية ،

والضلال والجاهلية الاولى •• لقد صارت من أكبر الاحداث العالمية فى تاريخ البشرية قاطبة ، وفى تاريخ العالم والشعوب كافة •

— ٣ —

واليوم ، وفى ذكرى الهجـــرة النبـوية الشريفـة ، يســتقبل المسلمون باليمن والبشر والبشرى ، والحفـاوة ، القرن الخامس عشر الهجرى •• كما استقبلوا من قبل أمثـاله من قرون مضت •• وهى مناسـبة جليلة كريمة ، لا تحدث الا كل مائة عام •

ويســتقبل المسـلمون القرن الخامس عشر الهجرى ، والأخطار تحــدق بهم من كل جـانب ، والمؤمرات تحــاك حولهم من كل ناحية ، ويد الأعداء تنوشهم من كل مكان •

الشـيوعية تغزو بقواتها دولة اسلامية كبيرة ، هى : أفغانستان ، وهذا الشعب المسلم الأعزل لايزال يقاوم جحافل الشــيوعية والشـيوعيين ، متوكلا على الله ، معززا بروح الايمان ، صـامدا صمود الأبطال ، فى معركة الدفاع عن الحرية وعن الوطن ••

والشــيوعية بدهائها صارت تســيطر على مقدرات الأمور فى اليمن الجنوبية ، وفى ليبيا المسلمة ، وصارت لها كلمة نافذة فى ســوريا العــربية ، وفى العــراق المـؤمن الصامد ، وفى أماكن أخرى كثيرة •

وها هى ذى العلمانية ، والالحاد والضــلال والشرك والكفـر ، ودعوات الوثنية ، تطل برأسها من كل مكان ، فى محاولة للانقضــاض على الشعوب الاسلامية المؤمنة ، الصـامدة الصـابرة ، ومحاولات الغزو الثقافى ، والتبشير الصليبى مستمرة دون توقف •

ومن أجل ذلك ندعو الله — عز وجل — أن يحفظ للأمة الاسلامية دينهـا ، وعقيدتها وايمانها ، وأن يجمع شمل الشعوب الاســلامية على الايمان ، والجهـاد والفـداء والتضحية •

مرحبـا بقرننا الجـديد ، قرن النضـال والكفاح ، ومن أجل عزة الاسلام ، ومجد المسلمين •

محمد عبد المنعم خفاجى

هجرة الى النصر والفتح

للدكتور / السيد الطويل

مما انتهى اليـــه المؤرخـــون ، والذين توفروا على تحليـــل وقائع التاريخ ، وتقويم أحداثه ونتائجه أن هجرة النبى محمد عليه الصلاة والســـــلام أثرت تأثيرا بالغا فى مسيرة التاريخ البشرى ، وغيرت ــ تماما ــ وجهته وغايته .

ولم تكن هـــــذه نظرة المؤرخين المسلمين أبدوها بتأثير العاطفـــة ، وفى ظل حماسة العقيدة المتأججة ، وانما هى أيضا النتيجة التى انتهى اليها علماء التاريخ والاجتماع من غير المسلمين .

ولأجل هـــذا فهى أبعد ما تكون عن المبالغة والتجاوز .

واذا كانت الامـــور تقـــــاس بما تخلص اليه من غاية ، وبمـــدى ما تحمله فى ذاتها من بلاء وجهـــد ومعاناة فان للهجرة بنـــاء على هذا أرفع مقياس ، وأسمى مكانة .

ان الهجرة وسيلة جيدة الى غاية كبيرة ، دعت اليها أسباب ملحة .

فما الدوافـــع التى وجهت الى هذه الوسيلة المؤثرة ؟

وما أسس الامتياز وخصـــائص الجودة ، وأبعـــاد التأثير فى تلك الوسيلة الكبيرة ؟

وما هـــذه الغاية الكبيرة ؟ ولأى مدى نجحت هذه الوســـــيلة فى تحقيقها ؟

أما الدوافع فتتمثـــل فى اعتزاز قريش اعتـــزازا بالغا بما لهم من حسب ونسب ، وما أحـــرزوه من

أمجاد فى الدين والاقتصاد جعل أمر الجزيرة كلها يكاد يكون فى أيديهم . هذا وذاك جعلهم يثقون ثقة غافلة بأعرافهم وتقاليدهم ، وأذهلهم عن موروثاتهم السامية من الحنيفية السمحة دين ابراهيم واسماعيل اللذين يعتزون بالانتساب اليهما ، وخيل إليهم بتأثير جهالة الجاه والمنصب والثراء أن دعوة أخيهم محمد بن عبد الله بدع من الأمر ، وأن فيها خطرا على مكانهمومكانتهم ، وقد صور لنا القرآن الكريم فى بيان حكيم تصورهم الفاسد ، فقال جل شأنه (**وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا . أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شىء ، رزقا من لدنا ، ولكن أكثرهم لا يعلمون ؟**) وبعد أن تناقش الآيات تصورهم الفاسد تحذرهم قائلة : (**وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها ، فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين**) .

وبناء على هذا افتن القوم فى فنون العذاب ، واحتالوا فى ألوان الاضطهاد ، وانتقلوا من اسلوب الى اسلوب أشد وأنكى .

عذبوا المستضعفين أشد أنواع العذاب مثل بلال وصهيب وخباب.

حاولوا صرف النبى عليه السلام عن الدعوة بوعود واغراءات متعددة .

قاطعوا النبى عليه السلام ، ومن معه من صحابته وذوى قرابته .

ولم تنجح أية محاولة من هذه المحاولات ، وما كان الا أن ازداد النبى عليه الصلاة والسلام استمساكا بدعوة ربه ، واصرارا على المضى على طريق الجهاد ، وعجزت حيل القوم عن الحيلولة بين الداعية والدعوة .

ان البيئة القرشية بظروفها تلك لم تنجح فى استنبات البذور الطيبة فى قلوب ران عليها غشاوة الغفلة والاعتزاز القبلى الجائر .

والاستمرار فى الدعوة على هذه الأرض ضرب من الجهد الضائع ، والداعية فيها كمن يصرخ فى واد ،

وينفخ فى الرماد ، وشأن المدعوين فى غفلتهم التى قعـــدت بهم عن الادراك السديد والتصور الرشيد كمن ينعق بما لا يســـمع الا دعاء ونـــداء صـــم بـــكم عمى فهم لا يرجعون ، ولا يعقلون .

وكانت للنبى عليه الصـــلاة والسلام تجربة للهجـــرة فى أرض قريبـــة ، وبيئة مماثلة ، ولم تنجح الهجرة ..

وتحركت مسيرة الدعوة فى خطى وئيدة واثقـــة ، نحو هجرة أخرى راشدة .

لم تكن فرارا من معاناة الجهاد وايثارا للسلامة والخنوع . وانما كانت خطة محكمة لتحويل ميـــدان الجهاد الى أرض أخرى تتهيأ فيها للدعوة أسباب النصر .

ولم تكن سلبية ذليلة فى مواجهة مهمة كبيرة ، وانما كانت عمـــلا ايجابيا ذكيا فى دفع الدعوة بحكمة وتقدير الى طريق النجاح .

ولم تكن الهجرة رفضا للمجتمع المهاجر منه ، وهجرا له وانما كانت تضـــحية كبيرة بحب كبير تملكه القلوب الكبيرة للوطن والأرض .

وقالها رسول الله عليه الصـــلاة والسلام غداة الهجرة ، وهو يفارق مكة متألما لفراقها : والله انى لأعلم أنك أحب بلاد الله الى الله ، ولولا أن قومى أخرجونى ما خرجت .

وعلى أرض المهاجر الكـــريم يثرب ، يرتفع صوت بـــلال يأسى على مكة ومغانيها ووديانها وجبالها فيقول وقد أنهكته الحمى :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة
بواد وحولى اذخر وحليل ؟
وهل أردن يوما ميـــاه مجنة
وهل يبدون لى شامة وطفيل ؟

ان الهجرة خطة جهاد سـديدة وقد أدركت قريش بوعيها السياسى خطورتها فوقفت بقوة فى وجـــه المهاجرين وحاولت أن تثنيهم عن غايتهم بالوعد والوعيد ، والاغراء والتهديد وما اســـتطاعت **(ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كـــره الكافرون)** .

وذلك لان الهجرة كانت فى هـــذه

الظروف **لا** بديل عنها ، ولامناص منها ، بل كانت التحدى القـــوى لايمان المؤمنين ومن أجـل هـذا آثرها أقوياء الايمان بما فيها من تعب ونصب على مال جمعوه وثروة أرهقهم حشدها •

لقد تحدث القرآن الكريم عـن الهجرة منهجا للايمان والمؤمنين ، وطريقا للعزة وسبيلا لحـــرية الانسان وكرامته •

يقول جل شأنه : **(ومن يهـاجر فى سبيل اللـه يجـد فى الارض مراغما كثيرا وسعة)** •

وقال تبارك وتعالى : **(ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم)** •

كما قال : **(والذين آمنـوا ولم يهاجـروا مالـكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا)** •

لقد كانت فرضا مفروضا عـلى المؤمنين الذين عاشوا ظروفهـا ، ولا يعنيهم من العقوبة يوم يقـوم الناس لرب العالمين ما تعلل بـه بعضهم وقد قعد عنها بأن الايمان فى القلب **لا** تملك أكبر قوه محوه ، وأنه لابأس من القعود ومجاملـة القوم حفاظا على المال والولـد ، وعاشوا فى وطنهم أذلاء ظلمـــوا أنفسهم بهذا الهوان • يقول تعالى فى شأنهم : **(ان الـذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئـــك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ، الا المستضعفين من الرجال والنســاء والولدان لايســـتطيعون حيلـة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفـــوا غفـــورا)** •

وفى مكانة المهاجرين عند اللـه تتحدث هذه الآية : **(الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل اللـه بأموالهم وأنفســهم أعظم درجـة عند الله وأولئك هم الفـــائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم)** •

ثم كانت الهجرة بوقائعها الحافلة

بالدروس والعبر ، وتمخضت عنها نتائجها المذهلة •

لقد كانت الدعوة قبل الهجـرة بلا كيان فقام لها بعد الهجرة دولة وسلطان •

كانت نظرة العرب للحـركة الاسلامية قبل الهجرة على أنهـا شذوذ وانخـلاع عن أعراف القوم فأصبحت بعد الهجرة لها كيـان كريم أخذت تتعدل نظرة القوم اليه شيئا فشيئا •

أصبح للمسـلمين بعد الهجرة ملاذ يلوذون به ، ويلتقـون ، ويتجمعون ، ويتكاثرون ويتناسون بغضـاء الجاهلية وأحقـادها ، ويصبحون بعد الشقاق بنعمة الله اخوانا صنعت منهم عقيدة التوحيد أمة واحدة لا تدين الا لله وحـده لا شريك له •

وواجهت الدولة الناشئة التحديات البالغة ، وامتحنت بالأحـداث الجسيمة ، والخطوب الصعبة التى صـهرتها ، وعجمت عودها ، من انتصار بـدر الى محنة أحد ، الى تطهير لأرض الدعوة من الوجود اليهودى الآثم ، الى تحطيم لقوة الأحزاب التى التقت حول المدينة لتقضى تماما على دولة الاسـلام فيها •

ويتوقف الصراع لتقـوم فترة سلام • تستفيد منه الدولة صاحبة الدعوة ، ويتحرك رسـلها فى كل مكان ، وتأتى للرسول عليه الصلاة والسلام الوفود من كل صـوب وحدب •

ويدنو منهم نصر الله ، ويقترب يوم الفتح •

وتصـحو قريش — وقد نقضت عهدها — لترى ابنها الكريم الذى خرج من مكـة خائفا يترقب مع صديقه الصديق متسربلين بظـلام الليل ترعاهما عين الله ورعايته — قد أقبل الآن فى جيش عظيم لا يجد مقاومة تذكر ، ويدخل مكة ، وينتهى الى الكعبـة ، ويمنح النبى عليه الصلاة والسـلام أهله الأمن فيبذلون له عن رضـا ويقين الايمان ، وينطلقون من خلفه جنودا لله الى ثقيف والطـائف ، ثم الى مؤتة فى الشام ، وفى تبوك وتذعن

الجزيرة كلها باذعانهم ، وتغمرها شمس الاســـــلام ، مبددة ظلام الجاهلية وظلمها •• وصــــدق الله العظيم اذ قال : **(اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا • فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا)** •

ان أمة العرب التى تخرجت من مدرســـة الاسلام بعد الهجرة هى مستعدة الآن لأن تنطلق فى الآفاق ليســــعد بنو الانسان من الشرق والغرب بنور الله الذى غمـــــر الجزيرة •

وهكذا كان النصر الكبير والفتح المبين نهــــاية لجهــــاد كبير ، بدايته هجــرة عــزيزة قــوية • ان المسلمين الآن وهم يستقبلــون هلال القرن الخامس عشر الهجرى فى كيان ممزق ، وثوب مهلهــل ، ورابطة واهنة فى أمس الحاجة الى هجرة جديدة تقوى كيانهم وتلم شعثهم ، وتعزز وحدتهم ، وتنتهى بهم الى نصر وفتح •

ما هذه الهجرة ؟ وما أبعادها ؟

لا هجرة بعد فتح مكة ولكن جهاد ونية كما قال صلى الله عليه وسلم ، واذا استنفرتم فانفروا •

انها هجرة الى الله وشريعته ، ولياذ الى دينه ومنهجه ، وهجـــــر لأهواء النفوس وشريعة الانسان •

فهل من جهاد راشـــــد ، وجهد خالص ، وعمل صالح يحقق الغرض ويدنى الأمل ، ويتحـــول به الحلم الحلو الى حقيقة محسة ؟ !!

والله من وراء القصـــــد وهو حسبنا ونعم الوكيل ؟

دكتور / السيد رزق الطويل

مواكب الهجرة

للأستاذ/ جابر حمزة فراج

المحرم نفحة الدهر •• وغرة الزمن •• مع اطلاله تتفتح القلوب •• كما تتفتح الأزاهير مع الربيع •• فعند اشراقة المحرم يفوح عبق الهجرة النبوية •• ويسرى نورها فى الأكوان •• ويرن صوتها فى الآفاق •• مرددا أنشودة القداسة :

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا
جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة
مرحبا يا خير داع

أهازيج قلب •• ونداء ضمير • وهتاف وجدان •• نطقت به نسوة بنى النجار •• وأنا أقول جئت شرفت الحياة •• لأن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يشرف المدينة وحدها •• بل شرف الدنيا بأسرها •• شرقها وغربها •• لأنه وسام الشرف على صدر الوجود • لأنه وشاح الحق على كتف الزمان •• لأنه تاج المجد على رءوس البشر •• لأنه لمسة الحنان فى وجدان بنى الانسان لأنه نبع الرحمة فى كل مكان •• نظرة الى الهجرة : —

ان الواقف أمام الهجرة •• كالواقف وسط روضة فيحاء ••• عالية الأشجار •• غنية الثمار •• وفيرة الأزهار •• فواحة العبير•• كلما شده منظر •• نادته مناظر • واذا ما سحره مظهر •• بهرته

مظاهر •• فالهجرة اذا ما حـــاول الباحث أن يتناول منها جانبا •• تألقت أمامه جوانب •• وذلك لما تنطوى عليه من أحداث جسام •• وهمم عالية •• ومبادىء سامية • وغايات نبيلة •• ومقاصد كريمة • وشيم كاملة •• ومثل ماجدة •• وأهـــداف بعيـــــدة •• وآفـــاق فسيحة •• فهى بدايـــة خير •• ومسيرة نور •• وثـــورة حق •• وانتفاضة أصـــلاح •• وانبثـــاق هدى •• وتألق ايمان •• وزرع عقيـــدة •• ومـــوكب مجـــد •• وانطلاقه عز •• واشراقة نصر •• ونبض يقـــين •• ونبـــع دين •• ونشر فضيلة •• ودفق سلام •• وايقـــــاظ وعى •• وتشـــــييد حضارة •• واقامة دولة •• ورفع راية •• وتربية نفوس •• وتنمية ضمائر •• وبث مبادىء •• وغرس قيم •• الدافـــع الأســـــــاسى للهجرة : —

مهما كانت الدوافع •• ومهمـــا تعـــددت الأسباب •• فانها تتركز وتدور حول العقيدة •• لأن وطن المـــؤمن عقيـــــــدته وهى وطن لا يعرف القيود أو الحـــدود •• ولا تحجبه الحواجز أو السدود•• واذا ما انعدمت العقيدة فلا قيمة لوطن أو سكن •• ولا لأهـــل أو جوار •• بل تنعدم الحياة كلها•• لأن عروة العقيدة هى الرباط بين المؤمنين •• فهى أقوى وأسمى من رباط الدم أو اللـــون أو أى شىء آخـــر •••

لقد كان من الميسور على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن يكونوا فى منجاة من عذاب القـــوم واضطهادهم •• بل من السهل أن يحصلوا من المشركين على المـــال الوفير والجاه العريض •• لكنهـــا العقيدة •• فلا شىء أغلى منهـــا « والله ياعماه لو وضعوا الشمس فى يمينى••والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر •• ما تركتـــه حتى يظهره الله أو أهلك دونه »•• كلمة خالدة خلود الحق •• نطـــق بها قلب محمد عليه السلام قبـــل أن ينطق بها لســـانه •• لتكـــون شـــــعارا للمـــؤمنين •• ورمـــزا

للمسلمين •• عبر القرون والأجيال •• ولتكون ردا علـى ادعـاء المستشرقين بأن الهجرة النبوية كانت هروبا وفرارا ••• كما أنها كانت مجردة من كل غرض مادى •• أو مأرب ذاتى •• فما أراد محمد عليه السلام أن يكون صاحب تـاج أو سلطان •• وانما عاش فقيرا •• ومات فقيرا •• وكأنه يثبت للدنيا أن الهجرة كانت انطلاقا للعقيـدة ••وسموا بالدعوة •• واختيـارا للمناخ الصالح الخصيب •••

لمحات من الهجرة : ــ

لم يكن هناك فائدة من البقـاء بمكة بعد أن تمكن العداء من قلوب عبدة الأوثان الذين عميت عيونهم •• وطمست عقولهم •• وقسـت قلوبهم « **وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** »(١)••• أمر الله رسوله بالهجرة من مكـة الى المدينة حيث الأفق الصافى •• والأرض الطيبة •• والبيئة النقية التى استبشرت بالاسـلام ••

ووقف رسول الله صلى اللـه عليه وسلم بأطراف مكة فى الليـل الداجى يلقى عليها نظرة الـوداع •• وقلبه مشدود اليها •• فهناك بيت الله الحرام أشرف بقعة على الأرض •• وهناك غار حراء الذى التقت فيـه الأرض بالسـماء عند نزول الـوحى •• وهنـاك الأرض •• التى تربى فوقهـا •• وهناك الدروب التى مشى فيها •• وهناك الذكريات التى تملأ خاطره •• فقال : والله انك لأحب البلاد الى قلبى •• ولـولا أن قـومك أخرجونى منك ما خرجت ••• ثم كانت بـداية الهجرة •• بعـد أن أبقى ابن عمه عليا بمكة لا ليخدع المشركين فحسب •• وانما لهـدف أسـمى وأكرم •• اذ كان من السهل أن يصحبه معه فى رحلته•• لأن الرسول عليه السلام يؤمن بأن الـذى ينجى محمدا قـادر على أن ينجى عليا •• لقـد أبقـاه بمكة ليرد الودائع والأمانات التى

---

(١) سورة يس

كانت لديه لأصحابها •• رغم أنهم من المشركين الذين حرصوا على قتله •• وكأن محمدا صلى الله عليه وسلم يقصد من وراء ذلك أن يعلن للدنيا أن الاسلام دين الحق •• دين العدل •• دين النزاهة•• دين الأمانة •••

أمادور أبى بكر الصديق فهو دور الوفاء والاخاء •• دور التضحية والفداء •• دور اليقين والايمان •• حيث جمع ما لديه من مال وحمله لينفقه فى سبيل الله•• ولم يترك لأولاده شيئا •• اللهم الا ثقته فى ربه •• أما فى مسيرته مع الرسول فكان يمثل جيشا كاملا •• فمرة يمشى أمامه ليرصد ••ومرة يسير خلفه ليحمى ••• وعندما قال له الرسول : يا أبا بكر •• أما تخشى على نفسك ؟ فقال : اننى لا أخشى على نفسى لأنى ان مت فأنا فرد •• وانما أخشى عليك لأن موتك موت أمة •• وحياتك حياة أمة •••

وتتجلى التضحية وتصل الى غايتها عندما سبق النبى صلى الله عليه وسلم ودخل الغار فى الليل المظلم •• والخطر المحدق •• وقطع من ثوبه ليسد الثغرات •• وعندما رآه النبى يفعل ذلك توجه الى السماء داعيا : اللهم اجعل درجة أبى بكر كدرجتى فى الجنة •• فسمع مناديا يقول : قد أجيب لك يا محمد ••• وكما قال فى شأنه : ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد أفضل من أبى بكر الا أن يكون نبيا •••

وأما على بن أبى طالب فبعد أن قام برد الأمانات الى أهلها •• شرع فى الهجرة •• ومن العجيب أن نراه خرج اليها ماشيا على قدميه •• لا زاد معه ولا ماء •• ولا رفيق له ولا أنيس •• فلم ترهبه الصحراء القاحلة •• ولم تخفه الجبال الشامخة •• ولم تفزعه الوديان السحيقة •• ولم تثنه عن عزمه الليالى الموحشة •• أو الطرق الوعرة •• فالايمان دليله •• والعقيدة رائده •• والتقوى زاده •• والذكر عدته•• **« وتزودوا فان خير الزاد التقوى**

واتقون يا أولى الألبــاب (١) •• ومع طول المسافة •• وبعد السفر •• وخطر المسلك •• اســتغرقت مسيرته أسبوعين •• ثم كان اللقاء •• فى قباء فالله أكبر ياعــلى •• لكأنى بك تضرب المثــل الأعــلى لشباب الأمة ليتخذوا من الايمان قوة لاتخمد •• وعزيمة لا تنفد •• وشــحنة لا تنضــب •• وارادة لا تعــرف العجــز أو الكلل •••

أما الصحابة الأبرار •• فلكــل منهم مع الهجرة قصــة •• ومــع التاريخ حكاية •• ومع المجــد رواية •• فكم لاقوا من مشقات•• وصادفوا من عقبات •• وتحملوا من صعوبات •• فضربوا أروع الأمثال •• فى عمق اليقين ورسوخ الايمان •• حتى رضى اللــه عنهم ورضــوا عنــه وذلك هــو الفوز العظيم •••

نفحات من الهجرة : ــ

عندما نستعرض الهجرة النبوية الشريفة •• وعندما نتابع أحداثها •• نجد فى كل خطوة •• وفى كــل حــركة •• وفى كــل نبضــة •• بطولات نادرة •• ومواقف خالدة •• وقدوة صــالحة •• وأســوة طيبة •• وصورة مشرقة •• تتجلى فيها مظاهر الايمان •• وعظمــة الاســلام •• واذا أردنا أن نذكر بعضها •• فهناك السرية التامة•• والتكتم الشــديد •• والحــرص البالغ •• والأخذ بالأسباب ••ثم اســتكمال عــوامل النجــاح •• كاختيــار الشــخصيات الموثوق فيها •• مثل أسماء وأخيها عبد الله وهما ابنا أبى بكر •• وعلى بن أبى طالب وهو ابن عم الرسول عليــه الصلاة والسلام •• وعــامر بن فهيرة ذلك الراعى البسيط الــذى قدم أجل الأدوار •• حين كــان يبدد آثار أقدام النبى وصــاحبه بأغنامه كيلا يتفرسها الأعداء •• وهناك أيضا الشجاعة المنبثقة من العقيدة الصافية •• كمــا كان من عمر بن الخطــاب •• حيث رفض الهجرة سرا وخفيــة •• بل أصر

(١) سورة البقرة ــ آية ١٩٧

عليها جهارا •• ولم يكتف بذلك بل تقلد سيفه وطاف بشوارع مكة حتى وصل الى مجلس الكفار •• ثم نظر اليهم قائلا : شاهت الوجوه •• من أراد منكم أن تثكله أمه •• أو يأتم ولده •• أو ترمل زوجه فليتبعنى وراء هذا الوادى •• فلم يتبعه أحد •••

وان ننسى فلا ننسى وصول النبى صلى الله عليه وسلم الى قباء حيث أقام بها مسجدا — وهو أول مسجد فى الاسلام — رغم أنه لم يمكث بها سوى بضعة أيام • ايكون اشعاعة نور •• ومصدر هداية ••• كذلك عندما وصل الى المدينة المنورة •• فقبل أن يبنى لنفسه بيتا •• بنى لله مسجدا •• وكأنه صلى الله عليه وسلم يهدف من وراء ذلك أن يبين للمسلمين — فى كل زمان ومكان — أن المسجد ضرورة من ضروريات هذه الأمة •• ففيه يتعبدون •• فيه يتعلمون •• فيه يتدارسون•• فيه يتعارفون •• فيه يتشاورون •• فيه يخططون •• ثم منه ينطلقون •• فتكون البركة والعطاء •••

كما أننا لو نظرنا الى المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار لوجدناها ثمرة من ثمار الهجرة •• فبالمؤاخاة قامت المحبة •• وانتشرت المودة •• وساد الترابط والتعاطف بين المسلمين ••• فما أحرانا •• ونحن فى رحاب هذه الذكرى الكريمة — أن نستوحى منها تلك الفضائل •• ونستلهم ما فيها من المكارم •• لننهج نهجهم •• ونسلك سلوكهم •• فنصل الى ما وصلوا اليه من مجد وفخار •••

جابر حمزه فراج

المدير العام للاعلام بالأزهر

القرن الخامس عشر وأخلاقيات العلم

للدكتور / عبد الفتاح عبد الله بركة

الحمد لله الذى أوجد من عدم ، وعلم بالقلم ، والصلاة والسلام على من تمت برسالته النعم ، وتمم الأخلاق بأعلى مراتب الكرم ، بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الاسلامى نبدأ بما بدأ الله به حيث يقول الله تبارك وتعالى .. **« اقرأ باسم ربك الذى خلق ،خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم »** العلق ١ ــ ٥ وهذه الآيات الكريمة التى كانت أول ما نزل من القرآن تحمل فيما تحمل من معانى ذلك المعنى العميق الذى يختص بالعلم . ولسنا نريد أن نشير الى كل ما يمكننا استخراجه فى هذا المجال ، بل نريد ان نشير الى ما يهمنا فى هذا البحث من أن الاسلام كرسالة الهية ، ودين ربانى يؤكد منذ البداية أن العلم نعمة من النعم العظمى التى يمتن الله بها على عباده ، فينسبه الى نفسه جل شأنه فهو الذى علم بالقلم ، وهو الذى علم الانسان ما لم يعلم ، وهو بهذا يجعل العلم حكما وفيصلا ، وهاديا ومرشدا ، ودليلا وقائدا ، وصلة وثيقة بين الانسان وربه ، وهو كذلك يعطى

---

* اعد هذا البحث لالقائه فى احتفال الباكستان بمطلع القرن الخامس عشر الهجرى .

للعلم اطاره ، ويحدد له مبدأه ، ويبين له غايته .

المقصود بكلمة « العلم » :

ولعله ينبغي أن نبين المقصود بهذه الكلمة قبل أن نسترسل في الـ .... حتى لا يختلط الأمر على قارئه ، لأن هذه اللفظة العربية تستعمل بمعنى عام يشمل المعنى الذى تعنيه الحضارة المادية الحديثة وتزيد عليه ، وكما يختلف مصطلح الدين بمعناه العربى عن اللفظة المقابلة له فى اللغات الغربية ، كذلك يختلف معنى كلمة العلم عما يقابلها من كلمات فى هذه اللغات ، فلقد درجت هذه اللغات على استعمال هاتين الكلمتين بطريقة تفصل بينهما ، وتحدد لكل ميدانه الذى يلزمه ولايتجاوزه أو يتعداه ، وقد يكون ذلك راجعا الى مفهوم الدين عندهم ، وعلى عوامل كثيرة ذات جذور تاريخية ساعدت على أن يضعوا العلم فى مقابل الدين ، وأن يسلبوا الدين بطريقة ضمنية غير مباشرة أساسه العلمى ، وأن يسلبوا العلم كذلك وجهه الدينى ، وهذا المفهوم عندهم لا ينطبق على الاسلام كدين ، ولا يترتب بناء على ذلك تلك الانفصالية التى رسمتها الحضارة الغربية الحديثة بين العلم والدين .

وهذا الاختلاف فى المفاهيم هو الذى يجعل من الضرورى أن نتحدث عن مقصودنا من كلمة العلم .

فالعلم كما هو فى الحضارة العربية قد حصر نفسه فى دراسة العالم المحسوس الذى يخضع أو يمكن أن يخضع للتجارب والمشاهدة ، وتبع ذلك أنه أصبح لا يعتمد الا على الواقع الذى تدركه الحواس ، وأصبح بحيث ينبذ كل مالا يخضع للتجارب والملاحظة والمشاهدة وينظر الى العقائد الغيبية باعتبارها أوهاما والى مقتضيات العواطف البشرية المختلفة باعتبار أنها مضللة تحول بين صاحبها وبين الوصول الى أحكام موضوعية محايدة .

وبهذا خرج العلم من اطار

الدين وهيمنته وتوجيهه ، وكف يد الدين ـ أى دين ـ عن وضع مبادئه أو رسم حدوده أو تبيين أهدافه ووسائله ، وزعم أنه نال بذلك الحرية المطلقة التى لابد منها لازدهاره وتقدمه ، ثم زعم أنه سوف يتوصل الى معرفة الحقيقة بغير أن يقع تحت تأثير خارجى أو غيبى لا يخضع للحس والتجربة والمشاهدة •

وليس من مهمتنا فى هذا البحث أن نظهر أنه فشل فى ذلك كله ، فقد تكفلت بذلك بحوث علمية أخرى كثيرة •

وانما يهمنا أن العلم فى المحيط الاسلامى لم يتعرض لمثل هذا الانحراف فى الفهم والتحديد ، بل لعله تعرض للون آخر من التطرف فى ظروف تاريخية محدودة ، فأصبح ينظر اليه على أنه ما كان يتصل بالعلوم الدينية مباشرة من عقائد وتفسير وحديث وفقه وما يدور حولها من علوم ، لكن هذه النظرة الضيقة المتطرفة ، لم تسد فى المجتمع الاسلامى الا فى فترات الجمود والانكماش ، لمقتضيات وأسباب مختلفة •

ومع ذلك فالعلم فى الاسلام ليس هو ذلك العلم الذى يدرس مسائل الدين وحده ، وليس هو العلم المادى وحده ، بل هو أعم من كل منهما لذلك كانت وسائل تحصيله أعم من تلك الوسائل التى اعتمد عليها الآخرون من ملاحظة وتجربة واستنباط • يقول صاحب العقائد النسفية : ان أسباب العلم للخلق ثلاثة الحواس السليمة ،والخبر الصادق ، والعقل، ويبين شارحه معنى العلم، بأنه صفة يتجلى بها كل ما يمكن ذكره والتعبير عنه • ثم يقول : انه ينبغى أن يحمل التجلى على الانكشاف التام الذى لا يشمل الظن ، لأن العلم عندهم مقابل الظن (١) ، فنحن هنا أمام مجال فسيح للعلم ، وأمام وسائل تتناسب مع اتساع المجال الذى ينشط فيه العلم •

---

(١) سعد الدين التفتازانى : شرح العقائد النسفية ص ٩٩ ـ ١٠٨ •

ولهذا نجد أحد علماء المسلمين يقول (١) : العلم الذى أمر به القرآن الكريم هو جملة المعارف التى يدركها الانسان بالنظر فى ملكوت السموات والأرض ، وما خلق من شىء ويشمل الخلق هنا كل موجود فى هذا الكون ذى حياة أو غير ذى حياة . « **أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء** » الأعراف/ ١٨٥ ، ثم يقول : فالعلم الاسلام يتناول كل موجود ، وكل ما يوجد فمن الواجب أن يعلم ، فهو أعم من العلم الذى يراد لأداء الفرائض والشعائر .

ويقول الدكتور محمد يوسف موسى : ان مداول تعريف العلم كما هو فى المصطلح الغربى Sciehce هو بعض ما يطلق عليه لفظ العلم عند المؤلفين الاسلاميين، فقد جاء فى حاشية البنانى على السعد أن أسماء العلوم المدونة تطلق على ادراك القواعد عن دليل كما تطلق على معلوماتها ، وهى القواعد التى يقوم عليها الدليل ، وعلى الملكة الحاصلة من ادراك القواعد مرة بعد أخرى ، أعنى ملكة استحضارها متى اريد .

وحقق السيد الجرجانى أن العلم فى اطلاقه على الادراك يكون حقيقة لغوية ، وفى غير ذلك اما حقيقة عرفية ، أو اصطلاحية، أو مجاز مشهور (٢) .

ومن الواضح أن كلمة القواعد وكلمة الدليل هنا مطلقة أعم من تلك التى يعتمد عليها العلم فى المصطلح الغربى ، ولذلك يمكن القول بأن اطلاق العلم على المفهوم الغربى يعتبر حقيقة عرفية أو اصطلاحية على حد تعبير السيد الجرجانى (٣) .

---

(١) عباس العقاد : التفكير فريضة اسلامية ص ٨٥ ـ ٨٦ .
(٢) مباحث فى فلسفة الأخلاق ص ١٠ ، ومقصود السيد الجرجانى أن العلم يطلق على العلوم وعلى الملكة بطريقة عرفية أو اصطلاحية أو مجازية .
(٣) وذلك عند استعماله بهذا المفهوم فى اللغة العربية .

وللامام الغزالى فى هذا المجال سبح طويل يقول فى كتابه احياء علوم الدين تحت عنوان بيان العلم الذى هو فرض كفاية : اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره الا بذكر أقسام العلوم والعلوم — بالاضافة الى الغرض الذى نحن بصدده — تنقسم الى : شرعية ، وغير شرعية •

وأعنى بالشرعية : ما استفيد من الانبياء — صلوات الله عليهم وسلامه — ولا يرشد العقل اليه مثل الحساب ، ولا التجربة مثل الطب ، ولا السماع مثل اللغة•

ثم يتحدث عن فرض الكفاية من هذه العلوم فيقول : أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا كالطب ، اذ هو ضرورى فى حاجة بقاء الأبدان، وكالحساب فانه ضرورى فى المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها ، وهذه هى العلوم التى لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد ، واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الاخرين •

فلا يتعجب من قولنا : ان الطب والحساب من فروض الكفايات ، فان أصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات ، كالفلاحة ، والحياكة والسياسة (١) •

وقد بين قبل ذلك ماهو من فروض الأعيان مما يلزم كل فرد من واجبات العبادات وفى هذا النص يتبين بجلاء أن العلم بمعناه الغربى الحديث داخل فى دائرة العلوم بمعناها الاسلامى ، بل بمعناها الدينى فى الاسلام حيث تعتبر من الفروض التى يفرضها الاسلام على أتباعه ، وان كانت على سبيل الكفاية بحيث تسقط المسئولية عن المسلمين اذا تكفل بها من يكفى لسد حاجة المجتمع الاسلامى اليها ، مع أنها قد ينظر اليها باعتبار أنها أمور دنيوية ،

---

(١) الجزء الأول ص ١٥

وانها لذلك بعيدة عن نطاق الدين وتوجيهه ، ولكن هذه النظرة ليست اسلامية ، حيث ان الاسلام قد جاء لينظم شئون الدنيا باعتبارها مقدمة لما يكون فى الآخرة ، وباعتبار أن شخصية المسلم لا تنفصم بين ما هو أخروى وما هو دنيوى ، بل كل منهما يرتبط بالاخر على صورة تتكامل بها شخصية المسلم دون تضارب أو انفصام ، واذا أمكن أن تسمى بعض العلوم بالعلوم الدينية ، وأخرى بالعلوم الدنيوية ، فما ذلك الا باعتبار الصلة التى تربطها بالدين من كونها مباشرة أو غير مباشرة ، لا باعتبار أن بينهما انفصالا ، أو أن لكل منهما طريقه الخاص به الذى لا يسمح للآخر بالتدخل فيه أو الاتصال به ، ومن هنا يقول الغزالى : ولعمرى انه متعلق أيضا بالدين ، ولكن لا بنفسه ، بل بواسطة الدنيا ، فان الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين الا بالدنيا ، والملك والدين توأمان (١) .

واذا كانت العلوم التجريبية — فى محيط الاسلام — علوما دينية بهذا الاعتبار فانها كذلك علوم دينية باعتبار كونها عملا يتقرب به الى الله تعالى ، « فان كل علم عمل فانه فعل مكتسب ، وليس كل عمل علما ، والطبيب يقدر على التقرب الى الله تعالى ، فيكون مثابا على علمه من حيث انه عامل الله سبحانه وتعالى به ، والسلطان يتوسط بين الخلق لله ، فيكون مرضيا عند الله سبحانه ومثابا ، لا من حيث انه متكفل بعلم الدين، بل من حيث هو متقلد بعمل يقصد به التقرب الى الله عز وجل »(٢)

مبدأ العلم وغايته .

والحقيقة ان هذه التقسيمات تقسيمات فرعية عقلية نشأت من تدقيق النظر وتعميق البحث ،

---

(١) احياء علوم الدين ١٦/١ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢١ .

ولها اعتبارها الكبير فى موضعها ، ولكن النظرة المبدئية الى العلم فى الاسلام كانت تمزج بين ما هو دنيوى ، وما هو دينى ، بغير اشعار بالتمييز أو التفريق الا ما كان من اعتبار العلم — مطلقا — وسيلة الى معرفة الله والتقرب اليه ، فما كان على هذا الاساس كان علما اسلاميا بمعنى أن الاسلام يقره ويثيب عليه ، ويعتبره علما صحيحا مقبولا ، وما لم يكن على هذا الأساس لم يحظ بهذه المرتبة ، وان كان فى نفسه علما صحيحا مطابقا للحقيقة الواقعية ، ذلك لأنه لم تكتمل له مرحلته الأخيرة وهى هدايته الى الله أو استعماله فى سبيل الله .

فشمولية العلم فى الاسلام تتبدى فى مثل قوله تعالى « **وعلم آدم الأسماء كلها** » **البقرة/ ٣١** قوله تعالى « **كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** » البقرة / ١٥١ وقوله تعالى « **فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون** » البقرة / ٢٣٩ وقوله تعالى « **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون** » النحل/٧٨ وقوله تعالى « **وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم** » البقرة /٢٤٧ وقوله تعالى « **ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا** » **الحج / ٥ وقوله تعالى** « **فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم** » غافر /٨٣ ، فهذه الآيات تذكر العلم بمعنى أعم من العلم الذى يتصل بالدين مباشرة ، وهناك آيات كثيرة مثلها ، وأخرى يمكن لمن يريد أن يقصرها على العلوم الدينية مباشرة فلم نذكرها ، وان كنا نفضل أن ننظر اليها فى ضوء مثل هذه الآيات العامة الا ما يدل

السياق على تخصيصه ، وهنـــاك من الآيات ما يشـــير الى أنواع معينة من العلم خاصة تلك العلوم العملية التجريبية مثل قوله تعالى **« هو الذى جعل الشمس ضـــياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون »** يونس / ٥ وقوله تعالى **« وعلمنـــاه صـــــنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأســـــكم فهل أنتم شاكرون »** الأنبياء / ٨٠ وقـــوله **« يأيها الناس علمنا منطق الطـــير وأوتينا من كل شىء »** النمل /١٦، وآيات أخرى غيرها •

والآيات التى تحض على العلم بمختلف فنونه وألوانه ، أو بقسميه الشرعى وغير الشرعى على حـــد تقســـيم الامـــام الغزالى كثيرة مشهورة خاصـــة تلك التى تحض على الرؤية وعلى النظر ، ولانطيل البحث بذكرها (١) •

لكننا عند مراجعتنا لمثل هـــذه النصوص القرآنية وما شابهها من الأحاديث النبوية نستطيع أن نتبين أن العلم الـــذى يتحـــــدث عنه الاسلام يصدر عن مبدأ أســـاسى هو الدين أو هو التوحيد ، أو هو الله جل وعلا ، وأن بناءه على هذا الاساس هو الـــذى يضمن لـــه استقامته ، وســـــلامة قـــواعده ومبادئه ، وأنه اذا ابتعد عن هـــذا الأساس انحرف فى اتجاهه وأسلم الى قواعد قد تكون صـــحيحة فى ظاهرها ، لكن هذا الخلل المبـــدئى فى أســـاسها يجعـــل باطن هـــذه القواعد غير مســـتقيم ، فهـــذه النصوص حينما تشـــير الى آيات الله فى الخلق بكل صوره وأشكاله وأنواعه تشير اليها فى محيط كونها

---

(١) ويمكن مراجعة هذه الآيات كمثل لها : ١٨٥/٧ ، ١٣/فـ٤، ٧٩/١٦ ، ٦٣/٢٢ ، ٤٣/٢٤ ، ٤٥/٢٥ ، ٨٦/٢٧ ، ٧١/٢٨ — ٧٢ ، ١٩/٢٩ — ٢٠ ، ٢٩/٣١ و ٣١ ، ٢٧/٣٢ ، ٢٧/٣٥ — ٢٨ ٧١/٣٦ ، ٦/٥٠ ، ٢٤/٨٠ ، ٥/٨٦ •

من خلق الله وحده لا شريك له ، والى كونها على أحسن صنع وأتم خلق ، والى كونها على أحكم تقدير وأدق تدبير « **وكل شىء عنده بمقدار** » الرعد /٨ « **والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل شىء موزون ، وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين ، وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم** » الحجر / ١٩ — ٢١ « **وخلق كل شىء فقدره تقديرا** » **الفرقان** /٢ « **يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ،ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم ، الذى أحسن كل شىء خلقه** » السجدة / ٥ — ٧ « **الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى** » الأعلى ٣ — ٤ « **وصوركم فأحسن صوركم** » غافر / ٦٤ « **لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم** » التين/ ٤ « **ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين** » المؤمنون / ١٤ « **ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت** » الملك / ٣ « **أن ربك هو الخلاق العليم** » الحجر /٨٦ وغير ذلك من آيات كثيرة مختلفة الصيغ والأساليب .

كما تدلنا هذه الآيات وأمثالها الى أن وسائل تحصيل العلم بهذه المعلومات أو بهذه العلوم انما هى هبة ومنة من الله وحده ، فالسمع والبصر والفؤاد والعقل والقلب وغيرها من آلات العلم والادراك والمعرفة كلها هبة ومنة من الله وحده .

وأن العلم الحاصل بها انما يرجع الى الله وحده فهو الذى « **علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم** » العلق / ٤ ، ٥ وهو الذى « **خلق الانسان ، علمه البيان** » الرحمن / ٣ — ٤ وهو « **الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى** » طه/٥٠ .

فبداية كل علم وأساسه ينبغى أن يكون من هذه النقطة ، يستوى فى ذلك أن يكون هذا العلم علما شرعيا أو علما غير شرعى ، ولسوف نجد أن كثيرا من العلوم

الحديثة (١) قد فرط فى هذا الاساس ، وأنه لذلك يتعثر فى كثير من مسائله وفروعه .

وكما دلتنا مراجعتنا لمثل هذه النصوص على المبدأ الذى ينبغى أن يكون للعلم فى نظر الاسلام ، فان مثل هذه المراجعة سوف تدلنا على الغاية التى ينبغى للعلم أن يقصد اليها ولقد اشارت آيات خلق آدم عليه السلام الى ذلك حين قال تعالى **« وإذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم مالا تعلمون وعلم آدم الأسماء كلها »** البقرة / ٣٠ — ٣١ فالعلم لتحقيق الخلافة فى الأرض ، ومعنى ذلك أن تدبيرها واستعمارها والعمل فيها لله الذى استخلف الانسان فيها ، وان هذا التدبير والاستعمار والعمل مبنى على هذا العلم الآلهى ، الذى يستمده الانسان من الله ، وذلك كما عرفنا مرتبط بمبدئه ومادته ووسيلته ، وبهذا يصبح العلم مبدءا وغاية ، ومادة وأداه لله رب العالمين ، ولسوف نجد أن كثيرا من العلوم الحديثة قد غملت عن هذه الغاية واستعملت العلم لتحقيق غايات آخرى مقطوعة الصلة بهذه الغاية العليا ، وأنها لذلك تؤدى الى غايات محبطة وتثمر فى النهاية ثمرا مراء .

وينبغى ان نلاحظ أننا حين ذكرنا المبدأ والغاية قد تخطينا مبادىء وغايات تعطى ، اختصارا للبحث وعلما أن هذه الوسائط من المبادىء والغايات سوف تنتهى فى آخر المطاف الى هذا المبدأ الأعلى ، وهذه الغاية العليا .

انسانية العلم فى تحقيق الهيته :

وهذه النسبة الآلهية التى للعلم، مبدأ وغاية ، ومادة ووسيلة ، لا تسلب من العلم انسانيته ، وانما

(١) وذلك مثل علم النفس الحديث ، وعلم الاجتماع الحديث .

تحققها فى أعلى مستوياتها ، وأنقى صـــورها .

ذلك لأنه اذا لم يســــتقر فى أساسه على هذا المبـدأ الآلهى ، فانه لا يمكن أن يستقر على مبدأ موحـــد أبدا ، بل لابد أن تختلف عليه المبادىء ، تبعا لاختـــلاف العلماء فى عقــائدهم وميولهم ، وتبعا لاختلاف الثقافات والبيئات ، بل ــ أكثــر من ذلك ــ تبعـــا للمذاهب السياسية المتقلبة ، والتى يتحكم فيها ــ غالبــا ــ هــوى الحكام ، سواء كانوا فى صــورة فردية أو فى صورة جماعية حسب نظم الحكم المختلفــة ، بل ربمــا تتحكم فيها عواطف العالم والباحث نفسه فتلون بحثــه وعلمــه بلون خاص وصبغة خاصة بحسب مــا يحب أو يكره ، وبحســـــب مــا يستحسن أو يستقبح ، الى غــير ذلك من ألــوان التميز ، ولعـــل الأمثلة فى ذلك من الوضوح بحيث تثـــير كثــيرا من العجب ، فعــلم النفس مثلا حين يدرس فى العالم الشرقى يدرس عــلى أســـاس المبادئ الماركســية ، ولكنــه فى العالم الغربى يدرس على أساس مختلف ، وكذلك علم الاجتمـــاع يدرس عــلى أســاس المبــادىء الماركسية فى العالم الشــيوعى ، ، ويدرس على أســاس آخــر فى العــالم الغربى ، وهمــا كــذلك يدرسان فى هذين المعسكرين على أساس مبـــادىء تختلف عن تلك المبــادىء التى يعرفهــا العــالم الاسلامى ، والذى يستمدها لا من فكر فلان ، ولا من هوى فــلان ، ثم ان العالم النــامى الــذى لم يستقل بعد بعلومه سوف يكون له دوره فى توجيه مثل هذه العلــوم حين يتخلى عن تبعيته العلمية لهذا المعسكر أو ذاك وفقا لاتجــاهاته ومبادئه التى يستقر عليها ، بــل اننا نشاهد فى هــذين العلمين من التقلبات والتغيرات ما يتبع مزاج العلماء فى كثير من الأحيان ، وان كان ذلك لا يجردهما كليــة ممــا فيهما من حقائق علمية ثابتة .

ولسوف نجد كثيرا من النظريات التى نســبت الى العلم ، وهى فى

الحقيقة نظريات عرفية وعنصرية ، تستخدم العلم لفرض نتائجها ، وتحقيق آثارها وفقا لمبادىء سياسية أو مطامع اقليمية .

ولا يصح أن يقال ان العلوم المادية التى تخضع للتجربة والملاحظة وتكرار المشاهدة بعينها كلما تكررت التجربة ، لا يقع فيها مثل هذا الخلط وهذا الالتباس ، بل قد يقع فيها مثل ذلك ، وكم ظهرت أمور تبين منها كيف زيف بعض العلماء بعض الاحصاءات وما يترتب عليها من نتائج توصلا الى ترسيخ فكرة معينة أو مبدأ معين حتى ظهر زيفها أو ظهر — على الأقل — عدم اعتمادها على أساس صحيح وذلك مثل النظرية الداروينية (١) والنظرية الفرويدية (٢) ، وكالنظريات التى يريدون اشاعتها اليوم بين المسلمين خاصة والبلاد النامية عن تكاثر السكان ووقوع كارثة انسانية بناء على قصور الموارد (٣) .

واختلاف المبادىء الذى يؤثر فى اختلاف العلوم واضطرابها لايساعد على أن تصبح هذه العلوم عاملا على جمع الانسانية وتأليفها، والارتفاع بمستواها الى أفق الكرامة التى هيأها لها الخالق جل وعلا ، ومن هنا كانت الهية المبادىء التى تنبنى العلوم على أساسها عاملا مهما فى أن تكون هذه العلوم علوما انسانية بمعنى أن تكون عامل ألفة ومودة وسلام بين بنى البشر .

وكما يقال ذلك بالنسبة للمبادىء يقال مثله وأكثر منه بالنسبة للغايات خاصة تلك الغايات العليا ، التى تتجاوز تلك الغايات الوسيطة ، فالاختلاف فى الغايات الوسطى لا ضير فيه ولا ضرر منه، مادام محكوما فى النهاية بغاية

(١) الخاصة بالتطور والانتخاب الطبيعى .
(٢) الخاصة باستئثار الغريزة الجنسية بمعظم التأثير فى اللا شعور .
(٣) وأصحاب الدعوة الى هذه النظرية لا يطبقونها على أنفسهم ، كأن المبادىء العلمية العامة تختلف باختلاف الأديان واختلاف الأجناس .

عليا ، وإذا كانت الغاية العليا — التى تحكم هذه الغايات الفرعية — غاية الهية كما حدها الله ورسمها لنا فان كل الغايات الوسطى سوف تتعاون وتتكامل ليصبح المجتمع الانسانى موحد الهدف موحد المشاعر ، مترابط الأفكار والعواطف مع تنوع نواحى النشاط ، وتشعب سبل العمل ، وازدهار عوامل التقدم والرقى ، دون أن يجد هذا التنوع فى النشاط وميادين العمل ، ووسائل الازدهار تعارضا أو تناقضا ، ودون أن يبذر بذور الشقاق والخلاف والعداوة ، ودون أن يثير عوامل الأنانية والأثرة ، والتعالى والاستكبار ، ذلك لأن الغاية الأخيرة ، أو الغاية العليا تقوم بالتنسيق والتاليف بين مختلف الغايات الفرعية ، أو الغايات المحلية والاقليمية والعرقية

أما اذا اختلفت تلك الغاية العليا ، أو اختفت وراء زحام الغايات المحدودة ، فمن المتوقع أن تصبح الغايات مختلفة باختلاف القبائل والشعوب والأمم ، وأن تختلف تلك الغايات فى الشعب الواحد بين أفراده ، وأن يعقد هذا الاختلاف فى الغايات اختلافا فى وسائل تحقيقها وتحصيلها والوصول اليها وأن يقع فى المجتمع الانسانى من التعارض والخلاف بقدر ما بين هذه الغايات المحدودة من التعارض والخلاف ، وأن تتدخل عوامل الأنانية والأثرة الفردية والعرقية لتثير نيران العداوة والبغضاء ، خاصة اذا تدخلت الأهواء الشخصية والنعرات السياسية لتحدد أهدافا وغايات لا تراعى فيها غير نطاق محدود ، واطار ضيق يمليه ضيق أفق الانسان من حيث هو انسان ، وقصر نظره الذى تمليه عليه حدود الزمان وحدود المكان ، وحدود بالذاتية القاصرة التى تتعالى وتستكبر فى الأرض بغير الحق •

ولو قلبنا النظر فى معظم ما ينتجه العلم اليوم لوجدنا حظ الفكر والروح فيه قليلا ، ولوجدنا للناحية المادية فيه حظا جزيلا •

فاذا أردنا أن نلقى نظرة على

تلك العلوم التى تهتم بالجانب الفكرى والروحى وجدنا أنها متأثرة كل التأثر بتلك الغايات المحدودة المختلفة ، ولا شك أن القارىء يوافقنى على أن الاسلام كدين له جوانبه الفكرية والروحية العميقة قد عانى ومازال يعانى من تلك البحوث الغربية التى خطط لها فى ضوء أفكار وغايات استعمارية وصليبية وصهونية والحادية عاتية ، وأن صورته لازالت تعانى من التشويه والتزييف حتى بين أبنائه وشعوبه الذين ورثوا الاسلام كابرا عن كابر •

واذا انتقلنا الى العلوم المادية وهى فيما يظن بعيدة عن التأثير بمثل هذا الاختلاف فى الغايات وجدنا أنها لا تخلو من مثل هذا التأثير اما بطريقة مباشرة واما بطريقة غير مباشرة ، بطريقة مباشرة كما اذا أريد تصدير معلومات زائفة الى الآخرين بغية الاحتفاظ والاستئثار بعناصر التفوق والغلبة المادية ويشمل ذلك كثيرا من فروع العلم حتى فى مجالات الصحة البدنية والنفسية، لا فى مجال استخدامات الاسلحة الحربية ، وبطريقة غير مباشرة كما يحدث بعد البحوث التجريبية نفسها فى أثناء عمليات التحليل أو التركيب ، وخاصة فى الناحية التطبيقية ، ومحاولة فرض نتائج قد تصلح لغرض محدود على شعوب وأمم ليس لهم فى هذا الفرض مصلحة ، وانما يقعون فيه فريسة لتحقيق أغراض شعوب أخرى ، اقتصادية أو عسكرية أو سياسية •

وليس أقل من أن العلم يتقدم فى هذه المسائل العرضية المادية ويهمل اهمالا يكاد يكون كاملا جوهر الانسانية فى الانسان ، ولذلك ينهمك فى كثير من التفريعات والتقسيمات التى توغل بالعلم فى المادية الخالصة وتجعله يغفل عن الهيكل الكلى الذى يجمع فى اطاره كل هذه التفريعات والتقسيمات ليعطى الشخصية والملامح الانسانية السامية •

ولقد انحرفت العلوم المادية بناء على هبوط مستوى الغايات التى تهدف اليها لكى تصبح وسيلة من وسائل الدمار ، فى الوقت الذى تعمل فيه لكى تكون وسيلة من وسائل البناء والاعمار ، وأصبحت هذه مشكلة المشاكل فى الحضارة الغربية الراهنة التى تعمل من أجل رفاهية الانسانية وتقدمها ، وهى بهذا العمل عينه تتبنى عوامل هدمه وتحطيمه وابادته ، نظرا لتلك الغايات الأنانية ، واستعمال العلم المادى لتحطيم معنويات الآخرين سلاح يمكن أن يرتد ، لأن شقاء الانسانية فى جانب من العالم لا يمكن أن يظل بمعزل عن التأثير حتى فيمن كان يعمل عليه ويجتهد فيه •

ولسنا نريد أن نتعرض الى مدى الثقة التى يستحقها العلم المادى التجريبى ، فانه يكفينا منه أنه يعترف بأنه علم تقريرى وصفى ، يعتمد على الظواهر دون حقائق الأمور وكنهها ، وأنه لذلك نسبى غير مطلق ولا أبدى ، وأن علينا أن نستفيد منه على ما هو عليه ، لأن هذا هو ما يدخل فى وسعنا وطاقتنا ، لكنه اذا أضيف الى ذلك وضعه فى خدمة هذه الأغراض والغايات المحدودة كانت نتائجه من حيث حقائقه التى يتوصل اليها أو تطبيقاته التى يستخدم فيها مفيدة لأصحابها فى تحقيق أغراضهم وغاياتهم ، ولكنها ضارة بالانسانية فى مجموعها ، محطمة لحضارة الانسان ومدنيته فى حصيلة هذا النشاط العلمى الواسع •

ويخرج الانسانية من مأزق هذا انتناقض بين بناء الحضارة بالعلم ، وهدمها بالعلم ، أن تتناسق كل هذه الغايات فى اطار الغاية العليا ، وهذه الغاية العليا هى ما حدده الله للانسان على هذه الأرض ، بهذا وحده يمكن أن تتحقق للعلم انسانيته ، والا توزعتهم الغايات المختلفة ، والأهداف المتضاربة •

البقية فى العدد القادم •

دكتور عبد الفتاح عبد الله بركة
الأمين العام المساعد لمجمع البحوث الاسلامية

الهجـرة والجهـاد

للدكتور / محمد محمد أبو موسى

ان التاريخ العظيم قادر على أن يخلق أمة عظيمة ، وتاريخ المسلمين وكفاحهم فى سبيل الله حافل بالمثل العالية والأنماط النادرة ، وليس من الخطأ ولا المجاوزة أن نقول ان هذه الأمة أبدعت وورثت فى هذا الباب ما لم تورثه غيرها،وأن قوله تعالى «**كنتم خير أمة أخرجت للناس**» يدل دلالة واضحة على أن عطاء تاريخها الذى هو محصلة حركتها الموصوفة بالخير هو أجل عطاء وأطهره ، وأن تراثها الذى هو أيضا محصلة كفاحها العقلى والروحى المتجه اليه وصف الخير هو خير تراث وأهداه وأفعله ، وهذا يعنى أن مسيرتها العامرة لا تزال منطوية على مزيد من الأحداث والعبر التى تنير لها طريقا هاديا ، وأن المسلمين فى واقعهم لم ينتفعوا بهذا التاريخ الانتفاع الأمثل، وأنهم لوانصرنوا اليه وتبصروه واكتنهوا أحداثه • وتعمقوا أسراره وعبره لكان لهم خيرا أى خير ، ومما لا ريب فيه أن شخصية الفرد والأمة تستمد أدق خصائصها وأفعالها من تاريخها الذى تنتمى اليه انتماء الولد الى أبيه ، وأن طاقاتها التى تواجه بها الحاضر بكل سعته وتزاحم أحداثه واحنه وتداخلها وتعقدها لا تستمد أقوى عناصرها الا من هذا التاريخ الذى يوحى الى النفوس ايحاء لا يقدر عليه سواه • ومن هنا كان بعث الماضى فى وجدان الحاضر ضرورة حضارية لكل أمة تخط

لنفسها فى وجودها مسلكا تتميز به •

وارتقاء الأمم وانحطاطها مرتبط ارتباطا وثيقا بدرجة وعيها بالتاريخ ؛ والذين يجهلون التاريخ لا يصلحون لقيادة الجماعات ، والكتاب وأهل الرأى اذا ضعفت حاستهم التاريخية كانوا مضلة ومهلكة •

وهذه الحملة العمياء الجائرة على تاريخ الأمة ، سواء فى العلم والحضارة والسياسة والأدب من أهم المعوقات التى عاقت حركة الأمة فى زمن نهضتها الحديثة الذى تطاول وعقم اذا قيس بنهضات أمم هى أقصر عمرا وأكثر عطاء من النهضة العربية •

واشاعة القدوة الصالحة من التاريخ أيسر سبيل وأفعله فى تحريك الوجدان وبعث الهمم واعادة تشكيل النفوس على سنة حسنة وطريق مستقيم •

وخطر هذا التاريخ العظيم هو سبب تلك الحملة العمياء التى اجتهدت ولا تزال تجتهد فى أن تغير وجهه فى نفوس ناشئة الأمة ، لأنه لا ريب فى أنها لا تفض خدمتها ولا تكسر حصاتها مادامت واعية به يقظة فى استلهامه •

ويعرف أهل الرأى أن هذه الحملة العمياء الظالمة على تاريخ الأمة انما أطلت أول ما أطلت من صدور أعدائها الملتهبة عليها ضغينة وحقدا ثم ما لبثت أن تلبست بعقول أخر •

ولا أحسب شيئا يفعل فى نفس المسلم بعد كلام الله وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم كهذه الكتب المشرقية الوهاجة التى تحدثنا عن الصدر الأول ووقائعه وفعاله ، مثل طبقات ابن سعد والاصابة والاستيعاب وما هو من هذه بسبيل ، ولا خير فى أن تعزل هذه الكتب عن موارد ناشئة الأمة ، وهى كما خطها أصحابها دانية العطاء وسهلة المأخذ وليس من الخير تجريدها ولا تلخيصها ، وانما من الخير أن يردوا مسالكها ، وأن يتعرفوا على طرائقها بأسانيدها صحيحها وضعيفها ،

وبأساليبها الجليلة العتيقة لأن فى ذلك أنفاسا صالحة .

وأول ما تحدثنا به هـذه الكتب فى شأن الهجرة المباركة ارتباطها الوثيق بفريضة الجهاد الذى هـو أفضـل عمل يعمله المسـلم بعد الايمان بالله ، هكذا كانت الهجـرة فى سـياقها التاريخى وارتباطهـا بالأحداث ، فقد عقـدت بعـدها الألوية ، وسيرت السرايا ، وكانت بمـثابة الاعـداد النفسى لتحمل تكاليف فريضة الجهاد ، وهى أشق وأهول فريضة ، ولا ينهض بهـا خالصـة لوجه الله الا من غلبـه يقينه فى ربه ، وصار أكبـر ما فى قلبه ونفسه هو الله ، وقد نهضت نفوس المسلمين الى الله خفيفـة تواقة ، وطرحت كل ما يبطئها عن غاياتها ممـا يمـاذج النفـوس ويخالطها كالصاحبة والدار والولد.

والطريق الى يثرب يروى من هذا قصصا لا ينتهى منها العجب.

فهذا أبو سلمة أول من وطأت قدماه هذا الطريق مهاجرا يمضى وفى صحبته زوجه وولده، فيعرض له بنو المغيرة بن عبد اللـه بن عمر المخزومى رهـط أم سـلمة . وينزعون منه صاحبته وولده بعد ما غلبهم على نفسه وكانت همته فى الله أثبت من أن يخـذ لهـا أمر الصاحبة والولد فخف رضى اللـه عنه الى غايته ، وترك سلمة وأمه ليواجها عنتا آخر من رهطـه بنى عبد الأسد بن هـلال المخـزومى فينزع سلمة من أمـة ليذهب به رهط ابيه كفاء لما فعله رهط أمه . وتبقى أم سلمة بمنأى عن سـلمة وأبيه ، ولم ينزعه منها بنو عبـد الأسـد نزعا رفيقا وانمـا ظـل الفريقان بنو المغيرة وبنـو عبـد الأسد يتجاذبان سلمة حتى خلعت يده كما روت أمه رضى الله عنها ، وبقيت سنة لا يرقأ لها دمع فلمـا رق لهـا بنو المغـيرة وخـرجت مهاجرة وأرجع لها بنو عبد الأسد ولدها وضعته فى حجرها وهـوت بها راحلتها الى يثرب فى طـريق غير سابل ولا مأمون ولكنها رضى الله عنها سـلكته واجفة راجيـة تستشعر معية الله سـبحانه حتى

قبض الله لها عثمان بن طلحة أخا بنى عبد الدار ويعرف شـأنها فيقول لها والله مالك من مترك ، ويصحبها أحسن الصحبة وأكرمها حتى تلقى زوجها . وتذكر أم سلمة هذا بعد ما واجه المسلمون من الأمر ما واجهوا وتشعر أن مالقيت ولقى زوجها فوق ما لقى هؤلاء جميعا فتقول رضى الله عنها والله ما اعلم أهل بيت فى الاسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة . وما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة .

ولاريب أن أما كأم سلمة بعد هذا التمحيص أهل لأن تعد أبناء مجاهدين وأن رجلا كأبى سلمة وقد غلبه أمر ربه على كل أمر صار مهيأ لأن يطرح نفسه فى مرضاة ربه لا يلوى على شىء .

وهناك كما أشرنا صور كثيرة شهدها الطريق الى يثرب ولكننا نقف هنا لنؤكد ما نريد تأكيده وهو أن الهجرة ارتبطت بالجهاد ارتباطا وثيقا وأنها جاءت بعد العقبة الثانية

وكانت بيعة حرب وجهاد ، قال ابن اسحاق « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة لم يؤذن له فى الحرب ولم تحلل له الدماء ... فلما أذن الله تعالى له صلى الله عليه وسلم فى الحرب وبايعه هذا الحى من الأنصار على الاسلام والنصرة له ولمن تبعه وأوى اليهم من المسلمين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج الى المدينة والهجرة اليها » (١) سيرة ابن هشام ص ٤٦٧ ، ٤٦٨ .

وليس من السداد أن نعلل حادث الهجرة وهو أخطر الأحداث فى تاريخ الدعوة بالفرار من وجه ايذاء قريش ، وان كان هذا الايذاء أمرا لا سبيل الى اغفاله وانما العلة الأم هى أن تبدأ مرحلة الجهاد والمجالدة .

والمهاجرون الأولون كان كثير منهم يعيش فى مكة فى منعة من

(١) سيرة بن هشام ص ٤٦٧ ، ٤٦٨ .

قومه ، وأهل الدور الذين أوعبوا أى خرجوا جميعا مهاجرين وبقيت دورهم تضربها الرياح يبابا كانوا من قبائل ذات عدد ومنعة ، فبنو جحش بن رئاب الأسدى هم الذين كافحوا ملوك كندة ، وقتلوا حجرا أبا امرىء القيس ، وبنو مظعون بن حبيب بن وهب انجمحى وهم أهل حرب وشوكة . ولم يقل أحد أن عمر هاجر فرارا من أذى قومه . ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما لقى الأنصار فى الشعب عند العقبة كان معه عمه العباس وكان لايزال على دين قومه « الا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له . قال كعب بن مالك فيما روى ابن اسحاق . فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب ، فقال يا معشر الخزرج قال : « وكانت العرب انما يسمون هذا الحى من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها » ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه فهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده ، وأنه قد أبى الا الانحياز اليكم ، واللحوق بكم فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ، وما نعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وان كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فانه فى عزة ومنعة من قومه وبلده » .

وهذا صريح فى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنب به فى مكة مضاجعه وأنه كان فى منعة تحميه ممن يبغيه ، وأنه عليه السلام لم يهاجر اتقاء ولم يخرج هروبا ولا ضعفا ، وانما هو أمر الله الذى قضى أن تكون الهجرة بداية مرحلة جهاد ومواجهة حتى يدخل بأمته الساحة العظيمة الجليلة ساحة الدم والشهادة فانه ما تركها قوم الا ذلوا .

وبيعة العقبة الثانية التى كانت الهجرة ثمرة من ثمارها كانت بيعة حرب كما قلنا ، وانما وصفت بذلك لتتميز عن بيعة العقبة الأولى التى

سميت بيعة النساء — روى ابن اسحاق بسنده عن عبادة بن الصامت قال كنت فيمن حضر العقبة الأولى ، وكنا اثنى عشر رجلا فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل أن تفرض الحرب (١) » •

وقد قال البراء بن معرور لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى البيعة الثانية وكان البراء سيد قومه • والذى بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا — أى نساءنا — فبايعنا يارسول الله فنحن والله أبناء الحرب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر •

ولما قال أبو الهيثم بن التيهان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبين الرجال حبالا وانا قاطعوها — يعنى اليهود — فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟ قال كعب بن مالك الشاعر والذى روى عنه ابن اسحاق بسنده فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم أنا منكم وأنتم منى ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » •

وكلام أبى الهيثم واضح فى ادراك خطر هذه البيعة ، وأنها لا تستهدف قريشا وانما تتجه الى كل من خاصم الدعوة والداعى «صلوات الله عليه» وعاق حركتها، واجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهبت بما تختلج به الصدور بهذا الاسلوب الحاسم وتلك النغمة القوية •

والهدم يروى بسكون الدال وفتحها ، قال صاحب اللسان « فالهدم بالتحريك « القبر » يعنى « أقبر حيث تقبرون ، وقيل هو المنزل» أى منزلكم منزلى، كحديثه الآخر المحيا محياكم والممات مماتكم أى لا أفارقكم ، والهدم بالسكون وبالفتح أيضا هو اهدار دم القتيل يقال: دماؤهم بينهم هدم أى مهدرة والمعنى ان طلب دمكم فقد طلب دمى وان اهدر دمكم فقد

---

(١) سيرة ابن هشام ص ٤٣٣

أهدر دمى لاستحكام الألفة بيننا ، وهو قول معروف ، والعرب تقول دمى دمك وهدمى هدمك وذلك عند المعاهدة والنصرة » ج ٦ ص ٨٥ .

هذا واضح فى أن البيعة التى هى أصل الهجرة كانت بيعة خالصة للجهاد والنصرة ، وأن أهل يثرب كانوا متبصرين مشاقها ، وأنهم يتعرضون بها لحرب الأحمر والأسود ، وأن الله سبحانه حين نوه بهذه البيعة انما كان يعلى فريضة الجهاد فى الأمة ويذكر رجالها والقائمين عليها واقبال الله سبحانه وتعالى على الأمة وذكره والتنويه به فى كتابه العزيز يعنى شيئا كبيرا جدا .

ثم ان الهجرة وهى ثمرة بيعة الجهاد كما قلنا ذكرت فى القرآن مقترنة بالجهاد فى أكثر مواضع ذكرها فى الكتاب العزيز ، ثم ان الهجرة والجهاد كثيرا ما يذكران مقترنين بالايمان بالله . وفى هذا دلالة واضحة على أن الجهاد فى سبيل الله ضرورة لازمة لبقاء هذه الشريعة وأن اعداءها من اليهود والدين اشركوا والنصارى وغيرهم لا يرضون عن أهلها الا اذا اتبعوا ملتهم أو شايعوا ثقافتهم وحضارتهم وعاشوا تحت مظلتهم، والمهم أنه فى غيبة الجهاد لابد أن يكون هناك ضرب من التبعية وليسم صداقة أو تعاونا أو ما شئت .

قلت ان الهجرة والجهاد والايمان تقترن ثلاثتها فى الكتاب العزيز ، تجد فى القرآن هذا الاسلوب « **أن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله** » سورة البقرة آية ٢١٨ وقد يتغير قليلا تبعا لسياقات المعانى والسور فيأتى هكذا « **أن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله** » سورة الأنفال آية ٧٢ فتعطف الهجرة والجهاد على الايمان من غير أن يتكرر الموصول ويقيد الجهاد بالنفس والمال أو يأتى هكذا « **والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله** » (الأنفال آية ٧٤) فيبقى الجهاد مطلقا ويرسل الكلام من غير توكيده هذه ألوان

من المعانى تتشابه وتتغاير وبحث تعلقاتها بسياقات معانيها من البحوث النفسية من كتاب الله ويسميها العلماء علم المشتبهات وهو غير المتشابهات ، والمقصود الان هو بيان هذه اللحمة الوثيقة بين الهجرة والجهاد والايمان وأنه مهما حدث من تغيير فى الصياغة ذلك التعبير الذى يضيف معانى وأحوالا فالأصل باق وهو اقتران الهجرة بالجهاد وبالايمان •

ثم ان هذه المنزلة السامقة التى ذكرها القرآن للمهاجرين والأنصار ليست فقط لأن الأولين أخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيل الله ولا لأن الآخرين أكرموا وفادتهم عليهم لأن هذا لا يبلغ مرتبة الجهاد فمنزلة المهاجرين لأنهم هاجروا وجاهدوا ومنزلة الأنصار لأنهم آووا ونصروا ، وتقديم الهجرة على الجهاد فى سياقات القرآن كتقديم الايواء على النصرة من حيث ملاحظة ترتيب وقوع الأحداث يعنى هو تقديم أسبقية وليس تقديم أفضلية •

وكان سيدنا عمر بن الخطاب «رضى الله عنه» صاحب لقانه ونفاذ لم يتهيأ لغيره الا أن يكون نبيا ، وحين جعل الهجرة بداية تاريخ المسلمين انما قصد الى ما يرتبط بها من الجهاد فى سبيل الله حتى تكون ذكرى الهجرة فى كل سنة مناسبة كريمة لذكر فريضة الجهاد وما تتطلبه من تهيئة النفوس للعطاء الذى لا حد له فى سبيل تحقيق كلمة الله على حد ما فعل المهاجرون الأولون رضوان الله عليهم •

وتعطيل فريضة الجهاد أو اهمالها أو شغل الناس عنها يعنى أمرا خطيرا جدا هو اعداد الأمة لتنقض عليها الأمم كما تنقض الأكلة على قصعتها ، ثم هو معارضة صريحة لكلمة الله — **« يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال »** الأنفال آية ٦٤ •

نعم ان الاسلام سلام وحب لمن ود الأمة وحفظ عهدها ، ثم هو أيضا بغض وكره لكل من غدر وخاس وانطوى على مضغونه •

وصرف الأمة عن الجهاد والسكوت عن تحريضها عليه خطأ لا يقع فيه عاقل ينتمي الى هذه الأمة ، ويزداد حجم الخطأ والخطر اذا افرغنا نفوس ناشئة المسلمين مما يلزم لمواجهة أعدائهم الذين يكادون يسطون بهم ، والذين بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ، والذين يعضون على أناملهم من الغيظ ، أقول اذا فرغنا نفوس الناشئة مما يجب أن يترسخ فيها لمواجهة هذه الضغائن السود والتى حدثنا عنها ربنا وليس أصدق منه قيلا ، يكون ذلك منا خيانة ليس لدين الله ولا للتاريخ وانما أيضا لأبنائنا وبناتنا الذين سيرثون أرضنا من بعدنا •

والله سبحانه هو الهادى الى الحق والى طريق مستقيم وصل يارب على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين •

د • محمد محمد أبو موسى

« الفضيلة »

الفضيلة هى الحد الفاصل بين طرفى التفريط والافراط •

وبعد تجاوز هذا الحد الى أحد ذينك الطرفين نقصا فى كمال الانسان •

المسلمون والقوة الرادعة في القرن الخامس عشر

للواء / محمد جمال الدين محفوظ

عبرة التاريخ

عن أنس رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس ، لقد فزع أهل المدينة ليلة ، فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر ، على فرس لأبى طلحة عرى (بدون سرج) والسيف فى عنقه وهو يقول : (لن تراعوا .. (رواه الشيخان) .. الى هذا الحد كانت يقظة الرسول القائد صلى الله عليه وسلم ودرجة استعداده العالية لمواجهة الخطر الذى يهدد أمته ، وهذا درس ينبغى أن تعيه الأمة الاسلامية وتتدبر مغزاه وهى تخطو نحو القرن الخامس عشر الهجرى .

ان الاسلام يعلمنا أنه ليس هناك أخطر على الأمة وعلى أمنها وسلامتها من الغفلة عن الخطر المحدق بها ، ويحثنا على اتخاذ الحيطة والحذر ، وعلى أن نكون على أقصى درجات التأهب والاستعداد لمواجهة العدوان وقمعه ، قال تعالى : « **يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم** » (النساء ٧١) ـ « **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا** » (المائدة ٩٢)

وهل هناك أدل على ذلك من أن الاسلام يأمر المسلمين باتخاذ الحذر والحيطة والاستعداد حتى فى الصلاة التى يؤدونها لله ويكونون فيها بين يديه سبحانه :

« واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » (النساء ١٠٢) •

فالاسلام لا يرضى بالتواكل أبدا أو ترك الحذر ، ويفتح عيون المسلمين على الخطر المحدق بهم من أعدائهم المتربصين الذين ينتظرون لحظة الغفلة منهم ، ويجسد عواقب هذه الغفلة والأضرار البالغة التى يتعرض لها المسلمون من جرائها : **« فيميلون عليكم ميلة واحدة »** •

ان تاريخ هذه الأمة يشهد بأنه حين كان أبناؤها مجاهدين مرابطين عاملين بتعاليم دينهم باعداد القوة التى ترهب الاعداء ، سادوا وقادوا •• وبأنه حينما تخلى المسلمون عن الجهاد والرباط والتفتوا الى الدنيا وزينتها ، وانشغلوا بالخلافات الداخلية ، وغفلوا عن الخطر المحدق بهم ، ضعفوا وضاعوا ، ومال عليهم أعداؤهم ميلة واحدة وتسلط عليهم من لا يخافهم ولا يرحمهم فسقطوا من المكان الذى كانوا فيه فى العلياء بين الأمم ••

فاعتبروا يا أولى الأبصار •

فلابد للأمة الاسلامية اليوم أن تدرك حجم الخطر الذى يتهددها فى حاضرها ومستقبلها ، فأوقات الخطر هى دائما فرصة الأمم الحية لابراز كل ما لديها من الملكات الانسانية والذخائر المادية والحضارية لكى تستطيع مواجهة الخطر وهزيمته •

وفى يقينى أن الاحساس بالخطر يحقق لهذه الأمة أمرين فى غاية الأهمية :

الأول : توحيد كلمة المسلمين لأنه ليس هناك كالاحساس بالخطر حافز على التضامن والتعاون وتوحيد الصفوف ، وفى سجل التاريخ مواقف وحروب اتحدت فيها كلمة عدة دول ليس بينها شىء من مقومات الوحدة ، لكن جمعها

ووحد كلمتها الاحساس بالخطر المشترك وادراكها لضرورة التعاون وحيويته فى مواجهته ، بل ان فى سجل التاريخ دولا اتحدت كلمتها وحاربت جنبا الى جنب فى مواجهة خطر مشترك رغم ما بينها من تناقض صارخ فى العقيدة والمذاهب السياسية والاجتماعية والاقتصادية (١) .

والثانى : توليد أقوى الحوافز والدوافع الى بناء القوة الذاتية القادرة على الدفاع عن الأمة الاسلامية وتأمين سلامتها فى حاضرها ومستقبلها .

كيف يفكر غيرنا ؟

لقد أحس الخبراء العسكريون الذين يرسمون الاستراتيجية العليا لدول حلف الأطلنطى « ببوادر » خلل فى التوازن بين حلفهم والحلف المضاد وهو حلف وارسو : ـــ

(١) فقد قدروا حجم الانفاق العسكرى السوفيتى سنويا ما بين ١١ و ١٣ بالمائة من مجمل الدخل القومى مع زيادة سنوية ثابتة تبلغ خمسة بالمائة ، وهذه الأرقام تزيد ثلاث مرات على الأقل عن الارقام المماثلة لغالبية دول الاطلنطى .

(٢) وشعروا بأن السوفييت قد بلغوا درجة من التقدم التقنى (التكنولوجى) أتاحت لهم انتاج أنواع جديدة من المعدات الحربية تماثل بل وتتفوق فى بعض النواحى عن مثيلتها لدى دول الغرب .

فماذا فعلوا ؟

لقد انعقد مؤتمر قادة دول الحلف مؤخرا وقد وصفه المراقبون بأنه من أخطر المؤتمرات التى عقدت منذ انشاء الحلف حيث قرروا فيه السياسة التى يجب اتباعها لاعادة التوازن فى ميزان القوى ، وقد تبلورت هذه السياسة فى ثلاثة اجراءات واضحة ومحددة من المفيد أن نتأملها لكى ندرك كيف يفكر غيرنا :

---

(١) من أمثلة التاريخ المعاصر اشتراك أمريكا وانجلترا وفرنسا وروسيا فى جانب واحد وجبهة متحدة ضد ألمانيا الهتلرية فى الحرب الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ م .

أولا : زيادة موازنات التسلح ابتداء من عام ١٩٧٩ وحتى عام ١٩٨٤ بمقدار ٣ بالمائة سنويا على أساس الانفاق الحقيقى •

ثانيا : اتخاذ كافة الاجراءات الكفيلة برفع مستوى الكفاءة القتالية لجيوش الحلف على المدى القصير (وقد بدأت فعلا فى نهاية عام ١٩٧٩) أى سياسة قصيرة المدى •

ثالثا : اتخاذ سياسة بعيدة المدى لتحديث وتطوير جميع فروع القوات المسلحة لحلف الأطلنطى فى خلال عشرة أعوام ، والملاحظ أن هذا البرنامج يوضع لأول مرة فى تاريخ الحلف وقد سمى « ببرنامج الدفاع طويل المدى » (١)

فأين نحن من التكليف القرآنى

فى الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجرى انقسمت دول العالم فى مجال القوة الحربية الى فئتين:

(١) الفئة الأولى تضم الدول التى تملك الأسلحة النووية ، وقد شاهد العالم كيف نشأ بين هذه الدول سباق شديد لتحقيق توازن فى القوى بحيث لا تحقق احداها تفوقا ساحقا على غيرها حتى لقد بلغ المخزون لديها من هذه الاسلحة الفتاكة ما يكفى لتدمير العالم عشرات المرات لا مرة واحدة !

وقد تولد عن هذا التوازن اقتناع لدى الشرق والغرب بعدم جدوى الحرب وبأن قيامها بينهما هو الانتحار بعينه لان كلا منهما يملك القدرة على الردع والانتقام بالسلاح النووى اذا ما تلقى الضربة المدمرة أولا •

(٢) والفئة الثانية وتضم الدول التى لا تملك الاسلحة النووية ،

---

(١) وقد أكد المعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية فى لندن أن الاتحاد السوفييتى وحلفاءه قد حققوا تفوقا كبيرا على دول الغرب فى مجالى الاسلحة الاستراتيجية النووية والاسلحة التقليدية ، وذكر المعهد أن الامر سيتطلب عدة سنوات حتى يمكن للغرب تخطى تفوق دول حلف وارسو ، وأضاف أنه لا يمكن توقع حدوث زيادة كبيرة فى مقدرة حلف الاطلنطى قبل أن يبدأ الحلف فى نشر نظمه الصاروخية طويلة المدى فى عام ١٩٨٣ أو ١٩٨٤ تقريبا (جريدة الاهرام ١٩٨٠/٩/١٨) •

والتى ليس أمامها الا الاسلحة التقليدية لبناء قوتها الحربية والدفاع عن نفسها ، والتى تعيش أيضا فى ظل التهديد باستخدام الاسلحة النووية ضدها ، فهى فى كلا الحالين تفتقد الاحساس بالأمن فى هذا العالم المضطرب غير المستقر .

والتكليف القرآنى يطلب من الأمة الاسلامية أن تعد القوة والمرابطة التى ترهب الأعداء وتخيفهم من عاقبة عدوانهم ، يقول الله تعالى : « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم** » (الأنفال ٦٠)

وواضح من تقسيم العالم الذى ذكرناه أن الدول التى تستطيع ارهاب اعدائها هى دول الفئة الأولى التى تملك الأسلحة النووية طبقا لمعطيات عصرنا الذى نعيش فيه .

ومن ذلك نستطيع على الفور أن نقرر أن الأمة الاسلامية فى العصر الحاضر يجب أن تنتهج لنفسها سياسة دفاعية تقوم فى صميمها على أساس تملك الأسلحة النووية لكى تكون لها قوة الردع الفعالة .

ذلك هو التطبيق العملى لنظرية الردع الاسلامية المتمثلة فى الآية الكريمة من سورة الأنفال وفى الحديث الصحيح « نصرت بالرعب مسيرة شهر » (من حديث طويل عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما) .

فالتكليف القرآنى باعداد القوة الرادعة قائم وباق الى أن تقوم الساعة ، ويقضى منطقيا أن تتطور القوة فى شكلها ونوعها وتركيبها وأساليب استخدامها لتناسب روح العصر الذى يحتويها .. فان لم تفعل الأمة ذلك وتخلفت عن مقتضيات عصرها ، فلن يكون لقوتها فعل الارهاب ، وقد تعجز حتى عن الدفاع عن نفسها ، وبذلك تتعرض للخطر والهلاك .

هل الطريق مسدود ؟

وقد يبدو لاول وهلة أن الطريق مسدود أمام الأمة الاسلامية لبلوغ هذه الغاية وخاصة بعد أن تخلفت

عن ركب التقدم حتى أصبحت هناك « فجوة تكنولوجية » كما يطلقون عليها بين هذه الأمة والأمم المتقدمة •

ومما ساعد على ترسيخ هذا الاعتقاد فى الأذهان — وهو فى يقينى لون من ألوان الحرب النفسية أو الدعاية — أن هناك حملة فكرية منظمة لتعميق الشعور بالاحباط والعجز المتزايد عن مواجهة القوى الكبرى أو اللحاق بالدول الصناعية المتقدمة ، وغرس الاحساس بالتدنى وتنمية « عقدة النقص » فى مواجهة تفوقها العلمى والتقنى • ولكنه لا ينبغى أن ننساق وراء اتجاهات التثبيط أو التخذيل فأن ما لدى العالم الاسلامى من قدرات وامكانات يبشر بخير كثير فى هذا المجال لو خلصت النوايا وحشدت الطاقات وتحقق التعاون والتنسيق :

(١) فهناك عدة دول من العالم الاسلامى دخلت مجال الطاقة النووية على درجات متفاوتة نذكر منها باكستان ومصر وايران والعراق والجزائر وليبيا والكويت وتركيا وبنجلاديش وأندونيسيا ، وتبشر الجهود المخلصة التى تبذل بتحقيق تقدم كبير •

(٢) والخامات الذرية كاليورانيوم والثوريوم موجودة فى باطن الأرض الاسلامية وقد قدرت التقارير الدولية عن الخامات الذرية عام ١٩٧٧ أن لدينا ما يعادل ثمانية فى المائة من مخزون العالم من خام اليورانيوم •

(٣) ولدى الأمة الاسلامية من العلماء والمتخصصين والموارد المالية ومراكز البحوث ما يمكنها من تلبية مطالب الكشف والبحث والانتاج فى مجال الطاقة النووية •

القدرات الدفاعية والهجومية

ان الاسلام دين سلام ورحمة ، والسلام فى مبادىء الاسلام أصل فى عقيدته ، وعنصر من عناصر تربيته ، وهدف يعيش فى وجدان الفرد وفى بناء الأمة •• لكن الاسلام — فى الوقت نفسه — دين عملى ، يأخذ الحياة من واقعها وينظر الى الناس من خلال فطرتهم التي فطروا عليها ، فقد راعى طبائع

الخلائق وميلها الى المشاحنات ، فرأى أن يعد أهله للقتال اذا قوتلوا ..

وهكذا اقتضت حكمة الله جل شأنه أن يكون الاسلام دين قوة ليدافع بها عن نفسه لا ليعتدى بها على الآخرين **« ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين »**

من أجل ذلك فان الاستراتيجية الحربية التى توجه اليها نظرية الردع الاسلامية فى الآية الكريمة من سورة الأنفال هى « استراتيجية ردع دفاعى تملك القدرة الهجومية وهو ما نوضحه فيما يلى :

(١) ان اقتران الردع (ترهبون) وتأسيسه على القوة والمرابطة **(من قوة ومن رباط الخيل)** يفهم منه بكل وضوح أنه لابد أن تتوفر فى تلك القوة « القدرة الهجومية التى تقنع العدو — حين يضع حساباته وتقديراته — بأنه سوف يكون هو الخاسر لو تحرك بعدوان .

وقد أبرز خبراء الاستراتيجية الحربية هذا المبدأ حديثا فأكدوا : « أن العقيدة العسكرية ذات الطابع الدفاعى البحت لن تكون لها سوى قدرة ضعيفة على الردع الا اذا توفرت لديها القدرة الهجومية ، لأن مفتاح الردع هو القدرة على التهديد » .

(٢) فالقدرة الهجومية ضرورة حيوية لأى جيش لان الحرب تنطوى على مواقف مختلفة يتطلب كل منها شكلا مختلفا من أشكال العمليات الحربية كالدفاع والهجوم والمطاردة والانسحاب . والجيش الذى يدافع عن جبهة ما لا يقتصر نشاطه على العمليات الدفاعية فحسب وانما يستخدم من الاشكال الاخرى للعمليات ما يقتضيه الموقف .

(٣) فليس من صواب الرأى أن نجعل « الهجوم » مرادفا «للعدوان» لان الهجوم عمل حربى قد يقتضيه الموقف حتى فى اطار الاستراتيجية الدفاعية ولصالح الدفاع ورد العدوان ولعلنا سمعنا عن المبدأ القائل : « ان الهجوم هو خير وسيلة للدفاع » .

ونستطيع أن نستوحى من لفظ « قوة » الذى ورد فى الآية مطلقا غير محدد أنه ينطوى ــ فيما ينطوى عليه ــ على القوة الدفاعية والهجومية معا ، ونلمح هذا المعنى أيضا فى لفظ « الخيل » الذى ينطوى على مفهوم مع ما يدل عليه من المعانى العديدة •

(٤) وبتحليل الغزوات التى قادها الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه (٢٨ غزوة) نجد أن سبعا منها خرج فيها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوة محدودة من المسلمين لمهاجمة أعداء علم أنهم يدبرون للهجوم عليه ، ففاجأهم فى عقر دارهم وأجهض تدبيرهم كما نلاحظ أن الاعداء فى هذه العمليات كانوا يفرون تاركين ديارهم وأموالهم وأنهم تخلوا تماما عن فكرة مهاجمة المدينة • وهذه العمليات هى : غزوة بنى سليم فى شوال سنة ٢هـ ــ غزوة ذى أمر فى المحرم سنة ٣ هـ ــ غزوة بحران فى ربيع الاول سنة ٣ هـ ــ غزوة ذات الرقاع فى شعبان سنة ٤ هـ ــ غزوة دومة الجندل فى ربيع الاول سنة ٥ هـ ــ غزوة بنى المصطلق فى شعبان سنة ٥ هـ ــ غزوة بنى لحيان فى جمادى الاولى سنة ٦ هـ •

وفى ضوء « استراتيجية الردع الدفاعى التى تملك القدرة الهجومية » على الامة الاسلامية أن تبنى جيوشها على هذا الاساس بحيث تملك الاسلحة الهجومية مع الاسلحة الدفاعية حتى تكون لديها قوة الردع الفعالة فى هذا العصر •

درجة الاستعداد العالية :

لقد أصبح مصير الامم فى هذا العصر متوقفا على درجة استعدادها لرد عدوان أعدائها وعلى قدرتها ــ قبل ذلك ــ على منع العدو من مباغتتها •

وكل الدول اليوم تؤسس استراتيجياتها الحربية على استخدام أحدث أساليب الانذار المبكر ووسائل الاستطلاع المتقدمة وجمع المعلومات وعلى الاحتفاظ بقواتها المسلحة (أو جزء منها) على حالة دائمة من الاستعداد للقتال الفورى • وليس أدل على ذلك مما نسمع عنه اليوم من أقمار التجسس التى تدور فى الفضاء

بصفة مستمرة حول الأرض لرؤية ما يدور على سطحها مـن حركات وتدابير حربية (١) •

من أجل ذلك فان عـلى الأمة الاسلامية أن تتخـذ كل وسـائل الاستعداد والانذار والحذر طبقا لمقتضيات عصرها ليتحقق لها الامن والسلامة من المباغتة على الأسس الآتية : ــ

(١) الحصـول مبكرا عـلى المعلومات عن الأعـداء ونواياهم واستعداداتهم العدوانية •

(٢) حرمان العدو ــ فى الوقت نفسه ــ مـن الحصـول عـلى المعلومات عن الأمة أو جيوسها (٢)

(٣) الحراسة المستمرة لحـدود البلاد وسماتهـا ومياهها الاقليمية ومواقع الجيش والمنشئات الحيوية المدنية والعسـكرية كالمـوانى والمطـارات وشـبكات الطرق والمصانع والتجمعات السـكانية والمعابر •• الخ •• لوقايتها مـن الأعمال العدوانية والتخريبية ورد العدوان عنها •

واذا كان معنى الرباط فى الماضى هـو ربط الخيـل فى الثغور التى يتوقع هجوم العدو منها بقصـد الاسـتعداد لرده وصـده وقمع عدوانه ، فانه بمفهوم العصر قـد أصبح واسع المدلول وممتدا ليشمل

---

(١) من ذلك على سبيل المثال القمر الصناعى «بيج بيرد» الذى لايتجاوز طوله ٥٥قدما وعرضه ١٠ أقدام ووزنه ١٢ طنا ، ويظل يدور فى الفضاء على ارتفاع ٢٥٠ أو ٩٠ ميلا حسبما يراد له ، ويظل يلتقط بعدساته «الالكترونية» ومستشعراته الحرارية ، وأشعته تحت الحمراء ، وموجاته التليفزيونية ، كل ما يجرى فى ميدان الحرب مرة كل ٩٠ دقيقة أو نحو ذلك ، ولمـدة ٢٥٠ يوما متصله ليلا ونهارا ، فوق مساحة تزيد مائة مرة عما كانت تستطيع أن تراة طائرة الاستطلاع (وهى الوسيلة التى كانت تستخدم من قبل) وبدقة تفوق دقتها عشرات المرات • وهذا القمر يستطيع أن يعيد ما قام بتصـويره من (أفلام) الى الارض فى نقطة بعينها حيث يتم التقاطها والافادة بمـا تحويه من معلومات كثيرة بالغة الاهمية •• وهكذا أصبح فى قدرة قمر فضاء واحد أن ينجز من المهام ما تعجز عن انجازه المئات من طائرات الاستطلاع ، وتحت ظروف جوية قد تمنع اقوى الطائرات من الاقلاع فى الجو •

(٢) انظر مقالنا فى مجلة الازهر شعبان ١٤٠٠ « الامـن ومقـاومة الجاسوسية والتخريب فى ضوء الاسلام » •

كل مساحة الدولة وليس الحدود فقط ، وليشمل أيضا سماء الدولة ومياهها الاقليمية وليس أرضها فقط ، وهكذا أصبح الرباط واجبا وطنيا على أبناء الأمة جمعاء الذين ينظمون فى أجهزة الدفاع الشعبى والدفاع المدنى والانقاذ والاسعاف والاطفاء وغيرها من الأجهزة بالاضافة الى القوات المسلحة •

القدرة على الحركة السريعة

ومن القدرات التى يجب أن تسعى الأمة الاسلامية الى امتلاكها والتجويد فيها القدرة على الحركة السريعة • وهى قدرة وثيقة الصلة بدرجة الاستعداد لرد العدوان ، اذ لا جدوى من أن يصلنا الانذار المبكر بالخطر ونحن لا نملك الحركة السريعة على مواجهته فى الوقت المناسب والمكان المناسب •

ولقد ضرب لنا الرسول صلى الله عليه وسلم — كما قدمنا — المثل على تلك القدرة حين استطاع الحركة بسرعة نحو أعدائه الذين علم أنهم يدبرون للعدوان فوصل اليهم حتى قبل أن يستعدوا لمواجهته بدليل فرارهم من ديارهم •

ويشير الى ذلك أيضا قوله تعالى : « **والعاديات ضبحا • فالموريات قدحا • فالمغيرات صبحا • فأثرن به نقعا • فوسطن به جمعا** » (العاديات ١ — ٥) ففى هذه الآيات يقسم الله تعالى بخيل الجهاد المسرعات التى يسمع لأنفاسها صوت هو الضبح من شدة الجرى ، ويتطاير الشرر من تحت حوافرها من شدة قدحها للأرض الحجرية والتى يهجم بها فرسانها على العدو فى وقت الصباح ليأخذوه على غرة ، والتى يكون من شدة جريها أنها تثير غبار الطرق فى وقت الصباح ، فتدخل وسط جمع الأعداء فتشتته ، وتنطوى الآيات على تنبيه المؤمنين ليكونوا دائما على أهبة الاستعداد بالقوة وبالقدرة على الحركة السريعة فيها بهم من تحدثه نفسه باضعافهم أو العدوان عليهم •

ونحن نرى الدول الكبرى اليوم حريصة على أن يكون لديها القدرة على الحركة السريعة التى تمكنها من التدخل فى الوقت المناسب — وقبل أن يفوت الاوان — فى مناطق الاحداث التى يهمها أن تتدخل فيها

بحسب مصالحها وأهدافها الاستراتيجية ، فنراها لكى تحقق لنفسها تلك القدرة تتخذ تدابير متعددة مثل قاذفات القنابل الاستراتيجية التى تجوب البحار والمحيطات قريبا من مسارح الأحداث ، والأساطيل البحرية التى تبقى باستمرار فى المناطق الحساسة وعليها قوات وأدوات مستعدة للعمل الفورى ، ونراها أيضا تحرص على أن تتخذ لنفسها قواعد بحرية أو جوية خارج أراضيها لكى تكون قريبة من مناطق الخطر وتختصر المسافة والزمن اللازمين للتدخل الفعال .

ردع القوى المضادة

وعلى الأمة الاسلامية فى هذا العصر الذى انتشرت فيه أعمال العنف والتخريب والجاسوسية والحرب النفسية بصورة مذهلة ، أن تتدبر النظرية الاسلامية فى الردع لكى تدرك أنها لا تستهدف ردع العدو الخارجى الظاهر فقط ، بل تستهدف أيضا ردع أعداء الأمة من القوى المضادة التى تعمل ضدها فى الخفاء والتى قد يكون خطرها — لو غفلت عنها أو لم تتصد لها — أفدح بكثير من خطر العدو الظاهر .. وهذا هو ما يفهم بوضوح من نص الآية الكريمة فى عبارة « **وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم** » وقد فسر السابقون هذه الفئة بالمنافقين الذين يلبسون ثوبا ظاهره الرحمة وباطنة العذاب ، وغير أنها تنطوى بلغة العصر على كل « القوى المضادة » التى تحقد على الأمة وتنفث سمومها فى الخفاء وتثير الفتنة وتروج الشائعات وتغرى بالسلبية وتقتل الارادة والايجابية .

ومن هذه الفئة من يكون داخل البلاد الاسلامية وبين صفوف أبنائها ، ومنهم من يكون خارجها يدبر ويخطط ويسعى بكل الاساليب العلمية للحرب النفسية والتخريب المعنوى والمادى من أجل ذلك فقد اشتملت نظرية الردع الاسلامية على تلك الفئة من الاعداء الخفيين، وأوجبت على الأمة اعداد كل

وســـــائل القـــوة التى ترهبهـــا وتردعها •

والأمر الجدير بالتأمل والتدبر هو ما ينطوى عليه لفظ «ترهبون» فى الآية الكريمة مـــــن معـــــان وتوجيهات ، حتى نعرف ما الذى يطلبه الاسلام من الأمة لمواجهـــة تلك الفئة •• انه يطالبها بأن تكون أعمالها وتدابيرها على النحو الذى يوقع الرهبة فى قـــلوب أولئـــك الأعداء ؛يخيفهم من عاقبة سلوكهم أو حركاتهم •

وهذه المسئولية لا تقع عـــلى عاتق الدولة وحدها بل تقع عـــلى عاتق المواطن أيضا : ـــ

الدولة : بتدابير الأمن الوقائى بكل الاحكام والقوة •

والمواطن : باليقظة والمعـــــرفة والوعى ومراعـــاة كتمان الاسرار ومعاونة السلطات •

ان الاسلام ـــ كما تشير نظرية الردع ـــ يريد أن تبلغ تدابـــــير الدولة ووعى المواطن حـــدا ينخلع معه قلب كل من تسول له نفسه أن يقترب من جماعة ليثير فتنة ، أو يطلق شائعة ، أو يهتك سرا أو يدعو لفـــكرة هـــدامة ، أو تمتد يـــده بالتخريب أو التدمير لمنشأة مـــن المنشئات •

وبدهى أن التـــدابير كلما زادت قوة واحـــكاما ، قلت فرص العمل للمخربين والقوى المضادة ، ألم تر الى اللص كيف تدفعه التـــــدابير المحكمة لحراسة خزائن البنوك بكل أساليب العلم فى الانذار والتأمين والوقاية الى التخـــلى تماما عـــن محـــاولة السرقة ، وكيف تغـــريه التدابير الضعيفة لحراسة بيت أو متجـــر ؟ ثم ان النظرية الاسلامية ترشد أيضا الى أسلوب التعامل مع من يركب رأسه ولا ترهبه تدابيرنا فيرتكب من الأعمال ما يضر بأمـــن الأمة وسلامتها ، فتوجهنا الى أن نجعل العقاب رادعا يثير الرهبة فى نفسه فلا يعـــــود الى فعلته مرة أخرى ، وكما يثيرها فى غيره ويكون عبرة لهم •

والخلاصة :

أن على الأمة الاسلامية أن تقيم

بكل الدقة قدراتهـا الدفاعية وأن تجعـل عـلى قمة أهدافهـا الاستراتيجية وهى تستقبل القرن الخامس عشر أن تعود اليها قدرتها على الردع كما أرادها الاسـلام على الدعائم الآتية :

(١) سياسة دفاعية تعتمد على الردع النووى .

(٢) القدرة الدفاعية والهجومية معـا .

(٣) أعلى درجات الاسـتعداد وحرمان العدو من المباغتة .

(٤) القدرة على الحركة السريعة لمواجهة الخطر .

(٥) ردع القوى المضادة لوقاية الأمـة من التخريب المعنـوى والمادى .

لواء محمد جمال الدين محفوظ

« الكياسـة »

قال معاوية يوما انى لا أضع سـيفى حيث يكفينى سوطى ، ولا أضع سوطى حيث يكفينى لسانى :

ولو أن بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت فقيل له : وكيف ذلك ؟

قال : كنت اذا مدوهـا أرخيتهـا ، وان أرخـوها مددتها .

الهجرة ويوم الإثنين

للأستاذ / محمد كمال السيد

عندما سئل الرسول عليه الصلاة والسلام عن سبب تكريمه يوم الاثنين . قال فى حديث شريف ما معناه : (هذا يوم ولدت فيه . وبعثت فيه — أو أنزل على فيه — وهاجرت فيه) .

ويمكن أن نضيف أن وفاته عليه الصلاة والسلام كانت أيضا فى يوم الاثنين . وان ثلاثة من هذه الأمور الأربعة الهامة فى حياة الرسول وتاريخ الاسلام والمسلمين وقعت فى النصف الأول من شهر ربيع الأول . وأن الأمر الرابع . وهو المبعث . كان فى شهر رمضان . كما سنوضح باذن الله .

المولد الشريف : الاثنين ٩ ربيع الأول سنة ٥٣ ق . هـ .

اصطلح المسلمون — ولايزالون — على الاحتفال بالمولد النبوى الشريف فى ١٢ ربيع الأول من كل عام . ولكن ذكر المؤرخون تواريخ أخرى . فقيل ٢ و ٨ و ١٠ و ١٢ من ربيع الأول كما ورد فى (انسان العيون فى سيرة المأمون — الشهير بالسيرة الحلبية — جـ ١ ص ٧٨) .

والجدير بالتقدير من هذه الآراء ما ذكره المسعودى فى مروج الذهب . قال : والذى صح من مولده أنه كان بعد قدوم أصحاب الفيل بخمسين يوما . وكان قدومهم فى ١٧ المحرم سنة ٨٨٢ من عهد ذى القرنين . وكان مولده عليه الصلاة والسلام لثمان خلون من ربيع الأول من هذه السنة بمكة . ا هـ .

وذكر المرحوم محمود حمدى باشا الفلكى فى (التقويم العربى قبل الاسلام ص ٣٣ — ص ٤٤) بناء على قول المسعودى . وأقوال أغلب المؤرخين ان المولد كان فى عام الفيل فى تمام السنة الأربعين . أو الأحدى وأربعين من حكم كسرى أنوشروان (حكم من سنة ٥٣١ — ٥٧٩ م) . وأن ذلك كان فى ٢٠ أو ٢٢ نيسان (أبريل) سنة ٨٨٢ للأسكندر .

وبناء على مقارنة التواريخ . والدراسات الفلكية بأن أول ربيع الأول من تلك السنة بمكة وافق الأحد ٥٧١/٤/١٢ م . وبناء على الحديث الشريف السابق ذكره عن يوم الاثنين . فقد توصل الى أن المولد الشريف كان يوم الاثنين ٩ ربيع الأول سنة ٥٣ ق . هـ . (قبل الهجرة) الموافق ٥٧١/٤/٢٠ م .

وهذا التقويم المنسوب للأسكندر سابق للتقويم الميلادى بـ ٩٢يوما و ٣١١ سنة . أى أن أول تشرين الأول سنة ٨٨٢ للأسكندر (وهو أول شهور سنة هذا التقويم) وافق أول اكتوبر سنة ٥٧٠ م . وبذلك يوافق أول كانون ثانى سنة ٨٨٢ للأسكندر=أول يناير سنة ٥٧١ م.

المبعث : الأثنين ٢٩ رمضان سنة ١٣ ق . هـ .

ذهب المرحوم محمود حمدى الفلكى فى كتابه المذكور (ص ٦٠) الى أن بدء الرسالة المحمدية كان بنزول الوحى على الرسول عليه الصلاة والسلام فى تمام الأربعين سنة قمرية من عمره . فيكون فى ٩ ربيع الأول سنة ١٣ ق . هـ . الموافق ٦١٠/٢/١ م . واستدل على رأيه بأن الرسالة نزلت فى زمهرير الشتاء بدء السورة القرآنية الكريمة (المدثر) .

وفى هذا الرأى عدة أخطاء :

أولها خطأ حسابى . فيوم ٩ ربيع الأول سنة ١٣ ق . هـ . وافق ٨ — أو — ٩ فبراير . وليس أول فبراير . وبصرف النظر عن هذا الخطأ الحسابى فليس هناك ما يقطع بأن الوحى نزل على الرسول عليه الصلاة والسلام فى تمام الأربعين سنة قمرية من عمره بالضبط . والثالث أن هناك خلافا

بين المفسرين فى أولى سور القرآن فى النزول • فيقال — والله أعلم — أن أولى السور هى العلق • ثم القلم • ثم المزمل • ثم المدثر • ثم الفاتحة •• الخ • (مع وجود بعض الآيات المدنية فى سورتى القلم والمزمل) • ورابعا أن الرعدة التى أصابت الرسول عليه الصلاة والسلام لم تكن ضرورة من شدة البرد • بل من الصدمة النفسية لهذا الحادث الجلل من نزول الوحى •

وأخيرا فى هذا مخالفة صريحة للنص القرآنى بالآية ١٨٥ من سورة البقرة (**شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**) •

وبهذا نستبعد رأى المرحوم محمود حمدى الفلكى • ونحاول محاولة أخرى •

فعندنا النص القرآنى فى سورة القدر (**انا أنزلناه فى ليلة القدر**) • وعندنا أيضا الحديث الشريف : (تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان) •

وأشعر ببعض التردد • فمن المستبعد ألا يكون الرسول عليه الصلاة والسلام عالما بموقع ليلة القدر من الشهر بالضبط • فتعميتها فى الحديث الشريف المذكور ربما كان لحض المسلمين على الزيادة فى العبادة • أو لأسباب أخرى الله أعلم بها •

ولكن العلم فضولى • يشجع على البحث • خصوصا وقد سبق للمسلمين التحديد بالاصطلاح على أن ليلة القدر فى ٢٧ رمضان •

ففى سنة ١٣ ق • هـ • قد استكمل الرسول عليه الصلاة والسلام الأربعين سنة قمرية من عمره • ونزل فيها الوحى بعد ذلك على أرجح الأقوال • وحسابيا كان أول المحرم فى تلك السنة يوم الأربعاء الموافق ٣ ديسمبر سنة ٦٠٩ م • وحسابيا أيضا يكون أول رمضان فى تلك السنة موافقا ليوم الاثنين ٢٧/٧/٦١٠ م •

وتكون أيام الاثنين من شهر رمضان فى تلك السنة هى أيام ١ و ٨ و ١٥ و ٢٢ و ٢٩ من الشهر •

ولما كان اليوم العربى يبدأ من غروب الشمس • فليس أمامنا من

التواريخ المذكـــورة ما يتفق مع الحديث الشريف المذكور غير عشية يوم الأحد ٢٨ رمضــــان أى ليلة الاثنين ٢٩ رمضـــان وهى الليلة المباركة • والله أعلم •

والاثنين ٢٩ رمضـــان سنة ١٣ ق • هـ • يوافـــق ٢٤ أغسطس سنة ٦١٠ م •

الهجرة : يوم الاثنين ٨ ربيـــع الأول سنة ١ هـ •

لا جدال أن هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام من مكة الى المدينة كانت يوم اثنين ــ فى النصـــف الأول من شهر ربيع الأول • وعلى أرجح الأقوال بعد ثلاثة عشر عاما من مبعثه • ولكن ذكـــرت تواريخ مختلفة • فقيـــل ٢ و ٨ و ١٢ من الشهر المذكور •

وصادف عندما وصل الرســـول عليه الصـــلاة والســـلام الى قباء ــ ضـــاحية المدينة ــ أن كان يوم عاشوراء اليهود ــ وهو العاشر من تشرى (ســـبتمبر / اكتوبر) أول شهور سنتهم المدنية • وهو عندهم عيـــد الكفـــارة أو الكبود • وهم يصـــــومونه حيث غفر الله لهم عبادتهم العجل فى سيناء •

وسأل الرســـول صلى الله عليه وسلم عن سبب صـــــيام اليهود فقالوا : يوم أغـــرق الله فيـــه فرعون • ونجى فيه موسى • فقال أنا أولى بموسى • وصــــام ذلك اليوم •

وأدى هذا الحديث الى الشـــك عند بعض المؤرخين • فذهبوا الى أن الهجرة كانت فى عاشـــــوراء العرب ــ العاشر من المحــــرم ــ وهو ما يخالف الروايات الصحيحة أنها كانت فى ربيع الأول •

وتناول المرحوم محمود حمـــدى الفلكى فى كتابه المذكور من ص ٢٠ ــ ص ٣٢ • هذا الموضوع • فأثبت أن عاشوراء المذكورة هى عاشوراء اليهود • وأنها لو كانت عاشـــوراء العرب لعرفها الرسول عليه الصلاة والسلام • ولما ســـأل عنها • وأن اليهود كذبوا عندما قالوا أنهـــا ذكرى غرق فرعـــون • الذى كان بنص التوراة فى ٢١ نيســــــــان (مارس / أبريل) أول شـــــهور ســـنتهم الدينية • اما جهلا بسبب هذا الصوم • واما خجلا من ذكر

أنه كفارة عن عبادتهم العجـــل فى سـيناء .

وبمقارنة ١٠ تشرى من السنة العبرية مع ما يقابله من سنة ٦٢٢ م التى لا شـك أن الهجرة حصلت فيها . ومع أيام الأسـبوع . ومع الحسـاب الفلكى بأن أول ربيع الأول بالنسبة للهلال فى الحجاز كان يوم الاثنين . فقد توصل الى أن **الهجـرة النبوية كانت يوم الاثنين ٨ ربيع الأول سنة ١ هـ الموافق ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ م .**

وهذا التاريخ حقيقة،ذكرها قبله أبو الريحـان البيرونى فى كتابه (الاثار الباقية من القرون الخالية ص ٣٠) كما ذكرها أيضا أبو الفدا فى (المختصر فى تاريخ البشر حـ ١ ص ١٢٣) .

آراء مخالفة :

ولكن بعض المؤرخين ذكروا أن الهجرة كانت يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول . وهذا لا يتفق مع الحساب الفلكى . فباعتبار أول ربيع الأول يوم اثنين . يكون ١٢ ربيع الأول يوم جمعة . والهجرة ولا شك كانت يوم اثنين للحديث الشريف المذكور بأول المقال .

ويمكن التوفيق بين القولين .

فقـد قال الطبرى فى (تاريخ الأمم والملـوك حـ ٢ ص ٢٤٢) : وقدم دليلهما بهما (يعنى الرسول ــ ص ــ وأبا بكر الصـديق) قباء على بنى عمرو بن عوف لثنتى عشرة ليلة خلت من شـهر ربيع الأول يوم الاثنين حين اشـتد الضحى وكادت الشمس أن تعتدل ، وأقام الرسـول عليه الصـلاة والسـلام بقباء فى بنى عمرو بن عـوف يوم الاثنين ويوم الثـلاثاء ويوم الأربعـاء ويوم الخميس ــ وأسس مسجدهم ــ ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة . ١ هـ .

ونجد توضـيحا أكثر فى مروج الذهب للمسعودى (جـ ١ ص ٤٩٥) قال : وكان دخوله عليه الصـلاة والسـلام يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول . فأقام بها عشر سنين كوامل . وكان نزوله فى حالة موافاته بقباء على سعد بن خيثمة . وابتنى المسـجد . وكان مقامه بقباء يوم الاثنين والثلاثاء

والاربعاء والخميس ، وسار يوم الجمعة ارتفاع النهار ، فأتته الأنصار حيا حيا يسأله كل فريق النزول عليه ، ١٠ هـ .

فخطأ المؤرخين الذين يرون أن الهجرة كانت يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول يرجع الى الجمع بين يوم الأسبوع وبين التاريخ ، فواضح من الحساب الفلكى المذكور ، ومن أقوال المؤرخين المذكورين ، أن الرسول عليه الصلاة والسلام وصل قباء ضاحية المدينة يوم الاثنين ٨ ربيع الأول (الموافق ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ م) ، ومكث بها أربعة أيام ، ودخل المدينة يوم الجمعة ١٢ ربيع الأول .

التأريخ بالهجرة :

وباتساع الدولة الاسلامية احتاج العرب الى تقويم لتنظيم جباية الخراج ، ولتوقيت أوامر السلطة المركزية فى المدينة الى الولاة فى الأقاليم ، كما توقت به تقارير هؤلاء الولاة ، وغير ذلك من الشئون .

والمتواتر بين المؤرخين أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب استشار الصحابة رضى الله عنهم سنة ١٧ هـ .. هل يبدأون التقويم بمولد الرسول عليه الصلاة والسلام ، أو بمبعثه ، أو بهجرته ، أو بوفاته ، وكلها حوادث هامة فى تاريخ الاسلام .

والمولد والمبعث لم يكونا محددين تحديدا كافيا متفقا عليه ، والوفاة لا يحتفل بها ، فاستقر الرأى على الهجرة ، بأن اعتبروا أول المحرم من سنة الهجرة مبدأ التقويم .

وبهذا يكون التقويم الهجرى سابقا للهجرة الحقيقية بـ ٦٧ يوما .

وذكر الطبرى أن هذا القرار كان فى سنة ١٧ أو سنة ١٨ للهجرة ، ولكن البعض يحدده باليوم ، بأنه كان فى ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٧ هـ .

ولعل قرار الصحابة المذكور هو ما تقرر استعماله بصفة رسمية ، فالمسلمون كانوا يؤرخون قبل ذلك بالهجرة ، فقد ذكر الطبرى أنه لما قدم الرسول عليه الصلاة والسلام المدينة ، أمر بالتأريخ

فيما قبل • فذكر انهم يؤرخون بالشهر والشهرين حتى تمت السنة ١٠ هـ •

كما ذكر البيرونى فى كتابه المذكور (ص ٣٠) أن المسلمين كانوا يسمون السنوات العشر الأوليات من الهجرة حتى وفاة الرسول بأسماء : سنة الأذن • ٢ ـ سنة الأمر • ٣ ـ سنة التمحيص • ٤ ـ سنة الترفئة • ٥ ـ سنة الزلزال • ٦ ـ سنة الاستئناس • ٧ ـ سنة الاستغلاب ٨ ـ سنة الاستواء • ٩ ـ سنة البراءة ١٠ ـ سنة الوداع • فكانوا يستغنون بذكرها عن عددها ١ هـ •

واتبع المسلمون التقويم الهجرى لارتباط حساب شهوره القمرية بكثير من شعائر الدين كالصوم والحج • وبكثير من قواعد الفقه كالنفقة والعدة • ولا شك أن لله حكمة بالغة فى جعل بعض شعائر الدين كالصوم والحج تدور مع السنة حتى يمارسها المسلمون فى كل الفصول • وعلى اختلاف الطقس • فهى ليست من عروض التجارة أو أنواع الزراعة التى تخضع لجو معين •

العيد الحقيقى للهجرة :

ونحن نحتفل برأس السنة الهجرية باعتباره أحد أعيادنا الدينية • ويجب أن نحتفل أيضا بالعيد الحقيقى للهجرة فى ٨ ربيع الأول من كل سنة • فبالهجرة الى المدينة تكونت جميع العناصر والمقومات لأول دولة اسلامية : أرض • وشعب • وحكومة • وموارد مالية من الزكاة والصدقات • وتشريع ينظمه دستور منزل من العزيز الحكيم • وهو القرآن الكريم •

الوفاة : يوم الاثنين ١٣ ربيع الاول سنه ١١ هـ • وعمره عليه الصلاة والسلام •

أجمع المؤرخون على أنه توفى يوم الاثنين ١٢ ربيع الاول سنة ١١ هـ • ولكن المرحوم محمود حمدى الفلكى فى كتابه المذكور (ص ٥٩) ذكر أن أول ربيع الاول سنه ١١ هـ • بالمدينة كان يوم أربعاء • فتكون الوفاة اما فى الأحد ١٢ ربيع الاول • واما فى

الاثنين ١٣ ربيع الاول .

والاجماع علـى يوم الاسبوع أدق . لأنه أثبت فى الذهن . ولما أجمعوا عليه من تفصيل ما أعقب الوفاة حتى الدفن يوما بعد يوم . فضلا عن احتمال اختلاف الرؤيا عن الحساب الفلكى فيختلف التاريخ ولكن لا يختلف يوم الاسبوع .

ولذلك نميل الى اعتبار أن الوفاة كانت يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول سنه ١١ هـ (٨/٦/٦٣٢م) فيكون عمره عليه الصلاة والسلام يوم سنة شمسية يوم سنة ٤٩ر٦١ وهى تساوى ٤٠ر٦٣ قمرية . وهذا يقطع الخلاف بين المؤرخين فى عمره بين ٦٠ و ٦٣ و ٦٥ سنة .

تأييد وتعزيز لما ذكر

لما كان المولد والمبعث والهجرة والوفاة كلها يوم اثنين كما رأينا . فيجب أن تكون المدة بين بعضها والبعض الآخر أسابيع صحيحة .

والسنة القمرية ٣٥٤ ١١/٣٠ يوما

والشمسية ٣٦٥ ١/٤ يوما تنقص احدى عشرة دقيقة وأربع عشرة ثانية ويتكون من هذه الدقائق والثوانى أقل من نصف يوم فى عمر الرسول عليه الصلاة والسلام . فيمكن أن نهملها ونكتفى باحتساب السنوات الكبيسة فى كل مدة . وبذلك يكون :

من المولد ٩ ربيع الأول سنة ٥٣ ق . هـ . (٢٠/٤/٥٧١ م) الى الوفاة ١٣ ربيع الأول سنه ١١ هـ (٨/٦/٦٣٢ م) ٢٢٣٣٠ يوما

من المولد ٩ ربيع الأول سنة ٥٣ ق . هـ . (٢٠/٤/٥٧١) الى المبعث ٢٩ رمضان سنه ١٣ ق . هـ . (٢٤/٨/٦١٠ م) ١٤٣٧١

من المولد ٩ ربيع الأول سنة ٥٣ ق . هـ . (٢٠/٤/٥٧١) الى الهجرة ٨ ربيع الأول سنه ١ هـ . (٢٠/٩/٦٢٢ م) ١٨٧٨١

من الهجرة ٨ ربيع الأول سنة ١ هـ (٢٠/٩/٦٢٢ م) الى
الوفاة ١٣ ربيع الأول سنة ١١ هـ • (٨/٦/٦٣٢ م) ٣٥٤٩

من المبعث ٢٩ رمضان سنة ١٣ ق • هـ • (٢٤/٨/٦١٠ م) الى
الهجرة ٨ ربيع الأول سنة ١ هـ (٢٠/٩/٦٢٢ م) ٤٤١٠

من المبعث ٢٩ رمضان سنة ١٣ ق • هـ • (٢٤/٨/٦١٠ م) الى
الوفاة ١٣ ربيع الأول سنة ١١ هـ • (٨/٦/٦٣٢ م) ٧٩٥٩

وكلها أسابيع صحيحة •
نسأله تعالى الهداية والتوفيق •

محمد كمال السيد

« الاحســان »

قيل لأفلاطون: أى شىء من أفعال الناس يشبه أفعال الله قال : الاحسان الى الناس •

أحسن الى النــاس تستعبد قلــوبهم
فطالما اســتعبد الانســان احســان

الهجرة بداية عز الإسلام

لفضيلة الشيخ / ابراهيم على النشار

لقد كانت هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة بداية نصر عظيم ، وفتح مبين يجدربنا ونحن نعمل على استعادة أمجادنا ، وجمع كلمتنا ، وتوحيد صفوننا أن نرجع اليها نستلهم منها العبرة ، ونستمد منها الدروس التى تنير لنا الطريق لتحقيق ما نصبو اليه من عز ومجد وسؤدد .

فما هاجر النبى محمد صلى الله عليه وسلم الا بعد معركة رهيبة بين جند الحق وجند الباطل سلخت من عمر الزمن ثلاثة عشر عاما هاجم فيها صلوات الله وسلامه عليه عقائد المشركين وأخلاقهم وعاداتهم ، وقرع أسماعهم بآيات القرآن الكريم فى مجتمعاتهم وأنديتهم ، ودعاهم الى الايمان بالله وحده ؛ ونبذ عبادة الأصنام، ونادى بالمساواة بين الناس أبيضهم وأسودهم وأنه لا فضل لأحد على أحد الا بالتقوى ومكارم الأخلاق ، فثارت ثائرة قريش ؛ وانصرفوا يذيقون أصحاب الرسول صلوات الله عليه العذاب أشكالا وألوانا ، ولم ينج من بطشهم عظيم ولا حقير ، ولا صغير ولا كبير ، أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد آذوه بوضع القذى عليه وهو ساجد لربه ، وحاصروه فى الشعب ثلاث سنين ، واتهموه بالجنون فبرأة الله تبارك وتعالى : (**ما أنت بنعمة ربك**

بمجنون ، وان لك لأجرا غير ممنون ، وانك لعلى خلق عظيم) الآيات ٢ ، ٣ ، ٤ من سورة القلم .

ولما يئست قريش من القضاء على دعوته ، وعجزوا عن الوقوف فى طريق تيارها الجارف صمموا على قتله ، واختاروا من كل قبيلة شابا جلدا وسطا وأعطوهم السيوف ، وطلبوا منهم أن يضربوا الرسول الكريم ضربة رجل واحد ليتفرق دمه فى جميع القبائل فلا تقدر بنو عبد مناف على الأخذ بثأره ، ولكن الله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله تكفل بحفظه ورعايته فكشف له عن مكنون مكرهم وقال له : (**واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**) الآية ٣٠ من سورة الأنفال .

وأذن له فى الهجرة فخرج صلى الله عليه وسلم والشباب محيطون به وفى أيديهم السلاح فأنامهم الله ، وتوجه مع أبى بكر حتى نزلا غار ثور فأحاطه برعايته ، وسخر له الأشياء بعنايته ، وصرف عنه كيد العدو .

ولله در البارودى حيث يقول :

وجاءه الوحى ايذانا بهجرته
فيمم الغار بالصديق فى الفسم
فما استقر به حتى تبوأه
من الحمائم زوج بارع الرنم
بنى به عشه واحتله سكنا
يأوى اليه غداة الريح والرهم
كأنه ديدبان فوق مربأة
ترعى المسالك من بعد ولم تنم
يخالها من يراها وهى جاثمة
فى وكرها كرة ملساء من أدم
وأسجف العنكوت الغار محتفيا
بخيمة حاكها من أبدع الخيم
كأنه سابرى حاكها لبق
بأرض سابور فى بحبوحة العجم
وارت فم الغار عن عين تلم به
فصار يحكى خفاء وجه ملتثم
فياله من ستار دونه قمر
يجلو البصائر من ظلم ومن ظلم
يظل فيها رسول الله معتكفا
كالدر فى البحر أو كالشمس فى الغيم

ونزل قول الله تبارك وتعالى :

(ألا تنصروره فقد نصره الله اذ أخرجه الـــذين كفروا ثانى اثنين اذهما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن أن الله معنـــا فأنزل اللـــه سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم) الآية ٤٠ من سورة التوبة.

ثم توالى نصر الله وتأييده لنبيه الكريم صلوات الله وسلامه عليه وهو فى طريقه الى المدينة ، حتى اذا أشرف عليها اســـتقبله أهلها استقبالا لم تشهد له الدنيا مثيلا، وأعز الله فى هذا اليوم رسوله ، ونصر **دينه** .

وســـــار بعد ثلاث من مبـــادئه
يؤم طيبـــة مأوى كل معتصـــــم
ولم يزل ســـائرا حتى أناف على
أعلام طيبـــة ذات المنظـــر العمم
يوم به أرخ الاســـــــلام عزته
وأدرك الـــدين فيـــه ذروة النجم

وبوصوله صلى الله عليه وسلم الى المدينة بادر الى بناء بيـــوت الله وتعمـــيرها ليجتمـــع فيهـــا المسلمون لأداء الصلوات وشهود الجمعـــة والجمـــاعات ، ولتكون مركزا للاشعاع الروحى والتوجيه النبوى ، فبنى مسجد قباء خارج المـــدينة ، وبنى مســـجده العظيم داخل المدينة وهو ثانى المســـاجد العظيمة التى تشد اليها الرحال ، وفيه يقول الله تبارك وتعـــالى : **(لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيـــه رجال يحبون أن يتطهروا واللـــه يحب المطهرين)** الآيـــة ١٠٨ من ســـــورة التوبة .

ولتحقيق الوحدة بين المسلمين وجمع صفوفهم آخى رســـــول الله صلى الله عليـــه وســـلم بين المهاجرين والأنصار ، وأشـــعرهم بأنهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، فكـــان لهـــذه الأخوة أعمـــق الأثر فى نفـــوس الأنصار ، فقاســـموا اخـــــوانهم المهـــاجرين أموالهم وبيوتهم عن طيب خاطر ، وقد سجل اللـــه لهم هذه المكرمة فى كتابه الكريم فقال: **(والذين تبوءوا الدار والايمان**

من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرن على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الآية ٩ من سورة الحشر .

ولقد أعزهم الله بالاسلام ، وأعز الاسلام بهم فاستماتوا فى الدعوة اليه ، والدفاع عنه ، وبهم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فاتحا ظافرا ، ثم انطلق هذا النفر من أصحاب رسول الله ومن تبعهم باحسان ينشرون رسالة الله رسالة الحق والخير والسلام فأناروا الدنيا بعد ظلامها وملأوها عدلا ونورا ورحمة ومكارم أخلاق ، وعلى أيديهم أنتقل العالم من ظلمه الشرك الى الى نور الايمان ، وخرج من جبروت الحكام الى عدل الاسلام، وأصبحوا فى مدة قصيرة أساتذة الدنيا وملوك الأرض وحكام العالم . بهذا أعزهم الله فى الدنيا وسجل لهم فى صفحة المجد والخلود أعظم أجر وأكرم مثوبة فقال :

(والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنين حقا لهم مغفرة ورزق كريم) الآية ٧١ من سورة الأنفال .

ولما أراد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يضع مبدأ للتاريخ الاسلامى لم يجد فى نفسه أروع ولا أقدس من حادث الهجرة مع أنه سبقه حادث البعثة والرسالة ، وجاء بعده حادث فتح مكة وقد كان رضى الله عنه موفقا غاية التوفيق . ذلك لأنه ذكرى التضحية والفداء ، ذكرى انتصار الحق على الباطل والروح على المادة ، فلو أنصف الناس لا تخذوه عيدا عالميا مشهودا ، ولذكروا بذكره مجد الانسانية وعظمة الرسالة المحمدية الخاتمة .

واذا أراد المسلمون فى هذه الأيام أن يستعيدوا مجد الآباء والأجداد فعليهم أن يسيروا فى الطريق الذى سار فيه آباؤنا

الأولون من الأنصار والمهاجرين طريق الوحدة والتضحية والتفانى فى سبيل اسعاد المسلمين ورفع راية الاسلام .

فهيا أيها المسلمون الى الوحدة الشاملة ، ونكران الذات ، فالقوة مقترنة بالوحدة ، والنصر معقود بالتضحية **(ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز)** الآية ٤٠ من سورة الحج .

ابراهيم على النشار

« جرة أديب ملأته مالا »

استدعى بعض الخلفاء شعراء مصر ، فصادفهم شاعر فقير بيده جرة فارغة ذاهبا بها الى البحر ليملأها ماء فتبعهم الى أن وصلوا الى دار الخلافة فبالغ الخليفة فى اكرامهم والانعام عليهم ورأى ذلك الرجل والجرة على كتفه ونظر الى ثيابه الرثة وقال : من أنت ؟ وما حاجتك ؟ فقال :

ولما رأيت القوم شدوا رحالهم
الى بحرك الطامى أتيت بجرتى

فاستحسن الخليفة ما أبداه وملأ له الجرة ذهبا .

حرب لا يقرها الإسلام

للدكتور / أحمد عمر هاشم

فى هذه الآونة التى فجع فيهـا المسـلمون ، بالمأسـاة الدامية ، والحرب الضارية التى اشتعلت بين الدولتين المسـلمتين — ايران ، والعـراق — يجب أن نعلن لهـما وللعالم الاسلامى والعربى حقائق ضرورية وهامة :

أولا : حكم الاسلام فى هـذه الحـرب الـدائرة بـين دولتين مسلمتين •

ثانيا : واجب الأمة الاسلامية ، حكاما ومحـكومين ، وأفـرادا وجماعات حيالها •

ثالثا : ما ينبغى أن تقـوم به الأمة الاسلامية من بناء اسلامى موحد ، وما يجب أن ينهض بـه المسلمون عن بكرة أبيهم من وحدة اسلامية لصيانة الأمة من أمثال هذه التصدعات ، وأسباب الدمار والضياع الذى يتهددها بين حـين وآخـر •

أما بالنسبة لحـكم الاسلام فى هذه الحرب ، فانه لا يقرها ، ولا يحلها بحال من الاحوال ، فان دم الانسان المسلم حرام لا يحل الا باحدى ثلاث كما جاء فى الحديث:

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل دم امرىء مسلم الا باحـدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفـارق للجماعة » رواه البخارى ومسلم •

وقد قرر الاسلام حرمة المؤمن وأكدها ، حتى ان الرسول صلوات الله وسلامه عليه — وهو يطـوف

بالكعبة ــ وللكعبة حرمتها ومكانتها ولكنه يعلن حرمة المسلم وأنها أعظم وآكد فيقول :

« ما أطيبك وما أطيب ريحك ، وما أعظمك ، وما أعظم حرمتك ، والذى نفس محمد بيده لحرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك ماله ودمه » رواه ابن ماجه •

كما أكد الرسول صلوات الله وسلامه عليه حرمة النفس ، وحقها فى الحياة الآمنة المستقرة ، ووضح هذه الحقيقة فى خطبة الوداع اذ يقول : « •• ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، ألا هل بلغت اللهم فاشهد كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » •

من أجل هذا نرى أن الاسلام قد حرم كل ألوان الاعتداء على حق الحياة بأية صورة ، وعلى أى وضع كان هذا الاعتداء والظلم ، فما بالناحين يكون القتال بهذه الصورة الصارخة بين دولتين اسلاميتين ؟! وبأبشع مظاهر الدمار والهلاك ، لقد نشرت الحرب الدائرة ــ وهذه طبيعة كل حرب ــ الرعب والفزع ، وقضت على الامن والاستقرار وأشاعت الاحن والبغضاء بين النفوس ، وقضت على الروابط الانسانية ، ورملت النساء ، ويتمت الأطفال ، فكانت دمارا للحرث والنسل ، وهلاكا للرجال والمال والسلاح ••

والقرآن الكريم يتوعد قاتل المؤمن بالوعيد الشديد « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » •

ويحذر الاسلام أشد التحذير من قتال المسلمين بعضهم لبعض ، وينهاهم عن استحلالهم لدماء بعض فى القتال والغارات ، لأنهم بهذا يخرجون عن دائرة هداية الاسلام، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض**» رواه البخارى ، واحمد ، والنسائى

وقد حذر الاسلام أشد التحذير من حمل السلاح على الجماعة الاسلامية من أجل سفك الدماء ،

وقتل الأبرياء ، وعد حملة السلاح على المسلمين بأنهم بعيدون عن الدائرة الاسلامية وعن الخلق الاسلامي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« من حمل علينا السلاح فليس منا » رواه** احمد والبخارى ومسلم وقال بعض علماء الحديث : كل حديث فيه لفظ : « ليس منا » يخشى على صاحبه من الموت على غير الايمان • وليس الوعيد مقصورا على القاتل فحسب ، بل انه يشمل القاتل والمقتول ما دام الطرفان حريصين على القتل ، ما داما قد أشهر كل سيفه فى وجه صاحبه ، عن أبى بكر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« اذا التقى المسلمان بسيفيهما ، وقتل أحدهما صاحبة ، فالقاتل والمقتول فى النار» قيل : يا رسول الله هذا للقاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : « انه كان حريصا على قتل صاحبه » رواه** البخارى ومسلم واحمد •

وأما عن واجب الأمة الاسلامية حيال هذه الحرب ، فاننا اذا نظرنا الى دستورنا السماوى وهو القرآن الكريم نجد أنه قد أرسى قاعدة شرعية لها أهميتها وخطرها فى هذا الصدد تلك القاعدة يترتب عليها صيانة الأمة من التفكك والقلاقل وفيها قضاء حاسم على الفرقة والخصام ، لانها قائمة على الاصلاح بين المتنازعين والمتقاتلين والحد من بغى الباغين ومواجهتهم بالحق والعدل يقول الله سبحانه:

« وأن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين •

انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » • وقد قرر الاسلام حقوق أخوة الايمان ، والتى تقتضى من المؤمنين أن يخفوا لنجدة اخوانهم ، وأن يسارعوا بالاصلاح بينهم ، وأن يخمدوا نار الفتنة اذا اشتعلت فيهم ، وأن يصونوا دماءهم وأموالهم وأعراضهم من

التعرض للضياع والهـــلاك ففى الحديث : يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

« المسلم أخو المسـلم لا يظلمـه ولا يخـذله ولا يحقـره ، التقوى ها هنا ويشير الى صـــدره ثلاث مرات ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » رواه مسلم .

والاصلاح بين كل مسـلمين أو طائفتين واجب تمليه أخوة الايمان وقد مهدت الآية الكريمـــة طريق الاصـــلاح بالتزام التقوى حتى لايحيد المصـــلحون ، ولا يحابى بعضهم بعضـا ، بل يكون العـدل رائدهم والتقوى سبيلهم .

فعلى الأمة الاســـلامية اليوم حكاما وشعوبا ، أفرادا وجماعات عليهم أن يهبوا فورا لوقف الحرب الدائرة بين العراق وايران ، وأن يجمعوا رأيهم ، ويوحدوا كلمتهم ، وأن يلقوا الخـلافات جانبا ، وأن يرتفعوا فوق تلك الأســـباب ، ليرأبوا الصدع ويجمعوا الشـمل ، ويحقنوا تلك الدماء التى تراق بين المسلمين عبثا .

ان عقيدتهم الاســلامية وقرآن الله وسنة رســـوله صلوات الله وسلامه عليه ان كل ذلك يناديهم باسم الاســـــلام وباسم الحق والعدل أن يجتمـع جميـع الملوك والرؤساء فورا فى مؤتمر اسلامى واحد يجمع بين ســـائر البلاد الاســـــلامية وأن يأخذوا قرارا واحدا وسريعا ، لينقـذوه قبل أن يتفاقم الخطر يوما بعـــد يوم ، وتستشرى نار الفتنة ساعة بعـد أخرى .

ان الاسلام ينادى جميع أتباعه لنصرة المظلومين ومنع الظالمين عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رســـول الله صلى الله عليه وســـلم : « انصر أخـاك ظالما أو مظلوما ، فقال رجل : يا رسول الله أنصره اذا كان مظلوما أفرأيت ان كان ظالمـا كيف أنصره ؟ قال : تحجزه أو تمنعه عن الظلم فان ذلك نصره » رواه البخارى ومسلم .

وأما ما يجب أن تقـوم به الأمة الاســلامية فى مشـارق الارض ومغاربها لصيانة دينها وعقيدتها ،

وأرضها وعرضها ، ودمائها وأموالها فان هذا كله لا يتأتى الا « بالوحدة الاسلامية » ، والاعتصام بحبل الله ، وتلبية النداء القرآنى : « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ..** » .

وان جميع الانساب والاجناس تنتمى الى أصل واحد — فى نظر الاسلام — وهنا تبرز أهمية التعارف ، وضرورة اتصال المجتمعات الاسلامية وتضافرها قال الله تعالى : « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » .

ويعمق الاسلام مفهوم الوحدة بأقوى رباط ينبغى ألا ينساه أحد ؛ ذلك هو رباط العقيدة الصحيحة التى ينتظم تحت لوائها كل المسلمين مهما تباعدت الأقطار ، واختلفت الاشكال قال صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس ان ربكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا أحمر على أسود ، ولا أسود على أحمر الا بالتقوى » رواه الامام أحمد فى مسنده . هذا.. وكثير من المجتمات البشرية اليوم تعج بتيارات مختلفة تتبع غير سبيل المؤمنين من شيوعية ووجودية وماسونية وقاديانية وبهائية وما الى ذلك ، ونتيجة تلك التيارات وعاقبة من يتبعها قد بينتها الآية الكريمة : « **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا** » . وكل هذه التيارات وما تنفثه من سموم فكرية ومؤامرات وأباطيل ، وما تدفع به من موجات تحليلية فى المحيط الاسلامى — بغيا وعدوانا ، وتخطيطا على مدى بعيد لاضعاف شوكة المسلمين ، وفرقتهم واختلافهم ، ومحاولة فصلهم عن بعض ليتحقق هدف الاستعمار وأعداء الاسلام .

فكيف اذا نواجه تلك التيارات وننتصر عليها ؟ وكيف نصون أمتنا من هذه الخلافات والتصدعات ؟ ان ذلك انما يتمثل فى الوحدة الاسلامية ، وفى جمع كلمة المسلمين

وتوحيد صفهم ، ونبذ الخلافات جانبا ، وتصفية القلوب ، والاستجابة لله وللرسول ، والسير على هدى الكتاب والسنة ، والبعد عن الوقوع فى الفتن .

انهما جانبان : الأول عملى تطبيقى يتمثل فى الاستجابة لله والرسول اذا دعانا لما يحيينا واتحاد المسلمين فى شتى الاقطار الاسلامية على كلمة الحق والعدل .

والثانى : وقائى وهو أن نتقى الوقوع فى الفتن ونصون الفرد والجماعة والأمم والشعوب من الوقوع فيها أو الانحراف فى تياراتها .

وحتى يكون لدينا يقين مطلق بنتيجة ذلك ضرب القرآن الكريم لنا المثل واضحا ، وبين الطريق الى القوة بعد الضعف ، والكثرة بعد القلة ، والامن بعد الخوف ، والنصر الكامل الشامل والرخاء والرزق الواسع فقال تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون ، واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب »** .

فيا أمتنا الاسلامية ، يا خير أمة أخرجت للناس ، حى على الفلاح والوحدة الاسلامية ، حى على الوفاق والاصلاح والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الدكتور احمد عمر هاشم

المقالات التى لا تنشر لا تلتزم ادارة المجلة بردها .

ادارة المجلة

الهجرة والقرن الخامس عشر الهجرى

للأستاذ/ أحمد عبد الرحيم السايح

الرسـالة الاسـلامية جاءت استجابة لصرخة الحق وهو ينادى من يأخذ بناصره من العـادين عليه . وكانت اسـتجابة لأنين الانسان عبر القرون وهو يشـكو ظلم الانسان وصـلفه وغروره . ولقد كانت مكة تسع النـاس كل الناس من أهلها والوافدين عليها . ولكنها ضاقت يومذاك برسول الله وبالمسـلمين الذين التفوا حـول الرسول الصـادق الأمين عليه الصلاة والسلام . ليصـوغهم بالقرآن الكريم صياغة اسلامية ، يواجهون بها الباطل اليوم وغدا ، على كل أرض من وتحت ظـل كل سماء . وكانت عناية الرحمن ترعى الرسول الكريم وتحيط به وتلازمه. وعنـدما أجمع المؤتمرون فى دار الندوة على التخلص من الدعـوة الاسلامية ورسولها محمد صـلى الله عليه وسلم ، أذن الله لنبيـه فى الهجرة من مكة الى المدينـة وليس ذلك فرارا من الموت أو طلبا للنجاة وانما ليرسى قواعد الحق فى أرض خصـب فكر أهلها ، ويقيم دولة الاسـلام فى مدينـة تفتح أهلها لنور الايمان ، ولهذا كانت هجرة الرسـول الأمـين محمد صلوات الله عليه ، وهجرة أصحابه الذين نهضوا بايمان صادق ، ووفاء بحقـوق الدين .. تعد تحـولا خطيرا فى تاريخ الانسـانية معبرا بوضوح عن تحرك الخير ، نحـو الهدف الأسمى ومعربا عن فاعلية قوة الحق ، دون ملل أو كلل ..

فى اطار قابل للتكيف حسب منطق العصر .

والهجـرة حركة رائـدة غيرت مجرى التاريخ ، وأعطته مددا ثرا من ماء الحياة يسقى ومع السقى خصب ويروى ومع الرى نماء ، ويعطى ومع العطاء قوة فى العلم والاخلاص والبناء .

ومن هذا المنطق .. كانت الهجرة حركة اسلامية عظيمة ، فى توطيد دعائم الاسـلام ، وتثبيت ركائز الأخوة ، وبناء الجماعة الاسلامية التى أخرجت للناس لتكون خير أمة وحلقة بارزة من حلقات سير الدعوة الاسـلامية فى طريقها الشائك المرير .

وتحمل الهجرة فى معانيها .. سمات التجدد والبناء ، والعظمة الشامخة ، والقـوة الصـامدة ، والنور المضىء ، والأمن المطمئن ، ومراقى العلا والسـمو ، وبرد اليقين ، ونفحات الهدى ، وحرارة الايمان .

وذكرى الهجـرة دافع قـوى للامة الاسـلامية فى مقـاومة الالحاد ، والمذاهب الهدامة التى تكالبت مسعورة على نهش القيم والفضائل ..

والهجرة تجىء بعد ثلاثة عشر عاما ، يدعو فيها الرسول الأمين الى الاسلام ويتحمل هو وصاحبه ألوانا من العذاب ، والتشـتت ، والحرمان ..

وللهجرة دوافـع وأسـباب كثيرة نجملها فيما يلى : —

أولا : اشـتداد الأذى بالمسـلمين .. قال تعالى : « **ان الـذين أجرموا كانوا من الـذين آمنوا يضحكون . واذا مروا بهم يتغـامزون . واذا انقلبـوا الى أهلهم انقلبوا فكهين . واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضـالون . وما أرسلوا عليهم حافظين** » (١) .

وقال تعـالى : « **قـد نعلم انه ليحـزنك الـذين يقـولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات**

---

(١) سورة المطففين آية ٢٩ ـ ٣٣ .

الله يجحدون • ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين » (١) •

ولما أسلم نفر من أهل مكة ، واتبعوا رسول الله صلى الله وسلم ، وثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ، ويعذبونهم ، بالضرب •• والجوع ، وبرمضاء مكة اذا اشتد الحر •

وكان بلال بن رباح ، صادق الاسلام طاهر القلب ، وكان أمية ابن خلف ، يخرجه اذا حميت الظهيرة ، فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره •• ثم يقول له : لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ، وتعبد اللات والعزى •• فيقول وهو فى ذلك البلاء : أحد أحد (٢) •

وكان بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وأبيه وأمه ــ وكانوا أهل بيت اسلام ــ اذا حميت الظهيرة ، يعذبونهم برمضاء مكة فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول :

« صبرا آل ياسر • موعدكم الجنة » فأما أمه فقتلوها وهى تأبى الا الاسلام (٣) •

ثانيا : اشتداد الأذى على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم حيث أن الرسول لم يسلم من ايذاء المشركين فنالت قريش من رسول الله من الأذى ، ما لم تكن تناله منه فى حياة عمه أبى طالب ••

فخرج رسول الله ومعه زيد بن حارثة الى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ، والمنعة منهم من قومه ورجاء ان يقبلوا منه ماجاءهم به من الله عز وجل ، لأنهم كانوا أخواله •• ولكن الرسول وجد من هؤلاء صدودا واعراضا ، وأذى •

---

(١) سورة الانعام آية ٣٣ ــ ٣٤ •
(٢) سيرة ابن هشام • الجزء الاول • ص ٢٠٩ •
(٣) سيرة ابن هشام • الجزء الاول • ص ٢١١ •

ثالثا : بيعة العقبة الأولى ، وبيعة العقبة الكبرى •• وكانت البيعتان، تنمان عن الايمـــان الصـــادق ، والغراس التى بدأت تؤتى ثمارها •

فقد كانت البيعة الأولى عـــلى الايمان بالله وحده ، والاستمساك بفضائل الأعمـــال ، وقد تمت مع نفر من الخزرج ، كأنوا بعد البيعة طليعة الدعاة الى الاســــلام فى يثرب •

أما بيعة العقبة الكبرى فقد بلغ فيها الايمان أوجه •• حيث جـــاء سبعون نفرا من يثرب ، مؤمنـــين أشد الايمان بالله ، وبالحب فيه ، والأخـــوة على دينـــه ، والتناصر باسمه ، ونص البيعة كما قال عبادة ابن الصامت ، وكان من النقبـــاء • قال : بايعنا رســـول اللـــه بيعـــة الحرب و بايعناه عـــلى الســـمع والطاعة ، فى عسرنـــا ويسرنـــا ، ومنشطنا ومكرهنا ، وأثره علينا ، والا ننازع الأمر أهله ، وأن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف فى الله لومة لائم (١) •

وبهذا الحلف الجديد • انفتـــح لرسول الله ، والذين معه من أهل الايمان باب الرجـــاء ، فى حريـــة الدعوة ••

رابعا : تآمر قريش على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن معه •• قال تعالى : ((**وإذ يمكر بك الذين كفـــروا ليثبتـــوك أو يقتلـــوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**)) (٢) •

بعد بيعة العقبة الكبرى ، ومـــا كان فيها من نصرة الاسلام ، ومنعة أهله ، أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يلحقوا بالأنصار بيثرب ، عـــلى أن يتركـــوا مـــكة متفرقـــين ، حتى لا يثـــيروا ثائرة قريش عليهم ••

وبدأ المسلمون فى الهجـــرة الى يثرب فرادى ، وقد فطنت قريش للأمر ، فحاولت أن تـــرد كل مـــن

(١) ابن هشام • الجزء الثانى • ص ٣١١ •
(٢) سورة الانفال آية رقم ٣٠ •

استطاعت رده الى مكة ، لتفتنه عن دينه ، أو لتعذبه ، وتنكل به ، وبلغت من ذلك أنها كانت تحول بين الزوج وزوجه ، وأنها كانت تحبس من تستطيع حبسه ممن لم يطعها .

وكانت قريش تحسب لهجرة النبى الى يثرب ألف حساب .. فقد كانت تخشى كثرة المسلمين بالمدينة ، فاذا لحق بهم محمد ، كان ذلك قوة للمسلمين ، تهدد دعاة الوثنية واذا بقى محمد بمكة ، وحاولوا منعه من الخروج منها . فهم معرضون لأذى أهل « يثرب » فلم يبق الا التآمر على قتل محمد ، وأحكمت المؤامرة فى دار الندوة ، ولكن عناية الله كانت تلازم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وترعاه وتحيط به .. وقد أذن الله له فى الهجرة ، ليغرس شجرة الاسلام فى تربة تساعد على النمو . ولا تعرف أحدا أحق بنصر الرحمان ، وأجدر بتأييد الله من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لاقى فى سبيل الدعوة ما لاقى .

ولكن التأييد الالهى ، لا يعنى أبدا التفريط فى أسباب الحياة ، وترك العمل ، والأخذ بالأسباب ..

ولهذا أحكم رسول الله عليه الصلاة والسلام ، خطة الهجرة ، فلم يبق بمكة الا عليا وأبا بكر ..

أما على فقد نام على فراش الرسول ، وتغطى ببردة الرسول ، وكان صلوات الله وسلامه عليه ، قد أمر عليا أن يتخلف عنه بمكة حتى يؤدى الودائع التى كانت عنده للناس ، حتى اذا أفرغ منها لحق برسول الله ..

أما أبا بكر فقد خرج مهاجرا مع رسول الله ، بعد أن أعد للهجرة ما يلزمها ، وانتهى رسول الله ، وأبو بكر فى الغار ليلا ، وأقاما فيه ثلاثا ..

ورغم الصعاب ، ووعورة الطريق .. وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكلها أفراح ، والانصار يتسابقون فى الاحتفاء بالنبى الأمين ، وتكويمه .

وبدأ صاحب الرسالة الكبرى . يضع خطوط المجتمع الاسلامى ،

ويرســم له قواعــد الســلوك والأخلاق •• وكان الاخاء العملى الذى قضى على كل الوان العصبية، ليتفرغ المســلمون الى مزاولة الشعائر الاســلامية ، وتطبيق أحكام القرآن الكريم ، وتعاليمه • ومن المدينة الاســلامية ، قاعدة انطلاق الدعوة •• استطاع النبى أن يرســل كتبــه الى الملوك والرؤساء ، يدعوهم الى رســالة الاسلام ••

وفى الدولة الاسلامية •• أعد المسلمون عــدتهم ليكونوا قــوة رادعة لكل أفاك أثيم ، ولا يمكن أن تهتم أمة باعداد القوة •• ثم تظلم من جيرانها ••

وفى الهجرة دروس مستفادة •• يمكن أن يكون فيها عظات بالغــة لمن كان له قلب وعقل وتجمل بعض هذه الدروس فيما يلى :

أولا : كتم الأسرار ، والمحافظة على سير الأمور ، فى نطاق التخطيط الدقيق ، القائم على الايمان بالله وتفويض الأمر اليه وحده ورسول الله صــلى الله عليه وســلم ، لم يطلع أحدا على مسيرة الهجرة •• الا من لهم صــلة ماسة بها ، ولم يتوسع الرســول فى اطلاعهم الا بقدر العمل المنوط بهم ••

ثانيا : الاعتماد على الله ، مع الأخذ بالأسباب • قال تعــالى : **« الا تنصروه فقــد نصره الله اذا أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذا يقول لصــاحبه لا تحزن ان الله معنــا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليــا والله عزيز حكيم » (١)** •

ثالثا : الايمان هو دليل الفاعلية والحركية ، وذلك أن الايمان هو الروح التى تحرك الجسد ، فتبعث فيه الحياة ، وعندئذ تكون النفوس مستعدة لتحمــل المســئوليات والتضحيات • ولابد للمؤمنين من الاختبار والتمحيص •• لأنه هو

---

(١) سورة التوبة آية ٤٠ •

الثمن الـــذى تعز به العقيـــدة فى نفـــوس المـــؤمنين • والعقـــائد الرخيصة التى لا يؤدى أصحابها تكاليفهـــا لا ليعـــز عليهم التخلف عنها • والشدائد دائما تستجيش مكتون القوى ، ومد خور الطاقة ، وتفتح فى قلب المـــؤمن ، منـــافذ ما كان يعرفها المســـلم الا تحت مطارق السدائد ••

رابعا : الأخوة الاســــلامية ، القائمة على العقيـــدة •• أخـــوة لا تعتـــــرف بالقوميــــات ، ولا بالجنســـيات تلك الأخـــــوة التى جمعت المسلمين فى جامعة اسلامية واحدة ••

خامسا : الدستور القائم على كتاب الله ، المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم •• وكتاب اللـــه هو ميزان الحق •• حتى لا تحتاج الأمة الاسلامية فى مســـــيرتها فى الحياة الى تجارب الأمم وأفـــكار ســـماسرة القوانين الوضـــعية ، والمذاهب الهدامة ••

وقد أثبت التاريخ والتجربة • أن كتاب اللـــه خـــير حـــكم بين الناس •• ولم يعد المســـلمون فى حاجة الى تجارب أنظمـــة البشر التى تواضع الناس عليها ، وكم من الدروس يمكن أن يستقيها المسلم من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم •• ففيها مثل حية للثبـــات والصبر والعزم ، والصمود وفيها : نمـــــاذج فريـــدة فى البطـــــولة والتضـــحية ، ونكـــران الـــذات والفداء •• وفيها : عمـــل منظم وتخطيط مركز ، ودراسة واعية ، واحاطة تامة •• وتعـــاون كامل ، واخاء شامل ، وايثار بالغ ، ووحدة رائعة ، وعزة ، واباء ، وكـــرم ، ووفـــاء •

والأمة الاسلامية وهى تتطلع الى غد مشرق فى مطلـــع القـــرن الخامس عشر الهجرى جدير بهـــا أن تعرف مكانها فى هذه الارض ، وتعنى قدراتها وتعمل على جمـــع كلمة أبنائها • فقد بلغت مخططات اللؤم والحقد على الاســــــلام والمســـلمين غايتها • وما نراه من تمزيق لمجتمعـــات المســـــلمين ، وتشتيت لشعوبها ، وقضـــاء على

مواطن القوة الأصـــلية فيها ، وانتقاص لاقطار الاســـلام من أطرافه ، وابتلاع لبعض أقاليمه ، واجهاز على حركته من داخلـه ، لأكبر دليـل على أن المجتمعـات الاســلامية تقع فريســة لتآمر رهيب ، وتخطيط ماكـر ، وتكالب مسعور •

ولذلك تعـانى مجتمعاتنا دبيبا عاتيا على النفوس يرهقها ويحاول تجريـدها من مقـــومات الذات وعناصر الوجود ، ومن المؤسـف والمحزن الا نتنبه لهذه التيـارات المدمرة والمغرضة ، فنبيع أنفســنا لهذا أو ذاك أو نحـاول أن نرضى هذا وذاك على حســـاب عقيدتنا ومبادئنا وسلوكنا ونظامنا •

اننا نملك المبادىء الاســلامية التى تجعلنـا خـير أمة أخرجت للناس ، ونملك حيـزا جغرافيـا يجعلنـا أفضـل قـوة عرفتهـا الانسانية • ولدينـا من المـوارد والمـواقع ما يمكننا من اغنـــاء الحضارة الانسانية ، وانتشـال البشر من وهدة الضياع ، وازالة الاصفاد التى تقف فى وجه تقـدم الانسانية نحو الخير والاطمئنان•

وهجرتنا فى القـرن الهجـرى الجديد هى أن نعود الى الاسلام نستعيد المجد والقـوة والوحـدة والعدالة ، ونحقق أمل الانســانية فى قيام الحق ، ونشر الســـلام والأمن •

أحمد عبد الرحيم السايح

هجرة خاتم النبيين

للأستاذ/ أحمد علي منصور

عندما يطل على الأكوان هـلال شـهر الله المحرم ، من كل عام هجرى ، يحمل الى المسلمين ، فى مشـارق الأرض ومغاربها ، على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، ذكرى كريمـة ، هى بحـق من أحسن الذكريات الى نفوسـهم ، وأحبها الى قلوبهم ، لأنها تتصـل بخاتم النبيين ، وامام المرسلين ، ورحمة الله تعالى للعالمين ، سيدنا ومولانا (محمد) صلوات الله وسـلامه عليه ، وعلى آله وأصـحابه ، والتابعين لهم بأحسـان ألا وهى ذكرى هجرته عليه الصـلاة والسلام ، من مكة المكرمة ، أحب بلاد الله الى الله والى رسـوله ، وموضـع مولده الشريف ، وموطن عشـيرته وأهله ، والبلد الامين ، الذى اتصل فيه بعالم القدس والملأ الأعلى ، وتلقى فيه رسـالة ربه ، على يد أمين الوحى جبريل عليـه السلام .

الى المدينة المنورة ، عنـد السابقين الأولين من الأنصـار ، الذين أشربت قلوبهم حب الدين ، وامتلأت أفئدتهم باجـلال سـيد الأولين والآخرين ، واسـتعدوا للدفـاع عنه ، والقتـال دونه ، وباعوا أنفسهم وأموالهم فى سبيل الله ، حتى صـاروا جديرين بقول الله عز وجل فى شأنهم ، بسـورة الحشر : (**والذين تبـوءوا الـدار والايمان من قبلهم ، يحبـون من هاجـر اليهم ، ولا يجـدون فى صـدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم**

خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) .

والحق أن حادث الهجرة النبوية الكريمة ، حادث عظيم غير مجرى التاريخ ، وكان له فى الاسلام ، وحياة المسلمين ، على توالى الأيام والسنين ، أروع الآثار ، لأنه يصور معركة عنيفة بين الحق والباطل ، والايمان والكفر ، والهدى والضلال ، والعدل والظلم ، والرشد والغى ، والنور والظلام ، والاستقامة والفجور ، وبين عدد قليل من السلف الصالح ، سلاحهم الحجة والبرهان ، والانصاف واليقين ، وبين عدد كبير من الكفار والمشركين ، جاوزوا المدى فى ظلمهم ، ووضعوا أصابعهم فى آذانهم ، حتى لا تنفذ اليها الموعظة ، والأغطية على عيونهم ، حتى لا تبصر نور الاسلام .

ومن خلال الهجرة المحمدية الشريفة ، تتمثل أمام النفس صورة الحق ، يكاد يغلبه الباطل ، ويتركه على الأرض مهزوما ، لا يقوى على قتال ولا نضال ، ولكن نفحة من السماء تهب فاذا بالحق ينهض ، واذا به يقاتل ، واذا به ينتصر ، واذا بالباطل صريع ، وأهله فى الهالكين ، ولهم قلوب لا يعقلون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون .

وان حديث الهجرة ، حديث متشعب الأطراف ، متعدد النواحى ، يتجه الفكر فيه الى جوانب متنوعة ، تتصل بأشرف الخلائق أجمعين ، ونبينا الصادق الأمين ، الذى طلع نوره بالبلد الحرام ، وظهرت لمولده العظيم الآيات البينات ، ووجده مولاه يتيما فآواه ، وضالا فقيرا فهداه ، وعائلا فقيرا فأغناه ، وشرح له صدره ، ووضع عنه وزره ، ورفع له ذكره ، وأرسله بالهدى ودين الحق ، بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، فقام فى مكة وحيدا فريدا يدعو الى الله ، ولم تلبث دعوته أن عمت مكة ، ثم امتدت حتى شملت الجزيرة ، ثم اتسعت حتى بلغت أقصى الأرض ،

فكانت أكبر من الأرض ، فانتشرت فى الزمان ، وستبلى الأرض ، ويفنى الزمان ، والدعوة المحمدية خالدة باقية .

ويتصل حديث الهجرة بالقرآن العظيم ، الذى نزل به الروح الأمين ، على قلب الشفيع يوم الزحام فى المذنبين ، بلسان عربى مبين ، ليخرج الناس من ظلمات الشرك والضلال ، الى نور الايمان واليقين ، وتحدى به الانس والجن ، على أن يأتوا بمثله فعجزوا ، وضمنه من القواعد والأحكام ما يضمن للناس سعادة العاجل والآجل ، وكفل العلى القدير ، لهذا التنزيل الحكيم البقاء ، لأنه ينمو من نفسه كما ينمو الحى ، ويضىء من ذاته كما تضىء الشمس ، ويتجدد على مر الدهور والعصور من طبعه كما يتجدد الربيع ، ويهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لأنه تنزيل من حكيم حميد .

ويتصل حديث الهجرة بالاسلام ، ذلك الدين الحق الخالد ، الصالح لكل زمان ولكل مكان ، ولهذا رضيه الله العلى العظيم لجميع خلقه ، وأمر المكلفين أبيضهم وأسودهم باتباعه ، لأنه دين العدالة والحرية ، والحضارة والمدنية ، والكفيل بسعادة الانسانية ، والقائم على نظام يجعل الكون كله أسرة ، والناس جميعهم أخوة ، تجد فيهم الغنى ولا تجد المحروم ، وترى بينهم القوى ولا ترى المظلوم ، لأنه أنشأ بين الغنى والفقير سببا هو البر ، وأوجد بين القوى والضعيف نسبا هو الرحمة ، وجعل من أصحابه قوما هم خلاصة البشر ، وغاية ما يكون السمو الانسانى ، يرضون لله ، ويغضبون لله ، دليلهم الدين ، وقانونهم هدى سيد المرسلين ، وشعارهم شعار المتواضعين ، وعيشتهم عيش الزاهدين ، وعملهم عمل الصالحين ، وحكمهم حكم العادلين ، وفتوحهم فتوح الجبارين ، ثم هم من قبل ومن بعد سادة للناس أجمعين .

ويتصل حديث الهجرة بحالة العالم قبل الاسلام ، التى كانت

تقطع القلوب أسى ، وتملأ النفوس حسرات ، حتى ان المـــؤرخين فى الشرق والغرب ، لم يجدوا اسما يصـــــور هذه الحالة ، ويقربها للأذهان ، الا لفظ الجاهلية ، لأن الناس حينــذاك كانوا فى جاهليـــة جهلاء ، وضلالة عمياء ، وغى موف بأهله على النار •

وكسرى فى الفرس يحكم بالقوة والعنف ، وهرقل فى الـــروم يملك بالنار والحــديد ، وبين الفــرس والرومان ، حرب دائمة أو شبـــة دائمة ، ذهبت بقوة الغالب منهمـــا والمغلوب ، والناس هنا وهنـــــاك يسامون سوء العذاب ، ويساقون سوق المواشى والأنعام ، يقضون سحابة يومهم ، وهزيعا من ليلهم، فى العمل المتواصل ، تحت أشـــعة الشـــمس المحـــرقة ، والبـــرد والزمهرير ، والويـــل لمن يرفـــع صوته ، مطالبا بحقه فيما عمل •

وجزيرة العـــرب على حـــافة بركان ، ولا تنطفىء فيهـــا نيران الحروب ساعة من نهار ، وأصنام معبودة ، وبنات موءودة ، وأرحام مقطوعة ؛ وميسر وقمار ، وليس هناك دين يجمع الكلمة ، ويوحـــد الصفوف ، ولا حاكم يرفع منـــار العدالة والانصاف ، ويضرب عـــلى أيدى الظـــالمين ، ويأخذ بحـــق المظلومين • وبهـــذا وبغير هـــذا صارت الحياة فى الشرق والغـــرب جحيما لا يطاق •

ثم تجلى الله العلى العظيم على الورى ، ولكل بداية نهاية ، فأرسل اليهم الرحمة المهـــداة ، وخير من حملته الغبراء ، وأظلته الســـماء ، فهداهم الى الحق ، والى الصراط المستقيم ، ورفع منـــار العـــدالة والانصاف ، والحرية والمســـاواة ، وقرر فى النفوس أن أكرم النـــاس عند الله أتقاهم له ، فلا نزاع ولا خصام ، ولا فسوق ولا طغيان ، ولا ظلم ولا عـــدوان ، بـــل حب وسلام ، واخاء ووئام ، وحيـــاة ملؤها العزة والكرامة ، والسعادة والرفاهية ، لكل من تظلـــه رايـــة الدين الشريف ، ويسلك سبيل قائد الغر المحجلين •

وهنا طابت الحيـــاة ، وغدا الانسان حرا كريما بكرامتـــه ، فى

نفسه رضا ، وفى قلبه طمأنينة ، وفى روحه شعور جديد بالكون وخالقه العزيز العليم ، وشعور قوى بامام الهدى وسيد البشرية المطاع ، وحاكمها العادل ، ورئيسها الأمين المأمون . وشق الاسلام طريقه الى القلوب وشرعت العقول تفكر ، والنفوس تستبشر ، والأمن يضرب ببرواقه على الوجود ، وفى كل مكان عدل ، وفى كل نفس راحة ، وفى كل قلب طمأنينة ، وفى كل فؤاد ايمان ، وفى كل ضمير سعادة وأمل .

ويتصل حديث الهجرة ، بالأمة الاسلامية ، التى جعلها الله عز وجل خير أمة أخرجت للناس ، لأنهم يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويؤمنون بالله ، وحملوا مصباح النور حين عم الكون الظلام ، وأرشدوا العالم الى بر السلامة وشاطىء النجاة ، حين تاه فى عباب الجهل ، حتى أمسى تاريخهم تاريخ الكمال الانسانى على وجه الأرض ، وتهاوت أمامهم تيجان الملوك والحاكمين ، وزلزلوا عروش الجبابرة والطاغين ، ونهضوا نهضة الأسود ، يحملون بأيمانهم نور القرآن العظيم ، يضيئون به للشعوب طريق المجد فى الدنيا ، والسعادة فى الأخرى ، وبيسراهم السيوف ، يردون بها الضالين الى طرق الحق والرشاد .

هكذا تكون الذكريات العاطرات ، وهكذا يبقى حديث الهجرة النبوية الكريمة جديداً على مر السنين والأعوام ، وسيستمر الكلام عن هجرة خاتم النبين طريفا ، على امتداد الشهور والأيام ، وسنحس النداء يتردد صداه فى كل قلب ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها : كنت يا أشرف الورى للانسانية كلها خيرا وبركة، وكنت يا رسول الله للعالمين هدى ورحمة ، وأنت يا امام الهدى مثال الانسانية الكامل ، وأنت ياحبيب الرحمن الجامع لأشتات الفضائل، وكان فضل الله عليك عظيما ، فأفاض عليك ما شاء ، وأفضت على الناس مما هم فى حاجة اليه ،

ورسمت للمصلحين أوضح طرق الاصلاح ، ووضعت للمشرعين أكمل قواعد التشريع ، وأبنت للعلماء أروع نظم الكون ، وأوضحت للخلق كيف يكون الامام العادل ، والرئيسى المنصف ، والقائد المنصور ، والاجتماعى الحكيم الذى يضم القلوب المتنافرة ، ويطهر المجتمع من المفسدين •

ولقد كشف الغطاء عن أعين الأمم الاسلامية ، فأدركت ماجنته بالتفريط فى حق دينها ، وبعدها عن سلوك سبيل رسولها، وأدركت ما كان لسلفها الصالح ، من مجد عظيم يتغنى به المؤرخون ، كلما قلبوا صفحات التاريخ ، فى فجر الاسلام وضحاه ، فتطلعت اليه وتوثبت لأحيائه ، وفى الجو بارقة من الأمل ، فأننا قد أخذنا فى الرجوع الى أحضان الدين ، وشرعنا فى العمل بما جاء به خاتم النبيين ، وأمام المرسلين ، ووضح لنا أن العقل قد استنار ، وأن الفلك قد استدار ، وأن الاسلام الأغر ، الذى أنقذ الخليقة من ضلال كسرى أنو شروان ، ومن بغى قيصر الرومان ، جدير أن يخلصها اليوم من كل بغى وطغيان، وله من ديمقراطيته الأصيلة ، واشتراكيته المعتدلة ، وأخوته الشاملة ، مناعة من كل سوء ، وأمنة لكل جنس ، والله تعالى كفيل أن يظهره على الدين كله ، فان انتصاره انتصار للعقل ، وان انتشاره انتشار للعدل ، وان سيادته سيادة للسلام •

ولا يسعنا فى نهاية مقالنا ، الا أن نقدم للمسلمين بالمشارق والمغارب ، جميل تهانينا بالعام الهجرى الجديد ، مبتهلا الى الله جلت حكمته ، أن يجعل لنا فى كل ذكرى من ذكريات رسولنا الصادق الأمين ، عزا ومجدا ، وسعادة ورفاهية : فانه لا مانع لما أعطى ، ولا راد لما قضى ، وهو سبحانه ولينا ونعم النصير •

أحمد على منصور

بيعتا العقبة.. والطريق إلى يثرب

للأستاذ / رشدي محمد ابراهيم

عندما نقرأ سيرة رسول الله • ــ صلى الله عليه وسلم ــ ندرك أن الرسول عليه الصلاة والسلام علم منذ أول يوم نزل فيه الوحى • أنه ستأتى ساعة يغادر فيها مــكة ، ويخرجه منها قومه ، فقــد أخبره ورقة بن نوفل بذلك لما عرضت عليه خديجة ــ رضى الله عنها ــ أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال ورقة كما روى البخارى « هــذا الناموس الذى نزله اللــه عــلى موسى ، ياليتنى فيها جذعا ، ياليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ : « أو مخرجى هــم •• ؟ » ، قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى ، وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا » •

ولم يمهل القدر ورقة بن نوفل ، فعاجلتــه المنيــة •• ولــم ينس رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ أنه ستأتى ساعة يترك فيها محلة ميلاده ، ومنبت أرومته ، لكنه لم يتعجل هــذه الساعة وانما بــذل الجهد فى النصح لقومه ما استطاع داعيا الى ربه ، مؤديا لرسالته •• وهيأ الله له من خديجة رضى الله عنها ــ الصــــدر الحانى والقلب العطوف •• فكانت تمسح عنه عناء ما يلاقى ، مواسية له بما تملك ، وما تستطيع •• حتى لقيت ربهــا راضية مرضية فى نفس السنة التى مات فيها عمه أبو طالب الذى كان مصدر الحماية للرسول عليه الصلاة والســلام •

وأدركت قريش ما أصاب رسول

الله صلى الله عليه وسلم من حزن لموت زوجه وعمه ، فاهتبلت الفرصة ، وراحت تصب أذاها على الرسول والمؤمنين حتى ضاقت الحلقات واستحكم أمر قريش ، فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم الى الطائف فلقى من أهلها العنت أشد العنت ، فما كان منه الا أن عاد الى مكة ﷺ ..

وتحدثنا كتب السيرة والاخباريون بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن عاد من الطائف أخذ يعرض نفسه على القبائل فى موسم الحج وفى أسواق قريش ، يدعو الناس الى الايمان بالواحد الأحد ، ونبذ ما توارثوه عن الآباء والأجداد ، وفى أثناء تجواله بين الوافدين الى مكة . كان عمه عبد العزى « أبو لهب » يتبعه وينادى فى الناس بألا يطيعوه ، وألا يسمعوا اليه ..

حتى اذا أراد الله الخير لنبيه ، ودينه ، كان لقاء النبى صلى الله عليه وسلم برهط من الخزرج فأعجب ستة منهم بما دعاهم اليه، فآمنوا به ، ورجعوا الى قومهم فأذاعوا الأمر بينهم حتى أصبح اسم النبى علما يجرى ذكره على لسان اليثربيين ..

واذا كان غار حراء هو المكان الذى تجلت فيه أنوار الهداية الالهية ، واتصل فيه نور السماء بالأرض .. واذا كان غار ثور هو المكان الذى تجلت فيه حماية الله للمهاجر الذى ترصده عيون الشرك وتتتبعه بوازى قريش لتفتك به ، فان هنالك بقعة من الأرض ميمونة الطالع ، فيها تجلت أنوار العقيدة وهى تشق طريقها الى قلوب اليثربيين ، هذه البقعة هى «العقبة» .. وتقع بالقرب من منى فى الطريق المنحدر من عرفات الى مكة ..

فى هذا المكان تمت بيعة العقبة الأولى ــ فى العام الثانى عشر من البعثة ــ حيث جاء من يثرب اثنا عشر رجلا ، فالتقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت المبايعة بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم ــ على الايواء ،

والنصر ، والسمع ، والطاعة •• ثم طلبوا منه أن يرسل معهم مـــن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم أمــور دينهم ، فاختار لهم الرســول ــ صلى الله عليه وسلم ــ «مصعب ابن عمير » ليكون أول ســـفير للاسلام ، وأدى مصــعب رسالته خير أداء ، وظهر أثر ذلك فى موسم الحج التالى حيث وفد عــلى مكة ثلاثه وسبعون رجــلا وامرأتان ، ومعهم مصعب بن عمير ، وتحت جنح الليل ، وفى حــواشى ظلمته وسكونه اجتمع الرجال سرا عنــد العقبة ينتظرون رســـول الله ــ صلى الله عليه وســلم ــ حيث وعدهم •• ولم يطل الانتظار فقد أشرق عليهم ومعه عمه العباس ــ وكان لا يزال مشركا ــ غير أن حبه لابن أخيه جعله يرافقه ليتوثق له ولــذا كان العباس أول المتكلمين فقال : « يا معشر الخــزرج ، ان محمدا منا حيث قد علمتم ، وقــد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو فى عز من قومه ، ومنعة فى بلده ، وانه قد أبى الا الانحياز اليكم ، واللحوق بكم ، فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ، ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وان كنتم ترون أنكم مسلموه ، وخاذلوه بعد الخروج به اليكم فمــن الآن فدعوه فانه فى عز ومنعة من قومه وبلــده » •• فقال أهــل المدينة للعباس : « قــد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ، ولربك ما أحببت » •• فدعاهم الى الله ، ورغب فى الاسلام ثم قال : « أبايعكم على أن تمنعــونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم • » فقام « البراء بن معرور » ســيد القوم ، ومد يده الى النبى صلى الله عليه وســـلم ــ قائلا له : « بايعنا يارسول الله فنحن والله أبناء الحرب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر » •• فقاطعه « أبو الهيثم بن التيهــان » قائــلا : « يارسول الله ، ان بيننا وبــين الرجال حبلا وانا قاطعوه ــ يعنى اليهود ــ فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ••؟» فتبسم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ

ثم قال : « بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، أنا منكم ، وأنتم منى ، أحارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم » •• ثم أمرهم أن يختاروا له من بينهم اثنى عشر رجلا يشرفون على المسلمين فى قومهم سماهم النقباء ، ورجعوا الى رحالهم فى ظلمة الليل دون أن يشعر بهم أحد •

بهذا تمت بيعتا العقبة الأولى والثانية كما روتهما لنا كتب السيرة والأخباريون •• وهما بلا شك •• مقدمة للهجرة ، ولذلك ازداد انتشار الاسلام فى المدينة عقب ذلك وأصبح المسلمون يتوقعون قدوم النبى صلى الله عليه وسلم اليهم ، ومبايعة العقبة الثانية بما دار فيها من حوار ، وما قاله كل من العباسى ، والبراء ، وأبو الهيثم تدل دلالة قاطعة على أن محمدا صلى الله عليه وسلم انما كان يعد لساعة ما زالت فى ضمير الغيب آنئذ ، فاذا حانت رحل عن مكة وهاجر •• فهو من ثم لم ينس أن قومه سيخرجونه منذ علم بذلك فى أول يوم لنزول الوحى •• ولعل سائلا يسأل ، لماذا كان أهل يثرب أسرع قبولا واستجابة لدعوة الاسلام من أهل مكة الذين يعيشون فى كنف البيت الحرام والذين دافع الله عنهم حين لم يكن لهم حول ولا طول أمام جند ابرهة •• ؟

ويجاب عن هذا التساؤل بما يأتى : —

أولا : ان اليهود فى يثرب كانوا يقولون بقرب ظهور نبى يؤمنون به ويقتلون الأوس والخزرج قتل عاد وثمود ، لذا سارع اليثربيون الى الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم حتى يسبقوا اليهود •

ثانيا : مخالطة أهل يثرب لأهل الكتاب جعلتهم عارفين بتفاصيل دين كتابى يخالف عبادات الجاهلية لذا وجدوا فى الاسلام تحقيقا لنبوءة ذلك الدين الكتابى كما كان أيضا لاتصال بعض أبنائهم كحسان ابن ثابت بالغساسنة فى الشام حيث النصرانية أثر فى نفوسهم مما جعلهم يسارعون الى الاسلام •

ثالثا : أن الحروب التى كانت

بين الأوس والخـزرج والتى كان آخرها يوم بعاث فى العام السابق للعقبة الأولى ــ أضعفت صفوف اليثربيين ، ولما تم الصلح بـين القبيلتين كانت آثار الضعف بادية عليهما •• ولذلـك كانت القلوب مستعدة لتقبل عنصر جديد يصلح من شأنها •• فكان الاسلام هـو بارقة الامل التى لاحت فى الافق فقضت عـلى الفرقة وألفت بـين القلوب ••

ثالثا : أثر تلك القرابة التى كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى النجـار مما كان حافزا للايمان به •

رابعا : الدور الذى أداه سفير الاسلام « مصعب بن عمير » فقد كان له من الشخصية والقدرة على ابلاغ الدعوة ما جعله يصـل الى مغاليق القلوب ، فيفتح أبوابهـا بيسر واقتدار •

خامسا : كان للبيـئة الطبيعية أثرها فالمدينة سهلة ومكة صخرية ، لذا كان فى أخـلاق أهـل المدينة سهولة ويسر ، وفى طبـاع المكيين جفاف وشدة •

سادسا : حرص الزعماء مـن قريش على السيادة الدينية عـلى سائر العرب •

سابعا : حقـد السادة أصحاب الرأى فى أن يكون النبى هو محمدا خاصة لذلك جهدوا فى صد الناس عن دعوته مع تيقنهم من صدقه •

لهـذا كله كانت المسـارعة الى الايمان من أهـل يثرب ، وكانت بيعتـا العقبة الاولى والثانية أول عهـد عـلى طريق النور ودرب الايمان يقوم على النصر والمؤازرة

وبهـذا كله كان الطـريق أمام رسول الله ــ صلى الله عليهوسلم ــ الى المدينة معبدا •• حتى حانت سـاعة الخروج ، وتحـرك موكب النور تحت عـين الله •• وكانت النقلة مـن مـكة الى المدينة هى الحركة التى بها تحرك الكون كله ، ولها تغـيرت مجـريات الأمور ، ومجريات الزمن •

رشدى محمد ابراهيم

من نفحات الهجرة

للأستاذ / محمد أبو النصر غانم

رفت على آفاقها الرايات
وهمت على جنباتها الرحمات

تجلو مجاليها ، ويشدو نايها
وتطيب فى أجوائها السبحات

هذى مواكبها تطوف ، وفوقها
منح تزف ، ورحمة مهداة

أمل يراه المسلمون ، ومشهد
نزلت على أضوائه الآيات

ذكرى العقيدة والفداء تواكبت
فيها الحياة ، وطابت النفحات

الله أكبر ، ما أعزك هجرة
تبقى ! وكل الذكريات موات

مالى وللشعراء فى ساحاتها
جاه يكافئها ، ولا خطرات

فلتخشع الدنيا ، وعند رحابها
يقف اللسان ، وتعجز الكلمات

ياصاحب الذكرى ، وكم لك نفحة
عبقت بفيض عبيرها الجنات

أنا لســــت أنسى يــــوم قمت بمــــكة
تدعــو ، وقــــومك ظالمــــون طغــــاة
مــلك الضــــلال عقولهــــم ، وتحكمت
فى أمرهــم « عزاهــم » و « منــــاة »
واستضــعفوك بجهلهــــم وضــــلالهم
وصـــحوا على الشرك الغنى وباتــــوا
كم عذبوك عــلى هجــــين الصــــخرمظ
لــوما ، ولم تظهــــر عليــك شــــكاة
هــم يغضــــبون لما تقــــول ، وأنت ير
ضــــيك العــــذاب المــر والطعنــــات
ولكم مددت يديــك تطــلب رشــــدهم
فــــاذا بهــــم فى غيهــــم أمــــوات
قابلت جهلهــــم بحلمــــك راضــــيا
وتألقت فى وجهــــك البســــــمات
ولكم أتى جبريــــل يطــلب ما تــــرى
فيهــم ، وفيهــم ســــــادة ورعــــاة
ويقول « لو شئت الهــلاك دعــوت ربك »
فاســــــتجيبت عنــــده الدعــــوات
فــيراك غضــــبان الجبين لمــــا دعــــا
ك ، وتلتقــى فى عينــــك العبــــرات
وتقــــول « يارب اهد قــومى انهــــم
لا يعلمون » وحســــبى الحســــنات
ما بعــد عفــــوك يا رســــول اللــه
عفــــو أو كمثلك فى الحيــــاة عفــــاة
بــأبى وأمــى ، يارســــول اللــه يــو
م التف حــــولك مــذنبون عصــــاة

في دارهم عقـــدوا الأكف عــلى الأذى
وتعـــــددت للفتـــــك مؤتمـــرات
حلفوا على الأصـــنام أن يقضـوا عليـ
ـــك ، وأن تــروى بالــدم الســاحات
وركبت ليــل البيد ، والكفـــار حـــو
ل البيت ، لـم تهـدأ لهـم خطـــوات
ســهروا عليــك ، وفي قلوبهـم الــردى
وســـــيوفهـم بأكفهـــم ظمئـــات
والجهـل يغلى ، والنفـوس غضــوبة
والثـــورة العميــــاء ، والنـــزوات
والحمق ، والحقـــد الدفـــين تضرمت
منـــه عـــلى أكبـــادهم جمـــرات
وخرجت من بيت النبــوة ، والشـــــبا
ب أمـــام بيتـــك أعــين يقظـــات
هاجرت منهـــا يا محمـــد تفتـــدى
دنيــا تضـــيىء بنـــوره الفلـــوات
تمضى عــلى وجـــد المحب ، ويحتـــو
بك الشوق ، والآمـــال ، والدعـــوات
وتقـــول « لولا أن أهلـــك أخرجـــو
ني مــا خرجت » ومــا همت دمعـــات
لكنـــه أمـــر الســـــماء ، وسرهـــا
فيـــه لكل من اســـتجاب نجـــاة
يا أرض مــكة ، كيف أنت ، وقــد نــأى
عنك الهـــدى ، وهــوت بك العثــرات
هذا محمــد راحـــلا .... وبقلبـــه
لــك ذكريــات بالهـــدى عطــرات

كم راح يدعــو اللــه ، وهــو مهــاجر
والشـــوق يقطر منـــه والزفـــرات
ويقلب النظـرات فى الأفـــق البعيـــ
ـــد وفى الرحــاب ، وتنتشى القبـــلات
الكون ، والليــل الوديــع ، وضــجعة الد
نيـــا ، وصــمت البيد ، والخفقـــات
والأفق ، والجبل الأشـــم ، وخطـرة الأ
نســـام ، والأفـــلاك ، والهمســـات
والــدار ، والوطن العـــزيز ، وأهلـــه
والكعبـــة الغنـــاء ، والحجـــرات
ومقـام ابراهيـــم ، والحــرم الحبيـــ
ـــب ، ومــا حــوى فى طهــره عرفــات
ومنى ، ومــا بــين الصــفا والمــروة ار
تســـمت بقــلب محمـــد لوحـــات
والعهد ، والأرض الوفيـــة ، والهـــوى
والهـــدى ، والقـــرآن ، والقبســـات
والرحمـــة الكبرى تلـــف الغـــار فى
رفـــق ، وجنـــد الله فيـــه حمـــاة
وحمـــائم نـــامت لتحمى ضـــيفها
هـــل بعـــد ذلك فى الحيـــاة حيـــاة
بـــأبى وأمـــى ، يـــوم رحت ليثـــرب
وعليـــك من نـــور الهـــدى هـــالات
واســتقبلتك ، وأنت ضيف الله ، والســـ
ـــهل انطـــوى لخطـــاك ، والربـــوات
حفت بك الأنصـــار فى فـــرح ، وأشـــ
ـــرق باســمك التــاريخ والصـــفحات

وحدت بين المســـلمين ، فــلا هـــوى
يهـــوى بوحـــدتهـــم ، ولانزعـــات
قد كنت قائدهـم ، وأمـــرك بينهـــم
شـــورى ، وجاهك عزمـــة وثبـــات
هـــذى مبادئـــك العظيمـــة ، قد بنت
شـــعبا ، بنـــوه للســـلام بناة
قد علم الدنيـــا ، وأصـــبح صـــوته
وحيـــا ، وهمس حديثـــه صـــيحات
علمتـــه أن الجهـــاد فريضـــة
حتى يصـــان الحـــق ، والحـــرمان
وأقمت فيـــه العـــدل ، وهـــو شريعـــة
كبـــرى ، فـــلا تاج ، ولا طبقـــات
النـــاس مـــن أبنـــاء آدم كلهـــم
والأرض أمهـــم وتـــلك عظـــات
لا فـــرق بـــين الحـــاكمين وغـــيرهم
الا التقـــى للـــه والقربـــات
فاذا بوجهـــك كالصـــباح يروعهـــم
واذا بأعينهـــم عمـــى وســـبات
ناموا لكى تســـعى ، وأمـــر الله غـــلا
ب ، وأمـــر الكـــافرين شـــتات
يا صـــاحب الذكرى ، وحبـــك دافعى
ألـــدى الا الشـــعر والســـجعات
فى كـــل عـــام لى اليـــك قصـــيدة
أعـــلو بهـــا ، وتهـــزنى الصـــبوات
لك يا رســـول اللـــه مـــا أغـــليت مـــن
نفسى ، وفيهـــا للهـــوى لمســـات

أرخصـــت فيك الـــروح ، وهى ضئيلة
وأتيت بابـــك ، والأنـــام غفـــاة
كم قد سهرت على هداك ، وعشـــت فى
نجـواك ، والأشـــواق ملتهبـــات
لا يســعد العشـــاق فى خلواتهـــم
الا حـــديث الليـل ، والهمســـات
أشكو لروحـــك جرأتى ، وقـــد انحنى
ظـلى ، وتـاهت فى الدجى الخطـــوات
وأقـــول ، من ذا مـا عصى ؟ ومن الذى
كانت قـــوام حيـــاتـه الطـــاعات
ان كـان يـذنب ســوای فلی علیـــ
ـك شـــفاعة ، ومـــودة ، وصـــلات
انى لجـــأت بـكل آثـــامى اليـــ
ـك ، وفى رحـابك تســـتر الســـوءات
من كـان محســـوب النبى تـذوب فى
ميـــزانه الآثـــام والهفـــوات

محمد ابو النصر غانم

من وحي ذكرى الهجرة

للأستاذ / محمد عبد الرحمن صلاح الدين

ردى الى الحيران نور صوابه
واستنقذيه من ضنى أوصابه
وتداركيه من نداك بقطرة
تروى أوام الروح بين اهابه
وبنسمة من نفح روضك علها
تسرى سلاما فى لظى أعصابه
العالم المفتون يركض لاهثا
فى الفقر خلف مضللات سرابه
ويهيم فى تيه الضلال فيجدع الآلام والأحزان بين شعابه
المال ملك يمينه والعلم ملك
شماله والجاه تحت ركابه
يا ويحه ما باله يشكو الظما
وكئوسه ملأى بحلو شرابه
ما باله مستوحشا فى سربه
شرقا يغص بريقه ولعابه
قد غاص فى يم الآسى متهالكا
يطفو ويرسب فى أكف عبابه

مســــــتنجدا مســـــــتصرخا لكتــه

يرتـــد مرتكســـا عـــلى أعقـــابه

عاف الـــدواء وصـــــد عن فلك النـــ

جاة فظــــل يحيـــا فى أليم عــذابه

ان الـــذى قـــد نـــد عن مـــدد الســ

ـماء وتاه فى الديجــور عن أســـبابه

غـــول الشـــــقاء تنوشـــــه حتى ولو

كانت ملــوك الجن من حجـــــــابه

يا نســـــمة الذكــرى الحبيبة أيقظى

وســـــنان حـــاك النـــوم فى أهـــدابه

أغضى الجفـــون على القـــدى متبلد ال

احســـــاس ليس بشــــاعر أو آبــه

ردى الى الرحمن عبـــدا شـــــاردا

كالوحش يركض فى مســـــارب غابه

وخذيه فى رفـــق الطبيب الى الهـــدى

وقفيـــــه ممتثـــل الفـــؤاد ببـــابه

فلعـــله بعـــــد التمـــــزق والضنى

يجـــد الســـــكينة فى ظلال رحابه

ولعـــله يحظى من العيش المتـــــاح

بسره الأســـــمى وحلــــو لبـــــابه

من ذا الذى يثرى الحياة ســـوى الذى

فطر الوجـــــود بخصـــــبه ويبابه

هـــل ثم غـــير الله عقـــــل مـــدرك

كنـــه الحيـــاة بنبضـــها المتشـــابه

الاله نــور القلب فى ظـــــلم الوجــو
د فــلا يحس ولا يـــرى الا بـــه
الله رب الكــون شرع للحيـــــــا
ة ســـبيلها الباقى عـــلى أحقـــابه
دنيـــــا ودين فى ظـــلال حكـــومة
محكـــومة من ربهـــا بكتـــــابه
تعنــو الجبـــاه لحكمـــه منقـــادة
لله لا لمـــدجج بحـــــــــرابه
لا الشرق باســــــتبداده وجحــوده
كــلا ولا الغـــرب المــدل بعـــابه
هــذا وذاك كلاهمــــــا متحـــلل
ركب الضـــــلال وتاه بين ضـــبابه
وكلاهمـــا فى ضـــــغنه ودهـــائه
حــرب عــلى الاســـــلام فى محرابه
قــولى لمن تخـــــذ الكرملين قبـــلة
متخشـــــــعا يجثــو على أعتــابه
هــــل أنت الا آبـــق من سربـــه
متجـــرد من لـــونه وثيــــــابه
هــل أنت الا مخلب مســـــــمومة
للــدب تصــــطاد الظبـــاء لنـابه
والماهــر الصــياد يرصــد صــيده
فيحــــوذه بمـــــدربات كـــلابه
خـــدعوك يا مفتــون اذ قد صــوروا
لك جــاحم الشـــيطان جنـــة نابه
فمضـــيت تقتحم البــوار مخـــدرا
بســــلاف ماركس لا تعى لكـــذابه

وغــدا تفيــق عــلى خــرائب مــوطن
قــد كنت معــول هــــدمه وخــرابه

وغدا سينكشف القناع فتبصر الشــ
ـيطان يســخر من ضنى أحبــابه
يأيهــا الــداعى الى اللــه الــذى
لا عــز الا بالتزام جنــــابه
أنت الذى غمــر الضــياء فــؤاده
فمضى يحلــق فى الســما برغابه
والعيش قـــد ذهــب الغبى بقشره

وذهبت أنت بروحــه ولبــابه
فاقرع بصــوت الحق أســماع الورى
واكشــف عن الاســلام رين حجابه
وارفع لواء نكســته يــد التخــا

ذل واحتــواه الــذل فى أطنــابه
واصــبر على كيــد الضــلال فطالما
شرب الدعــاة الى الهــدى من صــابه
والليــل يعقبــه صــباح مشرق

يمحــو الظــلام بهــوله وســحابه
فيعــود للاســلام وارف ظــله
ويعــود أمن النفس بعــد غيــابه
والعدل يكتنف الحيــاة فيسـبح ال
انســان فى أمواج ضــوء شــهابه

محمد صان الدين

حكم ... وطرائف

إعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

((تقشـــــــــف))

عندما زار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ مدينة حمص جاءه أهلها يشكون واليهم ، سعيد بن عامر ، وعابوا عليه خصال ثلاث : لايخرج اليهم حتى يتعالى النهار ، ولايجيب أحدا بليل ، ويعتزل الناس يوما فى الشهر ، ويسأل عن ذلك ، فيعلم أنه : يعجن كل صــباح خبزه ويخبزه بنفسه ثم يخرج ، وأنه جعل نهاره للناس وليله لله يعبده فيه ، وأنه يغسل ثيابه مرة فى الشهر وينتظر حتى تجف •

((عــذر مقبــول))

كان معاذ بن جبل عاملا لسيدنا عمر ــ رضى الله عنه ــ فلمــــا رجع ، قالت له زوجته : ما جئت به مما يأتى به العمــال الى أهليهم ؟ ــ وما كان قد أتاها بشىء ــ فقال لها : كان عندى ضاغط ، قالت :

كنت أمينا عند رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعند أبى بكر ــ رضى الله عنه ــ فبعث عمر معك ضاغطا ! وقامت بذلك بــــين نسائها ، واشتكت سيدنا عمر ــ رضى الله عنه ــ فلما بلغه ذلك ، دعــا معاذا وقال : بعثت معك ضاغطا ؟ قال : لم أجد ما أعتذر به اليها الا ذلك فضحك سيدنا عمر ــ رضى الله عنه ــ وأعطاه شيئا ، وقال له أرضــها به ، ومعنى قوله : ((ضاغطا)) يعنى : رقيبا ، وأراد به الله تعالى •

((أنتم أحق منى بالسؤال))

وقف سائل على باب قوم فقالوا له : يفتح الله لك •

فقال : كسرة •
قالوا : ما نقدر عليها •
قال : قليل من بر أو فول أو شعير •
قالوا : لا نقدر عليه •
قال : قطعة من دهن أو قليل زيت أو لبن •
قالوا لا نجـــده •
قال : فشربة من ماء •
قالوا : ليس عندنا ماء •
قال : فما جلوسكم ، قوموا : فأنتم أحق منى بالسؤال !!

« جهاد عالـــم »

استدعى المندوب السامى الفرنسى فى سوريا الشيخ عبد الحميد الجزائرى ، وقال له : اما أن تقلع عن تلقين تلاميذك هذه الأفكار ، والا أرسلت جنودا لاغلاق المسجد الذى تنفث فيه هذه السـمـــوم ضـــدنا واخماد أصواتكم المنكرة •

فأجابه الشيخ قائلا : أيها المسيو الحاكم انك لاتستطيع ذلك !!

واستشاط المسيو غضبا ، وقال : كيف لا أستطيع ؟!!

قال الشيخ : اذا كنت فى عرس علمت المحتفلـــين ، واذا كنت فى مأتم وعظت المعز ، وان جلست فى قطـــار علمت المســـــافرين ، واذا دخلت السجن أرشدت المسجونين ، وان قتلتمونى التهبت مشـــــاعر المواطنين ، وخير لك أيها المسيو ألا تتعرض للأمة فى دينها ولغتها •

« من حكم سيدنا سليمان »

من حكم سيدنا سليمان ــ عليه السلام ــ لقومه : أوصيكم بأمرين : أفلح من فعلهما ، لاتدخلوا أجوافكم الا الطيب ، ولا تخـــــرجوا من أفواهكم الا الطيب ! •

« عقــوبة متكبر »

قال : تكبرت فى موضع يتواضع الناس فيه ، فأذلنى فى موضـــع وحوله خدم يمنعون الناس من الطواف حتى لايزاحمه أحد !!

ثم مرت سنين ، فرأيته بجسر الرصافة يسأل الناس !

فسألته : ماذا جرى عليك ؟

قال : تكبرت فى موضع يتواضـــع الناس فيه ، فأذلنى فى موضـــع يتكبر الناس فيه •

« العاقل والأحمق »

العاقل : اذا أحبك بذل جهده فى المودة والنصرة ، واذا أبغضك رفع عن الظلم قدره ، واذا أحسنت اليه اعترف وشكر ، وان أسأت اليه ستر واعتـــزر •

والأحمق : اذا قربته تكبر ، واذا أبعدته تكدر ، وكلما رفعت من قدره درجة انحط من قدرك عنده درجة !!

« توجيه للمعلم »

قال عمر بن عتبة لمعلم ولده : ليكن أول اصلاحك لولدى اصلاحك لنفسك ، فان عيونهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما صـــــنعت ، والقبيح عندهم ما تركت ، علمهم كتاب الله ، ولا تملهم فيه فيتركوه ، ولاتتركهم منه فيهجروه •

وروهم من الحديث أشرفه ، ومن الشعر أعفه ، ولا تنقلهم من علم الى علم حتى يحكموه فان ازدحام الكلام فى القلب مشـــــغلة للفهم ، وعلمهم سنن الحكماء ، وجنبهم محادثة النساء ؛ ولا تتكل على عـــذر منى لك ، فقد اتكلت على كفاية منك قال الشاعر :

وان مـن أدبتـه فى الصـبا
كالعود يسقى الماء فى غريسـه
حتى تـراه مـورقا نـاضرا
بعد الـذى أبصرت من يبسـه
ما تبلـغ الأعـداء من جاهـل
ما يبلغ الجاهـل من نفسـه

« من أكرم الناس ؟ »

قيل لجمعة بن رافع الدوسى : من أكرم الناس ؟

قال : من اذا قرب منح ، واذا بعد مدح ، واذا ظلم صفح ، واذا ضـويق سمح .

« ألك حاجـة »

خرج على بن الحسين يوما من المسـجد . فسـبه رجل فانتدب الناس اليه .

فقال : دعوه وأقبل عليه ، قائـلا : ماستره الله عنك من عيوبنـا أكثـر !!

ألك حاجة نعينك عليها ؟

« الرفعة عند الله »

قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ابتغوا الرفعة عند الله » .

قالوا : وما هى يا رسول الله ؟

قال : « تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتحلم عمن جهـل عليـك » .

« صدق رسول الله »

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

باب الفتاوى

الاستاذ عبد الحميد شاهين

س : ما حكم الشرع فى حلق اللحى ؟

ج : من الظواهر المحمودة بخاصة بين الشباب المسلم اللحى التى تشرق بها وجوههم ، اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم واحياء لسنته . وتعبيرا عما تختلج به جوانحهم من ايمان صادق ، مؤملين أن يكون الاسلام فى حياة المسلمين عقيدة وشريعة ، قولا وعملا ، عبادة وقيادة . ينم ظاهر المسلم فيه عن باطنه ، ويكون سلوكه تعبيرا حقيقيا عن باطنه « فليس الايمان بالتمنى ، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل » .

ولكن صحب هذه الظاهرة الطيبة أمر يثيره البعض ـ بحسن نية أو بسوء نية ـ ألا وهو الجدل حول حلق اللحى !! هل هو حرام أم مكروه ؟ وما يتبع ذلك من اثارة للشحناء والبغضاء والتفرقة بين القلوب !! مع أننا نهينا عن ذلك نهيا شديدا .

ومنعا لذلك كله وشفاء لما فى الصدور ، وبيانا للحق ، وقطعا لدابر الفتنة ، نورد فتوى فضيلة الامام الشيخ محمود شلتوت رحمه الله تعالى فى الموضوع فيما يلى :

آراء الفقهاء :

« تكلم الفقهاء فى حلق اللحى ، فرأى بعضهم أنه محرم ، ورأى آخرون أنه مكروه ، ومنهم من شدد فوصفه بأنه من « المنكرات » وبأنه « سفه وضلال أو فسق وجهالة » .

ونحن لا نشـــك فى أن ابقاءها وعدم حلقها كمـــا كان شأن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنه كان يأخذ من أطرافها وأعـــلاها بمـــا يحسنها ، ويجعلها متناسبة مـــع تقاسيم وجهه الشريف ، وأنه كان يعنى بتنظيفها وتخليلها بالمـــاء ، عملا على كمال النظافة .

وكان الأصحاب رضـــوان الله عليهم يتابعونه فى كل ما يختـــاره وييســـر عليه ، فى مظهره وهيئته ، حتى مشيته .

من سنن الفطرة :

وقد وردت عنه صلى الله عليه وســـلم أحاديث ترغب فى توفيرها ضمن أمور تتصـــــل كلها بالنظافة وتحسين الهيئة واظهـــار الوقار ، وعرفت تلك الأحاديث عند العلماء بأحـــاديث « خصـــــال الفطـــرة أو ســـــننها » والكلمة تعنى الآن الأشياء التى تتفق وخلق الانسان فى أحسن ما شاء من الصور ، وكان من هذه الخصال الواردة مع اعفاء اللحية فى تلك الأحاديث (السواك ، وقص الشارب والأظافر ، وغســـل البراجم ، وهى عقد الأصـــــابع ومعاطفها ، واستنشـــــاق الماء ، وازالة شـــــعر الابط والعانة والختان) .

وقد أخذت هذه الخصـــال عند كثير من الفقهاء الباحثين عن أحكام الشريعـــــة حـــكم الســـــنة أو الاســـــتحباب ، وأخذت حكم الكراهة .

واعفاء اللحية واحدة من هـــذه الخصـــال لا يعدو حكمه حكمها ، وهو السنية والاستحباب .

على أن كلمة « سنة » أخذت فى دور الاجتهاد الفقهى غير معناها فى زمن التشريع ، فهى عنـــــدهم : ما يثاب المرء على فعله ولا يعاقب على تركه .

وقد كان معناهـــا الطريقـــــة العملية التى يستحســـنها الناس ، ويرى فيهـــا النبى ما يرون فيها ، فييسر عليها ويرغب أصحابه فيها .

عادة قديمة :

وقد أرشدنا التاريخ فى قديم العرب وغيرهم الى أن اعفاء اللحية كان عادة مستحســـنة ، ولايزال

كذلك عند كثير من الأمم فى علمائها وفلاســـــفتها ، مع ما بينهم من اختلاف فى الدين والجنســــية والاقليم ، يرون فيها مظهرا لجمال الهيئة ، وكمال الوقار والاحترام •

والرسول عليه الصلاة والسلام من دأبه ارشاد أمته الى ما يجعلهم فى مقـــــدمة أرباب العـــادات المستحسنة ، التى توفر بحســب العرف مظاهــر الوقار وجمـــال الهيئة ــ ومن ذلك جاءت أحاديث الترغيب فى توفير اللحيـــــة ، كما جــاءت أحــاديث الترغيب فى السواك وتنظيف عقد الأصـــابع ومعاطفها •

الأمر بمخالفة المشركين :

نعم جاء فى أحاديث خاصــــة باللحيـــة الأمر بالاعفاء والتوفير وعللت ذلك بمخـــالفة المجــوس والمشركين ، ومن هنا فقط أخـــذ بعض العلماء أن حلق اللحية حرام أو منكر •

والذى نعرفه فى كثير مما ورد عن الرسول فى مثل هذه الخصال : أن الأمر كما يكون للوجوب ، يكون لمجرد الارشاد الى ما هو الافضل ، وأن مشـــابهة المخالفين فى الدين انما تحرم فيما يقصد فيه التشبه من خصائصهم الدينية ، أما مجرد المشـــابهة فيما تجرى به العادات والأعـــراف العامة فانه لا بأس به ولا كراهة فيها ولا حرمة •

وقد قيل لأبى يوســف صاحب أبى حنيفة رضى الله عنهما ــ وقد رئى لابسا نعلين مخصـــوفين بمســـامير ــ ان فلانا وفلانا من العلماء كرها ذلك ، لأن فيه تشـــبها بالرهبان فقال : كان رســول الله صلى الله عليه وسلم يلبس النعال التى لها شـــعر ، وانها من لباس الرهبان •

ونحن لو تمشـــينا مع التحريم لمجرد المشابهة فى كل ما عرف عنهم من العادات والمظاهر الزمنية لوجب علينا الآن تحريم اعفـــاء اللحى ، لأنه شـــأن الرهبان فى سائر الأمم التى تخالفنا فى الـــدين ، ولوجب الحكم بالحرمة على لبس القبعة ، وبذلك تعود مسألتها بدعة بعد أن طوى الزمان صـــفحتها ، وأخذت عند الناس مســـلك الأعراف العامة

التى لا تتصل بتدين ولا فســق ، ولا بايمان وكفر .

والحق أن أمر اللباس والهيئات الشخصــية ، ومنها حلق اللحية ، من العــادات التى ينبغى أن ينزل المرء فيها على استحســان البيئة ، فمن درجت بيئته على استحسان شىء فيها كان عليه أن يساير بيئته. وكان خروجــه عما ألف الناس فيها شــذوذا عن البيئة .. والله الموفق للسداد (١) » ١١ هـ .

وبعد فهل ننتهى عن الجــدل فى مثل هـــــذه الأمــور التى تفــرق ولا تجمــع ؟ وكفــانا ما يثور بين المسلمين من خلافات أدت الى حد القتال والحرب « **ومن يعتصم بالله فقــد هـــــدى الى صراط مستقيم** » (٢) . « **واعتصـــموا بحبــل الله جميعـــا ولا تفرقوا واذكروا نعمــة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصـــبحتم بنعمته اخوانا** » (٣) .

عبد الحميد السيد شاهين

---

(١) من فتاوى الشيخ محمود شلتوت رحمه الله .
(٢) الآية ١٠١ من سورة آل عمران .
(٣) الآية ١٠٣ من سورة آل عمران .

من أنباء العالم الإسلامي

اعداد الاستاذ فهمى عبد اللاه السيد

« الحرب بين العراق وايــران لمصلحة من ... ؟ (١) »

الدماء المسلمة التى تسيل مــن اقتتال العراق وايران لمصلحـــة من .. ؟ ، لا نحسب أن هنـــاك من يقول انها لصالح العراق ، أو انها لصالح ايران ؟ لكننا نقول ، ويوافقنا المسلمون العاقلون ، ان اسالة هذه الدماء المسلمة تخــدم أعداء الاسلام ، الاعــداء الذين يسعدون حين يسيل الدم المسلم ، دون أن يخسروا قطرة واحدة مــن دمائهـــــم ، حين نزهق أرواح المسلمين ، دون أن تزهـــق روح واحد منهم . نذكر اخوتنا المقاتلين ومن يريد الاصلاح بينهم بقــوله تعالى « **وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعـــدل وأقســـطوا ، ان اللـــه يحب المقسطين »** .

أيها المقاتلون المســـلمون ، احقنوا دماءكم ، وادخروها لقتال أعدائكم المتربصين بكم جميعـــا ، فهم كثيرون يقظون ، وليســـــوا بغافلين عنكم .

وجهوا بنادقكم الى صـــدورهم ولا توجهوها الى صـــــدوركم فتخسروا الدنيا والآخـــرة .

« شيخ الأزهر يهيب بالشعوب الاســـلامية والعربية أن تستجيب لقيام الجامعة الجديدة ويقول : جامعة الشعوب الاســـلامية

---

(١) صحيفة الكفاح الهندية العدد ٩

والعربية ·· طريق لعزة المسلمين وقوتهم » (١) ·

أهاب فضيلة الامـــام الاكبر الدكتـــور محمد عبـــد الرحمـــن بيصار شيخ الازهر بالشــــعوب الاسلامية والعربية ، أن تهتـــم وتستجيب لقرار الرئيس محمـــــد أنور السادات ، بقيام جامعـــــة الشعوب الاسلامية والعربية ··

ففى ذلك جمع للكلمة ، وتوحيـــد للصف ، والتفاف حول راية واحدة، تلبية لقول الله تعالى **«يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكـــــر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير »** ·· **ولقول رســـول** الله صلى الله عليه وسلم **« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »** ·· جاء هذا خلال اللقاء الذى تم فى مكتب فضيلة الامام الاكبر مـــع الدكتور زكريا البرى وزير الاوقاف وقال فضيلة الامام الاكبـــر : ان جامعة الشعوب الاسلامية والعربية هى الطريق الى العـــزة والنصر والقوة والمنعة والمجد والشرف ، كما أنها سياج متين فى وجه الطامعين ، وحصانة ضد المغرضين ·· وأضاف فضيلته أن المســــلمين الاوائل فى صدر الاسلام لم يصـــــلوا الى ما وصلوا الا بالتوحد والتجمـــع والترابط والتعـــاطف الذى كان انبثاقا من مؤاخاة الرسول صـــلى الله عليه وسلم بين المهاجـــرين والانصار ، فكانت هذه الخطـــوة الكريمة سنة رائدة للمسلمين فى كل زمان ومكان عبر القرون والاجيال ·· وصدق رسولنا الكريم فى قوله: **«مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحـــد اذا اشتكى منه عضو تداعى لـــه سائر الجسد بالســـهر والحمى »** وأضاف فضيلة الامام الاكبـــــر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الازهر فى تصريح خـــــاص (للاهرام) ان انشاء جامعــــــة الشعوب الاسلامية والعربية يأتى مع مناسبة كريمة لها فى نفـــــوس المسلمين أثر بالغ وهى تباشــــير

---

(١) الاهرام ١٠/١٠/١٩٨٠ ·

العام الهجرى الجديد ، الذى يأتى مع بداية القرن الخامس عشر ، ليكون فاتحة خير وبركة ويكون انسجاما مع هجرة رائد البشرية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم •• ونرجوا أن يكون انطلاقا الى العمل الجاد فى اطار البناء والعطاء والاصلاح •

تشكيل « جمعية كل مسلم »

تم تشكيل جمعية دينية جديدة باسم (جمعية كل مسلم) مقرها القاهرة ، وسيكون لها فروع فى كل بلاد العالم •• صرح بذلك الدكتور كامل البوهى رئيس اتحاد الجمعيات الدينية بمصر ، والذى اختير رئيسا لمجلس ادارة الجمعية الجديدة •• وقال ان الجمعية تهدف الى تبيان الاسلام على الصورة الصحيحة التى جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم والتركيز على الجانب الانسانى فى الاسلام ، ونبذ التعصب للرأى أو المذهب ، والاهتمام بحفظ القرآن الكريم ودراسته والعمل على اصدار جريدة اسلامية يومية على مستوى العالم الاسلامى •

« المصحف المفسر يوميا »

ابتداء من العام الهجرى الجديد تلتقى يوميا مع برنامج (المصحف المفسر) الذى يذاع على موجات اذاعة القرآن الكريم ، ويقوم من خلاله كبار رجال الدين والعلماء بتفسير وشرح آيات الذكر الحكيم •

أخبار المعاهد الازهرية

فى يوم ١٨/١٢/١٤٠٠ هـ الموافق ٢٧/١٠/١٩٨٠م قام الوزير اللواء ثروت طه عطا الله محافظ سوهاج بافتتاح معهد منشأة برديس الابتدائى وبوضع الحجر الاساسى لمجمع اسلامى فى برديس ، ويشمل : « مدرسة حضانة ، مدرسة ابتدائية أزهرية ، مستوصف خيرى » وكان ذلك بحضور فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الصادق هاشم مدير منطقة سوهاج الازهرية •

والسيد / حازم صبرى أبو ستيت عضو مجلس الشعب .

والسيد / محمود على السهد رئيس مركز البلينا •

وعقب الافتتاح تفضل السيد اللواء المحافظ بمنح معهد برديس الاعدادى الثانوى مبلغ ١٥٠ مائة وخمسين جنيها .

وقد أثنى سيادة المحافظ على شيخ المعهد الاعدادى الثانوى ببرديس لما قام به من مجهودات مشكورة فى المجال الاسلامى •• لمثل هذا فليعمل العاملون .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

فهمى عبد اللاه سيد على

كتاب الشهر

الهجرة

تأليف الأستاذ/ عبد الحميد جودة السحار

عرض وتحليل
للأستاذ/ السيد حسن قرون

منذ منتصف القرن الأول للهجرة والمسلمون يتحرقون شـوقا لمعرفة حياة خاتم الأنبياء والمرسـلين ، وما لاقاه من عنت فى سـبيل أداء رسـالته ، التى جاءت لترتفع بالانسان من العماية الى الهداية ، ولتربط الانسان بخالقه ، ولتقوده الى معرفة منزلته : من خلافته فى الأرض ، والسير على النهج الحميد الذى يتناسب مع هـذه الخلافة ، وأن يسـود التعاون والبر بين بنى آدم ، ويبتعـدوا عن الاثـم والعدوان ، ولذلك عمل الاسـلام عـلى ازالـة الجاهليـة بتحطيم الأصـنام والاوثـان وعبـادة المخلوقات ومنها الانسان ، وجعل القاعدة المثلى « **ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » .

وقد أزدادوا اغراقا فى التعرف عليه وعلى شمائله ، فتتبعوا ما قبل مولده ، وعنوا بآبائه الكـرام ، ولاسيما اسماعيل عليه السـلام وأبناؤه من بعده ، وهم أجـداد محمد عليه السلام ..

فكان مروان وبنوه يكلفون علماء المغازى والسيرة والحديث ، كعروة ابن الزبير ، ومحمد بن شـهاب الزهرى ، بالكتابة اليهم عن غزوة بـدر ، أو حلف الفضول مثلا .

وجـاء العصر العبـاسى : عصر التدوين ، فظهرت طائفة من كتاب السـيرة النبوية ، فعنوا بها عناية فائقة ، ودققوا فى ايراد الروايات ، وأكثروا منهـا ، ليكون لنا منهـا ما ينير الطـريق ، للوقوف على الأحداث والأعمـال والأحاديث ، ولا ضير عليهم اذا اتخذوا مسـلك الرواية فى السنة ، فأسـندوا كل حدث وكل مقال الى راو يتصـل عمله بمن سـبقه من الرواة الى العهد الأول الذى حوى الاحداث . وقد ترك لنا العصر العباسى كتبـا فى السيرة لا نظير لها فى الصدق ، والاداء الطبيعى الذى لا يكـد الذهن ، ولا يستغلق على الفهم . من تلك الكتب :

ـــ السيرة النبوية ، لابن هشام ، المتوفى فى ربيع الأول بمصر سـنة ٢١٨ هـ مايو ٨٣٤ م .

ـــ الطبقات الكبرى ، لمحمد بن

سعد كاتب الواقدى ، المتوفى سنة ٢٣٠ هـ .

ــ تاريخ الرسل والملوك ، لمحمد بن جرير الطبرى ، المتوفى سنة ٣١٠ هـ .

الى كثير من أمثال تلك الكتب التى وصل الينا منها ما نعتز به ، ونرجع اليه ، ونأخذ منه ، ونتمتع به ، ويقفنا على مسلك أسلافنا نحو الدين والدنيا ، وجهادهم فى اعلاء كلمة الله ، وانقاذ البشرية من عوامل الهدم والضلال .

وبقيت السيرة النبوية موضع العناية والرعاية على توالى العصور اللاحقة ، وكلما تباعدت الازمان عن العصر الأول ، اشتد الاقبال على السيرة ، وقد ترى بعض المؤلفين يعمدون الى كتب الأسلاف ، فيشرحونها ويضبطون بعض ما جاء منها من حديث أو شعر ، كما فعل السهيلى الأندلسى المتوفى سنة (٥٨١ هـ ــ ١١٨٥ م) فى كتابه « الروض الأنف » حيث شرح سيرة ابن هشام وأعرب بعض كلماتها .

وألهمت السيرة النبوية شعراء العصور ، فنظموا وأجادوا ، ومنهم البوصيرى صاحب البردة ، والبردة أثرت فى معاصريها ومن جاء بعدهم فقلدوها ، وكان من أثرها ظهور البديعيات التى نظمت حياة الرسول على وزنها وقافيتها ، وكل بيت منها يشتمل على محسن أو أكثر ، وقد ظنوا أنهم يحسنون صنعا ، ولكنهم جففوها ، وجعلوها أقرب الى العلم منها الى العاطفة الادبية والدينية .

ولكن شعراء العصر الجديث رجعوا بها الى نهج البردة ، فكانت قصائد منها قصيدة البارودى ، ونهج البردة لشوقى . تجد فيهما فنا عظيما ، وتعبيرا سليما ، وبعدا عن البديع والمحسنات اللفظية ، وقد فاز شوقى بالسبق وحسن الاداء .

ويهمنى فى هذا الصدد أن أذكر أن القرن الرابع عشر الهجرى الذى نودعه وقد عشنا فيه وشاهدنا مراميه كان من أزهى القرون فى العناية بالسيرة تأليفا وبحثا ومحاضرة ، وشتان بينه وبين القرن الثالث عشر الذى سبقه ،

فانك لاتجد فيه لها ذكرا الا فى مؤلف لرائد النهضة الحـــديثة فى مصر (رفاعة رافع الطهطاوى) فقد ترك لنا كتابا عنوانه « نهاية الايجـــاز فى سيرة ساكن الحجـــاز » فكان نادرة فى عصره ، وبيضـــة الديك كما يقولون •

لكن القرن الرابـــع عشر أشرق بضوء النبوة ، فكان كوكبا مضيئا بين القرون والعصـــور ، ناهض الاستعمار بالكلمة والمقاومة الجادة ، وغالب عوادى الزمن ، ولم يخضع لجحافل المغيرين الظالمين ، وجعل من السيرة وعرضها من جديد نضالا رائعا ، وسلاحا ماضـــيا يدك الحصون ، ويردع المغتصبين ، لان السيرة حوت الفضـــائل كلها ، وشـــمائل الفتوة والقوة وحب الاستشهاد لاخذ الحرية مـــن فكى الاسد ، وارساء ميزان العدالة كما فهموها من السيرة النبوية الغراء •

وفى الثلاثينيات ظهر أول كتاب لها تحت عنوان « محمد » للدكتور محمد حسين هيكل ، فكان جديدا فى عنـــوانه وبيانه ، وكتب مقدمتـــه الامام الراحل الشيخ (محمـــد مصطفى المراغى) فكان فتحا مبينا لعالم السيرة ، وأتبعه بكتـــاب « منزل الوحى » وأرخ لابى بكـــر وعمر رضى الله عنهمـــا ، وظهرت عبقريات العقاد ، ومنها « عبقريـــة محمد » •

واستلهم السيرة الدكتور طـــه حسين فأصدر « على هـــامش السيرة » فى ثلاثة أجزاء ، ببيان الاديب ومنهج القاص ، فأشـــبع شداة الادب ، وطلاب المتعـــة الذهنية ، وجمع بين الاســـطورة والحقيقة •• وأعد له من الســـيرة كتـــابا لم يكتبه فيها ، ولكنه اشتمل عليها وهو كتابه « مـــرآة الاســـلام » ولتوفيق الحكيم « محمد » كتبه على طريقة التأليف المسرحى •

وبجانب ذلك ظهرت مجلة الرسالة لصاحبها (أحمد حســن الزيات) فكانت رائدة المجلات ، فى اصدار أعداد خاصـــة بالهجرة ، تجـــد فيها القصة والمقال والقصـــيدة والبحث العلمى والادبى ، فعرفنا أدباء أجلاء من سائر الاوطـــان

الاسلامية والعربية ، وقد أثرت فى المجلات الأخرى فتابعتها فى نهجها الموسمى ، فرأينا مجلة مثل « الصباح » تصدر عددا خاصا بالهجرة ، وقد شاركت أنا فى تحريره وكنت طالبا ، وهى المجلة التى عرفت بنشر القصص العاطفى والاخبار المثيرة •

ولا تحسبن الاحتفال بالهجرة أو الكتابة فيها كان يرضى عنه الاستعمار ، فلقد جاهد شباب ١٩١٠ جهادا كبيرا حتى تنازل المستعمر ، وأقر الاحتفال بالهجرة، وكان الدكتور راشد رستم — رحمه الله — فى طليعة من نادى بالاحتفال بها وجعلها من الأعياد الرسمية التى تعطل فيها المصالح والدواوين •

وجاء بعد الرواد جيل (عبد الحميد جودة السحار) •

فألف فى السيرة النبوية ، واقتبس من الهدى النبوى واتخذ له مسيرة أخرى قد تخالف الرواد، ولكنها تلتقى معهم فى بعث الماضى ماثلا أمام العيون ، واظهار شخصية الهادى فى تألقها وبهائها ، وتفجير معالم الحرية للبشرية ، لترى النموذج وتقتدى بالمثل العليا ،

والمرحوم عبد الحميد جودة السحار كتب السيرة فى عشرين جزءا جعل عنوانها : « محمد رسول الله والذين معه » وبدأها بابراهيم أبو الانبياء، وختمها بوفاة الرسول ، وأخذت الهجرة منها كتابا رقم ١١ من الموسوعة بعنوان « الهجرة » وموسوعته ما تزال تمثل فى الاذاعة والتليفزيون وهذه الاجزاء كل جزء منها فى كتاب مستقل •

وموضع بحثى أنا ينحصر فى « الهجرة » بمناسبة استقبال القرن الخامس عشر الهجرى ، الذى أتمنى وأرجو أن يكون كسابقه : معنيا بالسيرة ، حاملا لواءها ، داعيا الى وحدة أتباعها « أمة التوحيد » ليكونوا بالجهد والعمل والتعاون والاعتصام بحبل الله « **خير أمة أخرجت للناس** » وما ذلك على الله بعزيز ، اذا أحسنوا النية، وصدقوا العمل • وارتفعوا عن حب الذات ، وجعلوا ما عند الله خيرا وأبقى ،

ولهم فى رسول الله وصحابته أسوة حسنة ، ومعهم كتاب الله يتلى ، وسنة نبيه تلقى ..

وهأنذا أخذ فيما رصدت نفسى له .

موضوعات الهجرة فى كتاب الهجرة

عبد الحميد جودة السحار : لم يبدأ الهجرة باتصال النبى بينى قبيله الأوس والخزرج ، وتعاهده معهم ، وانما بدأها بالحديث عن فقد عزيزين على رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمه ، وزوجه خديجة وختمه بخروج قريش لحرب النبى — الذى تعرض للقافلة التجارية التى يقودها أبو سفيان ، والقضاء على الدولة الاسلامية — التى رفعت لواءها فى يثرب .. ولو رفعت عن عيونهم الحجب لسمعوا النذير : يا قوم والله ما تساقون الا الى مصارعكم .. ومن ثم كان الكتاب التالى لها : « غزوة بدر » .

وبين هذين الحدثين : حديث عن ضيق النبى بمكة بعد فقد العزيزين ، ورحلته الى الطائف ، وعودته الى مكة مقهورا ليدخل فى جوار (المطعم بن عدى) زعيم بنى نوفل بن عبد مناف .

وذكر تكريم الله لنبيه فى الأرض والسماء .

فى الأرض آمن به الجن : حين سمعوه يتلو القرآن فى (نخلة) ، وقد قص الله عليه حكايتهم فى القرآن الكريم .

وفى السماء باسرائه ليلا الى المسجد الأقصى ، والعروج به الى السماء ، وموقف قريش من اخباره اياهم عن رحلته « الاسراء والمعراج » ، وانكارهم له ، وتصديق أبى بكر لما أخبر به .. وتأريخ اللقاء الخالد بين النبى وأفراد من الأوس والخزرج ، ثم بيعة الأنصار الأخيرة ، ومؤامرة قريش للفتك به .. ثم الهجرة .. ثم تكوين الدولة الاسلامية فى المدينة ثم بوادر الغزوات .. وموقف اليهود وأهل النفاق ..

كل هذه الموضوعات عالجها (السحار) بعقيدة المسلم ، وروح

الآديب ، وتحقيق المؤرخ فى بيان سأعطيك أمثلة منه ..

ولذا ترانى لا أغفل حديثه عن فقد العم والزوجة ، فقد عرض لهما بعبارات تقطر أسى وألما ، حتى لكأنك تحس فقدهما حاضرا وفى وقتك هذا .

انظر اليه يرثى خديجة رضى الله عنها :

خمس وعشرون سنة مرت منذ تزوج (النبى) سيدة نساء قريش شاركته فيها آماله وآلامه ، وقد وقفت الى جواره فى أحسم لحظة فى تاريخ البشرية ، يوم أن جاءها من غار (حراء) يقص عليها — وهو يرتجف — نبأ نزول الملك عليه من السماء ليقول له « اقرأ » لقد صدقته ، ولو أنها خالجها أدنى شك فى صدقه لزادته رهقا ، فى الوقت الذى كان فيه أشد الحاجة الى من يثبت فؤاده ، ويذهب روعه ، ولزعزعت ايمانه بنفسه وتصديق ما أنزل اليه ..

ولا جرم فكان يحسب أن به كهانة أو جنونا ، ولكن الله اصطفاها وأعدها لتكون نعم العون لزوجها الذى سيكلف أروع رسالة، لا يقدر على النهوض بها الا أولوا العزم من الرسل .

ويستمر فى شجنه وحزنه فيقول :

لك الله ياخديجة ، يا طاهرة ياسيدة نساء قريش ، ياحاضنة الاسلام . ياأم المؤمنين ، ياحبيبة الرسول ، يامن لم يستقر له مقام فى داره من بعدك ، فقد هجره من لوعة الأسى ليبيت فى دار أم هانىء بنت عمه أبى طالب ، أو فى الحجر فى الحرم ، فى حراسة المطعم بن عدى وآله ، أو فى دار من دور بنى هاشم فى شعب أبى طالب .

فغيابك عن الدار شىء موجع أليم لقلب مرهف رحيم (١) .

وتأمل معى تلك الأوصاف التى ذكرتها لك تجدها — وان كانت صادقة — تدل على نفس أديب

---

(١) ص ٥ ، ٦ من الهجرة .

حانية قد ملكها الاشفاق من أقطارها ، فرثت وبكت ، وعددت الشمائل ، وعرضت الموقف كأننا نراه .

ويتحدث عن موت أبى طالب ، وحق له أن يتحدث عنه ، فهو شيخ الهاشميين الحبيب ، الذى وقف بكل ما يملك من قوة ليذود عن ابن أخيه ، ويدعو أبناءه ليؤمنوا بما جاء به الأمين . وان لم يؤمن خوف السبة كما كان يعتقد .

حزن الرسول عليه ، وزاد من حزنه أن الله نهاه أن يستغفر له ..

وبموت العم والزوجة صار العام « عام الحزن » وناهيك بعام يسمى عام الحزن ، لا ريب أنه أصاب من النبى قلبا يخفق بالحنين ، ويحس باللوعة ، ويشعر بالنكبة .

أفاض المؤلف فيما جرى بعدهما من اضطهاد للنبى وصحبه ، ومن هنا ذكر حادث نخلة ، وحادث الاسراء والمعراج ، وفى جمعهما فى نظام واحد دل على فطنة واهتداء الى معالم الكريم ، ولئن صدت قريش وتمادت فى غيها فان هناك عوالم اعظم منها تؤمن برسالته ، وتهش لاستقباله ..

الجن يستمعون اليه ويصدقونه ، ويرجعون الى قومهم لينذروهم قائلين : **«انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم (١) »** .

ثم أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، ليريه الله من آياته الكبرى ، وليعرج به الى السماء فيلاقى الرسل والملائكة ، وهم أجل شأنا وأكرم منزلة عند الله من سكان الأرض ، ويتم التكريم بفرض الصلوات الخمس ..

كان ايمان الجن بارقة أمل فى دياجير الظلمات ، وكان الاسراء والمعراج تقريبا له وتقوية لعزيمته، وبرهانا على نصر رسالته .

---

(١) الاحقاف ٢٩ .

والمؤلف يعتقد اعتقادا راسخا بصدق كل من الخبرين ، ولأنه تعرض للاسراء فقد خصص له « تذييلا » فى آخر الكتاب ، اتى فيه على جميع الروايات ، واقوال السلف والخلف ، واستشهد بالقرآن ، وناقش المفكرين ، وسجل رأى الشيخ (يوسف الدجوى) وانتهى الى : « أن الاسراء معجزة تفوق تصور عقول البشر فى كل عصر فلا الطائرات ولا الصواريخ ، ولا أى من المخترعات الحديثة ، أو مخترعات المستقبل حتى يرث الله الأرض ومن عليها تستطيع أن تعطينا صورة صحيحة عن اسراء الله بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى •

أما ما يروى من أحاديث عن الاسراء فهى من اختراع القصاص ، وفى رأى — المؤلف — أن أغلب هذه الأحاديث نتاج عقول تصورت ملكوت الله على قدر علمها • وهى أول قصة أدبية اسلامية ، استوحيت من آيات سورة الاسراء ، والنجم • وقد اشترك فى تأليفها أكثر من مؤلف ، وكانت مصدر الهام أبى العلاء المعرى لما كتب « رسالة الغفران » وكانت رسالة الغفران وحى (دانتى) عندما كتب الكوميديا الالهية « جحيم دانتى » •

وما قاله المؤلف هو ما ذهب اليه جل المفكرين الاسلاميين فى عصرنا — أبناء القرن الرابع عشر الهجرى — فطه حسين يذكر حديث الاسراء والمعراج فى « مرآة الاسلام » : فيقول أن اسلوبه هو أسلوب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، نظر اليها من حيث كلامه ونهجه فى أحاديثه ، الصحيحة وكذلك العقاد فى كتاب « عبقرية الصديق » ؛ كما أن الشيخ الشعراوى قال فيه وكتب بما لا يحتاج الى تعليل وبرهنة •

ورأى السحار يعتد به ، لأنه تناوله راويا وداريا ، لم يهمل النقل ولم يبعد عن العقل ، وذكر ما قاله أصحاب مذهب النسبة ، ورد على المفكرين قديما وحديثا •

وقـــد تظن أن حــديث الجن أو حديث الاسراء والمعراج ، بمعزل عن الأحداث ، فمن البدهى أنهما كانا شحنة دافعة الى الاقـــدام ، وعرض الرسالة فى المواسم ، وقد يسر الله ما تعسر ، وجاء من يثرب من يستجيب لله ولرسوله وعـــلى مدى ثلاثة مواسم ارتفعت رايـــة القرآن ، وصار لها أنصـــار ورثوا الحلقة عن الآبـــاء والأجـــداد ، مناضـــلون من الطـــراز الأول ، مناضلون بألسنتهم وأســـنتهم ، يبذلون الأمـــوال ، ويقـــــدمون الاشراف للدفاع وطلب « احدى الحسنيين » النصر أو الاستشهاد .

وقد عرض المؤلف صورا للقبائل فى المواسم . وكيف كانت تتعامل مع سيد الخلق ، ووصف العادات والتقـــاليد فى ذلك الحـــين ، ومن ذلك : ما عرضه علينا من نـــادرة مجلس بنى ربيعة ، فقد وفـــــد عليهم الرســـول وأبو بكر وعـــلى فتقـــدم أبو بكر وكان نســـابة ، فسلم فردوا السلام . فقال !

ممن القـــوم ؟

ــ من ربيعة

ــ أمن هامتها أم من لهازمها ؟

ــ من هامتها العظمى

ــ فأى هامتها العظمى أنتم ؟

ــ ذهل الأكبر

ــ أفمنكم عوف بن محلم الذى يقال له : لا حر بوادى عوف ؟

ــ لا

ــ أفمنكم بسطام ذو اللواء ، ومنتهى الأحياء ؟

ــ لا

ــ أفمنكم جساس بن مرة حامى الذمار ، ومانع الجار ؟

ــ لا

ــ أفمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنفسها ؟

ــ لا

ــ أفمنكم المزدلف صـــــاحب العمامة الفردة ؟

ــ لا

ــ أفمنكم أخوال الملـــوك من كندة ؟

ــ لا

ــ أفمنكم أصـــــهار الملوك من لخم ؟

ــ لا

فقال أبو بكر : فلستم ذهــلا الأكبر ، أنتم ذهل الأصغر •

فقام اليه غلام قد خرج شعر وجهه يقال له (دغفل) ، وقــــد عزم على أن ينال من أبى بكر كما نال منهم فقال له :

ــ يا هذا : انك قد سألتنا فلم نكتمك شيئا فمن الرجل ؟

ــ رجل من قريش •

فقال دغفــل وهــو يتفرس فى وجه الصديق :

ــ بخ • بخ ، أهل الرياســـة والشرف ، فمن أى قريش أنت ؟

ــ من تيم بن مرة •

ــ أمكنت والله الرامى من صفا الثغــرة (نقــــرة النحــــر بين الترقوتين) •

أفمنكم قصى بن كــلاب الــذى جمع القبائل من فهر وكان يدعى مجمعا ؟

ــ لا

ــ أفمنكم هاشم الذى هشــم الثريد لقومه ، ورجال مكة مسنتون عجــاف ؟

ــ لا

ــ أفمنكم شيبة الحمد (عبــد المطلب) مطعم طير الســــماء ، الذى كان فى وجهه قمر يضىء فى ليل الظلام الداجى ؟

ــ لا

ــ أفمن المفيضين بالناس أنت ؟ (١)

ــ لا

ــ أفمن أهــل النــدوة أنت ؟ (٢)

ــ لا

ــ أفمن أهل الرفادة أنت ؟ (٣)

ــ لا

فاجتذب أبو بكر زمام ناقتـــه فرجع الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال دغفل :

صــادف درء الســيل درءا يدفعه

(١) كانت الافاضة من المزدلفة فى الجاهلية فى عدوان احدى قبــائل مضر •

(٢) دار الندوة كانت لبنى عبد الدار بعد قصى •

(٣) الرفادة والسقاية كانت فى هاشم واخوته وبنيه •

يهيضه حينا وحينا يصدعه

أما والله يا أخا قريش لو تثبت لأخبرتك أنك من زمعات (رذال) قريش، ولست من الذوائب (الرؤساء)، أو ما أنا بدغفل!

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ والتفت (على) الى أبى بكر وقال:

ــ لقد وقعت من الأعرابى على باقعة (داهية).

قال أبو بكر: أجل، ان لكل طامة طامة، وان البلاء موكل بالمنطق.

وبقية القصة أن الرسول عرض عليهم الاسلام، وخلع ما يعبدون من الأنداد، ولكن أبا لهب قطع الحديث بقوله: يابنى ربيعة لا تصدقوه .. وكانت النتيجة همس القوم: أسرته وعشيرته أعلم به حيث لم يتبعوه. وكان هذا ديدن أبى لهب مع ابن أخيه كلما عرض نفسه على القبائل.

وانما نقلت اليك هذه النادرة وذلك المشهد، لتحصل على صورة مما كان يلقاه رسول الله فى سبيل دعوته ومن جهة أخرى لتعلم مدى ما يتمسك به العربى فى ذلك الزمان من معرفة الأنساب، وتتبع النجباء من كل قبيلة وحى.

ولا شك أن أبا بكر سيد من سادة، لأنه من بنى تيم بن مرة بن كعب ابن لؤى، وتيم أخو كلاب جد الرسول الخامس، وصدق دغفل، فان من ذكرهم ليسوا من مفاخر أبى بكر بين قبيلته، وكلهم من أجداد الرسول ما عدا المفيضين وأهل الندوة؛ وما ذكره عن أبى لهب تكرر منه فى كل موسم و «تبت يدا أبى لهب وتب».

بيعة العقبة الأخيرة

أثمرت جهود (مصعب بن عمير) ــ رضى الله عنه فى أهل يثرب، فدخل الاسلام قلوب كثير من الأوس والخزرج، وكان له من صباحة وجهه وحلاوة لسانه، ماهيأ له النجاح فى مهمته وفى الموسم الثالث لاتصال النبى بأهل يثرب، خرج الحجاج من يثرب أكثرهم المشركون، وأقلهم

المسلمون ، وكان المسلمون يؤدون الصلاة بعيدا عن عيون الكافرين ، معهم مصعب بن عمير ، وهم فى غاية الشوق لرؤية نبيهم ..
وحدث أن رأى البراء بن معرور وهو من سادة يثرب أن يجعل قبلته الكعبة ، وكانت القبلة أنذاك الى بيت المقدس ، واستشار أصحابه ، فقالوا له : نصلى كما يصلى نبينا الى الشام ، وحضرت الصلاة فصلى نحو الكعبة ، وصلوا هم نحو بيت المقدس .

وقد حرص (البراء) على لقاء النبى ، فمخالفته أصحابه تؤرقه ، وكان معه فى طريقه (كعب بن مالك) الشاعر ، فأخذا يسألان عن النبى وهما لا يعرفانه وسألا رجلا ةدلهما عليه ، بأنه يجلس فى المسجد الحرام مع عمه (العباس)، وهما يعرفان العباس ، ودخلا المسجد وقد ازدحم بالرجال الذين جاءوا من أنحاء الجزيرة للتجارة وتأدية مراسم الحج .. ورأيا العباس فراحا يتقدمان اليه ، ويتفرسان فى وجه الرسول الكريم ، وقد خفقت قلوبهما رهبة وحبا وأملا ، وانداح فى صدريهما انشراح ، وفطن النبى الى انهما قادمان اليه . فقال للعباس :

هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟

نعم ــ هذا البراء بن معرور سيد قومه ، وهذا كعب بن مالك . الشاعر ؟ (١)

وفرح كعب أن يكون معروفا للرسول ، وأن شعره وصل اليه ، وتبادلا التحية مع الرسول ، وظلا يصغيان الى سحر بيانه .

ثم قال البراء :

ــ يارسول الله ، انى قد خرجت فى سفرى هذا ، وقد هدانى الله للاسلام ، فرأيت ألا أجعل هذه البنية (الكعبة) منى بظهر ، فصليت اليها ، وخالفنى أصحابى فى ذلك حتى وقع فى نفسى من ذلك شىء ، فماذا ترى يا رسول الله ؟

---

(١) ص ٦٩ من الهجرة .

ــ قد كنت على قبلة لو صبرت عليها .. فرجع البراء الى قبلة الجماعة ، فصلى الى بيت المقدس.

ثم جاء مصعب بن عمير الى رسول الله متهلل الوجه، يخبره بمن أسلم من الأنصار ، والرسول يصغى اليه ، وقد غمره السرور ، فقد لاحت تباشير النصر بعد طول الترقب والانتظار .

وواعد الأنصار رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ العقبة ، وكانوا يكتمون المشركين من قومهم أمرهم .. وجاءت الليلة ليلة الميعاد ، فمكثوا مع قومهم حتى اذا مضى ثلث الليل خرجوا من رحالهم لميعاد نبيهم،ويتسلل الرجل والرجلان تسلل القطا ، مستخفين لا ينبهون نائما ، ولا ينتظرون غائبا كما أمرهم رسولهم .

واجتمعوا فى الشعب عند العقبة ، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين : نسيبة أم عمارة من بنى النجار ، وأم منيع أسماء بنت عمرو بن عدى ، وطلع عليهم رسول الله ، ومعه عمه العباس ابن عبد المطلب ، وقد أوقف العباس عليا على قم الشعب ، وأوقف أبا بكر على فم الطريق الأخر عينا .

وهنا أدار المؤلف تساؤلات حول موقف العباس : أكان العباس على دين قومه وأنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له ، أم أن العباس قد أسلم سرا ، وأنه كتم اسلامه نزولا على رغبة ابن أخيه، ليكون قلم مخابراته فى مكة ؟ ان زوج العباس أم الفضل أسلمتبعد أن حدثتها خديجة مباشرة حديث الملك الذى نزل على زوجها بغار حراء وقد ظلت العلاقة طيبة بينها وبين زوجها العباس .. وهكذا مضىيتساءل .

والمتتبعلسلوك العباس منذرحيل أخيه أبى طالب ، يرى أنه يساند الدعوة الاسلامية ، وقد تجلى ذلك فى احداث غير قليلة ، بيد أن اتصال أمره مع قومه يسلكه معهم . ألم تر أنه كان أحد أسرى قريش فى غزوة بدر ويومها قال له الرسول حين اعترض على دفع الفدية له

ولا بنى أخيه وأنه مسلم : ظاهرك أنك لست معنا ، ودفع الفـدية • ولكن العبـاس قـام بدوره خـير قيام ، وكان مسموع الكلمة قويم الخطة ، رقيق الاعتقاد فى الوثنية من بادىء أمره ، على عكس أخيه أبى لهب ، الذى شن الغارة على الدعوة الاسلامية منـذ بدئهـا ، « سيصلى نارا ذات لهب » •

ولقد دعانى الى ذكر كل هـذا تساؤلات المؤلف •• عـلى كل حال أسلم العباس وحسن اسـلامه ، وكان اسلامه موضـع فخـر لبنى العباس حين تولوا الخلافة ، فكان المنصور يقول لثائر العلويين : جاء محمد بالاسلام وأعمامه أربعـة أمن اثنان أحدهما : أبى ، وكفـر اثنان أحدهمـا : أبـوك — يعنى أبا طالب ؛ والمؤمن الثانى معروف : حمزة بن عبد المطلب •

بعد هذا الاستطراد الاجبـارى ندخل فى الصميم ، وهو اجتمـاع العقبة ليلا ، جلس الأنصـار وكان أول المتحدثين العباس عم الرسول، فنبه الحاضرين على مكانة محمد فى قومه ، وأنه فى عزة ومنعة ، وقـد أبى الا الانحياز الى يثرب ، وقال لهم : فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ، وما نعـوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وان كنتم تـرون انـكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج بـه اليكم ، فمن الآن فدعوه ، فانه فى عز ومنعة من قومه وبلده •

ورد البراء بن معرور مؤكـدا الوفاء ، وبذل المهج دون رسـول الله ، وبعد مناقشـات طلبـوا الى النبى أن يأخذ لنفسـه منهم فكان جوابه : أشـترط لربى عـز وجل أن تعبدوه ولا تشركوا بـه شيئا ، ولنفسى أن تمنعونى ممـا تمنعون منه أنفسكم ، وأبنـاءكم ونساءكم •

فقال ابن رواحة : فماذا فعلنـا فما لنا ؟

— لكم الجنـة • وبايعـوه ، وأكدوا ميثاقهم بكلمـات تنبع من صميم قلوبهم ، ومن غريب ما جرى قول عم الرسـول اثر كـلامهم : اللهم انك سامع شاهد ، وان ابن أخى قد اسـترعاهم ذمتـه ،

واستحفظهم نفسه ، اللهم كن لابن أخى عليهم شهيدا •

ثم اختار الرسول منهم اثنى عشر نقيبا يكونون رؤساء على قومهم ، ثلاثة من الأوس ، وتسعة من الخزرج • ذكر المؤلف أسماءهم ، ولهم شهرة فى مستقبل الأيام ، وجعل النبى نفسه نقيبا على من آمن من قومه •

وبلغ الخبر قريشا ، فذهبوا الى الأوس والخزرج ، فقالوا : يامعشر الأوس والخزرج ، بلغنا أنكم جئتم الى صاحبنا هذا لتخرجوه من بين أظهرنا ، وتبايعوه على حربنا ، والله مامن حى أبغض الينا أن تشب الحرب بيننا وبينه منكم ، فراح مشركو الأوس والخزرج يحلفون لهم ما كان من هذا شىء وما علمنا ، وجعل عبد الله بن أبى بن سلول يقول فى غضب • هذا باطل • هذا باطل ، وما كان قومى ليفتاتوا على بمثل هذا لو كنت فى يثرب ما صنع هذا قومى حتى يؤامرونى •

ونفر الناس من منى ، وقد عرفوا معرفة أكيدة بيعة الأنصار ، فايقنوا أن الخبر حق ، فاقتفوا أثر آثارهم فلم يدركوا الا سعد بن عبادة ، والمنذر بن عمرو ، أما المنذر فقد أعجزهم ولحق بقومه • وأما سعد فقبضوا عليه وجروه من شعره ، وكان كثيفا ، وذهبوا الى مكة به ، ولم ينجه منهم الا جبير ابن مطعم ، والحارث بن حرب بن أمية لصلتهما به سابقا •

الهجـــرة

وضحت الأمور أمام قريش ، وتأكدوا حين أخذ المسلمون يهاجرون سرا أو علانية ، وكثير من المهاجرين تعرض للاضطهاد ، وتحمل ذلك صابرا آملا فى يوم آخر ينتصف به منهم ، وخرج عمر ابن الخطاب مهددا متوعدا فلم ينهض له أحد ومكث ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعد أصحابه ينتظر أن يؤذن له فى الهجرة ، ولم يتخلف معه الا على بن أبى طالب وأبوبكر الصديق وصهيب الذى تواعد مع الرسول أن يكون معه فى

الهجرة (١) • ومن كان محبوسا أو مريضا أو عاجزا عن الخروج • ومكث صلى الله عليه وسلم بعد أصحابه ينتظر الاذن له فى الهجرة، وجاء أبو بكر يستأذنه فى الهجرة فقال له : لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبا •

وطمع أبو بكر أن يكون صاحبه ، فابتاع راحلتين حبسهما فى داره اعدادا لما نوى ، وأحست قريش أن خروج الرسول الى أصحابه بيثرب يعرضهم للحرب والخطر ، فاجتمعوا فى دار الندوة (أنشأها قصى بن كلاب وجعلها لابنه عبد الدار) •

وأخذوا فى التشاور فى أمر محمد ، واجتمع فى هذه الدار كل بطون قريش ، وقالوا : لايدخلن معكم فى المشاورة أحد من أهل تهامة ، لأن هواهم كان مع محمد ، وراحوا يتبادلون الرأى ، واستقروا على رأى أبداه عمرو بن هشام (أبو جهل) وهو ، أن يأخذوا من كل قبيلة شابا جلدا حسيبا نسيبا فى قومه ، ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ، ثم يفدون اليه فيضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه ، فنستريح منه فاذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل ، فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ، فيرضوا منا بالعقل (الدية) فعقلنا لهم •

وأتى جبريل فأخبر الرسول بما تآمرت به قريش عليه ، وقد ذكر القرآن ذلك فيما بعد ، فقال :

« واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين (٢) » •

وهذه الآية لخصت ما تبادلوه من رأى ، فهم ذكروا حبسه أو قتله أو اخراجه ، وارتضوا قتله كما قدمنا •

قال له جبريل : لا تبت هذه الليلة فى فراشك الذى كنت تبيت عليه •

---

(١) وصل صهيب الى قباء بعد وصول النبى وقد ترك لقريش ماله ، فقال النبى : ربح البيع •

(٢) الانفال ٣٠

وكان الثلث الأول من الليل حين تجمع الفتيان المختارون أمام بيت الرسول ، وأحدقوا ببابه ينتظرون الفرصة لقتله ، وأرادوا الهجوم عليه ، غرأوا ذلك عارا عليهم ، لأن فى البيت بنات العمومة •

ورأى الرسول مكانهم فقال لعلى : نم على فراشى ، واتشح بردائى الحضرمى ، فانه لن يخلص اليك شىء تكرهه منهم • فبات على فراشه لا يخاف بذلا ولا يضن بنفس ، وكان أبو جهل يقول لمن معه ساخرا : يزعم محمد أنكم ان اطعتموه كنتم ملوك العرب والعجم ، وفى الآخرة لكم جنان كجنان الأردن ، وان لم تفعلوا كان فيكم ذبح ، وفى الآخرة تبعثون للنار والعذاب •

وسمعه الرسول فخرج عليهم وهو يقول : نعم أنا أقول ذلك • وأخذ حفنة من التراب ، وتلا آيات من سورة « يس » فنثرها على رءوسهم ، فأخذ الله على أبصارهم عنه فلم يروه • وقد صاروا هزأة لرجل مر عليهم ونبههم لما هم فيه، ودافعوا عن موقفهم ، وتشبثوا ببقاء الرسول فى داره ، وانكشفت الحقيقة ، ورأوا عليا ، فسألوه : فنفى معرفة أمر نبيه •

نفذت الخطة وخرج الرسول وأبو بكر ليلا الى غار (ثور) جنوب مكة ، وطاشت حلوم قريش ، فراحوا يبحثون فى كل مكان ، أساءوا الى أبى بكر بلطم، بنته أسماء ، لأنها لم تخبرهم بخبر المهاجرين •

ومكث الرسول فى الغار ثلاثة أيام جرى فيها ما جرى ، وكان عبد الله يأتيهم بأخبار قريش ، وأسماء تأتيهم بالطعام ، وعامر بن فهيرة يرعى الغنم ليغطى آثار عبد الله وأخته أسماء •

وفى صباح اليوم المحدد جاءهم عبد الله بن أريقط بالراحلتين وراحلة له ، وقدمت أسماء لهم طعام السفر ، وشقت نطاقها لتربط الزاد فسميت : ذات النطاقين •

ولأن الرسول احتاط لأمره فى هجرته متبعا الأسباب للوصول الى الغاية ، معتمدا على الله ، متخذا

من كافر دليله وهو ابن أريقط كان من هذا ارشاد للمسلمين أن يتخذوا الأسباب بدلا من التواكل ، والله قادر على أن يحفظ نبيه ولكن ما جرى كان تعليما لنا ، وقد ظهرت قدرة الله حين أعمى أبصار المشركين عن رؤية الرسول وصاحبه فى الغار ، كما ألهم الحمام المتوحش أن يعشش على فم الغار ويبيض •

وسارت القافلة واتبعها مشرك لينال جائزة قريش — وهى مائة ناقة — فأصابه ما أصابه ، فعلم أن أمر محمد ظاهر ، فنادى أنا لكم ضد أعدائكم ، وطلب من الرسول: مكتوبا له ليكون له عند الحاجة ، وأجيب طلبه ، وعاد مسلحة للنبى يضلل أعداءه بقوله : ارجعوا فلم أر أحدا ، انه : (سراقة بن مالك) وقد وعده النبى « بسوارى كسرى (١) » •

ويسير المؤلف فيذكر حط الرحال عند أم معبد ، واعجابها بمنظره ومنطقه وما جرى على يديه من حلب الشاة الحائل •

وقد وصف قدوم ركب النبى على منتظريه بيثرب من المهاجرين والانصار فى عبارات آخاذة نفاذة•

يقول عبد الحميد جودة السحار : وبلغ ركب الرسول مشارف المدينا فاذا بالرجال قد ارتفعوا على النخيل ينظرون ، واذا بطلائع القوم يهرولون مهللين مرحبين بالنبى عليه الصلاة والسلام ، وقد نسوا فى غمرة السرور حرارة الشمس واذا بالعبرات تلطف حرارة المشاعر •• وراح الركب الكريم يتهادى بين الأنصار فى أمن ، والكون كله يردد ما قاله الأنصار للنبى والصديق : « اركبا آمنين مطاعين » وبلغ الركب ثنية الوداع فاذا بهتافات الترحيب تتعالى فى كل مكان ، وتقدم رسول الله على ناقته القصواء ، متواضعا لله ، يحمل أعظم رسالة حملها انسان •

البشر فى الوجوه ، والعبرات فى العيون ، والفرح فى القلوب •••

---

(١) ص ١١٣ من المصدر نفسه •

وصعدت ربات الخدور على الأسطحة يشتركن مع المرحبين بمقدمه الكريم ، فجعل النساء والصبيان والولائد يقلن :

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
مادعا لله داع
أيها المبعوث فينا
جئت بالأمر المطاع

كان الناس يتفرسون فى القادمين ، ولا يدرون من منهما رسولهم الكريم ، ولم يعرفوا رسول الله حتى أصابت الشمس رسول الله ؛ فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه ، فعرفه الناس • انه الآن فى (قباء) ضاحية يثرب وقد غصت بالوافدين من أطراف المدينة ليحيوا من يكلم من السماء•

وقبل أن أمضى فى حديث اللقاء وما ترتب عليه ، أحب أن أناقش بايجاز رأيا يقول : ان نشيد « طلع البدر علينا » قيل بعد عودة الرسول من غزوة (تبوك) سنة تسع من الهجرة ، وقد راجعت الكتب التراثية فلم أجد النشيد لا فى سيرة ابن هشام ، ولا فى الطبقات لابن سعد ، ولا فى الطبرى ، وانما وجدته فى « السيرة الحلبية » وهى متاخرة فى التاريخ عن الكتب السابقة ، ولكن لا يمنع ان يكون النشيد قد قيل عند بلوغ الرسول يثرب حين وصل اليها بعد خروجه من الغار ، لأن حجة المانعين : أن ثنية الوداع فى شمال المدينة ، وهذه الحجة لا تمنع أن يكون الرسول حين هاجر سلك هذا الطريق كما سلكه عند عودته من تبوك • وعلى كل : هو نشيد يصلح لاستقبال قادم من جديد ، ولا مانع أن يتكرر فى كل عمل مجيد •

وأعود الى مساق الهجرة ، فأذكر كما ذكر المؤلف : أن الرسول مكث فىقباء من يوم الاثنين الى يوم الجمعة حيث صلاها وخطب « فى بنى سالم بن عوف فى المسجد الذى فى بطن الوادى (١) » وفى

(١) سيرة بن هشام ص ١٠١ ج ٢ •

أثناء ذلك بنى مسجد قباء ، وهو : أول مسجد أسس على التقوى ، ثم ركب صلى الله عليه وسلم راحلته بعد الجمعة متوجها للمدينة، وقد أرخى زمامها ولم يحركها ، وهى تنظر يمينا وشمالا ، وفى أثناء سيرها أعترضه كثير من القبائل والبطون يطلبون اليه الاقامة عندهم حيث العدد والعزة والمنعة والثروة ، فكان يقول لكل : « دعوها فانها مأمورة » فانطلقت حتى بركت فى محل من محال بنى النجار عند دار بنى مالك ابن النجار ، وعند باب (أبى أيوب الأنصارى) فلم ينزل عنها ، ثم وثبت غير بعيد ورسول الله واضع زمامها لها ، ثم التفتت خلفها ، ورجعت الى مبركها ، فبركت فيه ، فنزل عنها ، وأخذه الذى كان يأخذه عند الوحى ، وسرعان ما سرى عنه ، فراح يتلو :

« رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين (١) » .

بركت القصواء عند مربد لغلامين يتيمين لبنى النجار فى حجر معاذ بن عفراء ، وهما : (سهل وسهيل ابنا عمرو) قال أبو أيوب الأنصارى للرسول عليه السلام : ائذن لى أن أنقل رحلك . فأذن له ، واحتمل أبو أيوب رحله موضعه فى بيته . وجاء سعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلته فكانت عنده ، ونزل الرسول فى دار أبى أيوب وخرجت جويرات من بنى النجار بالدفوف يقلن :

نحن جوار من بنى النجار
ياحبذا محمد من جار

فخرج اليهن رسول الله وقال : أتحبوننى ؟

نعم يارسول الله . قال : أنا والله أحبكم .

المدينة حاضرة الدولة الناشئة :

استقر النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، ودعا الله أن تكون حبيبة الى قلبه وقلب أصحابه ، وينجيها من الوباء ، كما أحب وأحبوا مكة ؛ وكان أول ما بدأ به الاخاء بين المهاجرين والأنصار ،

---

(١) المؤمنون ٢٩ .

وكان الاخاء له منزلة النسب فى الارث والحمل والدفاع ، ثم نسخ فيما بعد ، ومع ذلك بقى له شأنه فى صدور من لمسوه وعاشوا فيه ، وقد سبق اخاء المدينة اخاء فى مكة ذكره المؤلف وسجله . قال عنه : رأى النبى — صلى الله عليه وسلم — أن بعض المسلمين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة ، فآخى بينهم على الحق والمساواة، فآخى بين أبى بكر وعمر ، وآخى بين حمزة وزيد بن حادثة ، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف ، وبين الزبير وابن مسعود ، وبين عبادة بن الحارثة وبلال وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبى وقاص ، وبين أبى عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبى حذيفة ، وبين سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وطلحة بن عبيد الله ، وبين على ونفسه — صلى الله عليه وسلم — وقال :

أما ترضى أن أكون أخاك ؟ فقال على فى ابتهاج : بلى يارسول الله رضيت . قال الرسول :

فأنت أخى فى الدنيا والآخرة (١) .

وهؤلاء — ما عدا عليا — كان لهم اخاء فى المدينة بعد الهجرة ، ثم وضع الرسول ميثاقا للمدينة يشمل المهاجرين والأنصار واليهود ، لينظم الأمن والعمل والدفاع عن المدينة ، وهو ميثاق جليل عنى به القدماء والمحدثون .

ثم بنى مسجده الذى ما يزال عامرا الى اليوم ، وسيبقى الى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وصار المسجد مثابة الدين والدنيا ، ومنه قامت حضارة اسلامية أشرقت فى العالم أجمع ، ثم شرعت صيغة الأذان ، وحولت القبلة الى الكعبة ، وبنيت للرسول حجراته بجوار مسجده ، وأخذ أصحابه يزاولون حياتهم اليومية ، وأبدى الأنصار كرما زائدا ، وايثارا خالصا سجله القرآن ،

---

(١) ص ٨٩ من المصدر نفسه .

واعترف به الرسول والمهاجرون الأولون •

ولا تحسبن أن الرسول — صلوات الله عليه — ذهب عنه الأذى ، وبعد عنه العداء حين أقام فى تلك المدينة التى سميت : « المدينة المنورة » فقد ظهر العداء له داخل تلك البلدة الطيبة ، وكان أول ما بدا من العداوة أتاه من اليهود ، وهم يسكنون مع الأوس والخزرج فيها ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فينذرونهم برسول يقوم معهم ليقتلوا المشركين قتل عاد وارم ، فلما جاءهم كانوا أول كافر به ، ظهر العداء حين بلغ قباء • يقول المؤلف : ذاع خبر نزول محمد — صلى الله عليه وسلم — بقباء بين اليهود ، فراحوا يهرعون الى يهود بنى النضير وبنى قريظة وبنى قينقاع بالنبأ العظيم ، وجاء الى اليهودى الذى اشترى (سلمان الفارسى) من وادى القرى ابن عم له حتى وقف عليه فقال :

— قاتل الله بنى قيلة ، والله انهم لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبى •

كان سلمان على رأس نخلة لسيده وسيده جالس تحته ، فلما سمع قول ابن عمه اذا به يرتعد وينتفض من الرأس الى القدم ، حتى ظن أنه سيسقط على سيده • فنزل عن النخلة وقد خفق قلبه ، ثم ذهب الى ابن عم سيده وقد غاب عن كل شىء الا التيقن مما سمع ، فجعل يقول للرجل : (لاحظ أن سلمان عرض نفسه للرق فى سبيل الحقيقة) •

ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ فغضب سيده ، فلكمه لكمة شديدة ، ثم قال : مالك ولهذا ؟ أقبل على عملك

ولكن سلمان لم يسكت ، واتصل بالرسول ، ثم أسلم ، واشترك الرسول وصحابته فى تحريره من رقه بأداء أشياء مرهقة من نخيل يغرس ، وذهب يدفع لهذا اليهودى •

وانضم الى اليهود جماعة من المنافقين من الأوس والخزرج ، فكادوا للرسول وللاسلام كيدا شديدا ، وأبدى عبد الله بن أبى

ابن سلول عداوة لداء مع اظهاره الاسلام ، وكم فعل ما يوجب قتله ولكن الرسـول الرحيم كان يرى ألا يقال عنه : انه يقتل أصحابه ، وقد حكى القرآن مواقف للمنافقين كثيرة كمـا نزلت آيات كثيرة فى شأن اليهود ونفاقهم واعراضـهم عن خبر السماء ، وتحجرهم عـلى مابأيديهم لا على ما حوته التوراة .

وزاد بغضهم وتخوفهم من دولة الاسلام ، فراحوا يسـألون النبى أسئلة تدل على رعب ومكر وتربص وتمن للأمانى الكاذبة ، وقـد روى المؤلف موقفا لليهود ، دفعنى الى روايته ما فيه من غرابة ، وكان له أثر فى الشيعة والمتصوفة فى مقبل الأيام ، وفى تحديد يوم القيامة .

كان الحوار دائرا بين محمـد ــ عليه السلام ــ واليهود والكافرين والمنافقين ، والقـرآن ينزل مـن السـماء ليلزم الجمـيع الحجة ، ويبين لهم ما فيه يختلفون ، وأهل الكتاب فى دهشة من أمر ذلك الأمى الذى لم يقـرأ فى كتب الأولين ، ويعجبون من أين له هـذا العلم الغزير . ومر أبو ياسر بن أخطب برسـول الله وهـو يتـلو فاتحة البقرة : «**ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه**» فوقف ، وقد شغله ما سمع ، فأتى أخاه حيى بن أخطب فى رجال من يهود فقال : تعلموا ، والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل عليه : «**ألم . ذلك الكتاب**» فقالـوا فى عجب : أنت سمعته ؟ ــ

ــ نعم . فمشى حيى بن أخطب فى أولئك النفر من يهود الى رسول الله . فقالوا له : يا محمد ، ألم يذكر لنا أنك تتلو فيما أنزل اليك «**ألم . ذلك الكتاب**» ؟

ــ بـلى

ــ أجاءك بها جبريل من عنـد الله ؟

ــ نعم .

ــ قد بعث الله قبلك أنبياء ، ما نعلمه بين لنبى منهم ما مدةملكه ، وما أكل أمته (طول مدتهم غيرك .

والتفت حيى بـن أخطب الى من معه فقال لهم ، وقد اتخـذ حساب الجمل لمعـرفة مـدة أمة الاسلام :

ــ الألف واحـــدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، فهـــذه

احدى وسبعون سنة • ثم أقبل على رسول الله فقال :
ــ يا محمد ، هل مع هذا غيره؟
ــ نعم
ــ ماذا ؟
ــ « ألمص »
ــ هذه والله أثقل وأطول : الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والصاد تسعون • فهذه احدى وستون ومائة سنة • هل مع هذا يا محمد غيره ؟
ــ نعم « ألر »
ــ هذه والله أثقل وأطول : الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والراء مائتان ، فهذه احدى وثلاثون ومائتان •
هل مع هذا غيره يا محمد ؟
ــ نعم « المر »
ــ هذه والله أثقل وأطول : الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء مائتان ، فهذه احدى وسبعون ومائتا سنة •
وصمت قليلا ثم قال : لقد لبس علينا أمرك يا محمد ، حتى ماندرى أقليلا أعطيت أم كثيرا • ثم قاموا عنه ، فقال أبو ياسر لأخيه حيى ابن أخطب ولمن معه من الأحبار
ــ ما يدريكم لعله قد جمع هذا كله لمحمد : سبعمائة وأربع وثلاثون سنة • لقد تشابه علينا أمره •

وانما ذكرت لك ذلك مما دبجته براعة السحار لتعلم الى أى مدى كان أمر النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يشغل بال اليهود ، ويعلمون أنه على حق ، ويبتعدون عن الايمان والاسلام ، ويشغلون أنفسهم بالترهات والأباطيل • ومن يضلل الله فلا هادى له •

على أن الرسول قد مضى فى طريقه المستقيم يبشر وينذر ، والاسلام ينتشر ، ويعد نفسه وأصحابه لملاقاة قريش فى كل طريق • وبذلك كانت الهجرة فارقا بين الضعف والقوة ، والعزة والذلة وان الله مع المتقين •

خاتمة

هذا الكتاب ــ وهو جزء مستقل من موسوعة عبد الحميد جودة السحار : مثال رائع للتأليف فى القرن الرابع عشر الهجرى ، ولم أنقله اليك بحذافيره ، لأنه لا ينقل

بل يقرأ ، وانما قدمت اليك قراءة ذهنية عنه ، تعطيك صورة عن الهجرة ، وفكرة عن جهد المؤلف ، وقد تجد فيما سطرت جديدا يقرأ ورأيا يقال •

وكان يقال : « من ألف فقد استهدف » وانى أخالفه فى بعض الأشياء ، قد يكون منهجه القصصى ساقه اليه ، لكن الحقيقة غير ذلك، وسأنوه ببعضها ، تكميلا للمنفعة ، ووفاء للحقيقة ، وكفى المرء نبلا أن تعد معايبه) وهى من قبيل حسنات الأبرار ••

١ ــ ذكر (السماء) فى لقاء النبى بنى شيبان فى موسم الحج أنه راح يتلو : ــ

« يأيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا • وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا • وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا » (١) وهذه الآيات من سورة الأحزاب •

وسورة الأحزاب مدنية لا مكية ولم تكن قد نزلت حين يعرض نفسه على القبائل •

٢ ــ وذكر أن الرسول ــ عليه السلام ــ أراد النزول على عبد الله بن أبى بن سلول ، ولكن عبد الله رفض • قائلا : اذهب الى الذين دعوك وانزل عليهم (٢) •

والواقع أن الرسول نزل على أبى أيوب الأنصارى ــ كما ذكرنا سابقا ــ وقال لمن أراد النزول عنده : « المرء مع رحله » ورحله كان عند أبى أيوب •• وانما حدث أن مر الرسول على ابن أبى وكان راكبا مردفا وراءه اسامة بن زيد فرأى أن يحترم كبير الخزرج ، فنزل وجلس فى مجلسه ، فوعظ وبشر وأنذر ، فاعترض ابن أبى ، وقد ذكر القصة بتوسع فى صفحتى ١٩٨ و ١٩٩ من مؤلفه • فكأنه ذكر الحادثة مرتين •

٣ ــ وفى صفحة ١٤٢ نص على أن أسماء بنت أبى بكر هاجرت وهى حامل بعبد الله بن الزبير بن

(١) الاجزاب ٤٥ ــ ٤٧ ص ٤١ من الهجرة •

(٢) ص ١٣٧ من المصدر نفسه •

العوام • ثم ولدت أسماء ولدها ، ثم وضعته فى حجر رسول الله ، فكان أول مولود للمهاجرين ولد فى يثرب •

لكن كتب التراث والمحدثين ومنهم الدكتور على حسنى الخربوطلى فى كتابه « عبد الله بن الزبير » يقول :

ولد عبد الله بن الزبير فى المدينة فى اليوم الثانى من شهر شعبان بعد عشرين شهرا من الهجرة (فبراير ٦٢٢ م) فكان بذلك أول طفل ولد فى المدينة فى الاسلام ، كما كان أكبر أولاد الزبير (١) ومعنى هذا : أن أسماء أثناء الهجرة لم تكن حاملا •• والمعقول : أن يكون زواجها بالزبير فى المدينة •

٤ ــ قرن السحار موت عثمان ابن مظعون الجمحى القرشى بموت أسعد بن زرارة الأنصارى (٢) ، وهذا يفيد موته فى عام الهجرة الأول ، والتاريخ يثبت : أن وفاة ابن مظعون كانت بعد ثلاثين شهرا من الهجرة ، وقد حضر غزوة بدر وأبدى بطولة حربية ، ومن الغريب أن الدكتور طه حسين فى كتابه : (الشيخان) جعله من شهداء أحد حين تحدث عن واجبنا نحو الشهداء • وابن مظعون مات على فراشه ، وكان عمر رضى الله عنه يستعظم أن يموت غير شهيد ، وهو أول من دفن بالبقيع •

٥ ــ ذكر المؤلف حين تحدث عن الأسواق وما فيها من تجارة قائلا : « وامتدت الأبصار الى الشعراء ، وهم يتوجهون الى القبة التى ضربت للنابغة الذبيانى ، وغدا الناس يذكرون أسماءهم • لقد وردوا جميعا الى سوق عكاظ ، ولم يغب عنهم الا حسان بن ثابت شاعر الخزرج فقد أسلم (٣) •• » وجعل ممن حضر الموسم : زينب بنت رسول الله وعم أبيها العباس ويفيد كلامه أن هذا كان بعد الهجرة •

ولا اعتراض لى على ما ذهب

---

(١) ص ١٣ من كتاب عبد الله بن الزبير •
(٢) ص ١٥٨ من كتاب الهجرة للسحار •
(٣) ص ٢١٥ من المصدر نفسه •

اليه الا ذكر النابغة الذبيانى وقبته وأنه حضر الموســـم ولم يحضره حســـان بـــن ثابت ، والحقيـــقة التاريخية تقول : ان النابغة عمـــر طويلا ، ومات قبيل البعثة (١) ، ومعنى هذا أن النابغة لم يكن على قيد الحياة حين نبىء محمد — صلى الله عليه وسلم — ولم يحضر مقامه فى مكة ، ولا هجرته الى المدينة .

وهناك أخطاء أخـــرى مطبعية لا داعى للاشارة اليها ، والكتاب مطبوع سنة ١٩٧٧ .

لكن كل هذا لا يغض من شأن الكتاب ، وأنه جاء ترجمة نفســـية لمؤلفه ، وأنه يأخذ مكانه فى المكتبة العربية مصحوبا بالتقدير ، فحب المؤلف للقصص دفعه الى الوقوع فى مثل هذه الهفوات وهى قليلة — رحمه الله وأفســـح له فى جناته بمقدار ما ألف وأنار وهدى .

السيد حسن قرون

(١) ص ٦٧ من كتاب الوسيط فى الادب العربى ط ١٩٢٨ .

فهـرس العـدد

الموضوع | **الصفحة**

- **لمحات ونفحات من الهجرة « دعوة وتوجيه »**
  لفضيلة الامام الأكبر الدكتور/محمـــد عبد الرحمن بيصار
  شيخ الأزهر ١
- **خواطر حول الهجرة النبوية**
  لفضيلة الدكتور/محمد الطيب النجار وكيل الأزهر . . . ٥
- مرحبا **بهلال مطلع القرن الخامس عشر الهجرى**
  لفضيلة الدكتور/الحسينى هاشم الأمين العام لمجمع البحوث
  الاســـــلامية ١٥
- **لمحات من الهجرة**
  للأستاذ/محمد صـــابر البرديسى مدير المجلة ٢١
- **الهجرة وبركتها على الاسلام**
  لفضيلة الشيخ/مصطفى محمد الطير ٣٣
- **الصديقية فى موكب الهجرة**
  للدكتور رءوف شلبى ٤٩
- **الهجرة ومشروعية القتال**
  للدكتور محمـــد رجب البيومى ٥٤
- **الهجرة ومنهج التغيير**
  للدكتور عبـــد الغنى الراجحى ٦٤
- **الهجرة بداية صراع مسلح**
  للدكتور محمـــد محمـــد خليفة ٧٤
- **الهجرة ومطلع القرن الخامس عشر الهجرى**
  للدكتور محمد عبد المنعم خفـــاجى ٨١
- **هجرة الى النصر والفتح**
  للدكتور الســـيد رزق الطويل ٨٦
- **مواكب الهجرة**
  للأستاذ جابر حمزه فراج ٩٢
- **القرن الخامس عشر واخلاقيات العلم**
  للدكتور عبد الفتاح عبـــد الله بركة ٩٨
- **الهجرة والجهاد**
  للدكتور محمد محمد أبو موسى ١١٣
- **المسلمون والقوة الرادعة فى القرن الخامس عشر**
  لواء محمد جمال الدين محفوظ ١٢٢
- **الهجرة ويوم الاثنين**
  للأستاذ محمد كمال السيد ١٣٥

الموضوع | الصفحة

● الهجرة بداية عز الاسلام لفضيلة الشيخ ابراهيم على النشار	١٤٤
● حرب لا يقرها الاسلام للدكتور أحمد عمــر هاشم	١٤٩
● الهجرة والقرن الخامس عشر الهجرى للأستاذ أحمد عبد الرحيم الســايح	١٥٥
● هجرة خاتم النبيين للأستاذ أحمد على منصور	١٦٣
● بيعتا العقبة ٠٠ والطريق الى يثرب للأستاذ رشدى محمــد ابراهيم	١٦٩
● من نفحات الهجرة للأســتاذ محمد أبو النصر غانم	١٧٤
● من وحى ذكرى الهجرة للأستاذ محمد عبد الرحمن صــان الدين	١٨٠
● حكم وطرائف ● اعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمــد عبد الحليم . . .	١٨٤
● باب الفتاوى الأستاذ عبد الحميد شاهين	١٨٨
● من أنباء العالم الاسلامى اعداد الأستاذ فهمى عبد اللاه السيد	١٩٢
● كتاب الشهر « الهجرة » عرض وتحليل الأستاذ السيد حسن قرون	١٩٩

طبع بمطابع مؤسسة روزاليوسف

مجلة
الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
محمد صابر البريدي

إدارة الأزهر
بالقاهرة
ت :
٩٠٩٩٢٢
٩٠٥٥٠٦

الجزء الثانى ــ السنة الثالثة والخمسون ــ صفر سنة ١٤٠١هـ ــ يناير ١٩٨١م

بسم الله الرحمن الرحيم

احتفالات الأزهر الشريف

بمطلع القرن الخامس عشر الهجرى

صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار

يلقى كلمة الأزهر

حفل الأزهر مساء السبت ٣٠ من ذى الحجة ١٤٠٠ هـ الموافق ٨ من نوفمبر ١٩٨٠م بالوف من العلماء وكبار رجال الدولة ، والطلبة احتفالا بالعام الهجرى الجديد وبمطلع القرن الخامس عشر الهجرى .

وقد تفضل سيادة رئيس الجمهورية السيد محمد أنور السادات فشرف هذا الحفل الكريم . وأدى صلاة العشاء جماعة .

وقد بدىء الاحتفال بقراءة آيات من القرآن الكريم ، ثم ألقى صاحب الفضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر خطابه الذى ناشد فيه المسلمين فى أنحاء العالم بالعودة الى رحاب الدين والتمسك بشريعة السماء ــ :

بسم الله الرحمن الرحيم ·· والصلاة والسلام على اشرف المرسلين ، وخاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين ·

سيادة الرئيس المؤمن رئيس جمهورية مصر العربية محمد أنور السادات ·· أيها الاخوة المؤمنون فى جميع انحاء العالم ·· نستقبل اليوم عاما هجريا جديدا ·· نستقبل العام الأول بعد أربعمائة والف عام من الهجرة النبوية الشريفة ونقف على بداية قرن جديد هو القرن الخامس عشر الهجرى ·· واذا كنا فى اعتبار دورة الزمن الحولية ننتقل من عام الى عام ·· فاننا باعتبار دورة الزمن المئوية ننتقل من قرن الى قرن ·· ومن هنا يأخذ عامنا الهجرى الذى نحتفل به الليلة أهميته وجدارته بالعناية لأنه علامة زمنية بارزة تفصل بين قرنين ، لذا فقد تكرمتم ياسيادة الرئيس وأوليتم هذه المناسبة عناية خاصة تعبيرا عن صدق ايمانكم وعنايتكم بالمعالم البارزة فى تاريخ الاسلام ·· وكانت تلبيتكم لدعوة الازهر الشريف وتشريفكم لحفله تعبيرا عن حبكم لهذا المعهد العتيق ، وتأكيدا لحرصكم على رعاية القيم الاسلامية وتسجيل معالمها التاريخية ·· وابرازا لدور مصر الاسلامى فى الحفاظ على الاسلام عقيدة وشريعة ، واخلاقا وآدابا ولغة ·· وتقوية لجهودها فى مضمار الحضارة الاسلامية ·

السيد الرئيس :

اننا الليلة ونحن نستقبل بحضوركم ومعكم القرن الخامس عشر الهجرى ·· ونفتتح برامج الأزهر احتفالا بهذه المناسبة التاريخية ، يسرنا أن نتقدم اليكم — بصادق التهنئة ·· تعبيرا عن مشاعرنا ·· ومشاعر علماء الأزهر جميعا ·· ونسأل الله ان تكون هذه المناسبة مباركة بكم ولكم وللأمة المصرية ·· وأن يحقق الله لمصر على يديكم ما تستشرف اليه من عز ورخاء وأمن وسلام ·

وانننا كذلك نتقدم بالتهنئة الى

شعوب العالم الاسلامى وجماعاته وحكوماته • سائلين المولى عز وجل ان يجعل هذا العام بشير خير وسلام للأمة الاسلامية •

ونسأله سبحانه أن يمنح حكامهم ورؤساءهم واولى الأمر منهم الصواب قولا وعملا • وأن يرزقهم الحكمة « **ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا** » •

السيد الرئيس :

ان الهجرة النبوية حدث فاصل فى تاريخ الاسلام •• اجتمع به شمل المسلمين واستقرت بها الجماعة الاسلامية فنزلت أحكام الشريعه السمحة ، ووضحت معالمها الحكيمة فأزالت الفروق بين الناس •• وعدلت مقاييس الفضل بين البشر ، وكشفت عن عقولهم ، ومداركهم سلطان المادية الطاغية ، ووضعت بينهم قواعد المحبة والرحمة ، والفت بين قلوبهم بالبر وشفت صدورهم بالاحسان •• وجعلت فى المجتمع الاسلامى مثابة للخائف •• وأمنا للضعيف •

وتشريعات الاسلام وآدابه : تبنى الاخاء الذى يعم به التواصل •• وتحمى المساواة التى يستند اليها العدل •• وتدافع عن الحرية التى تتفتح فيها المدارك •

وان العالم اليوم قد شغلته نظم مادية مجردة •• تبنى الأخلاق على أساس الكسب والاقتصاد •• وتقيسها بمقياس المادة •• وتربط الحياة بقوانين الصراع ، فتثير الفزع هنا •• وتوقد الحرب هناك •• وتشحذ النفوس بجمرات الكراهية ، وتملأ الجوانح بنزعات البطش والعدوان ••فأين هذه النظم من مبادىء الاسلام ؟ • وقد دعت الى الاخاء الانسانى العام • وأرشدت الى صلات الرحم •• والقرابة بين البشر جميعا •• وكرهت العدوان فى أى عمل ودعت الى الرحمة •• بجميع الكائنات : « **وما أرسلناك الا رحمة للعالمين** »

ولقد كانت الهجرة قدرا قدره الله تعالى بحكمته للاسلام •• وكانت فى أخطارها وأهوالها أمرا

بعيد المنال بمقياس البشر فكانت معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الله تعالى مع نبيه فيها حياطة وحفظا وتأمينا « **اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذهما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها** » لقد مكر الذين كفروا فأبعدوا فى المكر .. ودبروا لرسول الله صلى الله عليه سلم ولهذا الدين وهو بعد وليد .. فأحكموا التدبير وكان تدبير الله فوق تدبيرهم .. وكان تقديره غالبا على تقديرهم « **والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » .

ويقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم « **واذ يمكر بك الذين كفروا .. ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك .. ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** » وكانت الهجرة فرقانا فرق الله بها للاسلام بين عهدين : عهد كان المسلمون فيه فى ضعف وفزع ، وعهد صاروا فيه الى أمن وقوة ، وقد جعل الله فيها للمسلمين المثل والذكرى .. يعرفون بها سنة الله فى الخلق وعدله فى الأمم .. فان الناس اذا اتقوا وأحسنوا جعل الله لهم فرقانا يصلح به أمر معاشهم ومعادهم . .واننا لنتأمل السياق القرآنى الذين امتن الله تعالى فيه على نبيه بحفظه ورعايته .. فنقرأ قوله تعالى « **يا أيها الذين أمنوا أن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم** » .

ان الأمة الاسلامية تقف اليوم على مشارف قرن جديد تلتفت فيه الى ماض كريم وتاريخ عريق ، ثم تنظر الى حاضر حزين وتتطلع الى مستقبل مشرق مضىء آمن بأذن الله ، وان مصر قد حباها الله تعالى من فضله شيئا كثيرا ، فان لها من أبنائها فى ايمانهم وعزمهم واستقامتهم ذخيرة لا تنفد ، ولها بالأزهر فى نفوس المسلمين فى الشرق والغرب مكانة لاينالها أحد .

ان من سنة الله فى خلقه أن الأمم تكبو ثم تنهض ، وتضعف ثم

تقـــوى ، وتفتـــرق ثم تأتلف ، ويعتورها ما يعتور الكائنات مـــن عوامل التأثير والتغيير « **يقلب الله الليل والنهـــار ان فى ذلك لعبـــرة لاولى الابصار** » وجريا على هذه السنة لم يسلم تاريخنا الاسلامى من آفـــات البشرية وشرورهـــا ، وانتابه فى كثير من العصور فترات مضطربة ، فى علاقات شـــعوبه بعضها ببعض .. ويعود التـــاريخ وتدور الأيام ، ويقع المســـلمون اليوم فى مثل ما حـــدث بالأمس ، وترتفع أصوات أعداء الاســـلام شماته فيه وفى أبنائه ، ولكن الله العلى القـــدير الـــذى أذهب عن الأمة الاسلامية حزنها ، وكشـــف عنها ســـحائب الغمم فى الماضى ، قادر أن يكشف عنها اليوم مانزل بها ، وان يجمع وحدتهـــا ، ويؤلف بين قلوبها ، فان الأمل فى اللـــه لا يخبو ، والرجاء فيه لا ينقطـــع ، ومن فضـــل الله على هذه الأمة ، أن أرضها لا تخلـــو فى عصر من العصور من امام عادل ، وسلطان ظاهر ، يجمع المســـلمين ، وينهض بأمور دينهم ولا تخلو الأرض من أمة تقوم بأمر الاســـلام ، يقول صلى الله عليه وســـلم فيما رواه البخارى ومســـلم وأحمد : « لا تزال طـــائفة من أمتى قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر اللـــه وهم ظاهرون على الناس » .

وكان لمصر دور كبير فى التاريخ الاسلامى تحملت به المسئولية عن الأمة الاسلامية ، وعن الحضـــارة الانسانية .

واليـــوم فان مصر بتاريخهـــا وأبنائها — وبايمانهـــا وبأزهرها وبحكمتكم قـــادرة أن ترتاد الأمة الاسلامية طريق الصـــلاح والخير والأمان .

انها بمكانتها الدينية وبحكمتكم وبرأيكم الذى تثق فيه وبفضـــل الله — قـــادرة أن تجمع العـــالم الاســـلامى من جديد على طريق الصلاح والعزة والأمن والرخاء .

واننا لنستبشر بأن يهل علينـــا هذا القرن الخامس عشر الهجرى فى عهدكم .

سدد الله خطاكم لخير الاسلام، وعزة المسلمين ، نسأل الله مبتهلين اليه أن يؤلف القلوب على الهـدى ويجمعها على التقوى ، وأن يجعل هذا العـام وهذا القرن الجديد بشير خير وصلح وعز وبركة علينا وعلى المسلمين فى كافة الأقطار ، وعلى الناس أجمعين ، صلى الله على سيدنا محمد نبى الهـدى ، ورسـول الرحمة وخاتم النبيين ، وعلى جميع الرسـل وعلى آله وأصحابه صلاة وسـلاما دائمين الى يوم الدين « **وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين** » .

دكتور محمد عبد الرحمن بيصـار

شيخ الأزهر

« قلـوب مؤمنة »

لكل صحابى هاجر مع التاريخ قصة .. ومع المجـد رواية .. ومع البطولة موقف ..

فعندما شرع أحد الصحابة فى الهجرة خـرجت امرأته لوداعه فقالت له : يا أبا فلان : اياك اياك والكسب الحرام .. فلا تشغل نفسك بنا .. فنحن نصبر على الجـوع ولا نصبر على النار ..

الإسلام ..
يحرر الفكر الإنساني من الجمود والتقليد

لفضيلة الدكتور
محمد الطيب النجار
وكيل الأزهر

مر الفكر الانسانى عبر التاريخ والأجيال فى مراحل متنوعة وأطوار مختلفة، فانتقل من ضعف الى قوة، ومن قوة الى ضعف ، وهو — على كل حال — ككل كائن حى لا يمكن أن يتدرج الى القوة والنماء الا اذا توفر له الجو المناسب واكتملت له عناصر الغذاء .. ثم هو — مع ذلك — يحتاج أبدا الى قيادة حكيمة : ترشده وتهديه ، وتسمو به وتعليه ؛ ومن هنا تبدو حاجة المجتمع البشرى الى الرسل والأنبياء ، ومن أجل ذلك كانت الرسالات السماوية التى حملها الله للمصطفين من عباده ليبلغوها الى الناس وينشروها بين الأمم والشعوب لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ..

واذا علمنا أن كل نبى قبل نبى الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم كان يبعث الى قومه خاصة . أدركنا أن الرسالات السماوية قد شملت جميع الأمكنة وجميع العصور ، وأنها لم تقتصر على قارتى آسيا وافريقية كما يزعم الزاعمون ولكنها نفذت قديما وراء بحر الظلمات فأنارت الطريق لمن كانوا يعيشون من بنى آدم وراء بحر الظلمات .. وحينما اكتشف المكتشفون الأمريكتين كانت الرسالات السماوية — فيما أعتقد — قد اكتشفهما قبل ذلك . لأن رحمة الله لا يمكن أن تترك جزءا من العالم يتخبط فى ظلمات الضلالة وتختص جزءا آخر بالهدى والنور ، وقد أخبر الله نبيه محمدا

صلى الله عليه وسـلم عن بعض الرسل ممن بعثـوا فى الجـزيرة العربية أو قريبا منها ولم يخبره عن الآخرين الذين ظهروا فى أنحاء هـذا العـالم الأخرى فقـال : **« ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما ، رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما ..** » (١) .

ورسـالة محمد بن عبد اللـه ـ صلى الله عليه وسـلم ـ هى خاتمة الرسالات ، وهى الرسـالة الكاملة الشاملة التى لم تقتصر على مكان أو زمان بعينهما بل شـملت العالم كلـه ، وانتظمت جميـع الأزمنة والعصور منذ بعث محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى أن يقوم الناس لرب العالمين ..

ولقد حرر الاسـلام الفـكر الانسـانى من ربقـة الجمـود ، وسما به عـن الارتكاس فى حمأة التقليد ، ولم يسمح له بالانطـلاق وراء الوهم والخيال بل رسم لـه الحدود . ووضع بين يديه المعالم عـلى الطريق ... أجـل دعا الاسـلام الناس الى التـأمل فى ملكوت السماوات والأرض ومـا خلق الله فى هذه الدنيا من عجائب، وأودع بـين جنباتها مـن غرائب وأسرار ، دعاهم الى هذا التـأمل لكى يصل بالعقلاء منهم الى نتيجة لاشك فيها ولامراء وهى « ان الأثر يدل على المؤثر والصنعة تسـتلزم وجود الصانع ، فلابد لهذا الوجود من اله واجب الوجود .. » .

استمعوا الى قوله تعـالى فى سورة « ق » : **« أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالهـا من فـروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيـج ، تبصرة وذكرى لـكل عبد منيب** » (٢) .

---

(١) سورة النساء الآيتين ١٦٤ ، ١٦٥ .
(٢) الآيات ٦ ـ ٨ من سورة ق .

ثم استمعوا الى قوله تعالى فى سورة الغاشية : « **أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت ، والى الأرض كيف سطحت ، فذكر ، انما أنت مذكر** » (١) . استمعوا الى هذه الآيات الكريمة لتؤمنوا بل لتزدادوا ايمانا ويقينا .. ، ثم انظروا مع ذلك الى أنفسكم فى قوله تعالى : « **وفى أنفسكم أفلا تبصرون** »(٢) . وفى قوله تعالى : « **فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب ، انه على رجعه لقادر** » (٣) . وفى قوله سبحانه : « **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون** » (٤) .

فاذا وضعتم أيديكم على هذه الحقائق علمتم من هو الاله المعبود الخالق الرازق ؟ . ومن هو البارىء المصور . والمدبر المقدر .. ؟ ..

وقد ذكر الله لنا فى قصة ابراهيم عليه السلام نماذج حية ترينا كيف يكون التفكير السليم فى أروع صوره . وكيف يتدرج المؤمن فى اقناع الكافر بالوسائل المحسوسة والادلة الملموسة حتى ينتصر عليه ، وهذه النماذج التى ذكرها الله عن ابراهيم عليه السلام هى فى واقعها مبادىء اسلامية ، بعد أن سجلها الله فى كتابه ، وضربها مثلا لمحمدصلوات الله وسلامه عليه ولجميع المسلمين ، ليتبعوا سبيلها ويسيروا فى حياتهم على نهجها القويم ، فهذا هو الملك النمرود وكان جبارا طاغية أبطره الملك والسلطان حتى ادعى أنه اله .. ها هو ذا يجادله

---

(١) سورة الغاشية الآيات من ١٧ — ٢١ .
(٢) سورة الذاريات الآيات ٢١ .
(٣) سورة الطارق الآيات ٥ ـ ٨ .
(٤) سورة النحل الآية ٧٨ .

ابراهيم عليه السلام بالحجة والبرهان • ويتدرج معه فى مدارج المنطق السليم حتى يلحق به الخزى والهوان •• وفى ذلك يقول الله سبحانه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم «**ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم : ربى الذى يحيى ويميت ، قال : أنا أحيى وأميت ، قال ابراهيم : فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين**» (١)، وهاهى ذى قصة ابراهيم مع عبدة الكواكب حينما يتدرج بهم ليقنعهم بأن عبادتها باطلة حيث يقول سبحانه : «**وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين • فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال : هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين • فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم انى برىء مما تشركون • انى وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين**» (٢) •

ويمثل هذا الأسلوب المنطقى الرائع يتدرج ابراهيم — كذلك — مع عبدة الأصنام فيلزمهم الحجة ويضع أيديهم على الحق الذى لا ريب فيه ، وينطلق بأفكارهم فى مجال الحكمة والموعظة الحسنة لينتشلهم من وهدة الجمود والتقليد ، ونجد ذلك فى قوله سبحانه عن ابراهيم : «**اذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم عاكفون ؟ • قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين • قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين • قالوا : أجئتنا بالحق أم أنت من**

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٨ •
(٢) سورة الانعام الآيات من ٧٥ — ٧٩ •

اللاعبين ؟ قال : بل ربكم رب السماوات والارض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا ألا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون ، قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ، قالوا : فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا ياابراهيم : قال : بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون . فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ، قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ، أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ؟ » (١) .

والآيات الكريمة ــ بلا ريب ــ واضحة الدلالة فى الطريقة التى لجأ اليها ابراهيم لكى يفضح زيف عبادة الأصنام وفسادها حيث بين لهم أنها لاتملك دفع الضر اذا ألم بها . ولاتستطيع الدفاع أمام من يعتدى عليها فهى قعيدة عاجزة صماء بكماء عمياء ، وهى لاتملك نصر نفسها حتى يستنصر بها هؤلاء الجاهلون السفهاء ..

ولقد نعى الله سبحانه على كل من لا يستخدم عقله فى الوصول الى الحقيقة ونزل بهم الى الدرك الأسفل فألحقهم بالأنعام بل جعلهم أضل سبيلا لأن الانعام ليست لها عقول ، ولكن هؤلاء لهم عقول خرجت بهم عن طريق الهدى وأضلتهم عن سواء السبيل .. وتوعدهم الله بالعذاب وشديد العقاب حيث قال : « **ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** »(٢) .

---

(١) سورة الانبياء الآيات من ٥٢ ــ ٦٧ .

(٢) سورة الاعراف الآية ١٧٩ .

ونعى ــ كذلك ــ على أولئك المقلدين الذين لا يقدرون نعمة العقل فلا يفكرون فيما ينفعهم ويدفع الضر عنهم ، بل ينساقون وراء الفساد لأنهم ورثوه عن الاباء والأجداد . « **واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون** » (١) .. « **واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير** » (٢) .

وفى أسلوب منطقى رائع يجابه الله هؤلاء المشركين الذين جمدوا على عبادتهم الباطلة وعاداتهم الجاهلة وتقاليدهم الموروثة فيفضح بالمنطق الاسلامى السليم جهلهم . ويسخر بنفوسهم المريضة وقلوبهم العمياء فيقول « .. **آالله خير أما يشركون ؟ . أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ماكان لكم أن تنبتوا شجرها أاله مع الله ؟ بل هم قوم يعدلون . أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أاله مع الله ؟ بل أكثرهم لا يعلمون . أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أاله مع الله ؟ قليلا ما تذكرون ، أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أاله مع الله ؟ تعالى الله عما يشركون أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض ؟ أاله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين** » (٣) .

وهكذا وبعد أن يقيم الله هذه الأدلة القاطعة والبراهين الدامغة على وجوده ووحدانيته وعظيم قدرته يطالب الجاحدين المنكرين

---

(١) سورة البقرة ١٧٠ .
(٢) سورة لقمان الآية ٢١ .
(٣) سورة النمل من الآيات ٥٩ ــ ٦٤ .

أن يأتوا بدليل يؤيدهم فى زعمهم . أو برهان يساندهم فى دعواهم الكاذبةوتكلم — بلا ريب — غايةفى حرية الفكر والبعد عن أسر التقليد والجمود تتضاءل دونها كل غاية ، فليست حرية الفكر أن تطلق العنان لمناظرك يتخبط فى ظلمات الغى والضلالة ، ولكن حرية الفكر التى ينادى بها الاسلام وتؤمن بها النظم الصالحة أن تمسك بالمصباح لتضىء الطريق ، وتوضح المعالم ثم تترك لمناظرك حرية الاختيار ، فان ركب رأسه واتخذ الغى سبيلا طلبت منه على ذلك برهانا ودليلا . وكأنك بذلك تعطيه الفرصة ليراجع نفسه ويستفتى قلبهويعرف الى أية غاية يهدف ؟ وفى أى طريق يسير ؟ ..

على هذا المنهج الواضح الرشيد يوجه القرآن الكريم الفكر الانسانى ليعصمه من أمواج الفتن وعواصف الزيغ والضلال ، وليبعده عن هاوية التقليد والجمود ، ويسمو به الى المستوى الكريم الذى يريه الحق من الباطل ، ويصل به الى شاطىء النجاة فى أمن وسلام .. وفى هذا الطريق القويم سار نبى الاسلام محمد — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه الراشدون المهديون فكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يحترم الرأى الرشيد وينفذه . وكان — صلوات الله وسلامه عليه — يرخص لمن بعد عنه من أصحابه أن يجتهد برأيه فى المسائل التى لا يجد فيها نصا من الكتاب أو السنة معلنا أن من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فأخطأ فله أجر .. وقد ثبت أنه — صلى الله عليه وسلم . لما أرسل معاذ بن جبل قاضيا الى اليمن قال له « يا معاذ ، بم تقضى ؟ قال : بكتاب الله ، قال : فان لم تجد فى كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله ، قال : فان لم تجد فى سنة رسول الله ؟ قال : أجتهد رأيى » فضرب النبى — صلى الله عليه وسلم — صدره وقال : « الحمد لله الذى وفق

رسول رسـول الله الى ما يرضى رسول الله .. » .

ومن المثل الرائعة على سمو الفكر ، وانطلاقه من سجن الجمود عملا بمبادىء الاسلام واتباعا لتوجيهاته السديدة فى احترام الرأى الصائب مهما كان صاحبه ، موقف عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ من المرأة التى أرشدته الى خطأ وقع فيه . وكيف أنه لم يستبد به الغرور . أو يبطره الجاه والسلطان أمام امرأة جابهته بكلمة الحق بل انه استضاء بنور العقل والبصيرة وشكر للمرأة صنيعها وحسن توجيهها ، فيروى أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وقف يخطب فى النهى عن التغالى فى المهور ويضع لها حدا أعلى ويقول : لا تزيدوا مهور النساء على أربعين أوقية فمن زاد ألقيت الزيادة فى بيت المال ؟! فقامت امرأة من صف النساء وقالت وهى تصيح : ماذلك لك ياعمر ؟ قال عمر ولم ؟ قالت : لأن الله يقول : « **وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا ؟** »[1]

فأشرق وجه الخليفة عمر ـ رضى الله عنه ـ بالسرور وقال فى تواضع المؤمن : أصابت امرأة وأخطأ عمر .. ، فياله من سمو فى الفكر أبعد صاحبه عن الجمود أمام رأيه حينما وضح خطؤه فارتد عنه واتجه الى شرعة الحق والصواب .. ومن هذا المنطلق السليم أعنى تحرير الاسلام للفكر الانسانى من التقليد والجمود نقول : ان اختلاف المذاهب الفقهية لدى المسلمين ما بين حنفية ومالكية وشافعية وحنابلة الى غير ذلك انما يرمز فى الواقع الى هذه الحرية الفكرية . اذ أن المسلمين لم يجمدوا أمام النصوص القرآنية أو نصوص الأحاديث النبوية ، فيقفوا عند ظواهرها

---

(١) سورة النساء من الآية ٢٠ .

القريبة دون أن يستوعبوا أعماقها وأغوارها ويستكهنوا دقائقها وأسرارها • بل أمعن كل منهم النظر حتى آخذ من هذه الكنوز الثمينة حسب طاقته ، وكشف من أبعادها المترامية بقدر بصره وبصيرته ، ونتيجة لاختلاف القوى فى مجال العقل والتفكير وفى مجال البصر والبصيرة كان الخلاف بين علماء الدين ورجال الفقه والفكر الاسلامى ، وهو خلاف لا يمكن أن يتعارض أو يتدابر • لأنه ينبع من أصل واحد هو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ويتجه الى غاية واحدة هى اسعاد الفرد والجماعة ، وتوجيه الطاقة البشرية الى ما ينفع ويفيد ، وابعاد المجتمعات الانسانية عن شرعة الغاب ومنطق الظفر والناب •

ومن أجل ذلك فان المسلمين لا تضيق صدورهم بهذا الخلاف الذى انبعث من حرية الفكر لأنه خلاف لا يتعدى مجال الحق الثابت المرسوم ، ولأنه خلاف لا يترتب عليه شر وفساد بل يتحقق به العدل والانصاف • اذ تتعدد به مسالك النجاة وتكثر على أساسه الأبواب الى رحمة الله ورضاه •

***

وبعد فما أجدر المسلمين فى كل مكان وزمان أن يستضيئوا بآداب الاسلام ، ومبادئه السامية الحكيمة ، وأن يتعلموا من دينهم الحنيف أن اختلاف الآراء حول موضوع من الموضوعات أو مشروع من المشروعات • أو فكرة من الأفكار • لا ينبغى أن يكون سببا فى جفوة أو قطيعة • ما دام بيننا كتاب الله وسنة رسوله منارة هادية ترشد الحائرين وتهدى الضالين الى طريق الخير والفلاح •

*

هذا • ومن الله العون وبه التوفيق •

د/محمد الطيب النجار
وكيل الأزهر

من أئمة المحدثين

أنس بن مالك

لفضيلة الدكتور الحسيني هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

أنس بن مالك

نسبه : أنس بن مالك بن النضير ابن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى ابن النجار المدنى نزيل البصرة .

وأمه : أم سليم بنت ملحان

كنيته : أبو حمزة ويقال أبو ثمامة الأنصارى البخارى .

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وأبى ذر وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وأمه أم سليم وجماعة .

وروى عنه الحسن وسليمان التيمى وأبو قلابة وأبو مجاز وعبد العزيز ابن واسحاق بن أبى طلحة وأبو بكر بن عبد الله وقتادة وثابت البنانى وحميد الطويل ومحمد بن سيرين وأنس بن سيرين ويحيى بن سعيد الأنصارى وسعيد بن جبير وخلائق من الآفاق .

(مع النبى صلى الله عليه وسلم)

قدم الى النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وهو ابن عشر سنين وشهور فخدمه تسع سنين وشهور بعد أن قدمته أمه الى الرسول صلى الله عليه وسلم ليخدمه فكان نعم الخادم ارتفع بخدمته الى أعلا مراتب السيادة والفخار وكانت له ذؤابة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمدها ويأخذ بها .

حفظ عن النبى صلى الله عليـــه وسلم الكثير وانتفع بتوجيهـــاته وأسرته شـــيم النبوة الكريمـــة ومعاملة النبى صلى الله عليه وسلم المثالية • خدم النبى صـــلى اللـــه عليه وسلم حتى مات فما قال لـــه أفاقط ولا قال له لم فعلت هـــذا وهلا فعلت كذا ، أرسله صلى الله عليه وسلم يوما لحاجة فخرج حتى مر على صبيان يلعبون فى السوق فشاركهم اللعب فاذا رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم قـــد قبض بقفاه من ورائه فنظر اليـــه وهـــو يضحك فقال يا أنس أذهبت حيث أمرتك ؟ قال نعم أنا أذهب يارسول اللـــــه •

وعنه : لما كان صبيحة اليـــوم الذى احتلمت فيه أخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا تدخل على النساء الا باذن •• قال •• فما أتى على يوم كان أشد على منه ••

وكان صاحب نعل رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم وأدواته • دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم أكثر ماله وولـــده وأدخله الجنة •

قال أنس : فقد رأيت اثنتين وأنا أرجـــو الثالثـــة ، فوالله ان مالى لكثير وان ولـــدى وولـــد ولـــدى ليتعادون على نحو المائة اليوم •

وقال للرسول صلى الله عليـــه وسلم : خويدمك أنس اشـــــفع له يوم القيامة قال : أنا فاعل قال فأين أطلبك ؟ قال : عنـــد الصراط فان وجدتنى والا فأنا عند الميزان فان وجدتنى والا فأنا عند حوضى لا أخطىء هذه الثلاثة مواضع •

وعنه قال : كان رســـــول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقـــا •

وفـــاته

ومات أنس بعد حيـــاة حـــافلة بالجهاد والعلم والعمـــل وكـــانت عنده عصابة لرســـــول الله صلى الله عليه وسلم فدفنت معـــه بين جنبيه وقميصه ولما أدركه المـــوت جعل يقول : لقنونى لا اله الا الله

فلم يزل يقـولها حتى قبض رضى الله عنه •

وكان آخر الصـحابة مـوتا بالبصرة مات سنة ثلاث وتسـعين وهو ابن مائة وثلاث سنين عـلى الأرجح •• وعن قتادة قال: لما مات أنس بن مالك قال مورق العجلى : ذهب اليوم نصـف العلم فقيـل وكيف ذاك يا أبا المغيرة قال : كان الرجل من أهل الأهواء اذا خالفنا فى الحديث عن رسول الله صـلى الله عليه وسلم قلنا له : تعال الى من سمعه منـه •

كـرامة لأنس

وصاحب كأنس ليس كثيرا عليه أن تظهر كرامة بل كرامات فقـد حكى أن أرضه عطشت فقام فتوضأ وخرج الى البرية فصلى ركعتـين ثم دعا فالتأم السحاب وهطل المطر فلما سكن بعث بعض أهله ينظـر أين بلغت السماء ؟ فنظر فلم تعد أرضه الا يسيرا وذلك فى الصيف •

وقد ذكر ابن عساكر من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم له الكثير مما تركنـاه خوف الاطالة (تهذيب ابن عساكر ترجمة أنس ابن مالك) •

وأصـح أسانيده ما رواه مالك عن الزهرى عنه وقيل حماد بن زيد عن ثابت البنانى عنه وقيل هشام الدستوائى عن قتادة عنـه •

وأوهى الأسانيد اليه : داود بن المحبر عن قحدم عن أبيه عن أبان ابن أبى عباس عنه •

عائشة أم المؤمنين

اسمها ونسبها : عائشة بنت أبى بكر الصديق عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمر بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب •

وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية •

وكنيتها : أم عبـد اللـه كناها رسول الله صلى الله عليه وسـلم بابن أختها عبد الله بن الزبير •

ولدت بعد المبعث بأربع سـنين أو خمس •

أم المؤمنين لقوله تعالى (وأزواجه أمهاتهم) فى تحريم نكاحهن ووجوب احترامهن وتقديرهن لا فى النسب

والميراث وما الى ذلك من الآثـــار القانونية المترتبـــة على القـــرابة المباشرة .

زواج النبى صـــلى اللـــه عليه وسلم بها

فى صحيح البخارى : عن عائشة رضى الله عنها قـــالت : تزوجنى النبى صلى الله عليه وســـلم وأنا (بنت ست ســـنين) ودخل بهـــا وهى بنت تسع سنين وكان دخوله بها فى شوال فى السنة الأولى وقيل الثانية من الهجرة ... وعنهـــا أن النبى صلى الله عليه وسلم قـــال لها : أريتك فى المنام مرتين أرى أنك فى شرقة (١) من حرير ويقـــول .. هذه امرأتك فأكشف فاذا هى أنت فأقول ان يك هذا من عند الله يمضه

وعنها قالت : لما توفيت خديجة قالت خولة بنت حكيم امرأة عثمان ابن مظعون وذلك بمكة . يا رسول الله . ألا تتزوج قال من .. قالت ان شئت بكرا وان شئت ثيبا قال فمن البكر قالت : ابنة أحب خلق الله اليك عائشة بنت أبى بكر . قال فمن الثيب قالت : سودة بنت زمعة آمنت بك واتبعتـــك عـــلى ما أنت عليه ، قال : فاذهبى : فاذكريهـــا على فجاءت فدخلت بيت أبى بكر فوجدت أم رومان أم عائشة فقالت يا أم رومان ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وســـلم أخطب عليه عائشة فقال أبو بكر هل تصلح له ؟ انما هى بنت أخيه فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وســـلم فذكرت ذلك له فقال ارجعى اليه فقولى له أنت أخى فى الاسلام وأنا أخوك وابنتك تصلح لى فأتت أبابكر فقـــال ادع لى رسول الله صلى الله عليه وســـلم فجاء فأنكحه —

وفى رواية البخارى : أتتنى أمى أم رومان وانى لفى أرجوحـــة ومعى صواحب لى فصرخت بى فأتيتها لا أدرى ما تريد بى .. فأخذت بيدى حتى أوقفتنى على باب الدار وانى لأنهج حتى سكن بعض نفسى ثم

---

(١) قطعة

أخــذت شيئا من ماء فمسحت به وجهى ورأسى ثم أدخلتنى الــدار فاذا نسوة من الأنصار فى البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر فأسلمتنى اليهن فأصلحن من شأنى فلم يرمنى إلا رسول اللــه صــلى الله عليه وســلم ضــحى فأســلمتنى اليــه وأنا يومئذ بنت تسع سنين •

وعنها قالت : قال رسول اللــه صلى اللــه عليــه وسلم يــوما : ياعائشــة • هــذا جبريل يقرئك السلام فقلت : وعليــه الســلام ورحمة اللــه وبركاته • ترى مالا أرى تريد رسول الله صلى اللــه عليه وسلم ومات النبى صلى الله عليه وسلم ولها نحو ثمانيــة عشر ربيعا بعد حيــاة حافلــة اكتسبت فيها الكثير وقد حفظت عنه شــيئا كثيرا حتى قيل : ان ربع الأحكام الشرعية منقول عنهــا رضى اللــه عنها •

علمها ومكانتها فى الدعوة

جاءت امرأة من الأنصار تسأل رسول الله صلى الله عليه وســلم كيف نتطهر من الحيض فقال خذى فرصة من مســك فتتبعى بهــا أثر الدم فلم تفهم فاستحيا رســول الله صلى الله عليه وسلم فأخذتها عائشة وعلمتها وسألها أبو سلمــة ابن عبد الرحمن بن عوف ما يوجب الغسل فقالت هل تدرى مــا مثلك يا أبا سلمة ؟ مثل الفروج يســمع الديكة تصرخ فيصرخ معهــا • اذا جاوز الختان الختان فقــد وجب الغســل • وأتاهــا أبــو موسى الأشعرى فقال لها : لقد شق على اختلاف أصحاب النبى صلى اللــه عليه وسلم فى امر انى لأعظم أن أستقبلك به فقالت ما هو ؟ ما كنت سائلا عنه أمك فسلنى عنه فقال : الرجل يصيب أهله ثم يكســل ولا ينز ل؟ فقالت : اذا جاوز الختــان فقد وجب الغسل • وسئلت هــل يقبل الصائم فقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل وهــو صائم وكان أملككم لاربه (١) •

---

(١) حاجته

جهادها فى ســـــبيل الله

كانت هى وأم ســليم تمــلآن القرب فتنفر غانها فى أفواه القـــوم ثم تعودان الى ملئها وهــكذا يوم أحد •• وخرجت مع طلحة والزبير للقصـــاص من قتلـــة عثمان فلما ناقشها الصـــحابة أذعنت للحـــق وأرادت الرجوع فخاف القتلة من اتفاق الجيشـــين عليهمـــا فأثاروا القتال وأعلنت ندمهـــا عـــلى ذلك الخروج وقال عمار لمن خرج معها انى أعلم أنهـــا زوجـــة نبيكم فى الدنيا والآخرة •

آثارهـــا العلميـــة

روت عن النبى صلى الله عليـــه وســـلم الكثير الطيب وروت عن أبيها وعن عمر وفاطمة وســـعد بن أبى وقـــاص وأســـيد بن حضـــير وجذامة بنت وهب وبلغت مروياتها ألفين ومائتين وعشرة وروىعنهـــا من الصحابة : عمر وابنه عبد الله وأبو هريرة وأبو موسى وزيد بن خالد وابن عباس والسائب بن يزيد وغيرهم ومن غير الصحابة أختها أم كلثوم وعوف بن الحارث والقاسم وعبد الله ابنا •• محمـــد بن أبى بكر وسعيد بن المسيب وعمرو بن ميمون وعلقمـــة بن قيس ومسروق وأبو سلمة بن عبد الرحمن وأبـــو وائل وآخرون كثـــيرون وذكر فى الفتح الربانى جملة من فتاويهـــا جـ ٢٢ ص ١٢٨ •

وفاتهـــا

أمرت أن تدفن بالبقيع ليـــــلا واستأذن عليها ابن عبـــاس وهى تموت فأذنت له بعد تردد وعندها ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن فدخل ثم ســـلم وجلس وقـــال : أبشرى يا أم المـــــؤمنين فواللـــه ما بينك وبين أن يذهب عنك كـــل أذى ونصب وتلقى الأحبة محمدا وحبه الا أن تفارق روحك جسدك فقالت : وأنت أيضـــا فقال : كنت أحب أزواج النبى صلى الله عليه وسلم اليه ولم يكن يحب الا طيبا وأنزل الله براءتك من فـــوق سبع سماوات وسقطت قلادتك بالايواء وأنزل الله « **فتيممـــوا صـــعيدا**

طيبا »فكان ذلك رخصة للناس عامة فى سبيلك فوالله انك لمباركة فقالت . دعنى يا ابن عباس من هذا فوالله لوددت أنى كنت نسيا منسيا ... وماتت فى ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان سنة ثمان وخمسين من الهجرة وقيل سبع وخمسين وصلى عليها أبو هريرة ونزل فى قبرها خمسة من أولاد أخيها محمد وأختتها أسماء .

ثناء العلماء عليها

قال حسان فى حقها بعد أن برأها الله وحد الرسول صلى الله عليه وسلم من قذفها .

لقد ذاق عبدالله (١) ما كان أهله
وحمنة اذ قالوا هجيرا ومسطح
تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم
وسخطةذىالعرش الكريم فأترحوا
فآذوا رسول الله فيها وعمموا
مخازى سوء حللوها وفضحوا

وكان مروان اذا حدث عنها قال : حدثتنى الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله وقال عطاء : كانت أفقه الناس وأعلم وأحسن الناس رأيا فى العامة .

وقال أبو موسى الأشعرى . ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة الا وجدنا عندها فيه علما .

وقال الزهرى : لو جمع علمها الى علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء لكان علمها أفضل وأقول المثل الأعلى للمرأة العربية والأنثى المسلمة ضمت الى العلم العمل والى الأدب الشجاعة عاشرت الناس بلا تبذل وعلمت وعلمت بلا اسفاف وربت أجيالا وبنت رجالا لو اقتدت بها النساء لما كان انقسام بين ما هو كائن وما ينبغى أن يكون رحمها الله رحمة واسعة ورزقنا اتباعها والاقتداء بآثارها الى يوم الدين .

د/ الحسينى هاشم

الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية

---

(١) ابن أبى

الإسلام عقيدة وشريعة

للأستاذ محمد صابر البرديسي

* الاسلام : الانقيـــاد لله ، والامتثال لما جاء به النبى « صلى الله عليه وسلم » من عند اللـــه ، وأوصـــاه بتعاليمـــه فى أصـــوله وفروعه ، وكلفه بتبليغه الى الناس ودعوتهم اليه ، قال تعالى : (**ان الدين عند الله الاسلام**) (١) .

* الاسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعا ، فهو دولـــة ووطن ، وهو خلق وقوة ، وهـــو جهاد ودعوة ، وهو عقيدة وعمل ، عقيدة صادقة ، وعبادة صحيحة ، قال تعالى : « **ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء ، وهدى ورحمـــة وبشرى للمسلمين** » (٢) .

* ولا يكون اســـلام المرء اسلاما كامـــلا الا اذا ملأ قلبـــه التسليم للـــه واقترن اســـلامه بالطاعة المطلقة له .

« أ » الاســـلام عقيدة :

* أساس الاسلام الايمان ، بالله ، والاعتقاد بذلك اعتقـــادا جازما لا يعتريه شـــك ، ولايرقى اليـــه أى نـــوع من الريبـــة والاضطراب .

* الايمان باللـــه أســـاس الفضائل ، ولجام الرذائل ، وقوام الضمائر ، والعـــروة الوثقى بين الانسانية ومثلها العليا .

* لابد للعمل الصـــالح من ينبوع عقدى ، ولابد للسلوك من رصيد ايمانى . والأديان جميعهـــا

(١) سورة آل عمران ، آية ١٩
(٢) سورة النحل : آية ٨٩

منذ بدايتها حتى ختمت بخاتم المرسلين لم تعرف الا التسليم والانقياد لله وحده ، ومن يخضع لله ، ويستسلم له ويقر له بالعبودية وينفذ أوامره برغبة واجلال فهو فى منزلة الملائكة المقربين (**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**) (١) •

« ب » الاسلام شريعة :

* الشريعة : القوانين والنظم التى أوصى الله بها الى رسوله محمد « صلى الله عليه وسلم » وعلى الأنبياء قبله ، تنظم العلاقة بين العبد وربه ، وتنظم علاقة الانسان بأخيه الانسان مثل الصلاة والصوم ، وكالتعاون بين الناس وحفظ الدماء •

ولا تصح الأعمال التى ارتبط بها الانسان الا على أساس من الايمان بالله ، فلا وجود للشريعة الا على أساس من العقيدة ، قال تعالى : « **الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم** » (٢) •

* فمن كفر بالله فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين ، ومن آمن بالعقيدة ، وألغى الشريعة ، ولم يمتثل أمر الله فيما أوجبه ، وفيما نهى عنه فقد بعد عن رحمة الله ، واستحق غضبه قال تعالى : « **من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا** » (٣) فاذا اجتمعت العقيدة والشريعة ، بأن امتثل أمر الله فيما أوجبه وفيما نهى عنه كمل اسلام المرء ، وفاز برضوان الله ، قال تعالى « **ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا** » (٤) •

* **العقيدة الايمان ، والشريعة الأعمال •**

* **الايمان** — أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ،

---

(١) سورة التحريم : آية ٦
(٢) سورة محمد : آية ١
(٣) سورة النساء : آية ١٢٣
(٤) سورة النساء : آية ١٢٤

واليوم الآخر ، وبالقضـــاء خيره وشره •

* **تؤمن بالله :** بأنه لا اله الا هو ، وبأنه المستحق للعبـــادة لا شريك لـــه ولا صاحبـــة له ولا ولد ، وكل سعى ، وكل عمل يقوم به الانسان يجب أن يكون مبعثـــه وجوهره الايمان •

* **نؤمن بملائكتـــه** : بـــأنهم أجسام نورانية ، لا يعصون اللـــه ما أمرهم ويفعلـــون ما يؤمرون ، وبأنهم عالم غيبى « **عباد مكرمون لا يسبقونه بالقـــول ، وهم بأمره يعملون** » (١) •

* **وتؤمن بكتبه :** الكتب المنزلة على الأنبياء جميعا (القـــرآن ــ الانجيل التوراة ، وصحف ابراهيم وموسى » •

* **والايمـــان ببعض هـــذه** الكتب ، والكفر ببعضها ، لا يعتبر ذلك ايمـــانا لأن الايمـــان يقتضى الايمان بكل ما أنزل من الكتب على أنبيائه ورسله •

* **وأن تؤمن برسل الله :** وهم الذين اصطفاهم اللـــه ، وأمرهم بتبليغ رسالته الى عباده ، وتكفى المعرفة الاجمـــالية ، فيمـــا كان التكليف فيه اجمالا ، وتفصـــيلا كالايمان بالأنبيـــاء المذكورين فى القرآن ، وهم خمسة وعشرون(٢) جمعهم بعض العلماء فى الأبيـــات الآتية :

حتم على كل ذى التكليف معـــرفة
بأنبياء على التفصـــيل قـــد علموا
فى تلك حجتنـــا منهم ثمـــانية
من بعد عشر ويبقى سبعة وهمـــو
ادريس، هود، شعيب ، صالح وكذا
ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

* والـــذين يؤمنـــون ببعض الرسل ، ويكفرون ببعض جعلهم الله من الكافرين ، قال تعـــالى : « **ان الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريـــدون أن يفرقـــوا بين اللـــه ورســـله ويقـــولون نؤمن ببعض ونكفـــر ببعض ، ويريـــدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا • أولئـــك**

---

(١) سورة الأنبياء : (٢٦) ، (٢٧)
(٢) سورة الانعام : من ٨٣ ــ ٨٦

هم الكافرون حقـــا ، وأعتـــدنا للكافرين عذابا مهينا » (١)

✽ وواجب المسـلم ان يؤمن بأن هؤلاء الرسل قـاموا بواجب الدعوة اليه خير قيـام وتوارثوا هداية الخلق ونصرة الحق فأنقذوا الناس من الضلالة ومن أنفسهم ، وعرفوهم بربهم .

✽ على أنه لابد من الايمـان بعموم رسالة محمد « صلى اللـه عليه وسلم » وأنها تشمل النـاس كـافة والبشر جميعـا الى يوم القيامة ، قال تعالى : **«وماأرسلناك الا رحمـة للعـالمين »** وقـال تعالى **« وما أرسـلناك الا كافـة للناس بشيرا ونذيرا »** (٢) .

✽ وكان محمد « صـلى الله عليه وسلم » بشـخصيته وطبيعة رسالته امام الأنبياء وسيد الدعاة الى الله .

✽ وسر عظمة محمد « صـلى الله عليه وسلم » وأساس فضـله المبين يرجع الى انه (صلى اللـه عليه وسلم) أستطاع ـ بما وهبه الله من ذكاء ، وما فطر عليـه من حكمة وما أوتيه من فراسة وكياسة وأدب وخلق ـ آن ينفذ الى قلوب الناس ، ويغرس فيها ايمـانا لا يستخدم فى غرسه الا الوسـائل المقدورة بطاقة البشر ، يفتـدون صحبـه بأرواحهم وأمـوالهم عن طيب خاطر ويؤمنون بمـا يقـوله ايمانا لا حد له ، حتى ليقول أبو بكر لمن يحدثه عن حديث محمـد صلى اللـه عليـه وسـلم » عن الاسراء ، **« وأن كان قـاله لقـد صدق »** .

ويرجع أيضا الى ما أنزل عليه من الوحى الذى يتضمن الـدين كله من لدن خلق الله السـموات والأرض الى يوم تقوم الساعة ، من أزل العالم الى أبده ، فالقرآن الكريم جمع كل ما ينبغى أن يعرف عن الله ، ونزهه على كل مالا يليق بجلاله « **قل انمـا أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم الـه واحـد**

---

(١) سورة النساء : آية ١٥٠ ، ١٥١

(٢) سورة سبأ : آية ٢٨

فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » (١) .

وكان محمد « صلى الله عليه وسلم » يفخر بالعبودية لله ، فمرة يصف نفسه بها ومرة يكون الوصف له من الله ، والوصف بالعبودية على أية حال حقيقة تشرف رسل الله جميعا ما يترفع عنها نبى .

* وأذ كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم » عامة ، فان الرسالات السابقة له كانتخاصة، كل رسول يبعث لقومه ، قال تعالى : « **ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين** » (٢) وقال تعالى « **لقد أرسلنا نوحا الى قومه ، فقال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ، انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم** » (٣) .

* **ويجب أن نؤمن باليوم** الآخر : الاعتقاد بالآخرة ، يدفع المؤمن الى العمل الصالح والتضحية فى سبيل الله ، وتجعله يستهين بأثقال الدنيا ومتاعبها ، ويشعر بالسعادة النفسية ، فمتاع الدنيا زائل والآخرة خير وأبقى « **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** » (٤) .

* **وأن نؤمن بالقضاء والقدر :**

ان الانسان لا يمكن أن يكون له ارادة حرة فى كل النشاط الذى يمارسه ، ولا يمكن أن ينفذ كل ما أراده دون عائق ، فالانسان بعقله ، يستطيع أن يتصرف وهو حر فى المجالات التى يمكنه التصرف فيها ، ويكون له فيها اختيار ، أما المجالات التى لا اختيار له فيها ، كالأشياء الاضطرارية كحركة القلب ، وما كان ناشئا عن الوراثة فهو مقيد لا حرية له فيها ، فالانسان مجبور مختار ، مقهور فى مجال ، وحر

---

(١) سورة الكهف آية ١١٠ .
(٢) سورة الأعراف الآية ٨٠ .
(٣) سورة الأعراف آية رقم ٥٩ .
(٤) سورة الزلزلة آية ٧ ، ٨ .

مســـئول فى مجـــال الحـــرية والمسئولية • قال تعالى :

(ولو شـــاء اللـــه لجعلكم أمة واحدة ، ولكن ، يضل من يشاء ، ويهدى من يشاء ، ولتسألن عمـــا كنتم تعملون) (١) ففى أول الآية يشير الى القدر وفى نهايتهـــا يقرر مسئولية المرء عن عمله •

وأخيرا فما شاء الله كان ومالم يشـــأ لم يكن ، وعلى العبـــد أن يسعى وليس عليه ادراك النجاح •

*** العقائد لا زيادة فيهـــا ولا نقص :** العقـــائد والعبادات فى الاســـلام لا تحتمـــل زيـــادة ولا نقصا ، ولا مجال لفكر انســـانى يضيف عليها شيئا من عنـــده ، أو يختصر منها شيئا بجهده •

* ان أصول الايمـــان وأركان العبادات جاءت من عند الله وقـــد بقيت كمـــا جـــاءت لا تبديـــل فيها ولا تغيير ، ان أحدا لم يزعم أنها تغيرت أو تغير منها شىء الى يومنا هذا ، وأسلوب القـــرآن فى تقريره للعقائد ، وتناوله للعبادات واضح كل الوضوح •

« وتتسم بموافقتها للعقل ولا سبيل فيها للشبهات والمتناقضات»

« وأن هذا صراطى مســـتقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصـــاكم به لعلكم تتقون » (٢) وقال تعالى : **(وتمت كلمة ربك صدقا وعـــدلا لا مبدل لكلماته وهـــو الســـميع العليم »** (٣) وقـــال تعـــالى : **« وهذا صراط ربك مستقيما ، قـــد فصلنا الآيات لقوم يذكرون»** (٤)•

اللهم وفـــق المســـلمين الى الصمود فى العقيـــدة والعمـــل بالشريعـــة ، ووحـــد صـــفوفهم واجمع شـــملهم ، واهـــدهم الى ما تحبه وترضاه ، انك على كـــل شىء قدير •

محمد صابر البرديسى
مدير مجلة الأزهر

---

(١) سورة النحل آية ٩٣ •
(٢) سورة الأنعام آية ١٥٢ •
(٣) سورة الانعام آية ١١٥
(٤) سورة الانعام آية ١٢٦!

دراسات قرآنيـــة

العدوى والتشاؤم

بين الطب والشريعة والعقيـدة

لفضيلة الشيخ مصطفى الطير

قال الله تعالى فى سورة التوبة :

« قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى اللـــه فليتوكل المؤمنون » (٥١) •

البيـــــان

من الأمور الثابتة تجربة وطبا ، أن بعض الأمراض ينتقل بالمخالطة من العليـــل الى الصـــحيح ، عن طريق زفيره أو فضلاته المختلفة ، وأن لكـــل مرض خاصـــيته فى العـــدوى ، وقد أثبت التحليـــل المعملى والمجهـــر والتجـــارب المختلفة ، أن لكل مرض معد كائنا صغيرا يسمى علميا (الفيروس) وأنه بعد انتقـــاله من المريض الى الصحيح ، يسبب له المرض عندما تنقضى على انتقاله مدة معينـــــة تسمى مدة الحضانة •

ومن أجل ذلك يوصى الأطبـــاء من يخـــــالطون المرضى ، أن لا يستعملوا الأدوات التى يستعملها هؤلاء المرضى الا بعد غليهـــا أو تطهيرها بالمحـــــاليل القـــــاتلة للميكروبات والفيروســـات ، كمـــا يوصونهم بفتح بعض النوافذ فى حجرة المريض لتجـــديد هوائهـــا بطريقة صحيحة ، حمـــاية لهم من العدوى •

وهنـــــاك بعض الأمراض لم يعرف له ميكروب يسببها ، وقـــد يكون له ذلك ، ولكنه لم يكشـــف بعد ولا يزال سره عند الله تعالى ،

فهو الــذى يعلم السر وأخفى من السر .

ومما لا شك فيه أن الله تعــالى قد جعل لكل داء دواء ، لأن ذلك هو اللائق بحكمة الله ، ولقــوله صلى الله عليه وسلم « مـا أنزل الله داء الا أنزل له شفاء » رواه البخارى ، ولكن بعض الأمراض لم يتوصل الأطباء بعــد الى دواء يستأصله ، وان وصلوا الى تخفيف حدته حتى تحين منية المصاب به ، ولا يزالون جاهدين فى البحث عن علاج له ، رحمــة للمصــابين به ، وعسى أن يهديهم الله تعالى اليه ، أما معظم الأمراض فقد وصــلوا الى علاجه بنجاح عظيم ، الا مع من كتب الله عليــه المــوت ، فان العلاج الذى عرف نجــاحه مع غيره ، يصــبح عديم الجــدوى بالنسبة له ، قال تعالى **« فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ســاعة ولا يستقدمون »** .

الاصــابة والشــفاء بقدر اللــه

ولكننا نجد القرآن الكريم يقول **« قل لن يصيبنا الا ما كتب اللــه لنا »** والسنة الصــحيحة تقــول « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر » رواه البخارى، وزاد مسلم « ولاغول » وزاد النسائى « ولا تــولة » فكيف نــوفق بين الطب والواقع وبــين تلك النصــوص الشرعية التى يــدل ظاهرها على نفى العدوى ، واثبات أن الاصابة بالمرض مردهــا الى قــدر اللــه وقضائه المكتوب على العبد منــذ الأزل .

والجــواب أن لا تنــافى بين الاصابة عن طريق العدوى ، وبين أنها بقدر الله وقضائه القــديم ، ولكن المنوع شرعــا أن يعتقــد مسلم ، أن الاصابة بالعــدوى حتمية بالمخــالطة ، وأنها ذاتيــة وليست بقضــاء الله وهــذا هو الغرض من قوله صــلى الله عليه وسلم « لا عدوى » .

ولقــد كان العــرب قبــل أن يشرفهم الله بالاسلام يعتقــدون أن الأمراض تنتقل الى الأصحاء من المــرضى ، دون أن يمــر بخــواطرهم أن ذلك مبنى على

مشيئة الله وقدره . على قاعدتهم من نسبان الله فى أمرهم كله . فلما شرفهم الله بالاسلام أصبح محتوما أن يتعلموا أن مرد الأمور الى الله تعالى ؛ وأن العدوى لا تكون بغير مشيئة : فلهذا قال لهم الرسول (لا عدوى) قاصدا أنها لا تكون بغير مشيئة الله ، وأن الأمور يجب أن تنسب الى قدر الله ، وان كانت لها أسبابها التى ربطها الله بها •

والدليل على أن ذلك مقصوده صلى الله عليه وسلم ، أن أعرابيا حين سمعه يقول (لا عدوى) قال : يارسول الله : فما بال ابلى تكون فى الرمل كأنها الظباء ، فيأتى البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها ؟ قال : «فمن أعدى الأول » ؟

أراد الأعرابى من سؤاله أن الجرب أمر ذاتى يأتى بمجرد المخالطة ولا يتخلف ، وقد طرح جانبا من تفكيره مشيئة الله وارادته ، وأنه تعالى هو الذى جعل المرض ينتقل الى الصحيح ؛ فلهذا رد النبى صلى الله عليه وسلم ردا حاسما ، أصلح به عقيدة الأعرابى كما صحح به واقع الأمر ، اذ قال : فمن أعدى البعير الأول الذى أصابه الجرب دون أن يخالط حيوانا مصابا بالجرب •

وسكوت الأعرابى بعد هذا الجواب دال على اقتناعه بأن البعير الأول حيث لم يمرض بالعدوى من حيوان مريض ؛ بل يفعل الله ومشيئته ، فان البعير المخالط للمصاب بالجرب يكون جربه بفعل الله ومشيئته — وبذلك حصل مقصود الرسول من ارشاد القوم الى أن مرد الأمور الى الله ، وتثبيت عقيدة التوحيد فى قوم كانوا فى جاهليتهم القريبة قد نسوا الله ونسبوا الأمور الى غير خالقها وفاعلها الحقيقى سبحانه وتعالى ، كقولهم : مطرنا بنوء كذا ، يعنون أن النوء هو الذى أصابهم بالمطر •

(الرسول يضع دستور الحجـــر الصـــحى)

لقد سبق النبى صلى الله عليه وسلم الأطباء جميعـا فى وضـع نظـــام للوقاية من العــــدوى بالأمراض الوبائية ، أصبح يسمى نظام الحجر الصـحى ، ومن ذلك قـوله « لا يوردن ممـرض على مصح » أى لا يأتى صاحب ابـل مريضة بابله على صـــاحب ابل سليمة صحيحة فيخلطها بها ، حتى لا تصاب بمرضـــها ، ومن ذلك قوله « **الطاعون رجز ارســل على طــائفة من قبلكم ــ أو على بنى اسرائيل ــ فاذا كنتم بأرض وهو بها فلا تخرجوا منهــا ، أو كنتم خارجها فلا تدخلوا عليها** » .

كما حذر من مخالطة المصــابين ببعض الأمراض تحذيرا شــديدا بنحو قوله « فر من المجـــذوم فرارك من الأسد » الى غـير ذلك من النصــائح الطبيــة الوقــائية الدالة أوضح الدلالة على اقراره صـــلى اللــه عليه وسلم نظـرية العدوى بالمخالطة ، مع ربطهــا بمشيئة الله تعالى ، فكم من مخالط شديد المخالطة للمرضى بالأمراض المعدية ، ينجو منها ومن آثارهـا المميتة ، وقد يكونضعيف الصحة متقدما فى السن ، وكم من بعيـد عن المرضى ؛ فتك به مرض أصابه عفوا وهـو فى عنفـوان صـحته وشبابه بتقدير الله جل وعـلا : فمرد الصحة والمرض الى مشيئة الله ، وما العدوى الا سبب عادي كثيرا ما يتخلف .

من حكم التعبـير بقوله « لا عدوى »

من حـكم قـول الرســول (لا عدوى) وقـوله (لا يوردن ممرض على مصـح) أن يعـلم الناس أن انتقال الأمراض راجع فى الحقيقة الى مشيئة الله تعالى ، حتى لا يترك الأصحاء مرضاهم ، وأن لا يهملـوهم خـوفا من فاعلية العـــدوى ، فمتى عرف النـاس المخالطـون للمرضى أن العدوى لا تنتقل منهم اليهم بغير

قــدر اللــه ، امتــلأت قلوبهم بالطمأنينة ، وقاموا على خدمتهم مع الاحتياط قدر الامكان باتقــاء افرازاتهم المختلفة •

ولا شك أن ايمان المخالط بذلك يرفع من معنوياته ، ويجعله أكثر مناعة ضد المرض ، من ذلك الذى يرجف فؤاده من فاعلية العــدوى وحتمية انتقالها ، فالخــوف من العدوى أقوى العوامل على ضعف أسباب المقــاومة الــذاتية فى صاحبه ، وذلك أمر مسلم به طبيا ، فما اشد فتك الوهم والخــوف بصاحبه وان لم يخــالط المرضى ، ولهذا قال صلى الله عليه وســلم « ان من القرف التلف » •

فعلى كل مســلم أن يعلم أن المرض لا يأتيه بغير مشيئة اللــه تعالى ، وأنه سبحانه قد أعطى كل انسان ســلاحا قــويا يرد عنه عوادى المرض ــ وهو كرات الدم البيضاء ــ فهى الحبلوس الالهى اليقظ الذى يدفع عنه فيروسات الأمراض ويفتك بها ، كما أن عليه أن يحترز من افرازات مريضه قدر امكانه ، ويترك السلامة بعد ذلك لله تعالى ، وليعلم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن ما كتب عليــه لابد أن يصيبه مهمــا اتخــذ من أسباب الوقاية ، فقد جفت الأقلام وطويت الصحف ، ولله الأمر من قبل ومن بعد •

التشــــاؤم

ومن العادات الموروثة فى الناس أن يتشاءموا ببعض الأمور ، وأن يقعد بهم هذا التشاؤم عن المضى نحو الأعمال النافعة ، وهذا نقص فى الخلق عظيم ، فان من شــأنه أن يحول دون جلب النفع أو دفع الضر ، والله سبحانه لم يجعــل ما يتشاءم به النــاس سببا لجلب الشؤم عليهم ان هم انطلقوا الى تحقيق ما يريدون من مصالحهم ، ولهذا كان لابد لصاحب الشريعــة من أن يقاوم هذا التشاؤم ويضع له حدا ، فلهذا أتبع قــوله « لا عدوى » بقوله « ولا طيرة » أى ولا تطير ، والتطير التشــاؤم ، مأخوذ من الطير ، فــان العــرب كانوا اذا أرادوا الشروع فى سفر

أو عمل ، أنفروا أول طائر يلقونه أو أزعجوه من عشه ، فاذا طار جهة اليمين تفاءلوا ومضوا لتحقيق ما يريدون ، واذا طار الى غير جهة اليمين تشاءموا وقعدوا عن تحقيقه ، كما كانوا يتيامنون بالسوانح ، وهى الطيور تمر من اليسار الى اليمين ، ويتشاءمون بالبوارح ، وهى الطيور تمر من اليمين الى اليسار ، ثم عم التطير فى التشاؤم — سواء أكان سببه الطير أم سواه •

والرسول صلى الله عليه وسلم لا يقصد بقوله « ولا طيرة » نفى ذات التطير — أى التشاؤم — فانه كان موجودا ولا يزال عند بعض الناس ، ولكنه يقصد النهى عنه ويريد أن يحول دون ازعاج الطير من أعشاشها ، وقد صرح بذلك فى قوله « أقروا الطير على وكناتها » أى اتركوها قارة فى أعشاشها ، ولا تخرجوها منها لتتشاءموا أو تتفاءلوا بها •

وكانت الفرس والعرب أكثر الناس تشاؤما ، ولا يزال كثير من الناس يتشاءمون ويحجمون عن الاقدام يائسين من الظفر بتحقيق رغائبهم ، متقلبين فى الشقاء والتعاسة ، والى جانبهم هؤلاء السعداء من المتفائلين الذين يقدمون على مطالبهم بعد أن يهيئوا لتحقيقها الأسباب ، ويثقوا بما عند الله من الخير ، فلا يصدهم خوف ، ولا يكفهم خور فى العزيمة ، ولا تثنيهم طير تمر ناحية اليسار عن الاقدام ؛ فيعودون بالفوز بالمقاصد ، وينقلبون بتحقيق الرغائب ، فان الغنم فى الاقدام ، والخيبة فى الاحجام •

فمن ابتلى بالتشاؤم فليصرفه عن نفسه فانه من الشيطان ، وليعلم أن الرزق والخير تابعان للطلب لا للهرب ، وأن ليس للطير تمر ناحية اليمين أو اليسار أو غيرهما دخل فى تحقيق ما يريد أو عدم تحقيقه ، قال عكرمة : (كنا جلوسا عند ابن عباس رضى الله عنهما ، فمر طير يصيح ، فقال رجل من القوم : خير ، فقال ابن عباس : لا خير ولا شر) : أ هـ •

ولنعم ما قاله الشاعر لبيد :

لعمرك ما تدرى الضوارب بالحصى
ولا زاجرات الطير ما الله فاعل

وقد وصف النبى صلى الله عليه وسلم المضى فى المطلوب علاجا للتشاؤم « ان فى الانسان ثلاثة : الطيرة والظن والحسد ، فمخرجه من الطيرة أن لا يرجع ، ومخرجه من الظن أن لا يحقق ، ومخرجه من الحسد أن لايبغى» .

عبـرة

ومن أسوأ أنواع التشاؤم ما حدث من الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فقد فتح المصحف فخرج له قوله تعالى « **واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد** »وكان فى وسعه أن لا يتشاءم بشىء من القرآن ، فإنه جاء للعظة لا للتشاؤم ولكنه أبى الا أن يتشاءم بهذه الآية فمزق المصحف ــ قبحه الله ــ وقال :

أتوعد كل جبار عنيد
فها أنذاك جبار عنيد
اذا ماجئت ربك يوم حشر
فقل يارب مزقنى الوليد

فلم يلبث الا أياما حتى قتل شر قتلة ، وعلق رأسه على قصره ثم على سور المدينة ، وكان شؤمه عليه من جهة تمزيقه المصحف الشريف ، لا من جهة الآية الكريمة ، فقد تصادف البر كما قد تصادف الفاجر .

التفـاؤل

أما التفاؤل فهو مشروع لأنه باعث على الجد ومعوان على الظفر بالمطلوب ، اذ هو سبب لتقوية العزم على المضى ، ولهذا كان الرسول يحب الفأل الحسن ، ويتفاءل فى غزواته وحروبه ، سمع مرة كلمة فقال « أخذنا فألك من فيك » وروى الترمذى وصححه « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج لحاجة يعجبه أن يسمع يانجيح ياراشد » وروى البخارى بسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا طيرة وخيرها الفأل ، قالوا وما الفأل يارسول الله؟ قال: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم » ولما وصل النبى بجيشه الى حنين ليغزو هوازن قال له رجل : انى انطلقت من بين

أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فاذا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشياههم اجتمعــوا الى حنين ، فتبسم النبى صلى اللــه عليه وسلم بذكر أنعامهم وشياههم وقال : « تلك غنيمة للمسلمين غدا ان شاء الله تعالى » وقد تحقــق فأله وغنم منهم غنائم كثيرة .

فالاسلام يقر الفأل لأنه يشــد العزيمـــة ويدفع الى الأمـــام ، بخلاف التطير فانه مرض نفسانى يدعو الى الاســتخذاء والتقاعس عن الخير ، فلهذا نهى عنه الشرع، وذلك دستور يقره الطب النفسانى ويباركه .

الهـــامة

ومن عقائد الجاهليـــة أن روح القتيل الذى لا يؤخذ ثأره تصــير هامة ، وتصيح قائلة : اســقونى من دم قاتلى ، فــاذا أدركوا ثأره امتنع ظهورها ، واستقرت روحه فى قبرها .

والهامة طائر يطــير فى الليــل ويسمونه الصدى ، قال الزبرقان ابن زيد فى شأن الهــامة حســب عقيدتهم .

ياعمرو الا تدع شتمى ومنقصتى
أضربك حتى تقول الهامة اسقونى

وقال ابراهيم بن هرمة :

وكيف وقد صاروا عظــاما وأقبرا
يصيح صــــداها بالعشى وهامها

وهذا الاعتقاد فاسد ولا صحة له ، وقد كلف أصحابه ضــــحايا لاعداد لها ، فانه كان يؤدى الى قيام القبائل أو الأسر بعضها على بعض ، للأخذ بثأر أحد أفرادها ، فيفنى منهم العدد الكثير من أجل فرد واحــــد ، فلذلك نفى النبى صلى الله عليه وســلم الهامة قائلا « ولا هامة » ليرجــع الأمر الى القضاء ، فيحكم بقــوله تعــالى « **وكتبنــــا عليهم فيهــــا أن النفس بالنفس** .. » الآيــة . ان كان القتل عمدا ، أو يحكم بالدية ان لم يكن عمدا ، مالم يعدل أولياء الدم الى العفو ، عمــلا بقــوله تعالى «**وان تعفوا أقرب للتقوى**»

ومما يؤسف له أن هذا الاعتقاد لا يزال له بعض الظــلال والآثار فى بعض الأقــاليم ، والقبــائل

العربية ، فان عادة الأخذ بالثأر فى مجتمعهم أكثر ظهورا من الرجوع الى القضاء ، مع أن حكم الله أعدل ، والأخذ به ألزم ، والعدول عنه الى ماهم فيه مخل بالأمن ، وسبب لاشنع الكوارث .

صفر والنحس

ومن عقائدهم أن شهر صفر هو شهر النحوس والفتن ، فكانوا يتشاءمون به ، فلا يعقدون فيه زواجا ولا بيعا ، ولا يسافرون فيه لتجارة ، ولا يباشرون مقصدا من المقاصد الجادة ، كما أنهم كانوا يعتقدون أن الألم الذى يشعر به الجائع ، سببه حية عظيمة فى البطن ، تنهش من أحشائه وضلوعه ، أطلقوا عليها اسم الصفر ، فنفى الرسول صحة هذين الاعتقادين بقوله فى الحديث « ولا صفر » فان ذلك من الخرف الذى لا يليق بالعقلاء .

الغول والتولة

ومن عقائدهم أن الغيلان تتراءى للناس فى الفلوات على أشكال مختلفة ، فتضلهم عن سواء السبيل وتهلكهم ، وما يهلكهم سوى هذا الوهم الكاذب والخيال العاثر ، فهو الذى يضل عقولهم فيضلون عن السبيل الموصل الى غايتهم .

كما اعتقدت نساؤهم أن حمل التولة يحبب المرأة الى زوجها ، والتولة خرز أو حجارة أو ودع أو نحوها ، وكانت نساؤهم يفعلن ذلك ، فنهى الرسول عن اعتقاد أن الغول يضل عن السبيل ، وأن التولة تنفع بقوله « ولا غول ولا تولة » وقال فى التميمة والودع « من علق تميمة فلا أتم الله له ، ومن علق ودعة فلا أودع الله له » ودخل ابن مسعود على امرأته وفى عنقها شىء معقود فجذبه فقطعه ،ثم قال«لقد أصبح آل عبد الله أغنياء عن أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا » جزى الله نبينا صلى الله عليه وسلم على هذه النصائح الغالية ما هو أهله من الدرجات العلية .

مصطفى محمد الحديدى الطير

خلق الانسان فى القرآن

للدكتور محمد محمد خليفة

لقد عبر القرآن عن الجنس عند عرض خلقه بأساليب مختلفة : فمرة يذكر الانسان فيقول : لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم « ومرة يذكر البشر فيقــول : **وهو الذى خلق من الماء بشرا »** وتارة يــذكر الناس حين يناديهــم ليأمرهــم بعبادته فيقول : **« يا أيها النــاس اعبدوا ربكم الذى خلقكم»** أو حين يناديهم ليخبرهم بأن البعث حق ، ويدلل على وقوعه بالنشأة الأولى فيقول : **« يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم مــن تراب »** •

وبهــذا يشــير الى أن الخلق الأول من تراب ، وكذلك يكــون البعث والخــلق الثــانى من ذلك التراب الذى تحلل اليه جســـم الانســـان بعــد موته « انه يبدأ الخلق ثم يعيـــده ، وتارة أخــرى يعبر عن ذلك الجنس بضــــمير المخاطب فى قــوله : **ومن آياته أن خلقكم من تراب »** وقــد اختلفت أساليب خلق الانسان فى القرآن : فمرة يشير فى اجمــال الى خــلق الانسان فيقول : الله الذى خلقكم ثم رزقكم وتــارة يــذكر الخلــق ليعطف عليــه البعث والاعــــادة فيقول : **« وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيـــده »** ، وتارة يذكر الخلق والتصوير اجمالا فيقول : **« ولقد خلقناكم ثم صــورناكم »** وتارة يذكر الخلق والتزاوج والنســـل فيقــول : **« يا أيهــا الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا**

كثيرا ونساء » •

وحين يعرض لأصل الانسان يذكر مرة أنه من تراب : ومن آياته **« أن خلقكم من تراب »** ويذكر أخرى أنه من الأرض **« هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الأرض»** ويذكر ثالثة أنه من الطين **« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين »** ويذكر مرة رابعة أنه من صلصال **« ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون »** والحمأ الطين الأسود والمسنون المنتن ومرة خامسة يذكر أنه من ماء **« وهو الذى خلق من الماء بشرا »** ومرة سادسة يذكر أنه من نطفة **« أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين »** ومرة سابعة يذكر أنه من علق **« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق »** وليس ثمة من تناقض فى أصل خلق الانسان يدل عليه تباين التعبير كما نبين فى خلال البحث ان شاء الله • والأساليب التى تناول فيها القرآن موضوع خلق الانسان هى :

الخلق الاجمالى — بدء الخلق واعادته — الخلق والتصوير — الخلق والتزاوج — الخلق من تراب الخلق من الأرض — الخلق من الطين — الخلق من الصلصال — الخلق من الماء — الخلق من النطفة — الخلق من العلق •

١ — آيات الخلق الاجمالية :

لقد ورد فى القرآن فى بعض آياته خلق الناس مجملا ليدلل على قدرة الله أو فى موطن تعداد نعمه أو غيرهما ومن تلك الآيات :

(أ) قال تعالى **(يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون »** البقرة ٢١ ، ٢٢ •

نداء الله للناس عام يشمل معاصرى نزول القرآن ويمتد فى شموله الى جميع الناس حتى القيامة ، وقد نادى الله الناس ليأمرهم بعبادة ربهم الذى خلقهم

من قبلهم وكانت العلة فى ذلك الخلق هى عبادتهم له **(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)** الذاريات ٥٦ وقد دل الخلق على الخالق ، وليس ثمة من سبيل الى معرفة الخالق الا بالنظر **(وفى أنفسكم أفلا تبصرون)** الذاريات ٢١ **(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)** فصلت ٥٣ •

وقد شملت الآية خمسة دلائل تشير الى الصانع سبحانه ليستجيبوا الى أمره لهم بعبادته : أنه خلقهم وخلق من قبلهم ، وجعل لهم الأرض فراشا وجعل السماء بناء وأنزل لهم من السماء ماء ليخرج به من الثمرات رزقا لهم ـ وصاحب هذه الآلاء خليق بأن يعبد وحده ـ وانتهى من عرض النعم الى النهى عن اتخاذ أنداد لهم وهم يعلمون أنه الخالق وحده والصانع وحده الذى يستأهل العبادة ولا يشركه فيها معبود مما اتخذوه من الكواكب والأوثان على حين أنهم يعلمون أنه خالق السموات والأرض وخلقهما أعظم من خلق الناس **(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله)** لقمان ٢٥ فكيف يعرضون عن عبادة من خلق السموات والأرض وخلق الناس ، أو يدعون أنهم يعبدونها ليتقربوا بعبادتها الى الله وكيف يتقربون الى الله بعبادة ما صنعت أيديهم من الأرباب ويجعلونها أندادا لله سبحانه وهكذا جعل الله من خلقه للناس وخلقه لمن قبلهم (اجمالا) بعض ما يدل على أنه الخالق ، وجدير بالخلق أن يقر بقدرة الخالق ، وأن يستجيبوا الى ما دعاهم اليه من الخضوع لأمره بعبادتهم له •

ولعل هذا يدمغ الملحدين الذين يزعمون أن الطبيعة هى التى خلقتهم (ومن يا ترى خلق تلك الطبيعة ؟) فلتكن الطبيعة هى الخالقة كما يزعمون ثم لتكن الطبيعة هى قدرة الله التى جعلت من الماء بشرا •

(ب) وقال تعالى : **(الله الذى**

خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون) الروم •

يخاطب الله الناس ليبين لهم أن الله هو الذى أوجدهم من العدم ثم رزقهم البقاء الى أجل ثم يميتهم ثم يحييهم ، وقد أثبت فى هذه الآية الحشر والتوحيد : أما الحشر ففى قوله تعالى: « **ثم يحييكم** » ودليل الاحياء والبعث قدرته على الخلق ابتداء ، وأما التوحيد فبقوله : هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء ، والاستفهام على معنى النفى ، والمعنى : ليس من شركائكم من يخلق أو يبقى أو يميت أو يحيى ثم أمر بتسبيحه وتنزيهه عن اشراك غيره معه فى شيء •

(جـ) وقال تعالى : **الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير** » الروم ٥٤ •

فبعد أن ساق الله دليلا من دلائل الكون على البعث الذى طالما انكروه فى قوله : **الله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا** » فاطر ٩ وذكر ما تفعله الرياح من دفعها للسحاب الى بلد ميت لتحييه ، ساق دليلا من نفس الانسان : وهو خلقه •• وقد بين أحواله فى قوله (**خلقكم من ضعف**) على معنى أن أصل مبناكم من ضعف ، وبهذا يشير الى أطوار الانسان وأحواله التى يكون فيها جنينا ثم طفلا مولودا ثم رضيعا ثم مفطوما وكل هذه أحوال ضعف ، ثم جعل من بعد ذلك الضعف قوة حيث ينتقل الانسان الى البلوغ والشباب والقوة ، ثم ينتقل من بعد تلك القوة الى الضعف والشيب وهو تمام الضعف وقوله : « **يخلق ما يشاء** » يشير الى تلك الأطوار وأنها بمشيئته سبحانه ، وهو العليم بما يصنع من الأطوار القادر على تحريك الانسان من طور الى آخر ، وان العليم بأحوال الخلق وتطورهم عليم بما يعملونه فى دنياهم ليحاسبهم عليه ، والقادر

على تطوير الخلـــق والمعنى به بين تلك الأطوار قادر على اثابة الخلق على الخير وعقابه على الشر ٠

(د) وقال تعالى : **ولقد خلقنـــا الانسان ونعلم ما توســـوس به نفسه) ق ١٦** ٠

بعد أن ذكر الله خلق الانســـان أشار الى أنه لا يخفى عليـــه شيء من أمر ذلك الانسان فهو يعلم ما يجول فى صـــدره وما تحـــدثه به نفســـه (**يعلم خائنـــة الأعين وما تخفى الصـــدور**) غـــافر ١٩ من وسوسة النفس وما يهجس فيهـــا من خواطر دون حروف وكلمات ، والله الذى خلق الانســـان بدقائق أجهـــزته وألم علمـــه بادارتهـــا وتحريكها وكان أقرب الى الانسان من أوردته التى تحمل الحياة اليه لا يغيب عنـــه شيء ممـــا يصـــنع الانسان أو يؤديه من عمل الخـــير أو الشر وانـــه ليحصى عليـــه أو يعاقبه يوم الحساب ٠

(هـ) وقال تعالى : (**أم خلقوا من غير شيء أم هم الخـــالقون**) الطور ٣٥ ٠

فى هذا الأسلوب استفهام على معنى : أخلقوا أو هل خلقـــوا من غير شيء ويكون التقدير : أماخلقوا أم خلقوا من غير شيء ، ولقـــــد ذكر الله الدليل على ابطـــــال ما اتهموا به النبى صـــلى الله عليـــه وسلم من الكهانة والســـحر وبدأ الدليل بأنفسهم كأنما يقول : كيف يكذبونه وفى أنفسهم دليل صدقه (**أم خلقوا من غير شيء**) أى ألم يخلقوا من تـــراب أو مـــاء (**ألم نخلقكم من ماء مهين**) المرسلات ٢٠ أو أم خالقـــوا بحيث يخفى عليهم وجـــه خلقهم بأن خلقـــوا ابتداء من غير سبق حالة كانوا فيها ترابا أو ماء أو نطفـــة ليس كذلك بل هم كانوا شيئا من تلك الأشياء خلقوا منها خلقا فما خلقوا من غير شيء حتى ينكروا وحـــدانية اللـــه وقدرته أو التقدير : (**أم خلقـــوا من غير شيء**) أى من غير خالق أم هم الخالقون للخلق ٠

(و) وقال تعـــالى : (**الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمـــه البيـــان**) الرحمن ١ ـــ ٤ ٠

فالرحمن علم القـــرآن لجبريل وغيره من الملائكـــة ثم أنزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم.

وتقديم تعليم القرآن على خلق الانسان يدل على أن القرآن قديم وكان تعليمـــه للمـــلائكة قبل خلق الانسان وقد ذكر اللـــه فى الآيـــة خلق الانسان اجمالا ثم جاء بعـــد ذلك دور تعليمه للبيـــان ــ وقال بعض المفسرين المراد بالبيـــان : المنطق أى أن الله علمـــه ما ينطق به ويفهم غيره ما عنـــده وبهـــذا امتاز الانســـــان عن غـــيره من العوالم .

(ز) قال تعالى (**قل هو الذى أنشـــأكم وجعـــل لكم الســـمع والأبصـــار والأفئـــدة قليـــلا ما تشكرون**) الملك ٢٣ .

ســـــــاق اللـــه الكثير من الاستفهامات التى يســـــأل بهـــا المكذبين من نحو قوله «**أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض؟**» (الملك ١٦) « **أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا** » ؟ (**الملك ١٧**) ، « **أو لم يروا الى الطـــير فوقهم صافات ؟** » « **الملك ١٩** » « **أمن هـــــذا الذى هو جنـــــد لكم ؟** « **أم من هـــذا الـــذى يرزقكم** » الملك ٢١ ثم أمر نبيه عليه الصلاة والسلام أن يجيبهم : هو الـــذى أنشأكم .. أى خلقكم وأوجـــدكم وأمدكم بالكثير من النعم ومنهـــا عطاءات الذى ضـــــيعتموه ، فلم تقبلوا ما سمعتم به ، والبصر فلم تعتبروا بما أبصرتموه من الآثـــار التى خلفها من قبلكم ولم تفكـــروا وتتأملوا فيما عقلتموه ، وبكل هذا تكونون قـــد ضـــيعتم نعم اللـــه وأفسدتم ما وهبكم فصرفتم نعمه الى غير ما يرضيه ولم تشـــكروه عليها وشكره انما يكون فى الانتفاع بهباته وتوجيهها الى ما يرضيه .

(ح) وفى معرض التدليل على البعث قال تعالى : (**أأنتم أشد خلقا أم السماء**) ؟ النازعات ٢٧ .

يخاطب الله منكرى البعث على سبيل الاستفهام لينبههم الى أمر مشاهد ، لأن خلق الانســـان على صغره اذا أضيف الى خلق السماء

على عظمها وعظم أحوالها يسير فخلق السماء أعظم ، واذا كان كذلك فخلق الانسان واعادته الى الحياة وبعثه أولى أن يكون فى مقدور من خلق السموات والأرض فكيف ينكر المخاطبون ذلك البعث **(أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم) يس ٨١ (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس)** غافر ٥٧ وكان الخليق بهم أن يقروا بأن القادر على خلق السموات والأرض قادر على اعادة الانسان الذى خلقه أولا وعلى الرغم من قوة الدليل فان المنكرين تمادوا فى انكارهم وجادلوا بغير حجة حسدا وجهلا حيث لم يؤمنوا بعد أن أفحمتهم الحجة .

(ط) (وقال تعالى : **لقدخلقنا الانسان فى كبد)** البلد ٤ .

والكبد : المشقة ــ والمعنى أن الله خلق الانسان أطوارا تتخللها كلها الشدة والمشقة فهو يعيش حياته فى الشدائد والمشقات : فى بطن الأم ، وزمن الارضاع ، وفى الكد فى تحصيل المعاش ، ثم فى الموت وقد يراد : الكد فى الدين : فهو يكابد الشكر على السراء والصبر على الضراء ، ويكابد الشدائد فى أداء العبادات وتحمل التكاليف والصبر على أدائها .

فى كل هذه الآيات أشار الله الى خلق الانسان اجمالا ليدعوه الى عبادة خالقه أو ليبين له أنه وحده الخالق الرازق المحيى وأن من يشركونه به فى العبادات ليس بقادر على فعل شىء من ذلك ، أو ليبين لهم أنه هو الذى أنشأهم وأمدهم بنعم السمع والبصر والفؤاد أو ليكشف لهم أن خلقهم واعادتهم ليس بأشد خلقا من السماء وذلك حين أنكروا البعث ، أو ليخبرهم أنه الخالق الذى يعلم خائنة أعينهم وما تخفى صدورهم وماتوسوس به نفوسهم أو ليوضح لهم أنه خلقهم أطوارا يتدرجون فيها من الضعف الى القوة ومن القوة الى الضعف وأنه العليم بتلك

الأطوار القادر على نقل الانسان وتحريكه بين أحوالها •

٢ ــ من آيات بدء الخلق وإعادته :

ولقد ذكر الله فى بعض آيـات القرآن الخلق مجمـلا من حيث البدء وقرنه باعادة خلق الانسـان وبعثه ليصل من ذلك الى بيـان جزاء المؤمنين العاملين وعقـاب الجاحدين الكافرن ، أو ليوبخ من يتخذ له شريكا أو ليبين أن بـدء الخلق ثم بعثه بعد الموت كلاهما هين يسير على الله أو لينبـه على أن نهاية الانسـان ومرجعـه الى اللـه ، أو ليوضـح أن الاعـادة والبعث أهون عليـه من الخلـق الأول ، أو ليبين أن خلقهم وبعثهم كخلق نفس واحدة لا يحتاج أمام قدرته غير (كن فيكون) •

واليـكم بعض آيـات الخلق والاعادة فى القرآن :

(أ) قال تعالى : **اليه مرجعكم جميعا • انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الـذين آمنـوا وعملـوا الصالحات بالقسط والـذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون)** يونس ٤ •

تشير الآية الى المعاد ، وكثيرا ماقدم اللـه ما يـدل على الحشر والبعث فى القرآن من نحو قوله تعالى : **(الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينـا به الأرض بعـد موتها كذلك النشـور)**والمعنى : أن النشوروالبعث له دليل محسوس مشاهد فى دنيا الناس فهو يشـبه المطر الذى يسوقه الله الى الأرض الميتة فتحيا وتنبت وتورق وتزدهر وتثمر فمن قدر على امداد الأرض بالحياة قادر على أن يبعث الخلق وينشرهم بعد المـوت ومن نحـو قوله تعالى : **(ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليهـا الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى)** أى كذلك الذى يفعله بالأرض من الاحياء يفعـل بالموتى فيحييهم •

ومعنى المرجع فى قوله : اليـه مرجعكم : الرجوع ولا يراد بـه الموت وانمـا يراد : القيـامة ،

واستخدام أسلوب تقديم الجار والمجرور يدل على الحصر وأنه لا رجوع الا اليه ولا حكم الا حكمه — وقوله : وعد الله : مصدر مؤكد لقوله : اليه مرجعكم لأن قوله اليه مرجعكم يشير الى أن هذا وعد الله ثم أكد ذلك الوعد المفهوم من قوله اليه مرجعكم بقوله : وعد الله ، ثم أكد ذلك المصدر بقوله : حقا ، ثم قال : انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليشير الى أنه يبدأهم من العدم ثم يميتهم ثم يعيدهم من من العدم الى الحياة **(ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط)** فى هذا ما يدل على أنه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب على شرط أن يجمعوا بين الايمان والعمل الصالح ، وخص المؤمنين بالقسط والعدل ليدلل على مزيد العناية بهم وأنهم مختصون بمزيد من الاحتياط ليجزيهم بما أقسطوا ولم يظلموا أنفسم •

وليس معنى ذلك أن الكافرين لم يعاملوا بالقسط والعدل **(ولا يظلم ربك أحدا)** الكهف ٤٩ •

وأما الذين كفروا فهم يسقون ماء حميما تنقطع معه أمعاؤهم والى جانب ذلك أعد الله لهم العذاب الأليم بسبب كفرهم : وفى الآية ترغيب فى الجزاء فى وعد الله المؤكد وفيها ترهيب للكافرين ليقلعوا عن كفرهم •

(ب) وقال تعالى **(قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون)** يونس ٣٤ •

أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسأل الكفار : هل من شركائكم من يبدأ الخلق •• على أية صورة من تراب أو ماء أو طين أو صلصال (ثم يعيده) الى الحياة بعد أن يتحلل الى تراب ، وقد ورد الدليل فى معرض الاستفهام •

ولما كان الأمر متقررا لا يحتاج الى اجابة ساق الكلام بعد ذلك مساق التعجب حيث ذهبوا عن هذا الأمر الواضح مستجيبين الى الهوى حين دعاهم الى المخالفة لأن الاخبار عن كون الأوثان آلهة كذب والاشتغال بعبادتها مع أنها

لا تستحق العبادة افك وكذب ولهذا قال تعالى (**فأنى تؤفكون**).

وهكذا قدم ذكر الخلق فى البدء والاعادة اجمالا فى هذا الأسلوب ليفحمهم بالحجة التى تدفع انكارهم .

(جـ) وقال تعالى : (**وقالوا أاذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا ، قل كونوا حجارة أو حديدا ، أو خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة**) الاسراء ٤٩ ــ ٥١ .

ذكر الله فى هذه الآية شبهات القوم فى انكار المعاد والبعث والقيامة ، وكان الكفار قد وصفوا الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه مسحور العقل ، لأنه يدعى أن الانسان بعد أن يصير عظاما ورفاتا يعود حيا ــ الرفات : (الأجزاء المتفتتة) .

ومدار الشبهة : أن الانسان اذا جفت أعضاؤه وتناثرت وتفرقت فاختلطت بالتراب وبأجزاء ممن ماتوا من قبل كيف يعقل عودة الحياة لكل انسان بأعيانها وأجزائها مرة أخرى .

والجواب : أن أجزاء الانسان وان اختلطت بغيرها فهى متميزة فى علم الله ، وأنه وحده القادر على اعادة التأليف والتركيب والاحياء كما كانت ، بل لو صارت أجزاء الانسان شيئا أبعد من العظم فى قبول الحياة كالحجارة أو الحديد فان الله قادر على اعادة الحياة فيها وخلق الانسان الذى صار اليها كحالته فى الحياة الدنيا وليس الأمر فى قوله : كونوا حجارة أو حديدا .. معناه أنهم يتحولون الى حجارة أو حديد وانما يراد : اذا لم تكونوا عظاما ورفاتا وكنتم حجارة أو حديدا لما أعجزتم الله سبحانه عن اعادتكم ، بل لو كنتم أبعد عن قبول الحياة من الحجر والحديد وعلى صفة وحالة كانت غاية فى البعد عن قبول الحياة فالله وحده قادر على اعادة الحياة اليها وهذا معنى قوله : أو خلقا مما يكبر فى صدوركم ، وكأنهم قالوا : من هذا الذى يقدر

على اعادة الحياة بعد ذلك التحلل ، فأمر الله نبيه أن يجيب على ذلك الاستفهام : هو الذى فطركم أول مرة أى : أن الذى خلقكم أول مرة هو القادر على أن يعيدكم .

(د) وقال تعالى (**أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير ، قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة**) العنكبوت ١٩ : ٢٠ .

المراد بالرؤية فى قوله : أو لم يروا : العلم الواضح ، لأنه كالرؤية المحسوسه ، وان العاقل ليعلم أن البدء من الله ، لأن الخلق الأول لا يكون من مخلوق ، أو المراد بالبدء : خلق الآدمى أولا وبالاعادة : خلقه ثانيا والعاقل لا يخفى عليه أن الخالق ليس الا قادرا حكيما يصور الأجنة فى الأرحام من نطفة ، والمعنى : أو لم يعلموا علما واضحا أن الله كيف يبدىء خلق الانسان من تراب ثم ينفخ من روحه أو خلقه من نطفة تكونت من غذاء حيوانى مرجع غذائه الأصلى من النبات الذى تنبته الأرض أو من غذاء نباتى مرده كذلك الى الأرض ، وهذا القدر يكفى فى حصول العلم بامكان الاعادة فانها مثل الخلق الأول ، وان لم يحصل هذا العلم ففكروا فى أقطار الأرض وأعملوا عقولكم فيما حولكم لتعلموا بدء الخلق وأن القادر على بدء الخلق من تراب قادر على أن يعيد خلقه من تراب كذلك ، وذلك الخلق الثانى يسير على الله الذى خلق أولا ، وان كنتم ممن لا يفهم الا بمشاهدة محسوسة فسيروا فى الأرض أى : سيروا أفكاركم فيما حولكم مما على الأرض لتدركوا كيف بدأ الله الخلق فى كل ما على الأرض من طيور وزواحف وحيوانات وكيف أنبت النبات من تلك البذرة الجافة فاذا تم لكم ادراك ذلك علمتم أنه وحده القادر على أن ينشىء النشأة الأخرى .

(هـ) وقال تعالى : (**الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون**) الروم ١١ .

ذكر الله فى الآية السابقة أن عاقبة الذين كذبوا بآيات الله : السوأى ، وهى جهنم ، وفى بيان العاقبة دليل على صحة الاعادة والبعث ، ثم ساق دليلا آخر على صحة الحشر فذكر أنه يبدىء الخلق ومن قدر على بدء الخلق لا يعجز عن اعادته وارجاعه •

(و) وقال تعالى : **(وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) الروم ٢٧ •**

طالما كرر القرآن الأدلة على البعث وعمادها أن القادر على بدء الخلق يقدر على اعادته ، وقبل هذه الآية قدم الأدلة الدالة على قدرته من أول قوله تعالى : ومن آياته أن خلقكم من تراب وكلها يدل على قدرته على الحشر الذى هو أساس الآخرة ، ثم ساق هذه الآية ليضيف الى أدلة قدرته على الحشر دليلا ومعنى ذلك : أن من عمل عملا أولا هان عليه أن يعمله ثانيا ، أى أن اعادة الخلق أهون عليه من بدئه أولا ، أو لأن الخلق تدرج فى أطواره من النطفة الى العلقة الى المضغة الى اللحم الى العظام الى تسويته بشرا الى اخراجه طفلا ، أما الخلق الثانى فلا يحتاج من الخالق الا قوله : **(كن فيكون)** وبذلك تكون الاعادة أهون على الله من ذلك الخلق الذى تدرج به حتى صار انسانا ، أو لأن الخلق الأول فيه خلق الأجزاء ثم تأليفها ، أما الاعادة ففيها تأليف فقط ومن ثم كان أهون من بدء الخلق •

(ز) وقال تعالى : **(ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة)** لقمان ٢٨ •

ان ملكوت الله كبير ومقدوراته لا تنتهى ، واذا توهم متوهم أن الله خلق الخلق فى ملايين السنين فكيف يقدر على اعادته مرة واحدة حين البعث وقد أجاب الله بهذه الآية لدفع توهم المتوهمين فتلك الاعادة التى يعيدها الله لكل من خلق فى لمحة عين مثلها كمثل خلق نفس واحدة ويعنى نفس واحدة لا يحتاج الى زمن يعيد فيه من

خلقه من قبل فى ملايين السنين وانما يحتاج الى قوله : **(كن)** •

(ح) وقال تعالى **(وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم ، قل يحييها الذى أنشاها أول مرة)** يس ٧٨ : ٧٩ •

ان بعض منكرى البعث يبنون انكارهم على استبعاد اعادة الانسان ثانيا ، وعلى طريق الاستبعاد قالوا من يحيى العظام وهى رميم ، ومعنى ذلك أن استبعادهم للاعادة جاء من ناحية أنهم استبعدوا اعادة الانسان بعد تفتته وتفرق أجزائه ذلك التفرق والتفتت الذى صارت اليه عظام الانسان ، وكأنهم بذلك ضربوا مثلا بأنفسهم فجعلوا قدرة الله سبحانه كقدرتهم ، ونسوا خلقهم الأول ، وأنه وحده الذى صنعهم ، ثم أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يجيب السائل : من يحيى العظام وهى رميم بقوله : يحييها الذى أنشأها أول مرة ، ومعنى ذلك : أن الذى خلق الانسان ولم يكن شيئا مذكورا قادر على أن يعيده وان لم يبق منه شىء •

وقد اختاروا العظم لانكار البعث والاعادة لبعده عن الحياة لعدم وجود الاحساس فيه ، ووصفوه بما يقوى الاستبعاد وهو : التفتت المأخوذ من قوله (رميم) وقد دفع الله استبعادهم من حيث قدرة الله وعلمه وأنهم نظروا الى قدرتهم ونسوا قدرة الله الذى أحياهم أول مرة فالقادر على خلقهم قادر على اعادتهم كما كانوا فى النشأة الأولى •

(ط) وقد حكى القرآن قول الكفار حول انكار البعث والخلق الثانى فى قوله : **(وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد)** سبأ ٧ •

فهولاء أنكروا الخلق ثانيا بعد أن يمزقوا كل ممزق وهذا المعنى جاء فى الآية السابقة : من يحيى العظام وهى رميم ثم راحوا

يرمون الرسول صلى اللـه عليـه وسلم بعد أن سخروا من دعـوى البعث بأنه مفتر على ربـه وأنـه مجنون ورد الله عليهم: بل الذين لا يؤمنون بالآخـرة فى العـذاب والضلال المبين •

(ى) وقال تعـالى : (**ولقـد علمتم النشـأة الأولى فلـولا تذكرون**) الواقعة ٦٢ •

فى هذه الآيـة تقرير لامكـان النشأة الثانية بعد أن وقفوا على نشـأتهم الأولى حينمـا كانوا أجنة فى بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئا وان من أنشأ الأولى قـادر على النشأة الثانيـة فهـلا ذكروا قدرته على الاعادة والحشر •

(ك) وقال تعـالى : (**أفعيينا بالخلق الأول بـل هم فى لبس من خلق جديد**) ق ١٥ •

اما أن يكـون المراد بالخلـق الأول : الانسان فيكون فى الآيـة استدلال على قدرة اللـه وانه لم يعجز عن خلقهم أولا وقـد قـال الله : **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** » ثم قال : بل هم فى لبس وشك من خلقهم الجـديد وهـو اعـادتهم وبعثهم •

وأما أن يكـون المراد بالخلق الأول : خلق السـموات والأرض لأنهما الخلق الأول وكأنمـا قال : أفلم ينظروا الى السـماء فوقهم كيف بنيناها ثم قال : أفعيينا بالخلق الأول وأن انكارهم انما كان للخلق الجديد من كل وجه وكأنهم قالوا : أيكون لنا خلق جديد ، ومعناه أنهم أنكروا الخلق على كل وجه وتقدير الكلام : ما عيينا بالخلـق الأول ، بل هم فى شك من خلق جـديد أى أن شـكهم انمـا هـو فى الخلق الجديد •

(ك) وقال تعـالى : (**نحن خلقناهم وشـددنا أسرهم واذا شئنا بدلنا أمثـالهم تبـديلا**) الانسان ٢٨ •

ذكر الله فى الآية السـابقة أن هؤلاء يحبـون العاجلـة (وهى الدنيا) ثم ذكر فى هذه الآية خلقه لهم وأنـه وثـق فى ذلك الخلـق أعضاءهم بعضها ببعض كما وثق

مفاصلهم بالأعصاب وأن حبهم العاجلة يوجب عليهم طاعة الله رغبة منهم لأنه منحهم الأعضاء السليمة التى ينتفعون باستعمالها فى لذاتهم ورهبة لأنه قادر على أن يميتهم ويسلب نعمة الحياة منهم ولكنهم لم يؤمنوا رغبة ولا رهبة بالله الذى خلقهم وشد أعضاءهم وهو الذى اذا شاء أهلكهم وأتى بأشباههم فجعلهم بدلا منهم وهو القائل : **(ان يشأ يذهبكم ويأت بقوم آخرين وهو القادر على ذلك)** •

(وسنتابع فى الأعداد القادمة ان شاء الله الحديث عن خلق الانسان) •

د • محمد محمد خليفه

« أقسام الجمال »

الجمال جمالان : ــ جمال تبتهج به وان احتقرك الناس وجمال تحتقر به نفسك وتعز عند الناس فأما الجمال الأول فهو وضوح الحق لك عن عين يقين وانتهاجك على سنته وان خالفك الناس وعادوك ، وأما الجمال الثانى فانبلاج أنوار الحق عليك حتى تضىء أرجاء حقيقتك فتعلم مقدار نفسك فتحتقرها وتظهر أنوار الحق للخلق فتحترم وتعظم فى أعينهم •

نحو إعلام إسلامي رشيد

الصحف والمجلات

للدكتور محمد رجب البيومي

(ويضيق صدري ولا ينطلق لساني) :

آية كريمة أرددها حين تجيش خواطري كموج البحر ثم أحاول أن أنقلها للقارىء فأجدني ذكرت شيئا وتركت أشياء ، وقد يكون ذلك عن ركود ذهني لا يسعف صاحبه بترجمة مشاعره ترجمة وافية ، ولكنه قد يكون أيضا نزولا عند رغبات بشرية تجنح للمجاملة وايثار الراحة ، بدلا من الاضطرار الى اغضاب أناس بعضهم الزميل وبعضهم الصديق وبعضهم الأستاذ ...

ولكن هذه الخواطر المكفوفة مازالت تجيش وتهدر وتلح على أن أعيد ما كتبت لتكتمل الحلقة على وجه يأتي بالفائدة وهأنذا أمسك بالقلم لأكتب ... غير عالم بما سأقدر عليه من تصريح أو ما أضطر اليه من تلميح ، واذا كان لغيري أن يدعي بطولة المواجهة ، وشجاعة المعارضة فما أظنني ممن يسير معه في طريق !!

حين نرصد الحركة الفكرية في عالم الصحافة الاسلامية نجد حملة الأقلام لدينا فريقين : فريق مخلص مثابر يرى موضع الحريق فيسارع الى اطفائه مرهفا سمعه الى كل نبأة ، وعينه الى كل اشارة ، ووعيه الى كل منطق حتى اذا جمع أمر نفسه سطا على الباطل بمنطقه فدمغ البغي ونصر الحق ، ونال مثوبة الله وتقدير المنصفين .

وفـــريق ثرثار يتخذ الـــكلام بضـــاغة والكتابة كسبا فهو يمـــلأ الصفحات ويحبر المقالات باحثـــا عن صيده المادى ، دون تقدير لما يجب أن يقال وتلك ناحيـــة تتطلب الايضاح لتتذر قوما تنكبوا الجادة وضلوا عن الطريق ...

نحـــن نعلـــم ان الحـــكومات الاســـلامية فى كل بلد عربى قـــد عملت على اصدار مجلات اسلامية تنطق باسم الحقيقة بنبراســـها الساطع حتى أصبحنا نجد من هذه المجلات كثرة كاثرة يخطئها العد ، وكان المظنـــون بمن يتصـــــدرون للكتابة فى هذه المجلات الهادفة ان يعلموا أنهم جميعا يقفـــون موقف الرباط على الثغور الاســـلامية ، ومهمة كل واحد منهم ان يكســـب أرضا جديدة تضاف الى المســـاحة الاســـلامية أو يقيم الحصـــــون الشاهقة كى يمنع الهجوم ، ويؤمن الحدود ولا نظلم الحق حين نقول ان بعض هـــؤلاء الكاتبين يقـــدر تبعة قلمـــه فيجهد نفســـه ليأتى بالجـــديد النافع ، وللقراء وعى صائب اذ يعرفون هؤلاء المخلصين فيضـــعونهم موضـــع التقـــــدير ويتابعون ثمراتهم الفكـــرية فى يقظة واعجاب .

أما غير هـــؤلاء فيظن الكتـــابة الاسلامية — وليتها الكتابة الأدبية بمفهومها الضيق — احترافا يجلب الكسب ويشغل الفراغ ، فهـــــو يحرص كل الحرص على أن يكتب المقالات المتتابعة وان يمتد صداه الى كل أفق يستطيع أن يصل اليه ، ولا عليه بعـــد ذلـــك اذا اكـــتفى بالمكرور الشائع من القول والتافه السطحى من الحـــديث وانمـــا قصارى جهده أن يكتب وان يكافأ ، وكأن هذه المجلات الهادفة مـــورد تجارة فقط ! لا منبرا حيـــا يذكر الغافلين ، ويرشد الضـــالين ، اذ تشتد الريب وتتكاثر الأوهام !!

انك لتأخذ بعض هذه المجلات فى يدك ثم تقرأ راجيا أن تجد ما ينقع غليلك ويروى صداك فتصعق حين تنظر الى المقـــال وتقـــرأ الصفحة فلا تكاد تخرج بجديد ما على الاطلاق ، فيا لضيعة الأوراق

والمداد حين اكتفى كاتبو هذه المعادات بنقل المعلومات الذائعة دون اضافة بل دون تنسيق !!

هذا مقال أول فى تفسير بعض الايات الكريمه من كتاب الله ، يقبل عليه القارىء متلهفا يظن أن صاحبه قد وصل الحاضر بالماضى حين استنبط من وحى الله معنى جديدا ، أو عالج فى ضوئه مشكلة عصرية يلتمس شفاءها من كتاب الله ، ولكنه يشعر بالخيبه حين يجد الكاتب المرتزق ينقل آراء السابقين دون اضافة ! وليته اختار من هؤلاء السابقين ، أو برع فى تحليل أو غاص الى عمق ولكنه ركب الذلول الى نقول متعالمة مشتهرة ثم جرؤ على أن يوقع المقال بامضائه الكريم !!

وهذا مقال ثان يتعرض لشرح أثر من الآثار النبوية الرائعة ، يراه القارىء فينشط الى تلاوته متوهما أن كاتبه قد رأى فى الحديث النبوى الشريف ما يطلب لعلاج مرض اجتماعى مستحدث ، أو حل أزمة خلقية معقدة ، ولكنه يقرأ ويقرأ فلا يجد غير ماسبق به شراح الحديث النبوى فى كتبهم السابقة ، وكان الكاتب الفاضل قد رأى أن مهمته الوحيدة هى النقل عن أمثال الحافظ ابن حجر فى طراز من نسج متعارف مملول ! فهل كانت رسالة المجلة الاسلامية فى مفهومه أن تنقل الورق الأصفر الى ورق أبيض فحسب ثم تختم هذه النقول بتوقيعات مزيفة لم يأت أصحابها بشىء جديد ؟ !

ويضيق صدرك فتنتقل الى مقال يتحدث عن غزوة محمدية أو بحث يتجه الى تحليل شخصية تاريخية ، أو فصل يشرح مسألة تشريعية ، فتصبر على قراءة كل ذلك فتجد صاحب الغزوة قد صاغ أسلوب سيرة ابن هشام بطريقة منبرية تنخفض الى مستوى الأميين من العامة ، وصاحب الشخصية التاريخية قد نقل عن أمثال ابن خلكان بما لا يخرج عما قال ، أما صاحب الموضوع الفقهى فقد اكتفى بحاشية مملوكية دون بصر بواقعه المعاصر !

وهكذا تنفق الحكومات الاسلامية على عشرات المجلات ليمتلىء أكثر صفحاتها بالتافه المكرر ، أما الجيد المقبول فهو من القلة بحيث يكاد يتبدد فى خضم هذه السطحيات الغافلة ، وتلك حال دفعت نفرا من الممتازين الى الانزواء أنفةمن أن يختلط جيدهم الصائب بما يحيطه من الأتربة المتراكمة اذ يخافون على أقباسهم الهادية أن يبتلعها الديجور الحالك فلا تكاد تضىء !!

والطامة الكارثة فى استخفاف هؤلاء الوصوليين : أنهم لا يخجلون من السطو على آثار المعاصرين دون حياء وليتهم يرعون واجب الامانة فيشيرون الى من اهتدوا بهديه وساروا على ضوئه ناقلين ، بل يدفعهم التبجح الشائن الى غطرسة توهم القارىء العادى أنهم أبطال الميدان وحماة السرح، فقد تفد من دول الالحاد شبهة زائفة تجد الرد القاطع من ذوى الغيرة الحقيقيين أمثال محمد عبده وفريد وجدى ورشيد رضا وعبد العزيز جاويش ممن سبقوا الى رحمة الله وأمثال أبى الاعلى المودودى وأبى الحسن الندوى ومحمد الغزالى ممن يحملون الراية الاسلامية عن جدارة واستحقاق ، ثم تنظر بعد ذلك فتجد نفرا من هؤلاء المرتزقة يعيدون الحديث عن هذه الشبه الزائفة ثم ينقلون ردود هؤلاء الافذاذ عليها دون اضافة تذكرة ، بل ربما وقعوا فى تحريف خاطىء اذ عجزوا عن الفهم الصحيح لما قاله الأصلاء ، وقد حسبوا أنهم بمسوخهم الشائهة لآراء السابقين صاروا من حماة العقيدة وذادة الاسلام ، وهم بعد لم يصلوا الى مستوى القارىء الدقيق !! •

لقد اشتهرت أراجيف أوربية فندها الأحرار تفنيدا لا يحتمل الاختلاف • ثم مضت الأيام وجاءت شرادم الوصوليين لتعيد ما قيل دون سأم ومن هذه الشبه ما فات وقته ، وكشف عن وجهه كشفا لا يقبل التكرار • وأضرب

الأمثلة على ذلك بمسألة الغرانيق ، وتعدد زوجات الرسول ، واختلاف القراءات القرآنية ، ومكانة الأسرة فى الاسلام ، فذلك قد حسم أمره وعرف وجه الحق فى موقف الاسلام منه ، فما بالنا بعد هذه الجهود الرائعة نجد أدعياء البحث يجددون من حديث هذه الأراجيف وقد حملوا أقلامهم لينسخوا كل ما قيل دون حياء وهم بعد فى نظر أنفسهم كتاب فضلاء وعلماء باحثون !!

فاذا تركنا كتاب المجلات هؤلاء الى القائمين على الصحف من رؤساء التحرير للجرائد اليومية فى بعض المجتمعات الاسلامية فاننا نحمد لبعضهم جميل اهتمامه وقوة يقظته اذ سار على الدرب القويم مراعيا دينه فيما يقدم ويختار • ونحن نبارك هؤلاء ونشد على أيديهم سائلين الله لهم حسن المثوبة وكمال التوفيق ، ولكننا لا نجهل أن نفرا من رؤساء التحرير يستغل مشاعر المسلمين لكسبه النفعى ورواجه الشخصى ، فيفرد من جريدته صفحة تهتم ظاهرا بشئون الاسلام اذ يعلم أن الجمهرة القارئة مسلمة وقد فاءت الى ربها فعرفت أن النصر لا يتاح من غير طريقه ولابد أن يحرص صاحب الجريدة على استمالتهم فيفرد للاسلام صحيفة تتحدث عن قضاياه ، ولكن هل كان صادقا مع نفسه فى هذا الاتجاه ؟ لننظر الى ما يصنع هو وأشباهه ثم لنحكم غير متحيزين • واليك اشارة لامحة تقوم مقام الدليل •

١ — يأتى رمضان المعظم فيعلم القائم على الجريدة أن قارئه متلهف الى صفحة دينية ، وأن صحيفة أخرى منافسة قد كسبت أكثر القراء اذ أفردت صفحة لأحاديث رمضان ، فيضطر الى أن يسارع باصدار الصفحة الدينية ، فيتوقع القارىء بادىء ذى بدء أن يجد الأحاديث النافعة والكلمات الهادفة فى موسم دينى جليل ، ولكنه يقرأ الصحيفة ذات الأعمدة الثمانية الطوال فماذا يجد ، يجد مقالا واحدا ينحو منحى الاسلام

لا يشغل غير عمود أو عمودين على الاكثر أما الباقى فممتلىء بصورة لمسجد أثرى ، أو لوحـــة لفانوس فوق مئذنة مع حديث عن الطراز المعمارى لبعض المآذن والمحاريب ، وأوصاف الأطباق غذاية، واعلانات عن مطاعم شهيرة وأحـــاديث عن سهرات مسائية ، وحوار مع عمامة مظهرية تكتفى من الاسلام بالمظهر الخادع ولا تعطى قارئها ما يفيد ، وهكذا تخـــدع الجريدة قارئهـــا فتوهمه أنها تفرد صفحة كاملة عن الصيام وهى عنه بمكان بعيد !!

٢ ــ يكتب كاتب أوربى مقـــالا أو كتابا عن الاسلام لا يخلو من أخطاء كثـــيرة متعمـــدة أو غـــير متعمدة ، فتأتى جريدة وصـــولية وتضع عنوان الكتاب فى حجم بارز يشمل جميع أنهار الصـــــفحة ثم تضع صورة المؤلف جهيرة لا معـــة مشفوعة بالاطراء ، وتقول انهـــا تلخص بعض الفصـــول المختارة للكتاب ، فتقرأ التلخيص فلا تجد غير الهجوم الخفى حينا ، والبارز حينا آخر ، فيالله ! كيف حرصت الجريدة على ترجمة الهجوم ، ولها فى التلخيص عذر ان تركته ، ثـــم اذا كانت تحرص على أن تطلعنـــا على آراء المهاجمين فلماذا لا تكلف من كتابها من يقوم بالنقد والتفنيد كيلا يتورط القارىء فى تصـــديق هذه الأراجيف ؟

٣ ــ تحتاج بعض المســـــائل الاجتماعيـــة الى ايضـــــاح رأى الاسلام فى نواح هامة ، وبخاصة فيما يتعلق بالمـــرأة زيا وتبرجـــا واختـــلاطا وزواجـــا ، فتستغل الجـــريدة التـــاجرة ظمأ الجمهور المســـلم الى معرفة رأى الشريعة الاسلامية فى كل ما يشغل الأذهان فلا تلجـــأ الى الفقهـــاء الأثبـــات والعلماء الأعـــلام ليميزوا الخبيث من الطيب وليصدعوا بكلمة اللـــه مجلجلة دون خفاء ولكنها تعمد الى نمط خـــاص من أدعيـــاء الفتوى فتوجه اليهم الأســـئلة الدقيقـــة الحساسة ،ولهذا النمط من الأدعياء كلف بالظهور والاعـــــلان وايثار لجذب القراء واغرائهم بالمبتـــدع الخادع من الأفكار ، واذ ذاك تقرأ

ما تأسف له من جاهل الرأى وفاسد النقل وشائن التدليل !

٤ — ترى التناقض السافر بين ما تضطر الجريدة الى تقديمه من الزاد الاسلامى جذبا للقراء ، وما تنحدر اليه من سلوك بغيض ينكره الاسلام ، فهى مثلا فى صفحتها الدينية التى تنشرها يوم الجمعة من كل أسبوع تكتب مقالا عن تحريم الخمر أو ذم السفور أو تقبيح الاغتياب ثم لا يكاد القارىء يترك الصفحة الى ما جاورها من الصفحات فى العدد نفسه حتى يرى الاعلانات بارزة عن بعض أنواع الخمور ، وصورا خليعة لبعض المتحللات من بنات الشاشة البيضاء ، وولوعا دنيئا فى سير بعض الشرفاء ! فيالله ماذا يقول قارىء هذه الصفحة الدينية، وهو يرى التناقض الصارخ فى العدد الواحد ؟ وكيف يصدق الجريدة الوصولية على هداية المسلمين وقد شقت عصا الطاعة لشريعة الاسلام فيما روجت من منكرات وبعثت من أراجيف .

وبعد فلم أقل كل ما أريد أن أقول ؟ وقد اضطررت الى تكرار بعض ما نبهت اليه من قبل وأرجو الا أضطر مرة ثانية الى تحديد مقالات وتعيين أسماء وتجريح جرائد ، اذ لا أزال مؤثرا نهج الاسلام فى الدعوة الى الحق بالحكمة والموعظة ، وان يكن التصريح بخطأ المخطىء مما لايعاب لدى منصف عادل ، أو مخلص نزيه .

دكتور / محمد رجب البيومى

« لا تقنع بأدنى منزل »

من يستطيع بلوغ أعلى منزل
ما باله يرضى بأدنى منزل ؟

الأحداث الكونية للقيامة والإعجاز العلمى للقرآن

للدكتور منصور محمد حسب النبي

مقــــدمة :

أشـــار القرآن الكـــريم ، الى أن هناك تغيرات كونية هائلة ، سوف تحدث عندما ينفرط عقد الكـــون يوم القيامة ، مثل : تكور الشمس وانكدار النجوم ، وتسجير البحار ، وتفجيرهـــا ، وزلزلـــة الأرض ، ونسف الجبال ، وانشقاق السماء ، وانتثار الكواكب ، وغـــير ذلك من مظاهر الثـــورة الكـــونية ، التى ستؤدى الى زوال الســـــموات والأرض ، وفناء هـــذا الكـــون ، واستبداله بعالم آخر ، فى هـــذا اليوم المشهود ، الذى سنبعث فيه للحساب ، والحياة الخالدة •

ولقد اهتم القرآن بمشـــــاهد القيامة ، فى آيات كريمة متعددة ، اما لتصوير الهول الذى سيشـــمل الطبيعة كلها ، أو لتصوير مواقف الحســـاب ، من نعيم وعـــذاب ، بأسلوب يغشى النفس الانسانية ، ويبرزها فى صورة حية محسوسة ، وكأنها لوحة فنية رائعة ، تتملاها النفس ، ويتابعها الخيـــــال ، ويستغرق فيها الحس ، والشـــعور والوجدان •

ولقد تميزت الآيات الكـــونية ، التى تصف القيامة ، بألفاظ بالغـــة الاثارة ، قوية الـــوقع بعنفهـــا ، كالزلزلة والرج ، والدك والنسف ، والصيحة والطامة ، والغاشـــية والواقعـــة ، والبعثرة والزوال ، لابراز مشاهد الكون ، وقد حركها الهول العظيم يوم القيامة ، وذلك:

فى آيات قرآنية قصيرة ، تلقى فى نفس السامع احساسا بجدية الموقف الحاسم وخطره ، بحيث لا يحتمل الاطالة والتأنى كما فى قوله تعالى :

« اذا الشمس كورت ، واذا النجوم انكدرت ، واذا الجبال سيرت » (١) .

« اذا السماء انفطرت ، واذا الكواكب انتثرت » (٢) .

« فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان » (٣) .

« اذا زلزلت الأرض زلزالها . وأخرجت الأرض أثقالها » (٤) .

« وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة » (٥) .

وغير ذلك من آيات كريمة تتعلق بنهاية هذا الكون ، علاوة على آيات أخرى تبرز الهول يوم القيامة ، فى ظلال نفسية ، وخلجات شعورية ، تخص الانسان ، لتصوير مواقف الحساب ، من نعيم وعذاب .

وسوف أتناول فقط فيما يلى المشاهد الكونية للقيامة ، وذلك : بعد ابراز الناحية الفلسفية لضرورة قيام القيامة .

ضرورة الآخرة :

لعل من أهم الحقائق التى يدعونا الدين الاسلامى الى الايمان بها ، هى : حقيقة الآخرة كما فى قوله تعالى :

« الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون »

(البقرة ٣ — ٤)

---

(١) الشمس ١ ، ٢ ، ٣

(٢) الانفطار ١ ، ٢

(٣) الرحمن ٣٧

(٤) الزلزلة ١ ، ٢

(٥) الحاقة ١٤

والايمان بالآخرة هو : العامل الرئيسى للاتزان النفسى للانسان، لأن الآخرة والحياة الخالدة هى العزاء الوحيد لحتمية الموت فى الدنيا • فليس معقولا أن يكون مصير الانسان الذى جعله الله خليفة فى الأرض ، مصيرا بائسا مهينا ، ينتهى بالموت ، كمصير أى حشرة ! وليس معقولا أن الحياة غدو ورواح ، كما يراها الفيلسوف الألمانى نيتشه ، والتى تمتلىء وتخلو كالساعة ولا هدف لها أكثر من ذلك • وليس معقولا أن تكون الحياة كما رآها الكفار ، هى الحياة الدنيا دون بعث :

« ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين »:
المؤمنون ٣٧ •

وكأن الحياة فى نظر هؤلاء الكفار ، ما هى الا أرحام تدفع ، وأرض تبلع ، ولا خلود ولا جزاء، يستوى فى ذلك من أحسن غاية الاحسان ، ومن أساء كل الاساءة ! •

كلا انه لعسير على العقل البشرى ، الذى يؤمن بخالق عليم حكيم ، أن يصدق أن سوق هذه الحياة سينفض فى النهاية ، دون جزاء للناهب والظالم ، والسارق والقاتل ، أو ثواب للمؤمن والراكع ، والخاشع والمتصدق •

ولهذا فان فكرة العالم الآخر راسخة فى الضمير البشرى ،لأنها تتمشى مع أرضاء الجانب النفسى ، والأخلاقى للانسان • فالانسان ينتظر أن يكون لوجوده فى هذا الكون حكمة ، أبعد من هذه الحياة القصيرة الفانية ، وأن تكون هناك عدالة تحدد مصير الرذيلة والفضيلة ، وأن تكون هناك حياة أخرى خالدة •

ومما لا شك فيه أن الانسان سيموت ، وبهذا فالانسان ليس أبديا فى هذه الدنيا • كما أن العلم الحديث يؤكد أن الكون الحالى ليس أبديا ، فالنجوم تموت أيضا، والكون المتمدد سوف ينكمش فى المستقبل • وهكذا فان الكون

يسير حتما نحو الآخرة • وسوف أوضح فيما يلى بعض الأحداث الكونية للقيامة ، التى سوف تقع ضمن اطار الثورة الكونية الشاملة ، فى هذا اليوم المشهود ، مثل تكور الشمس وانكدار النجوم ، وتسجير البحار ، وغير ذلك من أحداث ، وردت بالقرآن ، ويعترف العلم الحديث بامكانية حدوثها ، ولا ينكرها •

ويجب أن نعلم جميعا ، أن الكون كله مهيأ للقيامة على وجه التسخير ، وأن الله — سبحانه وتعالى — اذا أراد شيئا فانما يقول له كن فيكون • وهذه حقيقة نؤمن بها نحن المسلمين ، دون حاجتنا للبحث عن أسباب حدوثها • ولكن نواحى الاعجاز العلمى للقرآن ضرورة حتمية ، ينبغى أن يشمر المسلمون المشتغلون بالعلم للكشف عنها ، واظهارها للناس فى هذا العصر الحديث ، لأن هذا النوع من الاعجاز يعجز الالحاد أن يجد موضعا للتشكيك فيه ، ويساعد على اثبات صدق نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، لمن ينكرونها . على اختلاف بواعثهم • خاصة وأن هذا الانكار ، يقوم على ادعاء هؤلاء المنكرين — زورا وبهتانا — أن القرآن الكريم من تأليف البشر !

والقرآن الكريم حجة الله البالغة على عباده ، وينبغى الا يكون ادراك اعجاز القرآن قاصرا على فصحاء العرب ، لأن الانسانية كلها بجميع شعوبها على اختلاف لغاتهم مخاطبة به ، ومطالبة بالتسليم له ، أنه كلام الله ، ولهذا فلابد أن يتضح اعجاز القرآن لكل انسان ، لتلزمه حجة الله ان أبى الاسلام • ولابد اذن أن يكون لاعجاز القرآن نواحى غير الناحية البلاغية والبيانية ، وهذه النواحى هى بالتأكيد النواحى العلمية ، التى سيظل اعجازها حتى قيام الساعة ، وتخاطب بها كل شعوب العالم •

وفى مقالى السابق ، تناولت موضوع انشقاق القمر ، كاحدى

علامات الساعة ، وفيما يلى عرض لبعض الأحداث الكونية للقيامة •

أولا : تكور الشمس ، وانكدار النجوم :

أشار الله ــ سبحانه وتعالى ــ فى مطالع سورة التكوير ، بأن هذه الشمس المألوفة لنا باستقرارها الحرارى ، ودوامها الآداء مهمتها بانتظام ، سيأتى عليها يوم وتتكور ضمن اطار الانقلاب الهائل فى الكون ، كما تنص الآية الكريمة التالية :

((اذا الشمس كورت))
(التكوير : ١) •

فما هو المقصود بتكور الشمس ، وهل هناك توقعات علمية لهذا التكور ؟

وما هى آثار تكور الشمس على وظيفتها ؟ :

التكوير معناه طى الشيء ، وطيء الشيء فى اللغة كناية عن ايذان بانتهاء مهمته ، وبهذا فان تكوير الشمس معناه انقباضها • وقد تندهش اذا علمت أن أحدث علوم الفلك ، وهو علم طبيعة النجوم ، يؤكد أن الشمس ، بل وسائر النجوم تتكور ، أى تنقبض عند شيخوختها ، ووفاتها ، كما سأوضح فيما يلى :

١ ــ من المعروف علميا أن الشمس حاليا نجم متوسط الحجم ، على هيئة كرة من الغازات المتقدة ، وحجمها قدر حجم الأرض أكثر من مليون مرة ! وكتلتها أكثر من ٢ بليون بليون بليون طن ، أى قدر كتلة الأرض ٣٣٣٤٠٠ مرة ! • ودرجة حرارة باطن الشمس حاليا ، حوالى ١٥ مليون درجة مئوية عند مركزها ، بينما تصل الى ٦٠٠٠ درجة مئوية عند سطحها الخارجى ! ولونها أصفر ، وتبعد الشمس عنا ٩٣ مليون ميل ، ويبدو سطح الشمس لنا أملسا خاليا من التجعدات ، والنتوءات ، وكأنها كرة تنعم بالهدوء والتجانس ! ولكن هذا ليس الا خداع نظر ، فالشمس أقرب ما تكون الى محيط هائل ثائر ، متلاطم الأمواج ، ومسرح

لأشـــــد أنواع الـــــدوامات ، والتدفقات والأعاصير الغـــازية ، والعواصف المغناطيسية ، وزوابع الحمم والتفجرات ، التى تجتاح الشمس فى كل أجزائها •

ورغم هـــذا فالشـــمس متزنة ومستقرة ، بدليل ثبوت طاقتهـــا المنبعثـــة من سطحهـــا ، على مر الدهور ، ووجود حياة نباتية على سطح الأرض ، منذ حوالى ٣٤٠٠ مليون سنة ! •

وقد تسأل كيف تستقر الشمس حاليا ، بكتلتها الضخمة فى مثـــل درجة مئـــوية ، دون أن تتبعثر ، مركزها الى اكثر من ١٥ مليـــون درجـــة مئوية ، دون أن تتبعثر ، وتتناثر فى الفضاء ؟ • والجـــواب على هذا بسيط • فالشمس تتزن حاليا تحت تأثير قوتين رئيسيتين متساويتين ، ومتضادتين ، تؤثران على الغازات الموجودة بالشـــمس

أ ــ القوة الناشئة عن الحرارة العالية ، والتى تولد ضغطا يدفع الغاز بعيدا عن المركز •

ب ــ القوة التجـــاذبية التى تجـــذب الغـــاز فى كل مكـــان فى الشمس نحو المركز •

وبهذا فان القوة الأولى تجعل الشمس تنتفخ أو تنفجر ، بينمـــا الثانية تجعـــل الشـــمس تنكمش وتنقبض • وعند تساوى القوتين تستقر الشمس دون انتفـــاخ أو انقباض • وهذا هو الحال منـــذ بلايين السنين •

ويقدر العلمـــاء عمر الشـــمس الآن بأكثر من ٤٫٥ بليون سنة ، وأنها حاليا مستقرة فى مرحلـــــة الشباب ، وتتولد الطاقة بانتظـــام بتحويل الايدروجين الى هيليوم ، بالاندمـــاج النـــووى ، (وليس الاحتراق) فى باطنها فتنتج حرارة واشعاعات تتسرب الى خارجها ، وتحدث اثارة لغازات الســـــطح فتتوهج وتضىء بلونها الأصـــفر المألوف لنا •

٢ ــ يتوقع العلماء أن الشمس فى المســـتقبل ســـوف تقترب من شيخوختهـــا ، عنـــدما يوشـــك الايدروجين على النفاذ ، ويزداد تركيز الهيليوم فى قلب الشـــمس

فينكمش هذا القلب ، ويتكــــور وينقبض انقباضا هائلا مروعـــا ، فترتفع درجة حرارة باطن الشمس الى مائة مليون درجـــة مئـــوية ! وتحدث تفاعلات نووية متقــدمة يندمج الهليوم فيها الى عنـــاصر أثقـــل ، نصـــل الى النحــــــاس والحديد ، وينتج ما يلى :

تتمدد كرة الشمس الحـــالية ، بسبب ارتفاع درجة حرارة قلب الشــــمس المنقبض ، وتزداد بذلك مساحة سطح الشمس الخارجى ، بحيث تبتلع كـــوكبى عطـــــارد والزهـــرة ، باعتبارهمـــا أقـــرب الكواكب لها ، بل وسيصل غلافهـــا الخارجى الى أفق الغلاف الجوى للأرض ، وبهذا تبتلع الشـــــمس القمر ، وتلعق بذلك جـــو الأرض بغازاتها الحامية المســــــــتعرة ، وتصبح الشـــمس بذلك عمـــلاقا أحمر • Red Giant نظرا لانتفاخ كرة الشمس الخارجية ، ووصول سطحها العملاق الى جو الأرض ! حيث يهبط درجة حرارة سطح الشمس الى ٣٠٠٠ درجـــة مئوية ، فيتغير لونها الى الأحمر ، نظرا لانتشار الحرارة على سطح أكبر ملايين المرات من ســـــطحها الحالى ، وتصبح الحياة مستحيلة على كـــوكب الأرض ، لاقتـــراب سطح العمـــلاق الأحمر من أفق السماء •

ويؤكد العلماء خطورة مرحلـــة الشمس العملاقة الحمـــراء على الحياة على الأرض ، نظرا لارتفاع درجة الحرارة على سطح الأرض الى آلاف الـــدرجات ، ممـــا قـــد يؤدى الى هروب الغلاف الجوى للأرض ، وتبخر المحيطات ، وغير ذلك من أوصاف وردت فى ســـياق الآيات القرآنية الكريمـــة ، التى تصف أحداث القيامة فتأمل معى هذه الآيات فى قوله تعالى :

« اذا الشـــــمس كـــورت »
(التكوير ١) •

« فارتقب يوم تأتى الســـماء بدخان مبين »
(الدخان : ١٠) •

مما قد يشير الى وصول سطح

الشـــمس الخـــارجى الى أفق السـمـاء .

وقوله تعالى :

« فاذا انشقت السماء فكـانت وردة كالدهان » .
(الرحمن : ٣٧) .

أى اذا انشقت السماء فكانت حمراء ، كالزيت المحترق ! مما قد يشير الى الشمس العمـلاقة الحمراء .

وقوله تعالى :

« فاذا برق البصر . وخسـف القمر . وجمع الشـمس والقمر يقول الانسـان يومئذ أين المفر »
(القيامة ٧ : ١٠) .

وهذا يشير الى اختفاء القمر فى داخل الشمس العملاقة ، ورغبـة الانسان يومئذ من الفرار من شدة الحرارة ، التى ستصل على سطح الأرض الى آلاف الدرجات ، مما يؤدى الى تبخر المحيطـات ، وتفجيرها واشـتعالها نظرا لتحلل المـاء الى عنصرية الايدروجـين القابل للاشـتعال ، والأكسجين المساعد على الاشتعال ، مصـداقا لقوله تعالى :

« واذا البحـار سـجرت »
(التكوير ٦) .

« واذا البحـار فجـرت »
(الانفطار : ٣) .

ومعنى سجرت : اشـتعلت أو أحميت .

٣ ــ تنتهى مرحلة الشـمس العملاقة الحمراء بوفاة الشمس ، حيث تقف تفاعلاتهـا النـووية فتسيطر الجاذبية على جميع أجزاء الشمس فى القلب ، والغـلاف ، وبهذا تتكور الشمس ، كلهـا الى أن يصغر حجمهـا آلاف المرات ، وتسمى بالقزم الأبيض ، ويحدث هذا الانكماش أيضا لجميع النجوم عنـد الـوفاة ، حيث تنقبض جميعها ، متحولة الى قزم أبيض ، أو نجم نيـوثرونى ، أو ثقب أسـود ، حسـب حجم النجم وكتلته ، وصدق الله العظيم بقوله تعالى :

« اذا الشــمس كورت . واذا النجوم أنكدرت »
(التكوير ١ : ٢) .

والانكدار معناه الانقبــاض ، فالنجـــوم تهوى منكمشـــة على نفسها ، وينحسر ضوؤها . وهذه حقيقة علمية يعترف العلم الحديث بهــا .

فهل قرأ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، كتب الفلك الحديثة ، ليعرف أن نهاية الشمس والنجوم هى : تكورها وانكدارها ؟ ألاساء ما يحكم الكافرون ، وهــل حــان الوقت للبشرية كلها أن تعلم ، أن القــرآن الكريم من لــدن عليم حكيم ، يعلم كل شىء فى الكون ، من البداية انى النهاية ؟ وأن يعلم الجميع صدق نبوة سيدنا محمـــد الذى أرسله الله للنـــاس كافة .

حقا ان الكون الحـــالى نظـــام واحكام ، ودقة ، ولكن هذا النظام الكونى العظيم ، الــذى يشــبه العقد الموصول ، سوف يحدث له فى النهاية خلل يؤدى الى انفراط حبــاته ، عنــدما ينقطع الحبــل الواصل بين حباته ، فى أى جــزء منه .

والى لقاء آخر مع الأحـــداث الكونية للقيامة .

دكتــور
منصور محمد حسب النبى

« ما العاقل ؟ »

قيل لبعضهم ما العاقل ؟ قال :

« هو من بيضت الحوادث ســواد لمتــه ، وأخلقت التجارب لباس حدته ، وأراه الله تعالى لكثرة ممارسته ، تصاريف أقداره وأقضيته .

محمد عبده والإصلاح الدينى

فى الذكرى الخامسة والسبعين لوفاة الإمام

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

فى اليوم السابع من رجب ١٢٨٢ هـ ــ الثامن والعشرون من نوفمبر ١٨٦٥ م •

جلس الفتى : «محمد عبده خير الله » وسط أقرانه فى الجامع الأحمدى ، يقرأ معهم « شرح الزرقانى » ، ويشرح لهم نصوصا منه •

وجاء شيخ مجذوب فوقف على الحلقة ، وهو يقول موجها حديثه للفتى : ما أحلى حلوى مصر البيضاء ، ويرد عليه الفتى : وأين هذه الحلوى ؟ ويجيبه الشيخ المجذوب : من جد وجد •

وصارت مصر حلما فى مخيلة الفتى الصغير ابن : «محلة نصر» ــ احدى القرى الواقعة بين دمنهور وشبراخيت على ترعة الانصارية ــ والذى ولد هناك عام ١٢٦٦ هـ / ١٨٤٩ م ، من أبوين كريمين : عبده خير الله ، وجنينة الأم ــ من قرية : كنيسة أورين •

وكان الفتى قد حفظ القرآن فى قريته ، وذهب الى الجامع الأحمدى لتجويد القرآن عام ١٨٦٢ ، وبعد سنتين أخذ يحضر دروس العلم فى الجامع الأحمدى ، ولكنه كره التعليم ، لأن أسلوب التدريس كان معوقا له عن الفهم •

وذهب الى قريته حيث تزوج عام ١٨٦٥ ، وبعد أربعين يوما من زواجه أجبره أبوه على العودة الى طنطا ، وخرج الفتى من قريته الى كنيسة أورين وهنا التقى بقريب لأخواله ، هو : الشيخ الصوفى : درويش خضر ، الذى

حبب اليه العلم والتعلم ، فـذهب الى طنطا ، وكان ما كان بينه وبين الشيخ المجذوب .

وبعد ثلاثة أشهر من حديثه مع المجذوب سـافر الى القـاهرة ، والتحـق بالجـامع الأزهر — فى منتصف شـــوال عام ١٢٨٢هـ/ فبراير ١٨٦٦ — وصار يشار اليه بالبنان بين لداته وأقرانه .

وفى عام ١٨٦٩ / ١٢٨٥ هـ علم بوجـود الشـيخ : جمـال الدين الأفغانى فى القاهرة ، فذهب اليه لزيارته فى منزله بخان الخليلى ، واصطحب معه فى الزيارة الشيخ : حسن الطويل — وكان بدء تعارفه بجمـال الـدين — ولكن زيـارة الأفغانى للقاهرة لم تسـتمر أكثر من أربعين يومـا ، حيث غـادرها الى الآستانة ، ثم عاد الى القاهرة للمرة الثانية عام ١٨٧١ ومكث بها سـنوات طوالا ، وكان الأفغانى يسكن فى حارة : الأمير — بشارع محمـد على (القلعـة) — ثم فى حارة اليهود ، واتخذ من منزلـه ومن قهوة (البوسطة) بجـــوار الأزبكية — وسميت فيما بعد قهوة — (متاتيا) مكانا مختارا ليلتقى فيه بتلاميذه وأصدقائه ، من مثل: محمد عبـده ، وسـعد زغلول ، وحسن عاصـم ، وقاسـم أمين ، وحسـن عبد الرازق باشـا ، والمويلحيين : ابراهيم ومحمـد وسواهم .

وواصل محمد عبده تعليمـه فى الأزهر وتخـرج منـه حيث نـال العالميـة منـه عـام ١٢٩٤ هـ / ١٨٧٧م ، وعين مدرسا فى الأزهر ، فقام بتدريس العقـائد والعلوم العقلية ، كمـا عين عـام ١٨٧٨ مدرسا بدار العلـوم للتـاريخ الاسلامى ، فقرأ لطلابه « مقدمة ابن خلـدون » ، وعين فى العـام نفسـه مدرسـا للعلـوم العربية بمدرسة : الألسن الخديوية ، حيث قرأ لتلاميذه كتاب : « تهـذيب الأخلاق لابن مسكويه » .

وفى ٢٥ يونيو من عـام ١٨٧٩ تنازل اسماعيل مضطرا عن العرش لابنه توفيق .

وعين الامام محررا فى الوقائع المصرية ، ثم رقى محـررا أول ،

واختار معه فيها : سعد زغلول ، وعبد الكريم سلمان ، وابراهيم الهلباوى ، وسيد وفا .

ولم تلبث الثورة العرابية أن قامت ، واشترك فيها محمد عبده، وكان هو واضع صيغة القسم بالاخلاص للثورة ، وواضع صيغة تنازل توفيق عن العرش .

ولما فشلت الثورة قبض على محمد عبده ، وحبس ثلاثة أشهر، حوكم فيها ، وصدر حكم بنفيه خارج مصر لمدة ثلاث سنوات ، وذلك فى ٢٤ من ديسمبر ١٨٨٢ م — ١٢ من صفر ١٣٠٠ هـ — فسافر الى الشام ، ومنها الى بيروت ، ولم يعد من المنفى الا عام ١٨٨٨ م / ١٣٠٦ هـ .

ورفض الخديوى : توفيق اعادته لوظائفه العلمية ، خوفا من تأثيره فى الشباب ، وعينه قاضيا فى المحاكم المصرية .

وفى عام ١٣١٠ هـ/ ١٨٩٢ أنشئت بجهوده « الجمعية الخيرية الاسلامية » وكان من أعضائها : محمد عبده ، وسعد زغلول ، وقاسم أمين ، وأحمد حشمت ، وحسن عاصم ، وسواهم ، واختير الامام رئيسا لها عام ١٣١٨هـ/١٩٠٠ م . وفى هذا العام أختير عضوا فى جمعية : « احياء الكتب العربية » حيث قامت بطبع « المخصص لابن سيده ، والموطأ لمالك ، ومقدمة ابن خلدون » وسواها من نفائس المخطوطات .

وفى الخامس والعشرين من المحرم ١٣١٧ هـ / الثانى من يونيو عام ١٨٩٩ م عين الخديوى: عباس الثانى الامام محمد عبده مفتيا للديار المصرية وقال الخديوى لعاصم باشا : قل لصديقك اننى أعترف أن هذا المنصب قليل عليه ولكن الأمور مرهونة بأوقاتها .

وفى الخامس والعشرين من يونيو ١٨٩٩ م عين عضوا بمجلس شورى القوانين ، واتجه الى تربية الرأى العام فى الأمة تربية وطنية عالية .

وبحكم منصبه فى الافتاء عين مشرفا على المحاكم الشرعية ، فعمل على توسيع دائرة اختصاصها ، وعلى عدم حصر

وظائف القضاء فى المذهب الحنفى، وعلى تحضير الأحكام الشرعية التى يحتاج اليها القضاة ، وعمل فى السنة التى توفى فيها على انشاء مدرسة للقضاء الشرعى .

وكذلك بحكم منصبه فى الافتاء صار عضوا فى مجلس الأوقاف الأعلى عام ١٨٩٩ ، وأسندت اليه رياسة لجنة لاصلاح المساجد ، فوضع لائحة لاصلاحها عام ١٩٠٣ .

وقام الامام برحلات عديدة: فسافر الى باريس ولندن عام ١٨٨٤ وهو مقيم فى بيروت ، اذ دعاه أستاذه جمال الدين الى باريس ، وأنشآ معا جمعية : « العروة الوثقى » ومجلتها ،وكان الغرض من انشاء الجمعية :

١ ـ الدعوة الى قيم الاسلام الأصيلة فى التزام العدل فى ادارة شئون الأمة .

٢ ـ الحكم على أساس الدين.

٣ ـ العودة الى روح الاسلام.

٤ ـ انقاذ مصر والسودان من براثن الاستعمار الانجليزى .

وفى الخامس من جمادى الأولى عام ١٣٠١ هـ ـ الثالث عشر من مارس ١٨٨٤ م صدر العدد الأول من مجلة العروة الوثقى :

١ ـ للدعوة الى الجامعة الاسلامية .

٢ ـ ولبث فكرة الرابطة الشرقية .

٣ ـ ولحل المسألة المصرية والسودانية .

وصدر من المجلة ثمانية عشر عددا ، مع محاربة الاستعماريين والحكام لها ، حتى أغلقت فى ٢٦ من ذى الحجة ١٣٠١ هـ ـ ١٦ أكتوبر ١٨٨٤ م .

وفى عام ١٩٠١ زار الآستانة ، وفى عام ١٩٠٣ زار لندن وجامعاتها ، والتقى بالعلماء والمستشرقين ، وتحدث معهم عن الاسلام ، وفى يناير عام ١٩٠٥ زار السودان .

وأخيرا : توفى الامام فى الثامن من جمادى الأولى ١٣٢٣ هـ ـ الحادى عشر من يوليو ١٩٠٥ ـ عن سبعة وخمسين عاما ، وبكته الأمة بكاء حارا ، رحمه الله .

ــ ٢

حمل الامام : محمد عبده رسالة الاصلاح الدينى فى عصره بعزيمة وقوة ، وكان يرى أن الاسلام صديق العلم والمدنية ، ويدعو الى تحرير الفكر من قيود التقليد •

نقرأ ذلك فى : رسالة التوحيد ، وفى الاسلام والنصرانية والعلم والمدنية ، وفى رسالته فى الرد على هانوتر التى كتبها عام ١٩٠٠ ، وفى رده على فرح أنطون ، الذى رمى الاسلام بأنه عدو العقل ، وذلك فى المجلة التى كان يصدرها واسمها : (مجلة الجامعة) •

وكان سعيه دائما يتجه الى اصلاح الأزهر ، وكان يقول : أريد أن أعمل فى الأزهر شيئا نافعا ، وفى ١٢ رجب ١٣١٢ هـ/١٥ يناير ١٨٩٥ استصدر قانونا تمهيديا باصلاح الأزهر ، الف فى ضوئه مجلس : ادارة للجامع الأزهر ، كان هو والشيخ : عبد الكريم سلمان عضوين فيه •

واستطاع بحكمته أن :

ــ يأخذ من الحكومة ثلاثة آلاف من الجنيهات لاصلاح ميزانية الازهر •

ــ وأن يضع قواعد منح كساوى التشريفات •

ــ وأن ينظم أوقات الازهر •

ــ وأن يعدل نظام صرف الجراية •

ــ وأن يكون مكتبة الازهر من مكتبات الاروقة المتعددة •

ــ وأن يعنى بمساكن العلماء والطلاب •

ــ وأن يدخل العلوم الحديثة فى مناهج التعليم فى الازهر •

ــ وأن يمنع دراسة الحواشى والتقارير فى السنوات الاولى من التعليم فى الازهر •

وفى مجال التعليم حرص على تعميم التعليم الدينى ، وعلى تيسير التعليم أمام أبناء الشعب ، ودعا الى الاكثار من انشاء المدارس الليلية والنهارية ، والى تشجيع الاكفاء من المدرسين والطلاب •

وبفضل الامام أنشىء مجلس : المعارف الاعلى فى ٣١ من مارس ١٨٨١ م ، واختير عضوا فيه •

وقد دعا الامام الى تعليم البنت تعليما صحيحا ، ودعا الى انشاء الجامعة والى انشاء مجمع لغوى فى القاهرة •

وفى أثناء اقامته فى بيروت عام ١٨٨٥ م ، ١٣٠٣ هـ اختير لتدريس التوحيد والمنطق والفقة الحنفى والعلوم العربية فى المدرسة السلطانية التابعة لجمعية المقاصد الخيرية فى بيروت • وقد درس فيها كتاب نهج البلاغة ، وكتاب : الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن الهمدانى ، ومقامات البديع ، وديوان الحماسة •

وأثناء وجوده فى بيروت كان يكتب مقالات فى مجلة : ثمرات الفنون ، وترجم رسالة الرد على الدهريين ، وكتب رسالة التوحيد، الى غير ذلك من جوانب الاصلاح • وألف هناك جمعية : التأليف والتقريب للعمل على ايجاد تقارب روحى بين مختلف الطوائف الاسلامية •

وغاية التعليم السياسية عنده خلق الوعى فى نفس المتعلم ، حتى يميز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب ، وما للشعب من حق العدالة على الحكومة •

ولما تولى الافتاء كانت فتاويه كثيرة :

١ — أفتى بجواز الاستعانة بغير المسلمين لنصرة الله وحفظ الامة •

٢ — وفى الفتوى الترانسفالية أفتى :

— بجواز لبس القبعة •

— وبجواز أكل ذبائح غير المسلمين •

— وبجواز صلاة الشافعى خلف الحنفى •

— وبجواز التعامل مع صناديق التوفير •

وتزعم الامام حركة الاصلاح الدينى ، وصار رائدا روحيا لمدرسة ضخمة ، أعلامها هم كبار رجالات النهضة والفكر والأدب والثقافة فى القرن العشرين — فى مصر وخارج مصر — •

وصارت له مدرسة ضخمة فى الازهر ، من أعلامها : الشيخ : مصطفى عبد الرازق ، والشيخ : محمد مصطفى المراغى وغيرهم •

هذا كله مع محاربة الاستعمار

والخديوى له ولفكره الاصلاحى ، حتى كان الخديوى : عباس الثانى يقول عنه :

« انه يدخل على وكأنه فرعون »

وكان الامام يرد على ذلك ، ويقول : أنا فرعون أم هو ، اننى لست الا واحدا من رعيته .

وغضب عباس على أحمد شفيق باشا لأنه مشى فى جنازة الامام ، وقال عباس عن الامام : « انه عدو للاسلام وللمسلمين وللعلماء » .

وهذا منتهى الافك والبهتان !!

وكان الامام أول من نادى بالجمهورية ، ففى ١٧ من أغسطس عام ١٨٨٤ قال فى لندن لمندوب الغازيت : اننا لا نريد ملكا علينا ، بل زعيما وطنيا مسلما ، ان الخديويين وجوههم مصرية وقلوبهم انجليزية .

وكان الامام يدعو الى الوحدة الوطنية ، والى تعليم البنت ، والى الحد من تعدد الزوجات ، والى أن يفيق المسلمون فى كل مكان من سباتهم ، وأن يعيشوا فى عصرهم بروح أسلافهم المسلمين العادلين ،

وقد شقى الامام بالسياسة والساسة ، ولكنه عاش ملء قلبه مؤمنا بالقيم والخلق والدين ، وبعقيدة السلف ، وبما أجمع عليه جمهور الامة ، وعاش حياته عاملا من أجل الله والوطن والانسانية ، والفضائل العليا ، لا يجامل فى الحق ، ولا يخشى فيه لومة لائم .

حدث وهو قاض أن أحدث أجنبى ضجيجا فى المحكمة ، فأمر الامام بحبسه ، فبعث المستشار الانجليزى لوزارة العدل الى الامام يرجوه الافراج عن هذا الاجنبى ، لان السفراء الاجانب ثائرون ، فأبى الامام ، وقال اننى فى حدود القانون أعمل على حفظ كرامة القضاء ..

وكم ثار فى وجه أعوان عباس ، لانهم كانوا يحاولون أن ينهبوا أوقاف المسلمين لسيدهم الخديوى .. وكان الجميع يمالئونهم الا الامام .

وكان الامام يمثل شموخ المصرى واباءه ، وأنفته وكبرياءه ، وعزة نفسه وشممه .. رحمه الله .

محمد عبد المنعم خفاجى

أمر الله ورسوله

لا رأى الكثيرين

للشيخ معوض عوض ابراهيم

لا رأى الكثيرين

لا اعتبار لرأى الكثيرين ، ولا لرأى القليلين حتى يحكم لأحدهما دين الله ، ويدعم هذا أو ذاك شرعه العاصم . فالحلال ما أحله الله — وحده ، والحرام ما حرمه ، وما أحل الله غير الطيبات ، ولا حرم الا الخبيث الضار عاجلا أو آجلا ، فهو الحكيم العليم ، وهو أعلم بعباده وبما يرفق بهم من أنفسهم ، وهو الذى خلق لهم مافى الارض جميعا ، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ، وعصمهم بأوامره ونواهيه حتى لا يأخذوا شيئا مما نهاهم عنه ، وحتى يفرغوا وسعهم فى اتيان ما أمرهم به ..

« يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ، قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون، قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والاثم والبغى بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله مالا تعلمون » (١) .

---

(١) الاعراف ٣١ ، ٣٣ .

وهكذا تبدو للمنصفين سماحة دين يرعى كرامة المؤمنين الذين لا يتبعون أهواءهم ولا يحكمون فيما شجر بينهم ، وواجهوه من قضايا الحياة وشئون الاحياء آراءهم .. والله تعالى يقول لداود عليه السلام « **ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب**»(١) **وقال « ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن » (٢) « وما فوق أديم الأرض منإله يعبد أضل من هوى متبع »**(٣) ثم قرأ« **أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختمعلى سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله** » (٤) ان الكثرة لها **فى** كتاب الله مقام ينبغى أن نتأمله ، ولنذكر من ذلك قوله تعالى لرسوله ..

« **وأن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الايخرصون**»(٥)

وكان ذلك شأن الاكثرين فى الامم السابقة « **ولقد ضل قبلهم أكثر الاولين » (٦)** .

وأخبر الله **فى** غير آية من كتابه ان أكثر أهل الأرض غير مؤمنين فقال « **ولكن أكثر الناس لا يؤمنون » (٧)** .

وقال «**وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » (٨)** .

« **ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين » (٩)** .

---

(١) ص ٢٦ .
(٢) المؤمنون ٧١
(٣) فى كتاب ابن القيم
(٤) الجاثية ٢٣
(٥) الانعام ١١٦
(٦) الصافات ٧١
(٧) الرعد الآية ١
(٨) يوسف ١٠٣
(٩) الشعراء

ان الكثرة والجماعة لا يعول عليهما ولا يعتد بهما حتى يكونا على حق ، فمن كان على الحق فهو الجماعة وان كان واحدا .. والله تعالى يقول **« ان ابراهيم كان أمة .. »** (١) .

والنبى صلى الله عليه وسلم نهض بتكاليف الاسلام ، والناس على شركهم وضلالهم عن يمينه وشماله ومن بين يديه ومن خلفه .. فلم يثن اجتماع الباطل من عزمه شيئا .. وفى موقف يشبه موقف هؤلاء الذين يعبدون رأيهم فى مجتمعنا ولا يرون غير وجهة نظرهم ، ويحسبون فلسفتهم للامور وفهمهم للاحداث هى ما ينبغى ان يؤثر .. يقول الشاعر .

يقولون هذا عندنا غير جائز
ومن أنتمو حتى يكون لكم عند..؟؟

انها اهواء الناكبين عن هدى الله ، وهى الشهوات الصارفة عن الحق تعالى ..

« فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى » (٢) .

وقال بعض الصالحين « اذا أردت الصواب فانظر هواك فخالفه » .

والبوصيرى يقول :

فاصرف هواها ، وحاذر أن توليه
ان الهوى ماتولى يصم أو يصم

ويقول ابو حيان فى تفسيره للآيتين السابقتين : « واكثر استعمال الهوى فيما ليس بمحمود واستأنس بقول الشاعر ..

فخالف هواها ، واعصها ان من يطع
هوى نفسه تنزع به كل منزع
ومن يطع النفس اللجوجة ترده
وترم به فى مصرع أى مصرع
ومن الهوى اعجاب المرء برأيه وان خالف الشرع ، وكان صدى لآراء الذين غرتهم أنفسهم وظنوا

---

(١) النحل ١٢٠
(٢) النازعات ٣٧ ــ ٤١

انهم على شيء من العلم ، وتماروا فى الحقـــائق الدينية التى توارثها المسلمون خلفا عن سلف فى اعصار بعد أعصار وسيتوارثها المنصفون اليوم وغدا والى قيام الســاعة ، وان ورمت أنوف ، وضاقت لذلك صدور ، وانبهرت اصوات الــذين ينبحون قافلة الحق وهى مطرودة السير « **باســم اللـــه مجريهــا ومرساها** .. » متتـــابعة الحركة فى اعلاء صرح الخير ولســــان الحال من حــولها ينشــــدون .

أن رمى فيـــه غـــلام بحجـــر

ومن الهوى المردى ، ان ينفخ أوداج المبطلين مظـــاهرة اوزاع الناس ومؤازرة كثرة من الاشياع الذين لا رأى لهم ، فهم اتباع كل ناعق ، ببغاوات وأسرى شهوات ، هــؤلاء لأولئك يؤيدون ، وأولئك يعتزون بأن رأى الكثيرين يتبلور فى جانبهم .. وهكذا يعطف الهوى بعض النفوس على مثلهــا ، كمــا يأتلف الاخيـــار ويتناجى الابرار « والأرواح جنود مجنـــدة ، مــا تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » كما قال معلم الناس الخير صلوات الله عليه ، وكل الف يلوذ بالفه ، واذا كانت « الحكمة ضالة المؤمن » كما قال النبى صــلى الله عليه وسلم ،فان من مأثورها قولهم « عرفنى من تصاحب اعــرفك من انت » وشاعرنا العربى يقول :

خير الطيور على القصور وشرها
يأوى الخراب ويسكن الناووسا .

وصـــدق اللـــه العظيم « **واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشـــيطان فكـــان من الغاوين ، ولو شـــئنا لرفعناه بهـــا ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليـــه يلهث أو تتركـــه يلهث ذلك مثــل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ، ســـاء مثلا القوم الذين كـــذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون** » (١) .

---

(١) الاعراف ١٧٥ ـ ١٧٧

فهل يتفكر الذين ينسلخون من هدايات الله ، ايثارا لآراء واهواء حاجزة عن معالى الامور التى يستهدفها الأسوياء ، واظهارا لضغوط أنفس ناكبة عن الرشد لم يرض الله لها الا مثل الكلب الذى يلهث ــ كما قال الامام الشوكانى ــ فى كلا حالتى قصد الانسان له وتركه ، فهو لاهث سواء زجر ، أو ترك ، طرد أو لم يطرد ، شد عليه أو لم يشد عليه ، وليس بعد هذا فى الخسة والدناءة شئ (١) .

وما من معصية الا وهى أثر هوى مرد ، وضلال مبين ورحم الله من قال :

سكران ، سكر هوى وسكر مدامة
ومتى افاقة من به سكران ؟!

واذا كان لهث الكلب بتدلى لسانه واضطراب أنفاسه بكل حال من تعب أو رضى أو غضب أو عطش أو كلال كما يقول علماء اللغة ، أصلا فى ضربه مثلا لمن ينسلخون عن آيات الله وهداه ، فذلك لأنهم سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم وكأن لسان حالهم يقول « **سواء علينا أو عظت أم لم تكن من الواعظين** » والصورة كما جلتها الآيات واقعة كانت أوتشبيها خليقة بأن توقظ عبيد شهواتهم وأهوائهم من سكراتهم ، ليواكبوا قافلة الحق ، وينسجموا مع أهل الفضل ، ويتناغموا مع عباد الله الذين لا يقدمون بين يدى الله ورسوله والذين لا يرضون بهدى الله تعالى بدلا ..

« **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا ان يكون لهم الخيرة من أمرهم** .. » (٢).

وأذكر ان الامام حسن البنا رحمه الله جاءه شاب فقال : انى أريد أن اجتهد ولا آخذ برأى الشافعى أو أبى حنيفة أو غيرهم من أئمة السلف فسأله الامام : هل

---

(١) تفسير فيض القدير ج ٢
(٢) الاحزاب ٣٦

تحفظ القرآن ؟ فقال لا .. فسأله : هل تحفظ السنة ؟ فقال : لا فسكت الشيخ هنيهة لها دلالاتها فى تصرف المربى الحكيم ثم قال : يا بنى انى أخشى أن تكون ممن قال فيهم رب العالمين « **ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير** » (١) .

ولوكنت فى مجلس الشيخ لرجوته أن يسمع ذلك الفتى الآية التى تلى ما قرأ «**ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق**» (٢) .

وبعد فان الهوى هوان ، وامتهان لكرامة الانسان ، والقول بالرأى مهلكة الا أن ينطلق عن بينة وايمان ، والهدى من قبل ومن بعد ، هدى الله .

معوض عوض ابراهيم

قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم ، يأأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط اعمالكم وأنتم لاتشعرون ، ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم » .

صدق الله العظيم

---

(١) الحج ٨
(٢) الحج ٩

خواطر حول الخلود

للأستاذ السيد حسن قرون

الخلود من الكلمات المحببة الى النفس ، تسمعها كثيرا وتقرؤها كثيرا ، يستخدمها الشعراء كما يستخدمها الأغمار من الناس ، من ذلك خالد الذكر ، والنهر الخالد ، وتخليد الزعماء والأبطال الى كثير مما يجىء على هذا المنوال .

ومعنى الخلود فى المعاجم هو دوام البقاء ، أو البقاء الدائم ، وهو بهذا المعنى لا ينال فى العاجلة ، لأن الله خلقنا من طبيعة أرضه ، فكل من عليها وما عليها له دورة زمنية لا بعدوها ، والله فى كتابه العزيز يقول : « **كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام** » (١) ولكن الانسان بفطرته حبيب اليه البقاء ، يود أن يطول أجله ، وتمكنه وسائله لكى يعيش سليما وطويلا فى هذه الدنيا . ولأن حب البقاء محبوب مرغوب فيه أغوى ابليس أبوينا آدم وحواء للأكل من الشجرة المنهى عنها ، ودخل عليهما من جهة الخلود ، وأن المنع كان بسببه لئلا يخلدا ، والله فى هذه يقول : « **ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ماوورى عنهما من**

---

(١) الرحمن ٢٦ ، ٢٧

سوءاتهما وقال ما نها كما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين » (١) . ونفس المعنى جاء فى سورة طه فقال تعالى : **« قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى »** (٢) ؟ ومن ثم وقعا فى الخطيئة رغبة فى الخلد والملك الذى لا يبلى .. وكان العقاب الحرمان والهبوط الى هذه الأرض ، ليكون لهما مستقر ومتاع الى حين .

وقد ورثنا عنهما حسب البقاء ، ولكنه غير مقدور ، وأنه ليس من طبيعة هذا الكوكب الذى نسكنه ، ولكنا نحتال ليكون لنا ذكر وامتداد على مر الزمان ، ومن ثم كانت الرغبة الشديدة فى الانجاب وكثرة الأولاد ، لتتجدد حياتنا فى الأبناء والأحفاد . ولأمر قد تراه بعيدا وأراه قريبا كان اقبال المماليك فى مصر على تشييد المساجد وبناء المدارس ليبقى ذكرهم على مدى الأجيال ، لقد حرموا شجرة الأنساب ففوضوها برفع القباب ، ولو جمعوا الى ما فعلوا حسن التعامل مع الرعية لحازوا الخير من طرفيه ، أعماهم حب الاسم عن خلود الجسم ونعيم الآخرة ، وكل ميسر لما خلق له .

وخلود الأسماء تناله الحظوظ الحسنة والسيئة مثل الأرزاق تماما ، فبعض الأسماء تعيش فى دائرة ضيقة ، وبعضها يذيع وينتشر ، فلا تحده حدود ، ولا تعوقه عوائق ، ولا يحول بينه وبين الانتشار جبال ولابحار ، بل يدوى صداه فى الخافقين ، والأسماء التى تملأ الدنيا فى حياة أصحابها سواء أكانوا سياسيين أم حربيين أم من رجال الأدب والفن أو العلوم على اختلاف أنواعها يلعب بها الحظ أيضا ،

---

(١) الاعراف ١٩ ، ٢١
(٢) الآية ١٢٠

فأسماء يتناقلها الأجيال وأسـماء تحجب بعد جيل أو جيلين ، فـلا عجب اذن اذا رأينا أديبا كبـيرا مثل ابراهيم عبد القادر المـازنى يقول وقد سئل عن خلود أدبـه واسمه : كيف يكون ذلك والعالم أخرج عباقرة فى كل مجـالات الحياة منذ عرف الناس الكتـابة وسطروا بالعلم ، كيف أزاحمهم ؟ ضعونى فى دائرتى وهى صـناعة الشعر والنثر : كم شـاعر ظهر فبهر ؟ كثير لا يعدون ولا يحصون وأرباب الكتابة والخطـابة هـل أستطيع حصرهم واحصـاءهم ؟ أيبقى اسمى مع كل هذا المـوج المتلاطم ؟ أو كما قال • وان كان الرجل متواضعا فان الصـواب لا يجانبه والحقيقة لا تتعداه ، ان الجسم مادة ، فزمنه محدود ، هو كالنبات ينجم ثم يزكو ويترعرع ثم يكتمل فيثمر ثم يكون حطاما ، وهذا مشاهد لا يحتاج الى برهان، ويؤثر عن النبى صلى الله عليـه وسلم أنه قال : أعمار أمتى بـين الستين والسـبعين ، ونفهم نحن مقاله على أنه متوسط الأعمار ، ومهما طالت الأعمار فهى قصـيرة فى حساب الأزمان والأجيال • فكان على من أحب دنياه ،أن يكون أريبا لبيبا ينزع الى ما ينفعه ويرفعه ، ويجعل صنيعه حديث خـير له ، فالعمر العريض الملىء بصـنع الخير ، ونفع البشر استجابة لداعى الهداية أجمل وأفضل من العمـر الطويل الذى يلفـه العقـم من أقطاره ، وشـتان بين من يفعـل الصـالحات وبـين من ينغمس فى الطالحـات ، ومن الـذى يحسن ذكره ؟ ومن الذى يسوء ذكره ؟ والسعيد السعيد من عرف قدره ، ونهى النفس عن الهوى ، واغتنم فرصة العمر فاستثمر جهـده فى الايمان بالله والاقبال على فعـل الخيرات ، وجعل الدنيا قنطـرة الآخرة • فان لم يجد له ذكرا فى الدنيا ، وجد له ذكرا فى خير منها وهى الآخرة ••وعجيبهذا الانسان لو تأمل الحياة لانكشف له الغطاء ، وهو أن العمر قصير ولو سئل أكبر الناس سنا • هل لك أن تخبرنا بما

نلته مـــن دنياك لأخبـــرك أنه لم يحس بها . فهى شـــمس تطلع ثم تغيب ثم تطلع ثم تغيب وهكذا . قالوا : لقد سئل نـــوح وقد عاش ألف سنة الا خمسين عاما . كيف رأيت الدنيا قال : كدار لها بابان دخلت من هذا وخرجت من هـــذا والخبر يعطيك صـــــورة الحيـــاة الدنيـــا وأنهـــا الى زوال ، فمن استطاع أن يملكها بفعله الحسن فقد أفلح ، وكانت وسيلته الى حياة أنعم وأكرم ، يصاحب ما ناله من الكرامة الأخروية خلود اســـــمه وبقاء ذكراه ، وتجدد سيرته، وليس هذا مطلب العامة فحسب ولكنـــه مطلب الخاصة وخاصة الخاصة ، فقد طلب الخلود الحميد خليـــل الرحمن أبو الأنبياء ابراهيم عليه السلام ، وحكاه عنه رب العـــالمين فى الذكر الحكيم قال تعالى ذاكرا دعاء ابراهيم وهو : « **واجعل لى لسان صدق فى الآخرين . واجعلنى من ورثة جنة النعيم** » (١) ألا تراه قد حرص فى دعائه أن يجمع الله له الحسنيين : أن يكون من سكان جنة النعيم وأن يكون له الذكر الجميل على لسان الأجيال فى هذه الدنيا . والقـــدوة بأبى الأنبياء منشـــودة ومحمـــودة ومرغب فيهـــا بنص القرآن الكريم : « **قد كانت لـــكم أسوة حسنة فى ابراهيم والـــذين معه** » (٢) . فاذا طلبنا الى اللـــه الذكر الدائم فعلينا أن نســـير على أثر ابراهيم طاعة ووفـــاء ، واقبالا وامتثالا وعمـــلا وبنـــاء وسبيلنا واضحة بينها سيد الخلق محمد صلوات الله عليه بماأوحى اليه من كتاب وسنة ، فنحلل ما حلل ونحرم ما حرم ، وأن تكون أعمالنا خالصة لله الخالق الرازق المحيى المميت الذى بقبضته السـموات والأرض والا انقلبت الآية فكانت الذكـــرى شراء وبيـــلا ، وداء عضالا ، فالذى ألقى ابراهيـــم فى النار ، والذى حشد لموسى جنوده والذى قتل يحيى والذى رصـــد

---

(١) الشعراء ٨٤ ، ٨٥ .

(٢) الممتحنة ٤ .

لعيسى ، والذى حارب محمدا كل أولئك ذكراهم عقيمة لا ترفع رأسا ، ولا ترضى خلقا ، ولا تصلح ذكرا ، ولا تعطى حديثا ممتعا ، وقد تجلب لعنة ومقتا .

وما كان التاريخ الا سيرة ، وسيرة مفصلة تذكر الصالح والطالح ، والطيب والخبيث ومن أبهج الحياة وأنارها ومن كدرها وأظلمها ، ومن ملأها بالنور المبين ، ومن ضللها بالأفكار المنحرفة والاراء الفاسدة .

وانك لتمتلىء ايمانا وأريحية ، ونبلا وكرما ، وحبا وعدلا ، وهمة وأملا حين تقرأ سيرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ذلك أنه كان المثال المرموق لكل عمل جميل، وهدف نبيل ، به يحسن الاقتداء وفى بعث ذكراه تمثل الهداية وترى فيها خلاص الناس من منغصات الحياة — وكم فى الحياة من منغصات ؟ وانك لتمتلىء غيظا ، وتشيح بوجهك تقززا حين تقرأ حياة ظالم أو خائن أو مفسد فى الأرض فمن تعرف من الخلفاء (١) الذين حكموا على رغم الشعوب .

ان الذين حكموا الدولة الاسلامية من بعد الخلفاء الراشدين قد أصابهم التاريخ بميسمه ، وميزهم بعلامات واضحة هل تعرف قبرا لأحد من خلفاء بنى أمية أو من خلفاء بنى العباسى ؟ ان غيرهم ممن لم يحكموا لهم قبورهم التى تزار ، وأضرحتهم التى تقصد ، وسيرتهم التى تذكر .

ولذا اتجهنا فى مدارسنا ومعاهدنا الى دراسة سير الأنبياء والفضلاء لنخلق فى نفوس الناشئة صورا طيبة ، ومثلا عالية تحبب اليهم الفضائل ، وتبعد عنهم الرذائل ، تقربهم من الرحمن ، وتنأى بهم عن غرور الدنيا ووسوسة الشيطان ، وجميل أن ينشأ ناشىء الفتيان منا على ما عودناه من الخير وحب الجميل

---

(١) الخارجين على العرف والدين .

بوضع النماذج البشرية المضيئة يرون الصلاح متمثلا فى كل رسول ونبى ، وكل صحابى وحوارى ، فيتم غرس الفضيلة ، وتتوهج فى العيون الوسيلة ، فلا تجد الرذيلة مكانالها ، لأن الصورة المثلى لا تزاحمها الصورة السفلى ، ومن منا يحب أن يذكر فيلعن ؟ أو يصمه التاريخ بالظلم و الفساد أو النفاق؟ فالانسان يحب أن يذكر مع الصالحين وان لم يعمل عملهم .

يهوى الثناء مقصر ومبرز .

حب الثناء طبيعة الانسان

ولا تظنن أن خلود الاسم فى الدنيا بمعزل عن الآخرة فالله يقول وقوله الحق : « ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا » (١) فالهداية فى الدنيا نراها بصرا فى الآخرة . قال تعالى : « يوم ترى المؤمنين والمؤمناتيسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم » (٢) .

ألا ترى معى أن دنيانا المليئة بالمعاطب والمتاعب هى سبيلنا بعملنا الصالح الى النور الذى يسعى بين أيدينا وبين أيماننا فى طريقنا الى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، وهنا يكون الخلود المنشود الذى به تتم السعادة لنفس راضية مرضية بشرها الله بقوله :

« وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا منقبلوأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون » (٣) فخلود من بشروا بهذا النعيم المقيم أساسه شيئان لابد منهما : ايمان صادق ، وأعمال صالحة ، أما الايمان فلابد أن يكتمل فى الشعور والوجدان

---

(١) الاسراء ٧٢ .
(٢) سورة الحديد ١٢ .
(٣) البقرة ٢٥ .

والعقل والتفكير والبرهان والبيان، ايمان يشمل كيان المؤمن من جميع نواحيه ، ويتغلغل فى كل ذرة فيه ، بحيث يتجه الى العمل صادقا فيه ، فرحا به ، حريصا عليه ، مخلصا فى أدائه ، يعبد الله كأنه يراه فان لم يكن يراه فان الله يراه ، فيبدو العمل ظاهر النقاء ، حسن الرواء ، خاليا من شبهة الرياء ، فيكون الجزاء جنات تجرى من تحتها الأنهار أرزاقها دائمة لا مقطوعة ولا ممنوعة ، لذتها دائمة مع اختلاف الطعوم عند كل مذاق ، تتشابه فى الأكل وتفترق فى الطعم يقترن ذلك بزوجات طاهرات يكن زينة الخلود وبهجة القلوب • ايمان الذين خيروا فاختاروا أفضل النجدين ، وكلما زادوا ايمانا وصلاحا زادهم الله ثوابا ونعيما **« للذين أحسنوا الحسنى وزيادة »** (١) والاحسان يدعو الى الاحسان • ألا ترى أن الشهداء أهم مطالبهم لدى الله أن يعادوا الى الحياة من جديد ليقاتلوا ويقتلوا لما رأوا من رضا الله عنهم وتكريمه اياهم ؟ ان معرفة المزية لصاحبها متعة لا تعادلها متعة ، وهل هناك أعظم من أن يذكر المؤمن عند ربه ؟ وهل هناك أمتع وأرفع من العدالة والتفضل ؟

ولا تحسبن خلود الكفار خلودا، فهم خالدون للعذاب ، انهم فى شغل شاغل من نار وقودها الناس والحجارة •

ألم يعلموا أن هناك حياة أخرى قد أنذروا عذابها ؟ **« بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا ، اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا • واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا • لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا »** (٢) •

أهذا خلود ؟ ما أفظعه خلودا ! وناهيك بهم فى دنيانا انهم

---

(١) يونس ٢٦ •
(٢) الفرقان ١١ ، ١٤ •

ملعونون فى كل جيل وبكل لسان • ولا جـدال فى أن المؤمن يعلم علم اليقـين أنهم أجـرموا فى حـق خالقهم ، أنكروا فضله ونعمتـه ، وكذبوا به وبرسله وكتبه واليـوم الآخر ، وليس هناك أقبح ذنبـا من الكفر وانكـار البعث ، انـه يجعل الانسان وحشـا ضاريا لا رادع يردعه • وأين الرادع ؟ خلا القلب من الايمان والضمير ، فهو يأتى ما يأتى عـلانية وسرا لا يرضى الا ما يمليه عليه هواه ، والهوى اله معبـود وما يجرى فى أفغانستان صورة من الالحـاد وموت الضـمير والاحسـاس الانسانى ، تريه نفسه ويوسوس اليه شيطانه أن له حياة واحدة ، فيجب أن ينعم ويسـعد ولو على حساب الآخرين فهو دائما نـاظر الى شىء غيره ، متحفز للانقضاض عليه ، القوة مذهبه ، والخـداع مركبه ، انه يفسد الحياة ويقتـل الآمال ، ويحطم الكرامة ، ويعبث بجمـال الوجود وويل للمغلـوب من جحافله • ومهمـا شرع وقنن فهو لا يتبع الا ما تمليـه عليـه شـهواته ونزواته ، ولـو آمن بالآخرة أى ايمان لكان له ضمير ينهاه عن ارتكاب الموبقات ولرده الى انسانيته • ومن ثم كان واجب البشرية أن تتوحد لتقف سـدا منيعا أمام الطغيان الكافر الفاجر• ولهذا كانت الحكمـة فى ارسـال الرسل ليرسوا قواعد التعـامل ، ولينبهوا الانسان الى مرتبته التى تعلو على شريعة الغاب • انظـر الى أسلافنـا وكيف كانوا ؟ لقد كانوا فى جاهليتهم وحوشا تتقاتل فى غابـة ، فمـا أن عرفوا اللـه وآمنوا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم حتى انكشفت حقائق الوجود ، فانقلبوا من وحـوش كاسرة تئد فلـذات الأكبـاد الى ملائكة حانية ، لهم مثالية لم يعرف التاريخ لها مثيلا • أقاموا العدل فيما بينهم ، ونشروه فيمن دخلوا فى دار الاسلام ، بل نشروه فيمن خالفهم وناصبهم العداء حتى قال قائلهم : لم تعرف الانسانية فاتحا أرحم من العرب ، وما دخلوا قرية

الا عمروها وأشاعوا الحضــــارة فيها ، وفرق كبير بــين أســبانيا اليــــوم ومــا كانت عليــه أيام الاسلام ، كان الانسان يســافر من بغداد الى قرطبة فلا يحدث له شيء مــن السرقــة أو الازعــاج وكانت الظعينة ترحل وحدها من الأهواز الى مكة لتؤدى فريضــة الحج فلا يتعرض لها أحد ، ذلك أن الايمان صنع من الانسان ملاكا كريما لا تغره الدنيا ، ولا تهــزه زهرة المال أو فتنة الجمال • لقــد صقله القرآن فكان له رقيبــا لا يغفل ، ونصيحا لا يغش ، ودافعا الى الخير لا يفتر ، فاســتحقوا رضا الله ورضا الناس •

وقد سجل التــاريخ حيــاتهم بأحرف من نور — كما يقولون — فلم نعرف فى الممالك التى قامت ، ولا فى الأديان التى نزلت أصحابا لملك أو رسول ذكروا بأســمائهم وسماتهم وأعمالهم فى بيـــوتهم ومحافلهم ، فى ظعنهم واقامتهم ، وسلمهم وحربهم كما عرف أصحاب محمد ، كل منهم مذكور محفور فى ذاكرة التاريخ ، انهم دعــاة دين خاتم ، وبنــاة حضــــارة رائدة بخلقهم وســلوكهم وصـــنيعهم وصدقهم ووفــائهم • وفوق كل ذلك ايمانهم الـــذى يزيــد ولا ينقص ، ويتوهج فى كل آية وكــل سورة وكل حديث • عرفوا اللــه فعرفهم ، ودانوا لــه فرفعهم ، وأخلصوا له فى السر والعلن فثبت أقدامهم فى مواطن الشـــدة وفى مجالات السلام ، وتركــوا لنــا ذخيرة • من الهدى والتقـــوى لا تنــقضى ولا تـــزول •• ان النموذج مازال قائما أمامنا يدعونا الى المسلك الــذى ســلكوه ••

ويومئذ يسجل التــاريخ لنا مــا سجله لهم ، فنحوز خلود الاســم فى الدنيــا ، وخلــود النعيم فى الأخرى ، وذلك مقصد يتنــافس فيه المتنافسون • والله لا يضــيع أجر العــاملين •

السيد حسن قرون

محنة المسلمين

للدكتور ابراهيم أبو الخشب

المسلمون فى محنة شديدة يعانون منها معاناة شاقة فى نفوسهم وفى أوطانهم فى آن واحد ، وهى مع ذلك لا ترجع الى فقر فى المال ، ولا الى قلة فى العدد ، ولا الى ضعف فى البنية ، ولا الى تباعد الأوطان ، وقد أصبح التقدم العلمى — الآن — يقرب المسافات ، ويطوى للناس بساط الأرض فى زمن قصير لا يكادون يحسون معه بشىء من السدود والحدود ، والنأى والقطيعة ، حتى ليمكن للرجل أن يمسى فى اليابان ويصبح فى أمريكا ، وهكذا دون أن يشعر بالاغتراب أو الوحشة ، ووسائل الاعلام وألوان الثقافة تجعل الدنيا كلها — شرقا وغربا — فى متناول يده ، وفى موقع نظره كأنها ، على رقعة من الشطرنج ، يكاد يتحكم فيها ، ويحرك القطع الكبيرة والصغيرة منها ، ومع ذلك كله لا نسأل المسلم هنا وهنالك فى قارة من قارات الدنيا القديمة أو الجديدة عن حاله الا أبدى لك الأسى والأسف لما آل اليه أمر هذه الأمة من التفكك والفرقة ، والمرض والهزال ، والعوز والعجز ، أو الهوان والمعاناة ، وربما كان هذا الذى يعلن اليك هذه الشكوى ، أو يخاطبك بهذا الأسلوب ، صحيح الجسم موفور الرزق لا يقاسى اقلالا ولا مرضا ، واذا ما حاولت أن تتعرف منه عن هذا الذى أقض مضجعه ، وأرق طرفه ، ونغص عليه مع أن

الدنيا تواتيه ، والحظوظ توافيه ، والأيام تناغيه ، والأمل يتودد اليه ، ويحنو عليه ، لم يكن له من جواب على سؤالك اياه ، الا أن هذا الدين الذى شرفنا الله بالانتساب اليه ، صارت حباله لدينا مقطوعة . وأسبابه فيما بيننا واهية ، وأصبح ذلك الفراغ الذى يملؤه من نفوس المؤمنين به خاليا من ذلك المعنى الروحى الذى كان حالا فى الضمائر والأفئدة ، يمدها بغذاء من البهجة والارتياح ، والكرامة والعزة ، والرضا والسرور ، تحتقر معه القصور والدور ، والملك والسلطان ، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة .. وهذه الناحية فى قلوب الناس هى السعادة الحقة التى لا يظفر بها الا المسلمون وهم يشعرون أن هذا الدين هو الوشيجة التى جمعتهم ، والرباط الذى ألف الله به بين قلوبهم ، وقرب به ما بينهم من الأبعاد أو المسافات ، فصاروا كالجسد الواحد فى الشعور والاحساس ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر — كما جاء ذلك فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم — ولا أظن أحدا يجهل أن من القضايا التى جاءت بها هذه الشريعة أن الكفار اذا غزوا بلدا من بلاد المسلمين كان على كل بلد اسلامى أن يعلن النفير العام . وأن يجاهد هذا العدو بالمال والرجال ، ليرد عدوانه ، ويمنع زحفه ، حتى لا تدنس أقدامه أرضا فيها كلمة التوحيد — لا اله الا الله محمد رسول الله — وأنا لا أقول هذا القول لأنبه الى ما كان يجب على هذه الأمة نحو ما أصاب أفغانستان من هذا الزحف البربرى — الروسى — الذى جعلها تقف وحدها فى الميدان ، وحولها ثمانمائة مليون مسلم يقفون منها موقف المتفرج لا أكثر ولا أقل ، وربما كان ذلك يذكرنا ببلاد القوقاز التى ابتلعتها الشيوعية من قبل ، ثم حاولت سلخها عن الدين ، وأرغمتها على أن تكون فى قبضة يدها ، مسلوبة الارادة والحرية والدين .. واذا كانت الرواية لم تتم فصولها بعد

فاننا نرقب ــ ونرجو ألا يكون ــ تكرار تلك المأســـاة فى كل بلــد اسلامى أو عربى تحاول أقــدام الدب الروسى أن تخطـــو اليــه بعنوان من العناوين التى يرددونها باسم المعــونات أو الخبــراء أو القـــــواعد أو التسـهيلات ــ كما يقولون ــ والتمثيليات التى يكررونها على المسرح فى البـــلاد التى يتعاطفون معها ، والتى لهم فيها خلايا أن تقــوم الثــورة فى وجـــوه أصــدقائهم ، وهنـــا لك يتذرعون للزحف بأنهم يســاعدون هؤلاء الأصدقاء على كبح جمــاح الثورة المضادة •• وأنا أخشى وكل بلد عربى أو اسلامى يتعرض لهذه المحنة أو تلك المأســـاة بحــكم مايـنــادى به بعض الـــذين لم يعصمهم دين ولا خلق مايسمونه بحرية الرأى والفكر ، وهو الخطر الداهم الذى انحدرت اليـــه تلك البلاد ، وكان من أشد هذه الغرابة ما قيل من أن اليمن الجنــــوبية أرسلت فرقا نظــامية من جيشها المحارب لتقف الى جانب الشيوعية فى أفغانســتان ضــد اخــوانهم المسلمين ، وبهذا يمكن أن يقال أن المحنة بلغت منتهاها بأمة محمــد صلى الله عليه وسلم •• والمرض الذى يدب الى عضو من الجســم يهدد الجســم كله بالخطـــر ، وينــذره بسريــان العـــلة الى ســـائر أجزائه لا محــالة ، ولابد أن يفهم المســلمون فى كل بلد أنهم قد صاروا عرضة للبركان الذى سيقذف بالنار والحجــارة ، ولا يمكن لشىء أن يــرد طغيــانه وعــدوانه ، لكن لأجــل أن يفهم المسلمون ذلك عليهم أن يفهموا ــ أولا وقبل كل شىء ــ معنى كونهم مسلمين ، لأن لهــذا الفهم مغزى بعيدا فى اجتماع الكلمــة ، ورأب الصدع ، وتسوية الصفوف ، وهو فهم لا نتخيله تخيلا ، ولا نخترعه اختراعا ، ولا نجتهد فيه اجتهادا يحيطنا بتهمة الخطأ فى الوصــول الى الحق كما يفعل المجتهدون فى بعض الأحايين ، وانما هــو النص الذى لا اجتهاد معه ، وذلك هــو قوله سبحانه « **وان هــذه أمتكم أمة واحدة** » الآية ٥٢ المؤمنــون والوحدة لا يحتمل معناها الفرقة، ولا يتضمن الشتات ، ولا يأخذ فى

الاعتبار اختلاف الهوى وتبـــاين الرأى ، ولا يتـــأثر بالأبعــــاد والمسافات ، والسدود والحدود ، أو الأوطان الشاسعة ، والمصـــالح المتضاربة ، والمسلم هو المسلم فى كل زمان ومكان ، يحتم عليه دينه أن ينصر أخاه ظالما أو مظلوما ،كما نطق بذلك حديث رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأنا لا أعتقــد أن فى المسلمين من يجهل ذلك أو ينكره ، ولكن الذى أعتقده أن الحكــــام الذين يديرون سياســـة البـــلاد هم الذين يتجاهلون ــ ولا يجهلون ــ ويظنـــون ظن اليقين أن رجـــل السياسة من حقـــه أن يلعب عـــلى الحبل مادام ذلك لا يتناول الدين، ولا يطغى على العقيدة ، وكأنما هم لا يعرفون أن من مبادىء أسيادهم أن يكون الولاء ــ أولا وقبل كـــل شىء ــ الثورة الأم التى لا تعترف بالأخلاق ولا القيم ، ولا الآداب والسلوك ، ولا بكرامة الانسان ، وأن هذه الشيوعية التى تقـــودهم من الأرسان لا تنام عن هؤلاءالذين يرتبطون بعجلتهـــا حتى يكـــونوا صـــورة مكررة للينين واســـتالين واضرابهمـــا ممن ســـاروا على الدرب ، ولسنا هنا بصـــدد شرح هذه المبادىء ، وبيان ما تهدف اليه من تدمير لبناء الانسانية فىالأفراد والجماعات ، فان ذلككله قد صار من الوضـــوح والظهور بحيث لا يخفى على أحـــد ، وانما نريد أن نقول من جديد لاخواننا المسلمين فى كل زمان ومكان ، ان الغفلـــة التى حلت بنا ،والخداع الذى عمل عمله فينا ، ما كان يظن أحد بحال من الأحوال أن نصير اليه، وأخشى ما أخشاه أن التاريخ الذى حدثنا عن محنـــة المســـلمين فى الأندلس حينما أرغموا على الكفر ، وارتدوا عن الدين الذى ســـما بآدميتهم ، ومكن لكرامتهم ، وجعلهم يشعرون بالحرية بعد العبودية ، وبالهـــدى بعد الضلال ، وبالأمن بعد الخوف وبالنور بعد الظلمة ، سوف يعيـــد نفسه على شكل آخر ، أو صورة جـــديدة ، على أن الفرنجة هنالك كانوا يزعمون أنهم يعملون لمبادىء عيسى الذى يؤمنون به ، أما هؤلاء فانهم يعملون للشيطان الذى يدعو حـــزبه ليكـــونوا من أصـــــحاب السعير •

د / ابراهيم على أبو الخشب

من اعلام القرن الخامس الهجرى

الإمام ابن الطلاع القرطبى

للمستشار / محمد عزت الطهطاوى

فقيه قرطبى مشهور ومحدث مقدم فى الشورى من أهل الفقه والفضل يقول عنه ابن فرحون (كان شيخ الفقهاء فى عصره وأسن من بقى فى وقته) أما ابن بشكوال فيصفه بقوله (كان فقيها عالما حافظا للفقه على مذهب مالك وأصحابه حاذقا بالفتوى مقدما فى الشورى عارفا بعقد الشروط وعللها ذاكرا لاخبار شيوخ بلده وفتاويهم كثير الذكر لله تعالى حافظا لكتابه العزيز تاليا له مجودا لحروفه) .

ذلك هو الامام محمد بن فرج أبو عبد الله المعروف بابن الطلاع كان أبوه مولى لمحمد بن يحيى البكرى الطلاع فنسب اليه ويبدو من المراجع والمؤلفات والكتب الاسلامية فى بلاد الاندلس أن الامام ابن الطلاع لم يكن من بيت علم وفضل لذلك كانت شهرته لاتعود الى حسبه ونسبه بل لجهوده وتفانيه فى تحصيل العلم وهذه منقبة سامية للاسلام لأنه لا ينظر الى الانساب بل يجعل معايير الفضل والشرف الى العلم والتقوى مصداقا لقوله تعالى : **(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)** سورة المجادلة ١١ وقوله سبحانه **(ان اكرمكم عند الله أتقاكم)** سورة الحجرات ١٣ .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الامام أحمد (من أبطا به عمله لم يسرع به نسبه) .

كـــان عصره من أروع وأزهى العصور الاســـلامية فى بـــلاد الاندلس حيث كانت مدينة قرطبة من أكثر بلاد الدنيا حضارة ورقيا — وقد بلغت العلوم فيها وقتئذ فى شتى الميادين أوج كمالها خصوصا ما تعلق منها بترجمـــة العلوم الاجنبية من فلسفة ومنطق والهيات لذلك كانت المصادر التى وصـلت اليها يد ابن الطلاع من أجل وأغنى المصادر العلمية لكنها للأســـف صـــارت من الذكريات التى تقـــرأ أســـــماؤها فى مؤلفات العلماء وفهارس العلوم الاســـلامية من تفسير وحديث وفقه وأصـــــول وتاريخ وأدب ولغة وما الى ذلـــك ولا نجد لها أثرا فى مكتبات العالم والسبب فى ذلك تعصب النصـــارى الإسبان فى احراق واعدام الكتب والمجلدات الاســـلامية واضاعتها وازالة وجودها من أرض الاندلس حتى لقد قيل أن كورديال أحـــرق مائة ألف مجلد وكل ذلك حـــدث عندما غربت شمس الاســـلام من بلاد الاندلس منذ القرن الخامس عشر الميلادى •

ولد الامام ابن الطلاع ســـنة ٤٠٤ هـ بمدينة قرطبة وهى من أهم مدن الاندلس فى عصور الاســـلام الزاهية هنـــاك كانت مقر ســـلطة الاسلام وحاضرة الـــدولة يقـــول الحجارى عنها (كانت قرطبـــة فى الدولة المروانية قبة الاســـلام ومجتمع علماء الانام الاعلام — بها استقر سرير الخلافة المروانيـــة وفيها تمخضت خلاصة القبـــائل المعدية واليمانية — واليها كـــانت الرحلة فى رواية الشعر والشـــعراء اذ كانت مركز الكرماء ومعـــدن العلماء — ولم تزل تملأ الصـــدور منها والحقائب وييـــــارى فيها أصحاب الكتب أصحاب الكتـــائب — ولم تبرح ساحاتها مجرد عوالى ومجرى سوابق ومحط معـــالى وحمى حقائق — وهى من بـــلاد الاندلس بمنزلة الرأس من الجسد والزور من الأسد ولها الداخـــل الفسيح والخارج الذى يمتع البصر بامتداده فلا يزال مستريحا وهـــو يردد النظر الطليح) •

ولقد بدأ نشأته بحفظ القـــرآن الكريم وتلاوته وهذا ما درج عليه

أهل الاسلام فى جميع أمصارهم حتى ترسخ منه فى قلوب الناشئة أسس الايمان والعقيدة الاسلامية وأصول العلم ذلك أن القرآن هو المحور الذى تلتف حوله الثقافة والمعرفة حتى ليمكن القول بأن الثقافة العربية والاسلامية نبتت حول القرآن واستمدت منه ماءها ونماءها ورواءها •

ولما كان المذهب الفقهى السائد رسميا فى بلاد الاندلس هو مذهب الامام مالك توجه ابن الطلاع الى دراسته حتى أتقنه أصولا وفروعا •

تلقى الامام ابن الطلاع علومه على أيدى كثير من علماء عصره نكتفى بذكر بعضهم وهم :

١ — الحسن بن أيوب بن محمد ابن أيوب الانصارى المعروف بالحداد كان مقدما فى الشورى راوية للحديث واللغة •

٢ — يونس بن عبد الله بن محمد ابن مغيث قاضى بقرطبة عالم بالحديث والفقه له عدة مؤلفات فى العبادة والزهد •

٣ — أحمد بن هشام بن جهور كان من أهل مرشانة وسكن قرطبة •

٤ — محمد بن عبد الله بن سعيد بن عابد العافرى عالم فقيه ومحدث كبير •

٥ — مكى بن أبى طالب كان عالما بالقرآن والعربية •

٦ — أحمد بن محمد بن عيسى ابن هلال المعروف بابن القطان كان ممن فاق أهل زمانه بالاندلس علما وحفظا •

٧ — محمد بن جهور بن محمد جهور الوليد كان حافظا للقرآن مجودا له ومعنيا بسماع العلم من الشيوخ •

٨ — حاتم بن محمد بن عبد الرحمن المغروف بابن الطرابلس كان عالما بالفقه •

٩ — معاوية بن محمد العقيلى أبو عبد الرحمن كان حافظا للقرآن كثير التلاوة له •

برز الامام ابن الطلاع فى الفقه المالكى حتى أسندت اليه رئاسة الافتاء وصار مقدما فى الشورى ورحل الناس اليه لسماع الموطأ

والمدونة — ولم يبق فى الاندلس أعلم منه بأصول المذهب وفروعه وسمع منه الكبار والصغار والآباء والأبناء لأنه عمر عمرا طويلا .

ولما ولى الصلاة بالمسجد الجامع بقرطبة وعظ الناس وأفتى لهم فيما يعرض لهم من المسائل وكان فصيحا فى اللغة جميلا فى التعبير مدركا الاسرار والغوامض رأسا فى معرفة الشروط وعللها — ومعرفة الاحكام والنوازل ويشهد له بذلك كتابه الفريد الوحيد الذى ألفه وهو أقضية الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يدل على تمكنه وقدرته العلمية على التأليف ويبدو أن انشغاله بالوعظ والارشاد والتدريس والتعليم والافتاء والدعوة لم تترك له وقتا كافيا للكتابة حتى يكون من المكثرين فى التأليف واستمر على ذلك حتى توفى الى رحمة الله فى ضحى يوم الخميس بعد ثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رجب سنة ٤٩٧ هـ .

لقد ترك الامام ابن الطلاع وراءه جماعة من التلاميذ برعوا فى شتى العلوم نذكر منهم الآتى :

١ — محمد بن حيدرة بن أحمد ابن مغور أبو بكر كان حافظا للحديث وعلله عارفا بأسماء رجاله وحملته .

٢ — عبد العزيز بن عبد الله ابن أحمد بن حزمون كان فقيها مشاورا فى الاحكام صدرا فى المفتين .

٣ — هشام بن أحمد أبو الوليد شيخ قرطبة وفقيهها ومن كبار علمائها .

٤ — هشام بن أحمد بن سعيد ويعرف بابن العواد أبو الوليد كان من جلة الفقهاء وكبارهم وعلمائهم وخيارهم .

٥ — أحمد بن ابراهيم بن أحمد ابن ابراهيم أبو جعفر — تولى الصلاة بالمسجد الجامع بقرطبة وكان يستشار فى الأحكام .

٦ — يحيى بن عمرو بن بقاء الجزامى أبو بكر المعروف بالمرجونى كان حافظا للفقه عارفا بعقد الشروط وعللها .

٧ — أبو على حسين بن محمد ابن حيون بن سكره الصدفى كان عالما بالحديث وعلله ورجاله .

٨ ـ عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن مخلد بن عبد الرحمن بن أحمد بن بقى بن مخلد أبو الحسن وقد تولى الاحكام بمدينة قرطبة مدة طويلة .

٩ ـ عبد الجبار بن عبد الله بن أحمد بن أصيغ القرشى المروانى أبو طالب كان عالما فى التاريخ وجمع كتابا فيه سماه (عيون الامانة) .

١٠ ـ ابراهيم بن محمد بن خيرة أبو اسحاق كان حافظا للحديث .

١١ ـ جراح بن موسى بن عبد الرحمن الغافقى أبو عبيدة كان أديبا حافظا حاذقا بعلوم العربية واللغة والشعر .

١٢ ـ محمد بن عبد الرحمن ابن نبيل الرعينى أبو عبد الله كان عالما بالشروط ومتقنا .

١٣ ـ محمد بن أحمد بن أحمد ابن رشد أبو الوليد كان فقيها حافظا مشهورا وهو صاحب المقدمات لاوائل كتب المدونة .

١٤ ـ أحمد بن محمد بن على ابن محمد التغلبى أبو القاسم تقلد القضاء بقرطبة مرتين .

١٥ ـ يونس بن محمد بن مغيث أبو الحسن كان عارفا باللغة والاعراب وذاكرا للغريب والانساب .

١٦ ـ عبد الله بن موسى بن عبد الله بن موسى أبو عبد الله كان متقنا فى عدد من العلوم مع الحفظ والاتقان .

١٧ ـ عبد الجليل بن عبد العزيز ابن محمد الأموى المقرى أبو الحسن كان عالما بالقراءات مجودا لها ضابطا لحروفها كما كانت له عناية بسماع الحديث وروايته .

١٨ ـ يحيى بن محمد بن أبى المطرف أبو الحكم كان عالما باللغة والادب .

١٩ ـ محمد بن أحمد بن خلف ابن ابراهيم بن لب المعروف بابن الحاج أبو عبد الله كان معتنيا بالحديث والآثار ضابطا لأسماء رجالها ورواتها ذاكرا للغريب والأنساب واللغة والاعراب وعلى علم بمعانى الاشعار والسير والاخبار .

٢٠ ـ أحمد بن محمد بن أحمد

ابن مخلد بن عبد الرحمن بن أحمد ابن بقى بن مخلد أبو القاسم كان عالما بالمسائل وله الصدارة فى الفتوى بصيرا بعقد الشروط وعللها •

٢١ — يونس بن محمد بن مغيث ابن محمد بن يونس بن عبد الله ابن محمد بن مغيث بن عبد الله أبو الحسن كان عالما باللغة عارفا بالأعراب ذاكرا للغريب والانساب •

٢٢ — عبد الله بن على بن عبد العزيز بن فرج الغافقى أبو محمد كان فقيها حافظا •

٢٣ — أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد البارى أبو جعفر المعروف بالبطروجى كان من أهل الفقه والحديث والتواريخ •

٢٤ — عبد الملك بن مسعود بن بشكوال بن يوسف بن داحه الانصارى أبو مروان كان ممن جمع الله له الحديث والفقه مع الأدب •

٢٥ — عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن قزمان أبو مروان كان من صفوة الفقهاء والأدباء •

لم يكن الامام بن الطلاع من المكثرين من التأليف كما قدمنا ولعل ذلك مرجعه الى اشتغاله بالوعظ والارشاد والتدريس والتعليم والافتاء والدعوة الى الله اللهم الا مؤلفا وحيدا هو كتاب أقضية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقد سمى هذا الكتاب بأسماء مختلفة فبعض علماء الاسلام سماه (أحكام النبى صلى الله عليه وسلم كتاب الاقضية) والبعض الآخر — سماه (نوازل الاحكام النبوية) ولفظ نوازل هو اصطلاح مغربى يقابلها عندنا فى المشرق العربى لفظ الفتاوى وأسماء الكتاب المذكور تشير الى ما يحتويه الكتاب بين صفحاته من أقضية النبى صلى الله عليه وسلم وكذا ما يشتمل عليه من أحكام وردت عنه صلى الله عليه وسلم وأوامره ونواهيه وقد عنى بتحقيقه أخيرا الدكتور محمد ضياء الرحمن الاعظمى مدير مكتب الامين العام لرابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة وقامت بطبعه دار الكتاب المصرى ودار الكتاب اللبنانى بالقاهرة •

والكتاب مقسم الى عـــدة كتب **أولهـــا** أسباب الحكم فى القتـــــل والقذف والسب والسرقة والجرح والخمر والزنا واللواط والساحر ثم **كتاب الجهاد وكتاب النكاح وكتاب الطلاق وكتاب البيوع وكتـــــاب الاقضية** كما فى الشفعة والقســـمة والمزارعة **وكتاب الوصايا وكتـــاب الحدود وكتاب الهبة وكتاب القضاء وكتاب الفرائض والعتق** •

مثال من الاقضية التى ذكرهـــا الامام ابن الطلاع •

يقول فى مفتتح كتابه (لا يحـــل لمن تقلد الحكم من الناس أن يحكم الا بما أمر الله عز وجل فى كتـــابه أو بما يثبت عن رسول الله صـــلى الله عليه وسلم أنه حكم به أو بما أجمع العلماء عليه أو بدليـــل من أحد هذه الوجوه الثلاثة •

واتفـــق مالك والشـــــافعى وأبو حنيفة رحمهم الله على أنـــه لايجوز لحاكم أن يحكم بين الناس حتى يكون عالما بالحديث والفقه معا مع عقل وورع •

ثم بدأ بأقضيته صلى الله عليه وسلم فى الدماء لما جاء فى الحديث الصحيح ذكره مسلم وغـــيره (أن أول ما يقضى الله تبارك وتعـــالى بين الناس يوم القيامة فى الدماء وأول ماينظر فيه من عمل العبـــد الصلاة فمن وجدت له صلاة نظر فى سائر عمله ومن لم توجد له صلاة لم ينظر فى شىء من عملـــه وليس بعد الشرك بالله عز وجل أعظم من قتل النفس) •

روى عن رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم أنه قال (زوال الدنيـــا بجميع ما فيها أهون على الله من قتـــل امرىء مســـلم) رواه ابن الاحمر فى مســـــنده ــ (وهـــو محمد بن معاوية بن عبد الرحمن بن معاوية ابن اسحاق بن عبد الله بن معاوية ابن هشام بن عبد الملك بن مروان أبو بكـــر يعـــــرف بأبن الاحمر) •

وقد روى ذلك الحـــديث الامام النسائى فى تعظيم الدم عـــن ابن اسحق عن ابراهيم بن مهاجر عن اسماعيل مولى عبد الله بن عمرو عن عبد الله بن عمرو بن العـــاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (والذى نفسى بيده لقتـــل

مؤمن أعظم عند اللـــه من زوال الدنيـــا) .

وقال عليه السلام (من أعان فى قتل امرىء مسلم بنصف كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله) .

وفى البخارى قال رسول اللـــه صلى الله عليه وســـــلم (لايزال المؤمن فى فسحة من دينه مالم يصب دما حراما) .

وقال عليه السلام (من لقى الله ولم يشرك به شيئا ولم يتند بـــدم مسلم كان حقا على الله أن يغفر له) ــ هذا الحديث أخرجه ابن ماجة فى سننه فى الديات وفى مســـند بقى والبزار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لو أن أهل السماوات والارض اجتمعوا على قتل مسلم لأدخلهم الله جهنم جميعا) .

وبقى هو ابن مخلـــد صـــاحب المسند الكبير من أهل قرطبة يكنى أبا عبد الرحمن قال الكتـــــانى فى الرسالة المستطرفة قال ابن حـــزم روى فيه عن ألف وثلاثمائة صحابى ونيف ورتب على أبواب الفقه فهو مسند ومصنف ليس لأحد مثله ــ وقد توفى سنة ٢٧٦ هـ .

ومما يؤسف له أن كتابه العظيم هذا صار من الكنوز الاســـــلامية المفقودة بفعل التعصـــب النصرانى الأعمى باحراق وابادة التـــــراث الاسلامى اثر غروب شـــــمس المسلمين فى بلاد الاندلس .

وقال مالك رحمه الله تعـــــالى يقال (من لقى الله ولم يشرك فى دم مسلم لقى الله خفيف الظهر).

وفى باب آخر يذكر حكم رسول الله صلى الله عليه وســـلم فيمن ضرب أمرأة حاملا فطرحت جنينها فيقـــول :

(من الموطأ والبخـــارى ومسلم مالك عن ابن شهاب عن أبى سلمة ابن عبد الرحمن عن أبى هريرة أن أمرأتين من هذيل رمت احداهمـــا الأخرى فطرحت جنينها قضى فيه رسول الله صلى الله عليه وســـلم بغرة عبد أو وليدة) والمراد بـــه العبد والامة وان كانا أسودين اذ الاصل فى الغرة البياض فى الوجه.

وفى حديث آخر فى كتاب مسلم

فرمت احداهما الأخرى بحجـــــر فقتلتها وما فى بطنها .

وفى حديث آخر ضربتها بعمود فسطاط وهى حبلى وكانت ضربتها فقتلتها فجعل النبى صلى الله عليه وسلم دية المقتولة على عصــــبة القاتلة وغرة لما فى بطنها .

وفى كتاب النســــــائى ضربت احداهما الاخرى بمسطح فقتلتهــا وجنينها فقضى رسول الله صــلى الله عليه وسلم فى جنينها بغرة وأن تقتل بها وكذلك ذكر غير النســائى أن النبى صلى الله عليه وســـلم قتلها مكانها وقيمة الغرة التى قضى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسون دينارا أو ستمائة درهم — قال قتادة وغيره وبه قال مالك بـــن أنس .

وفى البخارى ما يدل عـــلى أن النبى عليه السلام لم يقتل الضاربة وذلك أنه قال حدثنا عبد اللـــه بن يوسف عن الليث عن ابن شـــهاب عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى فى جنين امرأة من بنى لحيان بغرة عبد أو أمة ثم أن المرأة التى قضى عليها بالغـــرة توفيت فقضى رسول الله صلى الله عليه وســـلم أن ميراثها لبنيها وزوجها وأن العقل على عصبتها .

ومن الأقضية أيضـــا ما ورد فى فى مصـــنف عبـــد الرزاق عن ابن جريج قال أخبرنى عبد الكريم أن رجلا قال يا رسول اللـــه ان أبى يسألنى مالى قال (فأعطـــه اياه) قال أنه يريد أن أخـــرج له منـــه قال (فاخرج له منه) .

قال وقال النبى صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يوصيه (لاتعص والديك وان سألوك أن تنخلع لهما من دنياك فانخلع لهما منها) .

وفى رواية أخرى عن ابن جريج قال سمعت ابن أبى حسين يقـــول خاصم رجل اباه الى النبى صـــلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليـــه وســـلم (انت ومالك لأبيك) ثم أمر به ثم قال (انطلق به فان غلبـــك فأطلعنى على ذلك أعنـــك عليه) .

هذه نماذج من الأقضية فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى قليل من كثير قامت أحكامها على شريعة الله التى لاتميل الى باطل أو انحراف لانها قامت على أساس القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قال تعالى :

(وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) سورة المائدة ٤٨ .

المستشار

محمد عزت الطهطاوى

« اصلاح النفس »

قيل لبعض الحكماء بم ينتقم الانسان من عدوه ؟

قال : باصلاح نفسه .

مع آيات من سورة النساء

للأستاذ عبد الحميد الفضالى

من كشف الحساب وتحديد المنهج :

قد يكون معلوما أن الآيات التى صاحبتها وصاحبتنى ، وعشت معها وعاشت معى ، واقتبست من هديها وأضوائها بعض ما أرشدت اليه ، أو دلت عليه ، أو أوحت به — آيات مباركات من سورة النساء .. واسعة المعانى ، غزيرة الافكار ، متعددة الجوانب ، مليئة بالخيرات والبركات ، فياضة برحمة الله التى وسعت كل شىء رحمة وعلما ..

فهى آيات تكاد تنتظم أمور الحياة كلها .. فى أمنها واضطرابها، وفى استقامتها واعوجاجها . وهى فى جملتها سجل ضخم ، وتاريخ فسيح ، متصل الحلقات بالماضى البعيد والقريب — ومرتبطا بالحاضر العجيب ، وبالواقع الغريب .. وممتدا الى المستقبل الذى لا يعرف نهايته الا خالقه .

فهى فى ذلك كله آيات منبئة بما كان ، وبما هو كائن وبما سيكون ومبينة الآثار والعواقب والثمرات ، حلوها ومرها ، خيرها وشرها .. ووقوعها وفق ما كان من العباد فى ايثارهم لها واختيارهم لما أحبوه منها .. ووقوعها وفق ما كان من علم الله المحيط بها .. وكل شىء واقع وفق علم الله الكاشف من الازل قبل خلقها .. لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء .. !

ومع ذلك فهى آيات تحمل فى طياتها — دعوة عريضة عميقة .. لمحاربة الظلم ، ومعاداة الباطل ، ولاقامة الحق ، ونشر العدل ،

ليستقيم ميزان الحياة .. وليقف كل عند حده لا يتجاوزه ولا يتخطاه .

والى بقية المشاهد والنقاط .. من آيات الله البينات على وفق ما وعدت به .

* آيات الفرائض :

أحسست وأنا أقرأ آيات الفرائض ــ فى هذه الليلة المباركة ــ كأنى أقرؤها لأول مرة .. وتذكرت بقراءتها ما كان عليه العرب فى الجاهلية من ظلم وبغى وعدوان ، على أنفسهم ، وعلى الناس من حولهم وعلى المستضعفين فى الأرض بغير الحق .. من اليتامى والصغار والنساء والولدان ، الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا كانوا يأكلون أموالهم بالباطل ، ويحرمونهم حقوقهم بالظلم ، ويحولون دون ميراثهم بالعدوان .. كان المعتدون ينظرون الى المعتدى عليهم بمنظار أعرافهم الفاسدة ، ويعاملونهم بموازينهم الجائرة .. يرونهم ضعافا لا يستأهلون أن تكون لهم حقوق ، ولا يستحقون أن يترك لهم ميراث .. فالحقوق والمواريث عندهم ــ للذين يقدرون على حمل السلاح ، ويقتتلون بالسيوف والرماح ، ويحذقون ركوب الخيل ، ويشاركون فى الغارة على الأعداء ، والسطو على الجيران لسفك الدماء ، واختطاف النساء ، وانتهاب الأموال ..

لقد كانت طبائعهم العدوانية ، وغرائزهم الحيوانية .. لا تقف عند حد .. انها قد ترسخت بشرورها فى نفوسهم ، وامتزجت بلحومهم ودمائهم .. حتى أنهم اذا لم يجدوا من يعتدون عليه ، أو يسيئون اليه ، من أعدائهم وجيرانهم يكر بعضهم على بعض .

وأحيانا على بكر أخينا
اذا ما لم نجد الا أخانا

وقد استهوانى فى ليلتى ، واستولى على مشاعرى واحساسى .. كمال التشريع الاسلامى فى قانون الميراث .. فقد بينه الله تبيينا ، وفصله تفصيلا ، وحدد الأنصبة فيه تحديدا ، وجعله جامعا مانعا مستوعبا لجميع الحالات

والظروف والمناسبات .. ولم يترك ليد بشر مهما كان قدره .. فرصة التدخل فيه بالتغيير والتبديل، أو بالحذف والزيادة ..!

انه ما دخلت سياسة البشر الجائرة الجاهلة فى شىء من أمور الدين والتشريع التى حدد الله حدودها، وأوضح معالمها وأكملها، الا أفسدتها، وشوهت جمالها وجلالها، وأخرجتها عن غايتها، وأبطلت مفعولها الكريم، وأنكرت حكمة الله فيها، وغايته منها .. ارضاء لنفوس أمارة بالسوء، واشباعا لشهوات ممعنة فى الباطل، بعيدة عن الحق .. وماذا بعد الحق الا الضلال ؟ !!

انها الفريضة الوحيدة من فرائض الله التى انفرد القرآن الكريم بها جملة وتفصيلا .. ذكرها جملة فى آية « **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ..** » وذكر ما تفصيلا حين بين نصيب كل وارث ووارثة فيما جاء بعد ذلك فى آيات المواريث محددة تحديدا كافيا شافيا .. !!

ومن كمال نظام الميراث فى الاسلام .. أن الله سبحانه وتعالى قد أقام نظامه على قاعدة انسانية راسخة ثابته، لا يلحقها تغيير أو تبديل .. تلك هى قاعدة القرابة القائمة فعلا بين الناس، نسبا وصهرا .. مع ملاحظة درجتها قربا وبعدا .. فالاقربون أولى بالمعروف، وأحق بالتكافل فيما بينهم .. فالقوى فيهم يعين الضعيف، والغنى يسع الفقير، وهو أولى بارثه اذا مات وترك ميراثا .. وبذا يتحقق الخير للناس أفرادا وجماعات، ذكورا واناثا .. ويرتفع الظلم الجاهلى البغيض البشع عن كواهل المظلومين المستضعفين من النساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا .. !!

* لقد قال الله سبحانه .. كلمة الحق والعدل فى هذا التشريع الحكيم المنصف، حين أنزل قوله الكريم « **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون .. الى قوله : نصيبا مفروضا** » والأقربون كما عرفنا .. هم المتوارثون من

ذوى القــرابات دون غــيرهم •• والنصيب المفروض ــ هو المقطوع الواجب الذى لابد للوارث من أن يحوزه •• ولا يستأثر به أحد غيره •• والا شاعت العداوة والبغضاء ، ووقعت الفرقة ، وتمزقت الوحدة واتســـعت دوائر البغى ، وتجرد الناس من فضائلهم الانسانية •• وصــاروا حيات غادرة •• ونمورا كاسرة •• ووحوشا ضارية •• ولن يكون بهذا بين الناس حيــاة أمن وأمان •• !!

* وهنا تذكرت ما روى من أن أوس بن الصامت الأنصــــارى لما مات أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ كان قد ترك أمرأته وثلاث بنات •• فروى ابنا عمــــه ميراثه عنهن •• فجــــاءت امرأة أوس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ فى المسجد ، فشــــكت له ما كان من ابن عم زوجها •• فقال صلى الله عليه وسلم : « ارجعى حتى أنظر ما يحــــدث الله » •• فنزلت الآية « **للرجــال نصــيب مما ترك الوالــدان والأقــربون ، وللنســاء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون** •• » وبمجــرد نزولها بعث رسول الله الى ابن عم أوس ابن الصــــامت •• وقال لهما : « لا تفرقا من مال أوس شيئا ، فان الله قد جعل لهن « للنســـــاء » نصيبا » •• ولم يبين الرســـول صلى الله عليه وسلم هذا النصيب •• حتى بينه الله سبحانه بعد ذلك فى الآيات التى حددت وأوضــحت نصيب كل وارث ووارثة •• فى قوله تعالى « **يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين** •• » وفى قوله « **ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولــد** •• » فأعطى الرسول الزوجة الثمن •• وأعطى البنــات الثلثين •• والبــاقى لابن العم •• !!

*** ونــكرتنى آيات المــواريث** بواقعنا الأسيف ••

هذا الواقع الذى يعيشه الناس فى أيامنا ، التى بعدنا فيها عن ربنا وشرع ربنا •• ! فقد رأيت قانون الميراث ، قد أغفله كثير من الناس ، واســـــتهانوا به •• على تفاوت درجاتهم فى العلم والمعـــرفة •• ومعظمهم لا يجهـــل حكم الله فى

آياته •• بل يحفظها ويعرف حكم الله فيها •• !

ان المبـــدأ القويم الذى خلص الله به عبـــاده من ظلم الجاهلية وظلامها ، واختاره سبحانه صماما لأمن الناس ، وأســاسا لخيرهم ، وقاعدة لانصـــافهم •• قد تركوه وعادوا الى الظلم والظلام ، والى البغى والعـــدوان •• عادوا الى حرمان البنات والزوجات والأخوات والعمات •• من حقوقهن وميراثهن واغتصـــاب أموالهن •• عادوا الى أكل أموال اليتامى ظلما •• عادوا الى ذلك ، والى غـــير ذلك من المحرمات •• على علم بحرمتها ، وعلى علم بسوء ما يرتكبون منها •• وعلى علم تام بمخالفتهم لصريح القرآن ، فيما أمر الله به ، أو نهى عنه •• وهذا من غير شك أشـــنع ألوان الضلال •• فليس أضل ممن أضـــله الله على علم ، وختم على ســـمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة •• !!

*** * وهنا تذكرت « الشعبى » :**

ان الناس فى عصرنا قد بعـــدوا عن الدين بعدا شـــديدا •• حتى ذكرنى هذا البعد الشـــديد عن الدين بقول « عامر الشـــعبى » التابعى الجليل •• فقد قال رحمـــه الله :

« تعايش الناس بالدين زمنـــا طـــويلا ، حتى ذهب الـــدين من نفوسهم ثم تعايشـــو بالمروءة حتى ذهبت المروءة •• ثم تعايشوا بالحياء حتى ذهب الحياء •• وهم الآن يتعايشون بالرغبة والرهبة •• وســـيأتى بعد هـــذا ما هو شر منـــه •• !! » •

هذا ما قاله الشعبى فى عصر بنى أمية الذى عاش فيه •• فماذا كان يقـــول لو عاش فى عصرنا الذى نعيش فيه •

*** * من واقع الحياة :**

ان الناس مع جهلهم بالكثير من حقائق الاســـلام — لا يجهلون الحرام والحلال فى أكل الحقـــوق والأمـــوال ، ولا يجهـــلون حـــرمة حرمان المرأة من حقها فى الميراث ، ولا حـــرمة حـــرمان بعض الآباء لبعض أبنـــائهم أو بنـــاتهم من حقوقهم فى ميراثهم أو فى ممتلكاتهم . •• الا أن الفتوى بحل ما يرتكبه

الناس من المخالفات ، لانهم يتصرفون فى أموالهم •• تضاعف — لا شك — من ارتكاب المحرمات •• وتشجع الكثيرين من المنحرفين على طلب المزيد فى مجالات العصيان •• !!

ان معظم الذين حرموا بناتهم وأخواتهم ونساءهم عن ميراثهم•• هم من أولئك الذين فهموا خطأ أنهم أحرار فى التصرف فى أملاكهم وثرواتهم بما تهوى نفوسهم •• !

وقد توارث الناس هذه المخالفات الشرعية •• وشجعت عليها مطامعهم الشخصية وشهواتهم التى ارتكسوا فيها الى الأذقان •• فتحولت لديهم من عادات الى طبائع يرتكبونها من غير تفكير •• ولا يبالون بمن يلومونهم على ارتكابها أو يعترض سبيلهم فيها ، لأنه فى نظرهم يتدخل فيما لا يعنيه وفيما لا شأن له به ••

*** * وصية الله خير :**

جاء فى مستهل الآية الأولى فى توريث الأصول والفروع — قوله تعالى : «**يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين** •• » وان الولد فى اللغة يطلق على كل مولود، ذكرا كان أم أنثى •• فكل مولود ولد •• ولذا جاء فى تحديد النصاب لكل من الذكر والانثى بعد كلمة « أولادكم » الشاملة للذكور والاناث — جاء قوله تعالى « **للذكر مثل حظ الانثيين** » والوصية فيما جرت به العادة بين المستقيمين من الناس وأسويائهم انما تكون فى الخير ، وفيما ينفع الناس ولا يضرهم ••

وتنبعث غالبا من قلب حبيب لحبيبه •• أو من أب شفيق مجرب لاولاده ، أو من أم عطوف لابنتها ليلة زفافها لتستقيم حياتها ، وتهنأ بزواجها •• أو من طبيب لطاس وفى لمرضاه ، يبغى شفاءهم من عللهم ، ووقايتهم من أمراضهم •• أو من قائد أمن حنكته التجارب ، لجيشه يرجو له السلامة والنصر فى معاركه •• أو من امام عادل يخشى الله ويرجو رحمته ، لنفسه وأمته •• ان هؤلاء جميعا وغيرهم من المخلصين فى وصاياهم •• لحريصون على أن ينيروا الطريق لأحبتهم ، ويسلحوهم بما يقدرون

عليه من أسلحة الخير والقوة والانصاف •• ويجنبوهم العثرات والأخطار ، ومتاعب الأعداء والاشرار •• ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ••

وهكذا تنبع الوصية فى أصلها الانسانى المستقيم من قلوب صفت ، ونفوس سمت ، تحب الخير وتوصى به ، وتحيا له وتدعو اليه ، ولا تدخر وسعا فى سبيله •• وانما يقدم هؤلاء المخلصون من البشر وصاياهم النافعة ، فى حدود خبرتهم المحدودة ، فيما أحاطوا به علما •• فاذا كان هذا شأن الوصية فى صدورها وانبعاثها من عباد الله محدودى القدرة والخبرة لعباد الله المرجو لهم الخير •• فما يكون الشأن فيها ، وفى صدورها وانبعاثها للعباد من خالق العباد ، ومن ربهم العليم بهم ، الحكيم فيما شرعه لهم وأوجبه عليهم لخيرهم ومصلحتهم وهو سبحانه أرحم الراحمين وقد وسع كل شىء رحمة وعلما ورأفة وحلما •• ؟

انها لا شك — تكون وصية الخير كله • والبر والأمن والهناء لمن خلقهم وسواهم ، ونفخ فيهم من روحه •• واذا ما استجابوا لها وحرصوا على الالتزام بها ، ووقفوا خاشعين عند حدودها ، وأطاعوا الله ورسوله بشأنها وسلموا تسليما •• !!

أما أن يسمعوا وصية الله ويعلموا بها فى قوله تعالى :

« يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين »

فلا يستجيبون للنداء ، ولا يعملون بمقتضى العلم •• وبخاصة بعد أن سمعوا من قبل بالقرار الأساسى الأول الذى اختاره الله لاقامة الحق والعدل والانصاف فى الميراث ، وفى توزيع الأنصبة والحقوق •• فى قوله تعالى

« للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا »

فلم يلقوا له بالا •• وقد علموا أن المراد بالأقربين هم الوارثون من ذوى القربات دون غيرهم •• وأن النصيب المفروض هو المقطوع الواجب الذى لابد للوارث

المســــتحق له من حيازته وأخذه كاملا •• لا أن يستأثر به غيره من دونه ظلما وبغيا •• كما علموا أنهم ليس لهم اختيار بعــد اختيار الله لهم « **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورســوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** » •• أما أن ســـمعوا ذلك كله ، ويعلموه حق العلم •• ثم تكون منهم المكابرة فى انحق ، والمجادلة بالباطل ــ فذلك هو الضلال المبين ، والظلم الوبيل ، والاســـتخفاف بوصـــية الله والاستهانة بتشريعه ، والتمرد على قراره ، والخروج عن اختيـــاره سبحانه ــ سبحانه •• !!

*** * لماذا كان نصيب الرجـــل ضعف نصيب المرأة ؟**

لفت نظـــرى فى آية توريث الأولاد والآباء ــ مبدأ حكيم قرره رب العالمين فى قوله تعالى : **للذكر مثل حظ الانثيين** »•• انه سبحانه يعطى الرجـــل من الميراث حسب أعبـــائه •• ويعطى المــرأة وفق أعبائها •• وليس فى ذلك محــاباة للرجال على حســـاب النساء •• كما يهدف به بعض الغافلين •• !!

ان الرجل مكلف باعالة المرأة بعد زواجه منهـــا •• وليست الزوجة بملزمة شرعا بانفاق شىء من مالها •• كما أن المرأة فى حالة عـــــدم زواجها لا تقوم الا بشئون نفسها فقط •• فما تحصل عليه من الميراث (وهو نصف ما يأخذ الرجل) •• يضعها فى ميزان العدل والانصاف والأمن والأمان ••

أما الظلم الذى لا يطـــاق ، والعدوان الذى لا يحتمل •• ففى حرمانها من ميراثها وأخذ حقهـا بالباطل •• !!

ان النظام الاسلامى فى الميراث هو أعدل نظام عرفته البشرية منذ وجدت ، والى أن يرث الله الارض ومن عليها •• يبدو ذلك جليا حينما نقارنه بالنظم الاخرى التى تجعل الميراث كله للابن الذكر •• كما هو الشــــأن فى انجلترا •• حتى لا تتفتت الثروة ــ فى نظرهم ــ ويبقى اسم الاسرة شـــامخا براقا على حساب ضياع الباقين وظلمهم ، من الذكور والاناث •• !

وكذلك يبدو أن نظام الاسلام فى الميراث ــ أعـــدل الأنظمـــة حين

نقارنه بالنظم التى تجعل الميراث كله للرجال وحـــــدهم من دون النســــــاء ، أو من دونهن ودون الأطفــــــال •• وهى نظم أقرب ما تكون من النظـــــام الجاهلى الجائر ، الذى أبطله الاســــلام وأنكره ، وأقام على أنقاضـــه خير نظام •• يرعى كرامة الصــــغار والضــــعفاء ، ويورث اليتامى والنساء ، ويعطيهم جميعا حقوقهم غير منقوصـــة •• كما صان كرامة المرأة بوجه خاص ، فأنصـــــفها واعترف بآدميتها وقرر لها حقوقها فى شتى مجالات الحياة •• !!

*** * الاهتمام بالدين والوصية :**

ثم ظهــــر أن الله تعالى ــ قد أعطى الدين والوصية ــ مزيدا من عنايته وارشــاده •• وجعل الوفاء بهما من التركة مقــدما على توزيع أنصبة الورثة ــ فقد نص ــ جــل جلاله ــ على ذلك أربع مرات •• مرة فى آية : « **يوصـــيكم الله فى أولادكم** •• » فى قـــوله « **من بعد وصــــــية يوصى بهـــا أو دين** » أما المرات الثلاث الباقية ففى آية « **ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد** •• » فقد ورد فيها قوله تعالى « **من بعد وصية يوصين بها أو دين** » •• وقوله تعــــالى : « **من بعد وصـــية توصـــون بها أو دين** » وقوله تعالى « **من بعد وصية يوصى بها أو دين** » •• !!

أربــــع مرات اذن ــ ورد ذكــــر الوصــــــية والدين ــ فى حالات مختلفة من الميراث وفى كل حالة من تلك الحالات قدم الدين والوصية •• للوفاء بالدين ولتنفيذ الوصية قبل التوريث •• !

أما الدين ، فهو يتعلق بحــــق الدائنين ، فلابد أن يرد اليهم ، الى أصحابه •• وأن يستوفى من مال المورث الذى استدانه •• وفاء بحق الدائن ، وتبرئة لذمة المدين •• ! والاســــلام الحنيف يعنى بابراء الذمــــــة من الــدين •• ليطمئن الدائنون الى الوفاء ، فى الحيـــــاة وبعد الموت •• وهـــــذا الاطمئنان ضرورى لايجـــاد الثقة التى تقوم عليها المعاملات بين الناس ، على أســـاس من الصـــــدق والشرف والامانة •• وبذلك تنتظم أمـــــور الحياة •• !

وهكذا تكون نظافة الاســلام ، وطهارة الايمان •• وتكون الحياة الآمنة فى ظلها الظليل •• !!

وأما الوصــية فقد تعلقت بها ارادة المورث لحكمة يراها •• وقد جعلت أصلا لمعاونة المعوزين ، من المحجوبين من الارث •• ولتوثيــق العلاقات بينهم وبين الورثة ••

هذا •• والوصــية لا تكون لوارث ، ولا تنفــذ فى غير الثلث الا اذا أجــازها الورثة حتى لا يجحف المــورث بورثتــه فى وصيته ، ولا يضار الورثة بها •• ولذا جاءت كلمة « غير مضار » فى آخر تنبيه •• !!

أما أن الوصــية لا تنفذ فى غير الثلث ، فاســتنادا الى حديث « سعد بن أبى وقاص » فقد جاء فيه أنه ــ رضى الله عنه ــ آتى رســول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يسأله أأوصى بمالى كله يا رســول الله ؟ فقال : لا • قال فبنصفه ؟ قال : لا • قال : فبالثلث ؟ قال : بالثلث والثلث كثير •• انك ان تذر ورثتك أغنياء خــير من أن تدعهم عالة يتكففــون الناس • »

وكان سعد ليس له ولد ساعتها فقال له الرســول صلى الله عليه وسلم « لعل الله أن يعطيك من الاولاد ما تقر به عيناك » • قالوا : فكان له رضى الله عنــه ــ من الاولاد أكثر من عشرة ••

*** * آباؤكم وأبناؤكم :**

ثم شــدتنى الآية الكريمة الى قوله تعــالى « **آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا** » •

انها تعبير موجز •• لكنــه فى منتهى البلاغة •• بما يحمــل فى طياته من غزارة المعانى ، ووضوح الدلالة •• أنه يحمل ضمن ما يحمل تحذيرا للقائمين على التوريث من محاباة الآباء على حساب الأبناء •• أو محاباة الأبناء على حساب الآباء •• أو بعض الأبناء على حســاب البعض الآخر •• الخ • الى غــير ذلك من المخالفات المؤسفة فى دنيا الأهواء والعواطف والشــهوات ، والمفارقات الضــارة بالمورثين وبالورثة على حد ســواء •• من أولئــك المنحرفين الذين لا يلتزمون بفــرائض الله •• ولا يعجبهم شرع الله •• !!

وان فى قوله تعالى ((**لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا**)) دعوة لعباده بالتزام شرعه •• ونذيرا لهم بسوء ما سيلاقون من جزاء المخالفة والجهل بحقائق الأمور ، وبما قد يحدث من تقلب القلوب ، وتغير النفوس بعد التصرف الخاطىء فى الأموال •• وتعذر الاصلاح بعد فوات الأوان •• فكأن الله سبحانه يقول للمورثين حسب أهوائهم : ان الأمور قد تتغير ، والقلوب قد تتقلب ، فيبتعد عنهم من الأبناء من كان مقربا ، ويدنو من كان مبعدا ، ويعطف عليهم من حرموه ، ويقسو عليهم من آثروه • وانه بعد توزيع الثروة وتمليكها لمن يستحق ومن لا يستحق •• قد يطول بهم الأجل ، ويشتد المرض ، فلا يجدون من مالهم شيئا ، ولا يجدون من يمد لهم يد العون ، أو يسأل عنهم مجرد سؤال • فيذوقون وبال أمرهم ، وتكون عاقبتهم خسرا وعذابا أليما •• !!

هذا بعض ما يحدث فعلا فى واقع الحياة لهؤلاء الذين يتعجلون التوريث بالباطل ، ويخالفون فى توريثهم أمر الله ، ووصيته وفريضته ، بجانب ما يشاهد من العداوات والأحقاد بين الآباء والأبناء ــ وبين الاخوة والأخوات •• وما أبشع ما يرتكب فيما بينهم من حماقات •• ان دلت على شىء فانما تدل على تجرد النفوس من انسانيتها ، وتحولها الى نفسيات ذئاب مفترسة جائعة •• لا تبقى ولا تذر •• !!

لقد حسم الله الأمر كله بهذا التعبير الموجز المعجز ، ليطمئن قلوب عباده ، وليسلموا قيادهم له وحده لا شريك له ــ بنفى الدراية عن عباده بمن هو أقرب نفعا ــ لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا » واذا كان الأمر كذلك •• وكان الله وحده هو الأدرى والاعلم بما هو أنفع وبمن هو أنفع ، فلابد من التسليم له واتباع ما أنزل من قرآنه ، والعمل بأحكامه •• ففى ذلك التسليم والاتباع سلامنا وخيرنا وأمننا •• فى ديننا ودنيانا وأخرانا •• !!

*** * والله عليم حليم :**

تعبير كريم جاء ختاما للآية

الثانية فى التوريث .. وهو يحمل وصفين جليلين لله المشرع الحكيم ــ هما كما وصف الله بالعليم والحليم : وهما يحملان انذارا مرعبا رهيبا يوقظ الغافلين ، ويزعج النائمين ، ويرهب الظالمين .. ويدعوهم فى عنف وجبروت .. لا فى رقة اللفظ وعذوبته ــ الى تقوى الله ، والعمل على اتقاء غضبه بالتزام شرعه ، والوقوف عند حدوده . كما يحذر المخالفين العاصين من عواقب المخالفة والعصيان ــ فهو سبحانه العليم بما ينفع الناس وبما يضرهم ــ المطلع على ما كان وما سيكون منهم .. فعلمه محيط شامل . لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء .. والله يقضى بالحق .. !!

وهو سبحانه الحليم الذى يمهل ولا يهمل .. فهو لا يعجل بعقوبة العصاة والمذنبين بل يعطيهم فرصا كثيرة للتوبة والاستغفار ، حتى اذا ما تمادوا فى غيهم وضلالهم .. وكفروا بأنعم الله عليهم ، وضيعوا الفرص التى أتيحت لهم غضب عليهم ، وانتقم منهم ، فهو سبحانه عزيز ذو انتقام .

وهم بظلمهم وكثرة غيهم وطول عناءهم ، وتمردهم على الله ونسيانهم له .. وكفرهم به لا يستحقون حلمه ورحمته .. بل يستأهلون غضبه ونقمته .. وصدق الله العظيم **« سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ، وأملى لهم ان كيدى متين »** وصدق رسوله الكريم « ان الله ليملى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته » .. !!

هذا وانى بعد ذلك لأسأل المعتدين الظالمين وأرجو أن يصدقونى الجواب : هل يزيد العدوان أرزاقهم ؟ أو يطيل العصيان أعمارهم ؟ أو يبارك لهم فى أولادهم أو فى صحتهم وعافيتهم ؟

ان لسان لينطق بالحق . ان الحرام لا يدوم وان طال بقاؤه دمر كل شىء . فكم من بيوت كانت عامرة فصارت خرابا ــ **« فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا »** .. وان القلب سرعان ما تتوقف

دقاته فتنتهى الحيـــاة • كما أن الأنفاس قـد تخرج فـلا تعود ، أو تدخل فتتوقف عن الخروج • فيكون الانتقال من دار البلاء الى دار الجزاء • وهنالك لا ينفع مال ولا بنـــون الا من أتى الله بقلب سليم •• هنالك يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، لكل امرىء منهم شأن يغنيه •• !!

*** * الخلود فى نار جهنم :**

ثم يكـون حكم الله بتعـذيب هؤلاء العصاة المتعدين حدود الله ــ فى نار جهنم خالدين فيهـــا ، كما جاء فى قوله تعالى ((**ومن يعص الله ورســوله ، ويتعد حدوده • يدخله نارا خالدا فيها ، وله عذاب مهين**)) •

ان الخلود فى نار جهنم يراد به فى الآية معنيان :

أولهما : الخلود الـدائم فى نار جهنم ••

وثانيهما : المكث الطـويل فى نار جهنم •• فان كان المراد به ــ خلود العصاة الدائم فى العذاب المهين فى نار جهنم لا يبرحونهـــا أبدا ــ كما هو شأن الكافرين والمشركين ــ فمعناه أن حياة العصـــاة المذنبين الرافضين لنظام الاســـلام فى التوريث حياة تنذر بســوء الخاتمة •• وأنها قد تنتهى بشركهم والعياذ بالله ••

وليس هذا بمستبعد ، لأن الذين يستبيحون اغتصاب حقوق الضعفاء من النساء وغيرهن هم فى الحقيقة غير مؤمنين بالله خالقا ورازقا وغنيا ومغنيا وناصرا ومعينـــا •• وهم يرون أن الغنى لا يأتيهم من الله ، وانما يأتيهم من هــــذه الأموال المغصـــوبة ، والحقوق المنهوبة • والا لما اغتصـبوها ولا انتهبوها • فهم باجرامهم وبشـــاعة ظلمهم ، واسرافهم على أنفسهم ، وقنوطهم من رحمة الله أو شـــكهم فيها واعتمادهم على غير الله فى حياتهم يعتبرون ممن يشركون مع الله آلهة أخرى ــ هى آلهة المال والجـــاه يعبدونها مع الله أو من دون الله فانتهى أمرهم الى الشرك والعيـاذ بالله فاستحقوا عذاب المشركين فى نار جهنم خالدين فيها أبدا •• !!

أما اذا أريد بالخلود ــ المكث الطويل فى نار جهنم وبئس المصير

ــ فهو خلود مهما كانت مدته التى يعلمها الله لا يمكن أن يطيقه انسان أو يحتمله بشر • فأيام الآخرة غير أيام الدنيـــا •• من حيث الزمن أو مقـــدار الوقت •• أليس الله يقول : ((**وان يوما عند ربك كألف ســـنة مما تعدون**)) ؟ فهل يطيق الظالمون هـــذا العذاب الاليم ــ ماكثين فيه أبدا ، أو ما كثين فيه هذا المكث الطويل ؟ !!

ألا ما أصبرهم على النار •• !! ان العمر لقصير ، والمتاع فى الدنيا قليل •• ولا فـــرار من المـــوت ، ولا نجاة منه ، ولن يخلف الله وعده ولا وعيده ، وما بعد الدنيا من دار الا الجنـــة أو النار •• وليس الى الحياة الدنيا من عودة بعد أن أنهى الله بالنسبة لها المدة ، وأضاع من أضاع فيها على نفسه الفرصة ••

فاللهم اهدنا صراطك المستقيم ، وحبب الينا العمل بشرعك القويم ــ ووفقنا بفضلك ورضاك لما فيه خيرنا وخير الاســـلام والمسلمين اللهم آمين ••

عبد الحميد الفضالى

((رجل الدنيا وواحدها))

من منحه الله عمرا طويلا ، ونظرا صـــحيحا وسبر أصناف العباد ، وطاف أقطار البلاد ، وأبعد نفســـه عن خطة الشهوات ، وقمعها عن ارتكـــاب قبيح الملذات فـــلا محالة يكون رجل الدنيا وواحدها ؛ وهـــو المعنى يقـــول الشاعر ((ابن هانىء)) :

ليس على الله بمستنكر . . أن يجمع العالم فى واحـــد

الهجـــرة .. وبناء الحضارة الانسانية

للأستاذ / عبد الحكيم النجار

ان لكل أمة فى ماضيها حوادث وعلامات بارزة مضيئة .. ومواقف حاسمة رائعة صـــلبة.. تملى على تلك الامة لونا من السلوك .. يتمم ما بدأته الاجيال الســـــابقة .. وينســـــج على منوالها .. وهذه ناحية مشتركة فى الأمم ثم يتميز بعدئذ بعضها عن الآخر .. بحسب وضوح ذلك الماضى واشراقاته ..

وأمتنا الاسلامية فى طليعة الامم التى تملك ماضيا مزدهرا من العزة والقوة .. وصـــــفحات خالدة من البطولات والحضارات التى عاش عليها العالم أجمـــع حتى عصرنا الحاضر .. وان أروع تلك المواقف الفذة المضـــــيئة فى تاريخ امتنا الاسلامية حادثة الهجرة التى قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتى تعتبر أبرز علامة فى التاريخ الاســـــلامى كله .. لما فيها من بطولات وتضـــحيات وقيم للحياة جميعها ..

وتعتبر حادثة الهجـــــرة ثالثة الحوادث الكبرى فى فجر التاريخ الاسلامى ..

أولها مولد الرسول العظيم معلم الدنيا وواحدها .. وثانيهما نزول القرآن دستور الحياة .. ثم كانت الهجرة النبوية التى مهدت لتكوين المجتمع الانســــــانى فى المدينة وانطلقت من هــــذا المركز الهام الدعوة للعالم أجمـــع .. وانتشر الاســـــلام فى ربوع الجـــزيرة العربية ..

* وقد اشتمل حادث الهجرة على عظات ودروس ومفاهيم تحمل معانى الكفاح والجهاد والتضحية فى سبيل المبدأ والعقيدة ..

* وكان من نتائج الهجرة أن صار للاسلام دولة .. وصارت له قوة ..

* وكانت الهجرة المقدمة الرائعة التى كتبها الرسول لانتصارات الاسلام الكبرى فى تاريخه العظيم من أجل بناء الحضارة .. واعزاز الفكر .. وسيادة الكلمة .. بل كانت ومازالت مقدمة مهدت لكل مآثر الاسلام فى خدمة الحياة الانسانية والشعوب وفى اعزاز قيم الحياة ومثلها العليا من أجل نشر الاخاء والسلام والمساواة والعدل فى الارض .. فلا غرو أن ترتفع فى سماء المدينة لأول مرة بعد الهجرة راية العدل والحق والمساواة .. وأن تعمر وتنعم أرضها بالسلام بين أهليها المسلمين .. وأن تصبح موطن قوة قوامها العقيدة الراسخة والكفاح الدائب .. والتعبئة الكاملة وظهرت الروابط الوثيقة التى ألفت بين المهاجرين والانصار ..

الايمان بالمستقبل

فلقد كان المسلمون قبل الهجرة يملكون أنصبة وافرة من الايمان بالمستقبل يعتقدون أن دينهم لن يغلب — وان ضعف اليوم لن يدوم !! ويؤدون فرائض الجهاد والبذل والعطاء وهم راضون عن ربهم راجون ما عنده ..

والمجاهدون فى سبيل الله بشر تجيش فى أنفسهم المشاعر التى تجيش فى نفوس غيرهم .. من تقدير للحياة وكفالة الاولاد .. وتأمين العيش لأنفسهم وأهليهم !! بيد أنهم وازنوا بين مطالب الحق .. وأشواق الدنيا ثم آثروا وعد الله بالعزة وتكريم الانسان ..

الصراع النفسى

ونستعرض معا هذا الحديث الذى يصور لنا الصراع النفسى لدى أنصار الحق .. وكيف

يخرجون منه أوفياء لله •• للحق وبالحق ومن أجل الحق ••

عن (سـيرة) ابن (الفاكه) رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(ان الشيطان قعد لابن آدم بطريق الاسلام فقال : تسلم وتذر دينك ودين آبائك) ؟

فعصاه ، فأسلم •• فغفر له !

وقعد له بطريق الهجرة : فقال له : تهاجر • وتذر دارك وأرضك وسماءك ؟ فعصاه فهاجر •

قعد له بطريق الجهاد فقال : تجاهد وهو جهد النفس والمال • فتقاتل فتقتل ، فتنكح المرأة ويقسم المال فعصاه • فجاهد •

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم • فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة •• وان غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة — وان وقصته دابة كان حقا على الله أن يدخله الجنة •• هذه طبيعة ونتائج الاستمساك بالحق والتفانى فى نصرته ••

كلمة الحق

والمسلمون الأوائل لم تنقصهم الثقة فى مستقبل الدعوة التى آمنوا بها •• ومن أجل ذلك هاجروا وخاضوا الحروب وبذلوا النفس والمال والولد فى سبيل اعلاء كلمة الحق والعدل والنهوض بحقوق الدين الجديد •• الذى انطلقت دعوته فى جميع الأرجاء ••

كلمة أخيرة ••

لم تكن الهجرة خوفا على النفس •• أو هروبا من ميدان الكفاح •• كما يدعى بعض المستشرقين الحاقدين على مكانة الاسلام •• ولكنها كانت بوحى من السماء لحماية الدعوة التى حملها رسول الانسانية صلى الله عليه وسلم وأبلغها عن ربه العظيم •• الواحد الأحد ••

ان الهجرة فى مدلولها الواسع

الشاسع وفى حقيقتها وواقعها الحى تتلخص فى كلمات منيرة اهمها ٠٠

* هجرة النفس لما تأباه ٠٠

* وهجرة القلب لما ينكره ٠٠

* وهجرة العقل لما يفسده ٠٠

* وهجرة الأرواح لما ينسجم معهــا ٠٠

وهـــــذه الهجرات المعنوية هى نتيجة طبيعية لجوهر الاســـــلام ورســــالته الخالدة خلود الزمن الباقى من الــــزمن والتى أنارت الدنيا بنور الحــق والعدل والكمال والجمال ٠٠

والله من وراء قصدنا وهو نعم المولى ونعم النصير ٠٠

عبد الحكيم النجار

« المتحالم »

قيل للأحنف ما أحلمك قال : لســت حليمــا ولكنى أتحالم ٠ والله انى لأسمع الكلمة فأحم لها ثلاثا مايمنعنى من جوابها الا الخوف منأن أسمع ماهو شر منها ٠

أم معبد

للدكتور / محمد محمد الشرقاوى

أفردت كتب السـيرة جميعهـا مكانا مرموقا ، وأسطرا مضـيئة لأم معبد ، وخيمتها •• تلك التى كانت عـلامة بارزة على طـريق الهجرة النبوية الشريفة ، وسجلا تاريخيا لمـا دار فى جنباتهـا من حديث ، وحدث : فأما الحديث فقد تقارضـه زوج أم معبـد واسمه أكثم — كما فى بعض الروايات — مع زوجته •• متعجبا فى أوله •• مؤمنا فى نهايته •• ملما بين البدء والنهاية بملامح الشخصية النبوية المهاجرة •• من وصف زوجته لها ، وتحديدها لمعالمها فى دقة بـارعة ، ولهجة صـادقة •• جعلت بعض السامعين له يسألونها : — كمـا فى الأجوبة المسكتة لابن عـون — ما بال صفتك لرسول الله صـلى الله عليه وسلم أشبه من سـائر صفات من وصفة من الرجال •• ؟ فقالت : أما علمتم أن نظر المـرأة من الرجل أشفى من نظر الرجل الى الرجل ، وأما الحـديث فهـو مـا دار فى تضـاعيف ذلك ممـا سنقصه عليك •

أصبح الناس يوما فى مكة وهم يسمعون صوتا ناغما ، ولحنا عربيا صميما •• يردد على أسـماعهم بيتين من الشعر •• يسـمعون الصوت ، ولا يرون صـاحبه ، ويطربون من وقع النشـيد ولا يدركون مصـدره •• حتى ان بعضـهم تبعـوه فى مسـيرته الهاتفية •• من أسـفل مكة الى أعلاها •• يسـتعيدونه معه حتى خرج من مكة •• وهـم فى عجب

عجيب ، وشك مريب .. أهذا صوت رجل مؤمن يكتم ايمانه من قريش ، خوفا منهم ، واتقاءلهم .. ؟ أم هو صوت الجن الذى كانوا يسندون اليه كثيرا من الأقوال الشعرية وغيرها .. حسبما درجت عليه الجاهلية ، واعتاده أهلها من حيث الشياطين لهم ، حين يوحون اليهم ، أو يتنبأون لهم .. أو يضلونهم بنقول الغيب ، قبل أن تعزل عنهم السماء بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم بالشهب والنجوم .. أما البيتان فهما :

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر .. ثم ترحلا
فأفلح من أمسى رفيق محمد (١) .

فأما أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما ومن كان على شاكلتها من أهل بيتها ، فقد أدركوا من ثنايا النشيد المنغوم ما سرى فيه من رموز وايحاءات .

وفى ذلك تقول — فيما رواه ابن اسحاق كما فى السير جـ ٢ : ٤ ، ٥ — (فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وأن وجهه الى المدينة .. وكنا مكثنا ثلاث ليال ، وما ندرى أين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب ، وأن الناس ليتبعونه .. يسمعون صوته ، وما يرونه ، حتى خرج من أعلى مكة .. وهو يقول .. ما يقول) وقد أورد ذلك ابن هشام فى سيرته ، ناسبا بعض الأبيات الى غير ابن اسحاق .. وفى ذلك يقول صاحب الهمزية :

وتغنت بمدحه الجن حتى
أطرب الانس منه ذاك الغناء

الا أن بعض كتاب السيرة المتأخرين قد استبعد صدور مثل ذلك القول من جن حقيقى .. فحمله على معناه المجازى وتأول قول أسماء بنت أبى بكر تأولا

١ — السيرة الحلبية جـ ٢

بعيدا ليس له عليه دليل ، ولا منه الى غيره مندوحة .. اذ قال (١) : ان المذكور فى رواية أسـماء ليس الا رجلا من المؤمنين يكتم ايمانه بمكة خوفا من بطش أهلها ، وأن ذلك اشارة من أسـماء الى الجن الذى يملى على كل شاعر شعره . كما كان العـرب يعتقدون ذلك ، وأن ذلك الرجل المؤمن كان يتسمع اخبار المهاجرين .. فكان يبـدى فرحته ، ويعرب عن مشاعره بهذا الشعر فى هذا الغنـاء المرسل .. سرورا بما يلقاه المهـاجرون من توفيق .. ولسـنا ندرى .. من أين جاء صاحب هذا القول بهـذا الرأى الذى لم يشاركه فيه غيره، أهو اسـتبعاد حقيقة الجـن من حياة الانس ، أم مجرد احتمـال عقلى لا دليـل عليه الا ما عـلق بذهنه من خيـالات الشـعراء وأوهامهم الـذين كانوا يعـربون عن غرائب ما اعتمل فى قرائحهم من شعر معجب بأنه من أحاديث الجن وليس من بنـات أفكارهم ، ولا من صنع فنونهم .. أننا نرى ولا سيما فى هـذا المقام المتعلق بالنبوة والرسالة وما يكتنفهما من امكانيات المعجزة ــ انه ليس كل احتمال عقلى جائز الورود لمجرد الاعتماد على أقاويل الشـعراء ، وأفـانين المفتـونين .. وانمـا الاحتمال الجدير بالنظر هنا هو ما استند الى دليل سمعى صـحيح تدعمـه قـوة الحجـة ، ومنطق الاستدلال .. وهذا هو ما يؤيـد قول أسماء رضى الله عنها وحمله عـلى حقيقتـه دون اللجـوء فى تفسير قولها الى المجـاز المفتقر الى القرينة .. فقد وصفت ذلك الرجـل الجنى بأن القـــوم (يسمعون صوته وما يرونه) .. وهذا يتفق مع قول الله تعالى فى حديثه عن الجن : **(انه يراكـم هو وقبيـله من حيث لا ترونهم)** وقوله تعالى : **(وان الشـياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم)** وكان من المعتاد فى أعراف العرب الى وقت قريب أحـاديث الجـن

---

١ ــ فقه السيرة : ١٧٤

تلقى اليهم عن طريق التقمص بالأصنام والأوثان حاملة لهم أخبارا ببعض الغيوب المسترقة من السماء حين كان للجن فسحة فى القعود منها مقاعد للسمع قبل بعثة الرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان الحراسة على أنباء السماء فى ذلك الحين لم تكن من القوة والشمول الى الحد الذى يمنع ذلك على الاطلاق .. فكان المشركون وعباد الأصنام يزدادون بذلك ضلالا الى ضلال ، وغيا على غى .. ولم يكن حديث الجن للانس مستغربا فى تلك البيئة ، ولا مستبعدا فى مجالات الحياة . حتى بعث الرسول صلى الله عليه وسلم فكان من علامات بعثته ، وعظائم معجزاته تشديد الحراسة على السماء حتى لا يسترق عندها السمع ، ولا تتلقف منها أخبار الغيوب وهذا ما حكاه القرآن الكريم . وذكرته السنة الصحيحة .. ففى سورة الجن(١) يقول الله تعالى : **(وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا)** ويقول تعالى فى سورة الملك (٢) : **(ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير)** ففى تفسير الجلالين صحيفة ٧٤٩ : (اذا استرقوا السمع بأن ينفصل شهاب عن الكواكب كالقبس يؤخذ من النار فيقتل الجنى أو يخبله . لا أن الكوكب يزول عن مكانه) ، وذكر أبو نعيم فى الدلائل من حديث ابن عباس رضى الله عنهما فى استراق الجن السمع ليلقوه الى أوليائهم : (فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم دحروا بالنجوم) .. ولذا عبرت أسماء برجل من الجن يرفع عقيرته بهذا الشعر .. وأن الناس تبعوا هذا الهاتف غير المرئى وهم يسمعون صوته من حيث لا يرون صورته . حتى خرج من أعلى مكة وفارقهم وهم له سامعون .. ، فاذا أضفنا الى هذا أننا بصدد الحديث عن

---

١ ــ آية ٩ (٢) ــ آية ٥

نبى كريم أحـــاطه اللـــه تعـــالى برعايته ، وكلأه بعنايته ، وجعــل له معجــزات لاثبات وجــوده ، وتأكيد صدق دعوته لم نستبعد ، ولا يليق أن نســـتبعد أن هـــذا المتحدث الهـــاتف كان رجـــلا من رجال الجن على نحـــو ما ذكرت أسماء بلا تجوز ، ولا تأول ، ولا استبعاد .

والبيتان يشـــيران الى واقعـــة عرضت للرســـول صلى الله عليه وسلم ابان رحلته التاريخيـــة فى طريقه من مكة الى المدينة مهاجرا الى ربه فى صحبة ثلاثة : صاحبه الصديق أبى بكر رضى الله عنه ، وعـــامر بن فهيرة ليخـــــدمهما ، وعبدالله بن أريقط ليدلهمـــــا ، ويسلك بهما طريقا غير معتـــادة ، تعمية على المشركين ، ومبالغة فى الحيطـــة والحـــذر .. اذ كانت قريش تد جن جنونها ، وفقـــدت أعصـــابها حين اكتشفت خـــروج النبى من بين أظهـــرها من حيث تدرى أولا تـــدرى .. فلم تـــأل جهدا فى البحث عنه ومطاردته فى بطون الأودية ، ومخارم الجبال ، ورصدت لذلك المـــال الوفـــير ، والجهد الكبـــير للظفـــر بمحمـــد وصاحبه حيين أوميتين .. وقـــد نجحت خطة دليل الرحلـــة أيمـــا نجاح ، وانقطعت أخبار القـــافلة المهاجرة .. التى ظلت تنتقل من درب الى درب ، ومن طـــــريق مهجور الى مسلك مغمور .. حتى بلغت منازل خزاعة فى قديد ، وهو نفس المـــكان الذى أدرك فيـــه سراقة الرسول صلى الله عليـــه وسلم وصاحبه وحـــدث بينهمـــا ما حدث .. بيد أنهما فى الجانب الآخر منـــه مما يلى المدينـــة .. ونزل الركب عند خيمة أم معبـــد التى خلدتها احـــداث الهجـــرة ، وكتبت لها فى سجل المجد والشرف أروع أقصـــوصـــــة ، وأمتـــع أحـــدوثة .. كـــانت أم معبـــد واســـمها عاتـــكة امـــرأة بـــرزة لا تحتجب عن الرجال بل تجالسهم وتتحدث اليهم فى عفة وشرف .. وكانت جلدة أهلتها جلســـتها تلك الأن تـــكون ذات طـــاقة وقـــوة واحتمـــال .. وكانت تختبىء فى

كسر خيمتهـا فى بعض الطـريق الـذى يسـلكه عـادة المـارة والمسـافرون ليجدوا عنـدها ما يتبلغون به فى رحيلهم من طعام أو شراب أو لبن أو نحو ذلك •• وكانت تتكسـب منذلك •• وهى فى ذلك أشبه ما تكون بمحطـات الاستراحة اليوم (الرست هاوس) فى طريق المسافرين ••

وسألها الرسول صلى الله عليه وسـلم حين نزل هو وأصـحابه عندها عن شىء يشـترونه فلم يجـدوا عنـدها غناء •• اذ كان الوقت وقت جدب وقحط واملاق وقالت لهم : (لو كان عندنا شىء ما أعوزكم القرى) ونظر الرسول صلى الله عليه وسلم الى شـاة فى كسر خيمتها فسألها : ما هـذه الشاة قالت : شـاة خلفها الجهد عن الغنم •• فقال : هل بها مـن لبن ؟ •• قالت : هى أجهد مـن ذلك •• قـال : ألا تأذنـين فى حلبها ؟ قالت : والله ما ضربها من فحل قط •• فشأنك •• أى أصلح شأنك بها •• ان رأيت فيها حلبا فاحلبها •• فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة ، ومسح ضرعها بيده الشريفة ، وذكر اسم الله تعالى وقال : اللهم بارك لنا فى شاتنا •• فـدرت واجتـرت ونفاجحت •• أى فتحت ما بـين رجليها للحلب ، ودعا باناء يكفى الرهط •• فحلب فيه ثجا •• أى بقوة حتى علته الثمـالة •• أى الرغـوة •• فحلب فيـه حتى امتلأ •• فسـقاها ، وحـاولت تقديمه فى السقى فلم يرض •• ثم سقى أصحابه حتى رووا عللا بعد نهل •• وشرب هو صلى الله عليه وسلم آخرهم قائلا : ساقى القوم آخرهم •• ثم حلب ثانيا ، وترك الانـاء مملـوءا لبنـا ثم ارتحلوا عنها •• وفى ذلك يقـول السبكى فى تائيته :

مسحت على شاة لدى أم معبد
بجهـد فألفتهـا أدر حلـوبة

ويقول صاحب الهمزية فى وصف راحته الشريفة :

درت الشـاة حين مرت عليها
فلهـا ثـرة بهـا ونمـاء

عاد بعد ذلك زوجها أبو معبد واسمه أكثم فى بعض الروايات ، ومعه أعنزه العجـاف فراعه مـا رأى : امرأة يفيض وجهها سرورا وانفعالا واناء مملوء لبنا خالصـا سائغا للشاربين فسأل زوجته من أين لكم هذا والشـاة عازب ولا حلوبة عندنا ؟ قالت : لا والله .. الا أنه مربنا رجل مبـارك كان من حديثه أن طلب الشاة ودعا فدرت واجتـرت ، وقـال : واللـه انى لأراه صـاحب قريش الذى يطلب ، ولو رأيتـه لا تبعتـه ، ولأجتهدن أن أفعل ، صـفيه لى يا أم معبد قالت : ظاهر الوضاءة، منبلج الوجه (أى مشرقة) حسن الخلق ، لم تعبه ثجلة (أى كبـر البطن وضخامتها) ، ولم تزريـه صعلة (أى لم يقـلل من قيمتـه صغر رأسـه) كأن عنقـه ابريق فضة (والا بريق هنا هو السيف الشديد البريق) وسيم قسيم ، فى عينيه دعج (شدة سواد العين وكان بياض عينه صلى الله عليه وسلم مختلطا بشىء من الحمـرة علامة على الشـهامة التى هى من دلائل النبوة) وفى أشفاره وطف (أى على حروف أجفانه ينبت شعر طويل) ؛ وفى صوته صحل (أى بحة من أثر السفر) ، أحور أكحل، أزج أقرن (الازج : دقيق طرف الحاجب ؛ والأقرن : متشـابك الحاجبين) شديد سواد الشعر ، فى عنقه سـطح (أى نور) وفى لحيته كثـاثة (أى لا طويلة ولا دقيقة) اذا صمت فعليه الوقار ، واذا تكلم سـما به (أى فـاق جلساءه) وعلاه البهـاء .. كأن منطقه خرزات نظم ينحدرن ، حلو المنطق ، فصل لا نزر ولا هذر ، أجهـر الناس (أى أظهرهـم) وأجملهم من بعيـد ، وأحـلاهم وأحسنهم من قريب ، ربعة (أى بين القصير والطويل) لا تشنؤه من طول (أى لا تبغضـه) ولا تقتحمه عين من قصر .. غصن بين غصنين (أى اذا كان بين اثنين كان أنضر الثلاثة منظرا وأحسـنهم قدرا) له رفقاء يحفون به .. اذا

قال استمعوا لقوله ، واذا أمر تبادروا الى أمره) ، وقد جاء فى شرح السنة للبغوى : (أنها هاجرت وزوجها وأسلما كما أسلم أخوها حبيش واستشهد عام الفتح) •• وكان لهذه الحادثة حادثة مشابهة لشاة حائل مسح الرسول صلى الله عليه وسلم بيده عليها فدرت وكان ذلك سببا فى اسلام ابن مسعود رضى الله عنه (رواه أحمد من حديث ابن مسعود باسناد جيد) كما فى العراقى على الاحياء جـ ٢ : ٣٣٤) ، وفى تاريخ العينى شارح البخارى : (أن قريشا فى طلبها الرسول صلى الله عليه وسلم بلغوا أم معبد وسألوها ووصفوه لها •• فقالت : ما أدرى ما تقولون ضافنى حالب الحائل•• فقالوا : ذلك الذى نريده •• وبعد •• فهذه أم معبد ، وتلك خيمتها وشاتها قد نطقت بذكرهم أهازيج الصحراء ، ونسجت قصتهم بيد السماء ، وتعطرت بأحاديثهم محافل الأرضين ••

واذا أراد الله نشر فضيلة طويت
أتاح لها لسان حسود

دكتور / محمد محمد الشرقاوى

« الأدب أفضل من العلم »

الأدب الكثير مع العلم القليل خير من العلم الكثير مع الأدب القليل ، فأن قليل الأدب لا يعبأ به ، ولا يؤخذ عنه ، ولو أخذ عنه للحاجة كان النفع به قليلا ، وأقل ضرر ينشأ من قلة أدبه يفسد الأخلاق ، وقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم ــ ليتمم مكارم الأخلاق •

الأمن

ومقاومة الجاسوسية والتخريب في ضوء الإسلام

للواء محمد جمال الدين محفوظ

اللسان وأمانة الكلمة :

من المبادىء المعروفة أن الامة التى تكتم أسرارها الحربية هى الأمة التى يمكن أن تنتصر ، والأمة التى لاتكتم أسرارها الحربية هى الأمة التى لا يمكن أن تنتصر وما يقال عن الأمة يقال عن الافراد ، لأن الأمة تتكون من أفراد ٠

اللسان الذى هو نعمة من نعم الله على عباده ، يستطيعون به التعبير عن آرائهم وتبادل المنافع مع الناس هو وسيلة الخير والسعادة فى الدنيا والآخرة اذا أحسن استعماله ، كما أنه سبب قوى للشر والشقاء فى الدارين اذا أسىء استعماله فهو سلاح ذو حدين يمكن به النفع ويمكن به الضر ٠٠ والقرآن الكريم ينبىء بأن كل لفظ من الانسان مسجل عليه ، فيقول الله — تعالى :

« ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » (ق ١٨) ٠

فالكلمة امانة عظمى لها مكانتها فى الاسلام ، وتقدير امرها ، والتدبر فيها قبل اللفظ بها مرتبط بالايمان كما يفهم من قول النبى صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » ٠

ويقول الله — تعالى — :

« ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ،تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ، « ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة

اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار » • (ابراهيم ٢٤ — ٢٦)

والمراد بالكلمة الطيبة شهادة ألا اله الا الله ، وقيل : دعوة الاسلام ، وقيل : كل كلمة حسنة ، والمراد بالكلمة الخبيثة : كلمة الكفر ، أو الدعاء اليه أو الكذب أو كل كلمة لا يرضاها الله — تعالى •

وافشاء الأسرار التى تعود على الأفراد والأمم بالأضرار من الكلام الذى لايرضاه الله — تعالى — ، وكذلك كل كلام فيه سعى بالفساد والافساد مندرج تحت الكلمة الخبيثة •

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم « ان أحدكم ليتكلم الكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغته فيكتب الله له بها رضوانه الى يوم القيامة ، وأن أحدكم ليتكلم الكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت • فيكتب الله عليه بها سخطه الى يوم يلقاه » •

وعن سفيان بن عبد الله الثقفى قال : قلت : يا رسول الله ، حدثنى بأمر أعتصم به ، قال « قل ربى الله ثم استقم » قال : قلت : يا رسول الله : وأخوف ماتخاف على ؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال « هذا » • كذلك قال عليه الصلاة والسلام « رحم الله امرأ أصلح من لسانه » •

كتمان الأسرار :

وينبه الاسلام الى اليقظة والحذر فى قوله — تعالى — : **«يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم»** من الآية ٧١ من سورة النساء (من آية النساء) وكما فى قول الرسول عليه الصلاة والسلام : «المؤمن كيس فطن» فاليقظة والحذر والوعى والفطنة كلها تدفع الى كتمان الأسرار التى جعلها الاسلام أمانة من الامانات يجب على المسلمين أن يحافظوا عليها ، كما قال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم** » (الأنفال ٢٧) وقال النبى عليه الصلاة والسلام « الا لا ايمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » وقا أيضا : « آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا ائتمن خان » •

وقال عليه الصلاة والسلام «اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهو أمانة » •

وقال : « انما يتجالس المتجالسان بالأمانة ، ولا يحل لأحدهما أن يفشى على صاحبه ما يكره » •

وقال « كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع » •

غرس وعى الأمن بالتربية والتوعية :

وكان الصحابه رضوان الله عليهم يعلمون أولادهم المحافظة على السر ، قال العباس بن عبد المطلب لابنه عبد الله : انى أرى هذا الرجل — يعنى عمر بن الخطاب — يقدمك على الأشياخ (يعنى كبار الصحابة) فاحفظ عنى خمسا :

لاتفشين له سرا ، ولا تغتابن عنده أحدا ، ولا يجربن عليك كذبا ، ولا تعصين له أمرا ، ولا يطلعن منك على خيانة •

وقال أنس بن مالك : أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألعب مع الغلمان ، فسلم علينا ، فبعثنى فى حاجة ، فأبطأت على أمى ، فلما جئت قالت : ما حبسك ؟ (أى أخرك) فقلت : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة • قالت : ماحاجته قلت : انها سر ، قالت : لا تخبرن بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا •

الصمت :

الصمت من أكبر أسباب الوقاية من افشاء الاسرار (والوقاية خير من العلاج) والاسلام يرشد الى الصمت ويدعو المسلمين اليه ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

— « من سره أن يسلم فليلزم الصمت » •

— « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » •

— « طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه ، وأنفق الفضل من ماله » •

— « الصمت حكم وقليل فاعله » •

— « امسك عليك لسانك » •

« من كف لسانه ستر الله عورته » •

كبح شهوة الكـــــلام (الثرثرة والتحدث بدون حرص) :

من الناس من تتحكم فيه شهوة الكلام أكثر مما تتحكم فيه شهوة الطعام ، فيستر جهله بادعاء العلم (وخاصة ببواطن الأمور) فيطلق لسانه فيما يعرف وفيما لا يعرف فلا يدع سرا الا أذاعه ، ولايتخيل حديثا الا جعله حقيقة ملموســـة ، ولا يتـــورع عن ترديد ما يلقى فى أذنيه من أبناء هدفها ايقاع الضرر بالأمة كالاشاعات وغيرها •

والاسلام ينهى عن ذلك كمـــا يفهم من قوله تعالى :

« **ومن الناس من يشترى لهـــو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ، ويتخذها هزوا أولئك لهـــم عذاب مهين**» (لقمان ٦) •

وقوله جل شأنه :

« **ومن الناس من يعجبك قولــــه فى الحياة الدنيا ويشهد الله عـــلى ما فى قلبه وهو ألد الخصام • واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرثوالنسل والله لايحب الفساد** »(البقرة ٢٠٤ ــ ٢٠٥)•

وقال النبى صلى الله عليه وسلم « المسلم من سلم المسلمون مـــن لسانه ويده » •

ــ وقال « من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه » •

ــ لاتتكلم فيما لا يعنيك فانـــه فضل (فضـــول) ولا آمن عليك الوزر ، ولا تتكلم فيما يعنيـــــك حتى تجد له موضعا » •

النهى عن التطفل :

من القواعـــد الاساســـــية فى الآداب الاسلامية أن يرعى المسلم أخاه المسلم ، فلا يظلمه ولا يخذله ولا يكشف سره ، ولايهتك ستره ، ولا يسخر منه ، ولا يتجسس عليه ومن تمام الايمان أن يحب لأخيه مايحبه لنفسه ، ويكره له ما يكره لها ، فلا يقتحم عليـــه بيته دون استئذان لأن للبيوت حرماتهـــا ، المصونة ، ولا يتدخل فى شـــئونه الخاصة لانها لا تعنيه ، بل تؤذيه وفى هذا التدخل هتك للأســـــتار وكشف للاسرار ، وانتهـــــاك للحرمات ، ولهذا كانت عقـــوبته من أشد العقوبات •

وذلك مايفهم من قوله تعالى :

« **يايها الذين آمنــوا لا تدخلوا**

بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون • فأن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم أرجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم » النور ٢٧ — ٢٨

وقوله جل شأنه :

« **أن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا ، والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما أكتسبوا فقد أحتملوا بهتانا وأثما مبينا** » (الأحزاب ٥٧ — ٥٨) •

وقال عليه الصلاه والسلام :

« **من أطلع فى بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم أن يفقئوا عينه** » •

— « **ايما رجل كشف ستراً فأدخل فيه بصره قبل أن يؤذن له فقد أتى حداً لا يحل له أن يأتيه ، ولو أن رجلا فقأ عينه لهدرت** » •

— « **اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع** » •

النهى عن الفضول :

ومن الناس من تستبد به شهوة الفضول ويحضره حب الاستطلاع على التدخل فيما يعنيه ومالا يعنيه من شئون الآخرين ، فتراه دائما يمد بصره ويرهف سمعه ، ويدس انفه فى كل أمر من الأمور ، وتراه ان وجد من الناس اعراضا عنه يسعى الى اشباع فضوله بالقاء الاسئلة فى الحاح والحاف ، وكل ذلك يتنافى مع مبدأ السرية والأمن ، ويؤدى الى كشف الأسرار ، لذلك نهى الاسلام عنه كما يفهم من قوله تعالى :

« **يا أيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء أن تبد لكم تسؤكم** » **(المائدة ١٠١)**

ومن قوله : « **رب أنى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين** » **(هود ٤٧)** •

وقوله جل شأنه :

« **يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه** » (الحجرات من الآية ١٢) •

وقوله :

« **يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا ألا قليلا** » (الأحزاب ٢٠) .

وقال النبى عليه الصلاة والسلام :

— « من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب فى أذنيه الآنك (أى الرصاص المذاب) يوم القيامة » .

— « يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه : لاتغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فانه من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته ، يفضحه فى بيته » .

— ونصح صلوات الله وسلامه عليه أصحابه فقال لهم « لايبلغنى أحد عن أحد من أصحابى شيئا ، فانى أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر » .

— « من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه » .

— « ذرونى ما تركتكم فانما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم وخلافهم على أنبيائهم ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها » .

ولقد أدى تمسك المسلمين بتعاليم الاسلام فى مجال الامن الى انه لم يرد فى تاريخ صدر الاسلام حوادث خيانه أو تخابر مع العدو .

دروس عملية فى الأمن من حياة النبى : —

والدروس العملية التى يستطيع المسلمون أن يتعلموها من النبى صلى الله عليه وسلم فى مجال السرية والأمن أكثر من أن تعد وتحصى :

فلقد كان من أسباب نجاح الدعوة الاسلامية أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بدأ سرا .

ولما شاهد على — رضى الله عنه — النبى يصلى هو وخديجة : رضى الله عنها — قال : يامحمد ماهذا ؟

قال : دين الله الذى اصطفى نفسه وبعث به رسله ، فأدعوك

الى الله وحده لا شريك لـــه والى عبادته وأن تكفر باللات والعزى.

فقــال على : ــ هــذا أمر لم أسمع به من قبل اليوم ، فلســت بقــاض أمرا حتى أحــدث به أبا طالب (أى أباه) .

لكن الرســول صلى الله عليه وسلم كره أن يفشى سر الدين قبل أن يستعلن أمره ، فقــال لــه : ياعــلى ، اذا لم تســلم فاكتم . فامتثــل عــلى للأمر حتى جــاء الرسول فى الصباح التالى وأعلن اسلامه وكتم ذلك عن أبيــه ولم يظهره .

ونحن نعــرف كيف خطط النبى صــلى الله عليــه وسلم للهجرة ، وكيف نفذها ، وكيف طبقت قواعد السرية والأمن على أكمل الوجوه ، سواء فى التخطيط أو فى التنفيذ ، وكيف أن ذلك كان من أهم أسباب نجاحها .

وعن كعب بن مالك رضى اللــه عنه أنه قال : « لم يكن رســول الله صلى الله عليه وســلم يريد غزوة الا ورى بغيرها « (ليجعــل الأمر سرا وليخدع العدو) .

ومن الأمثلــة العمليــة فى ذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما أراد تأديب بنى لحيان الذين غــدروا بدعاة المسلمين ــ وكانوا ستة من كبار الصحابة ــ أظهــر أنه يريد الشــام ، وتحرك فعلا بقــواته شمالا ، فلما اطمأن الى انتشــار أخبار تحركه الى الشمال باتجــاه الشام ، عاد راجعا باتجــاه مكــة مسرعا فى حركته حتى بلغ منــازل بنى لحيان ، ولكن بنى لحيان فروا الى رءوس الجبال ، واســتطاعوا النجاة بأرواحهم وأموالهم .

ومما يذكر أيضا فى هذا المجال قصة نعيم بن مسعود الغطفــانى الذى جاء النبى صلى الله عليــه وسلم فقال له النبى : « انما أنت رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعة » .

فقام نعيم بمهمته خير قيــــام ونجـــح فى التفريق بين القــوى الثلاث التى تجمعت لقتال المسلمين (قريش والقبائل العربية ومنهــا غطفان قبيلته ويهود بنى قريظة)، وكان مما ساعد على نجاح مهمته مراعاة مبدأ السرية والأمن :

فقد كتم النبى صلى الله عليه وسلم اسلام نعيم ، وكتم نعيم اسلامه فلم يعرف قومه ولا بنو قريظة ولا قريش عن اسلامه شيئا ، فلو لم يطبق الرسول صلى الله عليه وسلم مبدأ السرية والأمن ، ولو لم يطبقه نعيم ، فهل كان بامكان نعيم أن يقوم بهذا الدور الحاسم فى تفرقة صفوف الأحزاب ، ونزع الثقة من نفوسهم ؟

وقد ابتكر الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوب (الرسائل المكتوبة) مراعاة للسرية والأمن وحرمان أعداء المسلمين من الحصول على المعلومات التى تفيدهم عن تحركات المسلمين وأهدافهم .

فقد بعث صلوات الله وسلامه عليه سرية من المهاجرين قوامها اثنى عشر رجلا بقيادة عبد اللهبن جحش الأسدى فى مهمة استطلاعية ، وسلمه رسالة (مكتوبة) تحتوى على تفاصيل المهمة من حيث الهدف والمكان وغير ذلك من التعليمات ، وأمره الا يفتحها الا بعد أن يسير يومين .

وتعتبر غزوة الفتح من أروع الأمثلة التاريخية فى مجال السريه والأمن والكتمان : أن أقرب المقربين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو صاحبه أبو بكر الصديق ، أول من آمن به فى الاسلام ، كما أن عائشة بنت الصديق أبى بكر كانت أحب نسائه اليه ، ومع ذلك كانت عائشة لا تفشى لابيها شيئا عن سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو بكر الصديق وابنته عائشة لا يعلمان من أسرار رسول الله شيئا .

فحين عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة دخل على زوجته عائشة وقال لها : « جهزينا واخفى أمرك » وقال عليه الصلاة والسلام : « اللهم خذ من قريش الأخبار والعيون حتى نأتيهم بغتة » .

ودخل أبو بكر على ابنته عائشة رضى الله عنهما — وهى تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تعمل قمحا وسويقا

(المعروف بالفريك) ودقيقـا ، فقال : ياعائشة أهم رسول اللـه صلى الله عليه وسـلم أن يغزو ؟ قالت : ما أدرى ، لعله يريد بنى سليم ، لعله يريد ثقيفا ، لعله يريد هوازن . فاستعجمت عليـه حتى دخل رسول الله صلى الله عليـه وسلم فقال له أردت سفرا قـال: نعم . قال أفأتجهز ؟ قال : نعم . قال : فأين تريد يارسول الله ؟ قال قريشا وأخف ذلك يا أبا بكـر ، وأمر رسول الله صلى الله عليـه وسلم الناس بالجهـاز ، وأخفى عنهم الوجه (أى الاتجاه) الذى يريد .. حتى كان هناك من يظن أنه يريد الشام ومن يظن أنه يريد ثقيفـا ، ومن يظن أنـه يريد هوازن .. وقد احتـوت غـزوة الفتح على الكثير من اجـراءات الأمن التى كان لها أكبر الأثر فى تحقيق المباغتة الاستراتيجية وفتح مكة بلا قتال .

لواء محمد جمال الدين محفوظ

الى السادة الراغبين فى الاشتراك بالمجلة الاتصـال بتوزيع الأخبار فى بلادهم .

اللغة والمجتمع

للدكتور عبد الغفار حامد هلال

كتبت فى الجزء السابع من المجلة عدد رمضان ١٣٩٩ هـ ـ أغسطس ١٩٧٩ م مقالا فى هذا الموضوع (اللغة والمجتمع) من ص ١٧٦٤ ـ ١٨٧١ تكلمت فيه عن أهمية اللغة للمجتمع ومظـاهر ارتباطها به من جـانبين : الجانب الأول تحدثت فيه عن الصلة بين اللغة والمجتمع وأهمية ادراكها فى الكشف عن خصائص الجماعات البشرية ، والثانى تناولت فيه العلاقة بين الفرد والمجتمع ومدى ارتباطهما باللغة تأثرا وتأثيرا ٠

وقد حللت هناك كثيرا من مظاهر تأثر وتأثير الفرد فىاللغة من ناحية الأصوات والمفردات والتراكيب ٠

ففى الأصوات بينت من خلال جولات الباحثين أن اللغة لاتخلو من أثر صوتى للفرد يؤثر فيها ويتأثر بها حسب البيئات المتعددة التى يعيش فيها والظروف اللغوية والاجتماعية التى يمر بها ولذا فان التطور الصوتى للغة يعود فى بعض نواحيه الى الأفراد ٠

أما أثر الفرد فى المفردات والتراكيب فهو واقع لغـوى يعترف به الباحثون ٠

ولعلك ـ أيها القارىء الكريم ـ قد اطلعت على هذا البحث المنشور ويمكنك معرفة مزيد من التفصـيل اذا رجعت اليـه فى عـدد المجـلة المشـار اليه ٠

والمقال الذى نحن بصدده اليوم امتداد لسابقه فهو مكمل له وأحد جوانبه التى تقيم أسسا للعلاقة بين اللغة والمجتمع ، ونتناول فيــه آثار المجتمع فى اللغة ــ بعد أن تناولنا آثار الفرد فيها ، فنقول وبالله التوفيق ·

للغة ارتباط وثيق بالمجتمع تؤكده الظواهر التى نلحظها فى أصــوات اللغة ، ومفرداتها ، وتراكيبها ، واذا كان الفرد الذى هو خلية من خلايا المجتمع له أثره فى توجيه اللغة ورقيها أو انحطاطها ، واتساعها أو ضيقها ، وحيويتها أو خمولها ــ كما ذكرنا فى مقالنا السابق ــ فان المجتمع المؤلف من مجموع الأفراد ، والطوائف المختلفة له ــ كذلك دون ريب ــ آثاره البارزة فى اللغة ، واتجاهات سيرها ·

فالجماعات المتعددة للجنس البشرى ــ بأشكالها التى أشرنا اليها ــ وطبيعة البيئة التى تعيش عليها لها فعلها ، وأثرها فى لسانها الذى تستخدمه فى حاجاتها المتجــددة بتجدد الزمان والمكان ، والصـــناعات والحرف ، والثقافات على تنوع مشاربها ، ومناحيها ، ومؤثراتها ، كما أن اللغة تأخذ مظاهر شتى حسب اختلاف النـــاس فى عاداتهم ، وتقاليدهم ، ونظمهم الاجتماعية ، واعرافهم ، وأوضاعهم الطبقية غنى وفقرا ، وشرفا وضعة وما يربطهم من صلات ومبادىء ، وما يخضعون له من قوانين وضوابط ، وما يهمهم من شئون الحياة ، ثم ما يدينون به من اعتقادات ، الى غــير ذلك مما تبدو آثاره اللغوية واضحة للمتأمل ، والباحث ·

وسترى ــ أيها القارىء الكريم ــ فى هذا البحث بعض الظــواهر اللغوية التى تؤكد صلة اللغة بالمجتمع ، ومدى ارتباط كل منهما بالآخر فى عدة جوانب اجتماعية لتدرك السنن والمناهج التى تخضع لها اللغات فى سيرها وحياتها ·

١ ـ اللغة والجنس :

كتبت بعض البحوث فى (علم اللغة العام) عن العلاقة بين اللغة والجنس ، فرأى بعض الباحثين أن اللغة تختلف من حيث بنيتها ونظمها ، ومجاراتها للحياة والأحداث ، باختلاف المتكلمين بها ، من الشعوب ، حسب طبيعتهم الجسمية ، فلغات مجعدى الشعر تختلف عن لغات ملس الشعر (١) ولغات مستطيلى الرءوس غير لغات مستديرى الرءوس (٢) •

وقد استغل هذه النظرية أصحاب المذاهب السياسية ، ودعاة الاستعمار والغزو فتحدثوا عن طبيعة اللغات ، وفرقوا بين اللغات الهندية الاوربية واللغات السامية والحامية ، وادعى الغزاة ـ وهم من أرباب اللغات الأولى كالألمان ، والطليان ـ أنهم شعوب راقية ، وأن متحدثى اللغات الأخرى شعوب متخلفة ، ينبغى أن يخضعوا لسيطرة الأرقى •

وارتبط بذلك الحديث عن طبيعة اللغات المتخلفة ، فهى تعجز عن التعبير عن المعانى الكلية ، تتعقد فيها النظم ، وتفتقد منها الحيوية وهى لغات قاصرة عن التعبير عن متطلبات الحياة الراقية ، والأحداث العصرية ، ولا يمكن لها فى أى وقت أن تتطور الى الحد الذى وصلت اليه اللغات الاوربية الراقية •

وقد سرى الاعتقاد ـ كذلك ـ بين بعض الباحثين بأن اللغات ترتبط بعقلية أصحابها ، فاللغات الراقية ترتبط بعقليات الأمم الراقية ، والعكس صحيح •

فيرى العالم اللغوى الألمانى ف • ن فنك انه لا يجب علينا أن ننظر الى اللغات الا بوصفها آثارا معبرة عن عقل الشعوب ، وأن اللغات ليست

(١) فندريس : اللغة ص ٢٩٧ •
(٢) د • السعران : اللغة والمجتمع ص ٦٥ •

الا تصـــويرات لا تقدم أمام عين العالم الســيكولوجى أية حقيقــة واقعية ملموسة ، وأن من الخداع لأنفسنا أن ندرســـها على أنهـــا حقائق واقعية ، فيجب أن نطبـــق عليها طريقة ذاتية محضة ، بـــألا نبدأ من اللغـــة التى ليســت الا نتيجة ، بل من العقل الذى يخلـــق اللغـــة (١) .

وقالوا : ان وجود الأقســـــام الاسمية تشير الى عقلية (بدائية) كما فى لغات البانتو (٢) .

والحقيقـــــة أن ربط اللغــــة بالجنس ، وبالعقلية ، تحـــكم لا مسوغ له ، فليس فى لون العينين، أو البشرة ، أو شكل الجمجمة أى دليل على شكل أو طبيعة اللغـــة ، وحتى فى حال المقارنة بين الزنجى والأبيض لا نجد أى دليل على أن لون البشرة أو شكل الشفتين يقابله دماغ خاص ينتج تفكيرا مختلفـــا عن تفكيرنا (٣) .

وعلماء الانثروبولوجيـــا يمكنهم عند العثور على جماجم آدمية أن يحددوا أنواعها ، المستطيل منهـــا والمستدير ، ولكن لا يمكنهم معرفة لغـــات أصحابها (٤) لأن وجـــود الجمجمة بين أيدينا لا يســـتطيع بحال أن يعرفنا شـــيئا عن أنواع الترابط بين الكلمات والأفكـــار ، التى كانت تتكون فيهـــا ، ولا عن الصور الكلامية التى كانت تنشأ فى مراكزها المخية (٥) .

ولا نستطيع أن نقـــول بوجود روابط ضرورية بين هاتين الفكرتين اذ لا ينبغى الخلط بين المميـــزات الجنسية المختلفـــة التى لا يمكن تحصيلها الا بالدم وبين النظم من لغة ودين وثقافة التى تعد أعيـــانا قابلة للنقل ، تعار وتتبادل (٦) .

---

(١) فندريس : اللغة ص ٢٩٩ .
(٢) د. السعران : اللغة والمجتمع ص ١٤ .
(٣) فندريس : اللغة ص ٢٩٨ .
(٤) د . السعران : اللغة والمجتمع ص ٦٨ .
(٥) فندريس : اللغة ص ٣٧٦ .
(٦) فندريس : اللغة ص ٢٩٨ .

ومن التحكم أن نعتبر اللغة وليدة العقلية ، أو العقلية وليدة اللغة ، لأن كلتيهما وليدة الظروف، ونتاج الثقافة والمدنية (١) .

ومن الصحيح أن نقول : ان للغة صلة بالعقلية ، اذ من الجائز أن تكون اللغة والعقلية نتاجا لأسباب واحدة ، وأن تكون المميزات التى تميزها واحدة ، دون أن يترتب على ذلك صدور احداهما عن الأخرى (٢) .

واللغة — فى بعض الأحيان — تستطيع أن تعدل من العقلية ، وتنظمها فعادة وضع العقل فى مكان بعينه دائما يمكن أن تؤدى الى صورة خاصة فى التفكير وأن يكون لها أثر فى طرق الاستدلال ، والتفكير الفرنسى ، أو الألمانى ، أو الانجليزى خاضع للغة الى حدما فان اللغة اذا كانت مرنة خفيفة مقتصرة على الحد الأدنى من القواعد النحوية سمحت للفكرة بالظهور فى وضوح تام ، وأتاحت لها حرية الحركة ، وعلى العكس من ذلك تختنق الفكرة من التضييق الذى يصيبها من لغة جامدة ثقيلة ، ولكن عقلية المتكلمين تتصرف لتعتاد أى شكل من أشكال اللغة (٣) .

ومن الثابت أن بنية أية لغة من اللغات ذات علاقة بعقلية المتكلمين بها ، ونظمهم ، وحضاراتهم المادية (٤) .

ولكن ليس من المؤكد أن الأسباب التى تؤثر على اللغة تحدث فى العقلية آثارا مماثلة .

والواقع يناقض هذا الربط ويعارضه ، فخريطة أوربا اللغوية فى العصر الحاضر تضم أخلاطا من الأجناس .

ومع هذا فان فردا ينشأ لدى

---

(١) نفس المرجع ص ٢٩٩ .

(٢) نفسه ص ٣٠٢ .

(٣) د . السعران : اللغة والمجتمع ص ٦٥ .

(٤) فندريس : اللغة ص ٣٠٠ .

شعب غير شعبه يكتسب لغته ، واذا أراد تعلم لغة شعبه الأصلى احتاج الى مران طويل ، وتدريب شاق شأنه فى ذلك شأن أى أجنبى يريد تعلمها ، فالزنجى أو اليابانى الذى يربى فى فرنسا فى ظروف واحدة مع الاطفال الفرنسيين يتكلم الفرنسية كأحد أبنائها ، ولو أن طفلا فرنسيا تربى فى بيئة الزنجى أو اليابانى لتكلم لغة البيئة التى نشأ فيها (١) .

وان بعض اللغات التى كتب لها الذيوع والانتشار لتؤكد بطلان هذا الربط فالانجليزية قد انتشرت فى مساحات واسعة من الأرض فى قارات كثيرة أيام سيطر الانجليز على تلك الشعوب ، واستعمروها فتكلم كثير منها اللغة الانجليزية وأجادوها ، كأصحابها الأصليين ، وكذلك العربية بعد الفنوحات الاسلامية الواسعة قد فرضت نفسها على شعوب كثيرة ، وأجادوها كأهلها ، دون اعتبار الى الجنس أو اللون أو العقلية لدى هذه الشعوب المختلفة .

والحديث عن اللغات المتخلفة والراقية حديث غير موضوعى ، فاللغات التى تتسم بسمات (بدائية) يمكن أن تتحول الى راقية لو انفسح أمامها المجال ، وأتيحت لها ظروف التغير تبعا للتحولات الاجتماعية التى تمر بها الشعوب المتكلمة بها .

وقد حكى بعض الباحثين ما حدث لبعض الطلبة الهنود الأمريكيين من امكان تعرفهم على المثل العليا الافلاطونية ، مع خلو لغاتهم من الأسماء العامة التى تستعمل دون (مغير) (٢) .

وفى امكان اللغات القاصرة ، أو غيرها ، معالجة كافة العلوم بشرط أن تزود بالمفاهيم والمصطلحات الجديدة .

فلغات الشعوب البدائية تملك اصطلاحات ثقافية قليلة ولكنها

---

(١) انظر ص ٨ وما أحلنا عليه من كلام فندريس فى كتابه (اللغة) ..
(٢) د . السعران : اللغة والمجتمع ص ٧١ بتصرف

لا تقل من حيث تكييف نفسها لكافة المجالات (الحياتية) عن لغاتنا المتحضرة •

فاللغة الأراندية لا تملك مفاهيم مثل (الجبل ـ التل ـ النهر) وعلى ذلك تكون لهجة تدريس الجغرافية أمرا صعبا جدا ، ولكن علينا ألا ننسى أن فيها أسماء لكل جبل ، وحتى لأصغر التلول •

ومن السخف التكلم عن اللغات (الأفضل) و (الأسوأ) ، ان هذا شبيه بقولنا : أيهما أفضل شجرة النخيل أم شجرة الصنوبر ؟ أفريقيا أم أوربا ؟

فالناس كلهم سواسية ، بعض النظر عن الجنس والثقافة ، والعرق وبنفس الطريقة تتساوى كافة لغات المعمورة فى قيمتها وحقولها (١) •

٢ ـ اللغة والمكان والزمان :

للمكان أثره فى اللغة ، فقد لاحظ اللغويون أن لغة سكان الصحراء تختلف عن لغات سكان المناطق الأخرى من سهول ، وأراض زراعية ومدن صناعية •

فلغة الصحراويين خشنة الألفاظ ، غليظة الأصوات ، كما يتضح ذلك فى لغة العرب الجاهليين ، فالعربى فى الصحراء يجد أمامه الجو الهائل من الفراغ الطبيعى ، الذى يحتاج معه الى قوة عضلية ، حتى يتضح صوته ، ويصل الى ما يريد من أماكن قد تكون بعيدة عنه •

والبيئة التى يعيش فيها ، تشكل جسمه ، وعضلات نطقه ، بطريقة تجعلها مستعدة لاخراج مثل تلك الأصوات ، على حين أن سكان المدن يميلون الى رقة الألفاظ ، وانخفاض الأصوات ، ويتضح ذلك من تأذى النبى صلى الله عليه وسلم من سماع أصوات الأعراب العالية حين قدموا عليه فى المدينة، فطالبهم القرآن الكريم بعدم رفع أصواتهم **(يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر**

(١) كندراتوف : أصوات واشارات ص ٨٣ ، ٨٤ ••

بعضكم لبعض) (١) •

ويكفى أن نسمع ــ مثلا ــ كلمة (افرنقعوا) ــ بمعنى تفرقوا ــ وقول بعض العرب •

خالى عويف وابو علج
المطعمان اللحم بالعشج (٢)

وقول بعضهم (لبيش اللهم لبيش) (٣) •

فهى تعبر عن صخب الأصوات البدوية ، وهكذا نجد اللهجات المتعددة وتنافر الأصوات الى جانب مافى بعضها من ضعف القواعد النحوية والعرفية ، والاشتقاقية •

وخيال الصحراء محدود بتلك البيئة ، فالوسائل التى يلجأ اليها البدوى لجمال الأسلوب لن تخرج عن مجاله البيئى ، وما يوجد فيه من سماء ، وأرض ، ونبات ، وحيوان •

ويقول النابغة للنعمان بن المنذر :

فانك كالليل الذى هو مدركى
وان خلت أن المنتأى عنك واسع

ويقول له كذلك :

كأنك شمس والملوك كواكب
اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ويصف امرؤ القيس فرسه فيقول:

مكر مفر مقبل مدبر معا
كجلمود صخر حطه السيل من عل

ويقول :

فغادى عداء بين ثور ونعجة
دراكا فلم ينضح بماء فيغسل

ولكن بعد أن تحضر العرب ، وسكنوا المدن لاحظنا تغيرا فى طرق التعبير وحسن الأصوات ، ونظام القواعد ، فقلت اللهجات ، وبرزت القرشية كلغة عامة بين العرب ، انطمس معها معظم تلك اللهجات ، وسما الخيال العربى ، وانطلق مع تقدم الأمة العربية ، على نحو يمكن معرفته ، من ملاحظة سير اللغة ، وآدابها ، فى العصر الاسلامى وما تلاه ، وبخاصة فى العصر العباسى ، الذى زاد فيه اتصال العرب بأمم ذوات

(١) من سورة الحجرات الآية ٢ .
(٢) أبو علج : ابو على ــ العشج : العشى .
(٣) لبيش : لبيك .

حضـارة ، واكتسـاب الأدباء والشـعراء لكثير من ثقافات تلك الشـعوب .

ومع ذلك تظهـر ملامح البيئـة فيها .

فابن الرومى الـذى يعيش فى الأحياء الشعبية التى يشـاهد فيها صانع الرقاق يجعل ذلك مادة شعره فى أبيات هى :

ان أنس لا أنس خبـازا مررت به
يدحو الرقافة مثـل اللمح بالبصر
ما بين رؤيتهـا فى كفـه كـرة
وبين رؤيتهـا قـوراء كالقمـر
الا بمقـدار ما تنـداح دائرة
فى المـاء يلقى فيـه بالحجـر

وحينما يسأل : هل يستطيع أن يأتى بمثل ما أتى به ابن المعتز فى وصف القمر من قوله :

انظـر اليـه كزورق من فضـة
قـد اثقلتـه حمـولة من عنبر

فيقول : ويحكم ، انما يصـف ما عون بيته ... !!

وقد تميزت العربية من أخواتها الساميات ــ كالآرامية ، والعبرية ــ بانتظـام القـواعد وعذوبة الالفاظ ، وسهولة التراكيب ، لأنها عاشـت فى بيئة ــ أكثر مدنية من اخواتها (١) .

وللزمان تأثيره فى اللغة كذلك ، فالفرد يتأثر نطقه حسـب مراحل سنه المختلفة كما ذكرنا فى مقالنـا السابق .

وانتقال اللغة من جيـل يترك أثره فى أصوات اللغة ، ومفرداتها، ونظمها وتراكيبها .

فقد لاحظ جماعة من اللغـويين ان أعضاء النطق تختلف من جيـل الى آخر ، فهى عنـد الأبنـاء ــ تختلف عنها عنـد الآباء ، وعنـد الآباء تختلف عن حالها عند الأجداد وهكذا تتطور أعضاء النطق عنـد الجماعة الواحـدة ، من عصر الى عصر ، وان كان هذا التطور يسير ببطء لكنه يؤثر فى ألفاظ اللغـة ، وبخاصة فى أصواتها .

ونحن نلاحظ أن بعض أصوات اللغة العربية قد تغير على لسـان العرب المعاصرين سـواء فى ذلك

---

(١) انظر : د . وافى : علم اللغة ط ٤ ص ٢٣٣ ــ ٢٣٦ .

لسان المثقفين بالعربيـــة أو عـــلى المستوى الشعبى ، فالجيم العربية تنطــق عــلى لســـــان بعض المذيعـــين خاليـــة من التعطيش أو بتعطيش قليـــــل فى مصر ، وأما على المســـتوى الشـــعبى فقد خلت نهائيـا من التعطيش ، على حين أن السوريين يبالغون فى تعطيشها ، وقد غدت الثاء قريبـــة من السين ، والـــذال قريبـــة من الزاى على لســان بعض المذيعين وغيرهم من المتحدثين بالفصحى ، على حين انقلبت اليها على لســان العوام ، والصـــاد والسين والزاى قد اختلف نطقها فى الحديث عنـــه فى القديم ، وناهيك بالانحـــراف الذى يسرى على ألســـنة العوام لأصوات القاف والطاء ، والظــاء والضاد وغيرها مما حدث فى خلط أو ترقيق •

وماذا نقول عن فقدان الاعراب فى العاميات ، وعن تقصير الحركات الطويله أو حذفها واطالة الحركات القصيرة ، أو خلق حركات ما أنزل الله بها من سلطان •

وانظر مثلا الى قـــول المصريين العـــــوام : جم ــ جه ــ بكام ؟ معـــاك ؟

ويمكن أن يضاف الى ذلك مـــا يدخله الأدباء والعلماء من ألفـــاظ وتراكيب كانت قديمة فيحيونها ، أو مستحدثة يبتكرونها ، أو منقولة من اللغات الأخرى للحاجة اليهـــا فى ابراز المعنى ، أو فى تســـــمية المستحدثات الصـــناعية ، أو غير ذلك من الأغراض •

يتبع

دكتور عبد الغفار حامد هلال

« اصنع جميلا »

اصنع جميلا ما استطعت فأنه

لابد أن تتحـــدث السـمار

الأزهر جامعاً وجامعة أو مصر فى ألف عام

للأستاذ محمد كمال السيد

توفى الخديوى محمــــد توفيق سنة ١٨٩٢ م • وتولى بعده ابنه « عباس حلمى » الثانى •

وكان عباس فى أول أمره وطنيا وبعبارة أخرى كان يريد أن يسترد سلطان وظيفته كامــلا ، فأخـــذ يتقرب للشعب ويناصر الوطنيين، أمثال « مصطفى كامل » وتصادم مع الانجليز أكثر من مرة ، وكــان يهزم فيها لنقص الخبرة وســوء اختيار المناسبات •

ولكن ما أن أفاقت البــلاد من ذهول الهزيمــة ، حتى أخــــذت الأصوات تعلو بجــلاء الانجليز ، وتحرير الوطن •

وكان التعليم الحديث آخذا فى الانتشار ، فلم يعد الأزهر مصدر الثقافــة الوحيــد ، بــل انصرف الكثيرون من النشء الحديث عنـــه لجمود علومه ، وعدم التجديد فى مناهجه ، ولما فى التعليم الحديث من فرص التوظف •

وكان التفكير فى اصلاح الأزهر قد بدأ من سنة ١٨٧١ م ، ولكنـــه اقتصر أولا عــلى تنظيم الادارة والامتحانات ، دون تعـــديل فى المناهج الدراسية ، كما سنذكر فيما بعد • باذن الله ، ومع ذلك فقــد ظل الأزهر يغذى الحياة العلمية ، والعملية بالنابهين من طـــلابه • وبرز الكثيرون منهم فى شـــتى المجالات ، ونذكــر من هـــؤلاء البارزين :

« السيد على يوسف » الصحفى

المعروف ، وأحد الرواد الأوائل فى الصحافة المصرية ، من مواليـــد « بلصفورة » مركز « سوهاج » سنة ١٨٦٣ م ، وتوفى أبوه وهــو صغير ، فكفله أحد أخـــواله ببنى عدى مركز منفلوط .

و « السيد » كان لقب الأشراف العلويين من نسل السيدة فاطمــة الزهراء ، وكان للأشراف نقـــابة ترعى شؤونهم ، وألغيت نقـــابة الاشراف بعد ثورة سنة ١٩٥٢ م ، وأصبح (السيد) لقب كل مواطن ولو كان مسيحيا .

والتحق على يوسف بالأزهر ، حيث تلقى العلوم الدينية، والأدبية التى كانت تدرس وقتـــــذاك ، واستمع وهو يافع لدروس السيد جمال الدين الأفغانى .

وفى سنة ١٨٨٩ م أنشأ جريدة المؤيد ، بالاشتراك مع أحمد ماضى ثم استقل بالجريدة .

وكانت جريدة المؤيد بفضـــل مقالات على يوسف رائجـــة كـــل الرواج ، ويكتب فيها المشـــهورون من أعلام العصر ، مثل الشـــيخ « محمد عبده » « وسعد زغلول » و « قاســـم أمين » و « حفنى ناصف » وغيرهم . وكانت تدعــو الى محاربة الاستعمار والانجليز والغاء السخرة ، وتطالب بالدستور والحياة النيابية للشعب ، .

كما كان عـــلى يوســـف من السباقين الى توجيه الأذهان الى عدم الانكباب عـــلى الملذات ، أو اكتناز المال ، بل توجيه المـــال الى الاسواق التجارية لمنافسة الأجنبى الدخيل الذى غايته من الاستعمار استغلال موارد البلاد ، كما كان يدعو الى ترقية الصناعات .

وحرر على يوسف أســـلوب جريدته من السجع الـــذى كان سائدا بأقلام الكتاب ، واتصل على يوسف بالخديوى عباس ، فقـــربه عباس لاتحاد الغاية وهى محاربة الاستعمار الانجليزى . وكـــان على يوسف يسافر كل صـــيف الى استانبول ، مثل الخديوى ، وأغلب أعيان مصر ، حيث مقر الخـــلافة

التابعة لهـــا مصر من الوجهــة الرسمية •

قضية التلغراف :

وفى سنة ١٨٩٦ م نشرت جريدة المؤيد صورة « تلغراف » مرســل مـــن سردار الجيش المصرى فى السودان الى وزير الحربية فى مصر عن الحملة العسكرية فى دنقلــة ، وكان « التلغراف » سريا ، فاغتاظ الانجليز وقدموا على يوسف وأحد مـــوظفى « التلغـــراف » الى المحاكمة •

ولكن المحكمة برأت على يوسف ابتدائيا • واستئنافيا ، مما زاد فى غيظ الأنجليز • ودعاهم الى زيادة ثلاثة قضاة انجليـــز بمحكمـــة الاستئناف ليزداد عددهم ، ويسهل الحكم على أعداء الاحتلال كتعبير جريدة المؤيد فى ١٨٩٦/٨/١٧ م•

زواج على يوسف :

واشتهر على يوسف بقضـــية أخرى هى قضية زواجه بالســيدة صفية بنت السادات ، فقد خطبهـــا من أبيها ، فقبل بعد تردد ، ثم عدل فماطل فى اتمام الزفاف ، وطـــال الامر بخطوبة على يوسف أربـــع سنوات ، فلجأ الى السيد محمـــد توفيق البكـــرى ، نقيب الأشراف وقتذاك ـــ فساعده ، وعقد القران فى منزل البكرى ، وكانت الســـيدة صفية رشيدة •

واغتاظ الشيخ السادات ، فرفع قضية يطلب التفريق بينهما **لعـــدم التكافؤ** ، وحكمت المحكمة ابتدائيا واستئنافيـــا لصـــالح الســـادات بفسخ العقد والتفـــريق بيـــن الزوجين ، وفى هذا ما يعطينا فكرة عن هوان شأن مهنة الصـــحافة فى ذاك الوقت •

ثم تدخل وســطاء الخـــير ، فاصطلحوا على أن يعقد عقد جديد سنة ١٩٠٥ م •

الجامعة المصرية :

وكانت جريدة المؤيد من الداعين الى انشاء الجامعـــة المصرية ، وكانت فكـــــرة انشائها تراود الأذهان ، وتتردد بأقلام الكتاب

فى سنة ١٩٠٣ ، ودعالها مصطفى كامل وآخرون .

وفتح باب الاكتتاب، فكانت القائمة الأولى ٤٥٨٥ جنيه ، بخلاف التبرعات العينية ، مثل الأطيان ، واجتمع المكتتبون فى منزل عزتلو (أى صاحب العزة وهو تعبير خاص برتبة البكوية) سعد بك زغلول فى ٢/١٠/١٩٠٦ وقرروا انتخاب اللجنة التحضيرية وتأجيل انتخاب الرئيس ، والدعوة للمشروع فى جميع الصحف ، وتسمية الجامعة بالجامعة المصرية.

وفى ٢٠ / ١ / ١٩٠٧ نشرت جريدة المؤيد مقالا جريئا تدعو فيه العناصر التركية والجركسية الموجودة فى مصر الى المساهمة فى المشروع ، اعترافا بجميل مصر ، وتشبها بأسلافهم الذين شيدوا العمارات الشامخة من جوامع ومساجد للعبادة ، ومدارس لنشر وتقرير العلوم والفنون ، وملاجىء للفقراء والعجزة .. الخ ، وفى هذا تلميح بأن الأسرة المالكة لم يتبرع أعضاؤها بشىء للمشروع ، (جامعة القاهرة بحث للدكتور خليل صابات بدائرة معارف الشعب المجلد الرابع ص ٦٦٢) .

وقيل أن تعيين سعد زغلول وزيرا للمعارف سنة ١٩٠٦ كان لصرفه عن الاشتغال بمشروع الجامعة .

الهلال الأحمر :

وفى سنة ١٩١١ أنشأ على يوسف جمعية الهلال الأحمر المصرى ، لمساعدة الجرحى والمرضى فى حرب تركيا مع ايطاليا فى طرابلس (ليبيا) ، وكان الهلال الأحمر أنشىء فى تركيا سنة ١٨٧٦ أثناء حربها ضد العرب ،وتوفى على يوسف سنة ١٩١٣ عن خمسين عاما ، ورثاه الكتاب والشعراء ، منهم حافظ ابراهيم بقصيدة منها

أقام فينا عصاميا فعلمنا
معنى الثبات ومعنى الجد والدأب
وراح عنا ولم تبلغ عزائمنا
مدى مناها ولم تقرب من الأرب

وخلدت بلدية القاهرة اسم على يوسف باطلاقه على شارع المنيرة سابقا (مقال للدكتور جمال الدين الرمادى ، بدائرة معارف الشعب

المجلد الخامس ص ٥٢) ، (اسماء ومسميات فى تاريخ خطط القاهرة لكاتب هذا المقال) •

ونذكر ممن نبغوا من طلاب الأزهر وشاركوا فى الحياة العامة•

حفنى بك ناصف :

ولد ببركة الحج ، بالقرب من المرج ، من ضواحى القاهرة سنة ١٨٥٥ م ، والتحق بالأزهر سنة ١٨٦٩ ، وظل به عشر سنوات كان خلالها نابها بين أقرانه متفوقا عليهم ، واستمع بالأزهر لدروس الشيخ محمد عبده (تخرج الشيخ من الأزهر سنة ١٨٧٩ كما سبق ذكره) والتقى بالسيد جمال الدين الأفغانى •

وبعد تخرجه من الأزهر سنة ١٨٧٩ التحق بمدرسة دار العلوم ، التى كانت تقبل طلبتها بامتحان تعقده للنابغين من خريجى الأزهر فكان أول الناجحين •

وقامت الثورة العرابية ، وهو طالب بدار العلوم ، فتطوع ضمن المتطوعين ، على الرماية ، وضرب النار فى ثكنات (قشلاق) عابدين•

وكانت الرجعية التى تسود الأزهر ، تنظر الى قيام مدرسة دار العلوم بعدم الارتياح ، بحجة ان ما تدرسة من العلوم الحديثة من طبيعة وكيمياء ورياضة وتاريخ طبيعى وجغرافيا ولغة فرنسية ، وغير ذلك • من شأنه أن يضعف دراسة اللغة العربية ، وعلوم الدين ، فلما تقدم حفنى ناصف للامتحان ، والممتحنون من شيوخ الأزهر حاولوا اسقاطه فى مادة النحو ليثبتوا أن أنبغ طلاب المدرسة ضعيف فى علوم اللغة ، ولكن حفنى ناصف صمد للامتحان الشفوى الذى امتد الى ساعتين بدلا من ثلث ساعة المدة المقررة له ، وأجاب على أسئلة المتحنين فى يسر وسهولة ، فلم يستطيعوا الا منحه شهادة التخرج سنة ١٨٨٢ م (حفنى ناصف بقلم محمود غنيم ص٤٠)•

واختاره الشيخ محمد عبده ـ أثناء دراسته بدار العلوم ـ ليشارك فى تحرير الوقائع الرسمية وبعد تخرجه من دار العلوم عين مدرسا **لمدرسة الخرس**

والعميان ، وهى مدرسة أنشئت سنة ١٨٧٤ فى عهد اسماعيل ، وكان عدد تلاميذها عند انشائها عشرة (تقويم النيل لأمين باشا سامى جـ ٣ ص ١١٧٠ و ص ١٢٨٦) .

وكان التدريس بهذه المدرسة مهمة صعبة لم يدرب عليها ، ولكن أمكنه بما كان لديه من ذكاء وحسن استعداد أن ينجح فيها ، فبعد ثلاث سنوات استطاع أن يجعل الخرس يكتبون ويفهمون ، وبلغ من براعته أن استعانت به احدى المحاكم للترجمة بينها وبين أصم أبكم .

ثم شاءت الأقدار لحفنى ناصف أن يتحول فى حياته العملية الى ناحية أخرى ، فقد التحق سنة ١٨٨٥ بوظيفة سكرتير لشفيق بك منصور ، وكان يشتغل وقتذاك بترجمة القوانين وأحكام المحاكم من الفرنسية الى العربية ، حيث كان السائد القانون المدنى الفرنسى الذى اتخذ أساسا للمحاكم المختلطة .

والمحاكم المختلطة أنشئت سنة ١٨٧٥ ، أما المحاكم الاهلية فأنشئت سنة ١٨٨٤ م ، وشفيق منصور هو ابن منصور باشا ، زوج السيدة توحيدة بنت الخديوى اسماعيل ، وأعطاها والدها السراى المعروفة بسراى منصور باشا ، وموقعها الآن مديرية أمن القاهرة ، ومحكمة مصر بباب الخلق ، كما بنى لها سراى أخرى موقعها الآن وزارة الحربية بشارع الفلكى ، وكان شارع سكة حديد حلوان اسمه شارع منصور باشا (اسماء ومسميات لكاتب هذا المقال ، تقويم النيل حـ ٣ ص ١١٢٥) .

ولم يكن شفيق منصور متمكنا من اللغة العربية ، فاحتاج لمن يحسن له صياغة مايترجمه اليها ، وكان نتيجة لعمل حفنى ناصف معه مايقرب من سنة ونصف ، أن وجدت عند حفنى ناصف مادة قانونية أهلته أن يشغل وظيفة مدرس لمادة الأنشاء القضائى بمدرسة الحقوق سنة ١٨٨٧ ، ولم يكن عمله مقصورا على تدريس هذه المادة فقط ، بل كان يدرس أيضا البلاغة والمنطق وآداب المناظرة ، وغيرها من العلوم التى أهلت

خريجى هذه المدرسة ، مثل مصطفى كامل ومحمد توفيق نسيم وأحمد شوقى ، وعبد العزيز فهمى وأحمد لطفى السيد ، وأحمد زكى شيخ العروبة ، وتوفيق رفعت ، وعزيز خانكى ، وغيرهم من الاعلام من التمكن من ناصية اللغة العربية فى خطاباتهم ومخاطباتهم .

ولما عاد حسين رشدى من فرنسا ، بعد أن أتم دراسة القانون بها ، واشتغل بترجمة القوانين احتاج لمن يساعده فى ايجاد ألفاظ عربية ، من مصطلحات المعاملات فى الشريعة الاسلامية ، فوقع اختياره على حفنى ناصف ، مما هيأ له زيادة حصيلته فى القانون .

وحسين رشدى هو حسين باشا رشدى طبو زاده ، وصل الى مركز رئيس الوزارة وقائمقام الخديوى سنة ١٩١٤ ، ولما أعلنت انجلترا الحماية على مصر فى ١٨/١٢/١٩١٤ بحجة الحرب العالمية الاولى احتفظ لمصر بحقها فى تعديل وضعها السياسى بعد الحرب ، واستقال فى ٣/١٢/١٩١٨ لما رفضت انجلترا الموافقة على سفر الوفد المصرى برئاسة سعد زغلول الى أوربا لعرض طلبات مصر على مؤتمر الصلح بفرساى ، هذا وطبو تركية معناها نوع من السلاح كالمضرب برأسه كرة من الحديد بها نتوءات مدببة بارزة ، هذا كما علمت من ابنة السفير حسين رشدى ، وخلدت البلدية اسم حسين باشا رشدى باطلاقه على شارع بوسط المدينة ، كان اسمه شارع الساحة سابقا (أسماء ومسميات من خطط وتاريخ القاهرة لكاتب المقال) .

ولما فكرت الحكومة فى تعميم المحاكم الجزئية فى البلاد ، ولم تكن مدرسة الحقوق تخرج العدد الكافى لشغل وظائف القضاء ، أعلنت عن امتحان عام ، يعين الناجحون فيه فى وظيفة القضاء وتقدم حفنى ناصف سنة ١٨٩٢ لهذا الامتحان ، ونجح ، وعين قاضيا .

واستمر عمله بالقضاء عشرين عاما حتى سنة ١٩١٢ كان فيها مثال النزاهة وتوخى العدالة ضد كائن من كان حتى أنه حكم بالبراءة فى قضية مظاهرة من طلبة المعهد

الأحمدى بطنطا ضد الخديوى عباس بتهمة العيب فى ذات الخديوى ، ولم يكتف ببراءة المتهمين بل أدان فى حكمه مدير الغربية وقتذاك الموالى للعرش والانجليز •

وكان من المتحمسين لانشاء الجامعة المصرية ، ولما دخل المشروع فى حيز التنفيذ انتخب سنة ١٩٠٨ رئيسا لمجلس ادارتها ودرس فيها مادة تاريخ الأدب العربى ، وكان من تلاميذه بها الدكتور طه حسين •

ولم يكن انشاء الجامعة المصرية على هوى الأنجليز ، فكان جزاء حفنى ناصف النقل الى محكمة قنا، ثم فى سنة ١٩١٢ نقل من القضاء الى وظيفة مفتش أول اللغة العربية ، فظل فى وظيفته المذكورة حتى أحيل على المعاش سنة ١٩١٥ عندما بلغ الستين من عمره ، ولم يوافق دنلوب الانجليزى الحاكم بأمره فى وزارة (المعارف) على مد خدمته برغم رجاء حسين باشا رشدى رئيس الوزراء وعدلى باشا يكن وزير المعارف وقتذاك •

وكان شاعرا وناثرا خفيف الروح ، يكثر من مداعبة أصدقائه فى شعره ونثره •

وله كثير من المؤلفات ،والابحاث ضاع بعضها ولم يطبع البعض الآخر ، وأغلبها فى اللغة العربية ومميزاتها وآدابها ، وبعضها فى الأمثال العامية وغريب لغة الصعيد وبعضها تاريخية فى هوية السيدة مارية القبطية ، وبعض رجالات مصر ، وبعضها رسائل فى المنطق والبديع والعروض ، والبحث والمناظرة ، والتوحيد والأصول ،

رسم المصحف :

ومن أهم مايذكر به حفنى ناصف هو قيامه بضبط املاء المصحف الشريف بالصورة المتداولة الآن ، وساعده فى ذلك الشيخان أحمد الاسكندرى ومصطفى العنانى ، وقد استغرق عمله هذا سبع سنوات ، حتى صحح آخر (بروفة) لرسم المصحف وهو على فراش الموت •

وتوفى رحمه الله فى ٢٥ فبراير سنة ١٩١٩ •

محمد كمال السيد

نبذة عن حياة الشيخ الدجوى في ذكرى وفاته

اعداد : الأستاذ سعيد عبد الحى

فى ذكرى وفاة الشيخ الدجوى نقدم نبذة بسيطة عـن حياة عالم فاضل وشيخ جليل بذل حياته فى خدمة الاسلام والمسلمين ولما قدمه من مؤلفات وكتابات للاسلام فقد خدم الاسلام وخدمه الاسـلام وهذه النبذة تقـديرا منا واعترافا لما قدمه الشيخ الدجوى من جهـد وعرق فى خدمة الدين •

نســـبه الكريم :

هو السيد يوسف بن الشـيخ احمد بن نصر بن سـويلم وقـد ولد سنة ١٢٨٧ هـ بقـرية دجـوه بمحافظة القليوبية على شـاطىء النيـل الشرقى (فرع دميـاط) وكان ابوه من اعيـان دجـوه المشهورين وينتهى نسـبه الى حبيب بن سعد احـدى قبـائل العرب الحجـازية وكان مضرب المثل فى الكرم والمروءة • وكـان بيته مثابه للعلمـاء والفضـلاء وكان له فيه مكتبة عـامرة بالكتب القيمة ، يختلف اليها أهل العـلم للاطلاع والبحث والمدارسة •

نشـــأته :

نشأه أبوه على خلاله العربيـة المنتقاة من التعاليم الاسـلامية فلما ترعرع أخذ يهيئـه الى طلب العلم فرتب له من حفظـة القرآن الكريم من حفظة اياه • وفى هذه الفترة اصـيب بمرض قضى عـلى بصره • ولكن ذلك لم يقف حائلا بينه وبين حفظ القـرآن فـأتم القرآن فى غير طـول من الزمن •

ثم بعث به ابوه الى كعبـــة العلم (الازهر الشريف) سنة ١٣٠٢ هـ فافتتح حياته العلميه بدراســــة علـــوم القـــرآن فتلقى منها على العـــلامة الشـــيخ حسن الجريس الكبير على التجويد فحذقه وبرع فيه .

حياته العلمية :

أخذ الشيخ بثقـــة على مذهب الامام مالك وتلقى علومه على خير شيوخ الأزهر والنابهين فى تدريس تلك العلوم ـــ فأظهـــر من الذكاء وحدة الـــذهن والنبـــوغ ما لفت انظار شيوخه اليـــه وحملهم على تقدير مواهبه واكبار بحثه . ورقة تفكيره . حتى لقد كان يوحشـــهم ويتشوقون لحضـــوره اذا غاب . وكان دائم البحث والتمحيص على الرغم من انه ضعيف البنية نحيل الجسم ، وبرز فى الكتابة والشعر والنقد ولم يتجاوز مرماه الطلب.

تقدمه الى لجنة الامتحان :

تقدم الى لجنة امتحان الشهادة العالمية فى أول صفر سنة ١٣١٦ هـ وكان رئيس اللجنة الاستاذ الكبير العلامه الشيخ سليم البشرى شيخ الازهر وقتـــذاك . وكان من بين اعضائها الشيخ محمد راضى .

فأظهر الشيخ الدجوى من سعة الاطـــلاع وغزارة العلم ودقـــة البحث ومستفيض الشرح وحسن الاداء فأظهر أعضاء اللجنة اعجابا به ونال منهم عظيم التقـــــدير فأقروا له جميعا بشـــهادة العالمية بالدرجة الأولى الممتازة وخرجـــوا يلهجون بذكره ويتحدثون بمواهبه العالية وصار ذكره حـــديث أهـــل العلم فى الافق الأزهرى .

حياته فى الدرس :

لم يقدر على الشيخ أن يتدرج فى التدريس (على سنة المدرسين الجدد) من أول كتاب للمبتدئين ، بل اختارته المشيخة لتدريس شرح ابن عقيـــل .. والـــــذى كـــان طالبوه ثلاثمائـــة أو يزيد فمـــــا بـــاءوا مـــــــن أول يـــوم ان الشـــيخ يقرر القـــواعد بلســـان واضعيها ويرفع اشكالات المسائل بلسان قائليها ويصدر المعـــــانى بألفاظ يقربها من اذهان سامعيها .

فتعلقوا به تعلق الابن البار بابيه الرحيم • ورغبوا اليه ان يقرأ لهم كتبا أخرى فقرأ لهم شرح السعد بن المعز وغيره من الكتب فى أوقات مختلفة • ووقف الطلبة بفضله على اسرار البلاغة فى الاساليب العربية ثم ذاع صيته وانتشر ذكره بين العلماء •

مؤلفاته :

له مؤلفات عديدة فى شتى العلوم فله من الملفات ما بهر ذوى العقول ونال من جلة المؤلفين وفحول العلماء ومن هذه المؤلفات•

١ – (سبيل السعادة) الذى الفه سنة ١٣٣٠ هـ ١٩١٢ م فى فلسفة الاخلاق الدينية •

٢ – (الجواب المتين فى الرد على مدعى التحريف) الذى الفه سنة ١٣٣١ هـ ١٩١٣ م •

٣ – رسالته فى تفسير قوله تعالى (**لا يسأل عما يفعل**) بغير ما قاله المفسرون •

٤ – رسالته من علم الوضع سنة ١٣٣٦ هـ ١٩١٧ م ونالت الجائزة من لجنة فحص الكتب •

٥ – رسائل السلام ورسل الاسلام الذى الفه سنة ١٣٤١ هـ ١٩٢٢ م •

٦ – ومنها • مذكرات فى الرد على كتاب الاسلام وأصول الحكم فى الرد على الكتاب الذى الفه الأستاذ الشيخ على عبد الرازق يطعن فيه شئون الخلافة وأصول الحكم فى الاسلام وقد وضعها سنة ١٣٤٤ هـ ١٩٢٥ م وطبعت فى حينها •

وله مؤلفات كثيرة لا يتسع المقام لذكرها •

مواقفه فى الذب عن الدين :

١ – ألف النهضة الدينية الاسلامية من العلماء لمناهضة المبشرين سنة ١٩١٤ م وكان فضيلته على رأسها •

٢ – ألف جمعية مساعدة منكوبى حرب الأناضول فى فتح

تركيا الجديدة وكان رئيسا لها وخطيبها الأول .

ثم اختير عضوا فى هيئة كبار العلماء لملىء كرسى المالكية فى اغسطس سنة ١٩٢٠م . اما مكانته الدينية ومنزلته العلمية فى الأقطار الاسلامية عامة فلا يظن ان احدا ممن سبقه قد حظى بمثلها .

مواقفه فى الذب عن العلماء :

أما شجاعته فى الذب عن العلماء وعن الأزهر فحسبك انه لا يهاب فى ذلك عظيما أو وزيرا مهما كان جاهه ومنها غضبته وثورته على أحد البشوات فى حضرة شيخ الأزهر الشيخ حسونة النواوى لأن الحق تغلغل فى نفسه وربا الدين فى قلبه وكثيرا ما كان ينصح بقول المصطفى صلوات الله عليه : « امن من أوثق عرى الايمان الحب فى الله والبغض فى الله » . وهناك مواقف كثير لا يتسع المقام لذكرها .

وفاته :

صعدت روح الشيخ الدجوى الى ربها فى ليلة الاربعاء الخامس من صفر سنة ١٣٦٥ هـ عن ثمان وسبعين سنة قضاها فى الاعمال الصالحة وقد أم الجماعة فى الصلاة عليه فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ مصطفى عبد الرازق . وحملت جنازته فى جماعة كبيرة جدا من علماء الأزهر وغيرهم وأودع مقره الأخير بعين شمس بعد صلاة العصر من نهار الأربعاء الخامس من صفر سنة ١٣٦٥ هـ رحمه الله ونفعنا بعلومه .

أسرة المجلة

اعداد الأستاذ سعيد عبد الحى

حكم ... وطرائف

إعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

((صفة أهل محبــة الله))

سئل عبد الله الحارث بن أســد ، وكان من كبار الصـــالحين ، عن صفة أهل محبة الله ، وكيف يستطيع الانسان أن يتعرف عليهم حين يلقاهم ؟

فقال لســـائله :

هم الزهاد من العلماء ، وهم الحكماء من النجباء ، وهم المسارعون من الأبرار ، وهم دعاة الليل والنهار ، وهم أصحاب المحن والاختبار ، هم قوم أسعدهم الله ، بطاعته وحفظهم برعايته ، يســتقلون الكثير من أعمالهم ، ويستكثرون القليـــل من نعم اللـــه عليهم ، ان أنعم عليهم شكروا ، وان منعوا صــبروا ، هم قــوم أذاقهم اللـــه طعم محبتـــه ونعمهم بدوام العذوبة فى ذكره ومناجاته فقطعهم ذلك عن الشـــهوات وداوموا على طاعة من له الأرض والسموات فغابت عن قلوبهم أســباب الفتنة بدواهيها ، وظهرت عليهم أنوار المعرفة بما فيها :

فقال له السائل : كيف المحن على هؤلاء ؟

قال : سهلة فى علمها ، صــعبة فى اختبارها فمنحهم على قـــدر قوة ايمانهم .

فقال له السائل : ومن أشدهم محنا ؟

قال عبد الله : أشدهم محنا هو أكثرهم معرفة وأقـــواهم يقينـــا وأكملهم ايمانا كما جاء فى الحديث الشريف : « أشــــد النـــاس بـــلاء الانبياء ثم الأمثل فالأمثل » .

« استكمال الايمان »

دخل الحسن بن محمد بن الحسين ــ رضى اللـــه عنهم ــ على عمر بن عبد العزيز فقال له : ياعمر ثلاث من كن فيه اســـتكمل الايمان : من اذا رضى لم يدخله رضـــاه فى باطل ، ومن اذا غضب لم يخرجـــه غضبه عن الحق ، ومن اذا قدر لم يتناول ما ليس له .

« المؤمن ينظر بنور الله »

نظر أنس ــ رضى الله عنـــه ــ الى امرأة أجنبية فأطـــال فيهـــا النظر ثم دخل على سيدنا عثمان ــ رضى الله عنه ــ فقال له :

أرى أثار الزنى بين عينيك !!

فقال أنس : ويحك ياعثمان أنبوة بعد رسول الله ــ صلى اللـــه عليه وسلم ــ ؟

فقال : لا ، ولكن المؤمن ينظر بنور الله .

« شـــكر الجوارح »

قال أبو هارون : دخلت على أبى حازم ، فقلت له : ــ رحمك الله ما شكر العينين ــ ؟

قال : اذا رأيت بهما خيرا أذعته ، واذا رأيت بهما شرا سترته .

فقلت : وما شكر الأذنين ؟

قال : اذا سمعت بهما خيرا حفظته ، واذا ســـمعت بهمـــا شرا نسيته .

قلت : وما شكر اليدين ؟

قال : لا تأخذ بهما ما ليس لك ، ولا تمنع حق الله فيهما .

قلت : وما شكر البطن ؟

قال : أن يكون أسفله صبرا وأعـــلاه علما .

« الفضـــل لمن سبق »

وقع بين محمد بن الحنفية ، وأخيه الحسن بن على بن أبى طالب ــ رضى الله عنهما ــ جفوة ، فكتب محمد الى أخيه الحسن يقــول : أما بعد : فان أبى وأباك على بن أبى طـــالب ، لا تفضـــلنى فيـــه ولا أفضلك ، وان أمك فاطمة الزهراء ، بنت رسول الله ــ صلى الله عليـــه وسلم ــ وأمى امرأة من بنى حنيفـــة فـــوالله لو أن ملء الأرض من أمى ، ما عدلن أمك !! فاذا بلغك كتابى هذا فاحضر الى لتترضـــــانى ، فانك أحق بالفضل منى والسلام .

فما أن بلغ الكتاب الى الحسن ، حتى بادر الى أخيه وترضـــاه .

« كيف رأيت ؟ »

قيل لأبى عقيل العراقى :

كيف رأيت مروان بن الحكم عند طلب الحاجة اليه ؟

قال : رأيت رغبته فى الانعام ، فوق رغبته فى الشـــكر ، وحاجته الى قضاء حاجات الناس أشد من حاجة أصحاب الحاجات .

« دعوة الى الابتهاج »

للسيدة زينب ــ رضى الله عنها ــ أبيات طيبة تدعو الانســـانية فيها الى الابتهاج فى الحياة ، وترك الأحزان بعد الســـــعى والعمـــل

وتسليم الانسان أمره الى الله ، اذ لا قيمـة لحمـل الهم بعد بـذل العمل تقول ـ رضى الله عنها ـ :

سـهرت أعين ونـامت عيـون
لأمـور تكـون أو لا تكـون
ان ربـا كفـاك ما كـان بالأ
مس سـيكفيك فى غـد ما يكـون
فادرأ الهم ما اسـتطعت عن النفـو
س فحمـلانك الهمـوم جنـون

« نصيحة لسيدنا على »

نصح الامام على بن أبى طالب ـ رضى اللـه عنـه ـ أولاده ، فقال لهم فيمـا قال : يابنى من أبصر عيب نفسـه شـغل عن عيب غيره ، ومن رضى بقسم الله لم يحزن على مافاته ، ومن سـل سـيف البغى قتل به ، ومن حفر لأخيه بئرا وقع فيهـا ، ومن هتك حجـاب أخيه انكشفت عورات بنيه ، ومن نسى خطيئته استعظم خطيئة غيره ، ومن أعجب برأيه ضل ، ومن استغنى بعقله زل ، ومن جالس العلمـاء وقر ، ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم ، ومن يصحب صاحبا صالحا يغنم ، طوبى لمن أخلص لله علمه وعمله ، وحبه وبغضـه ، وأخذه وتركه ، وكلامه ومحنته وقوله وفعله .

« دعـاء »

اللهم أنت أعلم بى من نفسى ، وأنـا أعلم بنفسى منهم ، اللهم اجعلنى خيرا مما يظنون ، واغفر لى مالا يعلمون ، ولا تؤاخذنى بمـا يقولون .

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

باب الفتاوى

إعداد الأستاذ **عبد الحميد شاهين**

س : بعض الناس يدعون معرفة الاسرار ، والمغيبات بوسائل شتى، وبعض الناس يتشاءمون من أماكن أو أيام أو أشياء معينة ، فهل لهؤلاء أو أولئك سند من الدين ؟٠

ج : هذا السؤال وجه الى فضيلة الامام الشيخ محمود شلتوت ـ رحمه الله ـ فأجاب عليه بما يأتى :

يختلج فى نفوس كثير من الناس أن الله ربط نجاح الانسان وفشله ـ فيما يريد من أعمال الخير ـ بساعات معينة من اليوم ، أو بأيام معينة من الشهر ، وبذلك يحجمون عن مشروعاتهم فى بعض الايام ، ويقدمون عليها فى البعض الآخر ٠

وكذلك يختلج فى نفوسهم أن لاستطلاع الغيب المكنون فى جوف المستقبل وسائل يعرفون بها ما يهمهم أن يعرفوه ، من مسروق أو مفقود ٠ وقد اتسع لهم مجال ذلك حتى استخدموا الوهم والتخييل ، وانصرفوا بهما عن الحقائق ، ومعرفة السنن التى ربط الله بها بين الاسباب والمسببات ٠

الاسلام والعلم :

وجاء الاسلام فوجد الناس يتقلبون فى طبقات من الجهل، فعنى عناية كاملة بالارشاد الى الوسائل التى تتقى المجتمع الانسانى من أدران الجهل وعبث الوهم ٠

ومن هنا حارب الاسلام الجهل ، وتتبعه فى كل وكر من أوكاره ، وفى كل لون من ألوانه ، حاربه بالدعوة الى توحيد الله ، ولفت نظر الانسان ليؤمن أولا

بأن العظمة التى تخضع لهـــا الرقاب ، والعلم الواســـع الذى لا يعزب عنه شىء والقدرة النافذة التى لا يعجزها شىء ، فى الارض ولا فى السماء ليست لاحد سواه •

انحراف الانسان :

ولكن الانسان ــ وقد خلق من عجل ــ تملكه أمران استصعب بهما طريق العلم ، واستبطأ بهما طريق البحث والنظر ، واستعاض عنهما بطريق التخيل والتخمين :

أحدهما : رغبته الملحة فى سرعة اكتشاف الغيب وخاصة فيما يتعلق بمستقبله ، ومستقبل من يتصـــل به •

وثانيهما : خوفه الشـــديد من اعتراض ما يعوقه عن أهدافه التى يتجه اليها ويعزم عليها •

وفى سبيل تلك الرغبة الملحة ، أخذ يتسمع لما يجرى بين الناس من أحاديث الوهم والخيال عـــن طريق معرفـــة الغيب ، فى خيره وشره ، واكتشاف المعوقات ذات الشـــؤم ، والميسرات ذات التفاؤل •

وبذلك تفتحت له طرق الوهـــم والدجل ، فاستطلعوا الغيب ــ على ما يظنون ــ عن طـــريق الولاية والكهانة والتنجيم ، وعن طريق ضرب الحصى والودع والفول ، وعن طريق خطوط الرمل والفنجان والكف ، وعن طـــريق المندل ، واستخارة السبحة واســـتخارة القرآن ، وعن طريق التشـــاؤم بالزمان فى الساعة واليوم والشهر ، والمكان والاشخاص والاشـــياء والكلمات وأضغاث الاحـــلام ، وبهذا كله وقع الانسان أسيرا فى حياته وأعماله وعقائده لشـــئون لا يعقل وجه اتصالها بما يســـعد أو يشقى ، وعطل أعماله ، وأهمل التعويل على سنن الله التى وضعها للسعادة والشقاوة ، فكدر صـــفو الحياة على نفسه : بمنظر يراه ، أو كلمة يسمعها ، أو طير يمر به من هنا أو هناك ، أو خيال يغرسه فى نفسه دجال أو منجم أو كاهن حتى وصل الامر الى اســـتخدام

المصحف وأياته التى نزلت لتقوية الايمان والعزائم وطرد الوساوس والاوهام فى استطلاع الغيب والتشاؤم .

وقد أطمع الناس فى ذلك كله صدق بعض التنبؤات ، أو بعض صور التشاؤم عن طريق المصادفة .

واذا كان لصدق بعض التنبؤات أثر فى استمرار الناس على التعلق بتلك الوسائل فهناك مبرر أخر للنفوس الضعيفة فى استمرارها عليها ، ذلك هو اشتغال بعض المنتسبين الى الدين ــ ظلما وزورا ــ بكثير من هذه الوسائل .

ومما يتصل بهذا ما نقرؤه فى بعض المجلات والصحف من اعداد اطار خاص يرشد الناس الى حظ القارىء ونجمه ، والمفروض أن الصحف مصادر التثقيف والتوجيه ، وأن المشرفين عليها أرباب ثقافة أخذوا بها على عاتقهم توجيه الناس الى ما فيه خيرهم وسعادتهم .

القرآن ينكر التشاؤم :

وقديما تشاءم قوم موسى بموسى : ((**فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه ، وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه**)) وتشاؤم قوم صالح بصالح : ((**قالوا طيرنا بك وبمن معك**)) وتشاؤم أهل قرية برسلهم ((**قالوا انا تطيرنا بكم**)) .

وكان الرد عليهم جميعا أن الشر ما جاء من قبل الرسل ، وانما جاءهم من قبل أنفسهم بكفرهم وعنادهم ، واهمالهم سنن الله فى الحياة ((**الا انما طائرهم عند الله**)) ، ((**طائركم معكم**)) .

وقد جاء فيما يتصل بعلم الغيب وأنه مما استأثر الله به قوله تعالى: ((**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول**)) وقوله : ((**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو**)) وقوله للرسول ــ عليه السلام ــ : ((**قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب**

لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء » .

وحسب المؤمن فى ذلك كله هذه الآية الفذة الواضحة : « **ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير »** .

تحريف :

هذا وقد تعلق بعض الناظرين فى القرآن ، المروجين لسنة التشاؤم الفاسدة بقوله تعالى فى وصف العذاب الذى نزل بقوم عاد : « **انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر » « فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات » « وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما »** وقالوا : « ان القرآن يرشد بهذه الآيات الى أن فى الايام نحسا وسعودا وأيدوا بهذه الآيات ما نسبت روايته عن النبى — صلى عليه وسلم — لابن عباس — رضى الله عنه « **آخر أربعاء فى الشهر يوم نحس مستمر »** .

وقد عرض الالوسى فى تفسيره للروايات التى افتعلت ترويجا للتشاؤم بالايام وللتفاؤل بها ، ويعجبنى قوله فى هذا المقام : « ويكفى فى هذا الباب أن حادثة عادا استوعبت أيام الاسبوع كلها ، فقد قال سبحانه : « **سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما »** فان كانت نحوسة الايام لذلك ، فقل لى : أى يوم من الاسبوع خلا منها ؟ والحق كما قال : أن كل الايام سواء ولا اختصاص ليوم بنحوسة ، ولا لاخر بسعد .

وأنه ما من ساعة من الساعات الا وهى سعد على شخص ونحس على آخر ، باعتبار ما يقع فيها من الخير لهذا ومن الشر على ذاك .

وبعد : فواجب المؤمنين أن ينتبهوا الى عبث الدجالين باشاعة فكرة التشاؤم بينهم ووسائل

استطلاع الغيب ، هذه الفكرة التى يصيربها الانسان أسير الوهم بكلمة يسمعها ، أو بيوم يمر عليه ، أو منظر يراه ، واجبهم أن يطهروا قلوبهم من هذه الاوهـــام ، وأن يقوموا على أعمالهم ، وتصرفاتهم، وقضاء مصالحهم متى اقتنعوا بها وعزموا عليها : **« فاذا عزمت فتوكل على الله »** معتمدين فى ذلك عـــلى ايمانهم النقى ، وعلى توفيق الله اياهم وبذلك تسلم حياتهـــم ، وتستقر شئونهم ، وتسير بهـــم سفينة النجاة الى شاطىء الامن والاستقرار ، والله ولى التوفيق والهداية .

عبد الحميد شـــاهين

عن أنس ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول اللـــه ـ صلى الله عليه وسلم ــ « لا عـــــدوى ولا طيرة ، ويعجبنى الفأل ، قالوا : وما الفأل ؟

قال : كلمة طيبة »

مِنْ أَبْنَاءِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِي

إعداد الأستاذ **فهمى عبد اللاه سيد على**

«مصر مع طائفة البهرة تستقبل مطلع القرن الخامس عشر الهجرى باحياء وعمارة (الجامع الانور) أبرز آثار قاهرة المعز لدين الله الفاطمى» (١) .

منذ أكثر من عام ، ومصر مع العالم الاسلامى كله تنظر الى مطلع القرن الخامس عشر الهجرى نظرة اجلال وانتظار .. ومنذ أكثر من خمسة أعوام والمؤتمر الاسلامى يدعو كل دول العالم الاسلامى الى الاعداد لاحياء هذى الذكرى بأسمى ما لديه من فكرة وثقافة وحضارة ولان مصر هى قلب العالم الاسلامى النابض ، ومنارة تراثه وفكره ، وأعرق مراكزه الحضارية ، فقد فكرت وخططت لتسهم فى احياء هذه الذكرى باحياء وعمارة (الجامع الانور) أحد أكبر مساجد الشرق ، وثانى مساجد القاهرة اتساعا ، ومن أعرقها وجودا وأداء لرسالة التوحيد ، وهو يمثل قلب قاهرة المعز لدين الله الفاطمى ، وأبرز آثارها ، وأعلاها قدرا لا عند مصر فقط،ولكن فى العالم الأوربى كذلك ، هكذا تؤكد كل مراجع الحضارة الغربية فى أوربا . وسيصحب عمارة هذا المسجد الذى تستقبل به مصر القرن الخامس عشر الهجرى ، تنظيم لقاء فكرى وثقافى ، وندوة علمية فى القاهرة تضم كبار المفكرين الاسلاميين فى

---

(١) الاهرام ٢٢/٨/١٩٨٠ .

العالم •• وبهذا الفكر المحص ، والتراث الحضارى ، واللقـــــاء الروحى تحظى القـــاهرة بفضـــل السبق فى سلسلة الاحتفالات بمطلع القرن الهجرى الجديد •

ولعملية احياء (الجامع الانور) وعمارته ذكرى يكشف عنهـا الآن لاول مرة • لقد تطلع سلطان البهرة الدكتور محمد برهـــان الدين الى هذا الامر بعد أن افتتح مع الرئيس محمد أنور السادات المقصـــــورة الجديدة للسيدة زينب رضى اللـــه عنها ، وهى المقصورة الثانيـــــة التى أهدتها طائفة البهرة الفاطمية بعد أن قدمت ــ تحية للقـــاهرة ، ورمزا للوفاء لاهل بيت رســـول الله صلى الله عليــه وسلم ــ مقصورة سيدنا الامام الحســين رضى الله تعـــالى عنــه فى عــام ١٩٦٥ •

يقول الســـيد محمد حســــن التهامى : انه جرى تبـــادل الرأى وتم الاتفاق على أن أجمل ما تحيا به القاهرة ، وتبـــدأ به احتفـــالات العالم •• وبهذا الفكر المحص ، الخامس عشر الهجرى هو افتتاح هذا المركز الحى الذى أضاء سماء مصر وقاهرة المعز لـــدين الله عبر قرون من الزمن ، وهو مســـــجد الامام أبى على المنصـــور الحاكم بأمر اللـــه الفاطمى ، والجامـــع الضـــــخم الذى يقـــوم فى حى الجمالية فى شارع المعز لدين الله خلف بوابتى القاهرة الرئيسيتين : باب الفتوح وباب النصر •

لقد مر هذا المسجد بعدة قرون تكاثر عليه فيها غبار الزمان وركود الحياة ، وكاد أن يتحول (خرابة) فى معظمه ، وكاد الناس وهـــم فى قلب القاهرة الفاطمية أن ينسوا هذا الموقع الذى اعتزت به مصر وعزبه المصريون ، والذى كان (رواقا) حيا من أروقة العلم والعبادة جنبا الى جنب الازهر الشريف •

وفى لقاء مع الدكتور يوسف نجم الدين أمين الجامعة السيفية بالهند ، علم أن الـــرئيس محمـــــد أنور السادات سيفتتح المرحلة الاولى من عمارة هذا المسجد فى مطلـــــع القرن الجديد مع سلطان البهـــرة الذى قام باحيائه برجاله وبنفقاته بمساعدة محافظ القاهرة وأجهزته

الفنية ومساعدة هيئة الآثار المصرية وتتضمن هذه المرحلة استكمال بناء بيت الصلاة والصحن ويتم فى المرحلة الثانية استكمال بقية جوانب المسجد الذى أسهم فى عملية احيائه الدكتور المهندس حسن فتحى حجة العمارة الاسلامية والعربية ، والذى وضع بلمساته الفنية وبعلمه وبخبرته الاطار الفنى والاساس العلمى ، الذى قامت عليه عملية الاحياء لهذا العمل التاريخى الذى أكد سلطان البهرة أنه لايبغى به الا وجه الله الكريم ومحبة مصر وأهل مصر والاسلام فى احياء تراث مصر الحضارى الايمانى .

ان اهتمام سلطان البهرة بهذا العمل ، فاتحة عهد جديد فى الاخوة الاسلامية ، وابتغاء مرضاة الله ، والتعاون الخالص مع مصر وشعبها المؤمن ، وبداية خير فى احياء تراثنا الاسلامى الجليل .

« صندوق التضامن الاسلامى » (١)

لما كانت حضارة الاسلام قد قامت على أسس متينة فان العودة لبناء حضارة اسلامية يستلزم أن تكون على قواعد من الدين صلحت عليها حال الامة سلفا .

لذلك نرى العالم الاسلامى تشده صحوة فى السنوات الاخيرة ، من خلال المؤتمرات الاسلامية، على مستوى القادة والمفكرين ، ويتم اللقاء فى أنحاء متفرقة فى عالمنا الاسلامى .

وهذا أمر طبيعى فان الظروف والملابسات والمعاملات والمشكلات التى جدت ، ولم تكن تطفو على السطح قبل ذلك ، تتطلب تكاتف الهمم وتلاقى الايدى ، وتعاضد القوى ، وتأكيد الاخوة الاسلامية التى دعا اليها الاسلام ، وبنى عليها أول دعائم دولته ، والمؤتمرات الاسلامية التى شهدت حركة دائبة من المسلمين ، تمخضت عن نتائج على مستوى العالم كله ، تدعو وتنادى بالوحدة الاسلامية ووضع مصلحة المسلمين فى المركز الاول من الاهمية ، ولقد قرأنا عن هذه النتائج الكثير ، ومن بينها

---

(١) مجلة الوعى الاسلامى العدد ١٨٩ .

صندوق التضامن الاسلامى الذى أنشىء بقرار من مؤتمر القمة الاسلامى بلاهور ، الذى عقد بالباكستان سنة ١٩٧٤ م ٠ وأقر قانونه الاساسى فى مؤتمر وزراء الخارجية بماليزيا سنة ١٩٧٤ م ٠

يقول الاستاذ يوسف العوضى عضو اللجنة الاسلامية والثقافية للصندوق : ان الغرض من هذا الصندوق العمل على تحقيق كل ما من شأنه رفع مستوى المسلمين فى العالم ، والمحافظة على عقيدتهم ، ودعم نضالهم ، وجهادهم فى جميع المجالات ، والتخفيف من أثر الكوارث والمحن ٠

وينص القانون الاساسى على المساعدات ، والمعونات للبلدان والاقليات ، والجاليات الاسلامية ، لرفع المستوى الدينى والثقافى والاجتماعى ٠ والمساهمة فى بناء المساجد والمستشفيات والمدارس ، ونشر تعاليم الدين الاسلامى ، وتمويل الجامعات الاسلامية ، ودعم نشاط الشباب المسلم ، وتنظيم الدورات الدراسية فى قضايا التشريع ، والقانون ، والادارة والثقافة ٠

ويتكون المجلس الدائم من الامين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامى وثلاثة عشر عضوا من الدول الاعضاء ينتخبون كل سنتين من قبل وزراء خارجية المؤتمر ٠

ومهمة هذا المجلس التخطيط والاعداد للبرامج والسهر على تنفيذها ٠ ويشكل من : السعودية، الكويت ، الامارات العربية ، السودان ، ليبيا، العراق ، فلسطين، الباكستان ، اندونيسيا ، بنجلاديش ، تشاد ، الكمرون ، مالى ٠

وقد عقد آخر مؤتمر بمدينةجده بالمملكة العربية السعودية وسيعقد المؤتمر القادم بعد تشكيل المجلس من قبل وزراء الخارجية بجدة في نوفمبر ١٩٨٠ ٠

قام الصندوق بتمويل جامعة النيجر ، وجامعة أوغندا ، ومعهد الدراسات الاسلامية بالجابون ، وساعد على انشاء بعض المدارس فى جامبيا ، وساهم فى تمويل المساجد فى غينيا ، والسنغال ،

والجابون ، والنيجر ، وأوغندا ، وتشاد ، وجزر المحيط الهادى ، والنرويج ، وفنلندا ، والسويد ، والنمسا ، وايطاليا ، والدنمارك ، وساعد فى بناء المدارس فى كل من : سوريا ، والجابون ، وغانا ، وسويسرا .

ومن أهدافه: العمل على التنسيق مع المنظمات التى لها أهداف مماثلة، ومساعدة المراكز الاسلامية ، فى ألمانيا ويوغسلافيا والبرازيل وتنزانيا وكل المراكز الاسلامية فى العالم على نشر رسالتها . وقد منح الصندوق مساعدات منذ تأسيسه لدول غير أعضاء .

وقال الاستاذ يوسف العوضى : لقد شارك فى أعمال المؤتمر الحادى عشر لوزراء الخارجية الاسلامية ٣٩ دولة ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وبحث بالمؤتمر موضوعات هامة تشغل العالم الاسلامى كله ، وتتناول بالبحث والتحليل العديد مما يعيشه المسلمون وما يعانونه من مشكلات .

وقد تبرعت كل من الدول الآتية للميزانية الجديدة للصندوق بتلك المبالغ ، السعودية ١٠ مليون دولارا ، الكويت ٢ مليون ، قطر مليون ، العراق مليون ، باكستان ٤٠ ألفا ، النيجر ٧٥ ألفا ، تركيا ٢٠ ألفا ، السنغال ٤٠ ألفا ،قبرص ٢٠٠ ألف ، عمان ٥٠ ألفا ، تونس ١٠٠٠٠٠ ألف . واتخذ المؤتمر قرارات هامة ، بشأن المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة، وأقر النظام الاساسى للمركز العالى للتعليم الاسلامى ، وصادق على ميزانية العام الاول ، ووافق على النظام الاسلامى للجنة الدولية للتراث الاسلامى ، وكذلك الموافقة من حيث المبدأ على مشروع الاتفاقية الخاصة بانشاء اللجنة الاسلامية للهلال الدولى .

واتخذ قرارا حول اعتماد بيان (اسلام اباد) كوثيقة لتطبيق ماجاء بها فى مجال الشريعة الاسلامية ، وقرر مجلس الوزراء الموافقة على الجدول الزمنى بشأن البرنامج الدولى لحلول القرن الخامس عشر الهجرى .

وأوصى المؤتمر بتكوين لجنة

افتاء من علماء اسلمين لبحث امكانية تحديد الاعياد وبدء شهر رمضان ، والاخذ به فى البلاد التى تتقارب فيها المطالع ، والنظر فى اصدار تقويم موحد للسنة الهجرية ، تشترك فى اعداده لجنة من علماء الفلك والشريعة ، وأوصى بتكوين لجنة للنظر فى مشروع تعليم اللغة العربية والثقافية الاسلامية وتدعيم ذلك على المستوى العالمى .

« نداء للأمة الاسلامية »

اجتمع مندوبو الجمعيات والهيئات الاسلامية بالقاهرة فى دار فرع العشيرة المحمدية لدراسة موضوع الحرب المشتعلة بين ايران والعراق بخاصة مع ما يجرى على الساحة الاسلامية بعامة من مؤامرات ضد الاسلام واضطهاد المسلمين ، وبعد المناقشة أصدروا بيانا .. ومما جاء فيه :

الحرب بين العراق وايران :

« وانه لما يدمى القلوب ، أن خصوم الاسلام يحاربون الاسلام بالمسلمين ومن داخل الأمة الاسلامية متخذين من عملائهم فيها أدوات تفريق وتمزيق وحرب وتدمير لكيان الأمة ، واضعاف لقوتها ، .... والاحتيال بكل الوسائل على استنزاف ثرواتها وتقويض نهضتها وافناء شبابها ورجالها ... فاعملوا أيها المسلمون لاطفاء الفتنة ، وحقن الدماء ، والاحتياط للنكسة وسوء المفاجأة .

فى أفغانستان :

استطاعت الشيوعية الغادرة أن تتخذ من عملائها (حكام أفغانستان) أداة تعمل لتخريب هذا البلد المسلم وافناء شعبه وتدمير اقتصادياته واخماد جذوة الاسلام فيه .... الأمر الذى يتطلب من المسلمين جميعا استمرار التصدى باستمرار لهذا الاستعمار اللئيم ونجدة المجاهدين من ثوار أفغانستان بكل الوسائل ، ولا عذر لمتخلف من الشعوب ، أو الحكومات الاسلامية قياما بحق الله حتى يأتى وعد الله .

الى الشباب :

يا شباب المسلمين : أنتم

الأمل المرتجى ، وبين أيديكم الغد المأمول ، والاســـــلام أمانة الله الكبرى بـــين أيديـــكم ، وانمـــا رسالتكم هى اســـــتعادة مجـــده وسيادته ، وقيادته للأفراد والأمم الى عوالم الخير والاســـتقرار ، والحب والسلام والنور والعـــدل والكفاية والسعادة والســـماحة ، والايمان والعمل ، وتنقية التقـــدم الحضارى من شـــوائب المـــادية والالتـــواء الفـــكرى ، والخـــلقى والثقافى والاجتمـــاعى ، كل ذلك معلق عليكم أنتم ، فلا يشـــغلنكم عن هذه الرسالة الكبرى خـــلاف مذهبى ، ولا تبعية طائفيـــة ، ولا دعـــوة عنصرية ولا توقف عنـــد المظهريات ، ولا تطرف فى فهـــم الفروع ، ولا تحامل على السيف ، ولا شعوبية اقليمية ، وخذوا بيد الخلق الى الحق ، فى يسر وسماحة ورفعة ومودة ، واعذروا الناس وفقهوهم بالحسنى وانشروا الحب والسلام والأمل ، وبشروا بالوحدة الكبرى ، وكونوا نواة جمع الشمل وقادة الســـير بالركب الى غايتـــه الشريفة ان شـــــاء الله ، غايـــة اسلامية لا شرقية ولا غربية .

فهمى عبد اللاه سيد على

***

كتاب الشهر

أبوذرّ الغفاري والشيوعيّة

تأليف الإمام الراحل : **الدكتور عبد الحليم محمود**

عرض وتعليق : **الدكتور محمود بن الشريف**

تهب على الأجواء الاســـلامية فى الآونة الحالية مذاهب وافدة ، وموجات فكرية مستوردة،وتيارات تحمـــــل فى طياتهـــا التحـــــلل والانحراف والاغراق فى المـــادية ، ومحاربة الروحية ومناجزة التدين.

وسدنة هذا الغـــزو الفكـــرى اللا دينى جهلوا أو تجاهلـــوا أن الدين مركوز فى الطباع ، وأنـــه اذا كانت تعترى الانسانية فترات ما تبدو فيهـــا انها طـــرحت رداء الدين ، أو فضـــت عنها ثـــوب العقيدة أو عاشت فى فراغ عقدى أو جدب روحى فما ذاك الا فورة عارضة ، أو نوبة طارئة ، أو لوثة لا تلبث بعـــــدها ان تثـــوب الى الايمان ، والى الحق ، والله هـــو الحق المبين .

وما تلك الا لحظة من لحظـــات التطاول أو الانحراف الانســـانى سرعان ما تتبدد وتعود الانسانية بعدها الى الفطرة التى فطر اللـــه الناس عليها .. الى صبغة الله .. الى دين الله ، اذ الدين مترسب فى الأعماق منذ الانسان الأول ، بل من الأزل منذ الميثاق الأول (**واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفســـهم ألست بربكم ، قالوا : بلى شهدنا**) (آية ١٧٢ :الاعراف) .

فالدين متأصل فى النفـــوس ، والاعتـــراف بالربوبية فى أعمـــاق البشر منـــذ الأزل ، والطـــــلائع البشريـــة التى رادت طـــــريق الانسانية الأول ، كـــان يحدوهـــا ايمـــان كـــامن فى الأعمـــــاق ، والأمم الخــــالية التى تكـــاملت حضارتها وأخذت زخرفها وازينت كان لها مع هذه الحضارة المدنيـــة حضارة روحية بعيـــدة الجـــذور عميقة الأغوار حتى القبـــــائل البـــــدائية المتقـــــوقعة الآن فى الأحراش والأدغال والتى لا تعرف الا شريعة الغاب والنـــاب تؤمن كذلك بالقوة الالهية .

فالدين القيم هـــو فطرة اللـــه وصبغة اللـــه ، والأناسى جميعـــا خلقوا على هذه الفطرة الدينية ، وعلى تلك الجبلـــة القائمـــة على معرفة الله والاعتراف به (**فأقم**

وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبـديل لخلق الله ذلك الـدين القيم) (الروم: ٣٠) .

وفى مقـدمة هـذه المذاهب الـوافدة الغـازية مـذهب « الشيوعية » أو « الاشـتراكية العلمانية ، فكلا الاسمين لمسـمى واحد ينبعان من نبع صـهيونى واحـد ، ويجـريان فى مجـرى الحادى لا يعترف بدين ، ولايؤمن بآله .. ولا يعترف الا .. بالمادة!!

وعمد لفيف من شيوعى الشرق والبلاد العربية والاسـلامية !! عمـدوا الى نشر مـا أسـموه (الشـيوعية الاسـلامية أو الاشتراكية الاسلامية) وأضافوا على مذهبهم « رتوشا » وهميـة وظلالا باهتة زاعمين أنها من الدين ليلبسـوا على الأميـين أمرهم فيحسـبوها أنهـا من الـدين . وآنئذ تتصيدهم شراك هذا المذهب وأحابيله ، أو على الأقـل يبتعدون عن ساحة الايمان الايجابى ، بعد أن تتزلزل معتقـداتهم وتتبلبـل أفكارهم ، ويكفى هـذا مكسـبا لهؤلاء المدبرين الماكرين (**ويمكرون ويمكر الله والله خـير الماكرين**) (الأنفال : ٣٠) .

كذلك تصيد دعاة الشـيوعية مواقف اسلامية أخذوا جانبا منها خالوه يقـوى متجهاتهم ، وعقدوا آصرة بين هـذا الجـانب وبين مبدئهم ، وجسموا هذه العـلاقة الوهمية الواهية وطلعوا بهـا على ذوى العقيدة الايمانيـة الآلهيـة منادين مهللين بأن مبادئهم الوافدة لها سـند من المعتقدات ، ولـها ركيزة من التراث العقدى !!

وجندوا امكاناتهم ووسـائل اعـلامهم ليوهمـوا البعض بأن الاشـتراكية من الـدين ، وأن الشيوعية بينها وبين الاسـلام رباط ، وأن أبا ذر الغفـارى كان اشتراكيا ، وأنه سبق الشيوعيـة بأعمـاله وأقـواله !! وفى أسى وأسـف سـمعنا من يردد فى « ببغائية » وامعيـة صـيحات هؤلاء الحانقين الحاقدين .

وفى أسى وأسف كذلك رأينا البعض يدين فى جرأة بهـذه الواجهـة

البراقة ، واجهة الشـــيوعية أو الاشـــتراكية العلمية التى تزعم أنها تأخذ من الملىء الثرى لتغطى الفقير المدقع •• ومن هنا كـان التأميم الـذى هـو ســمة الاشتراكية •

ورأينـــا التأميم يطبق ويزعم أربابه أنهم يأخذون حق الفقــراء من الأغنياء !!

انهم تحت هـــذا الــزعم لم يســتولوا على حــق الفقراء من الأغنياء ، انما اغتصبوا كل ما عند الأغنياء ونهبوا ما بناه العصاميون بجهدهم وكدهم وحبات عرقهم•• استولوا على كل ذلك لتتنعم بـــه طائفة معينة منهم ، ظل الســواد الأعظم من أشـــياعهم واتباعهم يعيشون حياة الســوائم ، اما فى المعسكرات ، أو فى الســـجون ، والمعتقلات ، لا اعترف بحرية رأى، ولا اقرار بكرامة انسان أو آدمية بشر ، لا طعام لمن لم يعمل ، ومن عمل فأجره لقيمات تمنح له عــن طريق البطاقات فى المعسكرات•وفى المعسكرات لا أسرة ، ولا علاقات أسرية ، وهل تعرف السوائم الا العلاقات الحيوانية !!

ومن أجل وضع الحق فى نصابه وبنيان علاقة الدين بهذه الأنظمة البشرية الموضوعة ••

ومن أجل ازالة ما علق بأذهان البعض من الشوائب والضـــلالات والأوهام التى أطلقهـــا الملحدون المغرضون عن علاقة الشـــيوعية بالاســـــلام •

من أجل ذلك كلـــه كان هـــذا الكتاب •• كتاب « أبو ذر الغفارى والشيوعية » •

ألفــــه رائد من رواد الفـــكر الاسلامى المعـــاصر ، وامام من أئمة المسلمين العالمين العاملين هو هو المغفـــور له الامـــام الراحل الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر السابق •

وكان من نافلة القول أن نرسم هنا معالم شخصيته الـــدينية وأن نعرف به ، فهو غنى عن التعريف، اذ أن أى مسلم له اتصـــال ولو من بعيد بواقع المسلمين المعاصرين ومشكلاتهم وحركات التجـــديد

الدينى والاصلاح الاسلامى وصوفية المسلمين الحقة الحرة الخالية من الأوهام والخالصة من الشوائب والمتجردة من الدخيل والأباطيل يعلم مكانة الأستاذ الشيخ عبد الحليم فى كل هذه المجالات ويعلم مدى ما أسهم به فى هذه النواحى وتلك المناحى من توجيهات صائبة وتواليف قيمة .. فضلا عن لقاءاته وندواته فى عديد من بلاد العروبة والاسلام .

ومع ذلك ، وعلى الرغم من ذلك فان لشخصية الامام الراحل عبد الحليم محمود وسماته الدينية ، وتوجيهاته للمسلمين والمصلحين تفصح عنها مقدمة هذا الكتاب .

وفى الصفحات الأولى من المقدمة يكشف فيها الامام الراحل مناورة أو مؤامرة قام بها الشيوعون ضد الاسلام وضد شيخه يقول عنها الامام : « شاءت المقادير أن أساق سوقا الى معركة مع الشيوعية بسبب كلمة عابرة ، بل أقل من عابرة اذا أمكن أن يقال ذلك !! كتبتها عن الشيوعية فكان الرد على هذه الكلمة العابرة أو الأقل من عابرة صفحات من الشتائم والسباب والتهجم على شخصى وعلى ما أمثله من مجال فى مجتمعنا الاسلامى .

وفوجىء العالم الاسلامى بهذا الهجوم واشمأز منه ..

ثم يتابع الامام حديثه عن أثر هذا الهجوم فى نفسه ، فيقول : « أما أثره فى نفسى فانه لم يكن غضبا ولا ثورة ولا شتائم ولا لعنات ، لقد أنزل الله على قلبى سكينة تامة ، وغمرنى شعور بالهدوء ، وسرت فى أعمالى التى كنت مستغرقا فيها ، وكأن شيئا لم يحدث ، وكما شكا الامام ابن مشيش — رضى الله عنه — من برد الرضا فقد وجدت فى صدرى برد الرضا هذا ، ولكنى لم أشك منه ، وانما استغرقت فى تفكير مركز فى الشيوعية ، ودرست الشيوعية فى استفاضة ، وكانت النتيجة .. » .

وقبل أن نمضى مع فضيلته .. لنا هنا وقفة ، فمن هذه الكلمـــات السابقة نستطيع أن نســـــتشف شخصية امام المســـلمين الراحل ، فهو يصمد ويثبت أمام ما يثـــيره أعداء الاســـلام ضد شـــخصه ، ويلوذ ـــ كما هو شـــأن المؤمن ـــ بالايمان يمده بالسكينة ويعينـــه على قولة الحق يقذف بها وجـــوه هؤلاء الذين يزرعون الفتنـــة فى الحقل الاسلامى ، ويبذرون بذور الشقاق فى الصف الاسلامى حتى ينالوا من وحدته ومن توحيـــــده (**يريـــدون ليطفئـــوا نور اللـــه بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون**)(الصف آية ٨) .

وبعد البحث والدراسة ـــ كما تقول المقدمة ـــ عرض المؤلف فى صدق وعمق للشيوعية ـــ ، وعرض بهـــا ، ، وأبـــان زيف مفاهيمهـــا وشعاراتها الضـــالة المضــــللة ، وروافدها التى انغمس فى حمأتها البعض ممن ختم اللـــه على بصره وغطى على بصيرته ، وفند مزاعمها وكشف الستر عن ألوانها .

ومن حـــــديثه عنهـــا : « ان الشيوعية تنكيل وتعذيب ، وقتل ، واراقة دماء ، وسحل ، اذا ملكت وتحكمت ، وهى هجوم وســـباب وشتائم لاسكات الأقلام والألسنة اذا لم تكن قد وصلت الى التحكم والســـيطرة ، ورأيت بعد هـــذا الاستغراق فى موضوع الشيوعية الذى كان نتيجته الهجـــــوم على شتائم وســـبابا دون مبرر ، رأيت من تاريخ الشيوعية الطويل أنهـــا من أعدى أعداء الاسلام كما أنها من أعدى أعداء المسيحية .

ان من أخطـــر ما يتهـــددنا من الشيوعية أنها تهددنا فى عقيـــدتنا وفى أخلاقنا وفى أموالنا ودمائنـــا ولابد من مقاومة ذلك على الصعيد القانونى ، وعلى صعيد التوعيـــة الشعبية الجماهيرية .

ان كل شـــــخص يعلم حقيقة الشيوعية فانه يفر منها كما يفر من الوباء .. » .

وبعد أن أمـــاط الامام اللثـــام وأبان زيف هذا المذهب ، ووضعه تحت الأضواء العقيدية الكاشـــفة ســــاق بعد ذلك اســـــتفهامات

وتساؤلات حول سكوت ذوى العقيدة الالهية من مسلمين ومسيحيين عن مناهضة الشيوعية ، فهو يقول فى المقدمة :

« .. وتساءلت : لم سكت علماء الاسلام عنها ؟ ولم سكت أحبار المسيحية عنها ؟ بل تساءلت : لم لم أكتب أنا عنها من قبل لم لم أجعل دراستى لها وبيانها للناس من منهجى فى الاصلاح ؟ لم سكتنا عنها هذه السنوات الطوال مع أنها تسوم المسلمين خسفا وتنكيلا ، وتعادى الاسلام أفظع ما تكون العداوة وأقسى ما تكون العداوة : انها عداوة ضارية .. » .

ولم يترك الامام الراحل هذه التساؤلات معلقة من غير جواب ، فقد أجاب عنها ، وفى صراحة صريحة وضع النقاط على الحروف ، وقال اننا شغلنا بالخلافات الفرعية والماحكات اللفظية ، وتركنا الأسس وبعدنا عن المجابهة والمجاهدة .

ثم دق — رحمه الله — الناقوس ، ووجه المسلمين ، عامتهم وخاصتهم ، الى ما يجب عليهم أن يتخذوه حيال ذلك الوباء الوافد والبلاء الغربى الذى هب بقتامه على الصعيد العربى الاسلامى .

يقول : « لقد شغلنا الأعداء بخلافات ما كان ينبغى أن تكون بين المسلمين يشغلون أنفسهم بها تاركين الأعداء يهدمون الدين وينكلون بالمسلمين !! هل لنا أن نكف عن الحديث عن زيارة القبور ، وعن قراءة سورة الكهف، وعن الكتابة فى الجبر والاختيار ، وعن حمل المسبحة أهو بدعة ؟! وعن شد الرحال وهل يتضمن النهى عن زيارة الأولياء أو لا يتضمنه ؟! هل لنا أن نفكر فيمن يريد أن يستأصل الاسلام من أساسه ؟ وأن يأتى عليه من القواعد ويعمل على ازالته من الوجود ؟

أرجو الله أن يتنبه علماؤنا الأفاضل ومفكرونا الأجلاء الى الخطر الآتى من الغرب ومن

الشرق ليتخذوا عدتهم لمقاومته ، وان من أخطر ما يتهددنا الشيوعية •

أما الفصل الأول من الكتاب فقد تحدث فيه الامام الأكبر الراحل عن أبى ذر والشيوعية من زاوية العقيدة وأبان فيه شخصية أبى ذر وسماته وصفاته قبيل اسلامه ، وتطلعه واستشرافه الى الدين الحق والى العقيدة المتينة المكينة •• ثم لقائه بالرسول صلى الله عليه وسلم وايمانه به ، وعما لقى فى سبيل ذلك الايمان من عنت •• ورهق •• ومشقة •

وألقى ــ رحمه الله ــ الأضواء على الأجواء الايمانية التى كان يحياها أبو ذر عقب ايمانه •• وعرض عقبيها الأجواء الالحادية التى نادى ــ وينادى بها ــ ماركس وأعوانه من دعاة الشيوعية وغلاتها « وبضدها تتميز الأشياء » عرض موقف ماركس منذ أن أوجد الشيوعية ونادى بها وعرض شعاراتها الهادفة للتدمير الهادمة لكل دين القاصدة تخريب الأفئدة من اليقين ، وتجريد النفوس من كل عبادة الا عبادة المادة •

ثم تحدث عن تلميذ ماركس وخليفته (لينين) الذى قال ان الالحاد جزء طبيعى من الماركسية لا ينفصل عنها وأن الماركسية هى المادية المعادية للدين ، وأن البحث عن الله لا فائدة منه •

وأورد فضيلة المؤلف عقب ذلك أقوال الشيوعين عن الدين ، وساق فى هذا المجال « لونا شاركسى » وزير التعليم الشيوعى الذى قال : « نحن نكره المسيحية والمسيحيين، وحتى أحسن المسيحيين خلقا نعده شر أعدائنا ، وهم يبشرون بحب الجيران والعطف والرحمة وهذا يخالف مبادئنا ، والحب المسيحى عقبة فى سبيل تقدم الثورة فليسقط حبنا لجيراننا ، فان ما نريده هو الكراهية والعداوة ، وحين ذاك نستطيع غزو العالم •• » •

كما ساق الامام فى هذا المجال

أيضا القرار الذى اتخـذه المؤتمر الدولى الشيوعى السادس الـذى عقد فى سنة ١٩٢٨ م الذى جـاء فيه :

« ان الحرب ضـد الـدين — الذى هو أفيون الشـعوب — تشغل مكانا بين أعمال الثـورة الثقافية ، ويلزم أن تسـتمر هذه الحرب ، وباصرار ، وبطريقـة منظمة •• »

وفى نهاية هـذا الفصـل خرج الامام المؤلف بالقول الحق حينما قال أن الشـيوعية مناقضـة للاسلام مناقضة تامة •

كما أجاب عن التساؤل عن الصلة بين أبى ذر والشيوعية ، فقال ان الاجابة معروفة واضحة : انهـا الصلة بين الايمان والكفر ، الصلة بين الاسلام والالحاد •

ثم يمضى فيقول : ما نصـيب الشيوعية فى أبى ذر لو علم بها ؟ ان نصيبها منه اللعنة ، وأن نصيبها منه العداوة الى حد السـيف •• وأن نصـيبها منه مقت المؤمن لمن يحاد الله ورسوله •

وعن زهد أبى ذر — رضى الله عنه — كان الفصل الثانى من هذا الكتاب — وفيـه نرى وصـاية رسول الله صلى الله عليه وسلم له بمجالسة المساكين والرحمة بهـم والدنو منهم ، وصلة الرحم وقوله الحق ، والشجاعة الأدبية •• ثم كثرة الذكر •

وخرج أبو ذر بهذه الوصـايا المحمدية من حيز القول الى نطاق السلوك العملى « طبقها أولا على نفسه •• ثم عـلى أهـله وقومه وصحبه » • وكان هذا الارشـاد المحمدى هو المنطلق الذى حـدد ملامح شـخصية أبى ذر بعـد اسلامه ، ولون سـلوكه وكون شخصيته التى حـاول تشـويهها وتلويثها بعض الحاقدين الناقمين ، وبعض الجهلة من عوام المسلمين من ذوى النظر السطحى والنظرة العابرة الذين لا يصلون الى الغور والعمـق ، لأنهـم سطحيـون هامشـيون يأخذون الأشـياء بمظاهرها ويحكمون على الأمـور بظواهرها •

وعن زهد أبى ذر قال الدكتور عبد الحليـــم : « ان أبا ذر كـــان زاهدا جميلا يحب للناس الخير ، فكان يدعوهم الى الزهـــد حتى لا يكون حسابهم على المال ثقيلا يوم الحساب ، وذلك أن الانسان يسأل يوم القيامة عن ماله فيما أنفقه ؟ وكان أبو ذر يحب أن يمر المسلمون على الصراط خفافا وألا يكون المال عقبة فى سبيل تيسير الحساب •

وكما أحب الخير لنفسه والتزم أن يختزن ما يكفيه وأسرته العام كاملا ، وأن يتصدق بما فضل عنده ويفعـــل ذلك كل عام ويقتنى أغزا ودواب يحلب منها ويشرب ويهب ويتصـــدق فـــانه كان يحب ذلك لأصحابه ••

وفى موطن آخر من هذا الكتاب يواصل المؤلف حديثه التحليلى عن أبى ذر وزهده فيقول : « •• وكان زاهدا ، بل رأســـا فى الزهـــد ، وزهده الذى كان زهد المتجردين • وزهـــد المتجردين هـــو الزهـــد الاختيارى ، أى : الزهد مع قدرة الانسان على الكسب ، انه زهـــد يحرر فيه الزاهد بمنتهى حريتـــه من شهوات الدنيا لم يجبره أحـــد على الزهد ، ولم يجرده أحد من مـــال • وزهـــده ودعـــوته الى الزهد كل ذلك لا يمت بصلة الى استعمال القوة والقهر فى الاستيلاء على المال » •

وفى هذا الفصـــل أورد الامام الراحل النصوص الاسلامية التى تحدثت عن زهد أبى ذر وعطـــائه وبذله ، كمـــا أورد أحـــاديث ابن مسعود ، وأســـماء ، وســـعيد بن الحسين ، رضى الله عنهم أجمعين•

وعنـــدما عرض الدكتـــور عبد الحـــليم قول الذهبى : ان أبا ذر كان لا يستجيز ادخار النقدين • علق الدكتور عبد الحليم على هذا المتجه الذى ذهب اليـــه أبو ذر فقال : « ومذاهب الناس الفردية فى الحيـــاة ــ مادامت خالية من المعاصى ــ فانها مبـــاحة للأفراد كأفراد ومباح للأفـــراد كأفـــراد أن ينصـــحوا ويبينوا العظـــاتـــ والعبر فى محيط هذه الحيـــاة ، ســـــواء أخذ النـــاس بها أم لم يأخذوا •

وإذا كـــان ذلك مذهب أبى ذر الذى يشبه ــ مع فارق الايمـــان والتقوى ــ مذهب زهاد الفلاسفة فى العصور القـــديمة والحـــديثة والذى غايته هدوء البال والراحة فى الدنيا عند الفلاسفة ، والراحة فى الدنيا والأخرة عنـــد أبى ذر ، فان للأفراد ــ كأفراد ــ مذاهب أخرى ، ولكننا نحب أن نقول ان أبا ذر كان ينصـــح ويعظ ليقبـــل الناس على البذل مختارين ، ومـــا كان يدور بخـــلده قط أن يقهـــر ويغتصب ، بل انه لو رأى القهـــر والاغتصـــاب لقاومه بســـــيفه ، ولضحى فى سبيل وقفه بنفســـه ، فانه ما كان يرضى بالظلم • واذن ، فهو بعيد كل البعـــد عن المذاهب الحديثة ، وليس للمذاهب الحديثة فيه نصيب ، اللهم الا حينما تلفق الآراء وتزيف الحقائق ••

وما دام لأبى ذر موقف خاص ومذهب ، وفلسفة تجاه المال كان الفصل الثالث من هـــذا الكتـــاب خاصا بالحديث عن أبى ذر والنظام المالى فى الاسلام • وقد أوضـــح الدكتور عبد الحليم خطـــوط هذا النظام المالى الاسلامى ، وكشـــف معالمه وأبان ركائزه من أن المـــال لله تعالى وقد استخلفنا فيه ، وأن المولى سبحانه قد وضـــع قـــواعد لكسب المال ، وقواعد لطهارة المال ، وقواعد للأغنياء الذين رزقهم الله المال ، وأن شريعة الله قـــد نظمت الأمر فيما يتعلق بالمال من ناحيـــة التجـــارة والبيـــــع والشراء •• وحرمت فى الوقت نفسه اغتصاب المال وانتزاعه من أصحابه من غير وجه حق ، وبعدئذ يقول شـــيخ الأزهر الســـابق ــ رحمه الله ــ « وما دام الأمر كذلك فان أبا ذر لا يرضى أن تغتصب أرض أحد أو أن يغتصب منه شبر • ولو حـــدث ذلك فى عهده وسلم له بمجالســـة المساكين والرحمة لثار ثورة عارمة فيها الاخـــلاص ، وفيهـــا الارادة العازمة ، وفيها الحدة التى اتسم بها ، وذلك لأنها تخالف ما عرفـــه الاسلام لقد ملكت عليه شـــعائر الاســـــلام قلبه فكان يؤديها كمـــا رآها آلاف المـــرات فى ســـــلوك

الرسول صلى الله عليه وسلم •

وفى نهاية هذ الباب عرض الامام الأكبر صورا اسلامية كشــفت أن الاســلام لا يعادى المال • وأن دعوته للكسب والعمل ولبذل الجهد فى تحصيله تحت ظلال المبــادىء الاسلامية وفى حدود الأطــر التى حددها الشرع للعمل وللاســتثمار وللانمــاء أبان أن ذلــك كله مــن الاســــلام •

وأبان أن المسلمين كانوا يعملون فى كسب المال فى عهد رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم ، وأن البعض منهم ــ رضوان الله عليهم ــقــد أثــروا ثــراء عظيمــا ولم ينههم رسول الله صلى الله عليه وســلم عن الازدياد •

ولم يأمرهم بالوقوف عند حــد فىالتجارة والكسب •

وكان من هــؤلاء الــذين كدوا وأثروا عبد الرحمن بن عــوف • وحينما تحدث شـــيخ الأزهــر السابق عن عبد الرحمن بن عوف ، وعــن أنه أحــد العشرة المبشرين بالجنة ، وعن ملايينه ، وعن موقفه تجاه هذه الملايين ، وعن معطياتهفى ميادين المال والاقتصــاد والخدمة الاجتماعية الاسلامية حينما تحدث هذا الحديث عن عبد الرحمن بــن عوف جعـــل عنــوان الحــديث « البليونير الصالح عبد الرحمن بن عــوف » •

ولنا وقفة مع هذا العنــوان ، ومع ما ينــدرج تحته من دلالات ومعان ومضـــامين ، فالتعبــير بالبليونير الصــالح تعبير جــديد استقطب فى كلمتين اثنتين معــانى كثــيرة ودلالات عــديدة دلت فى ايجاز وتركيز على وفــرة الثروة وصلاح صاحبه ، ودلت على غــير هذا من المضــامين والدلالات التى يشير اليها قول رسول الانســانية محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم : « نعم المال الصالح للعبد الصالح » •

وقد تضمن الكتاب أبوابا أخرى وخاتمة يطــول بنا الحــديث لو تناولناها بالعرض والتحليل الا أننا نقول ان الكتاب ســهل التنــاول تخلصت عبــاراته من الغمــوض

والتعقيد والحشو والاسهاب وأن كل قضية عرضها أيدها بعديد من النصوص الاسلامية الثابتة ، وأن الكتاب رائد فى موضوعه رائد فى تحليله وتعليله ، بل وفى « حجمه » و « قطعه » فقد حرص الامام المؤلف — كما جاء فى مقدمة كتابه — على أن يظهر الكتاب فى ثوب مناسب الحجم حتى يعم به النفع .

والحق معه فى ذلك ، فما أحوجنا ونحن فى عصر السرعة ، بل فى عصر حمى السرعة — ما أحوجنا الى كتيبات تقدم للعامة وأنصاف المتعلمين زادا دسما فى ثوب مناسب .

وما أحوج هؤلاء الذين تحول شواغلهم ومشاغلهم تحول بينهم وبين القراءات المسهبة المستفيضة ما أحوجهم الى هذا اللون من الحجم ، ليجدوا فيه بغيتهم من الافادة فى قصير من الوقت وكثير من الفائدة .

والكتاب مع ذلك كله — وبعد ذلك كله — يقدم معلوماته فى حلة قشيبة من جمال الطبع وجميل التوضيب وروعة الاخراج اللهم الا هنة هينة من خطأ مطبعى لا يخفى ادراكه على لبيب ، جاء فى السطر الأول من صفحة ٣٢ حيث وردت كلمة (تخبره) وصوابها : تجبره .

وفى النهاية نردد معه دعاءه ورجاءه الذى أنهى به المقدمة عندما قال (وأرجو الله أن يهدى بهذه الكتب وبما يتلوها ، وأن يهدى لها ، انه سميع قريب مجيب) .

الدكتور محمود بن الشريف

فهـرس العـدد

الموضـــــوع	صـــــفة
● **احتفالات الازهر الشريف بمطلع القرن الخامس عشر الهجرى**	
صاحب الفضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر	٢٢٥
● **الاسلام يحرر الفكر الانسانى من الجمود والتقليد**	
لفضيلة الدكتور محمد الطيب النجار وكيل الازهر	٢٣١
● **أنس بن مالك**	
لفضيلة الدكتور الحسينى هاشم الامين العام لمجمع البحوث الاسلامية	٢٤٠
● **الاسلام عقيدة وشريعة**	
للأستاذ محمد صابر البرديسى	٢٤٧
● **دراسات قرآنية**	
لفضيلة الشيخ مصطفى الطير	٢٥٣
● **خلق الانسان فى القرآن**	
للدكتور محمد خليفة	٢٦٢
● **نحو اعلام آسلامى رشيد « الصحف والمجلات »**	
للدكتور محمد رجب البيومى	٢٧٧
● **الاحداث الكونية للقيامة والاعجاز العلمى للقرآن**	
للدكتور منصور محمد حسب النبى	٢٨٤
● **محمد عبده والاصلاح الدينى**	
للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي	٢٩٣
● **أمر الله ورسوله**	
للشيخ معوض عوض ابراهيم	٣٠٠
● **خواطر حول الخلود**	
للأستاذ السيد حسن قرون	٣٠٦
● **محنة المسلمين**	
للدكتور ابراهيم ابو الخشب	٣١٥
● **الامام ابن الطلاع القرطبى**	
للمستشار محمد عزت الطهطاوى	٣١٩

الموضـــــوع	صـــفة

- **مع آيات من سورة النساء**
  للأستاذ عبد الحميد الفضالى ٣٢٩
- **الهجرة وبناء الحضارة الانسانية**
  للأستاذ عبد الحكيم النجـــار ٣٤٣
- **أم معبـــــد**
  للدكتور محمد محمد الشرقاوى ٣٤٧
- **الامن ومقاومة الشيوعية**
  للواء محمد كمال الدين محفوظ ٣٥٥
- **اللغـة والمجتمـع**
  للدكتور عبد الغنى حامد هــلالى ٣٦٤
- **الازهر جامعا وجامعة**
  للأستاذ محمد كمال السـيد ٣٧٤
- **نبذة عن حياة الشيخ الدجوى فى ذكرى وفاته**
  اعداد الأستاذ ســعيد عبد الحى ٣٨٢
- **حــكم وطـــرائف**
  اعداد الاستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٣٨٦
- **باب الفتـــاوى**
  اعداد الأستاذ عبد الحميد شاهين ٣٩٠
- **من أنبـــاء العـــالم الاســلامى**
  اعداد الاستاذ فهمى عبد اللاه ســيد على ٣٩٥
- **كتـــاب الشـــهر**
  عرض وتعليق : الدكتور محمود بن الشريف ٤٥٢

طبع بمطابع روز اليوسف

مجلة

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

فى أول كل شهر عربى

مدير المجلة

محمد صابر البرديسى

العنوان

إدارة الأزهر

القاهرة

ت :

٩٠٩٩٢٢

٩٠٥٥٠٦

الجزء الثالث ـ السنة الثالثة والخمسون ـ ربيع الاول سنة ١٤٠١ هـ ـ فبراير سنة ١٩٨١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم كما يصورها القرآن الكريم

لفضيلة الدكتور / محمد الطيب النجار

رئيس جامعة الأزهر وعضو مجمع البحوث الاسلامية

كانت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الدنيا كالشجرة الطيبة التى ثبتت أصولها ، وانبسطت ظلالها ، وآتت ثمارها المباركة فى كل وقت وحين ، بل كالمشكاة النيرة يتألق ضوؤها ذات اليمين وذات الشمال وفى كل مجال . ويهدي الله بها من يشاء من عباده .. فلما قضى الله على رسوله أن يلحق بالرفيق الأعلى ويوضع جسده الطاهر فى باطن الأرض رجع الناس بسيرته نورا يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، وسوف يظل هذا النور هداية للناس ورشادا ما دامت السماوات والأرض وما بقي الوجود كله ..

وانه لحق علينا ــ نحن المسلمين ــ أن ننتفع بهذا النور المبين ، وأن نحسن استغلاله بدل أن تعشى به أبصـارنا فيلتوى علينا القصـد ويضيع منا الطريق .. « **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهـدى به الله من اتبع رضـوانه سـبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهـديهم الى صراط مستقيم** » .

وقد عصم الله عز وجل رسوله محمدا ــ كما عصم سائر الرسـل والأنبياء فجعلهم مفطـورين على الصدق والأمانة مبرئين من العيوب معصومين من الخطايا والذنوب . ذلك لأنهم القدوة الحسنة والمثـل الكاملـة العليـا أمـام الأمم والشعوب .

أجل . لقد أدب الله رسـوله فأحسن تأديبه ، ومنحه من كمـال الخلق وجميل الصفات ما لم يمنحه لأحد من العالمين ، ووصفه بـذلك فى محكم كتابه فقال : « **وانك لعلى خلق عظيم** » .. وأمره بأن يكون رمزا للخير والبر فقال له : « **خـذ العفو وأمر بالعرف وأعـرض عن الجاهلين** » .

وقال له فى آية أخرى : « **فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل** » وقال : « **واصبر وما صـبرك الا بالله ولا تحـزن عليهم ولاتك فى ضيق مما يمكرون** » . وقد تواترت الأخبار على حسن امتثال الرسول لما أمره الله به من هذه الصـفات الكريمة .. فما من حليم الا عرفت له بعض الزلات والهفوات ، ولكن النبى محمدا صلوات الله وسلامه عليـه لم يكن يـزداد على كثرة الايذاء الا صبرا وحلما ، وكـان لا ينتقم لنفسه الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله ، وفيما يروى عن أنس رضى الله عنه أنه قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وسـلم وعليه برد غليظ الحاشية فجـذبه أعرابى بردائه جذبة شديدة حتى أثرت حاشية البرد فى صفحة عنقه ثم قال : يامحمد . احمل لى على بعيرى هذين من مال الله عندك ، فانك لا تحمل لى من مالك ولا مال أبيك ، فسكت النبى ثم قال : المال

مال الله وأنا عبده ، .. ثم قال : ويقاد منك يا أعرابى ما فعلت بى ، قال الأعرابى : لا ، قال الرسول : ولم ؟ قال لأنك لا تكافىء بالسيئة السيئة فضحك الرسول صلى الله عليه وسلم ثم أمر بأن يحمل له على بعير شعير . وعلى الآخر تمر .

وهكذا كان خلق الرسول صلى الله عليه وسلم تنفيذا عمليا لما وصاه الله به فى كتابه العزيز فى البر والخير وكريم الخلال وصالح الأعمال.لم يتخل عن هذه الصفات الكريمة فى أية لحظة من حياته وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

واذا كان القرآن الكريم قد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأجل الصفات التى تؤكد طهارته وعصمته ، كما نجد ذلك واضحا فى جميع الآيات القرآنية التى تحدثت عن الرسول الكريم . فان هناك بعض الآيات القرآنية التى تبدو فى ظاهرها متجافية عن العصمة الواجبة له والواضحة فى جميع أفعاله ، ولكنها فى واقع الأمر . ولدى التأمل وامعان النظر تتكشف حقيقتها التى لا تخدش العصمة ولا توهن جانبها .. وذلك مثل قوله سبحانه لمحمد صلى الله عليه وسلم : **« وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه »** .

وقوله : **« يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك ؟ »** وقوله **« ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم »** .. وقوله **« عبس وتولى أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى . فانت له تصدى . وما عليك ألا يزكى .وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فأنت عنه تلهى »** .

فهذه الآيات فيها لوم موجه الى الرسول صلى الله عليه وسلم واللوم لا يكون الا عن تقصير أو خطيئة ، والتقصير والخطيئة لا يتفقان مع العصمة .. ولكن

المتأمل فى معانيها الدقيقة وفى السبب الذى نزلت من أجله لا يرى فيها شيئا يبعد عن نطاق العصمة أو يتجافى معها ..

فأما قول الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : ((**وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**)) (١) . فان ذلك يرجع الى قصة زواج الرسول بزينب بنت جحش وكانت من قبل متزوجة من الابن المتبنى للرسول وهو زيد بن حارثة . وكانت طبيعتها العربية تأبى عليها أن ترى فى زيد كفئا لها . ولهذا ساءت العشرة بينهما . وكان زيد كثيرا ما يشتكى للرسول من اساءتها اليه فيقول له الرسول : ((**أمسك عليك زوجك واتق الله**)) .. ولما بلغ الأمر بزيد نهايته . ولم يعد فى قوس الصبر منزع ـ كما يقولون ـ طلقها زيد وزوجها الله لرسوله أى أمره بالزواج منها . وكان ذلك لحكمة تشريعية جليلة **وهى ابطال** تلك العادة الفاسدة التى كانت تحرم زواج المتبنى بزوجة ابنه المتبنى ، وذلك لأن هذه البنوة ادعائية فلا يمكن أن تترتب عليها آثار البنوة الحقيقية .. أما كون الرسول كان يخفى فى نفسه ما الله مبديه فليس معناه أنه كان يخفى حبها فى نفسه ولا يظهر الحقيقة لزيد . وانما يقصد به أنه كان يخفى أمر الله له بالزواج منها ، وقوله تعالى : ((**وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**)) معناه أنك تخشى قول الناس تزوج محمد من زوجة متبناه ، ويؤكد ذلك قول الله تعالى بعد ذلك : ((**فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها**)) . أى الزمناك بالزواج منها مع خوفك من عواقب هذا الزواج وعدم رغبتك فيه ..

وأما قوله تعالى : ((**يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك**)) (٢) .

---

(١) سورة الاحزاب آية ٢٧ .
(٢) سورة التحريم آية ١ .

فلم يكن الرسول قد حرم ما أحل الله له بما يفهم من ظاهر الكلمة . وانما تشير الآية الكريمة الى قصة معروفة وقعت بين نساء الرسول صلى الله عليه وسلم . وذلك أن الرسول كان اذا صلى العصر مر على سائر نسائه فيمكث عند كل واحدة وقتا يسيرا للايناس واذهاب الوحشة ولكنه دخل عند زينب بنت جحش فشرب عندها عسلا كان قد أهدى لها من أهلها ، وقال ذلك عدة مرات ، فاتفق نساء الرسول على أن تقول له كل واحدة منهن اذا دنا منها : « انى أجد منك ريح المغافير » والمغافير نبات حلو الطعم ولكنه متغير الرائحة . فلما ذهب الرسول الى عائشة قالت له هذا الكلام فقال لا ولكنى شربت عسلا عند زينب فقالت له : لعله قد جرست نحله العرفط (أى أكلت النحل من نبات العرفط وهو نبات له ريح الخمر) ، ولما ذهب الى حفصة قالت له مثل هذا الكلام . وهكذا ، وكان الرسول يحب الريح الطيبة ويكره أن يأكل الطعام الذى يسبب الرائحة الكريهه ، ومن أجل تواطئهن جميعا على هذا الكلام حرم الرسول صلى الله عليه وسلم العسل على نفسه ، فنزل قوله تعالى : « **يأأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك والله غفور رحيم** » (١) . وبذلك يكون ما فعله الرسول لا يتعلق بالدائرة الكبرى فى الحلال والحرام الذى يتعلق بأفعال العباد ، وانما يرتبط بالدائرة الخاصة بينه وبين زوجاته فى مسألة شخصية . وفى أمر خاص لا يتعداه الى غيره .

وأما قوله تعالى : « **ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم** »(٢) فهى عتاب من الله لرسوله حينما

(١) سورة التحريم آية ١ .
(٢) سورة الأنفال آية ٦٧ ، ٦٨ .

اجتهد فأخطأ فى اجتهاده وقبـل الفـــداء من الأسرى المشركين فى يوم بدر ولم يقتـلهم وقـد ظن الرسول أن الخير والمصلحة العامة فى ذلك وفقا لمشـــورة فريق من المسلمين فقضى به وأمضاه ، وكان عتاب الله لرسوله لكى يرشده لمـا يجب أن يكون بعـد ذلك • وليس معناه أن الرسول قد ارتكب مـا يؤاخذه الله عليه • وهـذا هـو ما يفهم من قوله تعالى فى الآيـة الثانية : **« لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم »** أى لولا ما حـكم الله به من أن المجتهد اذا أخطأ لا يؤاخذ بخطئه لمسكم العـذاب •• وأما قـوله تعالى : « **عبس وتولى • أن جاءه الأعمى » الـخ • الآيـات فهـو** ــ كذلك ــ خطأ وقع باجتهاد من الرسول صلى الله عليه وسـلم • وذلك أن الرسول كان متصـديا للحديث مع الوليد بن المغيرة يحاول أن يهديه للاسلام ، والوليد سيد من سادات قريش • وفى اسلامه كسب كبير ومغنم عظيم ، ومـن أجل ذلك كان الرسول مستغرقا فى الحديث معه ومشغولا به عن كل شىء ، وفى هذه اللحظات مـر به عبد الله بن أم مكتوم (الأعمى) وجعل يستقرئه القرآن وألح عليه قائلا : علمنى مما علمك اللـه • فشـق ذلك على النبى وآلمـه أن يحاول هذا الرجـل صرفـه عن (الوليد) الذى كان يتمنى اسلامه ويطمـع فيـه فعبس فى وجهـه وأعرض عنه فنزلت هذه الآيـات الكريمـة : **« عبس وتـولى » الخ الآيات** • فعلم الرسـول أنه أخطأ فيما فعـل بهـذا الأعمى الضعيف • وكان كلما مر به هـذا الرجل بعد ذلك يحسن استقباله • واذن فقد كان هـذا الخطـأ من الرسول عن اجتهـاده حيث كان يعتقد أن الفرصة التى يمـكن أن تتم باسلام الوليد سـوف يترتب عليها اسلام عـدد كبير من بنى مخزوم تبعا لاسلام سيدهم • أما عبد الله بن أم مكتوم فيمكن أن يتعلم مبادىء الاسلام فى وقت آخر لا تضيع فيه فرصة وجـود الرسول مع (الوليد)وتصـديه لهدايته •

وبهذا يتضح لنا أن الأمور التى عاتب الله فيها نبيه الكـريم ليس فيها مخالفـة لما أمـر به اللـه . ولا وقوع فيما نهى عنه . وهى مع ذلك لا تغض فى قليل أو كثير من المثل الأخـلاقية التى عـرف بها الرسول صلى الله عليه وسـلم ولا تتنافى مع العصـمة الواجبـة له .. وهكذا يطهر الله رسوله من شوائب النقائص ويسـمو به عن الخطايا ، ويجنبـه شر الـذنب والمعصية ، ليكون القدوة الصالحة، والأسوة الحسنة . وصدق اللـه العظيـم : « **يا أيهـا النبى انـا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى اللـه باذنه وسراجـا منيرا** » .

هذا ومن الله العون وبه التوفيق

د/محمد الطيب النجار
رئيس جامعة الأزهر
وعضو مجمع البحوث الاسلامية

من أئمة المحدثين
عبد الله بن عباس

لفضيلة الدكتور / الحسينى هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

نسبه : عبد الله بن عبـاس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عم النبى ــ صلى الله عليـه وسلم •

وكنيته : أبو العباس •

عناية النبى صـلى الله عليـه وسلم به :

عن ابن عباس قال : حدثتنى أم الفضل بنت الحرث ، قالت : بينما أنا مارة والنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى الحجرة ، فقال : يا أم الفضل ؟ قلت : لبيك يارسول الله ؟ قال : انك حامـل بغـلام قلت : كيف ؟ وقـد تحـالفت قريش لا يولدون النساء ؟ قال : هو ما أقول لك ، فاذا وضعته فائتنى به ، فلما وضعته ، أتت النبى ــ صلى اللـه عليه وسلم ــ به فسماه عبد الله ، وألباه بريقه (صب ريقه فى فيه) •

ثم قال : اذهبى به ، فلتجدينه كيسا •

قالت : فأتيت العباس فأخبرته فتبسم ، ثم أتى النبى ــ صـلى الله عليه وسـلم ــ وكان رجـلا جميلا مديد القـامة ــ فلمـا رآه النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قام اليه ، فقبـل ما بين عينيـه ، وأقعده عن يمينه •

ثم قال : هذا عمى ، فمن شـاء فليباه بعمه ؟ قال العباس : بعض القول : يارسول الله ؟ قال : ولم لا أقول وأنت عمى وبقية آبائى ، والعم والد !؟

كان ذلك بالشعب الذى حاصرت قريش فيه بنو هاشم ، قبل الهجرة بثـلاث سنين ، وقيل خمس ــ

ونلمح من هـذه الرواية ما كانت عليه العلامة بين النبى — صلى الله عليه وسلم — وعمه العباس من توطد والتئام ، رغم بقاء العباس على دينه !؟

وعن سعيد بن جبير ، عن ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : توفى النبى — صلى الله عليه وسلم — وانا ابن خمس عشرة — ورغم صغر سنه فانه استفاد من معاشرته للرسول — صلى الله عليه وسلم — الكثير ، مما رفع قدره وأعلى ذكره ، وأبقى أثره وساعد على ذلك أدبه الجم ، وأخلاقه الفاضلة .

فرغم تدليل الرسول — صلى الله عليه وسلم — له ولاخوته فيما يرويه عبد الله بن الحرث ، قال : كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يصف عبد الله ، وعبيد الله ، وكثير من بنى العباس ، ويقول : من سبق الى فله كذا وكذا ؟ فيستبقون اليه ، فيقعون على ظهره وصدره ، فيلتزمهم ويقبلهم — : اذا بنا نلمح مظاهر هدا الأدب ، وتلك الاخلاق فيما يرويه لنا من مواقف مع الرسول — صلى الله عليه وسلم .

فعنه ، قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم — وهو يصلى من آخر الليل ، فقمت وراءه ، فأخذنى فاقامنى حذاءه ، فلما أقبل على صلاته انخنست (١) فلما انصرف قال : مالك ، أجعلك حذائى فتخنس ؟ قلت : ما ينبغى لأحد أن يصلى حذائك وأنت رسول الله !؟ فأعجبه فدعا الله أن يزيدنى فهما وعلما .

— وعنه ، قال : كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى بيت مأمونة (٢) فوضعت له وضوءا ، فقال : اللهم فقهه فى الدين ، وعلمه التأويل .

وروى البخارى بسنده عنه ، قال : ضمنى النبى — صلى الله

---

(١) انخنست : تأخرت .
(٢) مأمونة بنت الحارث خالته ، زوج النبى صلى الله عليه وسلم .

عليه وسلم — الى صدره وقال : اللهم علمه الحكمة . وفى رواية : علمه الكتاب .

طلبه العلم :

— عن ابن عباس — رضى الله عنهما — قال : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم — قلت لرجل من الأنصار : هلم يافلان فلنطلب العلم ، فان أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أحياء ؟ قال : عجبا لك يا ابن عباس : ترى الناس يحتاجون اليك ، وفى الناس من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم من فيهم !؟ قال : فتركت ذلك وأقبلت أطلب ، أن كان الحديث ليبلغنى عن الرجل من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد سمعه من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فآتيه ، فأجلس ببابه ، فتسفى الريح على وجهى — فيخرج الى فيقول : يا ابن عم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما جاء بك ؟ ما حاجتك ؟

فأقول : حديث بلغنى عنك ترويه عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم .

فيقول : ألا أرسلت الى ؟

فأقول : أنا أحق أن آتيك ! ؟؟

قال : فبقى ذلك الرجل (الانصارى) حتى أن الناس اجتمعوا على ؟ فقال : هذا الفتى كان أعقل منى !؟ .

ونلمح من ذلك أدبه الجم ، وتواضعه ، وتوقيره للعلم ، وبعد نظره ، وحرصه على طلب الحديث ، وعدم المبالاة بما يستتبع ذلك من جهد ومشقة !؟

كف بصره ونهاية حياته :

— عن ابن عباس قال : بعث العباس بعبد الله ، الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى حاجة ، فوجد معه رجلا ، فرجع ولم يكلمه ، فقال : رأيته ؟ قال : نعم ؟

قال : ذاك جبريل ، أما انه لن يموت حتى يذهب بصره ، ويؤتى علما ؟؟

— وعن المسيب بن رافع ، قال : لما كف بصر ابن عباس أتاه

رجل فقال له : انك ان صبرت لى سبعا (١) لم تصل الا مستلقيا ، تومىء ايماء ، داويتك ، فبرئت — ان شاء الله تعالى — فأرسل الى عائشة ، وأبى هريرة ، وغيرهم ، من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كل يقول : أرأيت ان مت فى هذه السبع ، كيف تصنع بالصلاة ؟ فطرف عينه ولم يداوها ؟؟ ولعل ذلك لكبر سنه ، واقتراب أجله .

وأدركه الموت فى سنة ٦٨ ثمان وستين من الهجرة ، بعد أن عمر حياة مديدة مباركة — فوليه محمد ابن الحنفية ، فكبر عليه أربع تكبيرات ، وأدخله القبر ، من قبل رجليه ، وضرب عليه البناء ثلاثا — وقال : مات اليوم ربانى هذه الأمة ؟؟ ودفن بالطائف .

كرامته :

— واذا ما مالت القلوب الى ظهور دليل على القرب من الله ، والصلاح فى الدنيا ، والاخلاص فى العبادة .. يؤنس ويرشد ، ويدل ويشهد فان ما روى عن سعيد بن جبير يعطينا هذا الدليل — :

قال سعيد بن جبير : مات ابن عباس بالطائف ، فشهدت جنازته ، فجاء طير لم يرد على خلقته ، ودخل نعشه .. فنظرناه وتأملناه .. هل يخرج ؟؟ فلم يرأنه خرج من نعشه ؟؟

فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر ، ولا يدرى من تلاها ؟؟ ((**يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وأدخلى جنتى**)) — وما أصدق قول القائل :

اذا قال .. لم يترك مقالا لقائل ؟
بملتقطات ، لا يرى بينها فصلا
كفى وشفى مافى الصدور ، فلم يدع
لذى اربة فى القول جدا ولا هزلا !؟
سموت الى العليا بغير مشقة
فنلت ذراها لا دنيا ولا وعلا ؟؟

---

(١) سبعا : اى ايام .

أولاده :

ــ ولد له عليا ــ وهو سيد ولده ــ وكان أجمل قرشى على الأرض ، وأوسمه ، وأكثره صلاة •

ــ وعباسا ، وهو أكبر ولده ، وبه كان يكنى •

ــ ومحمد •• وعبيد الله •• والفضل ــ ولا بقية للعباس ــ وعبيد الله ، والفضل ، ومحمد بنى عبد الله بن عباس ــ وهؤلاء من الذكور ــ وولد له من الأناث : لبابه ، وأسماء ــ ولهما أعقاب ــ قاله الحاكم فى المستدرك •

ثناء العلماء عليه :

ــ عن مجاهد ، قال : كان ابن عباس يسمى : البحر ، لكثرة علمه

ــ وعن ابن الحنفية •• كان ابن عباس خير هذه الأمة •

ــ وقال أبو بكرة : قدم علينا عبد الله بن عباس البصرة •• وما فى العرب مثله : جسما ، وعلما ، وثيابا ، وجمالا ، وكمالا •

ــ وعن عبد الملك بن ميسرة ، قال : جالست سبعين ــ أو ثمانين ــ شيخا من أصحاب الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ما أحد منهم خالف ابن عباس •• فيلتقيان الا قال : القول كما قلت ، أو قال : صدقت ؟؟

ــ مناظراته مع الخوارج مشهورة (انظر •• مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٧٨) •

وعن عمر بن عطاء ، قال : شهدت وفاة ابن عباس •• فوليه محمد بن الحنفية •• والذى حفظنا عنه نحوا من أربعمائة حديث ؟؟

أثره فى الحياة العلمية ؟؟

ــ لقد خلف ابن عباس ثروة قيمة من الأحاديث المروية عن طريقة الآراء الاجتهادية النادرة ، والآثار المرشدة الملهمة •• والتف حوله اتباع ، ومريدون : اغترفوا من فيضه ، ونهلوا من عذبه منهم :

ــ مجاهد بن جبير المكى •• مولى السائب بن أبى السائب ــ وسعيد بن جبير بن هشام الأسدى

ــ وعكرمة البربرى المدنى •

ــ وعطاء بن أبى رباح المكى •

ــ وعمرو بن دينار •

وعبيد بن عمير •• وسعيد بن المسيب •• وعروة بن الزبير ــ

وغيرهم .

— ومن الصحابة : عبد الله بن عمر .. وأنس بن مالك .. وأبو الطفيل .. وغيرهم من التابعين.. وأولاد الصحابة .

جابر بن عبد الله الانصارى :

نسبه : جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن كعب ابن غنم بن كعب بن سلمة الأنصارى — ينتهى نسبه الى الخزرج .

وكنيته : أبو عبد الله .. وقيل : أبو عبد الرحمن .. وقيل: أبو محمد .

— روى عن النبى — صلى الله عليه وسلم — وعن أبى بكر ، وعمر ، وعلى ، وأبى عبيدة ، وطلحة ، ومعاذ بن ياسر ، وخالد ابن الوليد ، وأبى هريرة ، وأبى سعيد ، وأم شريك ، وأم مالك ، وأم مبشر من الصحابة ، وأم كلثوم بنتأبى بكر الصديق من التابعين .

— وروى عنه .. أولاده : عبد الرحمن ، وعقيل ، ومحمد ، وسعيد بن المسيب ، ومحمود ابن لبيد ، وأبو الزبير ، وعمرو بن دينار ، وأبو جعفر الباقر ، ومحمد بن المنكدر ، ووهب بن كيسان ، وسعيد بن ميناء ، والحسن البصرى ، وسعيد بن أبى هلال ، وسليمان بن عتيق ، وعاصم ابن عمرو بن قتادة ، والشعبى ، وعروة بن الزبير ، وعطاء بن أبى رباح .

مشاهده :

— أراد شهود بدر ، فخلفه أبوه على اخواته — وكن تسعا — وخلفه أيضا .. حين خرج الى أحد ، فلما قتل أبوه قال له — النبى صلى الله عليه وسلم ما يبكيك ؟ أما ترضى أن أكون أنا أباك ، وعائشة أمك — وشهد ما بعد ذلك من المشاهد ؟

— شهد العقبة الثانية مع السبعين ، من الأنصار الذين بايعوا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عندها .. وكان أصغرهم يومئذ ؟؟

مواقف مع الرسول صلى الله عليه وسلم :

ــ لقد استشهد أبوه ، وترك له تسع أخوات ، وكان صغيرا أمام هذا العبء الكبير .. ولكن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ واساه وأكرمه ، وساعده وشجعه .

ــ روى مسلم فى صحيحه عن جابر قال : خرجت مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم فى غزاة ، فأبطأ بى جملى ، فأتى على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم فقال : ياجابر ؟ قلت : نعم ، قال : ما شأنك ؟ قلت : أبطأ بى جملى ، فتخلفت ، فنزل فحجه بمحجته (ضربه بعصاه) ثم قال : اركب ، فركبت ، فلقد رأيتنى أكفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أتزوجت ؟

قلت : نعم .

قال : بكرا أم ثيبا ؟

قلت : بل ثيب .

قال : فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك ؟

قلت :أن لي أخوات ، فأحببت أن أتزوج امرأة تجمعهن ، وتمشطهن ، وتقوم عليهن !؟

قال : أما انك قادم ، فاذا قدمت فالكيس الكيس .

ثم قال : أتبيعنى جملك ؟

قلت : نعم ؟ فاشتراه منى بأوقية .

ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقدمت بالغداة ، فجئت المسجد ، فوجدته على باب المسجد ؟ فقال : الآن حين قدمت ؟ قلت نعم ؟ قال ، فدع جملك ، وادخل فصل ركعتين !؟

قال : فدخلت فصليت ، ثم رجعت .. فأمر بلالا أن يزن لى أوقية ، فوزن لى بلال فأرجح فى الميزان !؟

قال : فانطلقت ، فلما وليت قال : ادع لى جابرا ؟ فدعيت فقلت : الآن يرد على الجمل ــ ولم يكن شىء أبغض الى منه ــ فقال : خذ جملك ، ولك ثمنه .. وفى رواية : أتبيعه بكذا وكذا والله يغفر لك ــ مرتين !؟

ــ وكان على أبيه دين ليهودى

من خيبر ، فحضر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وفاءه الدين ، ووضع يده فى التمر ، فوفى بالدين ، وبقى منه مايكفيهم المدة الطويلة !؟

— وروى مالك فى الموطأ عنه قال : كنا مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى غزاة ، فبينما أنا جالس تحت شجرة ، اذ أقبل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقلت يارسول الله هلم الى الظل ، فنزل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقمت الى غرارة لنا ، فالتمست فيها شيئا ، فوجدت فيها جرو قثاء (واحدة القثاء الصغيرة ، أو الطويلة) فكسرته ، ثم قربته الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — .

فقال : من أين لكم هذا ؟

فقلنا : خرجنا به يارسول الله من المدينة ؟

قال جابر : وعندنا صاحب لنا نجهزه ، يذهب يرعى ظهرنا ، فجهزته ، ثم أدبر يذهب فى الظهر ، وعليه بردان له قد خلقا !؟

فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه .

فقال : أما له ثوبان غير هذين ؟

فقلت : بلى يارسول الله له ثوبان فى العيبة كسوته اياهما !

فقال : فادعه فمره يلبسهما ؟ ثم ولى يذهب .

فقال : صلى الله عليه وسلم — ماله ؟ ضرب الله عنقه ، أليس هذا خيرا له ؟ فسمعه الرجل ، فقال : يا رسول الله ، فى سبيل الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : فى سبيل الله .. فقتل الرجل فى سبيل الله !؟

— لقد آثر جابر الرسول — صلى الله عليه وسلم — بالظل ، وقدم اليه القثاء مكسورا .. زيادة فى الأدب ، وأجابه الرسول — صلى الله عليه وسلم — وسأله عن حال غلامه ليتعرف حاجته ، ويتبين حالته ، وذلك يدل على مدى الارتباط الصادق بينه ، وبين الرسول — صلى الله عليه وسلم — لأسر الشهداء ، ومساعدته الشباب على تحمل مسئولياته فى

هذه الظروف !!؟

ــ ومع ثقل مسئوليات جابر ، فانه لم يدخر وسعا فى المساهمة بنفسه وماله فى سبيل الدين ــ :

روى البخارى فى صحيحه عن جابر قال : لما حفر الخندق •• رأيت النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ خمصا (جوعا) شديدا ، فانكفيت الى امرأتى ، فقلت : هل عندك شىء ؟فانى رأيت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ خمصا شديدا ، فأخرجت الى جرابا فيه صاع من الشعير ، ولنا بهيمة داجن ، فذبحتها ، وطحنت الشعير •• ففرغت الى فراغى ، وقطعتها فى برمتها •• ثم وليت الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ •

فقالت : لا تفضحنى برسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وبمن معه فجئته فساررته ــ فقلت : يا يرسول الله ذبحنا بهيمة لنا ، وطحنا صاعا من شعير كان عندنا ؟ فتعال أنت ، ونفر معك ؟ فصاح ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : يا أهل الخندق•• ان جابرا قد صنع سورا (صنيعا) فحيهلا بكم ؟

فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا تنزلن برمتكم ، ولا تخبزن عجينتكم ، حتى أجىء •• فجئت ، وجاء رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقدم الناس حتى جئت امرأتى •• فقالت : بك وبك فقلت قد فعلت الذى •• قلت فأخرجت له عجينا •• فبصق فيه ، وبارك ــ ثم عمد الى برمتنا ، فبصق ، وبارك ثم قال : ادعى خابزة فلتخبزه معك ، واقدحى من برمتكم ، ولا تنزلوها وهم (١٠٠٠) ألف ــ فأقسم •• لقد أكلوا حتى تركوه وانصرفوا ، وان برمتنا لتغط (تفور) كما هى وان عجنينا ليخبز كما هو !؟

ــ ونلمح فى تلك المواقف : أظهر صفحات جابر ــ رضى الله عنه ــ وهى : الجود والسخاء من ناحية •• والصبر على أعباء الحياة من ناحية أخرى •

رواياته :

ــ من المكثرين فى الرواية ،

روى عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ألفا وخمسمائة وأربعين حديثا اتفق البخارى، ومسلم منها على ستين حديثا، وانفرد البخارى بستة وعشرين حديثا ومسلم بمائة وستة وعشرين

ــ وكانت له حلقة فى المسجد، ويؤخذ عنه فيها، وهو ممن رحلوا فى طلب العلم •

فعنه قال: بلغنى حديث عن رجل من أصحاب النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فابتعت بعيرا فشددت عليه رحلى •• ثم سرت اليه شهرا حتى قدمت الشام، فاذا عبد الله بن أنيس الانصارى، فخرج الى فاعتنقته واعتنقنى •• ثم سمعت منه الحديث فى المظالم •• ورحل الى مصر أيام مسلمة ابن مخلد •

وفاته :

ــ أرسل أبان بن عثمان الى أولاد جابر، يقول: اذا مات أبوكم فلا تقبروه حتى أصلى عليه؟ فلما مات •• جاء أبان فصلى عليه •

وكانت وفاته سنة سبع وسبعين، عن أربع وتسعين سنة•

وكان آخر من مات من الصحابة بالمدينة •• على الأصح •

ــ وأصح أسانيده ــ ما يرويه سفيان بن عيينة، عن عمر بن دينار عن جابر، وهو من طريق أهل مكة •

أبو سعيد الخدرى :

نسبه : سعد بن مالك بن سنان ابن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر •

واسمه •• خدرة بن عوف بن الخزرج الأنصارى •

كنيته : أبو سعيد •

ــ روى عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعن أبيه، وأخيه لأمه: قتادة بن النعمان، وأبى بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، وزيد بن ثابت، وأبى قتادة الأنصارى، وعبد الله بن سلام، وأسيد بن حضير وابن عباس، وأبى موسى الأشعرى، ومعاوية، وجابر بن عبد الله •

ــ وروى عنه •• ابنه عبد الرحمن وزوجته زينب بنت

كعب بن عجرة •• وابن عباس ، وابن عمر ، وجـابر ، وزيـد بن ثابت ، ومحمد بن لبيد •• وسعيد ابن المسيب ، وعامر بن سـعد ، وعمرو بن سليم ، ونافع مـولى ابن عمر ، وأبو نضرة العبـدى ، وأبو سلمة ابن عبـد الرحمن بن عوف •• وغيرهم •

مشـــاهده :

ــ عرضـه أبوه على النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوم أحد، وله ثلاث عشرة سنة ، فجعل يأخذ بيده ، فيقول : يا رسول اللـه ، انه عبل العظام (ضخم أو كامل العظام) فجعل النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يصعد فيـه البصر ويصوبه ثم قال له : رده فـرده ؟ فلما حدث ما حدث فى أحد سمعوا بمصابه ، فجاء أبو سـعيد مع غلمان من قبيلته ينتظرون سلامته •• فلما لقيه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم قال سعيد (١) قلت : نعم ، بأبى أنت وأمى •• ودنوت منه ، فقبلت ركبتيـه وهـو على فرسه •

قال : آجـرك اللـه فى أبيك فنظرت الى وجهه فاذا فى وجنتيه •• مثل موضع الدرهم ، فى كـل وجنة ، واذا شجة فى جبهته ، واذا شفته السفلى تدمى ، واذا رباعيته اليمنى شظية ، واذا على جرحـه شىء أسود ، فسـأل عن ذلك ؟ فأخبروه فرجع الى أهلـه يخبرهم بسلامة رسول الله ــ صلى اللـه عليه وسلم ــ فحمدوا اللـه على ذلك وقاموا !؟

ــ وشهد الخندق وما بعدها ، وهو ممن بايع رسول الله ــ صلى الله عليـه وسـلم ــ على أن لا تأخذه فى الله •• لومة لائم •

وورد المدائن فى زمان حذيفة •

وحارب مع على ــ رضى الله ــ عنهما الخوارج بالنهروان •

شـــجاعته :

عنه أنـه قال : قـال رسـول الله ــ صلى الله عليه وسـلم ــ

(١) الحكاية لأبى سعيد •

لا يمنعن أحدكم مخافة الناس أن يتكلم بالحق اذا رآه أو علمه .

قال : فقد حملنى ذلك على أن ركبت الى معاوية ، فقلت : مابالكم تأخذون الصدقة على غير وجهها — ثم تضعونها فى غير أهلها ؟

فقال : مه يا أبا سعيد ؟

قلت : فما بالكم ، تكون لكم الأولاد ، فتؤثرون بعضهم على بعض .. والله يوصيكم فى أولادكم .. للذكر مثل حظ الأنثيين ؟

قال فدعا كاتبه ، وكتب بها الى الآفاق ، ونهى عن ايثار الأولاد بعضهم على بعض !؟

ملامح من حياته :

— عنه قال : استشهد أبى يوم أحد ، وتركنا بغير مال ، فأصابتنا حاجة شديدة ، فقالت لى أمى : أى بنى ! ائت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فسله لنا شيئا؟ فجئت فسلمت وجلست — وهو فى أصحابه جالس — فاستقبلنى بقوله « انه من يستغن يغنه الله ، ومن يستعفف يعفه الله » !

فقلت : ما يريد غيرى ، فانصرفت ولم أكلمه فى شىء !؟

فقالت لى أمى : ما فعلت ؟ فأخبرتها الخبر ، فصبرنا الله ، ورزقنا شيئا فبلغنا حتى ألحت علينا حاجة أشد منها .. فجئت لأسأل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو فى أصحابه جالس — فاستقبلنى بالقول الأول ، وزاد فيه « ومن سأل ، وله قيمة أوقية ، فهو ملحف » !؟

فقلت : الياقوتة ناقتى .. خير من أوقية : فرجعت ولم أسأله ؟ فوالله ما رجعت الى نبى الله — صلى الله عليه وسلم .. أسأله شيئا من الفاقة !؟ حتى مالت علينا الدنيا ، ففرقتنا أو غرقتنا ، الا من عصم الله !؟

— ودخل يوم الحرة غارا ، فدل عليه رجل من أهل الشام ، فلما انتهى الشامى الى باب الغار قال لأبى سعيد : أخرج الى ؟ قال : لا ، وان تدخل على أقتلك ! فدخل عليه الشامى ، فوضع

أبو سعيد السيف وقال « **انى أريد أن تبوء باثمى واثمك ، فتكون من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين** » فقال : أنت أبو سعيد ؟ قال نعم ! قال استغفرنى ، غفر الله لك !؟

ــ ودخل عليه نفر من أهل الشام ، فنتفوا لحيته ، وضربوه ، ونهبوا ما فى بيته •• حتى ان بعضهم أخذ زوج حمام وخرجوا !؟

رواياته ومنهجه فى الرواية :

ــ ورغم هموم عيشه ، وجدب حياته ، وثقل مسئولياته ، فقد كثر المروى عنه ، حتى جاوز الألف ، فقد نقل عنه أصحاب الحديث ألفا ومائة وسبعين حديثا ، اتفق الشيخان منها على ستة وأربعين ، وانفرد البخارى بستة عشر ، ومسلم باثنين وخمسين حديثا •

ــ وكان يقول : تحدثوا فان الحديث يذكر بعضه بعضا ، ولم يكن أحد من أحداث الصحابة أفقه أكبر منه أو أعلم •

ــ وكان دقيقا فى الحديث : حدث يوما بحديث ، فقال له رجل : أنت سمعته من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فغضب غضبا شديدا ، ثم قال : أحدثكم بغير ما سمعت ؟ من كذب على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بنى له أو تبوأ مقعده من النار •

ــ وكان يعلم الناس القرآن•• خمس آيات بالغدى ، وخمسا بالعشى •

ــ وقيل له : انك تحدثنا بأحاديث معجبة ، وانا نخاف أن تزيد أو تنقص ، فلو كتبناها ؟ حفظنا •

فقال : لن تكتبوه ، ولن تجعلوه قرآنا ، ولكن احفظوا عنا كما حفظنا ثم قال مرة أخرى : خذوا كما أخذنا عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم •

وفاته :

ــ عن عبد الرحمن ابنه قال ــ: قال لى أبى : انى كبرت ، وذهب أصحابى وجماعتى ، فخذ

بيدى •• فاتكأ على حتى جاء الى أقصى البقيع ، الى مكان لا يدفن فيه •• فقال :

يابنى ، اذا أنا مت فادفنى ها هنا ، ولا تضرب على فسطاطا ، ولا تمشى معى بنار ، ولا تبكين على نائحة ، ولا تؤذن بى أحدا •

واسلك بى طريقا غير مسلوكة ، وليكن مشيك خببا •

فمات يوم الجمعة ، فكرهت أن أوذن الناس ، لما كان نهانى ، فيأتونى ، فيقولون : متى تخرجوه ؟ فأقول : اذا فرغت من جهازه أخرجه قال : فامتلأ على البقيع بالناس !؟

ــ وعن رجاء بن ربيعة ، قال : كنا عند أبى سعيد فى مرضه الذى توفى فيه ــ وهو ثقيل ــ فأغمى عليه •• فلما أفاق ، قلنا : الصلاة يا أبا سعيد !؟

قال : كفانى ما قد صليت ، ثم أرسل خلف نفر من الصحابة ، وقال : لا يغلبنكم ولد أبى سعيد •• اذا أنا مت فكفنونى فى ثيابى، التى كنت أصلى فيها ، وأذكر الله فيها •• وفى البيت قبطية فكفنونى فيها ــ الى آخر وصيته ؟

وفيها : ولا تتبعنى باكية ، واذا حملتمونى فأسرعوا بى •• فلما خرجوا بجنازته امتلأ البقيع ناسا •

ــ وكانت وفاته سنة أربع وسبعين من الهجرة •• بعد حياه مديدة ، اختلط فيها العلم بالعمل، والجهاد بالراحة ، والفقر بالغنى ، والصبر بالشكر •• وشملها ــ مع كل ذلك ــ ايمان عميق ، وصدق خالص ، وسلوك نموذجى ــ رحم الله أبا سعيد ، ووفقنا الى اتباع آثاره ، هو واخوانه من الصحابة ــ رضى الله عنهم ، ورضوا عنه ــ أولئك هم المفلحون •

(يتبع)

دكتور الحسينى هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية

محمد صلى الله عليه وسلم
سفينة نجاة فى بحر مضطرب

للأستاذ/ محمد صابر البرديسى

كان الناس قبيل مولد الرسول « صلى الله عليه وسلم » يهيمون فى الضلال ويعيثون فى الارض الفساد ، يعبدون الاوثان ، ويقدسون الاصنام عمتهم الغفلة ، وأحاطت بهم الجهالة ، غمرتهم الهمجية ، وملكتهم العصبية طبعت نفوسهم على الضغينة ، وأشربوا فى قلوبهم سفك الدماء ، يموجون فى بحر مضطرب تغشاه ظلمات ، غشيت عيناهم فما يبصرون الهدى .

لقد بلغ الفساد منتهاه ، وطمست معالم الحق ، وانقادت النفوس الشرك ، وأسرفت فى البغى ، ومالت للهوى ، واتخذ كل انسان الهه هواه .

* فى هذه الفترة من هذا الزمن ، فى ليلة من ليالى ربيع الأول ، وفى اليوم الثانى عشر منه ، ولد المصطفى ، فكان مولده ، مولدا للخير ، مبشرا بمولد دين جديد ، هو دين الفطرة .

* حفلت بمولده السماء ، وزفت البشرى فى الملأ الأعلى ملائكة الرحمن وحق للوجود كله أن يفرح بمولده ، وللكون أكمله أن يبتهج بمقدمه .

« ولد الهدى فالكائنات ضياء
وفم الزمان تبسم وثناء »

* محمد « صلى الله عليه وسلم » الرحمة المهداة ، والأمل المرتجى ، سفينة النجاة فى بحر مضطرب **« يغشاه موج من فوقه موج ، من فوقه سحاب . ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها » .**

* ان ذكرى محمد « صلى الله عليه وسلم » تبعث فى نفوس

المفكرين ، انتفكير فى عظمة هـذا النبى ، وتحفـز البـاحثين على البحث فى جوانب هذه العظمـة ، وما كتبه المفكرون ، والباحثـون عن عظمته (صلى الله عليه وسلم) فانما هو لمحات ، من نفحات هـذا المصلح العظيم •

والمسلمون اذ يحتفلون بمولده (صلى الله عليـه وسـلم) فانما يلتمسون العظة والعبرة فى حياته•

* وحياته (صلى الله عليـه وسلم) كلها عظة وعبرة مـذ كان جنينا فى بطن أمه، حتى لحق بربه•

* يروى أن أمه حين حملت به رأت فى منامها أنها حملت بسـيد هذه الأمة « وكذلك أمهات المؤمنين يرين » •

* وآية ذلك أن يخرج منـه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام •

* وقد شاء الله أن تدرك أباه المنية ، وهو فى بطن أمـه ، ولمـا يمض على حملهـا به شـهور ، وولد محمد يتيما فقـالت الملائكة لقد بقى نبيك يتيما ، فقال سبحانه أنا خالقه وحافظه ورازقه حيثمـا صار أو كان •

* وكان من عادة أشراف مكة أن يسلموا أطفالهم الى المراضـع من أهل البادية ليعيشوا معهم فى الصحراء ، وليشبوا على الصفات الحميدة •

* وكانت السيدة آمنـة بنت وهب والـدة محمد ، من أكـرم سـيدات العـرب ، ومن أشرف بيوتهم ، وقد رزقت بأكرم مولود ، أخـذت تترقب مجىء المراضـع اللاتى يأتين الى بيوت مكة فى مثل هذه المناسبات السـعيدة لتسـلم طفلها الى احداهن •

* وكانت حليمة السـعدية فقيرة مسكينة تعيش هى وزوجها الحارث فى خيمة ، فى منطقة قليلة الخير ، وطافت بمكـة وبحثت فى بيوتهـا علها تجـد من يدفع اليها طفلا لترضعه فلم تجد غير محمد وكان من نصيبها ، وقبلت أن تكون مرضعة له على يتمه ، فان ما يدفع لها من المال « مهما كان » يسـاعد فى الغذاء ، فيـدر صـدرها لبنا تعطيه لمحمد ولأخيه عبد الله من الرضـاع •

* رجعت حليمة الى خيمتها فى البيداء فى بلاد بنى سعد ، تحمل بين يديها طفلا له رائحة المسك وديعا جميلا كالبدر ، احست منذ حملته الى خيمتها بالسعادة والراحه ، لقد كان خيرا وبركة على حليمة وعلى زوجها .

* لقد تغير كل شىء ، السماء تمطر ، وتصبح الأرض مخضرة مليئة بالمرعى الخير كثير ، واللبن غزير وغمرت الحياة والحركة المنطقة كلها ، وسعدت حليمة ومن حولها ، حتى كان القوم يقولون : « اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبى ذؤيب » (حليمة السعدية) .

* ظل محمد فى حضانة حليمة عامين كاملين ، وحين حان فطامه كان عليها أن تعود به الى أمه فى مكة ، وسلمته اليها والحنين يملأ جنبيها ، ولا تزال تفتأ تذكر السعادة التى غمرتها منذ حل محمد بواديها ، فأخذت ترجو أمه وتستعطفها حتى يعود معها ، وما زالت بها حتى قبلت آمنة بعد ان حركت حليمة فيها كوامن الشفقة عليه حين قالت لها : « انى أخشى عليه وباء مكة » .

رجعت به ورجعت السعادة مرة أخرى الى حليمة بل الى المنطقة كلها .

* وذات يوم جاء أخوه من الرضاع ، يجرى ويصرخ ، والفزع يملأ صدره ، وأخذ يقص على أبيه « الحارث » حول ما رآه بعينه ، رأى رجلين يرتديان ملابس بيضاء ناصعة البياض ، يأخذان محمدا بعيدا ، ويطرحانه على الأرض ، ففزعت حليمة وزوجها وأخذا يجريان بحثا عن محمد ، واذا به يقف فى هدوء يبتسم ، فى صحة وعافية ، فقلنا له : ما بالك يابنى ؟ فقال : « قد جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض .. » وقص ما حدث له .

لقد كان الرجلان ملكين من الملائكة ، شقا صدر محمد ، وغسلاه ، وطهراه اعدادا لحمل الرسالة ، وتأدية الأمانة ، وتبليغ ما أمر به الله .

* خافت حليمة على محمد —

وهو أمانة لديهـا ــ وخـافت أن يحدث له مكروه فتتحمل مسئوليه لا قبل لها بها وفـوق طاقتهـا • فعزمت على أرجـاعه الى أمـه ، وقد كان وقالت لحليمة : ما اقدمك به ؟ فقالت : تخوفت عليه الأحداث فأديته اليك كما تحبين ، فضـمته أمه ، وقالت : دعيه عنك ياحليمة ، وحمدت صنيعها •

وبقى محمد فى رحاب أمه ، بعد أن ترك لحليمـه المـاء والخضرة والرزق الوفير •

* وحين بلغ « صلى الله عليه وسلم » السـادسة من عمره ، ماتت أمه ، وهى آيبة من المدينـة « بالأبـواء » بعد زيارتهـا لبنى النجار ، أخوال زوجها عبد اللـه فرجعت به أم أيمن الى « مكـة » حزينة عليه لفقده أبويه •

* وصار محمد فى كفالة جـده عبد المطلب ، وكان يحبه ، ويحنو عليه ، حنوا لا مثيل له •

* وتتوالى الأحزان على محمد فيموت جده عبد المطلب ، وينتقل محمد « صلى الله عليه وسلم » الى كفالة عمه أبى طالب ، وهكذا يعد الله محمدا لتحمل المشاق ويهيئه لتقبل الاعباء ، ويمهد له لتبليـغ الرسـاله حين ينزل عليـه وحى السماء •

* وفى مدة كفالة عمه له تدرب على التجاره ، فقد رحل معه الى الشام واكتسب منها خبرة وربحا وشهره ، حتى لقد أصبح حـديث الناس فى مكـة ، يتحـدثون عن صدقه وأمانته وحسن معاملته مما لفت أنظار الناس اليه •

* عرف فى رحلتـه أسـلوب التجارة ، وعرف مسالكها ، وعرفه الناس فأحبوه ، ورغبوا فى التعامل معه ، مما مهد له فيما بعد أن يعمل فى تجارة للسيدة خديجـة « رضى الله عنها » ومما رغبها فى الزواج منه ، وكانت خديجة من شريفات مكة ، وزادها شرفا أن بنى بهـا محمد •

* هذا هو محمد « صلى اللـه عليه وسلم » قبـل مبعثـه ، يتم فرعاية •

* وبينمـا محمـد فى « غـار

حراء » يتحنث نزل عليه «الوحى» ورجع الى زوجه خديجة خائفا يرتجف ، فذهبت به الى « ورقة ابن نوفل » ، وقص محمد عليه ما رأى فأخبره « أنه نبى هذه الأمة » وأن قومه سيتعرضون له ، ويخرجون من مكة ، فقال له « صلى الله عليه وسلم » : « أو مخرجى هم ؟ » فقال له ورقة : نعم ، لم يأت أحد بمثل ما أوتيت به الا أوذى » .

ومن يومها عرف « صلى الله عليه وسلم » أن مهمته شاقة ، ووطد نفسه لتحمل هذا الأمر العظيم .

* مكث « صلى الله عليه وسلم » ثلاثا وعشرين سنة يدعو قومه الى التوحيد ، لقى فى أثنائها من كفار مكة ، وصناديد قريش ، أشد ألوان الأذى والاضطهاد ، حتى اضطروه أن يخرج من مكة مهاجرا الى المدينة ، وفيها توطدت دعائم الاسلام ، ومنها انبثق النصر والفتح المبين .

« وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين ، والف بين قلوبهم لو أنفقت مافى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم » (١) .

* وبالحق ، فقد كان محمد « صلى الله عليه وسلم » الرحمة المهداة ، والنعمة العظمى من الله .

* **لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » (٢) .**

* كان « صلى الله عليه وسلم » مؤيدا بالوحى ، محفوفا ، برعاية الله وعنايته .

* واذا العناية لاحظتك عيونها
نم فالمخاوف كلهن أمان »

* كان « صلى الله عليه وسلم » يرسم القدوة للناس بمسلكه ، وكان يتلو على الناس

---

(١) ٦٢ ، ٦٣ الانفال .
(٢) ١٦٤ آل عمران .

آيات الله ويشرحها لهم تطبيقا وعملا ، وكان يقوم ما اعوج من سلوك المنحرفين .

* سئلت عائشة « رضى الله عنها » عن خلق رسول الله «صلى الله عليه وسلم » فقالت : « كان خلقه القرآن » .

* ينبغى أن تكون المبادىء التى وضعها الدين ، وأكدها القرآن ، وبينها الرسول « عليه الصلاة والسلام » مطبقة تطبيقا عمليا ، لا مجرد مبادىء يعتقدها الناس .

* وبقدر ما يكون التطبيق العملى فى المجتمعات لهذه المبادىء السامية تكون السعادة والأمن والاطمئنان ، ويكون المدد والعون، والنصر من الله ، **« وما يعلم جنود ربك ألا هو »** (١) .

(وما النصر الا من عند الله) .

« ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

* ومن تنحى عن التطبيق العملى لهذه المبادىء ، وترك القدوة الحسنة ، فقد وقع فى حبائل الشيطان ، وزين به فاستحق الخذلان والهوان ، وأصبحت حياته كلها ضياع وخسران ، قال : **« ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشه ضنكا »** (٢) .

وقال تعالى : **« ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى »** (٣) .

* تلك لمحات من الأسرار العظيمة التى أحاطت بحياة الرسول « صلى الله عليه وسلم » قبل بعثته وبعدها .

* وفى حياة الرسول « صلى الله عليه وسلم » جوانب لا حصر لها ، وفيها من العظات ، والعبر ، مالا قبل لانسان أن يلم بها أو يحيط بأسرارها .

* ولا شىء أنفع للأفراد والأمم ، من القدوة الحسنة ، **« لقد كان لكم فى رسول الله**

---

(١) ٣١ المدثر .
(٢) ١٢٤ طه .
(٣) ٨١ طه .

أسوة حسنة لمن كان يرجو الله ، واليوم الآخر وذكر الله كثيرا»(١) ولاشىء أجلب للخير والسعادة ، من العمل بكتاب الله ، والتمسك بسنة رسوله ، وفى ذلك الفوز والنصر ، قال : « **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** » .

* فهل يتذكر المسلمون فى ذكرى مولد سيد المرسلين ، أن الفضل العظيم ، والنصر المبين ، انما أمد الله به المسلمين ، يوم أن كانوا متمسكين بكتاب الله وسنة رسوله ؟ ، وهل يعلموا أن ما أحاط بالمسلمين اليوم من الضعف ، وما لحقهم من الهوان والكروب ، وما شملهم من التمزق والخلاف والحروب ، انما هو بسبب انحلال عقائدهم ، وجهلهم بدينهم ، وانزلاقهم فى ألوان الفساد وتيارات الالحاد ، وبعدهم عن تعاليم الاسلام وخلق القرآن ، وحسبوا أن فى مصادقتهم للملاحدين ، وتقليدهم للكافرين ، ومجاراتهم لأعمال الغربيين حضارة وتقدما !!

قال تعالى « **قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا** » (٢)

« **أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون** » (٣) .

« **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ، ونصله جهنم وساءت مصيرا** » (٤)

* اللهم وفق الأمة الاسلامية الى محاسن دينك ، والعمل بكتابك ، وسنة رسولك ، واهدهم فانه لا يهدى الى محاسن الأخلاق وأقوم السبل الا أنت أنت نعم المولى ونعم النصير .

مدير المجلة
محمد صابر البرديسى

---

(١) ٢١ الاحزاب .
(٢) ١٠٤ الكهف .
(٣) ٥٠ المائدة .
(٤) ١١٥ النساء .

دراسات قرآنية

رسول الهدى ودين الحق

لفضيلة الشيخ / مصطفى الطير
" عضو مجمع البحوث الإسلامية "

قال الله تعالى فى آخر سورة الفتح : ((هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ..)) الآيات .

البيان

كان العالم قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم فى ضلال مبين ، وفى كل واد من أودية الشر يهيمون ، فهم ما بين عباد للانصاب والاوثان ، وسجد للنجوم والكواكب ، وتركع للانسان والحيوان ، ومعطلين ليس لهم اله الا هواهم .

وكان أهل الكتاب قد تأثروا بجيرانهم الوثنيين ، فاتخذوا لهم الها مع الله ، وسموه ابن الله ، فاليهود عبدوا عزيزا ، لزعمهم أنه هو الذى جاءهم بالتوراة من عند أبيه بعد فقدها فى الغزو البابلي ، والنصارى عبدوا عيسى لانه ولد من غير أب ، وكان يحيى الموتى ، فى حين أن التوراة يصعب عليهم نسبتها الى الله لدرجة الاستحالة ، وأن عيسى انسان كما اعترفت به أناجيلهم ، وأن احياءه للموتى محدود ليكون آية على نبوته ، وليس له قدرة على احياء أحد سوى ما أذن الله به ليكون معجزة شاهدة بنبوته ، وكتبهم شاهدة على منتهى عجزه ، حيث لم يستطع أن يدفع اليهود عن قتله ، وكان يناجى ربه وهو مشدود على الصليب استعدادا لقتله ((ايلى ايلى لما شبقتنى)) أى الهى الهى لماذا تركتنى لمن يصلبنى ويقتلنى من اليهود ، ولو كان ابن الله

كما يزعمون لما شكاهم الى أبيه ، بل كان يحمى نفسه منهم ولا يورطهم فى قتله كما يزعمون وصدق الله أذ يقول « **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم** » .

فالحق أنه لا قدرة له ذاتيا على احياء من أحياه من الموتى ، وانما كان ذلك باقدار الله واذنه ، كما حكاه الله عنه بقوله فى سورة آل عمران « **قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيى الموتى باذن الله** .. » (١) فكل ما فعله كان باذن الله واقداره ، ولكنهم غفلوا عن انسانيته فألهوه — تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وكما زعم هؤلاء وأولائك البنوة لعزير وعيسى ، زعمها المشركون للملائكة ، فقالوا هى بنات الله ، وهو ما حكاه الله بقوله « **وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون** » (٢) واستنكره سبحانه بقوله « **أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما** » .

ولم يكتف أهل الكتاب بما تقدم بيانه ، بل وصفوا الله بالجسمية والخطأ ، والندم والبكاء على الخطأ كما وصفوه بمصارعة يعقوب طول الليل حتى الفجر ، ولم يستطع الافلات من قوة يعقوب الا بعد أن ضربه فى حق وركه كما جاء فى توراتهم ، كما وصفوه بقيادة الجيوش حتى المهزومة ، وبالاكل والشرب وغير ذلك من سمات البشر ، تعالى الله عما زعموا فهو سبحانه فوق الخواطر والظنون ، وكل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك وكانت الامم مغلوبة على أمرها لملوك جائرين وولاة ظالمين وشيوخ للقبائل متجبرين .

وكان يقتسم العالم أمتان كبيرتان — الفرس والرومان —

(١) من الآية ٤٩
(٢) ١٩ الزخرف

والحرب بينهما سجال ، فيوم يكون الغلب فيه للفرس ، وآخر يكون الغلب فيه للرومان ، وكانت الامم المحكومة بهما وقودا للحرب المتتابعة بينهما ، وطحنا لرحى القتال التى لا تنفك عن الدوران فى مملكتيهما ، وكانت أموالهم نهبا لسادتهم ، وسلبا سهلا للمسيطرين عليهم ، ولم يكن الحكم فيهم بغير شريعة الغاب ، وقانون الفتك والعذاب ، والويل كل الويل لمن تأوه أو شكا .

وكانت الحرب بين القبائل تشب من آن لآخر لأتفه الأسباب ، فكثيرا ما يستعر لهيبها من أجل غنمة رعت فى كلا الحمى ، أو حماية لمستجير وان كان آثما ، أو ثأرا من أجل فرد واحد .

وما أفظع ما كانت تنتهى اليه حروبهم من الخراب والدمار ، فكم من قبيلة أبادتها قبيلة ، وكم من فصيلة طحنتها فصيلة .

وكانت الخمر أم الخبائث فاشية بينهم ، تحرضهم على الاثم ، وتدعوهم الى البغى ، وتفتك بأجسادهم ، وتقضى على أموالهم ، وكان الخمول مخيما عليهم ، والبطالة منتشرة فيهم ، والجهل ضاربا أطنابه بينهم ، وسوق الاخلاق الوضيعة نافقة ، وسوق الاخلاق الفاضلة كاسدة ، وبلغ بهم السفه أنهم كانوا يرتزقون بأعراض امائهم ، ولا يجدون حريجة فى صدورهم من الارتزاق بممارستهن الرذيلة ، ولا نكيرا على ذلك من ضمائرهم .

وقد امتد الفساد الى حرائرهم ، فلهذا عمدوا الى قتل بناتهم صغيرات ، حتى لا ينحرفن كبيرات ، وكانوا يقولون : وأد البنات من المكرمات ، الى غير ذلك من المفاسد الكثيرة .

مولد النور والهدى

فكان من رحمة الله وعنايته بعباده ، أن يولد من ذرية اسماعيل عليه السلام نبى واحد يكون مبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، وأن يكون خاتما للانبياء والمرسلين ، ورسولا الى الناس أجمعين ، حتى يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ، وعماد رسالته أن يخرج

الناس من الظلمات الى النور ، ومن الكفر الى الايمان ، ومن الفوضى الى النظام ، ومن الجور الى العدل ، ومن الجهل الى العلم ، ومن الرذيلة الى الفضيلة ، وقد أحسن شوقى فى وصف حالة العالم حين مبعثه صلى الله عليه وسلم بقوله :

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم
الا على صنم قد هام فى صنم

كما أحسن العباس بن عبد المطلب فى وصف اشراق مولده الكريم بقوله :

وانت لما ولدت أشرقت الار
ض وضاءت بنورك الافق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النو
ر وسبل الرشاد نخترق

وقد وعده الله تعالى أن يظهر دينه الذى بعثه به على الدين كله ، فحقق بفضله وعده فما من دين فى الارض الا غلبه ، ولا نزال ننتظر المزيد ونرجو الاستيعاب ، والبشائر كثيرة لتحقيق هذا الرجاء ، فنحن نعلم أنه ينتشر بسرعة فى المشارق والمغارب بين طوائف المثقفين من اهل الاديان المختلفة ، وبين كبار علماء الاديان وصغارهم ، وكل ذلك يتم دون حرب ولا قتال ، فان شهرته فى سلامة العقيدة وعدالة التشريع ، ومكارم الأخلاق ، وأن الذى جاء به نبى أمى أيده ربه بالآيات البينات والمعجزات الباهرات ، جعلت أهل الفكر الرشيد من أصحاب الأديان ، يقرءون تراجم القرآن والسيرة العطرة ،ويقارنون بين ما هم عليه من الشرائع والأديان التى تبدو فيها صناعة البشر وتأليفهم اياها فى عصور التخلف الفكرى ، وبين ما جاء به الاسلام من الهدى والرشاد فلا يلبثون أن يتركوا ما هم عليه من الأديان المصنوعة ، الى ذلك الدين المؤيد من الحق تبارك وتعالى « وكفى بالله شهيدا » اذ يقول فى شأن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وفى شأن أصحابه « **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** » ومن أجل ذلك أيده الله تعالى على من عارضه وأذى المؤمنين ، أيده بالنصر الساحق والفوز المبين

« والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

التراحم بين المؤمنين

لا يصلح أمر المؤمنين فى آخرهم الا بما صلح به فى أولهم، وقد كان السلف الصالح أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، وكانوا أشداء على الكفار رحماء بينهم ، فعلى المسلمين اليوم أن يتعاونوا على من عاداهم ، وأن لا يوالوا الكفار على حساب اخوانهم المؤمنين ، وأن يتحابوا فى الله ويتراحموا فيما بينهم .

وليعلم المسلمون اليوم أنه لولا شدة السلف الصالح على من عاداهم من الكفار ، وتراحمهم فيما بينهم ، لما عز الاسلام ولما غلب جميع الأديان ، فمهادنة أعدائنا وملاينتهم تطمعهم وتؤلبهم على المسلمين ، وفقدان التعاون والتراحم بين المؤمنين ، فرق جمعهم وأضعف أمرهم ، وأطمع فيهم أعداءهم ليستولوا عليهم ويستنزفوا خيراتهم ، ويسخروهم فى مصالحهم ، وهذا ــ مع الاسف ــ هو الذى كان من المسلمين فى الحقب الأخيرة ، فهان شأنهم ، وضعف أمرهم ، واستولى عليهم أعداؤهم ، وغيروا دين بعضهم ــ كما حدث لمسلمى الأندلس ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، وماذا كنت تنتظر لقوم قال فيهم الشاعر يمثل واقعهم .

وتفرقوا شيعا فكل قبيلة
فيها أمير المؤمنين ومنبر

فأين هذا من قوله صلى الله وسلم « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

ألا وان حالة المسلمين اليوم تدعو الى الرثاء أكثر من أى وقت مضى ، فهم فى كل دولة متفرقون ، ولأعدائهم سماعون ، وفيهم صنائع لجبابرة الكافرين ، يعملون لحسابهم ، ويحدثون الثورة تلو الثورة ، لينتهى أمر أمتهم اليهم ، كما حدث أخيرا فى دولة الأفغان ، وحينئذ تدور دائرة الاحتلال عليهم ، وينتهى أمر أمتهم الى

الحرب والدمار ، أو التخلى عن القيم الاسلامية الرفيعة ، **والاستسلام لا لحادهم وابتزازهم** وحرية الانطلاق منهم الى غيرهم .

وهذه دولة العراق تهاجم ايران بغير رحمة ولا شفقة ، فتجيبها ايران بالمثل ، وتشتعل بينهما حرب ضروس خربت المصانع والديار ، وأشعلت فى المرافق الحيوية النار واستنزفت الأموال والرجال ولقد حق فيهم ما أنزله الله فى اليهود **« تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون »** ولا تجد دولة عربية على وفاق مع دولة عربية اخرى ، يتظاهربعضهم لبعض بالولاء ، وبين ضلوع حكامهم الداء الدوى ، والحقد الدفين ، وتراهم يكونون جبهات ضد اخوانهم متظاهرين ، وهم بينهم متدابرون متحاسدون ، يخاف بعضهم غدر بعض ، ويقاسون من مؤامراتهم أشد المتاعب الداخلية ، وترى فيهم حكاما يهددون أهل الاعتدال منهم بالقتل فى قصورهم ، فيضطر هؤلاء الى الاستجابة الى باطلهم، وما ربك بعافل عما يعمل الظالمون، **فسوف يديل الله للأمم العربية** والاسلامية من حكامها الظالمين ، **« ويومئذ لا تنفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار »** .

ألا فليعلم المسلمون اليوم أن أمرهم لن يستقيم الا اذا عملوا بكتاب الله وسنة رسوله ، وتركوا التراخى فى الدين ، واعتصموا بحبل اللهالمتين ، ونشروا الحب بين أفرادهم وجماعاتهم وأممهم ، قال صلى الله عليه وسلم « **لا يؤمن** أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه» ولابد من أن تعلو كلمة التراحم بينهم ، روى الامام أحمد وابن حبان والترمذى ــ وحسنه ــ عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا تنزع الرحمة الا من قلب شقى » وأخرج أبو داود وابن أبى شيبة عن عبد الله بن عمر مرفوعا « من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا فليس منا » .

وقد حرم النبى صلى الله عليه وسلم أن يتقاتل المؤمنون ، وتوعد

المتقاتلين بعذاب النار فقال « اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار » فقيل : هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال « انه كان حريصا على قتل صاحبه » أخرجه البخارى وقال فى الصحيح : « لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث • الثيب الزانى والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » وفيما عدا ذلك فان القتل من السبع الموبقات•

الركع السجود وعلامتهم

لقد وصف الله أصحاب الرسول الذين آمنوا معه بقوله « تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا » أى تراهم مواظبين على الصلاة من آن لآخر ، لا يبتغون من صلاتهم هذه سوى فضل الله ورضوانه ، ثم وصف أثر مواظبتهم على الصلاة بقوله « سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » أى علامتهم ظاهرة فى وجوههم من أثر الصلاة ، والمراد بهذه العلامة ما يبدو على الوجوه من الخشوع والطمأنينة والجهد من صلاة الليل ، أما الأثر الذى يكون فى الجبهة من السجود عليها فليس هو المقصود ، روى ابن جرير وغيره عن مجاهد أنه قال : ليس له أثر فى الوجه ، ولكنه الخشوع •

وقال منصور : سألت مجاهدا : هذه السيما هى الأثر الذى يكون بين عينى الرجل ، قال لا ، وقد يكون مثل ركبة البعير وهو أقسى قلبا من الحجارة : ا هـ

وحكى عن بعض المتقدمين أنه قال : كنا نصلى فلا يرى بين أعيننا شىء ، ونرى أحدنا الآن يصلى فترى بين عينيه مثل ركبة البعير، فما ندرى : أثقلت الرءوس أم خشنت الأرض ؟

وأخرج الطبرانى والبهيقى فى سننه عن حميد بن عبد الرحمن قال : كنت عند السائب بن يزيد اذ جاء رجل وفى وجهه أثر السجود فقال : لقد أفسد هذا وجهه ، أما والله ما هى السيما التى سمى الله تعالى ، ولقد صليت على وجهى منذ ثمانين سنة ما أثر السجود بين عينى : ا هـ

فاذا برزت خشونة فى الجبين بلا تعمد بالضغط لاحداثها ، فهى بعض آثار السجود الخالص لوجه الله ، وقد كان مثل ذلك موجودا فى جبهته على زين العابدين بن الحسين رضى الله عنهما ، وفى جبهة على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم ، وكان يقال لهما : ذوا الثفنات ، أما تعمد احداث تلك الثفنات فمنهى عنه ، قال صلى الله عليه وسلم « لا تعلبوا صوركم » أى لا تحدثوا فيها سمة وعلامة ، من العلب بفتح العين وسكون اللام وهو الأثر .

ومن العلماء من قال ان سيماهم فى وجوههم من أثر السجود تكون فى الآخرة ، أخذا من حديث أخرجه الطبرانى فى الأوسط والصغير ، وابن مردويه بسند حسن عن أبى بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى « سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » النور يوم القيامة) وبهذا أخذ ابن عباس والحسن ، ولا يبعد أن تكون لصلاتهم علامة فى الدنيا والآخرة ، فما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم من نورهم يوم القيامة لا يمنع من أن تكون لصلاتهم تلك الآثار التى سبق ذكرها .

واذا كان أصحاب رسول الله أشداء على الكفار رحماء بينهم ، ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، وأنهم بهذه الصفات ، استطاعوا أن ينشروا الاسلام فى الأرض وأن يمكنوا له ، فعلى المسلمين أن يحذوا حذوهم ليكونوا أعزة مثلهم ، والا حق عليهم قوله تبارك وتعالى « وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » .

« ذلك مثلهم فى التوراة »

يعنى أن ما تقدم من أوصاف أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى القرآن ، قد جاء مثله عنهم فى التوراة ، وفيما يلى ما عثرنا عليه من أوصافه فيها .

روى الواقدى عن ثعلبة بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل أبا مالك ـ ثعلبة بن هلال ـ

وكان من أحبار اليهود فقال : أخبرنى بصفات النبى — صلى الله عليه وسلم — فى التوراة فقال : ان صفته فى توراة بنى هرون التى لم تغير ولم تبدل هى (أحمد من ولد اسماعيل بن ابراهيم ، وهو آخر الأنبياء ، وهو النبى العربى الذى أتى بدين ابراهيم الحنيف ، يأتزر على وسطه ، ويغسل أطرافه ، فى عينيه حمرة ، وبين كتفيه ختم النبوة ، ليس بالقصير ولا بالطويل ، يلتبس الشملة ويجتزىء بالبلغة (١) ، ويركب الحمار ويمشى فى الأسواق ، سيفه على عاتقه ، لا يبالى من لقى من الناس ، معه صلاة لو كانت فى قوم نوح ما أهلكوا بالطوفان ، ولو كانت فى عاد ما أهلكوا بالريح ، ولو كانت فى ثمود ما أهلكوا بالصيحة ، يولد بمكة ، وهو أمى لا يقرأ المكتوب ، وهو الحماد . يحمد الله شدة ورخاء ، سلطانه بالشام ، وصاحبه من الملائكة جبريل ، يلقى من قومه أذى شديدا ثم يدال عليهم فيحصدهم حصدا ، تكون الواقعات بيثرب ، منها عليه ومنها عليهم ثم له العاقبة ، معه قوم هم اسرع الى الموت من الماء من رأى الجبل الى أسفله ، صدورهم أنا جيلهم ، وقربانهم دماؤهم ، ليوث النهار رهبان الليل ، يرعب عدوه مسيرة شهر ، يباشر القتال بنفسه ثم يخرج ويحكم ، لا شرط معه ولا حرس الله يحرسه) .

وقد تبين من وصف النبى فى التوراة المذكورة ما هو ترجمة لواقعه صلى الله عليه وسلم فى أمره كله ، ولما جاء عنه فى القرآن كما تبين منها فى وصف أصحابه بأنهم كانوا أسرع الى الموت من انحدار الماء من رأس الجبل ، وأن دماءهم قربانهم — أنهم أشداء على الكفار ، ومن وصفهم فيها بأنهم (رهبان بالليل) ما يطابق وصفهم فى القرآن بالركع السجود ويتفق مع الواقع من أمرهم ، هذا : وقد جاء فى سفر أشعياء

---

(١) البلغة ما يتبلغ به من الطعام القليل

(اصحاح ٣٣ فقرة ٣) قوله (واستعلن من جبل فاران ، ومعه ألوف الأطهار فى يمينه سنة من النار ، أحب الشعوب ، جميع الأطهار بيده) وهذا يطابق حاله صلى الله عليه وسلم وحال أصحابه .

(ومثلهم فى الانجيل كزرع)

يقول الله فى أصحاب الرسول « **ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه** » الآية وشطأ الزرع فراخه ، وشطأ الشجرة غصونها .

ومعنى الآية : ومثل النبى صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه كمثل زرع نبت من التربة بغير أوراق وفروع ، ثم أخرج أوراقه وفروعه ، فآزرت هذه الأوراق والفروع ذلك الزرع ، أى قوته وأعانته على أن يتحمل الرياح فى هبوبها : وكلما كثرت هذه الاوراق والفروع حول الساق ازداد الزرع قوة واستغلظ — أى صار غليظا بعد أن كان دقيقا ، واستوى بسبب ذلك على سوقه ، أى استقام على قصبه وأصوله (يعجب الزراع) بفروعه وغلظه ، وكثافته وخضرته ، وجماله وحسن منظره .

قال صاحب الكشاف : هذا مثل ضربه الله تعالى لبدء ملة الاسلام وترقيه فى الزيادة ، الى أن قوى واستحكم ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله بمن معه ، كما يقوى الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها : انتهى كلامه .

وانما جعلهم الله على هذا النمط (ليغيظ بهم الكفار) بما تحدثه مؤازرتهم للرسول من القوة والانتصار عليهم ، وظهور حقه على باطلهم .

وقد ترتب على انتشار وكثرة معتنقيه ، غيظ الكفار وحنقهم عليه فعلا ، لظهوره عليهم وفاء بوعد الله تعالى « **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله** » .

وقد جاء فى الانجيل مثل هذا المثل المضروب فى الآية ، فقد أخرج ابن جرير وعبد بن حميد

عن قتادة (مكتوب فى الانجيل : سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع، ويخـــرج منهم قـــوم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » وجاء فى انجيل متى : اصحاح ٢١ مـا يؤكد ما صرحت به الآية من علو الرســول وأصـــحابه واغاظتهم لأعدائهم ، فقد جاء فيه (الحجر الذى رفضه البناءون صار رأس الزاوية من قبل الرب ، لذلك أقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمة تعمل اثماره ، ومــن سقط على هذا الحجر يترضض ، ومن سقط عليه يسحقه) فهــل تستيقظون مــن ســباتكم أيهــا المؤمنون ، وتعرفون منزلتــكم فى العالمين ، فتنزعــوا الوهن مــــن قلوبكم ، وحب الدنيا من نفوسكم والحقد على اخوانكم من صدوركم « يأيها الذين آمنــوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ٠

مصـــــطفى الحديدى الطـــير

« انا لله وانا اليه راجعون »

مجلة الأزهر تنعى الى الأمة الاسلامية ٠

فضيلة الأستاذ الشــيخ محمد علوانى سامون

عضو مجمع البحوث الاسلامية ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر وللفقيــد أثر محمــود فى مجــال الفتيا وتقنين الشريعة الاسلامية ٠

طيب الله ثراه ، وضاعف له المثوبة ، جزاء ما بذل من عطاء فى سبيل الدين ، وما قدم من جهد خدمة للاسلام والمســلمين ٠

فى ذكرى المولد النبوى :

شعراء مسيحيون يمدحون محمداً صلى الله عليه وسلم

للدكتور / محمد رجب البيومى

لنبى الاسلام من المحامد العالية، والمزايا الانسانية الرفيعة ، ما بهر العيون وملأ الأسماع ، وقد أنصفه كثير من أعلام المسيحية فى الغرب والشرق ، أما الغربيون فقد اتجهوا فى الأكثر الغالب الى شريعته الخالدة فعقدوا الموازنات الفقهية بينها وبين القوانين الذائعة حديثها وقديمها ، وقد كنا قبل أن يتيقظ الوعى الاسلامى فى الشرق نطير فرحا بهذه الموازنات ونسر سرورا زائدا حين نجد مستشرقا متعالما يؤيد الاسلام فى رأى أو مذهب ، وان خالفه بعد ذلك فى أكثر حدوده الفاصلة ونقاطه الجوهرية !! أما الآن فقد سرت الثقة الكاملة فى نفوس الشبيبة المحمدية ووجدت من تراثها الاسلامى ماتباهى أتم مباهاة بكنوزه ولآلئه ، دون أن تلتفت الى ثناء مموه يساق اليها متثاقلا من الغرب ، وقد يكون ظاهره الرحمة وباطنه من قبله العذاب ، فلا عليها أن قدح غربى أو مدح ، وحسبها أن تتمسك بكتابها الحميد وتعتقد اعتقادا راسخا أن الباطل لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه •

هؤلاء هم الغربيون ، أما المنصفون من مسيحيى الدول العربية فقد وجد فيهم — كتابا وشعراء — من يهيم بمحمد ويعترف برسالته ويسطر الكتب والقصائد متغنيا بمآثره وأفضاله على العرب خاصة والعالم عامة ، اذ أن كل عربى فى الشرق مسلما

كان أو مسيحيا يعلم تمام العلم أن محمدا قد رفع العرب جميعا الى قمة عالية ، فقد خلق من القبائل المتنافرة دولة قوية متماسكة حطمت الكسروية الطاغية فى الشرق والقيصرية الباغية فى الغرب مما عاد فخره العظيم على أبناء العرب جميعا دون استثناء ، وتلك حقيقة تاريخية لا جدال فيها ، وقد ظهرت فى سوريا ولبنان كتب تاريخية لأدباء المسيحية تنصف نبى الاسلام انصافا حميدا نذكر منها كتاب « تحت راية الاسلام » للاستاذ خليل جمعه الطوال وكتاب « دعوة نصارى العرب للاسلام » للأستاذ خليل اسكندر القبرصى ولا أبالغ اذا قلت ان الكاتبين الفاضلين قد ذكروا من محاسن محمد ومناقب الاسلام مالا يستطيع مسلم متشدد أن يأتى بأكثر منه (١) واذا كنا نحمد لهما ولمن سار سيرهما انصافهما البرىء واطلاعهما الفاحص الدقيق ، فاننا فوق ذلك نثنى ثناء مستطابا على الشجاعة الأدبية التى سرت فى نفسيهما سريانا ملهما فقد تعرضا مع غيرهما لحملة ظالمة من متعصبى الاسلام والمسيحية معا ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الحق وما ضعفوا وما استكانوا فقد كان غلاة المسلمين يقولون انهم متملقون كاذبون يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، كما يقول غلاة المسيحيين انهم خونة مارقون وكفار يجب تكفيرهم على رءوس الأشهاد ، وليس هذا بمستغرب فى بلد كالشام تنتشر فيها مدارس الأرساليات وبعوث التبشير انتشارا خطيرا وهى لا تفتأ تدعو الى التعصب والضغينة وتفرق بين أبناء الدم الواحد لتقوى شوكة الاستعمار وتخلق له السماسرة والأعوان !!

أما فى مصر فقد وفق الكاتب المنصف الدكتور نظمى لوقا الى

(١) و مثلهما فى ذلك الأستاذ لبيب الرياشى صاحب كتاب نفسية الرسول العربى .

اصدار مؤلفين نفيسين تلتهما مؤلفات أخرى عن حياة محمد ونشأته وخصائص رسالته وحقائق تعاليمه ، فأبان عن روح عالية تطمح الى المثل الأعلى ، وتهتف بالحمد الصريح دون أن تهزها عواطف الثائرين وصيحات الناقمين ممن يسوؤهم أن يعترف بعظمة محمد قبطى مثقف يدرس الفلسفة والمنطق ويحمل درجة الدكتوراه فيها بامتياز !!

واذا كان الشاعر لا يستطيع أن يكتم نوازعه المشبوبة وأحاسيسه الجائشة اذا اقتنع بفكرة تملك عليه أفكاره فان كثيرا من أفاضل شعراء المسيحية قد بهرهم ما قدم محمد للعرب من مجد تليد وراعهم ما انتقلت اليه الجزيرة العربية على يديه من قبلية مظلمة — تعج بالدمار وتفيض بالشرور الى دولة متحضرة تزدهر بالمدنية والفضيلة والوئام ، ومن ثم نظموا القصائد الرائعة مقارنين بين الليل الجاهلى والصبح الاسلامى ومباهين بهذا الذى أوجد من القطيع النافر آسادا تحمى العرين ، وتقيم الصروح ، ولك أن تسمع الأستاذ وصفى الزنفلى شاعر حمص يسجل هذه الحقيقة الناصعة فيقول :

أو عار على فتى يعربى
أن تغنى بالسيد العدنانى
صاح بالشرق واستثار بنيه
فتنادوا بالفرس والرومان
وبنوا مجدنا المؤثل صرحا
من نثار العروش والتيجان
وأتوا قمة الزمان فكانوا
سادة الأرض فى شباب الزمان
أفكنا لولا الرسول سوى العبيد
ان ساءت معيشة العبدان ؟؟
فالتحيات والسلام أبا القا
سم تهدى اليك فى كل آن !

وانك لتجد أيضا شاعر الأرز الكبير الأستاذ شبلى الملاط وهو من أنبغ شعراء العربية فى العصر الحاضر يتحدث عن الحضارة العربية الزاهرة فىحماسة واندفاع ويتمنى للزمان فضلا كفضل محمد ، وعدالة كعدالة عمر ، كما يصف الفتوحات الاسلامية فيذكر كيف امتدت رايتها على الشرق مرفرفة فوق أباطحه وهضابه ثم انتقلت الى الغرب فملأته عدلا وسماحة وحضارة ، وللشاعر فى قريضه الناصع تسلسل وانسجام ، وانك لتحلق معه فى أجوائه العالية اذ تسمعه وهو يقول :

من للزمان يمثل عدل محمد
وعدالة كعدالة الخطاب
رفع الرسول عماد أمة يعرب
وأعزها بالأهل والأصحاب
غشت الفتوح فرفرفت راياتها
فى الشرق فوق أباطح وهضاب
وتغلغلت فى الغرب طائرة على
أكتاف صقر جارح وعقاب

ولئن كانت اللغة العربية هى قيثارة الشاعر العربى فى تغريده الرخيم فان كل أديب عربى يعرف فضل محمد على لغته الفصيحة فقد حفظ القرآن شبابها الغض ، وأمدها بذخيرة ثمينة من أفكاره ومعانيه كما كانت أحاديث نبى الاسلام مورد الأمثال ومناط الأسوة والاحتذاء ، فقد خلع على الفصحى أردية قشيبة وأجرى فى شرايينها الفتية دما حارا متدفقا فغنى ببيانه كل أديب ولمس شعراء العرب فضل محمد على اللغة والبيان بل انهم ليتضاءلون فى استحياء اذا جاروه فى ميدان الفصاحة والابداع وفى ذلك يقول الأستاذ جورج سلستى :

يا سيدى يا رســـــول اللــــه معذرة
اذا كبا فيك تبيــانى وتقصـــــيرى
وأنت رب البيـــان الفــذ فى لغـــــة
تشأوا للغى حسن تنميق وتصـــوير
على لســـــانك ماجن البيـــــان به
وأقبل الشعر يرنو شبه مســـــحور
ماذا أوفيـــك من حـــق وتكــــرمة
وأنت تعلو مـــدى ظنى وتقـــديرى

أما الشـــاعر اللبنـــانى الكبير الأستاذ حليم دموس فقد مـــدح محمدا بقصـــائد عديدة تدل على انصـــافه وحريته وتبلور النظرة الانسانية الى الأديان عامة بلورة أخاذة ســـاحرة وهـــو فى ديوانه الأخير « يقظة الروح » قد سطر عن جميع ســـور القرآن العظيم ومضات ساخرة ، برقت فى خاطره أثناء التلاوة العاقلة والدراســـة الفاحصة ولاح حبه لمحمد فى أكثر قصائده الوطنية والقـــومية وأنت حين تقرأ دواوينه المختلفة تلمس جلال التقدير وصـــــدق العاطفة وتشعر أن الأديب الكبير قد حلق بجناحه فى أفق فسيح لا يتســـنى لغيره أن يهيم فى سماواته العالية على أنه لم يكذب الحق والتاريخ والشعر حين قال عن جهـــاد نبى الاســــــلام :

صراع رمى جيش الضـــلالة بالهدى
كمـــا يتهاوى جلمـــد فـــوق جلمـــد
فياليتيم وهو كالشمس فى الضـــحى
وكالشمس فى ايمـــــانه المتـــوقد
تحمل من دنيـــــاه أعبــــاء أمـــة
بهمـــة جبـــــار وجفـــن مســــهد

سـأنشرهـا فى الخـافقين ملاحمـا
على نسج حسـان ونغمـة معبـد

هذا ونحن نعلم أن البوصيرى رحمه الله قد مدح الرسول ببردته الشهيرة فلقيت من حفاوة الشعراء واقبال الأدباء ما أجلسها فى مكان الصدارة بين المـدائح النبـوية الكثيرة وقـد عارضـها عشرات الشعراء كما تناولها غـير واحـد بالتشـطير والتخميس ، ولم يفت الأديب المسيحى الأستاذ « ميشيل اللـه ديردى » أن يجـرى مـع المتسابقين فى ميـدان المعارضة ، وقارئه يؤخذ كثـيرا بعـذوبة الأسلوب وحراراة العاطفة وصدق المديح وقد طال نفس الشاعر دون أن يفقد قوته وتأثـيره كمـا سمح له موضوعه الحافل أن يحلل جوانب كثـيرة من حيـاة نبى الاسلام وأن يرسم صورا مشرقة من تعاليمه وهدايته كأن يقـول :

أقول للمصطفى أعظـم بما ابتدعت
آيـات بـرك من خـير ومن نعـم
لو تابع الخلـق ما خـلدت من سنن
لم يفتك الجهل والأعـواز بالأمـم
ولم ير الناس أحـكاما وفلسـفة
فى الاجتماع ستلقيهـم الى العـدم
مذاهب أحـدثت فى النـاس بلبـلة
وأورثتنا بـلايا الحـرب والأزم

ولو كان المجال ذا سعة لتناولت كثيرا من روائعها البليغـة ، وهى وحدها تؤكد ما يثيره الاعجـاب الصادق فى النفوس الشـاعرة من حماسة واندفاع وبخاصة اذا اعتز الشاعر بعربيته العريقـة فأدرك ما قدمه محمـد للعرب من مآثر خالدات .

ولن نغفـل فى هـذا العرض السريع ما ترنم به المهـاجرون فى الدنيا الجديدة من قصائد رائعـة فى مـدح النبى العربى ، فهم فى

مغتربهم النازح يشعرون بعروبتهم وأشواق الآمال لذلك نجد الشاعر المهاجرة شعورا تؤكده مرهقات محبوب الخورى الشرتونى يتحدث العيش ومضايق الحياة ، فى وطن عن العرب ورسولهم العظيم محمد مادى لا يقدس رغبات النفس فيقول :

قالوا تحب العرب قلت أحبهم
يقضى الجوار على والأرحام
قالوا لقد بخلوا عليك أحببتهم
أهلى وان بخلوا على كرام
ومحمد بطل البرية كلها
هو للأعارب أجمعين امام
قالوا البداوة قلت أطهر عنصر
صفت النفوس هناك والأجسام
الأريحية والشهامة والندى
فى الأرض حيث أيانق وخيام

أما الشاعر الشهير الياس فرحات فقد وصف ميلاد الرسول الأعظم وصف المنصف الصادق ، مبعثه ، واشراق المعرفة بنبوته ، وأبان عما ضمن الاسلام من أخوة رحيمة ، وحنو كريم ، ودعا الى دراسة تعاليمه واعتناق مثله اذ فتحدث عن ظلام الجهالة قبل يقول :

غمر الأرض بأنوار النبوة
كوكب لم تدرك الشمس علوه
لم يكد يلمع حتى أصبحت
ترقب الدنيا ومن فيها دنوه
بينما الكون ظلام دامس
فتحت فى مكة للنور كوه !!

وطمى الاســـــلام بحرا زاخـــــرا
بأواذى المعـــــالى والفتـــــوه
ان فى الاســـــلام للعـــرب علا
ان فى الاســـلام للنـــاس أخـــوه
فادرس الاســــلام يا جاهـــله
تلـــق بطش اللـــه فيـــه وحنـــوه
يارســـــول اللـــه انـــا أمـــة
زجها التضـــليل فى أعمـــق هـــوه
ذلك الجهـــل الذى حاربتـــه
لم يزل يظهـــر فى الشرق عتـــوه

والبيت الأخـير يذكرنا بروائع الشاعر القروى الكبير رشيد سليم الخورى فان ديوانه «الاعاصير» ثورة جبارة مضطرمة ، وصرخـة عالية فى آذان العـرب النـائمين ليهبـوا من مراقـدهم مسرعين فيقودوا ركب الانسانية الضـال فى الحديث ، كما قـادوا مواكب الحضارة والعزة والفتوح فى القديم وانه ليأسى على الحـاضر الأليم أسى بالغا حين يناجى الرسـول الأعظم فيتحـدث عن أمجـاد غزواته ، وروائع فتوحه ، ويقول فى حرارة صادقة وحنين مشـبوب وهو يشـيد بميـلاد الرسـول الكريم :

بدا من القفر نورا للورى وهـدى
يااللتمدن عم الـكون من بـدوى
يا فاتح الأرض ميـدانا لقـوته
صارت بـلادك ميدانا لـكل قـوى
يا حبذا عهـد بغـداد وأنـدلس
عهد بروحى أفدى عـوده وذوى
فان ذكرتم رسـول اللـه تكرمـة
فبلغوه سلام الشـاعر القـروى

ولعل من المناسب أن أختتم هذا العرض السريع ببعض ما قاله شاعر الأقطار العربية الأستاذ خليل مطران فى رسول الله ومطران فى رأيى أبلغ شعراء العصر الحديث ورائدهم الى التجديد والابداع فأبياته أجدر بالرواية اذ يقول :

أعاد ذاك الفتى الأمى أمته
شملا جميعا من الغر الأماجيد
ليلك تالية القرآن فى عجب
بل آية الحق اذ يبغى بتأكيد
صعبان راضهما ، توحيد معشرهم
وأخذهم بعد اشراك بتوحيد

دكتور / محمد رجب البيومى

« رأى الشيخ خير من جلد الغلام »

قال على كرم الله وجهه :

« رأى الشيخ خير من جلد الغلام » ، وقالت العرب : عليكم بآراء الشيوخ فانهم ان فقدوا ذكاء الطبع ، فقد مرت على عيونهم وجوه العبر .

في ذكرى الميلاد النبوي العظيم

ميلاد جديد للإنسانية

للدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجي

الأيام والاعوام والأحقاب ، وذكرى ميلاد رسول الله محمد بن عبد الله ، صلى الله عليه وسلم ، جديدة أبدا ، مشرقة دائما ، لا تبلى جدتها ، ولا يضعف رواؤها ونورها العظيم لقد أصبحت نشيدا عذبا فى فم الانسانية ، ولحنا سماويا تهتف به الأجيال ، كلما ظمئت الى نبع الحياة الكريمة ، والمثل الرفيعة ، والقيم العليا النبيلة .

فى صباح يوم الاثنين ، الثانى عشر من ربيع الأول ، الثالث والعشرين من ابريل عام ٥٧١ للميلاد ، ولد فى مكة ، بجوار البيت الحرام ، بيت ابراهيم واسماعيل ، طفل عظيم ، كانت حياته حياة جديدة للعالم وللشعوب وللانسانية قاطبة ، طفل قرشى فى أرفع ذرى الحسب والنسب والشرف الكبير .. ولكنه يتيم .. نعم يتيم .

أمه : آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، سيدة نساء بنى زهرة ، وأعرقهن نسبا ، وأكرمهن محتدا .

وأبوه : عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصى . أعظم شباب مكة : نسبا وحسبا وأدبا .

ولما تزوج عبد الله آمنة ، قالت قريش : لقد فاز .

وكان لعبد المطلب عشرة بنين وست بنات . وقبل أن يولد له ولد ، عيره عدى بن نوفل أحد أبناء عمومته ، فقال له : أتستطيل

علينا ، وأنت فذ ـ فرد لا أولاد لك ـ ولا ولد لك ؟ فأجابه عبد المطلب :

أتعيرنى بالقلة ؟ فوالله لئن آتانى الله عشرة من الولد لأنحرن أحدهم عند الكعبة .

وكان عبد الله هو الذى وقع عليه هذا العبء الكبير ، وكان أصغر أبناء عبد المطلب ، وأحبهم اليه ، ففداه أبوه بمائة من الابل ، كما فدى الله جده الأكبر اسماعيل بذبح عظيم .

وكان عبد الله واخوته يطوفون بالكعبة مع أبيهم ، فيبهرون الناس بجمالهم ، ويأخذون الأبصار بوضاءة وجوههم .

وكان عبد المطلب يسمى الفيض ، لسماحته وكرمه ومروءته وأريحيته . وكان أجمل الناس وأوسمهم ، وأعذبهم حديثا ، وأفصحهم لسانا ، يطعم الناس فى المحل ، والوحوش فى رءوس الجبال ، وولى السقاية والرفادة فى البلد الحرام ، مكة الآمنة الرابضة وسط الجبال والصحراء .

وفجرت يدا عبد المطلب البر تان بئر زمزم ، فأحبه قومه ، وعظم خطره فيهم ، وشرف شرفا لم يبلغه أحد من آبائه ، وصار زعيم قريش ومقدمها ، وبعد قليل واجه الغزو الحبشى لمكة بقيادة أبرهة عام ٥٧١ م ولكن الله القادر المهيمن أهلك أبرهة وجيشه ، وهم على أطراف البلد الحرام ، ودحر الغزو ، وفشل التدبير الشيطانى المخبول . وعظمت مكانة عبد المطلب بين العرب جميعا ، وصار سيد قريش ، وسيد أبناء اسماعيل قاطبة .. وعظمت العرب قريشا ، وقالوا : هم أهل الله ، قاتل الله عنهم ، وكفاهم شر عدوهم .

وحديث الطاعون ، الذى فشا فى ذلك الحين ، ورد فى تاريخ « بروكوب » الوزير البيزنطى آنذاك ، ولعله قد أهلك الله به ، جيش أبرهة بعد أن رماهم الله بحجارة من سجيل ، ويظن أن هذا الطاعون كان هو الجدرى .

ـ ٢ ـ

وجاء الميلاد النبوى الكريم ، وكسرى انوشروان (٥٣١ ـ

٥٧٩ م) على عرش فارس ، وقد تولى بعده هرمز الرابع (٥٧٩ — ٥٩٠ م) ، فكسرى أبرويز (٥٩٠ — ٦٢٨ م) •

وكان على عرش الامبراطورية البيزنطية (الرومانية الشرقيــة) القيصر جستين الثانى •

وعلى عرش اليمن يكســوم بن أبرهة الحبشى (٥٧١ — ٥٧٣ م)

وعلى عرش امارة الغساسنة فى الشام الملك المنذر بن الحــارث الغسانى •

وعلى عرش امارة الحــيرة فى العراق الملك قــابوس بن هنــد (٥٦٩ — ٥٧٣ م) • وهو أخــو الملك عمــرو بن هنــد (٥٥٤ — ٥٦٩ م) •

وعلى عرش مملكة الملــوك من كندة الملك المنــذر ابن الحــارث (٥٦٩ — ٥٨٣ م) •

وعلى عرش مصر من قبل قيصر الروم المقوقس وعــلى عــرش الحبشة النجاشى •

وفى الحجاز كانأهــل الكتــاب والكهان يبشرون بظهور نبى جديد حان زمانه ، وتجىء باليمن والخير أيامه •

وفى مكة الحرام كان الحنفــاء يتطلعون الى السماء ، لتنقذ العالم مما هو فيه من ضــلال وحــيرة وشقاء ، هاهم أولاء : عثمان بن الحويرث ، وورقة بن نوفل ،وزيد ابن عمرو بن نفيل ، وعبيد الله بن جحش ، يجتمعون فى يوم عيــد عنــد صــنم يعظمه المكيــون وينحرون لــه ويعــكفون عليــه ، وخلص الأربعة نجيــا ، وأخــذ بعضهم يقول لبعض • « تعــلمن والله ما قومكم على شىء » •

« لقد أخطأوا ديــن أبيهــم ابراهيم » •

« ما حجر نطيف به ، لا يبصر ولا يضر ولا ينفع » •

« يا قوم ، التمسوا لأنفســكم دينا غير هذا الدين ، فانكم والله ما أنتم على شىء » •

وينفرد زيد بنفسه يناجيها ، ثم يقول لقومــه : يا معشر قريش ، والذى نفس زيد بيده ، ماأصبح أحد منــكم على دين ابراهيــم

غيرى • والله لو أعلم أحب الوجوه اليك عبدتك به ، ولكنى لا أعلمه • ثم يسجد •

أما ورقة فيستبطىء الأيام ، ويكرر قوله : حتى متى رسالة الله ؟

ويخرج سلمان الفارسى (١) وهو ابن وجيه من وجهاء فارس ، من بلاده ووطنه ، يطوف فى الشام والعراق والحجاز ، بحثا عن الرسول المنتظر الذى قد حان زمانه ••

وتستعد الانسانية كلها لسماع أعظم بشرى سمعت بها فى حياتها الطويلة •• لقد أثقلها الألم والعذاب والهوان ، فأخذت تنصت للبشريات التى يبشرها بها الحنفاء المتألهون وأضرابهم •

وكان الميلاد العظيم ، ميلاد الطفل اليتيم فى بيت عريق ماجد كريم •

وولد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، يتيما ، مات أبوه عبدالله قبل المولد النبوى بسبعة أشهر ، وفى يوم الميلاد كانت البشائر الالهية الكبرى تتوالى بهذا الميلاد الجليل ، ميلاد رسول الله وخاتم النبيين • وسيد الخلق أجمعين ، صلوات الله وسلامه عليه دائما أبدا الى يوم الدين ••

رأت أمه آمنة نورا أضاءت له قصور بصرى بالشام •• ورأى قيصر الروم أن ملك العرب قد ظهر ، ورأى خالد بن سعيد بن العاص نورا يخرج من زمزم ، فيضىء فى كل مكان ، حتى تراءى له نخيل يثرب •• وخمدت نيران فارس ، وكانت لا تخمد أبدا ، واهتز ايوان كسرى •• واستبشرت مكة والكعبة والبيت الحرام •

وأرسلت آمنة الى جد الوليد ، عبد المطلب تقول له : قد ولد لابنك عبد الله ولد ، فبادر عبد المطلب بالتوجه مسرعا اليها ، وأخذ الوليد وقبله ، وحمله فى يديه ، ودخل به

---

(١) صدر عنه هذه الايام كتاب جديد بعنوان « سلمان الفارسى » للأديب السعودى الاستاذ أحمد أبراهيم الحقيل ، فى ١٧٢ صفحة •

الكعبة ، وقام يدعو الله ، ويشكر له ما أعطاه •

لحظات خالدات ليس لها مثيل فى جميع لحظات الأيام والأزمان والأجيال والعصور •• لحظات وقف عندها الدهر صامتا خاشعا مكبرا •

وعاد عبد المطلب بالوليد فدفعه الى أمه وهو يقول لها :

لقد سميته محمدا ، ليحمد فى الأرض والسماء وقدمت المرضعات الى مكة تلتمس أبناء الأشراف والسادة والأثرياء ، طمعا فى كرمهن ••

وكان لحليمة السعدية شرف الفوز بمحمد ، لتكون مرضعته ومربيته الأولى • وتقص حليمة(١) قصتها مع هذا الطفل العظيم اليتيم ، فتقول انها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه — هو عبد الله بن الحارث — فى نسوة من سعد بن بكر ، تلتمس الرضعاء ، وهى فى سنة شهباء ، سنة جدب وقحط ، لم تبق لها شيئا •

قالت حليمة :

خرجت على أتان — أنثى الحمار — لى ، قمراء — بيضاء الى كدرة — معنا شارف — ناقة حسنة — لنا ، والله ما تجود بقطرة ، وما ننام ليلتنا أجمع من صبينا الذى معنا ، ببكائه من الجوع ، وما فى ثديى ما يغنيه ، وما فى شارفنا ما يغذيه • ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج ، فخرجت على أتانى تلك ، حتى قدمنا مكة ، نلتمس الرضعاء •

فما منا من امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فتأباه ، اذا قيل لها : انه يتيم • وذلك أنا انما كنا نرجو المعروف من أبى الصبى ، فكنا نقول : يتيم ، وما عسى أن تصنع أمه أو جده ؟ فكنا نكره أخذه لذلك، فما بقيت امرأة قدمت معى الا أخذت رضيعا غيرى ، فلما أجمعنا

(١) حليمة هى بنت أبى ذؤيب من سعد بن بكر ، وزوجها هو الحارث ابن عبد العزى من سعد بن بكر كذلك ، وأبناء الحارث هم : عبد الله ابن الحارث ، أنيسة بنت الحارث ، خذامة (الشيماء) بنت الحارث .

العودة قلت لصاحبي — زوجي — والله انى لاكره أن أرجع بين صواحبى ولم آخذ رضيعا ، والله لاذهبن الى ذلك اليتيم فلاخذنه •

وقال لها زوجها : لا عليك أن تفعلى ، عسى الله أن يجعل فيه بركة •

قالت حليمة : فذهبت اليه ، فأخذته ، وما حملنى على أخذه الا أنى لم أجد غيره ، ورجعت به الى رحلى ، فلما وضعته فى حجرى جاد ثدياتى بما شاءا من لبن ، فشرب حتى روى ، وشرب معه أخوه (أى من الرضاع وهو عبد الله) حتى روى ، ثم ناما ، وما كنا ننام معه قبل ذلك •

وقام زوجى الى شارفنا تلك فدرت باللبن ، فحلب منها ما شاء، وشرب وشربت معه ، حتى انتهينا ريا وشبعا ، فبتنا بخير ليلة ، وأصبحنا ، فقال لى زوجى :

اعلمى يا حليمة أنك أخذت نسمة مباركة فقلت له : والله انى لأرجو ذلك وتواصل حليمة حديثها الشيق الجميل ، فتقول :

وخرجنا من مكة ، وركبت أتانى، وحملت الطفل عليها معى ، فوالله لقد قطعت مسافات ما يقدر على قطعها شيء من فواره (جمع فاره) دوابهم ، حتى ان صواحبى ليقلن لى : يا ابنة أبى ذؤيب ، ويحك ، اربعى علينا — أى انتظرى علينا فى السير ، وتمهلى فيه — أليست هذه آتانك التى كنت قد خرجت عليها ؟

فأقول لهن : بلى ، والله انها لهى هى فيقلن لى والله ان لها لشأنا ، وتستمر حليمة فى حديثها العذب فتقول :

وقدمنا منازلنا من بلاد بنى سعد ، وما أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها ، وكانت غنمى تروح على ، حين قدمنا به معنا ، شباعا ، فنحلب ونشرب ، وما يحلب انسان قطرة لبن ، ولا يجدها فى ضرع ، حتى كان القوم يقولون لرعاتهم :

ويلكم ، اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبى ذؤيب ••

فتروح أغنامهم جياعا ، ما تجود بقطرة لبن ، وتروح غنمى شباعا نحلب منها لبنا •

فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير •• حتى مضت سنتان من حياة الوليد معنا ، وفصلته ، وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمـان •• فقدمنا عـلى أمه ، ونحن أحرص شىء على مكثه فينا ، لما كنـا نرى من بركته ، فكلمنا أمه ، قلت لها :

لو تركت عنـدى بنى وقتـا أطول ، فانى أخشى عليـه وبـاء مكة ؟

ولم أزل بها حتى ردته معنا ، فرجعنا به هذا هو الطفل العظيم ، ابن العامين ، تعود به حليمة الى وطنها فى بنى سعد بن بكر ، ترعاه، وتربيه •

وتقص حليمة قصـة جـديدة عظيمة للطفل العظيم ، فتقول :

والله ، انه بعد مقدمنا بأشهر ، مع أخيـه ، لفى غنم لنا ، خـلف بيوتنا ، اذ أتانا أخوه يعدو ، فقال لى ولأبيه : ذاك أخى القرشى قد أخذه رجلان ، عليهما ثياب بيض ، فأضجعاه ، فشقا بطنه ، فخرجت أنا وأبوه نحوه ، فوجدناه قائما ، منتقع — متغـير — الـوجه ، فالتزمته ، والتزمه أبوه ، فقلنا له : مـالك يابنى ؟ قـال (كما ورد فى سيرة ابن هشام وكتب السـيرة الأخرى) :

قد جاءنى رجلان ، عليهماثياب بيض ، فأضجعانى ، وشقا بطنى ، فالتمسا فيه شيئا لا أدرى ما هو ؟ فرجعنا الى خبائنا • وقال لى أبوه: يا حليمة ، لقد خشيت أن يـكون هذا الغلام قد أصـيب ، فألحقيه بأهله قبـل أن يظهر ذلـك به ، فاحتملناه ، فقدمنا به على أمه ، قـالت :

ما أقدمك به يا حليمة ؟ وقـد كنت حريصة عليه ، وعلى مكثـه عنـدك •

فقلت : نعم ، قد بلغ الله بابنى وقضيت الذى على ، وتخـوفت الأحداث عليه ، فأديته عليـك كما تحبين ••

قالت آمنة لحليمـة : ما هـذا شأنك ، فأصدقينى خبرك ، فـلم تدعنى ، حتى أخبرتهـا ، قـالت آمنة : أفتخوفت عليه الشـيطان ؟ قلت : نعم ، قـالت كلا ، واللـه ماللشيطان عليه من سـبيل ، وان

لبنى شأنا ، أفلا أخبرك خبـره ؟ قلت : بلى ، قالت :

« رأيت حين حملت به انه خرج منى نور أضاء لى قصور بصرى من أرض الشام » •

ثم حملت به ، فوالله مـا رأيت من حمـل قط كان أخف ولا أيسر منه ، ووقع حين ولدته وانه لواضع يده بالأرض ، رافع رأسـه الى السـماء ، دعيه عنك يا حليمـة ، وانطلقى راشدة •

— ٣ —

ولقـد ظهرت بميـلاد خـاتم المرسلين الكثير من البشريات :

فقد طرد سـيف بن ذى يزن الحبشة من بلاده ، وأنهى الاحتلال الحبشى لها ، وكان هذا الاحتـلال قد دام نحو نصف قرن من الزمان (٥٢٥ — ٥٧٥ م) ، وذهـب عبد المطلب عـلى رأس وفد من أشراف قريش الى اليمن ، لتهنئـة محرر اليمن وقائدها سيف بن ذى يزن بهذا النصر العظيم ، واجزل الملك اليمنى للوفد ولرئيسه العطاء، وانفرد بعبد المطلب ، تنبأ له بقرب ظهور رسوله من نسله • وكان عبد المطلب يقول : لا يغبطنى أحد منكم بجزيل عطاء الملك ، وان كان كثيرا ، فانه الى نفاد ، ولكن ليغبطنى بما يبقى لى ولـذريتى ذكره وفخره وشرفه • فاذا قيل له : وماذاك ؟ قال : ستعلمون ما أقول لكم بعـد قليـل •

وفى الميـلاد النبـوى يقـول العباس عم الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

وأنت لـما ولـدت أشرقت الا
رض ، وضـاءت بنورك الافـق
فنحن فى ذلك الضـياء وفى الـ
نور وسـبل الرشـاد نخترق

ومرت الأيام والأعـــوام ، وتوالت البشريات :

ــ انتصار العرب فى يوم ذى قار على الفرس •

ــ نزول الوحى على محمد بن عبد الله بالقرآن الكريم فى غـــار حراء ، على جبل النور ، بالرسالة الالهية العظمى ، بالشريعة المحمدية الخاتمة ، حتى لقد قـــال ورقـــة لرسول الله : والذى نفس ورقـــة بيده ، انك لنبى هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جـــاء موسى •

وقال رسول الله ، صلوات الله عليه ، : أنا دعوة أبى ابراهيـــم ، وبشرى أخى عيسى •

ــ ٤ ــ

ومرت الأيـــام ، وأدى محمد الرسالة ، وبلغ الأمـــانة ، ونشر الدين بين الناس ، وربى جيـــلا ، فتح الدنيا ، وأثل الملـــك ، وبنى الحضارة ، وشيد العمران ، وأقام للمعرفة دولة وسلطانا فى الأرض •

وكانت رسالته صـــلوات اللـــه عليه ، هى رســـالة الاســـلام والقرآن ، رسالة الاصلاح والخير للبشرية جمعاء •

قال العبـــاس بن عبد المطـــلب لصديقه عفيف بن قيس الكندى : هذا ابن أخى محمد ، يقول : انه نبى ، وانه ســـيفتح عـــلى يـــدى أصحابه كنوز كسرى وقيصر •

هذا هو محمد منقذ الانسانية ، ورسول البشرية ، ونبى الرحمة ، والذى أخرج العـــالم والأمم من الظلمات الى النور ، ومن عصـــور الوثنية والطغيان الى عصر التوحيد والعدالة والحرية والايمان •

لقد كتب عن محمد على طـــول العصور ما لم يكتب مثله عن بشر ، وكتب أخيرا آلاف العلماء شـــتى الكتب والمقـــالات والبحـــوث والدراسات عن الرســـول العربى صاحب الرسالة العظمى الى الدنيا كلها ، وكتب أخيرا جدا ميشـــيل هارت كتابه « الخالدون مائة » ، وصدره بفصل عن الرسول الأعظم ، محمد صلى الله عليه وسلم ، ومع أن المؤلف عالم فضـــاء ، الا أنه اختـــار مائـــة شـــخصية مـــن

الشخصيات التى تركت أثرا بارزا فى حياة العالم ، واختار رسـولنا الكريم على رأس المائة ، كما اختار عمر بن الخطاب من هذه النماذج الرفيعة .

ولا ريب أن هذا اعتراف جديد بفضل محمد ، صـلى الله عليـه وسلم ، وبفضل الاسـلام على البشرية والحضارة .

وماذا أقـول فى هـذا النـور العظيم ، فى هذا الأمل الكبـير ، فى هذا الحـلم الـذى تحقـق للانسانية ، فى هذه الرسالة ، التى أعزت الانسان وكرمته فى الحياة ، فى هذا الكتاب الكريم المعجز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل مـن حكيم حميد ، وهو ناموس هذه الرسالة العظمى وكتابها الخالد ؟

وماذا أقول عن محمد بن عبد الله وكل كلام دون جلاله وعظمته ، ودون شخصيته وسيرته ، ودون مستوى المعجزات التى صـنعها محمد صلى الله عليه وسلم فى كل جوانب الحياة ، وشئون العقيدة ونواميس المجتمع .

د/محمد عبد المنعم خفاجى

الى السـادة الراغبين فى الاشتراك بالمجلة الاتصال بتوزيع الأخبار فى بلادهم .

في مواجهة الالحاد المعاصر

عجز العلم في مجال الأخلاق

للدكتور/ يحيى هاشم

تمهيـــــد :

فى تقديرى : أن أهم القواعد التى يقوم عليها الالحـــــاد المعاصر ثـــلاث .

القاعدة الأولى : انكار كل ما لا يمكن اخضاعه للتجربة ، وقد رددنا على ذلك فى كتابنا : « عقائد العلم » (١) .

القاعدة الثانية : ادعاء كفاية « قوانين الطبيعـــة » من ناحيـــة و « والتطور » من ناحية أخرى ، والغنية بهما عن افتراض « وجود الله » ، وقد رددنا على ذلك فى كتابنا : « مزاعم الالحاد العلمى » (٢) .

القاعدة الثالثة : ادعاء كفاية « المنهج العلمى التجريبى » والغنيـــة به عن المناهج الأخرى . كالتى يستخدمها الميتافيزيقا أو الدين ــ وهذا ما خصصنا للرد عليه كتابنا : « نقد العلم الخالص » (٣) .

انه اذا كان الالحاد العلمى قد فشـــــل فى اســـتعماله : « نصـــل

---

(١) نشرة مجمع البحوث الاسلامية عام ١٩٨٠ .
(٢) تحت الطبع بدار المعارف .
(٣) تحت الطبع أيضا .

أوكام » (١) من أجل استبعاد الدين أو الميتافيزيقا .

حيث رجعت الاعتقادات من « الباب » باسم العلم ، بعد أن طردت من النافذة باسم الالحاد .

وحيث تحطمت مزاعمه التى يصاول بها الدين .
فان فشله ليبدو صارخا ــ لا يمكن للانسان أن يصبر عليه ــ فى ميدانين رئيسيين :
أولهما : ميدان القيم « الاكسيولوجيا » ، وثانيهما : ميدان المعرفة « الابستولوجيا » .

انه فى ميدان القيم تلح الحياة « العلمية » للانسان ، تلح عليه فى أن ينشط للبحث عن مصدر للهداية يحدد حركته ، ويرسم غايته .
وفى هذا البحث نضـــع أيدينا على ما يمكن أن يؤدى اليه الالحاد العلمى المعاصر من دمار فى حياة الانسان لو أنه أفلح ــ وهو لا يفلح أبدا ــ فى اقصاء الدين ... من مجال القيم .
وسنتناول فى هذا البحث أربعة موضوعات :
١ ــ القيم الأخلاقيــة ..
٢ ــ مفهوم التقدم من خلال النظرة التاريخية .
٣ ــ مفهوم التقدم من خلال النظرة المادية .

---

(١) اصطلاح يقصد به : الاقتصاد فى الفروض التى نفترضها لتفسير ظاهرة من الظواهر ، أو واقعة من الوقائع .
وينسب الى أوكام أحد مفكرى العصور الوسطى (ت حوالى ١٣٤٩م) عبر عن منهجه بقوله « لا ينبغى أن نكثر من افتراض كائنات بدون مبرر » وأعلن مبدأه هذا وهو بصدد مناقشـــات كانت تدور فى أيامه بين الاسميين حول الأسماء الكلية . ويقضى مبدؤه هذا بالاستغناء عن افتراض وجــود المدرك الكلى ، ما دام أن افتراض الجزئيات يكفى لتفسير الأسماء الكلية ، ا . هـ .
انظر هامش كتاب فلسفتى ، كيف تطورت لبرتراند رسل ترجمــة وتعليق الأستاذ ... عبد الرشيد الصادق ص ٥

٤ ــ قيمة الانسان فى الكون كما يقدمها العلم .

أما عجز العلم فى مجال المعرفة عجزا لا يمكن الصبر عليه ، ولا يمكنه التخلص منه فهو ما قدمنا الكلام عنه فى مقالاتنا السالفة .

المبحث الأول

عجز العلم فى مجال الأخلاق

أولا : نبدأ الكلام عن ذلك عند أرباب الفلسفة الوضعية .

كان ظهور الفلسفة الوضعية فى فرنسا على يد أوجست كونت (١٧٩٨ ــ ١٨٧٥) مقصودا به فى زعم أصحابها اجراء الاصلاح الاجتماعى والأخلاقى الذى دعت اليه الثورة الفرنسية ، باسم الوضعية العلمية ، وبعيدا عن الدين والفلسفة .

واذا أردنا الكلام عن انهيار الأسس التى قامت عليها هذه الفلسفة فلذلك موضع آخر (١) ، اذ نريد هنا توضيح ما تؤدى اليه هذه الفلسفة من دمار فى القيم ، أراد كونت أن يتخلص منه بأن ابتدع الديانة التى سماها ديانة الانسانية ، وأراد أن يكون لها سلطان على الناس مثلما كان للديانة الكاثوليكية من قبل .. مدركا للضرورة الأساسية التى تجعل من الانسان تابعا لدين ما .. فوقع بذلك التناقض لخروجه على مبادئه الوضعية التى بشر بها فى كتابه : (دروس الفلسفة الوضعية) .

ولم يقتصر تناقض كونت على هذه النقطة الأساسية فحسب ، بل لقد ظهرت آثار هذا التناقض فى مفهوماته الأخلاقية التى نادى بها ، حيث جعل الانسانية « وهى كائن لا يمكن اخضاعه للتجربة » هدفا لكل نشاط أخلاقى ، كما جعل منها هدفا للعبادة .

---

(١) انظر مبحث لا حتمية القوانين ، ومبحث القوانين لا تلغى الارادة الالهية ومبحث « مذهب التطور الفكرى للمجتمعات الانسانية ، ومذهب التطور الاجتماعي فى كتابنا « مزاعم الالحاد العلمي » .

ولقد كان مناقضـا لمبـادئه الوضعية كذلك عندما اعتبر الخير الحقيقى هو : التقدم نحـو غاية لا يمكن الوصـول اليهـا أبدا .. (١) .

فتلك الغايـة التى يسـتحيل الوصول اليها أبدا ، كيف يمكن أن يجعل منها المرء موضـوعا لفـكر وضعى يمتاز بالواقعية التجريبية العلمية ؟

ولقـد ظل دور كايم أنه أكثر اخلاصا للمبادىء الوضـعية من استناده ، عندما جعل الهدف من الاخلاق منحصرا فى « المجتمع » ولقد كان دور كايم مخلصا حقـا عندما قدم لنا مجتمعه ذلك بأنه : « ذلك الكائن الذى يمكن مشاهدته مباشرة » ، ولكنه سرعان ما وجد نفسه مضـطرا الى التملص من أسار الوضعية القصـيرة النظر ، عندما أحس بأن تقديمه للمجتمـع على ذلك الوجه الحسى المبـاشر سوف يجرد أخلاقه مـن قيمتها التوجيهية فـذكر أن ما يقصـده بالمجتمع ليس جسمه ، وانما هو روحه ، وما هى روحه تلك ؟ انها كما يقول : (مجموع الأفكار التى لا يمكن أن يحيط بها الفرد وحده والتى تتجاوز نطـاق عقله ..)

ولست أدرى كيف أدرك دور كايم ذلك المجتمع الذى يتجاوز نطـاق العقل دون أن يناقض نفسـه ؟

وأخـيرا : فما الذى يمـكن استنتاجه من هذا الموقف المتناقض الذى اضـطر الى الوقـوف فيه زعماء الوضعية ، عنـدما حاولوا أن يكونوا ايجـابيين فى ميـدان الاخـلاق وفى ميدان الاصـلاح الاجتماعى .. ؟

هـل معنى ذلك أن مـوقفهم يصبح أكثر صوابا لو أنهم أخلصوا لوضعيتهم ، وانحازوا الى جانب السلب ، ولم يحاولوا أن يرسموا للمجتمع خطة النهوض والاصلاح؟

لقد كان ليفى بريل من اتبـاع ذلك « الصواب » عندما قرر أنـه لا يمكنه أن يقف موقفا ايجابيـا وأن يضع قواعد الفن الأخـلاقى

(١) فلسفة أوجست كونت لليفي بريل ص ٣٠٢ ، ٣٠٥ .

قبل مرور قرون على انشاء العلم الاخلاقى الوضعى .

ولئن كان ذلك الموقف الذى وقفه ليفى بريل صوابا من وجهة النظر الوضعية فانه لم يكن صوابا من وجهة النظر الانسانية ، ووجهة النظر الانسانية ، هذه من شأنها أن توجه الى ليفى بريل اعتراضا حاسما على موقفه ذاك ، عندما نتساءل : كيف يمكن البقاء دون قواعد للسلوك فى انتظار نشأة ذلك الفن ؟ ولم يكن جواب ليفى بريل بأن فكرة علم العادات الخلقية نفسها تفترض وجود قواعد عملية سابقة على وجود العلم .. لم يكن جوابه ذاك — الا هروبا من مواجهة المصير الذى تلاقيه الانسانية بناء على خلو الميدان من توجيهات الفكر اللاهوتى الميتافيزيقى فى مسائل الاخلاق بناء على أمل موهوم فى قيام فن اخلاقى بعد قرون .

ولم يكن جوابه ذاك الا دعوة الى الفوضى الاخلاقية اذ لا معنى للفوضى الاخلاقية الا أن يكون ميدان الاخلاق خاليا من التوجيه القائم على الوعى والارادة .

وبالرغم من كل ذلك فلم يكن ليفى بريل فى جوابه هذا أكثر اخلاصا لوضعيته من زميليه ، حيث لم يكن مندفعا الى الامل فى قيام ذلك الفن بناء على اسباب يمكن التدايل عليها من الناحية العلمية (١) .

ثانيا : أما عند زعماء مذهب التطور الاجتماعى ، فاننا نجد هربرت سبنسر يزعم فى كتابه : مبادىء علم الأخلاق : أن (مبادىء الاخلاق قائمة على أساس طبيعى) لأن النتائج الأخلاقية تلزم عن قانون التطور العام ، فالانسان قادر على التغير بصورة لا نهاية لها عن طريق التكيف مع الظروف ، وبخاصة التغير من الحياة الوحشية الى الحياة المدنية المستقرة ... وما المبادىء

---

(١) انظر الأخلاق وعلم العادات الأخلاقية لليفى برسل صفحات : ص ، ى ، ك ٢٠٣ ، ٣٥١ وما بعدها .

الأخلاقية عنده الا القواعد التى تساعد على قيام الحضارة المتوافقة والتى يعاد تنظيمها لتكون أكثر ملاءمة .. (١) .

وعلى هذا الأساس : فانه لما كان قانون تطور الكائن الحى — كما هو عند سبنسر — يقوم على الملاءمة بين هذا الكائن وبين بيئته .

فان السيرة الانسانية أو الأخلاق تصبح هى (جملة الأفعال الخارجية المتجهة مباشرة أو بالواسطة الى صيانة الحياة وتنميتها) !!

ومن هنا : كان هذا المذهب كما يقرر الأستاذ : يوسف كرم لا يحتمل الا علما للأخلاق من طراز العلوم الواقعية يستبعد المعانى والمبادىء الميتافيزيقية . وباختصار :

فلقد كان سبنسر يؤكد المؤالفة الاجتماعية للبيئة القائمة على آلية التطور البيولوجى كما وضعتها النظرية الدارونيية (٢) .

واتفق معه فى ذلك كثير ممن ينسبون الى ما يسمى « الداروينية الاجتماعية » .

نظر هؤلاء الداروينيون الاجتماعيون — ومن أهمهم باجيهوت فى كتابه : « الفيزياء والسياسة » والعالمان النمساويان همبلوفتش وراتزنهوفر — الى تصارع الفئات العرفية والقومية والاجتماعية نظرة بيولوجية (٣) محضة ، واعتبروا أن الحرب هى العامل الأساسى فى التطور الاجتماعى . يرى باجيهوت أن صراع البقاء يجرى بين الفئات أكثر مما يجرى بين الأفراد ، ويتخذ تسابق الفئات من أجل هذا أعنف الاشكال .

---

(١) الموسوعة الفلسفية المختصرة ص ١٧٩

(٢) ص ١٦٨ : ١٧٥ تكوين العقل الحديث حـ ٢

(٣) انظر مبحث مذهب التطور الاجتماعى وما بيناه من خطأ اتخاذ البيولوجيا أو الفيزيقا أساسا للعلوم الانسانية . (كتابنا : مزاعم الالحاد العلمي) .

نتائج هذه النظرة كما يمثلها الفيلسوف الألمانى نيتشه :

لقيت هذه « الداروينية الاجتماعية » مؤيدين كثيرين وأعطاها الفيلسوف الالمانى نيتشة قالبا مثاليا وطبقها علماء الحياة أمثال : جالتون وكارل بيرسون على صراع الاجناس العرقية مستنتجين برنامجا عمليا للسلالات القومية • وكانت تشكل قبل عام ١٨١٤ احدى المعاقل الرئيسية للدفاع « العلمى » عن الحرب والروح الحربية واستعملت مؤخرا لتأييد مختلف المزاعم من تفوق العنصر الشمالى (النوردى) واللاسامية • والتعصب القومى (١) •

يقرر نيتشه : أننا اذا كناجادين فى قولنا بأن التطور يتقدم مقياسا أخلاقيا للحياة فعلينا أن نضع مجموعة كاملة جديدة من القيم وعلينا أن نعترف بأن الأهداف التقليدية الموروثة عن المسيحية لا يمكن أن تستمر بدون تغير فى عالم اليوم « المتنامى » •

فما كان خيرا فى العالم الذى تحكمه العناية الالهية من أجل خلاص كل نفس بشرية لم يعد خيرا على الاطلاق بالنسبة للعقل المتحرر الذى يشاهد مافى التطور من كفاح وما فيه من تنازع لايجاد نماذج أعلى للحياة ، فمثلنا العليا يجب أن تتآلف مع ما اكتشف من ظروف جديدة لتحقيقها ، واذا كنا نريد أن نحقق على هذه الأرض « جنسا » أمثل من الناس ، ومجتمعا أقدر على مجابهة قوى الطبيعة وعلى تحقيق حياة أفضل، فعلينا أن نهمل دساتير الماضى الضعيفة اللينة وما فيها من تمجيد للخضوع والضعف • وعلينا أن نكافح وأن نحارب من أجل المستقبل ، وأن نكون أقوياء واذا مادعت الحاجة فلنكن قساة غلاظ القلوب ، لئلا تتغلب علينا القوى الاخرى فى الصراع

(١) ١٧٦ تكوين العقل الحديث حـ ٢

الكونى ، وليس بوسعنا أن نكتفى بالحلم ، بأن تقوم حياة انسانية نبيلة بصورة آلية عن طريق محض التغير أو محض الجدة ، أو محض الاستسلام للغريزة ، بل تحتاج هذه المهمة الى ارادة حديدية ، وتوجيه ذاتى صارم ، والا فلن يتمكن الانسان قط أن يرتفع ليصبح الها (!!) بل بالعكس سيتراجع الى مستوى حياة النحلة والنملة وهى حياة خامدة رتيبة •

وعلينا أن نؤالف أنفسنا ، لا مع محيطنا الحالى كما تفعل الحشرات العمياء وانما مع الشروط اللازمة لتحقيق المزيد من النجاح والسيطرة على الطبيعة •

أهمل نيتشه المنهاج المسيحى فى الحياة الانسانية فضلا عن المنهاج المسيحى فى الكون وذهب الى أن الأخلاق المسيحية لاتصلح الا للعبيد الذين يرضون ان يعيشوا للحاضر وحده ، أما الرجل الحر الذى قرر أن يجعل المستقبل أفضل من الحاضر فانه يرى أن الانسان لن يصل الى علو جديد الا باتخاذ أشد المواقف ضد الضعف والالتجاء الى ارادة القوة الصارمة المعتمدة على ذاتها ، كما قرر أنه لن يأتى السوبرمن بالتخلى عن القتال ، بل بأن يقذف الانسان بنفسه وسط النضال فى حماس كلى ، وعلى جيش الانسانية أن يتناول السيف والدرع ويمشى قدما الى المستقبل المجيد دون أن يعبأ بأنات الجرحى وصياح الواجفين •

أما فضائل الانسانية فيجب أن تكون فضائل المحارب والبطل ، فان أرض الميعاد لن تكتسب يوما بالشفقة الرقيقة وبالتواضع والمحبة ، وعلينا أن نقدم الولاء للمستقبل لا للماضى ولا للحاضر، مهما كانت التضحية •

ويقول نيتشة :

(اننى أبشركم بالسوبرمن • الانسان شىء يجب ان نتغلب عليه فماذا فعلتم من أجل التغلب عليه؟ ان جميع الأشياء التى سبقتكم انتجت شيئا ابعد من ذواتها فهل ترغبون ان تكونوا جزر هذا

الطوفان الكبير ؟ أم تراكم تفضلون العودة الى الحيوان بدلا من ان ترتفعوا فوق الانسان ؟ ما هو القرد ازاء الانسان ؟ أضحوكة أو عار هكذا سيكون الانسان بالنسبة للانسان الأسمى ، السوبرمن ، أضحوكة وعارا .

لقد اجتزتم الطريق من الدودة الى الانسان ومازال فيكم الكثير من الدودة تيقظوا اننى أبشركم بالسوبرمن) .

فاذا شرعنا بالعمل على تحقيق السوبرمن ، ذلك الجنس الاعلى من البشر ، فعلينا ان نطرح كل رأفة وكل شفقة ، ونجد الفرح فى النضال وفى فضائل البطولة . ويقول نيتشه على لسان زرادشت :

(اننى أجلس وحولى لوائح محطمة من القانون ، وحولى أيضا لوائح جديدة قد حضرت نصف تحضير) .

أما المحبة المسيحية فهى: أخلاق العبيد ، ودستور خضوع . وضعف ، ومرض .

لقد فرضها العالم الحديث حتى على الاقوياء من رجاله ، فكبتبها قوتهم وكل مزيد من القوة فى المستقبل . واذ كانت الحياة حربا من اجل الجنس المقبل فلابد من تغيير معنى الخير والشر .

(ماهو الخير ؟ انه كل ما يزيد فى الانسان شعور القوة ، ورغبة القوة .

ماهو الشر ؟ هو كل ما يأتى من الضعف .

وماهى السعادة ؟ هى الشعور بأن قوتنا تنمو وأن عقبة قد قهرت وذللت .

لا القناعة بل المزيد من القوة .
لا السلام العام بل الحرب .
لا الفضيلة بل العنف .

الضعيف وغير المجدى يجب أن يداسا ، ذلك هو المبدأ الأول من مبادىء محبتنا للانسانية .

وعلى الانسان أن يمد يد المساعدة من أجل هذه الغاية .

(ما الذى يؤذى أكثر من أية رذيلة ؟ الشفقة على أحوال الضعفاء وغير النافعين) .

وهكذا أخذ نيتشةعلى عاتقه المحاربة الكاملة للتقاليد الأخلاقية العريقة ، وأصبح بحق عدوا لا للمسيح فحسب ، بل للاخلاق الدينية عموما ، وكان طبيعيا أن يبدو لمعاصريه ولمن بعدهم أن مثاليته الملتهبة واخلاصه لما يسميه السوبرمن هما مجرد تبرير للوحشية .

ومع ذلك فمثله العليا ـ كما يقول الدكتور هرمان راندال (يتفق بمقدار كاف مع الفكر الكامن فى العصر الحديث مهما تظاهر بخدمة الفضائل المسيحية أو تجسيمها فى الديمقراطية) (١) .

انها تتفق مع هذا الفكر لانها تطور منطقى لمبادىء الالحاد العلمى التى يقوم عليها .

دكتور يحيى هاشم

(رجاء الى كتاب مجلة الازهر)

تسهيلا لعمليات المراجعة : يرجى من السادة كتاب المجلة : التكرم بكتابة مقالاتهم على الآلة الكاتبة التزابرايتر) ثم مراجعتها ـ أو كتابتها بخط واضح مع مراعاة ترقيم الآيات القرآنية ، وتخريج الأحاديث النبوية ـ والله الموفق .

(١) تكوين العقل الحديث حـ ٢ ص ٣٢١ : ٣٢٥

القرن الخامس عشر وأخلاقيات العلم

للدكتور / عبد الفتاح عبد الله بركة

— ٢ —

العلم عبادة

بهذا الاعتبار يكون العلم :

بكافة فروعه — شرعية وغير شرعية — علما دينيا ، ويكون طلبه وتعلمه وتعليمه عبادة من العبادات ، بل يكون عبادة من أكثر العبادات قدرا عند الله . فاذا تجرد من مثل هذه الاعتبارات فقد أصبح علما دنيويا ، حتى ولو كان من علوم الشريعة .

يقول فضيلة الشيخ محمد الغزالى :

« ان علوم الحياة مساوية لعلوم الآخرة فى خدمة الدين وتجلية حقائقه ، غاية ما هنالك أن علوم الطبيعة تحتاج دراسات أطول ، أما العلم بالدين فميسور لمن أخلص له أياما معدودات »

« واذا كان التوسع فى فروع الشريعة يحتاج مددا فسيحة ، فهذا التوسع وظيفة اجتماعية كسائر الوظائف التى تستكثر منها الدولة أو تستقل وفق المصلحة التى تنجح رسالتها العليا » .

« وليست دراسة الحقوق والقضاء أشرف فى ذاتها من دراسة الطب مثلا ، ولو بلغ صاحبها مبلغ أبى حنيفة ، وانما يرجح الرجل صاحبه فى علمه بمقدار ما يسخر هذا العلم لنفع الناس ابتغاء وجه الله ، وانتظار مالديه من مثوبة » .

« ان الحاجز بين ما هو دين محض ودنيا محضة يرق ويكثف

بحسب النية ، وسلامة القصد ونبل الغاية » (١) .

فهو بهذا الاعتبار عبادة ، وهو من حيث هو مأمور به من قبل الله تعالى عبادة . وهو بهذه الاعتبارات كلها من أفضل العبادات ، وفى حديث الترمذى عن كثير بن قيس قال : قدم رجل من المدينة على أبى الدرداء وهو بدمشق ، فقال ما أقدمك يا أخى ؟ قال : حديث بلغنى أنك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أما جئت لحاجة ؟ قال : لا ، قال : أما قدمت لتجارة ؟ قال : لا ، قال : ما جئت الا فى طلب هذا الحديث ؟ قال : فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

من سلك طريقا يبتغى فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة ، وان الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم ، وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الارض حتى الحتيان فى الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، ان العلماء ورثة الانبياء ، ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، انما ورثوا العلم ، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر (٢) وتوجد أحاديث كثيرة أخرى فى فضل عبادة العلم ، ويكفى ما نوه القرآن الكريم به من فضل العلماء فى مثل قوله تعالى **«شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط»** آل عمران /١٨ ، وقوله تعالى **«قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون»** الزمر /٩ ، وقوله تعالى « **انما يخشى الله من عباده العلماء** » فاطر ٢٨ .

أخلاق العلم تستمد من هذه الاعتبارات :

فى اطار هذه الاعتبارات تكونت أخلاقيات العلم فى الاسلام ، وكان لهذه الأخلاقيات من التقدير

---

(١) خلق المسلم ص ٢٢٤ .

(٢) وتروى فقرات من هذا الحديث فى روايات أخرى متعددة وبصيغ متقاربة .

والاحترام ، والتمسك والالتزام ماكان لاصولها من هذه الاعتبارات.

ولسنا نريد أن نسترسل فى بيان هذه الأخلاق فى جانب المعلم والمتعلم ، وهناك كتب متعددة من التراث الاسلامى تعتنى بهذه الناحية عناية فائقة وتعتبر من كتب التربية الاسلامية ، ولكننا نريد أن نتحدث عن الاخلاق العامة التى لابد منها حتى تتحقق للعلم انسانيته .

واذا كانت هذه الأخلاق التى سنتحدث عنها مستوحاة من هذه الاعتبارات السالفة ، وهى ذات صيغة اسلامية خالصة ، فانها تصلح فى حد ذاتها — وبصرف النظر عن هذا الاطار — لكى تكون دستورا للعلم وللعلماء ، ولكى تنقذ العلم المادى الحديث من هذا المأزق الحضارى الذى يبنى فيه بيد ثم يهدم باليد الاخرى أكثر مما بناه ، ذلك أنه يبنى من جانب المادة ما يساعد فى وجهه الآخر على هدم الناحية الانسانية فى الانسان ، مع اعلانه صباح مساء أنه يقوم باكتشافاته وابداعاته لخدمة الانسان .

وأول هذه القواعد الأخلاقية : الحرية .

وليست الحرية أن توجد بحيث يمكن لك أن تختار ، وانما بحيث تمارس فى نفسك وفكرك وعملك هذا الاختيار ، فتكون الحرية مسألة ذاتية وجدانية أكثر من أن تكون مسألة بيئية خارجية ، ووجود الفضاء حولك لا يعنى أنك تتحرك فيه ، ولكن حركتك فيه تعنى أنك تستفيد بحركتك من وجود هذا الفضاء . وحريتك التى تنبع من ذاتك فتسيطر علىميادين نشاطك بما فى ذلك ميدان العلم يجعلك تحترم حرية الآخرين ، وبذلك يصبح البحث والعلم حرا لا التزام فيه لشىء الا ما يمليه على العالم وجدانه وفكره وعلمه .

ولقد كان ذلك من أول ما نادى به الاسلام حيث طلب من الناس أن يتحرروا من ربقة التقاليد والاعتقادات والفرضيات التى لا تستند الى عقل أو الى حقيقة أو

الى واقع ، ونعى على المقلدين والكسالى الذين لا يريدون أن يمارسوا حريتهم باستعمال عقولهم وضمائرهم وباستعمال آلات البحث والعلم التى وهبها الله لهم ، وباستعمال المواد التى خلقها الله لهم لينظروا ويبحثوا ويدرسوا .

فيقول سبحانه وتعالى « **واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولايهتدون** » البقرة /١٧٠ ، ويقول « **واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير** » لقمان /٢١ ، ويقول « **واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعلمون شيئا ولايهتدون** » المائدة /١٠٤ ، ويقول « **وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون** » الزخرف /٢٣ .

فالعصبية الجاهلية للجنس واللون والمواريث الفكرية والحضارية التى لا تستند الى علم صحيح من المعوقات التى تنحرف بالعلم وتضلل أهله ، والتى ينبغى أن يتحرر العلم والعلماء منها فى كل فروعه ومسائله عامة ، وفى الاصول الاساسية التى تمس صميم حياة الانسان من حيث هو انسان — خاصة .

ولذلك يهيب القرآن بالانسان أن يستعمل حريته هذه بنفسه فيما يتيسر له من شئون العلم ، ويناديه به أن ينظر فى كل شىء يمكن أن ينظر فيه لا أن يقف جامدا بليدا مكتفيا بما تيسر له « **أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شىء** » الأعراف /١٨٥ ، « قل انظروا ماذا فى السموات **والارض** » يونس /١٠١ ثم يشير الى أشياء محددة بعينها كما فى قوله تعالى « **أو لم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون ، وجعلنا فى الارض رواسى أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون ، وجعلنا**

السماء سقفا محفوظاً وهم عـــن آياتها معرضون ، وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون » الانبياء / ٣٠ ـ ٣٣ وقوله تعالى « **ألم يـروا الى الطير مسخرات فى جـو السماء** » النحل/٧٩ « **أو لم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن** » الملك/٩ وقوله تعالى « **قل سيروا فى الارض فانظـروا كيف بـدأ الخلق** » العنكبوت / ٢٠ ، **وقوله « فلينظر الانسان الى طعامه** » عبس / ٢٤ وقوله « **فلينظر الانسان مم خلق** » الطارق / ٥ وقوله « **أفلا ينظرون الى الابـل كيف خلقـت ، والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصـبت ، والى الارض كيف سطحت** » الغاشـية / ١٧ ـ ٢٠ والآيات فى هذا المجال كثيرة متنوعة والمقصود بهـذه الامثلة هـو أن الاسلام يريد أن يحرر الانسان لا من التقاليد حوله فحسب ، بل من نفسه بحيث يستعمل هذه الحرية فى البحث والنظر وتحصـيل العلم بصورة مطلقة لا قيد عليها مـن خارج نفسه ولا من داخلها .

القاعدة الثانية : الحق والابتعاد عن الظن :

فاتباع الحق والنظر اليه وحده والعمل من أجل التوصل اليه هـو الذى يقود البحث العلمى فى طريقه المستقيم ، ويقيه مزالق الانحراف ، ومهاوى الضلال اما النظر الى الحق مرة ، والغفلة عنه أخرى ، أو العمل بغير نظر الى الحق مطلقا ، فان ذلك لابد أن يؤدى الى اضطراب النتائج العلمية ، أو اتخاذها مسلكا لا يتفق مع الفطرة الانسانية ويسوقها فى النهاية الى الوقوع فى حمأة الباطل أو التردى فى متاهة الضلال .

كما أن الاكتفاء بنصف الطريق ـ الاعتـماد عـلى الفـروض والتخمينات والظنون وحدها بغير تحقيقها والوصول الى غاية الحق فيها يؤدى الى النتائج السيئة التى أشرنا اليها .

ولقد بين لنا الاسـلام أن كل شىء فى ملك الله سبحانه وتعـالى قائم بالحـق ، وأننا لكى نتعرف الى ملك الله أو الى أى شىء فيـه لابد لنا أن نعتمد فيه على الحـق

وحده ، وأن اتباعنا للحق فى أى شىء ندرسه سوف يقودنا الى الحق المبين ، وهو الله سبحانه كما يقول تعالى : ((**ويعلمون أن الله هو الحق المبين**)) النور ٢٥ ، أما أن كل شىء فى ملك الله . سبحانه وتعالى قائم بالحق فقد أعلنه الله فى مثل قوله ((**وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق**)) الأنعام / ٧٣ ، وقوله ((**ما خلق الله ذلك الا بالحق**)) يونس / ٥ ، ((**وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق**)) الحجر /٨٥ . وأنه سبحانه ما أرسل رسله ولا أنزل كتبه ، ولا شرع شرائعه الا بالحق ((**انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق**)) النساء /١٠٥ ((**كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق**)) البقرة ٢١٣ .

ولذلك كان الأمر بالتزام الحق فى كل الأمور ، والأمر بعدم اتباع الظن أو الاعراض عن دلائل الحق ، أو التقول بالباطل فيما اتضح فيه وجه الحق (**ليحق الحق ويبطل الباطل**) الأنفال /٨ .

أما التزام الحق واتباعه ففى مثل قوله تعالى : ((**فأحكم بين الناس بالحق**)) .

وقوله ((**والله لا يستحيى من الحق**)) الأحزاب /٤ وقوله تعالى ((**الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر**)) العصر /٣

أما عدم اتباع الظن ففى مثل قوله تعالى ((**ان الظن لا يغنى من الحق شيئا**)) ، وقوله ((**أن يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون**)) الأنعام /١١٦

وقوله ((**أن نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين**)) الجاثية ٣٢ وقوله ((**وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون**)) الجاثية /٢٤ وقوله ((**يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن**)) الحجرات ١٢ وقوله ((**ومالهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئا**))النجم / ٢٨ .

وأما عدم الاعراض عن دلائل الحق ففى مثل قوله تعالى « **بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون** » الأنبياء / ٢٤ ، وقوله « **لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون** » الزخرف / ٧٨ ، وقوله « **سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق** » الأعراف / ١٤٦ .

وأما عدم التقول بالباطل ففى مثل قوله تعالى « **ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق** » المائدة / ١١٦ ، وقوله « **ولا تقولوا على الله الا الحق** » النساء / ١٧١ **وقوله** « **ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لايقولوا على الله الا الحق** » الأعراف / ١٦٩ وبعد ذلك كله « **فماذا بعد الحق الا الضلال** » يونس / ٣٢ .

القاعدة الثالثة : التجرد من الهوى .

« **ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن** » المؤمنون / ٧١ ذلك لأن الهوى يختلف من فرد الى فرد ، ومن أمة الى أمة ، بل يختلف باختلاف المزاج ، وهو قلب لا استقرار له ولا ثبات ، وعندما يتدخل فى المسائل العلمية فانه يوجهها بما يتفق مع اتجاهاته المتقلبة ، فلا يثبت علم ، ولا يستقر حق .

والهوى يعتمد على الحب والكراهية والغضب والرضا ، والحاجة الى الاخرين أو التعالى عليهم ، والرغبة فى أعراض هذه الحياة الدنيا من ثروة أو جاه أو نفوذ أو شهرة أو غير ذلك ، ومن الممكن تسخير العلم لتحصيل شيء من ذلك ، ولاشباع بعض هذه العواطف أو هذه الميول ، لكنها عندئذ تكون قد انحرفت عن القاعدة السابقة وهى ابتغاء الحق وحده بصرف النظر عن الرغبات الخاصة ، الفردية أو القومية ، فاذا اتبع العلم الهوى ، كان افساده أكثر من اصلاحه ، وكان تخريبه وتدميره ، أكبر من بنيانه وتعميره ، ولذلك كان النهى عن اتباعه فى كل الأمور لازما وفى

ميدان العلم على وجه الخصوص أكثر لزوما •

وكثـيرا مـا وضـع العلمـاء الفروض وسخروا الأداة العلميـة لتحقيقها والتوصل اليها لأنها تتفق مع ميـولهم ، وتنسـجم مع أهوائهم ، فلما ذهب سـلطانهم وتغيرت دولـة نفـوذهم وخلفهم على البحث آخرون أظهروا زيف ما حققوه ، وهدموا ما كانوا قـد بنوه ، ووضعوا فرضـا جديدا ، وتحقيقـا جـديدا ، وفى ذلك من تعويق التقدم العلمى ما فيه ، فوق ما فيـه من تضـليل وتـزييف لا يليق (١) •

لذلك كان نهى الاسـلام عن اتباع الهوى فى مثل قوله تعـالى **« فلا تتبعوا الهوى ان تعـدلوا »** النساء / ١٣٥ ، وقوله **« ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل اللـه »** ص / ٢٦ وقوله **« ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من اللـه »** القصـص / ٥٠ وقـوله **« وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم »** الأنعام / ١١٩ ، وقـوله **« افمـن كان على بينة من ربـه كمن زين له سوء عمله واتبعـوا أهواءهم »** محمد / ١٤ •

ومن مثل هذه الايات يتبين لنا أن الاسلام يعتبر أن الهوى آفة العلم ، وأن مـا يأتى عن طـريق الهوى لا يكون علما صحيحـا ولا مقبولا ، وأنه لذلك يجب أن نرفض كل ما يأتى به الهـوى سواء كان هوى شخصيا أو كان هـوى الجماعة المحيطـة ، **« ولا تتبـع أهـواء الـذين لا يعلمـون »** الجـاثية / ١٨ ، **« ولا تتبعـوا اهواء قوم قـد ضـلوا من قبـل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سـواء السبيل »** المائدة / ٧٧ •

---

(١) كثير من الباحثين الغربيين فى الاسلاميات يفعلون ذلك فيضـعون نصب عينهم فروضا معينة تتفق مع هواهم فى هدم الاسلام ونقض قواعده ويتصيدون من الأسانيد هدما يحاولون تحريفه أو توجيهه بحيث يحقق لهـم **النتائج التى سبق لهم افتراضها** •

واتباع الهوى فى الدنيا يثير العداوات ويشعل نيران البغضاء لتعارض الأهواء واختلافها فوق ما فيه من تزييف العلم وتضليل العقول .

القاعدة الرابعة : الأمانة وتكامل المنهج .

وليست الأمانة قاصرة على نسبة الافكار والعلوم لأصحابها فحسب ، ولكنها تشمل عمل العالم نفسه فى بحثه وحكمه ، وفى تجربته واستنباطه ذلك لأن الناس تعتمد على العلماء فى ميدان علمهم ، فيأخذون أحكامهم واستنتاجاتهم مأخذ الثقة والتقدير ثم يبنون عليها آراءهم الشخصية أو تصرفاتهم الخاصة والعامة فى شئون فكرهم وثقافتهم وصحتهم وتجارتهم ، وبنائهم ، وحلهم وترحالهم ، وغير ذلك من شئون الحياة ، وذلك يضع على كاهل العلماء مسئولية الأمانة فى أن يتحروا فى بحوثهم وفيما يقدمونه للناس من نتائج هذه البحوث ، الدقة والصحة من جانب ، وما يفيد الناس ويجلب اليهم النفع دون ضرر ما ، أو بأقل ضرر يمكن ، بحيث ترجح الفائدة على المضرة ، وبحيث لا يهدم فى الانسان انسانيته ، ولا يفسد علاقاته أو أخلاقه وبحيث لا يضلله ولايخدعه ولا يلبس الحق بالباطل ، وبحيث لا يطلق حبل الأمانى الكاذبة والأحلام التى تعطل عقله وفكره ، وتزيف عاطفته ووجدانه وتتلاعب بأهوائه وخيالاته ، وتثير فيه أدنى الغرائز وأعتاها .

ولذلك كان المنهج المادى البحت منهجا أعرج ، لأنه يتجاهل الجوانب الأخرى فى الانسان ، ذلك لأن قوانين المادة قابلة للتطبيق فى مجال المادة الجامدة فقط ، أما تطبيقها على الانسان ، فلا يمكن أن يكون تطبيقا كاملا ، لأنه ليس مادة خالصة ، كما أن مادته ليست منفصلة عن بقية مكوناته كانسان حتى يمكن الاقتصار عليها عن التطبيقات المادية .

ومن الأمانة اذن أن يعطى لكل

ذى حق حقه ، فيعطى للمادة حقها من المنهج المناسب لهـا ، ويعطى للانسان حظه من المنهج المناسب له ، وعندئذ يتكامل المنهج الذى يحقق للانسان انسانيته فى محيط المبدأ أو الغاية السليمة ٠

ولذلك نجد القـرآن ومنهـج الاسلام التشريعى والأخلاقى فى اطار العقيدة العليا يشتمل عـلى المنهج المتكامل ويخاطب الانسـان بهذا المنهج ويرشده اليـه فى كل أموره دنيوية أو أخروية ، فرديـة أو اجتماعية ، علمية أو فنية ، فلا تكاد تجد آية الا وهى تجمع بين النـاحيتين ، حتى فى الجـزاء

الأخـروى الـذى يعيبـه بعض المغرضين على الاسلام بزعم أنه يتحدث عن الثـواب والعقـاب الماديين ، مع أنه مما يزين الاسلام وأهله ، أنه لا يهمـل جانبـا من جوانب فطرته الا ويعطيها حقهـا بطريقة متكاملة غير منفصـلة عن باقى جوانبه ٠

والاسلام لهـذا يحرم الغش والخداع والسـحر والكهـانة والشـعوذة وتلبيس المسـائل تضليلا للناس ، وابتغاء الفسـاد فى الأرض ٠

والآيات فى ذلك كثـيرة نكتفى منها ــ كما فعلنا من قبل ــ بأمثلة تدل على المراد ٠

يقول سبحانه وتعالى « **واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشـياطين كفروا يعلمون الناس السـحر** » البقرة / ١٠٢ ، ويقول « **ود الذين كفروا من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسـدا مـن عنـد أنفسـكم مـن بعـد ما تبـين لهـم الحـق** » البقرة / ١٠٩ ، ويقـول « **واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفسـاد** » البقرة / ٢٠٥ ، ويقول « **ألم تر الى الذين أوتوا نصـيبا من الكتاب يشترون الضـلالة ويريدون أن تضلوا السـبيل** » ويقـول « **ولا تعثـوا فى الأرض مفسدين** » البقرة / ٦٠ وسـورا أخرى متعددة ، ويقول « **والله**

يعلم المفسد من المصلح » البقرة/ ٢٢٠ ، ويقول « **تلك الدار الآخرة نجعلها للـذين لايريدون علـوا فى الأرض ولا فسـادا »** القصص / ٨٣ ، ويقـول « **ومن النـاس من يجادل فى الله بغير علم ولا هـدى ولا كتاب منير ، ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله »** الحج / ٨ ويقول « **قل يأهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجـا وأنتم شهداء »** آل عمران / ٩٩ ، ويقول « **الذين يستحبون الحيـاة الدنيا على الآخرة ويصـدون عن سـبيل الله ويبغونهـا عـوجا »** ابراهيم / ٣ ، ويقول « **ولا يفلح السـاحرون »** يـونس / ٧٧ ويقول « **انما صنعوا كيد سـاحر ولا يفلح الساحر حيث أتى »** طه/ ٦٩ ، ويقول « **كذلك يضرب اللـه الحق والباطل فأما الزبد فيـذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الامثال »** الرعد / ١٧ •

ويمكن أن نستأنس هنا ببعض الأحاديث الشريفة يقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبرانى : « ما اكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدى صاحبه الى هدى أو يـرده عن ردى ، وما استقام دينـه حتى يستقيم عقله » •

ويقول صلى الله عليه وسـلم فيما روا الترمذى عن أبى أمامة الباهلى : « ان الله وملائكتهوأهل السموات والأرض حتى النملـة فى جحرها وحتى الحوت فى جوف البحر ليصلون على معلم النـاس الخير » •

ويقول صلى الله عليه وسـلم فيما رواه مسلم عن أبى هريرة : « اذا مات ابن آدم انقطع عملـه الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صـالح يدعو له •

القاعدة الخامسة : الصـدق وتجنب الجدل •

وللصدق فى العلم المتطـور خطورة لا تداينها خطورة ، خاصة فى هـذه الايام فقد ظهرت فيهـا علوم خاصة بالاعـلام وكيفيـة التـأثير عـلى الرأى العـام

ولقد أصبح هذا العلم بفروعه المختلفة قادرا على تحطيم دول واقامة أخرى ، واشعال الحروب واخمادها ، وبناء مبادىء وهدمها فاذا سيطرت عليه ووجهته نفوس خربة غير عامرة بالصدق ، فان اضراره التى تحيق بالانسانية تكون بعيدة المدى عميقة الضرر ، ومن هنا لم يكن الصدق مجرد مطابقة الخبر للواقع بل ينبغى أن يكون فى هذا المجال مطابقة الحكم والعمل لمقتضى الحال ، بأن يكون العالم صادقا بادئى ذى بدء مع نفسه ، ومع انسانيته ، ومع مبادئه التى يختارها بمقتضى هذه المبادئى من حرية وحق وتجرد .

فان صدق العالم مع نفسه ضرورى حتى يكون بحثه وعلمه فى نفع الانسانية وتقدمها ، وفى بناء الحضارة وازدهارها ، واذا كان هناك تعارض أو تناقض بين بحثه وبين أعماق نفسه فانه يصبح ممزق الشخصية ، محطم المعنويات ، وعندئذ لا يبالى خلال بحثه بما يتفق مع خير الانسانية وسلامها ، وأمنها ورفاهيتها ، لأنه لا يشعر مع نفسه بالسلام والاطمئنان .

ومثل هذا الشعور يدفعه دائما الى المكابرة والجحود والمجادلة بالباطل مما يضيع معه الحق ، وتنطمس معالم الحقيقة ، ولاتكاد تجد صادقا يميل الى كثرة المراء والجدال ، كما أنك لا تكاد تجد كاذبا ينجومن رذيلة المماراةوتلبيس الحق بالباطل ، ولا شك أن ذلك لا يساعد على تقدم العلم وازادهاره فوق أنه يتسبب فى تضليل الناس وحيرتهم ، وبذر عوامل الشك والريبة فى نفوسهم ونزع عوامل الطمأنينة والاستقرار من بينهم .

ونؤكد مرة أخرى على ذلك المارد الجديد من انتاج العلم الحديث ، وهو أن وسائل الاعلام التى تطورت فى هذا العصر الى درجة مذهلة بحيث أصبحت تسيطر على ضمير الفرد ووجدانه لتشكله وتوجهه ، فاذا لم تلتزم بالصدق النابع من نفس صادقة أمينة كان

خطرها داهما وأثرها مخربا .

ولست بحاجة الى أن أشير الى ان الاسلام يعانى من تحيز وسائل الاعلام الغربية التى تسود العالم اليوم حيث لا تتحرى الصدق فى المواد التى تقدمها ، على أننا لا نقصد بذلك أن ندافع عن فكرة معينة ، ولا مبدأ خاص ، لأن الأذى الذى يصيب الانسانية من ذلك اعم من ان يصيب مبدأ هنا أو فكرة هناك انه تخريب للنفوس ، وتشويه للضمائر وتزييف للمشاعر ، وتحطيم للانسان .

وينظر الاسلام الى انكار الحق ومكابرته والمماراة فيه على أنه كذب على الله ، وكذب على النفس ، وكذب على الناس ، ويحذر من ذلك كل التحذير بل يحذر حتى من المماراة بالحق ، فما بالكم اذا كانت المماراة بالباطل .

يقول تعالى : « **انظر كيف كذبوا على أنفسهم** » الأنعام / ٢٤ ، ويقول « **ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة** » الزمر / ٦٠

ويقول : « **فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا** » الأعراف / ٧ وفى سورة أخرى ، يقول « **أن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون** » النحل / ١١٦ ، أما بالنسبة للجدال والمماراة فيقول جل ذكره « **وأن الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم** » الأنعام / ١٢١ ويقول : «**وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق** » غافر /٥ .

وقد روى الترمذى وابن ماجه من حديث أبى أمامة يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ، وتماروا به السفهاء ، ولتصرفوا به وجوه الناس اليكم ، فمن فعل ذلك فهو فى النار .

القاعدة السادسة : البيان والأداء .

وهذا حق الانسانية على العلماء ، فحين تتحقق كل هذه الأخلاقيات لدى العالم يصبح لزاما عليه حقا أوليا لله ، وحقا بعد ذلك للناس أن يبين للناس ما علمه الله ، وأن يؤديه اليهم على وفق هذه القواعد .

ذلك لأن العلم من الله واليــه مبدأ وغاية ، ومادة ووســـيلة ، وكتمانه عن أهله وعمن يستفيدون به خيانة لهذا المبدأ ، واهدار لهذه الغاية وتضييع لهذا الجهد ، وليس بصاحب حق مستقل فيــه ، لأن العلم والمعلوم ليس خاصــا بــه وحــده ، ولهذا« **أخذ الله ميثـاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه** » آل عمران / ١٨٧، وينهى عــن كتمان الحق وكتمان العــلم فى مثــل قــوله تعــالى

« **ولا تلبســوا الحــق بالبــاطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمــون** » البقرة / ٤٢ ويوبخ من يفعل ذلك بقوله « **لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمــون** » آل عمــران / ٧١ ، ويظهــر لهم عظيم جرمهم ، وسوءعاقبتهم بمثل قوله : « **أن الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنــا قليلا أولئك ما ياكلون فى بطونهم الا النار ولا يكلمهم اللــه يــوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عــذاب أليم** » البقرة / ١٧٤ ٠

ولو أن علمــاء العــالم اليــوم التزموا هذه القاعدة وجعلوا العلم ــ نظريا وتطبيقيا ــ حقا مشــاعا بين الأمم ، ولم يجعــلوه احتكارا لطائفة دون أخرى ولشــعب دون شعب ، لما وقع عالم اليم فريســة الجوع والفقر والمرض ، ولما وقع فريســة الخوف والهلع والقــلق ، ولســاد العالم روح من التعــاون والاخاء والتــكامل ، مهما اختلفت الآراء والاتجاهات ، ومهما اختلفت الأديان والألوان ولعم الســلام ربوع المعمورة كما أراد الله وكما دعا « **والله يدعو الى دار السلام ويهــدى من يشــاء الى صراط مستقيم** » يونس / ٢٥ ٠

وبعــد ، فــاذا كانت هــذه الأخلاقيات العلم فى الاســلام بحكم الاطــار الذى يحيط بها من المبــدأ والغــاية ، فانها يمكن أن تكون دســتورا للعلماء من مختلف الملل والنحــل بصرف النظــر عن اطارها الاسلامى ، ونحن فى مطلع القرن الخامس عشر الاســلامى نقدمها لعلماء العالم لتكون هديــة

الاسلام لهم فى مطلع هـذا القرن بين هداياه العديدة التى تسعد الانسانية وتستشرف الى أفق أرحب ، وأوسع ملىء بالآمال فى أن تنعم الانسانية فى ظلال العلم بمعرفة الحق والتزامه ، والتعاون عليه ، ومن أجله حتى يعم الرخاء ويسود السلام .

د / عبد الفتاح عبد الله بركة

« من أدعية داود عليه السلام »

كان داود عليه السلام يقول :

اللهم انى أسألك أربعا ، وأعوذ بك من أربع :

أسألك لسانا صادقا ، وقلبا خاشعا ، ولسانا ذاكرا وامرأة تعيننى على أمر دنياى وآخرتى .

وأعوذ بك من ولد يكون على سيدا ، ومن مال يكون مشبعة لغيرى بعد موتى وحسابه فى قبرى ، ومن زوجة تشيبنى قبل المشيب . ومن جار سوء اذا رأى حسنة كتمها ، وان رأى سيئة أفشاها وأناعها .

هواتف

يا رسول الله

للدكتور / ابراهيم أبو الخشب

ما تفقدت الانسانية فضيلة نادرة الا وجدتها نفحة من أدبك . أو لمحة من خلقك ، أو ومضة من نورك ، أو خطوة من سلوكك ، أو لفتة من هديك ، أو شعاعا من ضيائك ، أو شيئا من توجيهك ، أو درسا من تاريخك ، أو معنى من برك ، أو قبسا أنت أرسلت به فى الليالى الحالكة ، والسبل الملتوية ، والطرق المنبهمة ، والمعالم المشتبهة والساعات الحالكة ، والأوقات الحرجة ، والمحن الضاربة ، والفتن الصارخة ، والظروف البغيضة ، والشدائد المتلاحقة ، والأيام المتجهمة ، والنوائب المتصارعة .

وسيظل حديثك خالدا خلود الأبد ، باقيا بقاء الزمن ، شامخا شموخ الجبال ، مدويا دوى الأذان ، مضيئا كطلعة الصبح ، يتحدى الفناء ، ويدافع الاحداث ، ويغالب الخطوب ، ويكافح الطغيان ، ويحارب الظلم ، ويزعزع الشرك ، ويهز الجبابرة ، ويقضى على الفساد ، ويعلن المساواة ، ويؤيد الحق ، وينصر العدل ، وينشر الأمان ، ويشيع الحب ، ويتعقب الفوضى ، ويكبح جماح الاستبداد ، ويشرع الاشتراكية ، ويقصم ظهور المتكبرين فى الأرض بغير الحق . لا لأنك رسول رب السماء الذى أيدك قرآنه ، وآزرك برهانه ، وأعانك عنوانه ، ونصرتك ملائكته ، واحتميت ببطشه ، واعتززت بجاهه ، وقاتلت بسيفه ، ونطقت بلسانه ، وجهرت ببيانه ، وصانك

من بغى المبطلين ، وعـــدوان الجبارين ، وحمق المسلطين ، وعبث المفسدين ، وأفن الجاهلين ، وهو الذى لا يتغافل عــن الملحــوظين بعنايته ، ولا بلطفه ، ولا الراغبين فى رضوانه ، الطالبين لغفرانه ، المحفوفين بعنايته ، المغمـــورين برحمته ، المترامين على أبوابه .. ولكنك كنت المثل الأعــلى الــذى تنشـــده البشرية ، اذا ما تطلعت الى النمو ، وتحولت الى التقدم ، وأملت أن تكون فى الصــف الأول من الانسانية المهذبة ، التى أيقظها الرشد ، ونبهها الدين ، وهذبهــا الوعى ، وأدبها الادراك ، وعلمتها الأيام ، وقومتها التجـــارب . ووعظتها الحـــوادث ، وجالدتهــا الخطوب ..

والحديث فيك ـــ يارسول الله ـــ حبيب الى النفوس ، خفيف على الأســـماع ، قريب الى القلوب ، لذيذ رجعه كأنه الموسيقى الحالمة ، والنغم الهاتف ، والصدى الحاكى والبيان الواضح ، والأدب البالغ ، والفصـــاحة المنشـــودة ، والأذان بالليل ، والوقوف فى المحـــراب ، تصغى اليه الأفئـــدة الملتـــاعة ، والجـــوانح الظامئـــة ، والأرواح المتطلعـــة ؛ والقلوب المؤمنـــة ، والأفئـــدة الحرى ، والاكبـــاد الملتهبة ، فـــلا ينتهى لـــه مدى ، ولا ينقطع له جرس ، ولا تخفت له موسيقى ولا يسكت له دوى ، ولا تمله اذن ، ولا ينصرف عنـــه سمع ، أو يبغضه انسان ، ينشده الأديب فيجـــد الحكمة البالغـــة ، والبلاغة الرائعة ، والألفاظ الحلوة والأدب الجم ، والأسلوب القوى ، والتصـــوير الرائـــع ، والمنطق الصـــحيح ، والبيان العـــذب ، والوجدان الصـــادق ، والشـــعور الفياض ، والنمط الذى لا يصـــل اليه أساطين الكلام ، ولا دهاقين الحكمة ، ولا جهابذة الحـــديث ، وأساتذة القـــول .. ويتصـــفحه المصلح الاجتماعى فـــلا يعثر فيه الا عـــلى تقويم ســـليم ، وطريق مستقيم ، ودستور قويم ، ونهج حكيم ، وهدى نافع ، وتهـــذيب صحيح ، وتوجيه سديد ، وارشاد واضح ، وسياسة واعية ، وتدبير عظيم ، وتربية من أســـمى ألوان

التربية ، لم يصل اليها الفلاسفة ولا الحكماء ..

وهكذا كل جوانبك سـامية ، وكل جهـاتك عاليـة ، وكل أركانك قـوية ، عامرة بالايمان ، آهلـة باليقين ، مملوءة بالنور ، محفوفة بالبر واليمن ، والخير والمعروف ، والسـداد والرشاد ، والحـكمة والعلم ، والهـداية والاستقامة ، والأدب والتهـذيب ، والاصـلاح والنفع ، والبنـاء والعمران ، والسـلامة والأمن ، والرضـاء والاطمئنان ، والمـودة والاخاء ، والحب والاقبال ... وأنا أجـد فى حديثى عنك لذة لنفسى ، ومتعة لخاطرى ، وغذاء لروحى ، وضياء لقلبى ، وارواء لظمئى ، وشـفاء لغليـلى ، وارضـاء لضـميرى ، وراحـة لفـؤادى وقـوة لبنـيانى ، وتماسـكا لكيـانى ، ودفعا الى الأمام فى طريقى الى الفوز ، ووصولى الى النجاح ، فلا أسلك فى الكتابة عنك سبيل التاريخ ولا طريق الحوادث ، ولا نهـج السيرة ، ولا ما تعود الناس أن يرددوه عنك ، أو ينسبوه اليك أو يذكروه لك ، وانما أسجل عواطف قلبى ، وهواتف نفسى ، وخلجات خـواطرى ، وحـرارة ايمانى ، وشعور عقلى ، وآيات اعجابى ، وليس هـذا تخيـلا ، ولا حلما أتوهمه ، ولا فلسفة تدور بخلدى لان الخليقة لم تعرف رجـلا لفت جيد الزمن ، وشغل ألباب الناس ، وحير أفكار الفلاسـفة ، وتطلعت الدنيا الى ما فيه من أخلاق نبيلة ، وسجايا عظيمة ، وخـلال طيبة ، وسلوك حميد ، وأدب جم ، قبل أن تعرف منك ما قدمت لهـا ، وأغدقت عليها ، وأسديت اليها ، مما كان طبا لأمراضها ، وعـلاجا لأوجاعها ، وشفاء لقلوبها ، وتقويما لسـلوكها ، وتربية لنفوسـها ، وسموا لأرواحها ، واطمئنانـا لأفئدتها ، ونورا لبصائرها ..

والدراسة التى تناولتك يارسول الله ، والآداب التى علمتها للناس والسلوك الذى رسمته ، والهدى الذى بينته ، والنور الذى أشعته والأخـلاق التى رغبت فيـها ، ودعوت اليها ، كانت الدسـتور الذى كانت البشرية بحاجة اليـه

لينير لها السبيل الى حياة أفضل ، وطريق أقوم ، وسنن أكرم ، ومجد أنبل ، وسعادة أعظم ، وامن أشمل واصـــلاح أعمق ، وعدالة أكمل ، وعيش أرغد ، وبخاصة اذا نظرنا الى تلك البلبلة التى كان عليهــا الناس ، والى تلك الجهـــالة التى كان عليها العرب حينئـــذ ، والى تلــك الذبذبة التى كان ممســاها ومصــبحها فى هــذه الجــزيرة ، ولا ســيما فى مســـائل الاعتقاد والدين ، اذ كانوا فيها بركانا يقذف او بحرا يموج ، ولا هــدف لهم يصح أن يتجهوا اليه ، ولا غاية يمكن أن يقفوا عندها ، يعبــدون الكواكب ، ويؤلهون القـــوة ، ويعظمون الجمــاد ، ويســجدون للشــمس والقمر ، ولا يدينــون للحــق ، أو يفتحـــون قلوبهم للصواب ، أو يصيحون لصــوت الضمير ، أو ينظرون بأعينهم للنور وانما يشـــتغلون بالخــرافة ، ويعبــدون الباطل ، ويأخـــذون بالثأر ، ويئدون البنات ، ويشيعون الشــهوات الدنيئة ، والميـــول الساقطة ، والأهواء النازلة ، وليس لهم من المعارف ما يساعدهم على ان تكون لهم حضارة تجعلهم فى صــفوف الجماعات المناهضة ، أو الأمم المراقبة ، أو الدول المتوثبة ٠٠ وفى الحق أن للدهر أن يطأطىء رأسه اجلالا لما كان من تاريخك ، وأعجابا بما كان مــن خــلالك ، وأكبارا لما كان لك من خلق عظيم ٠ وادب جم ، وسيرة عطرة ، وسلوك قويم ، وسجايا عظمى ، تجاوزت بهــا حــدود التقــدير المألوف ، والاحترام المعروف ، وأنت معجزة الزمن ، وسيد الانبياء والرسل ، ونحن لا نشك فى أن أصـــحاب الدعاوى ، وأرباب المبـــادىء ، وحملة المشــاعل ، وقادة الأمم ، وزعماء الاصلاح ، كانوا فى كــل زمان ومكان ، لا يصـــلون الى غاياتهم ، ولا يبلغون أهــدافهم ، بذرابة لسانهم ، ونصاعة بيانهم ، وقوة حجتهم ، وســداد رأيهم ، واســتقامة نهجهم ، وســـلامة منطقهم ٠ وروعة بلاغتهم ، بمقدار ما كان يساعدهم على ذلك سلطانهم المرهوب ، وبأســهم المســـلط ، وقوتهم الضاربة ، وجيشهم المجهز

وعصبيتهم من القرابة والأهل ، أو المال الذى يشترون به النفوس والضمائر ، والقلوب والأفئدة ، ولا يتمكن نفوذهم ، وتدوى كلمتهم ، وترتفع رايتهم ، ألا اذا توافر لهم هذا الاستعداد ، أو اتيحت لهم هذه الفرصة ، وأنت لم تنصرك عصبية كانت الى جانبك ولم يساعدك مال كان فى يديك ، ولا نفوذ اتيح لك ، ولا قوة يمكن أن تسخرها للبطش ، وتعلن بها الرعب ، وتحمل بها الناس على آن تلبى دعوتك ، وتستجيب لك ، غير أن سيرتك كانت قرآنا ، ونهجك كان ايمانا ، وسلوكك كان برهانا ، وخلقك كان عنوانا ، وقد استقبلت الانسانية حديثك الطيب استقبالها للأمانى المرجوة ، والأحداث الهامة . والأمور الغريبة ، والمعجزات الكبرى ، وآمنت بسبب ما عرفت منك أن لله سرا يخفى على الفطنة ، ويستعصى على الفهم ، ويتسامى على المنطق ، ويتجاوز حدود المألوف ، ويتأبى أن يخضع للعادة فلا يسع الناس أمامه الا أن يسلموا به ، ويذعنوا له ، ويردوه الى خالق السماوات والأرض ، ومدبر هذا الكون ، ومصرف ذلك الملكوت ، الذى أتقن كل شىء خلقه ..

وفيك يا رسول الله تمكن الفقر وتحكم اليتم ، واستبد الجوع والحرمان ، فما لان عودك ، ولا ذلت نفسك ، ولا هان قدرك ، ولا طأطأت رأسك ، ولا غض طرفك ، ولا ضعفت همتك ، ولا فترت عزيمتك ، ولا طاش صوابك ، والشأن فى هؤلاء ، الأطفال الذين كانوا ينشأون فى ظلال الحرمان والفاقة ، وفقد رعاية الأبوين ، وحنان الأب والام أن تضيق بهم الدنيا ، ويحيط بهم الظلام ، وتدب اليهم عوامل الفساد ، وتلعب بهم الأحداث ، وتهز كيانهم الأعاصير ، ويموت فيهم النزوع الى المجد ، والرغبة فى الكمال ، والتطلع الى الأهداف البعيدة ، والأغراض النبيلة ، والغايات السامية .. ولم يقل قائل — حتى من خصومك — ان همتك كانت واهنة ، وان عزيمتك كانت فاترة ، وان نهوضك كان كسيحا ،

وأن نزوعك كان محـدودا ، وان طموحـك كان ميتـا ، وان قناتك لانت لغامز ، وان عـودك انحنى لساخط ، وان جهـادك وقف فى منتصف الطريق .

وفى سـلوكك منـذ كنت ناعم الأظفار ، غض الاهاب صـغير السن ، مـن سمت طيب ، وخلق قويم ، وعقل بصير ، وفكر ناضج ورجولة مبكرة ، وعظمة لا تصـنع فيها ولا احتيال ، ما يدل على أن مستقبلا باسما كان معـك عـلى ميعاد ، ومجدا تالدا كان مترقبـا لك . وجاها عظيما كان ينتظرك ، وأن الارهاص الذى يسبق المعجزة يسارع اليك ليؤذن بالنهاية الكريمة والمصير العزيز ، والخاتمة الحلوة والتاريخ الذى يتطامن له الدهر ، فلما بلغت مبلغ الرجال وكنت تقرى الضيف ، وتحمـل الكل ، وتؤازر الحق ، وتنطق بالصـدق ، وتعين عـلى البر ، وتنصر المظلـوم ، وتخفف ويلات المكروبين ، وتمتلىء نفسك الكبيرة بالمعـانى النبيلة ، والعـواطف السامية ، والأمـانى الطيبـة ، والنـوايا الكريمة ، والغـرائز المهـذبة ، والخـلال العظيمة ، والسـجايا المحببة ، هالهم أمرك ، وعناهم شـأنك ، وظنوا أن الأيام سـوف تتمخض منك لا محـالة عن قيصر الروم . أو كسرى الفـرس ، أو فرعون مصر ، أو حاكم مستبد قاهر ممن كانوا يسمعون عنهم من الاساطير والاخبار .. وحين جهرت بدينـك الصـحيح ، ويقينك السـليم ، وايمانك القوى ، وكشفت بذلك كله عـن الحق الصراح ، والسـلوك السوى ، والعدل المحض ، والنهج القويم ، تضاءل فى أنظارهم كبرياء الظالمين ، وغطرسـة الجاهلين ، وتهاوت تيجان الملوك والسلاطين ، وآمنوا أن هذه الدنيا التى يعيش فيهـا هؤلاء لا تزن الى جـانب ما حباك الله به جناح بعوضـة ، ولكنها غبـار يتطـاير ، أو سراب يخدع ، أو وهم لا ينطلى الا على الأغرار .. والعجيب الغـريب أن تكون يا رسول الله مع هذه المكانة التى رفعك الله اليها من العظمـة والمجد ، والسـؤدد والشرف ، والجاه والسلطان ، أو السـيادة

والنفوذ • متواضعا غاية التواضع ، حليما الى أبعد غايات الحلم • جامعا للمكارم كلها • تبذل وتعطى، وتصفح وتعفو ، وتنقذ المتورط • وتفك العانى • وتنسى اساءة المسىء ، وتؤثر غيرك على نفسك ، وتقابل الشر بالخير ، واللؤم بالكرم ، وكم أعلنت أنك بشر تأكل الطعام وتمشى فى الأسواق ، لتعطى للبشرية الأمثال منك ، والقدوة بك ، والاتباع لك • وحاشا لخلقك ألا يكون الا كذلك ، وما عاب أحد لك صنيعا ، أو انتقد سلوكا ، أو أنكر أدبا ، ولم تكن جبارا فى الأرض ، ولا قاسيا على الناس « **ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك** » بل كانت دعايتك بالحسنى ، وهدايتك بالرفق ، واصلاحك بالحزم ، وارشادك بالحجة ، وتوجيهك بالمنطق ، ونصحك باللين ، وسياستك بالحلم ، ومعاملتك بالأدب ، وحكومتك بالقسطاس ، وغضبك لله ، وغيرتك للحق ، وانحيازك للفضيلة ، وحياتك للخير ، وهدفك أن تعلو كلمة السماء فى كل أنحاء الدنيا ••

وهكذا تكون العظمة التى لم يفرضها أصحابها بسلطان الباطل ، أو بسيف الظلم ، وسطوة الملك ، وحكم القانون ، وصلى الله عليك كلما جرى ذكرك على لسان ، أو خطر طيفك ببال انسان ، أو ترسم أحد خطاك ، أو التمس مسلم هدايتك ، أو سار على نهجك ، فانك بحق أفضل خلق الله ، وسيد الأنبياء والرسل •

د• ابراهيم على أبو الخشب

المجتمع البشرى
وكيف تهيأ لميلاد خاتم الأنبياء

للمستشار / محمد عزت الطهطاوى

لما كانت العقيدة حاجة روحية لصلاح البشر لذلك كان من المستحيل أن يمحى التدين من الارض لأنه شوق غريزى الى الازلى الابدى وهو الطلب الحثيث للكلى النهائى سبحانه وتعالى .
والتدين لا يختص به فريق من الناس دون باقى البشر — يقول المرحوم محمد فريد وجدى فى دائرة معارفه : يستحيل أن تتلاشى فكرة التدين لانها أرقى ميول النفس وأكرم عواطفها .

واذا كان دين بنى اسرائيل هو أول الأديان الكتابية يقوم على توحيد الاله وتنزيهه فانه اختص بشعب معين دون سائر شعوب الأرض هو شعب بنى اسرائيل العبرانى أو شعب اليهود كما غلب على تسميتهم فهو اذا ليس الدين الذى يهتدى به الناس كافة ويجدون فيه تشبع حاجتهم الفطرية الى العقيدة لأن بنى اسرائيل التمسوا فى الاله الواحد أن يختص بهم وحدهم لا يعبده أحد سواهم وأن يغلبهم على من عداهم من الخلق وأن يمكن لهم فى أرض الناس ورقابهم وكانت آفاقهم آفاق الدنيا فعبدوا فى الاله الواحد مصدر المعاش وسند الملك وجبروت الانتقام ومناط المعاملات بين الأفراد وانتظروا منه أن يكون لهم عونا على جبروتهم وذهبوا الى حد الاعتقاد بأن الحق والعدل مما شرع الله غير مطلوبين من العبرانى الا نحو عبرانى مثله — أما مع غير العبرانى فلا حق له عندهم

ولا شرع ولا عهد طبقا لما حرره كهنتهم فى توراتهم بعد فقد توراة موسى عليه السلام .

أما ما كان من باقى العقائد القديمة فقد كان أهل فارس يعبدون النار وشعب الرومان يعتنق النصرانية بعد أن عبثوا بمعالمها وأصولها والناس من وراء هؤلاء وأولئك صابئون منحرفون - أو عباد حيوانات أو كواكب أو أحجار أو أشجار أو بدائيون همجيون لا دين لهم ولا عقيدة مستقيمة تعمر قلوبهم .

والقانون الذى يتعاملون به هو قانون القوة والجبروت أما قانون العدالة فليسوا اليه بمهتدين أما الانحلال الاجتماعى فقد بلغ غايته وذابت الفضيلة وانهارت الأخلاق .

هكذا كانت البشرية قبل ميلاد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه فى حاجة ماسة الى دين عالمى يكون دعوة الى جميع شعوب الأرض قاطبة أبيضها وأسودها وأحمرها وأصفرها عربيها وعجميها . العقيدة فيه ترتبط الدنيا بالآخرة والانسان بالله والناس فى هذا الدين الجديد أمة واحدة مهما اختلفت فى أجناسها وألوانها وأوطانها - يؤكد وجود الله وأنه خالق الخلق والسموات والأرض وأنه الكامل المتفرد بالكمال بيده الأمر وهو على كل شىء قدير حتى تنتهى دعاوى المادة وشبهة تفردها بالوجود ابتداء - ويؤكد وحدانية الله توكيدا يقضى على مزاعم التعدد فى تصور الاله الواحد ويلزم أن يؤكد التنزيه لله حتى لا ينزل الناس الى التجسيم الذى طالما وقعوا فيه بعد كل دعوة للتوحيد بسبب غلبة الحس عليهم .

ومما لا جدال فيه أن الناس ليسوا كلهم ولا معظمهم على مستوى من الفكر يجعلهم يعرفون الله تعالى وان عرفه بعضهم بعقله فان معرفته لم تبلغ المستوى الرفيع الذى يليق به سبحانه وتعالى .

ثم ان الناس ليس لهم سبيل الى معرفة الحياة الآخرة وما فيها

من حساب وجزاء ونعيم وشقاء مما تدعو الحاجة لبعث رسالة من السماء تهدى البشرية الى سبيل الرشاد هديا الهيا بجمعها على كلمة التوحيد للاله الواحد ويرسم لها معالم العبادة ويخطط لها مناهج السلوك ويخوفها شديد العقاب فى يوم الحساب ان هى انحرفت عنه وتنكبت سبيله .

هكذا كان الناس قبل ظهور خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه بحاجة الى رسول يناط به ابلاغ هذه الرسالة السماوية العامة الهادية الشاملة الى بنى البشر لتكسب ماء الحياة على الأرض اليابسة حتى تخضر وتنبت فيها العمل الصالح ويصعد منها الكلم الطيب فتنتشر أزاهيره بعبيره الحلو فيريح النفوس والقلوب ويهفو بالارواح والأفئدة الى بغيتها فى القرب من عالم الحضرة الربانية القدسية .

المجتمع البشرى لم يفاجأ بظهور خاتم الأنبياء :

والمجتمع الانسانى فى شبه جزيرة العرب وما حوله من مجتمعات لم تكن غافلة عن مستقبل يوم ميلاد النبى صلى الله عليه وسلم فان المتتبع لقصص السيرة النبوية وكتب السنة النبوية المطهرة يتبين أن الله جلت قدرته قد هيأ مبشرات كثيرة توعى تلك المجتمعات بحقيقة يوم النبوة الأخيرة وملأ الجو الانسانى بأنبائه المستقبلة .

فكانت هناك ارهاصات وعلامات بدت فى جميع مستويات الأمة وعلى مراحل من الزمن حتى اشراقة مولده السعيد — وكانت البيئة فى مكة المكرمة وفى المدينة المنورة وفى بلاد الشام وفى بلاد الروم والحبشة والعراق فى انتظار قدوم نبى آخر الزمان حامل رسالة السماء الخاتمة وقلادة عقدها الأخير يدعو اليها جميع الأمم بعد أن كانت الرسالات من قبله رسالات قومية وهكذا شاء الله أن يهىء المجتمع الانسانى بأخبار هذا النبى وصفاته واسمه وبلده

حتى لا يكون فجأة فى ظهوره بل تكون النفوس والأفئدة مهيأة لاستقباله والقصص فى كتب السيرة النبوية عن ذلك كثيرة نجتزىء منها بالآتى على سبيل المثال :

أولا : فيما بين أهل الكتاب فى جزيرة العرب :

يروى الامام محمد بن القيم فى كتابه هداية الحيازى فى أجوبة اليهود والنصارى :

١ ــ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كانت يهود قريظة والنضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبى صلى الله عليه وسلم عندهم قبل أن يبعث وأن دار هجرته بالمدينة فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أحبار يهود ولد أحمد الليلة هذا الكوكب قد طلع فلما تنبأ قالوا تنبأ أحمد قد طلع الكوكب كانوا يعرفون ذلك ويقرون به ويصفونه فما منعهم الا الحسد والبغى •

٢ ــ وفى دلائل النبوة لأبى نعيم : كانت يهود بنى قريظة يدرسون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتبهم ويعلمون الولدان بصفته واسمه ومهاجره الى المدينة فلما ظهر حسدوا وبغوا وأنكروا •

٣ ــ وعن أبى سعيد الخدرى قال سمعت مالك بن سنان يقول جئت بنى عبد الأشهل يوما لاتحدث فيهم ونحن يومئذ فى هدنة من الحرب فسمعت يوشع اليهودى يقول أظل خروج نبى يقال له أحمد يخرج من الحرم فقال له خليفة بن ثعلبة كالمستهزى به : ما صفته ؟ فقال رجل ليس بالقصير ولا بالطويل فى عينيه حمرة يلبس الشملة ويركب الحمار ــ وهذا البلد مهاجره قال فرجعت الى قومى بنى خدرة وأنا يومئذ أتعجب مما يقول يوشع فأسمع رجلا يقول ما يقول هذا وحده ما يقوله كل يهود يثرب يقول هذا • قال أبى فخرجت حتى جئت بنى قريظة فتذاكروا النبى صلى الله عليه وسلم •

فقال الزبير بن باطا قد طلع الكوكب الأحمر الذى لم يطلع الا

بخروج نبى وظهوره ولم يبق أحد الا أحمد ـــ هذه مهاجره قال أبو سعيد فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أخبره أبى هذا الخبر فقال النبى صلى الله عليه وسلم لو أسلم الزبير وذووه من رؤساء يهود لأسلمت يهود كلها انما هم لهم تبع ٠

٤ ـــ وعن محمد بن مسلمة قال

لم يكن فى بنى عبد الأشهل الا يهودى واحد يقال له يوشع فسمعته يقول وانى لغلام قد أظلكم خروج نبى يبعث من نحو هذا البيت (ثم أشار بيده الى بيت الله الحرام) فمن أدركه فليصدقه فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمنا وهو بين أظهرنا ولم يسلم حسدا وبغيا ٠

٥ ـــ حدث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشه رضى الله عنها قالت : سكن يهودى بمكة يبيع بها تجارات فلما كان ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى مجلس من مجالس قريش هل كان فيكم من مولود هذه الليلة قالوا لا نعلمه قال انظروا يا معشر قريش وأحصوا ما أقول لكم ـــ ولد هذه الليلة نبى هذه الأمة وهو أحمد وبه شامة بين كتفيه فيها شعرات فتصدع القوم من مجالسهم وهم يعجبون من حديثه فلما صاروا فى منازلهم ذكروه لأهاليهم فقيل لبعضهم ولد لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلام وسماه محمدا فأتوا اليهودى فى منزله فقالوا علمت أنه ولد فينا غلام فقال ابعد خبرى أم قبله فقالوا قبله واسمه محمد قال فاذهبوا بنا اليه فخرجوا حتى أوفوا أمه فأخرجته اليهم فرأى الشامة فى ظهره فغشى على اليهودى ثم أفاق فقالوا مالك ويلك فقال ذهبت النبوة من بنى اسرائيل وخرج الكتاب من أيديهم فازت العرب بالنبوة ـــ أفرحتم يا معشر قريش ـــ أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج نبؤها من المشرق الى المغرب ٠

ثانيا : عند الرهبان فى أرض العراق

عن سعيد بن زيد بن عمرو أن

زيد بن عمرو وورقة بن نوفل خرجا يلتمسان الدين حتى انتهيا الى راهب بالموصل فقال لزيد من أين أقبلت قال من بيت ابراهيم قال وما تلتمس قال ألتمس الدين قال ارجع فانه يوشك أن يظهر الدين الذى تطلب فى أرضك فرجع وهو يقول (لبيك حقا حقا تعبدا ورقا) قال وجاء ابنه الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان أبى كان كما رأيت وكما بلغك فاستغفر له قال نعم فانه يبعث يوم القيامة أمة وحده .

ثالثا : صفات النبى صلى الله عليه وسلم واسمه ـ يتناقلها الملوك فى بلاد الروم والحبشة

روى الواقدى أن هرقل قيصر الروم كان يبعث الى النجاشى شمامسه وكان النجاشى أعلم الناس بكتب الله فى عصره فاذا تعلموا ما يريدونه رجعوا الى هرقل وبعث غيرهم للقراءة على النجاشى وأن قيصر قال يوما لعلماء دينه أههنا أحد ممن قرأ على النجاشى قالوا نعم عشرة من الشمامسة فاحضرهم ثم سألهم عن أعلمهم فأشاروا الى أحدهم فخلا به وقال له ألا تخبرنى عن النجاشى قال بلى أيها الملك أنا آخر من قفل عنده بعد مقام أربعة أعوام وقد عرفت أمره كله فعن أى شىء يسألنى الملك من أمره ؟ قال قيصر هل يذكر هذا العربى الذى يذكر أنه نبى ؟ قال نعم انه وضع الانجيل أمامه وليس عنده غيرى فقرأ (أحمد النبى العربى يركب البعير ويجتزىء بالكسرة ـ يخرج من مكه الى يثرب وهو خير الأنبياء يقوم بين عيسى والساعة فمن أدركه واتبعه فقد رشد ومن خالفه هلك) ورأيته يعلم هذا ابنا له .

وحضرت أصحاب محمد يتكلمون عنده فخاطبه ابن عم محمد (صلى الله عليه وسلم) خطابا أبكاه حتى بل لحيته بدموعه وقال (أشهد أنه النبى العربى وهو خير الأنبياء) .

قال قيصر صدق النجاشى ولولا أنى أضن بملكى ولا يتابعنى

الروم أن خالفت دينهم لأظهرت تصديقه واتبعته وسيظهر دينه على منتهى الخف والحافر .

رابعا : ما يذكره ثعلبة بن هلال من صفات النبى صلى الله عليه وسلم وهو من أخبار اليهود :

روى الواقدى عن ثعلبة بن أبى مالك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل أبا مالك ثعلبة بن هلال وكان من أحبار اليهود فقال أخبرنى بصفات النبى صلى الله عليه وسلم فى التوراة فقال (ان صفته فى توراة بنى هارون التى لم تغير ولم تبدل أحمد من ولد اسماعيل ابن ابراهيم وهو آخر الأنبياء وهو النبى العربى الذى يأتى بدين ابراهيم الحنيف يأتزر على وسطه ويغسل أطرافه — فى عينيه حمرة وبين كتفيه خاتم النبوة ليس بالقصير ولا بالطويل يلبس الشملة ويجتزىء بالبلغة ويركب الحمار ويمشى فى الأسواق — سيفه على عاتقه لا يبالى من لقى من الناس — معه صلاة لو كانت فى قوم نوح ما أهلكوا بالطوفان ولو كانت فى عاد ما أهلكوا بالريح — ولو كانت فى ثمود ما أهلكوا بالصيحة — يولد بمكة ومنشؤه وبدء نبوته — ودار هجرته يثرب بين لابتى حرة ونخل وسبخه — وهو أمى لا يكتب ولا يقرأ المكتوب — وهو الحماد يحمد الله على شدة ورخاء — سلطانه بالشام وصاحبه من الملائكة جبريل يلقى من قومه أذى شديدا! ثم يدال عليهم (بمعنى تكون له الدولة) فيحصدهم حصدا تكون الواقعة بيثرب منها عليه ومنه عليها ثم له العاقبة — معه قوم هم أسرع الى الموت من الماء من رأس الجبل الى أسفله — صدورهم أناجيلهم وقرباتهم دماؤهم ، ليوث النهار رهبان الليل — يرهب عدوه منه مسيرة شهر يباشر القتال بنفسه ثم يخرج ويحكم لا شرط معه ولا حرس الله يحرسه) .

خامسا : صفات النبوة المنتظرة تذكرها الأوساط الثقافية فى المجتمع العربى :

لم تكن أوساط أهل الكتاب من

اليهود والنصارى فقط هى التى على علم بصفات النبوة المنتظرة بل كانت البيئات الثقافية فى محيط المجتمع العربى تترقب بعث النبى الخاتم لما شاع فى الناس خبره وصفاته •

ففيما يرويه صاحب الأغانى عن مصعب بن عثمان أنه قال عن أمية ابن أبى الصلت وكان من قبيلة ثقيف قال كان أمية بن أبى الصلت قد نظر فى الكتب وقرأها ولبس المسوح تعبدا وكان ممن ذكر ابراهيم واسماعيل وحرم الخمر وشك فى الأوثان وكان محققا التمس الدين وطمع فى النبوة لأنه قرأ فى الكتب أن نبيا يبعث من العرب فكان يرجو أن يكونه — ويكشف العلامة على بن برهان الدين الحلبى الشافعى أمر أمية ابن أبى الصلت فى حديث له مع أبى سفيان بن حرب فى قوله (أنى لأجد فى الكتب صفة نبى يبعث فى بلادنا فكنت أظن انى هو وكنت أتحدث بذلك ثم ظهر لى أنه من بنى عبد مناف فنظرت فلم أجد فيهم من هو متصف بأخلاقه الا عتبة بن أبى ربيعه الا أنه قد جاوز الأربعين ولم يوح اليه فعرفت أنه غيره — ولما بعث النبى صلى الله عليه وسلم كفر أمية ولم يؤمن مع أنه قال لأبى سفيان عندما أخبره به أما أنه حق فأتبعه فقال له فأنت ما يمنعك ؟ فرد عليه الحياء من نساء ثقيف لأنه كان يخبرهم أنه هو فكيف يصير تبعا لفتى من بنى عبد مناف •

سادسا : أوساط الكهان كانت على علم أيضا بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم :

يقول صاحب السيرة الحلبية : ان عمر بن معد يكرب رضى الله عنه قال والله لقد علمت أن محمدا رسول الله قبل أن يبعث فقيل وكيف كان ذلك قال فزعنا الى كاهن لنا فى أمر نزل بنا فقال الكاهن (أقسم بالسماء ذات الأبراج ذات الأدراج والريح ذات العجاج أن هذا الاآج ولقاح ذى نتاج قالوا وما نتاجه ؟ قال نتاجه ظهور نبى صادق بكتاب ناطق وحسام فالق قالوا وأين يظهر والى ماذا يدعو قال يظهر بصلاح ويدعو الى فلاح

ويعطل القداح وينهى عن الـــراح والسفاح وعن كل أمر قباح قالوا من هو ؟ قال من ولد الشيخ الأكرم حافر زمزم ــ وعزه سرمد وخصمه مكمد) يقصـــد أنه مـــن ذريـــة عبد المطلب بن هاشم لأنه أعـــاد حفر بئر زمزم بعد ردمها ٠

وقد ذكر ابن سعد فى طبقاته من تسمى فى الجاهلية بمحمد رجاء أن تدركه النبوة لما كان من خبرها فقال أخبرنا على بن محمد بن عبد الله ابن أبى سيف عن سلمة بن عثمان عن على بن زيد عن ســـعيد بن المسيب قال كانت العرب تســمع من أهل الكتاب ومن الكهـــان أن نبيا يبعث من العـــرب اســـمه (محمد) فسمى من بلغه ذلك من العرب ولده (محمدا) طمعـــا فى النبـــوة ٠

سابعا : حتى الأوساط العامة فى بلاد العرب كان لديها الكثـــير من المعلومات عن النبوة الخاتمة ٠

فالبشارات والارهاصات عن نبى آخر الزمان كانت قد عمت أرجـــاء بلاد العرب يسمعونها فى الأسواق وفى صوامع الرهبان فتمنى بعض الناس أن تكون النبوة فى أولادهم فسموا أبناءهم باسم محمد فقـــد ورد فى كتب السيرة النبـــوية عن خليقة بن عبدة المنقرى قال : سألت محمد بن عدى كيف ســـماك أبوك محمدا ؟ قال أما انى ســـألت أبى عما سألتنى عنه فقال خرجت رابع أربعة من بنى تميم أنا أحـــدهم وشعبان بن مجاشـــــع ويزيد بن عمرو بن ربيعة وأسامة بن مالك ابن جندب نريد ابن جفنة الغسانى فلما قدمنا الشام نزلنا على غدير فيه شجيرات وقربه دير وفيـــه ديرانى فأشرف علينا وقال ان هذه اللغة ما هى لأهل هذا البلد ؟ قلنا نعم نحن قوم من مضر قـــال من أى المضريين ؟ قلنا من خندف قال أما أنه سيبعث فيكم وشـــيكا نبى فسارعوا اليه وخذوا بحظكم منه ترشدوا ٠ فانه خاتم النبيين واسمه محمد ــ فلما انصرفنا من عند ابن جفنة وصرنا الى أهلنـــا ولد لكل رجل منا غلام فســـماه محمدا ــ وهؤلاء المتسمين باسم محمد وان

كانوا قد عاصروا حياة الرسول صلى الله عليه وسلم لكن أحدا منهم لم يزعم النبوة لنفسه أو يدعيها له أحد من الناس فالله أعلم حيث يجعل رسالته (السيرة لابن كثير) .

روى الطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال (ان الله عز وجل اختار خلقه فاختار منهم بنى آدم ثم اختار بنى آدم فاختار منهم العرب — ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا ثم اختار بنى هاشم فاختارنى فلم أزل خيارا من خيار) .

الارهاصات والعلامات السابقة عن اسم وصفات النبى صلى الله عليه وسلم قبل ميلاده فى ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية : —

ان المتتبع للذكر الحكيم يجد أنه أشار فى كثير من آياته الى تلك النبوة الأخيرة وأعلم بها الأمم الكتابية السابقة على أمة الاسلام مما يدل على أن تلك الارهاصات التى كانت سائدة فى المجتمع العربى وما حوله من مجتمعات لها نصيب من الحقيقة والواقع وأنها أثر من آثار علم تلك الأمم بها من أنبيائهم ورسلهم السابقين يحفظها الأمناء من أهل الكتاب ويعرفونها كما يعرفون أنفسهم وأبناءهم فيورثها السابقون منهم للاحقين فى الصدور وتسجيلا فى الصحف والسطور .

١ — يقول جلت كلماته **(الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم)** سورة الأعراف ١٥٧ فهو صلى الله عليه وسلم مكتوب باسمه ونعوته عند أهل الكتاب فى التوراة وهو كتاب اليهود المقدس وفى الانجيل وهو كتاب النصارى المقدس — ومن هذه العلامات أن هذا النبى الأمى يأمرهم عن الله تعالى ويكلفهم بفعل كل ما عرفته الفطر السليمة

واستحسننه الطبائع المستقيمة فان فيه خير الدنيا وسعادة الآخرة وينهاهم عن فعل كل ما أنكرته الفطر السليمة فيحرم عليهم كل ما هو خبيث وضار مما كانوا يتناولونه كالدم والميتة ولحم الخنزير أو يفعلونه كالربا والرشوة ويخفف عنهم ما ثقل عليهم من التكاليف الشاقة كقطع الأعضاء الخاطئة ، واحراقه الغنائم ، مما كان فى شرائع أهل الكتاب ويخفف كذلك الشروط المحرمة والمواثيق الشديدة التى كانت مفروضة عليهم بسبب طغيانهم وغلوهم فى الفساد والضلال .

٢ — كما يشير الى ذلك قوله تعالى **(الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)** . سورة البقرة ١٤٦ فأهل الكتاب وقتئذ وهم اليهود والنصارى يعرفون أن محمدا رسول الله معرفة حقيقية كمعرفة الآباء لأبنائهم فالبشارة به كانت موجودة بوضوح فى التوراة والانجيل وعلماء اليهود والنصارى كانوا يعرفونها حقا لكن ينكرونها لمرض فى قلوبهم وعلة فى نفوسهم الا من عصمه الله منهم فأقر بالحق وآمن بالله ورسوله .

روى الامام البخارى عن هلال ابن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة فقال أجل والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن **(يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر — ولن يقبضه الله تعالى حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا)** .

ويروى الطبرى فى كتابه جامع البيان فى تفسير القرآن عن عطاء ابن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو فقلت أخبرنى عن صفة

رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة قال أجل والله انه لموصوف فى التوراة كصفته فى القرآن وذكر من صفته ما هو وضح عنه سابقا .

ويقول عن قوله تعالى (الذى يجدونه مكتوبا عندهم) يقول يجدون نعته وأمره ونبوته مكتوبا عندهم .

ويروى ابن سعد فى طبقاته عن سهل مولى عيثمه أنه كان نصرانيا من أهل مريس وكان يقرأ الانجيل فذكر أن صفة النبى صلى الله عليه وسلم فى الانجيل (وهو من ذرية اسماعيل اسمه أحمد) .

٣ ــ والى هذا المعنى يقول الله سبحانه وتعالى حكاية عن المسيح عليه السلام **(واذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد)** سورة الصف ٦ .

فهنا أشار المسيح عليه السلام الى اسم النبى صلى الله عليه وسلم صراحة وهو أحمد وهو من جملة أسمائه ففى الحديث الشريف يقول صلى الله عليه وسلم (لى خمسة أسماء أنا محمد وأحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا الحاشر الذى تحشر الناس على قدمه وأنا العاقب) أى الذى ليس بعده أحد رواه البخارى فى صحيحه وكذلك الامام مسلم فى صحيحه .

النتيجة التى يمكن استخلاصها من النصوص القرآنية السابقة وما ورد فى السنة النبوية

ومن النصوص السابقة يتبين أن النبى صلى الله عليه وسلم اختاره الله لرسالته منذ الأزل فلقد شاءت ارادة الله منذ القدم وهو يختار ما يشاء أن تحدد اصطفاء محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا خاتما لرسالات السماء الى بنى البشر .

ومما يؤكد هذا النظر قوله تعالى **(واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم**

لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) سورة آل عمران ٨١ .

وفى تفسير الآية الكريمة السابقة يقول الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه والامام ابن عباس رضى الله عنهما (ما بعث الله نبيا من الأنبياء الا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدا وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه — وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه) .

كما يؤيده ما رواه الامام أحمد مرفوعا عن العرباض بن سارية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انى عبد الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبى ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا امى التى رأت وكذلك امهات النبيين يرين) . ورؤيا أم النبى صلى الله عليه وسلم كما رواه البيهقى فى تثبيت دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة — وكانت آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدث أنها أتيت حين حملت بمحمد صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك قد حملت بسيد هذه الأمة فاذا وقع على الأرض فقولى أعيذه بالواحد من شر كل حاسد — وقال فان آية ذلك أن يخرج منه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام فاذا وقع فسميه محمدا فان اسمه فى التوراة والانجيل أحمد يحمده أهل السماء وأهل الأرض ››

المستشار
محمد عزت الطهطاوى

وقفة مع التصوف فى رحاب الذكرى

للأستاذ / عبد الحفيظ فرغلى القرنى

مع هذه النسمات العطرة التى يبعثها شهر ربيع الأول والتى تهب فتملأ الأرواح بهجة ونورا ، وتذكرها بمولد أعظم مولود فى هذا الوجود . مع هذه النسمات تجدنى مشدودا الى رحاب هذا النبى الكريم ، أتطلع اليه فى أمل ، وأدعو الله عسى أن يمن على المسلمين اليوم بنفحة من نفحاته المباركة ، فيعود اليهم أمنهم وأمانهم ، وترتد اليهم عزتهم وقوتهم ، وترجع اليهم وحدتهم التى صنعها النبى صلى الله عليه وسلم على عينه بهدى من الله ووحى منه وتوفيق .

ان هذه الذكرى تعود الينا كل عام وتمر علينا فنتنسم نسماتها ونستروح عبيرها ، ولكن يبدو أننا حين نفعل ذلك نكتفى بمجرد الأنس الروحى دون أن يصاحب ذلك ثورة فى داخل النفوس تغيرها وتبدلها وتعيدها نشئا آخر فيه عزة النبوة وعظمة الرسالة ويقين الصديقية ، وبذلك يصبح استقبالنا لهذه الذكرى استقبالا مظهريا لا فائدة فيه ولا غناء .

ان جلال هذه الذكرى يجب أن تخرج عن حدود هذه المظهرية المألوفة الى جوهر يعيد للانسان المسلم شعوره الحقيقى بوجوده ويضعه أمام رسالته التى خلق من أجلها ، والتى جاءه رسوله الكريم ليهديه اليها ويعلمه اياها ، وقد أثمرت هذه الهداية مع عصبة التفوا حول النبى صلى الله عليه وسلم فباعوا أنفسهم لله واشتروا

الأخرة بالدنيا فربحت تجارتهم وبارك الله بيعتهم وسجل ذلك فى أروع كلام يتلى ابد الدهر ويتعبد بتلاوته « **أن الله أشترى من من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة** » « **لقد رضى الله عن المؤمنين أذ يبايعونك تحت الشجرة** » « **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوهم من أثر السجود · ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأة فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما** » ·

ان المسلم بايمانه بالله ايمانا عميقا يصبح قوة رهيبة تستطيع أن تتحدى الصعاب وتقتحم العقبات ، لأنه أصبح ربانيا الهيا يدخل فى نطاق الأثر القدسى الكريم « **عبدى اطعنى أجعلك ربانيا تقول للشىء كن فيكون** »

وهذا ما يدعو اليه القرآن الكريم فى سورة آل عمران « **ما كان لبشر أن يؤتيه ألله ألكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباد لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** » والربانى هو الذى يمده الله بعونه ويؤيده بتوفيقه مصداقا لما جاء فى الأثر « **ومازال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ولئن سألنى لأعطينه ولئن أستعاذ بى لأعيذنه** » ·

ولهذا المعنى الذى يتحقق فى المؤمن بايمانه صححت الآيات الكريمة ادعاء الأعراب الايمان وعلمتهم كيف يقولون « **قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ، ولما يدخل الايمان فى قلوبكم** » ·

فالايمان له شروطه ، وهو اذ تتحقق شروطه يصبح المؤمن قوة

رهبية تملأ الوجود ، وتبعث من حوله اشعاعات تبدد غياهب الكون وتملؤه نورا وحكمة ، وينطلق المؤمن بهذه القوة انطلاق السهم من الرمية يبنى ويعمر ويصلح وينفذ من أعمق المشكلات وأعقد الأمور ويتحدى عوادى الزمن مادام يسعى فى سبيل الحق ويجاهد اعلاء لكلمة الله ودحرا لقوة الشيطان •

فلنتذكر — وأرجو أن تنفع الذكرى — رجالا حول الرسول نشروا الحق وجاهدوا الباطل وانتشروا فى ربوع الأرض يرمقون لواء الاسلام عاليا خفاقا ، ذلك أن كلا منهم كان أمة وحده ومدرسة كاملة تتعلم منها الأجيال ويتخرج فيها الأبطال • فهذا الصديق رضوان الله عليه يقول وقد انتفضت الجزيرة العربية كلها عليه وارتدت عن الاسلام يقول فى قوة اليقين ومرارة الايمان : والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه •

وذلك الفاروق عمر رضى الله عنه الذى اشتهر عنه أنه لا يقبل الدنية فى الدين ، ويعلن كلمة الحق واضحة يتحدى بها ضلال المشركين ويضرب أروع الأمثلة فى تواضع المؤمنين الذين يزيدهم الله به رفعة وعزا • انظروا اليه كيف نور الله بالايمان قلبه وفتح بصيرته فنزل القرآن مصدقا لكلماته ، ووقف على المنبر فى المدينة يوما فكشف الله أمامه الحجب فرأى جيش المسلمين بقيادة سارية بن حصن فى الشام يكاد يطوقه الروم فهتف من أعماقه : ياسارية الجبل ، ومن العجيب أن سارية يسمعه فيتنبه لعدوه ، فيفتح الله عليه وينتصر •

وذلك أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه الذى جعل الايمان منه رجلا آخر تهون عليه المادة فى سبيل الروح والدنيا فى سبيل الدين فيضحى بأمواله اعلاء لكلمة الله وينزل فيه قوله تعالى « **أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه** »•

وذلك الامام على كرم الله وجهه أول فدائى فى الاسلام صنع منه الأيمان قدوة طيبة فى الجهاد والبطولة والاستبسال ، تستعصى خيبر فى فتحها أمام حصار المسلمين فيقول النبى صلى الله عليه وسلم : سأسلم الراية غدا لرجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله ، ويستدعى عليا الراية فيفتح الله عليه فيسلمه هذه أمثلة من مئات غيرهم زكاهم القرآن الكريم وأثنى عليهم **« للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ، والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم »** .

ولقد وضعت هذه الأيات منهجا يمكن لمسلم اليوم أن يترسمه لو أراد ليكون كسلفه الذى ملأ الأرض عدلا ونورا وسلاما وأمنا . فليس الأيمان كلمة تدعى أو قولة تنال أو صفة تطلق على هذا أو ذاك دون أن يكون لها ما يصاحبها من أثر يصدقها أو دليل يؤيدها وقديما قيل : من ادعى ما ليس فيه كذبته شواهد الأمتحان .

فالأيمان الحق جهاد صادق وتضحية بالنفس واستشهاد فى سبيل الله وايثار للآخرة على الأولى بالترفع عن الدنيا ومتاعها الزائل ، واعلاء لكلمة الله ، والأيمان أخوة صادقة ونظافة باطنة من الحقد والحسد والضغينة وحسن ظن بالله وبالمؤمنين وبذل للمال فى سبيل الله . والايمان اهتمام بشئون المسلمين وعمل فى سبيل اسعادهم ورفعة شأنهم ، فانه من لم يهتم بشئون المسلمين فليس منهم .

دور التصوف فى ذلك :

والمسلمون بعامة ــ جميعا ــ

مطالبون اليوم بأن يكونوا صورة صادقة للمؤمن الحق ، وأهل التصوف ــ بخاصة ــ أجدر بذلك ، فهم الذين أعلنوا عن حبهم الصريح للمصطفى صلى الله عليه وسلم سيرا على منهج الصحابة رضوان الله عليهم ، فقد ورد أن صحابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله انى اذا لم أرك اشتقتك وأذكر الجنة ومنزلتك منها فأعلم أننى لن أراك فيها فأحزن ، فنزل قوله تعالى « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما » .

وكان حب الصوفية الأجلاء رضوان الله عليهم للنبى قوامه الاقتداء الكامل به قولا وعملا ، واتباع سنته جملة وتفصيلا ، وغلب عليهم هذا الحب حتى تفننوا فى امتداحه وفى استنباط صيغ رائعة فى الصلاة عليه نابعة من الحقيقة المحمدية التى أصبحت فكرة مثالية فى مقوماتهم ، وتقوم هذه الفكرة على أن الحقيقة المحمدية هى العماد الذى قام عليه الوجود وهى الصلة التى تربط بين الله والناس وقد استند الصوفية فى ذلك الى الحديث الشريف : أنا سيد ولد آدم ولا فخر .

ومن هذه الصيغ ما ورد عن ابن مشيش شيخ الشاذلى رضى الله عنهما : اللهم صلى على من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة .

ومنها الصلاة المنسوبة للشاذلى: اللهم صلى على سرك الجامع الدال عليك محمدك المصطفى كما هو لائق بك منك اليه وسلم عليه بما هو خصيص من السلام لديك واجعل لنا من صلاته صلة وعائدا تتمم بها وجودنا وتعمم بهما

شهودنا وتخصص بهما مزيدنا ومن سلامه اسلاما وسلامة ينزهان ما ظهر منا وما بطن من شوائب الارادات والاختيارات والتدبيرات والاضطرابات لتأتيك بالقوالب المسلمة والقلوب السليمة حسبما هو لديك من الكمال الأقدس والجمال الأنفس •

ومن الصلاة المنسوبة للبدوى رضى الله عنه : اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد شجرة الأصل النورانية ولمعة القبضة الرحمانية وأفضل الخليقة الانسانية واشرف الصورة الجسمانية ومعدن الأسرار الربانية وخزائن العلوم الاصطفائية صاحب القبضة الأصلية والبهجة السنية والرتبة العلية •

ولهم فى المدائح درر غوال ساروا فيها على نهج من سبقهم من الصحابة الأجلاء والتابعين الأوفياء وحسبنا فى ذلك «البردة» التى أصبحت اشعاعة يدور فى فلكها العشاق للنبى صلى الله عليه وسلم من الشعراء أو ممن يريد أن يدلى منهم بدلوه فى الولاء •

أمثلة من أخلاق الصوفية القدامى :

لقد كان رجال التصوف القدامى رضوان الله عليهم أمثلة تحتذى فى الجهاد الصادق والعمل المخلص والايثار الكريم • ولننظر معا الى ما يحكيه السهروردى صاحب كتاب عوارف المعارف عن أخلاقهم التى تعلموها فى مدرسة وارثى المصطفى صلى الله عليه وسلم الذى ورد فى حقه « **وانك لعلى خلق عظيم** » وندبنا الله جل وعلا الى الاقتداء به فقال جل من قائل « **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** » •

انه يقول فى فصل عقده بعنوان أخلاق الصوفية : من أحسن أخلاقهم التواضع ، ولا يلبس العبد لبسة أفضل من التواضع ومن ظفر بكنز التواضع فقد استراح فأراح ، وما يعقلها الا العالمون • واستشهد بالأثر

الشريف : ان الله تعالى أوحى الى أن تواضعوا ولا يبغى بعضكم على بعض ، وبقوله عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى « **قل أن كنتم تحبون الله فاتبعونى** » أى على البر والتقوى والرهبة وذلة النفس • ومن كلام الجنيد فى التواضع : أنه خفض الجناح ولين الجانب ، وسئل الفضيل بن عياض عن التواضع فقال : تخضع للحق وتنقاد له وتقبله ممن قاله وتسمع منه • وقال : من رأى لنفسه قيمة فليس له فى التواضع نصيب •

ومن أخلاق الصوفية المداراة واحتمال الأذى من الخلق ــ وليس المقصود من المدارة الموافقة على الضلال أو المراءاة والنفاق ــ لا بل المقصود بها التسامح ولين الجانب من أمثلة مداراة النبى صلى الله عليه وسلم من أنه كان لا يذم طعاما ولا ينهر خادما ، وأما احتمال الأذى فهو الذى يشير الى العفو عند المقدرة وعدم تجاوز الحد فى المطالبة بالحق •

وهذا هو الذى يظهر جوهر النفس ، وقد قيل لكل شىء جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر • روى أبو الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير ، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير •

ومن أخلاقهم الايثار والمواساة، ويحملهم على ذلك فرط الشفقة والرحمة طبعا وقوة اليقين شرعا ، يؤثرون بالموجود ويصبرون على المفقود • قال أبو يزيد البسطامى: ما غلبنى أحد ما غلبنى شاب من أهل بلخ • قدم الينا حاجا فقال لى : يا أبا يزيد ، ماحد الزهد عندكم ؟ قلت : اذ اوجدنا أكلنا واذا فقدنا صبرنا • فقال : هكذا عندنا كلاب بلخ • فقلت : وما حد الزهد عندكم ؟ فقال : اذا فقدنا شكرنا ، واذا وجدنا آثرنا •

والايثار عند الصوفية هو مظهر الفتوة التى عليها يقولون ، فقد سئل أبو الحسن اليوشنجى عن

الفتوة فقال : الفتوة عندى ماوصف الله تعالى به الأنصـــار فى قـــوله تعـــالى :

((والذين تبوءوا الدار والايمان))

قال ابن عطـــاء : يؤثرون جـــودا وكرما ، ولـــو كان بهم خصاصـــة يعنى جوعا وفقرا . ولقد بلغ من ايثـــارهم أن قـــال بعضـــــهم : الايثار ان تؤثر بحظ آخرتك على اخوانك ، فان الدنيا أقل خطرا من أن تكون محل ذكر للايثار . ونقل عن بعضهم فى ذلك أنه رأى أخا له فلم يظهر البشر الكثير فى وجهه ، فأنكر أخوه ذلك منه ، فقال : ياأخى سمعت أن رسول الله صلى اللـــه عليـــه وســـلم قـــال : اذا التقى المسلمان ينزل عليهما مائة رحمـــة لأكثرهما بشرا ، وعشرة لأقلهمـــا فأردت أن أكون أقل بشرا ليكون لك الأكثر .

والأخوة الصادقة مثل من أمثلة الصوفية الصـــادقين ورثـــوه عن المؤاخاة التى عقدها النبى صـــلى الله عليه وسلم بين المهـــاجرين والانصار . قيل : أتى رجل صديقا له يستعين به على أداء دين عليه . فأعطاه ما طلبه ودخل داره باكيا . فقالت له امرأته : ما يبكيك ؟ هلا تعللت حين شـــق عليك اجابتـــه ؟ فقال : ما على المال أبكى انما أبكى لأنى لم اتفقد حاله حتى احتاج أن يطالبنى .

ويستلزم ذلك الســـخاء والكرم ، وهذا من أخص صفات الصـــوفى الحق ، فما ينبغى للصوفى أن يكون بخيلا شحيحا والا فقد ثقته فى ربه ولذلك قال تعـــالى ((ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)) .

ومن أخلاقهم التجاوز والعفـــو ومقابلة السيئة بالحســـنة . قـــال سيفان : الاحسان أن تحسن الى من أساء اليك فان الاحســـان الى المحسن متاجرة كنقد السوق خـــذ شيئا وهات شيئا . وقال الحسن : الاحســـان أن تعمم ولا تخصص كالشمس والريح والغيث ، وهـــم متأثرون فى ذلك بقول النبى صـــلى الله عليه وسلم فيما يرويه أنس : رأيت قصورا مشرفة عـــلى الجنة فقلت يا جبريل لمن هذه ؟ فقـــال :

للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس •

والبشر والطلاقة من سمانهم فالصوفى بكاؤه فى خلوته وطلاقة وجهه للناس ، والبشر على وجهه من آثار أنوار قلبه ، قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا • ومثال فيض النور على الوجه من القلب كفيضان نور السراج على الزجاج والمشكاة ، فالوجه مشكاة ، والقلب زجاج والروح مصباح ، فاذا تنعم القلب بلذيذ المسامرة ظهر البشر على الوجه •

هذه أمثلة من أخلاق الصوفية نهديها اليوم لتكون نبراسا يضىء لهم الطريق لعلهم يعودون كماكان أسلافهم مثلاً عليا وقمما أخلاقية رائعة ، والقرآن الكريم يقول : ان الذكرى تنفع المؤمنين •

وما أحرى الصوفية اليوم أن يكون احتفالهم بمولد رسولنا العظيم صلى الله عليه وسلم عودة روحية صافية الى رحاب أخلاقه العظيمة وانطلاقة قوية تعود بنا اليه ، وتعود بها ثقتنا فى أنفسنا ويقظتنا الى واجبنا وتحملنا لتبعاتنا ومسئولياتنا فى وقت تكالبت الذئاب علينا تتربص بالاسلام الدوائر وتدبر للمسلمين المكايد ، وما يحدث فى أفغانستان كاف بأن يعيد الصواب الى الأذهان ويوجه القلوب الى الايمان •

والله وحده المسئول أن يهدينا سواء السبيل ويرزقنا حسن الاستجابة وصدق الاخلاص فى العمل • وهذا وبالله التوفيق •

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

مع العقاد فى فلسفة الحياة والموت

للأستاذ / السيد حسن قرون

حين يتقادم الميـلاد ويشـتعل الرأس شيبا ، ويعزف الانســان عن وسائل المنى والهوى يفـكر فى الموت وما بعد الموت ويتمنى لو عاد الى الصـبا والشـباب ليجعل له رصيدا من دوافع التقوى ونـداء الهداية ، ولكن عباس محمـود العقاد (١٨٨٩ ــ ١٩٦٤) جعـل وكده وجـده وفكره فى النظر الى الموت وما بعد الحياة منـذ صباه وشـبابه ، والناظر الى ديـوان العقاد « أربعـة أجزاء فى مجلد واحـد » يطالع قصـائد كاملة فى فلسفة الموت والحياة ، فهو شيخ فى شبابه ، وشـباب فى شيخوخته على حد تعبيره ، وأغلب الظن أن بيئته التى نشأ فيها كان لها الأثر الأكبر فى منهجه مـن تزمت أو انطلاق ، فقد تفتحت عيناه عـلى أب وأم غارقين فى بحر محبة الله، لا تفوتهما صلاة عن وقتها ، والاب دائم الاطلاع على السيرة النبوية وتلاوة القرآن ، أما البيئة الطبيعية (أسوان) فلا يمكن أن أتخـذها سبيلا الى توجيهه نحو تفكيره فى مصيره . لان أسوان كسائر المدن فيها ما فيها .. وينسحب هذا على نظرته للمال ، فالمال عنـده ليس الاله المعبود أو الأمل المنشـود) وأصحاب الأموال عنده لا يتميزون عن الفقراء فى شىء . يقول عـن نفسه : « (١) لم تكن شيم الفتيان قط من شيمى ، وأعنى بها اللهـو والغى والتمادى فى طلب المتعـة

(١) انا ص ١٥٧ .

والسرور ، وهذا التحفظ الذى لم يفارقنى فترة فى حياتى هو القصد الطبيعى الذى حفظ لى ثروة الفتوة فجاوزت الستين وأنا أعمـل عملى فى العشرين ... » ومن شعره فى هـذا المعنى :

دون الثلاثين تعرونى وما انصرمت
الا كما تنقضى الأعوام فى الحلم
قل لابن تسعين لا تحزن فذا رجل
دون الثلاثين قد ساواك فى الهرم

فلا عجب اذن اذا جاء حديثه عن الموت فى ديوانه الأول «يقظة الصباح» صدر سنة ١٩١٦ وهو فى السابعة والعشرين من عمره مليئا بفلسفة العقاد وهى فلسفة عميقة وان جمعت تألق الشـعر وصفاء الديبـاجة . ووفرة العطاء ، وأول ما يطالعنا من الفلسفة فى يقظـة الصباح « كأس الموت » وقـد تداوله الأدباء كثيرا وعـنوا بتلك النغمة كأس الموت فماذا قـال : قـال :

اذا شيعونى يوم تقضى منيتى
وقالوا أراح الله ذاك المعـذبا
فـلا تحملوني صامتين الي الثرى
فانى أخاف اللحـد أن يتهيبـا
وغنوا فان الموت « كأس شهية »
وما زال يحلـو أن يغنى ويشربا
وما النعش الا المهد مهد بنى الورى
فـلا تحزنوا فيه الوليـد المغيبا
ولا تـذكرونى بالبـكاء وانمـا
أعيدوا على سمعى القصيد فأطربا

انك لتعجب من هـذا الانسان الذى يحب الصـخب وينهى عـن الصمت حتى فى حمله على نعشه ، والنعش عنده وليد ينبغى ألا يحزن فى مهده ولا يدفعه أحد الى البكاء وما دام الموت كأسـا شـهية فالمناسب لها الغناء وانشاد القصيد وجميل منه أن يوضح نقلته مـن دار المتاعب وهو فيها معـذب الى مهد وثير يحسن عنده الغناء ، وهو بهذا هون علينا الموت ، وزيفه فى نفوسنا ، ولا يتركنا لنتأمل مـا يدعو اليه ، ويهنأ به ، ويريحه من عذاب ، بل يعلن صديقه الشـاعر (عبد الرحمن شـكرى) بأنه سيبسم لأزاهر القبر بعد أن عبس فى وجه الدنيا بعد أن تغرب شمس عمره اذا اتفق له ما يهفو اليه من

سرى خيال الدنيا تنبئه بأخبـار الانام ، وأن يسامره طيف من‌يهواه ويؤنس وحشته . ويحلم فى قبره بالنجــــوم الزاهرة ، والأزهــار المنـــورة والغمام الرقيق ويتمنى الأمانى الحلوة .. اقرأ معى هذا فى « أحكام الموتى » .

ستغرب شمس هذا العمر يوما
ويغمض ناظرى ليــل الحمام (١)
فهــل يسرى الى تبرى خيــال
مــن الدنيــا بأنبــاء الانام
ويمسى طيف مــن أهوى سميرى
ويؤنس وحشتى ترجيع هــام
وأحـــــلم بالــزواهر دائــرات
وبالــزهر المنـــور والغمــام
ألا ليت النيــام هنـــاك تحظى
بأحـــــلام كأحــلام النيــام
وليت الورد يورق فـــوق رمسى
فتعبــق فى نوافحه عظـــامى
وأبســم فى أزاهـــره لدينـــا
عبست لوجهها فوق الرغام (٢)

وأهم شىء فى نظره معـــرفة أخبار الناس ، فهو معنى بهـــا ، حريص عليها ، لانها هوايته المفضلة لها عاش وكتب وألف هل يريد أنباء الأنام شـــفاها أو مراســـلة أو فى صحف أو كتب ؟ لم يوضحها ولكن توفيق الحكيم لمحها : فقد تخيـــله دخـــل الجنة وذهب يطوف بـــين أرجائها عسى أن يرى وجهة مكتبة يقف أمامها ، ويتأمل عناوين الكتب فيها فلما طال به المطاف ولم يجد مكتبة ولا كتبا ضجر منهـــا وطفق يقول : «ما هذا ؟ جنة بغير كتب؟» ويعلق العقاد عـــلى ذلـــك قائلا : وصديقنا الحكيم لم يبالغ فى تخيله لأننى فعلا لا اســـتطيع أن أعيش فى جنة لا أطلع فيها .. نعـــــم لا أطلع فيها ، وليس من الضرورى أن أقرأ فى كتاب ..

انك تراه كارها للدنيا كلفا بها فى آن واحد ، ولو كان ممن يجتويها ولا يرتضيها لكف عنـــها وحـــاول نسيانها ، ولكنه معنى بأخبار من عليـــها وبالزواهر والأزهـــار التى

(١) الموت .
(٢) التراب .

تزينها ، ومن ثم حرص على أن يتردد اسمه ورسمه فيها :

خلعت اسمى على الدنيا ورسمى
فما أبكى رحيلى أو مقامى
حياتى فى حياة الكون طرا
كقطر الغيث فى اللجج الطوامى

لقد نفض يده من الدنيا بعد أن خلع عليها اسمه ورسمه ، ولكنه يحذرنا من العيش فيها ، ويأمرنا أن نخاف الحياة .

خف العيش فان الموت لا يفجع مولودا
وان الموت اذ يأتيك لا يلفيك موحودا

فالموت لا يستطيع أن يفجع المولود ولا غير الموجود مم نخافه؟ الخوف يجىء من العيش فالحى يمسى ويصبح وسيف المنية مصلت فوق رأسه ، وأسباب الفناء تلح عليه ، وكفى بك داء أن تصح وتسلم ، لكننا نأتى الى الدنيا وتأتى معنا مطامعنا وأشواقنا ، والعقاد يسايرنا فى تساؤلنا :

فيم عشنا وغاية العيش موت ؟
فيم متنا وغاية الموت بقيا ؟
أعجب الحالتين عندى حى
سوف يغنى لاميت سوف يحيا

ونتحير مع العقاد ونطلب تفسيرا، وتذهب عقولنا مذاهب شتى ويطلع علينا بقوله :

وما الحياة لعمرى حين نقرؤها
الا كأسطورة من وهم قوال
يشوقنا ختم فحواها ويؤسفنا
أن سوف نفرغ منها كاسفى البال
فهل يعوض منها أن سنتركها
يوما ليتلوها من بعدنا تال

وصلنا الى أن الحياة أسطورة، وأسطورة فيها الشوق والأسف ، ولكنها باقية يتلوها التالى ويرويها الراوى أهذه هى الحياة ؟ وأين الطموح والجنوح الى بهائها روائها ؟ ولماذا السعى والجهد ؟ ولم التعلق بها ؟ هات يا عقاد ما عندك لنقف على أرض ثابتة أو الى شاطىء أمين .. يقول :

قالوا الحياة قشور
قلنا فأين الصميم ؟
قالوا شقاء فقلنا
نعم فأين النعيم ؟
ان الحياة حياة
ففارقوا أو أقيموا

ان الأمر ليس بأيدينا ، ومـــا بأيدينا خلقنا سعداء أو أشقياء ، ونحن نريدها ولكن اذا جاء الاجل فلا ارادة ولا رجاء ، ومن يوم أن خلقت الدنيا وكان فيها أحياء يدفن بعضنا بعضا كما يقـــول المتنبى ، والقبور تملأ الأرض كما يقـــول المعرى :

صاح هذى قبورنا تملأ الرحب
فأين القبـــور من عهـــد عاد ؟

لكن العقاد يقول :

أنا شيء فيكف أصبح «لا شيء»
اذا تـــم للحيـــــاة مداهـــــا ؟
أغلب الظن أننى ســـوف أرقى
غاية بعدها تفـــــوق ذراهـــــا

وهذا رأى يدنينا مـــن الراحة ويبعد عنا القلق ، ولكننا نريديقينا يلقى الحـــيرة فى مكان ســـحيق ، ويتشـــبث العقاد بالبـــقاء ونحن نتابعه ونرجو أن نستقر ونستمر ، وماذا يراد بنا ؟

أرانى عـــــلى الحالين روحا وبنية
أحس بأن الموت ليس بمفقدى
فان كنت ذا جسم ذوى قبلمصرعى
وان كنت ذا روح فروحى مخلدى

هل أرضاك هذا ؟ بلغنا الروح والجســــد والخلود ، ومطـــارح الفلاسفة ، وجدال أصحاب الجدل الخلود للروح أم للجسد أم لهما معـــا ، المهم عنـــده أنه خالد .. ونسير معه الى «الموت فى الكرى» فنراه يخاطبه :

يا مطعم الـــدود بالصـــبا
لا الدود تبقى ولا الجسد
تنسى الذى نام فى الثرى
ولست تنسى الذى ولـــد

وهى نظـــرة ثاقبة ، واحـــاطة شـــاملة بمـــا يكون ، الموت يطعم الدود مـــن جســـد غض الاهاب ، غوضر صـــاحبه أو صـــــاحبته فى شرخ الشباب ، لكنه يكر بالتالى على الدود فيقضى عليه ولا يبقيه ، والموت عجيب ينسى مـــن قبـــر ويترصد من ولد ، والفجيعة عنـــد الشاعر أن طعام الدود من الصبا ، ويذكرنى حديثه هنـــا عن الجسد ما جاء فى الجزء الثانى من الديوان وقد سماه « وهج الظهيرة » عـــن الجسد ومسئولية الارض ، وعتاب طويل معها عما فعلت ببنيها يقول :

أســـائل أمنـــا الأرضـــــا

ســـؤال الطفــل لــلأم
فتخبــرنى بمـــا أفضى
الى ادراكـــه علـــــمى
جـــزاها الله مـــن أم
اذا مـــا انجبت تئـــد (١)
تغـــذى الجسم بالجســم
وتأكــل لحــم ما تلـــد

وهذا يذكرنا بأخت يوشـــع لشوقى وهى الشمس التى يعجب منها وينكرها بقوله :

فيالك هـــرة أكلت بنيهـــا
وما ولدوا وتنتظر الجنينا

لكن العقاد يسأل الأرض سؤالا يسترعى الانتباه ، وجواب الأرض عجيب ولكنه من الواقع فى قمـــة الصدق ، واليك السؤال والجواب

وأين عظـــام من نبها (٢)
من الماضين فى الســـير ؟
فقالت : قد صنعت بهـــا
لكم حلوى مـــن الثمر !

وهنـــا يستكين الشاعر فقـــد وضحت لـــه الخفايا ، وآض الى ايمان العجائز ، ورضى بالحيـــاة بخـــيرها وشرها وعرفهـــا ونكرها وماذا يملك من أمره وأمرها ؟ انه تدبير لا يصل الى كنهه الا خبير ، وخبير مـــلأ اليقين قلبه ، ولفته السكينة بردائها الأخضر ، وما على العقاد الا أن يقول :

ولدت وأحببت الحيـــاة ولم أكن
معـــلم نفسى حبـــها واتقاءها
حييت وأحببت الخلود ولـــم أكن
معلم نفسى خلـــدها وبقـــاءها
وجـــدت بأمر غـــير أمرى وهكذا
سأوجـــد ان غالبت يوما فنـــاءها
مآبك فى الأقدار طرا الى الـــذى
قضاها وأجرى فى الوجود قضاءها

لقد استراح وأراح ، وان بقى دائمـــا يلهـــج بالمـــوت حتى فى « دعابة » انظر اليه يقول :

اذا الدود رواه منى دمى
فآخر ماذاق مـــن مطعم
عذوبة ذكر الهوى فى فمى
وفى القلب راحة تلك الذكر

وهـــكذا يفلسف العقاد المـــوت

---

(١) تدفن أولادها .
(٢) اشتهر .

والحياة ، ولكنها فلسفة لا تشـــق على القارىء ، ولا تلعب بالعقول ولا تفارق الهدى وقد لخص لنـــا حياته فى أبيات ثلاثة هى .

زاهـــد الهند نعى الدنيا وصـــام
أنا أنعاها ولكن لا أصوم
طامع الغرب رعى الدنيا وهـــام
أنا أرعاها ولكن لا أهيـــم
بين هـــذين لنـــا حـــد قـــوام
وليلم من كل حزب من يلوم

رحمه الله بمقدار ما أفاد وأجـــاد

السيد حسن قرون

« ست خصـــال »

من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عـــن النار مهربا وهى : من عرف الله فأطاعه ، وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه ، وعرف الباطل فاتقاه ، وعرف الدنيا فرفضها ، وعرف الآخرة فطلبها .

قضية نحوية :

نون الوقاية من أوهام النحاة

للدكتور / السيد رزق الطويل

حرف النون من حروف المبانى التى تسهم فى البناء الصوتى للكلمة العربية ، ويرتبط بها صوت الغنة الذى يعد من مميزات الصـوتيات العربية ، كما أنها اذا سكنت كان لما يأتى بعدها من حروف أوضاع صوتية مختلفـة : من اظهـار ، وادغام ، واخفاء ، واقلاب ، حسب الحرف الذى يأتى بعـدها ، وبشابهها فى ذلك التنـوين الذى يشترك معها صوتيا •

وفى مجال الدراسة النحـوية : حملت النون وظائف هامة فى الجملة العربية من ناحية المعنى والدلالة الاعرابية، وأصبحت بهذا أيضا من حروف المعانى ، ويمكن أن نوجز وظائفها ودلالتها فيما يلى :

١ ــ نون التوكيد،وتأتى مشددة أحيانا ، وتسمى الثقيلة ، وغـير مشددة ، وتسمى : الخفيفـة ، وتدخل الفعل المضارع ، وفعـل الامر فى أحوال معينة ، مثل قوله تعـالى : ((**ليسجنن وليكونن من الصاغرين**)) سورة يوسـف ٣٢ •

٢ ــ نون النسوة ، وهى : التى تدل على جماعة الاناث ، وتأخـذ وضع ضمير الرفع المتحـرك ، وتدخل الفعل الماضى ، والفعـل المضارع ، وفعل الامر ، وتعـرب دائما فاعلا ، مثلها فى هذه الاحوال الثلاثة : (**فان كن نساء فـوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك**) النساء ١١ (**والوالـدات يرضـعن أولادهن حـولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضـاعة**) **البقـرة ٢٣٣** • (**واذكرن ما يتلى فى بيـوتكن من آيات الله والحكمة**) الاحزاب ٣٤

٣ ــ التنوين، ويسمى : الصرف، وهو من خصائص اللسان العربى، وهو فى حقيقته صوت النون ، وكما يحدده النحويون : نون ساكنة زائدة ، تلحق الآخر لفظا ، لاخطا، لغير توكيد ، وهو : من علامات الاسمية فى الاسماء ، مادام تنوينا للتمكين أو للتنكير ، أو للمقابلة أو للعوض ، أما اذا كان الغرض منه الترنم ، وذلك : اذا لحق القوافى المطلقة ، أو كان تنوينا غالبا ، لتجاوزه حدود الوزن حين يلحق القوافى المطلقة ، أو كان تنوين ضرورة ، أو شاذا فلا تصلح مثل هذه الانواع من التنوين علامة على الاسم (١) .

٤ ــ نون الرفع : وفى هذه الحالة تكون النون علامة اعراب ، تدل على الرفع ، كما يدل حذفها على الجزم والنصب وذلك فى الافعال المضارعة عندما يتصل بها ألف الاثنين ، أو واو الجماعة ، أو ياء المخاطبة ، وهى المعروفة عند النحويين بالافعال الخمسة ، مراعاة منهم لحالتى الخطاب والغيبة مع ألف الاثنين أو واو الجماعة ، مضافا اليها ياء المخاطبة المقصور استعمالها على حالة الخطاب وحده .

٥ ــ نون الوقاية .. وهى : التى نحن بصدد الحديث عنها ، والكشف عن مدى صدق هذا المصطلح النحوى أو دقته فى الوفاء بالغاية التى وضع لاجلها .

بواعث الكتابة فى هذا الموضوع:

والذى دفعنى الى الكتابة فى هذا الموضوع : ما تناوله الباحث السورى الاستاذ : محمد الكسار المحامى ، والمعنى بالدراسة النحوية فى كتابه : المفتاح لتعريب النحو ، وهو : حلقة أولى من سلسلة يقدم اصدارها تباعا ، لتقويم مسيرة الدراسة النحوية فى تصوره ، لان النحو ــ كما يرى ــ نما ونشأ فى ظلال العجمة ، ويريد أن يخلصه من أوزار عجمته ، ويعطيه الطابع العربى الذى يجعله ميسور التناول ، سهل الاداء .

---

(١) مغنى اللبيب حـ ٢ ص ٢٥ حرف النون

وأبدى الباحث رأيه فى عدد من المسائل النحوية ، كما تناول عددا من القضايا التى نوقشت مناقشة علمية من بعض الاخوة : أساتذة اللغويات فى جامعة الازهر وغيرها (١) •

ومن هذه المسائل : نون الوقاية•

يقول : من عجيب مخترعات النحاة ، وافتراضاتهم الوهمية التى زادت فى تعقيد النحو بلا مبرر ، ولا فائدة علمية تجنى من ورائها ، ما سموه : « نون الوقاية » التى قالوا : انها نون تتوسط بين آخر الفعلوياء المتكلم لوقايته من دخول الكسر الخاص بالاسماء » ثم ينتهى بعد البحث والدراسة ــ على حد قوله ــ الى « أنها جزء من ضمير المتكلم نى » وهو : من ضمائر الفضلات المنصوبة الخاصة بالافعال ، كما تختص ياء المتكلم مجردة من النون بالاسماء والحروف ، ثم القول بأنها تقى الفعل من الكسر مجرد وهم ، لانها تأتى فى مواضع ولا يحدث فيها وقاية ، ومن ناحية أخرى قد يكسر الفعل فى مواضع ، ولم ير أحد فى ذلك بأسا ، فيلحق النون بالفعل المكسور ، كذلك مما يؤيد هذا التصور : جواز دخولها وعدمه على ان وأخواتها (٢) •

ومن هنا استوقفتنى النتيجة التى انتهى اليها الباحث ، لكن الطريق الذى قطعه من الوصول اليها كان يتطلب قدرا من الجهد ، والاناة ، والروية ، والتعمق فيما كتبه النحويون القدماء ، وذلك : حتى تكون المقدمات المبذولة مكافئة للنتيجة الكبيرة ، حتى تزداد دعما ورسوخا فرأيت أن أقوم بمثل هذا الجهد ، فعلقت على ما كتبه أوائل النحويين ، باحثا عن نشأة هذا المصطلح ، ووقت ظهوره على ألسنة النحاة وأقلامهم •

وهنا حقيقة لا ريب فيها ، أذكرها قبل أن أقدم ما انتهيت اليه، وهى : أن النحو العربى نشأ فى

---

(١) منها البحث القيم الذى كتبه الزميل الاستاذ الدكتور عبد الفتاح البحيرى ابراهيم عميد كلية اللغة العربية بالمنوفية •

(٢) المفتاح لتعريب النحو ص ١٥٨ ، ص ١٥٩ •

ظلال العجمه ، وعلى يد الاعاجم، حتى انهم كان يســمونه صــنعة الموالى ، ومر أعرابى بجماعة منهم يتكلمون فى هذا النحو فقال لهم : ان كنتم أول من أصلح هذا اللسان فأنتم أول من أفسده •

كذلك : عوقت مســيرة البحث النحوى بأغلال المنطق ، حتى تهكم الفارسى بالرومانى فقال : ان كان النحو ما يقوله الرمانى فليس معنا منه شىء ، وان كان ما نقوله نحن فليس معه منه شىء (١) •

ونعود الى الحــديث عن نون الوقاية : « هذا المصطلح الذى كان ظهوره وليدا من هذه الظــاهرة •

النقد فى تقديرى منصبه على نون الوقاية •• باعتبار أنهــا تأتى أحيانا بدون أن يوجد الكسر الذى نريد أن نجنب الفعل اياه ، وفى أحيان : يوجد الفعل بدون أن نلجأ الى النون لتقيه منه •

مثال الحالة الاولى :

دخول هذه النون على الافعال الخمسة ، حيث لا كسر يخشى منه على الفعـــــل ، بقول تعالى : **«يعبدوننى لا يشركون بى شيئا»**(٢) **« أتعداننى أن أخرج ، وقــــد خلت القرون من قبلى »** (٣) •

وفى دخولها على الفعل فى هاتين الآيتين دليل على أن معنى الوقاية غير قائم ، وأنه ليس من مهمتها ، وبذلك فاته الحصر المــانع الذى يجب أن يتوافر فى المصــــطلح العلمى •

وأما الحالة الثانية •

فنرى الفعل فيها مكســـورا ولا نجد هذه النون •

وهنا وهم يجب أن نوضحه ، وهو : أنه استقر فى أذهان النحاة : أن الفعل لا يكسر • وهذا أمـــر يحتاج الى تفصـــــيل ، فالكسر باعتباره علامة اعرابية دالة عــلى

---

(١) نزهة الألباب لأبى البركات الانبارى ترجمة الرمانى
(٢) سورة النور / ٥٥
(٣) الأحقاف / ١٧

الجر لا يدخل الفعل ، أما الكسر الذى هو مجرد صوت يضطر اليه المتكلم عند التقاء الساكنين ، فذلك من الممكن دخوله فى الفعل ، وهذا أمر قال به المبرد •

يقول المبرد : فاذا قلت : ضربنى زدت نونا على المخفوض ليسلم الفعل ؟ لان الفعل لا يدخله جر ولا كسر •• ثم يقول : فان قلت قد يدخل الفعل الكسرة فى قولك : اضرب الرجل ، فانما ذلك لالتقاء الساكنين ، وليس بلازم ، وانما كسروا : ليعلموا أنه عارض فى الفعل ، اذ لم يكن من اعرابه »(١)

وهناك أحوال يكسر فيها الفعل لغير التقاء الساكنين ، وذلك : عندما يتصل الفعل بياء المخاطبة سواء كان مضارعا أم أمرا ، ومع ذلك : لا نأتى بنون الوقاية مما يؤكد أن الوقاية مجرد تصور غير صحيح فى أذهان النحاة ، والا لشمل كل الافراد ، وبذا يفوت هذا المصطلح خصيصة أخرى من خصائص المصطلح العلمى وهو : الشمول •

والامثلة لذلك كثيرة لا تحصى ، وأكتفى بهذه الشواهد القرآنية يقول تعالى : « **يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين** » (٢) « **فكلى واشربى وقرى عينا ، فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما ، فلن أكلم اليوم انسيا**»(٣)

نخلص من هذا : الى أن ظاهرة الجر الاعرابى بعلاماته : الكسرة والفتحة والياء لا تدخل الفعل ، أما الكسر باعتباره ظاهرة صوتية فرضها التقاء الساكنين أو مناسبة الياء فهو يلحق الفعل كثيرا •

وبناء على هذا : ما الكسر الذى تقى النون الفعل منه ؟ ان أردنا كل كسر فهذا أمر يخالف الواقع اللغوى ، وان أردنا الكسر الاعرابى وحده : فهو تفريق بغير مفرق ؟! وفى كلا الحالين يتبين لنا:

---

(١) المقتضب جـ ١ ص ٢٤٨ ، ٢٤٩
(٢) سورة آل عمران / ٤٣
(٣) سورة مريم / ٢٦

أن هذا المصطلح غير دقيق علميا ، ولابد من تصور آخر لهذه الظاهرة اللغوية .

متى نشأ هذا المصطلح ؟

اذا رجعنا الى النحاة الاوائل نبحث فى كتاباتهم عن هذا المصطلح، لانجد أحدا منهم صرح به ، وانما أشاروا فقط الى كراهية كسر الفعل، دون أن يعدوا ذلك مصطلحا له سلطان المصطلح العلمى ، كما ذهب النحاة المتأخرون . جاء فى كتاب سيبويه : وسألته — رحمه الله — عن الضاربى ، فقال : هذا اسم ويدخله الجر ، وانما قالوا فى الفعل ضربنى ، ويضربنى، كراهية أن يدخلوا الكسر فى هذه الباء ، كما تدخل الاسماء ، فمنعوا هذا أن يدخله كما منع الجر » (١)

ويقول سيبويه أيضا : وبلغنى عن العرب الموثوق بهم ، أنهم يقولون : ليسنى وكذلك كاننى (٢) ، ليؤكد بهذا ورود هذه الصورة عن العرب ، دون أن يصرح باسم نون الوقاية .

ويقول المبرد فى عبارة قريبة جدا من عبارة سيبويه فى كتابه : وتقول : هذا غلامى ، وهذا الضاربى فيستويان ، فاذا قلت : ضربنى زدت نونا على المخفوض ليسلم الفعل ، لان الفعل لايدخله جر ولا كسر ، فانما زدت هذه النون ليسلم ، لان هذه الياء تكسر ما وقعت عليه ، فان قلت : قد قلت: الضاربى والياء منصوبة ، فانما ذلك لان الضارب اسم فلا يكره الكسر فيه » (٣) .

لكنا نلاحظ هنا فى عبارة المبرد : زدت نونا ما يقربها من تصور المتأخرين الذين يرون أن هذه النون زيدت للوقاية .

ومصطلح نون الوقاية بناء على هذا : مصطلح محدث ، فلم يكن له وجود قبل القرن السادس الهجرى ، ويتردد بكثرة فى مؤلفات

---

(١) الكتاب حـ ١ ص ٣٦٩
(٢) المرجع السابق ص ٣٥٩
(٣) المقتضب حـ ١ ص ٢٤٨

القرنين التاسع والعاشر ، والقرون التالية لهما .

وقد ذكره ابن هشام وهو من أعلام القرن الثامن فى مؤلفاته . يقول فى كتابه المغنى : الرابع نون الوقاية ، وتسمى نون العماد أيضا ، وتلحق قبل ياء المتكلم المنتصبة بواحد من ثلاثة » (١) .

ونلحظ من عبارة ابن هشام : أنه ذكر لهذه النون مصطلحا آخر ، لم يذكره المتقدمون أيضا ، ولم يشتهر بين المتأخرين ، وهو : أنها حرف عماد ، شأنه شأن الميم فى ضميرى المخاطب والغائب فى حالة التثنية واتصال الضمير مثل . عليهما ــ عليكما ، وأعطيتهما ، وأعطيتكما ، ومثل أيا فى ضمائر النصب فى رأى بعض النحاة .

والقول بأن النون للعماد يعنى أنها جاءت لتعتمد عليها ياء المتكلم فى أمر اتصالها بالفعل أو ما يشبهه.

لكن مع ذلك يبقى السؤال قائما: ولماذا ياء المتكلم بخاصة تحتاج الى العماد ؟ ولماذا لم نلجأ الى العماد فى ياء المخاطبة أيضا ؟!

على أن العلامة الرمانى المتوفى سنة ٣٨٤ هـ ذكر فى كتابه معانى الحروف أن النونات ثمان : وهى الرفع ، والتثنية والجمع ، والتوكيد ، وللصرف ، والمضارعة ، والنون الاصلية والزائدة (٢) ولم يذكر نون الوقاية ولا العماد مما يدل على أنها عرفت أخيرا .

مواضع نون الوقاية :

والتصور الذى انتهى اليه المتأخرون فى المواضع التى تدخل فيها نون الوقاية لزوما أو بكثرة ، أو يستوى الحاقها بعدمه ينحصر فى خمسة أحوال ، ذكرتها فى كتابى: النحو الوسيط محصورة فيما اذا كان العامل فى الضمير فعلا ، أو اسم فعل ، أو حروفا تشبه الفعل على نحو من الانحاء وهى على النحو التالى :

١ ــ اذا نصب ياء المتكلم فعل مثل : (انى عبد الله آتانى الكتاب

---

(١) مغنى اللبيب حـ ٢ ص٢٥ حرف النون

(٢) معانى الحروف للرمانى / حرف النون .

وجعلنى نبيا) (١) •

٢ ــ اذا نصب ياء المتكلم اسم فعل مثل : (دراكنى) اسم فعل بمعنى أدركنى •

٣ ــ اذا وقعت ياء المتكلم اسما لليت نحو قوله تعالى: « **ياليتنى قدمت لحياتى** » ٢) ومع لعل يقل دخولها ، ومع غيرهما من أخوات ان يستوى الامران •

٤ ــ اذا دخل على ياء المتكلم حرف الجر « من » أو «عن » •

٥ ــ اذا أضيفت الى ياء المتكلم « لدن » أو « قط » أو « قد »

وفى هذه الحالات : يغلب دخول النون عليها ، مثل قوله تعالى : «**قد بلغت من لدنى عذرا** » (٣) •

هذا هو تصور المتأخرين ، والقواعد التى وضعوها لضبط مواضع هذه النون على ضوء فهمهم لها ، وادراكهم لمهمتها •

ضمير النصب « نى » •

لكن ما التصور البديل لتصور المتأخرين الذى وجهنا اليه النقد آنفا ؟ وهل يمكن أن يستبدل به مصطلح آخر أكثر منه دقة ؟

والجواب : نعم •

وقبل الاجابة : أريد أن أوجز مع شمول وجوه الطعن فى هذا المصطلح النحوى أمورا وهى :

١ ــ أن الفعل الذى يراد وقايته من الكسر جاء مكسورا فى أساليب عربية صحيحة وفصيحة مما يدل على أن الكسر الصوتى ليس فى حاجة الى أن نقى الفعل منه ، وقد بسطنا القول فى ذلك آنفا •

٢ ــ دخولها على الفعل بغير مسوغ لدخولها ، لان الفعل بوضعها محفوظ من الكسر بدخول تاء الفاعل عليه ، فى قوله تعالى « **رب قد آتيتنى من الملك ، وعلمتنى من تأويل الاحاديث** » (١) أو اتصاله بواو الجماعة ، فى قوله تعالى : « **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون** » (٥) أو نون التوكيد فى

---

(١) سورة مريم / ٣٠ .
(٢) الفجر / ٢٤ .
(٣) سورة الكهف / ٧٦ .
(٤) يوسف ١٠١ .
(٥) الذاريات ٥٧

قوله تعالى « **قال لن أرسله معكم حتى تؤتونى موثقا من الله لتأتننى به الا أن يحاط بكم** » (1) وفى هذه الآية شاهدان ، أولهما : لدخول النون مع واو الجماعة ، وثانيهما مع نون التوكيد .

والنون فى كل هذه الحالات لم تؤد واجبها الذى تصوره النحاة وهو : وقاية الفعل من الكسر .

٣ — ثم اذا كانت مهمتها وقاية الفعل من الكسر فما معنى دخولها على غير الفعل مثل حرف الجر من وعن ، وان وأخواتها ، وكذلك دخولها على « لدن » و « قط » وعلى اسم الفعل الذى على وزن « فعال » بكسر اللام مع بقائه على كسره .

اذن هذا المصطلح غير دقيق وغير سديد ، ومن هنا نقدم هذا التصور الذى قدمه الباحث السورى وتأكد لنا صحته بالأدلة العلمية ، وهو : أن هناك ضمير نصب متصل ، وضمير جر أيضا ويستعمل فى الاحوال الآتية :

١ — الفعل الواقع على ضمير المتكلم ، نرى ضمير المتكلم الخاص به هو « نى » سواء أكان ماضيا أم مضارعا ، أم أمرا ، متصلا بضمير رفع أم مجردا منه .

٢ — يختص بأسماء الافعال التى تقع على المتكلم .

٣ — بعض الحروف التى لها شبهقوى بالفعل مثل : ان وأخواتها يمكن أن يكون اسمها ضمير النصب « نى » أو « الياء » يستثنى منها ليت التى لا تعرف الاساليب الفصيحة الا أن تكون « نى » اسمالها ، ومن النادر اسمية ياء المتكلم بعكس لعل .

وعلل النحاة ذلك : بأن تشديد لام لعل هو الذى أبعدها عن «نى» وجعل الياء أنسب لها فهو اذنسبب صوتى .

٤ — يدخل على هذا الضمير من حروف الجر « من » و « عن » ، ومن النادرة : دخولهما على ياء المتكلم ولا يدخل على « نى » حرف جر آخر غيرهما . والسر فى تقديرى

---

(1) يوسف ٦٦

هو : وجود النون فى الحرفين الذى سهل عملية الادغام .

٥ ــ من الظروف التى تضاف غالبا لهذا الضمير « لدن » و «قط» لكنها دونها فى الاستعمال الفصيح. ويقل اضافتهما الى الياء .

ومعنى هذا : أن الضمير « نى » يختص بالافعال والحروف ، والاسماء التى لا تقبل ياء المتكلم ، أو تقبلها فى الاحوال النادرة أو الشاذة .

الادلة العلمية التى تؤكد هذا التصور :

ويؤيد هذا التصور مايأتى :

١ ــ دراسات النحو المقارن بين اللغة العربية ، وأخواتها الساميات، يؤكد : وجود هذا الضمير فيها بصورة قريبة صوتيا من الضمير « نى » (١) فى اللغة العربية ، وبذلك تكون ضمائر المتكلم فى اللغة العربية تنحصر فيما يأتى :

ضمير متكلم مرفوع منفصل أنا ونحن

ضمير متكلم مرفوع متصل ضمائر الرفع المتحركة ضربت ــ ضربنا) .

ضمير متكلم منصوب منفصل اياى وايانا

ضمير متكلم منصوب متصل مثل ياء المتكلم أو « نى » أو مجرور

٢ ــ قرأ السبعة **« قل أغير الله تأمرنى أعبد أيها الجاهلون » (٢)** بنون واحدة . يقول ابن هشام : قيل : النون الباقية نون الرفع ، وقيل : نون الوقاية وهو الصحيح ، ويعلل النحاة صحة الرأى الاخير ، بأن : نون الرفع مأنوس حذفها ، اذا أنها تحذف فى حالتى النصب والجر ، أما نون الوقاية : فلم يعهد حذفها (٣) .

وفى تقديرى : أن العلة ليست كذلك ، وانما لان النون جزء من الضمير « نى » فلا يمكن أن تحذف وهذا الضمير من ضمائر النصب كما قلنا يختص به الفعل ،

---

(١) تاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولفنسون
(٢) سورة الزمر / ٦٤
(٣) المغنى حـ ٢ ص ٢٤

ولايمكن أن يحذف جزء من الضمير، ويبقى جزء منه .

ولو عرف النحاة هذا التصور الدقيق لما سموه نون الوقاية ، لما اختلفوا فى تخريج الآية ، وتوجيه النون الباقية : أهى نون الرفع أم نون الوقاية ؟

٣ — وهذا التصور الذى قدمته ليس جديدا ، وانما سبق وروده على ألسنة النحويين القدماء ، ومنهم : سيبويه ، يقول : أعلم أن علامة اضمار المتكلم المنصوب « نى » وعلامة اضمار المتكلم المجرور الياء ، ألا ترى أنك تقول: اذا أضمرت نفسك وأنت منصوب: ضربنى وقتلنى ، واننى ولعلنى ، وتقول اذا أضمرت نفسك مجرورا: غلامى ، وعندى ومعى » (١) .

فمن هنا نرى امام النحاة فرق بين ضميرين : ضمير متكلم منصوب هو : « نى » وآخر متكلم مجرور هو : الياء .

ومما يؤكد اتجاه سيبويه الى اعتبار « نى » ضميرا : قوله : وسألته — رحمه الله — يعنى أستاذه الخليل بن أحمد — عن قولهم : (عنى وقدنى ، وقطنى ، ومنى ، ولدنى ، فقلت : ما بالهم جعلوا علامة اضمار — المجرور هنا كعلامة اضمار المنصوب ؟ قال : انه ليس من حرف تلحقه ياء الاضافة الا كان متحركا مكسورا ، ولم يريدوا أن يحركوا الطاء التى فى قط ، ولا النون التى فى من ، فلم يكن لهم بد من أن يجيئوا بحرف لياء الاضافة متحرك ، اذ لم يريدوا أن يحركوا الطاء ، ولا النونات ، لانها لم تذكر أبدا الا وقبلها حرف متحرك مكسور ، وكانت النون أولى ، لان من كلامهم : أن تكون النون والياء علامة المتكلم ، فجاءوا بالنون لانها اذا كانت مع الياء لم تخرج هذه العلامة من علامات الاضمار ، وكرهوا أن يجيئوا بحرف غير النون ، فيخرجوا من علامات الاضمار » (٢) .

---

(١) الكتاب حـ ٢ ص ٣٦٩

(٢) الكتاب حـ ٢ ص ٣٧٠ ، ص ٣٧١

وهذا يعنى : أن الخليل سبق سيبويه فى هذا المذهب فى اعتبار « نى » ضميرا ، اذ يقول : **لأن من** كلامهم : أن تكون النون والياء علامة المتكلم .

ونخلص من هذا الى : أن سيبويه يرى أن الضمير « نى » يدخل الفعل ، كما يدخل الظروف والحروف التى لا يوجد مانع صوتى من دخول ياء المتكلم عليها ، وهذه القاعدة التزمت فى الاسلوب القرآنى ، ولا تدخل ياء المتكلم على الفعل ضمير نصب أبدا ، كما لا تدخل على هذه الحروف والظروف الا نادرا (١) .

٤ ــ بالاضافة الى ما سبق نتخلص مما وجه الى مصطلح نون الوقاية من نقد وعيوب ، ونخطو خطوة لا بأس بها بقاعدة نحوية ، نحو السهولة ويسر التناول .

خاتمة :

بهذا البحث : أرجو أن أكون قد قدمت الاسس العلمية للفكرة العابرة التى طرحها الكاتب السورى ، ومن ناحية أخرى : نكون قد أضفنا لجدول الضمائر فى النحو العربى ضميرا جديدا للمتكلم خاصا بحالة النصب ، ولا يجر الا اذا أضيف الى بعض الظروف أو حروف الجر ، الذى يحتم الجانب الصوتى اضافته اليها .

وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

د . السيد رزق الطويل

---

(١) ومن الضرورات قول رؤبة العجاج .
عددت قومى كعديد الطيس
اذ ذهب القوم الكرام ليس
ويقول ورقة بن نوفل :
فياليتى اذا ما كان ذاكم
ولجت وكنت أولهم ولوجا
وقول الآخر : أيها السائل عنهم وعنى
لست من قيس ولا قيس منى

بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

للمستشار / السيد عبد العزيز هندي

١ ــ منذ أن شرح الله صدور المصريين لنور الاسلام وهداهم الى دينه الذى ارتضاه لهم بعد أن تم الفتح الاسلامى على يد عمرو بن العاص فى عهد الخليفة العادل عمر بن الخطاب فى السنة العشرين من الهجرة (سنة ٦٤١م) ــ فأقبلوا على الدخول فى الدين الحنيف زارفات ووحدانا حتى صار المسلمون فى هذا البلد الطيب هم الكثرة الغالبة •

منذ ذلك التاريخ والشريعة الاسلامية الغراء وحدها هى القانون المعمول به ــ والذى يحكم تصرفات الناس حكاما ومحكومين ــ بما اشتملت عليه من أحكام تشريعية ــ أجملها القرآن الكريم وأوضحتها السنة الغراء ــ ووفاها حقها من الشرح والبيان فقهاء أجلاء ــ لا يسع الباحث المنصف الا أن يشيد بعلمهم وسعة اطلاعهم ودقتهم •

٢ ــ وظل الحال على هذا المنوال ثلاثة عشر قرنا من الزمان ــ صمدت البلاد خلالها لكل غزو جاءها من الخارج ــ من هولاكو الى جنكيزخان الى الصليبيين ــ ولم يفلح أحد من هؤلاء جميعا فى صرفها عن دينها والعمل بشريعة الله الغراء ــ معتصمة بحبل الله المتين ــ فكانت بذلك درع الأمان لنفسها ولمن حولها من بلاد الاسلام ــ وسواء أكان حكام البلاد عربا أم أعاجم فقد كان لها استقلالها وذاتيتها دائما فى كل الظروف ــ ومادام الحكم قائما

على شريعة الله — ومادام أساس الحكم هو أن الله فوق الخلق فيها وحده — والنـاس تحت لوائهـا أكفاء — فان الحاكم لا يعـدو أن يكون خادما للشعب على شريعـة الله ورسوله — وان أكرمكم عنـد الله أتقاكم — يطيعونه ما أطـاع الله فيهم — فاذا انسلخ من شريعة الله — فلا طاعة له عليهم — ومن ثم فقد انعقد لها لواء النصر على جميع أعدائها وانتصرت على التتار بقياده هولاكو الطاغية سنة ٦٥٨هـ (١٢٦٠م) الذى أسقط خـلافة العباسيين سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨م) وكانت الجيوش المسـلمة يومئـذ بقيادة سيف الدين قطز الـذى خلد له التاريخ مع النصر فى موقعة « عين جالوت » صيحته المـدوية فى المعركة — « واسلاماه » وكان ذلك وقت صلاة الجمعة فى رمضان من تلك السنة — صيحة حق ردد مثيلتها أشبالنا بعدئذ فى العـاشر من رمضـان سـنة ١٣٩٣ هـ على أشلاء حصون بارليف حين هتفـوا « الله أكبر » فنصرهم اللـه •

ولا يفوتنا أن نذكر أن شـيخ الاسلام العز بن عبد السلام كان العون الاكبر لسيف الدين قطز فى الاعـداد للجهـاد فى معركة عين جالوت — ماديا ومعنويا •

كما لا يفوتنا أن نذكر أنه بعـد أن انتهت المعركة بالنصر المؤزر — سجد الملك المظفر لربـه وأطـال السجود ثم رفع رأسه والدمـوع تبلل لحيته — وبعـد أن سلم من صلاته اعتلى صهوة جواده وخطب فى جيشه قائلا :

« أيهـا المسـلمون — اياكم والزهو بمـا صـنعتم — ولكن اشكروا الله واخضـعوا لقـوته وجلاله — وما يدريكم لعل دعوات اخوانكم المسلمين على المنـابر فى السـاعة التى حملتم فيهـا على عدوكم من هذا اليـوم العظيم — يوم الجمعة — وفى هذا الشـهر العظيم — شهر رمضـان — كانت أمضى على عدوكم من السـيوف التى بها ضربتم والرماح التى بها طعنتم — والنبال التى بها رميتم — واعلمـوا أنكم لن تنتهـوا من

الجهاد — وانما بدأتموه حتى تقضوا حق الاسلام بطرد أعدائه من سائر البلاد — ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » .

٣— واذ كان ذلك فان دعوى الجاهلية العنصرية التى يرددها البعض بدون روية — سواء بدعوى العروبة أم بدعوى الفرعونية — هى ارتداد الى ما قبل الاسلام والمسيحية على حد سواء — بعد أن هداهم الله جميعا للايمان — بعد عبادة الاصنام والاوثان .

ومن قبل قال الفاروق عمر بن الخطاب : « ان الله أعزكم بالاسلام — فمهما تطلبوا العزة بغيره يذلكم الله » .

وصدق الله العظيم « **أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** » .

وقد التمس العز بغير الله حكام ظنوا أنهم مانعتهم حصونهم وأموالهم وتعلقهم بأذيال الترف المستورد وقطعوا ما بينهم وبين الله — فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا — وقطع ما بينهم وبين الناس وكان ذلهم على يد من اعتزوا بهم — من أمثال الخديوى اسماعيل الذى أعرض عن شريعه الله وجلب للبلاد على يد وزيره نوبار — قوانين أجنبية تتعارض فى بعض نصوصها تعارضا جليا واضحا مع ما يجب أن يكون معلوما من احكام الدين بالضرورة كتغيير العقوبات المقررة شرعا للحدود واباحة الربا — التى تحرص الدولة حاليا على الغائها واستبدال غيرها بها — بما يتفق مع الشريعة الاسلامية الغراء .

٤ — ثم جاء القرن الرابع عشر الهجرى مواكبا لنهاية القرن التاسع عشر الميلادى وبداية القرن العشرين وفيه بدأ الصراع بين أئمة الفكر الاسلامى من أمثال جمال الدين الافغانى والشيخ محمد عبده وبين غلاة المستعمرين فى الغرب ودعاتهم — الذين هالهم صمود المسلمين فى وجه الغزوات العسكرية الشرسة من التتار والمغول والصليبين على حد سواء

ــ فاصطنع الغزاة أسلوبا ماكرا يتسم بالخبث والدهاء ــ لقد وجدوا أن تمسك المسلمين بدينهم وشريعتهم ــ يعصمهم من كل باغ عليهم ــ ومادام المسلم يحارب فى سبيل الله ــ فان له احدى الحسنيين ــ اما النصر واما الشهادة وبالتالى فان الجهاد يقربه انى الله ــ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ــ ومن ثم فقد وجه المستعمرون كل سهامهم الى هذا الحصن الحصين الذى يعتصم به المسلمون ــ وهو دينهم وشريعتهم ــ وبدلا من قذائف الحديد واللهب التى لم تجد نفعا ــ فقد استعملوا كل ما أوتوا من مكر وخديعة ليفتنوا المسلمين عن دينهم ان استطاعوا ــ ولبسوا مسوح الرهبان ولكنهم عملوا أعمال الشياطين •

٥ ــ فبينما يقول السيد المسيح عليه السلام : « وسمعتم أنه قيل ــ تحب قريبك وتبغض عدوك ــ أما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم ــ باركوا لاعنيكم ــ أحسنوا الى مبغضيكم ــ وادعوا لمن يسىء اليكم ويطردكم •

بينما يقول السيد المسيح عليه السلام هذا الكلام لحوارييه ــ ــ اذا بالمبشر المعروف زويمر يقول لحوارييه الجدد : ان مهمتكم ليست هى ادخال المسلمين الى المسيحية ــ فان هذه هداية لهم وتكريما ــ كذا ــ وانما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الاسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله وبالتالى فلا صلة تربطه بالاخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى حياتها ــ وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعمارى فىالممالك الاسلامية ــ وهذا ما قمتم به فى خلال الاعوام المائة السالفة خير قيام وهذا ما أهنئكم عليه وتهنئكم دول المسيحية والمسيحيون جميعا كل التهنئة •

٦ ــ وما من شك فى أن مرجع ذلك كامن فى اختلاف مفهوم الناس فى الشرق الروحى والغرب المادى للمسيحية الحقة فبينما المسيحية الحقه التى جاء بها المسيح عليه

السلام وارتضتها مصر بعد أن هداها الله للايمان وطرحت عبادة الأوثان — كانت تعبد الله الواحد الأحد — على النحو الذى جاء به المسيح عليه السلام . وعلى النحو الذى يحدثنا به القديس مرقص فى انجيله — من أنه بينما كان السيد المسيح جالسا مع تلاميذه وحوارييه يشرح لهم تعاليم الله — أتاه احد الناس يسأله : أية وصية هى أول الكل .... فأجاب يسوع : « ان أول كل الوصايا هى : اسمع يا اسرائيل . الرب الهنا رب واحد — وتحب الرب الهك من كل نفسك ومن كل فكرك — ومن كل قدرتك .. هذه هى الوصية الأولى » — ويستحسن الرجل قول المسيح — ويتيقن بذلك من صدق نبوته — فيرد عليه قائلا: جيدا يا معلم بالحق قلت — لأنه الله واحد وليس آخر سواه (انجيل مرقص — اصحاح ١٢/ ٢٩ ، ٣٠) — وقد وردت هذه الحادثة فى انجيل لوقا أيضا .

٧ — بينما كان هذا هو مفهوم المسيحية فى مصر — ومن ثم كانوا أقرب فهما للاسلام من كل من عداهم واقرب مودة للمسلمين — فانه على العكس من ذلك تماما كان مفهوم الغرب للمسيحية .

فما أن جاء القرن الرابع الميلادى وجاء معه عهد قسطنطين (توفى سنة ٣٣٧م) وبعد أن أصدر فى سنة ٣١٣ قانون التسامح مع المسيحية — ما لبث ان دعا الى موتمر نيقية سنة ٣٢٥ الذى حضره جلة العلماء المسيحيين من كل بقاع الارض ومعهم أسانيدهم التى يستندون عليها فى معتقداتهم .

وكان عدد الحاضرين ٢٠٤٨ — وقد اتضح من أول لحظة أن الجمهرة العظمى من المسيحيين تدين بالمسيحية الحقة . على النحو الذى سلف بيانه — وكان معهم من الاناجيل ما يعضد آراءهم ولكن حاشية الامبراطور — وهى أوربية — ولم تكن تعرف من المسيحية الا تلك المعلومات التى كانت سائدة فى أوربا والتى كانت من تراث

بولس — وقد رأت أن اتجاه أغلبية الحاضرين يتعارض مع الاتجاه الرسمى ومع معلوماتهم عن المسيحية — فقد عدوا ذلك انحرافا واثاروا الامبراطور — الذى كان على عقيدة الحاشية — كما أثاروا بابا روما • فاصدر الامبراطور أمره باخراج الرؤساء الروحانيين الموحدين ونفى الكثير منهم — وقتل العالم المصرى آريوس الذى كان يتخذ التوحيد عقيدة له — وكان يقرر بأن الله وحده هو الاله الاصلى الواجب الوجود — أما من عداه — فانها كائنات من خلق الله — فحكم عليه بالكفر والهرطقة وتقرر قتله مع مشايعيه •

ثم أمر الامبراطور بعقد المؤتمر من جديد — فحضر الاعضاء الذين كانوا يعتنقون مذهب بولس أو الخائفون والمترددون وكان عددهم ٣١٨ واتخذ هؤلاء قرارا بألوهية المسيح وكان هذا أساسا للمعتقدات الاخرى التى قال بها بولس — كما اتخذ المؤتمر قرارات بتدمير كل الوثائق التى تخالف هذا الرأى وانزال العقوبات الشديدة بمن يخفى مثل تلك الوثائق •

وتبعا لذلك اختفت المسيحية الحقيقية من الغرب رويدا رويدا — وحلت المسيحية البوليسيه مكان المسيحية الحقة التى بشر بها عيسى عليه السلام •

٨ — وبهذا المفهوم الخاطىء للمسيحية حارب الغرب الاسلام كما حارب المسيحية الحقة منقبل — ذلك بأن أول ركن فى الاسلام هو التوحيد — ويقول الحق جل جلاله فى كتابه الكريم : « **شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم** » •

ولكن حرية الفكر فى الغرب تختفى لدى الاوربى — كما يقول جوستاف لوبون — عندما يمتد فكره الى مبحث العالم الاسلامى فالمفهوم المسيحى العميق الأثر فى النفس الاوربية يحول دون حرية

الرأى اذا كان موضوع البحث هو الاســـلام •

مع أن الاسلام ــ كما يقــول جاك أسترى ــ فى كتـــابه عن الاسلام والتطور الاقتصـــادى / أن الاسلام يتمتع بامكانات هائلة ــ واذا ما وجد الطريق الصــحيح مفتوحا أمامه ــ فان كثــيرا من الصعوبات الاقتصـــادية ســوف يحلها هو وحده ــ وهو أقدر عــلى ذلك من غيره من مذاهب الاقتصاد الشرقية والغربية •

٩ ــ ومن ثم كان الغزو الفكرى وتغريب المسلمين ــ وصرفهم عن دينهم واستبعاد الدين من حياتهم وتفكيرهم واصطناع مفهوم خاطىء لدى ضعاف النفــوس مؤداه أن الدين هــو سبب التخلف الــذى يعانون منه وقد كان هذا الاسقاط أيسر تقبلا لدى النفوس الضعيفة ــ من أن ينسبــوا التقصــير الى أنفسهم فيصلحوا من شأنها ليصلح حالهم •

١٠ ــ كما كان هــذا المفهــوم الخاطىء ذريعة للخديوى اسماعيل ــ الذى أراد أن يجعل مصر قطعة من أوربــا ــ ليعهــد الى وزيره نوبار باستيراد قوانين ومفــاهيم أوربية للمجتمع المصرى المســلم تخالف مفاهيم هذا المجتمع المسلم ــ كما أغرق البلاد بديون ربويــة فاحشة ليغطى اسرافه وســـفهه وترفه الذى أوقع البلاد فى قبضة الاستعمار المالى وانتهى بهــا الى الخــراب الخلقى والاســـتعمار السياسى وحق عليها قول ربها (١) ــ فكانت عاقبة أمرهــا أن طــرد الخديوى اســماعيل من العــرش المذهب الذى تربع عليــه ، وخلف من بعده خلف أضاعوا اســتقلال البلاد وغزتها جيوش الاحتـــلال الانجليزى على يــد الخــديوى توفيق وهكذا ضاعت البلاد بعد أن

---

(١) يشير الكاتب الى قـــوله تعالى « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » سورة الاسراء •

أغفلت العمل بشريعة الله .

١١ — وقد واكب هذا الاستعمار العسكرى والسياسى — موجه من الالحاد . أصبحت سمة العصر بدعوى التحرر الفكرى — والأنفلات من المعايير الخلقية تحت راية العلمانية والتحررية وغفلوا عن أن هذه الاباحية لم تكن الا رجعة للهمجية — والى جاهلية ما قبل الرسالات .

وجاءت الشيوعية — بمذاهبها المختلفة — على رأس هذه الموبقات فحاولت جاهدة أن تفصم هذه العروة الوثقى التى تربط الناس برب الناس — وأن تحطم هذه الوشائج الانسانية التى تربط الناس بعضهم ببعض وفقا لشريعة الله — ولكنها باءت فى هذا البلد الأمين بالخسران المبين — ولم تخدع هذه الحرية المزعومة أحدا من الناس .

وما أصدق وصف الشاعر عزيز أباظه لهذه الحرية المخادعة حين قال :

حرية الناس كم من باغ أذلك باسمك
يطغى ويزعم أن الطغيان كافل دعمك

وقد دأب الأستعمار خلال هذه الحقبة المظلمة على تفتيت الروابط التى تربط المسلمين كافة بعضهم ببعض — تطبيقا لمبدئه « فرق تسد » — وأصبح المسلمون بأسهم بينهم شديد — بدلا من أن يعملوا بهدى الله الذى يصفهم بأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم .

وهكذا رفع المسلم السلاح — بتحريض من الاستعمار الغربى — فى وجه أخيه المسلم حينما مناهم الاستعمار بالملك الاقليمى القبلى ثم خدعهم جميعا بعد أن استنفد أغراضه عقب الحرب العالمية الأولى التى مهدت للنفوذ الغربى.

كما رفع المسلم السلاح بتحريض من النفوذ الشيوعى — فى وجه أخيه المسلم فى حرب اليمن — التى مهدت لاستفحال النفوذ الشيوعى . وأخيرا وقع الصدام

الأليم المؤسف بين دولتين اسلاميتين هما العراق وايران •

١٢ — ولكن هذا الظلام الدامس — كان مقدمه لفجر مشرق جديد — وقديما قالوا — اذا جاء الشتاء فما اسرع ما يجيء الربيع — فبعد ان نسى الناس الله فانساهم انفسهم — رجعوا الى الله والى شريعة الله يدرسونها ويبصرون الناس بأحكامها وما فيها من صلاح للناس فى دنياهم واخرتهم فقام أساتذة أجلاء بتجلية شريعة الله بعد استخراج كنوزها من بطون الكتب الفقهية الاسلامية وقامت نهضة تشريعية تستمد أصولها من شريعة الله — فى مصر وشتى البلاد الاسلامية الاخرى وشهد النصف الثانى من القرن الرابع عشر الهجرى علماء أجلاء فى الشريعة الاسلامية أمثال المشايخ — احمد ابراهيم ، وعبد الوهاب خلاف ، ومحمد أبو زهرة — كما كان الاستاذ الدكتور عبد الرازق السنهورى رائدا للفقه الاسلامى المقارن وكذلك الأستاذ عبد القادر عودة والأساتذة أحمد أمين ، وعباس العقاد روادا للفكر الاسلامى الحديث •

١٣ — كما قام الازهر الشريف ووزارة العدل بمصر بتكوين لجان عده لتقنين الشريعة الاسلامية وتعديل القوانين الوضعية القائمة على نحو يطابق الشريعة الاسلامية أولا يتعارض مع أصولها المعروفة من الدين بالضرورة — وقد قامت هذه اللجان بوضع عدة مشروعات لتحقيق هذا الهدف الحيوى النبيل قدمت بعضها للجهات الدستورية المختصة باصدارها — وهى بسبيلها لاتمام مهمتها بفضل الله وتوفيقه — كما أصدرت المحاكم عدة أحكام تقضى بأن أى حكم يخالف الاحكام المقررة فى الشريعة الغراء هو حكم باطل لا اعتداد به حتى بالنسبة لمن أصدره •

١٤ — وهكذا اتجه الناس الى الله يسألونه الهداية والتوفيق للعمل بشريعته — وكانت فاتحة ثمار توفيق الله — ان عجل لهم

بنصر العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ — وكف أيدى الناس عنهم ووعدهم مغانم كثيرة يأخذونها ما داموا قائمين على شريعته — وصدق الله العظيم اذ يقول « **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم — وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا** » وحمدا لله فبعد أن استيأس الناس من النصر فى مطلع القرن الهجرى الرابع عشر — أشرقت الارض بنور ربها فى ختام هذا القرن وفى مستهل القرن الخامس عشر — والله نسأل أن يوفقنا بفضله للعمل بشريعته على الدوام •

١٥ — وبعد : —

فقد قادت الشريعة الاسلامية البشرية جمعاء الى آفاق وضاءة من العلم والنور — وكانت أول آية نزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى « **اقرأ باسم ربك الذى خلق** » كما ورد فى القرآن قوله تعالى مخاطبا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم : « **وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا** » ووصفه سبحانه بقوله : « **وانك لعلى خلق عظيم** »

وكان المجتمع الاسلامى — حينما طبقت شريعة الله — مجتمعا مثاليا وواقعيا معا — أصلح أحوال الناس وقادهم الى الخير والبر والنصر — فماذا كسبت البشرية من تنحية الشريعة الاسلامية عن قيادتها ؟

وماذا كسب المتآمرون على الاسلام من افساد المسلمين وفتنتهم عن دينهم — والتآمر عليهم ؟ لا شىء على الاطلاق الا الدمار والبوار للبشرية جمعاء •

ومن ثم :

ألم يأن بعد أن يتحد المؤمنون بشريعة الله من كافة الاديان وفى جميع الاوطان — ليقفوا صفا واحدا ضد الالحاد والشيوعية التى تكاد تلتهمهم جميعا •

ولعل فى مأساة أفغانستان نذيرا وبشيرا •

نذيرا بأن من تتكر لله الخالق وجحد فضله — جدير بأن يتنكر لكل القيم العليا التى تربط الناس فى علاقاتهم مع الله ومع الناس — وبشيرا بأن اتحاد الموحدين — من كافة الديانات — هو السبيل الأوحد لوقف هذا المد الشيوعى القادم — والالحاد الذى لا يبقى ولا يذر •

والله نسأل أن يهدينا جميعا بفضله الى ما يحبه ويرضاه •

المستشار
السيد عبد العزيز هندى

« أتعبت الخلفاء من بعدك »

رأى على بن أبى طالب ، عمر بن الخطاب يعدو الى ظاهر المدينة ، فقال له : الى أين يا أمير المؤمنين ؟ قال : قد شرد بعير من ابل الصدقة ، فأنا وراءه أطلبه !! فقال على : أتعبت الخلفاء من بعدك !! وهكذا كان حرصهم على مال الله ، وحق الفقراء والمساكين •

القرآن الكريم والكلمات الأعجمية

للدكتور/ عبد الباسط بلبول

القرآن الكريم هدية الله للعالمين ، وهدايته للناس أجمعين ، جاء ليصحح العقائد ، وينشر بين الناس شريعة الاسلام السمحة ، ويدعو الى العبادات التى تزكى النفوس ، ويرشد الى الأخلاق الفاضلة ، التى تدفع الى المحبة ، وتربى الأرواح على الرغبة فى الحق ، وصدق الله العظيم اذ يقول : « **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم** » **المائدة من الآية ١٤،١٥** •

وقد تكفل الله بحفظ كتابه من عبث العابثين ، وأكد ذلك الحفظ بقوله : « **انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون** » • الحجر الآية ٩

وقد نزل القرآن باللسان العربى ، فحروف القرآن عربية ، وكلماته عربية ، وروعته جاءت من أسلوبه الذى بلغ الذروة فى الاعجاز ، وفى منهجه الذى أعجز الخلق جميعا عن الأتيان بمثله •

والقرآن يحرص على وصفه بأنه عربى فى أكثر من آية ، ففى صدر سورة يوسف نقرأ قوله تعالى: « **آلر تلك آيات الكتاب المبين ، انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون** » • وذلك نص صريح يفيد أن القرآن كله ومنه سورة يوسف قد نزل بألفاظ عربية ، ليتمكن الناس من فهمه ، ويعقلوه لينتفعوا به •

وفى سورة الزمر يقول سبحانه: **« قرآنا عربيا غير ذى عوج ، لعلهم يتقون »** ومعنى قوله **« غير ذى عوج »** أى هو برىء من التناقض والاختلاف .

وفى سورة فصلت ينفى الله عن القرآن أنه أعجمى يقول عز وجل : **« ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ، أأعجمى وعربى »** .

والمقصود أن القرآن لو نزل بلغة العجم لقال الملحدون من أهل قريش أقرآن أعجمى ، والمنزل عليه عربى ؟ تعجب منهم .

وفى صدر سورة الزخرف يقسم الله بأن القرآن نزل بلغة العرب يقول سبحانه ، **« حم والكتاب المبين ، انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ، وانه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم »** . فقوله **« والكتاب المبين »** قسم ، والمقسم عليه قوله « **انا جعلناه قرآنا عربيا** ». والمراد بالكتاب القرآن، وعلى ذلك يكون المعنى :

والقرآن المبين ، انا جعلنا القرآن عربياً .

فالله يقسم بالقرآن ، على أن القرآن عربى .

وكلمة « عربيا » تفيد صراحة ، أن القرآن نزل بلغة العرب ، ولم ينزل بلغة غير لغتهم ، وهو يدل على معانى الألفاظ الذى اصطلح عليها علماء هذه اللغة ، ودلالة هذه الألفاظ ، لا تدل الا على المعانى التى اتفقوا عليها .

ولو كان القرآن غير عربى ، لما تحدى الله به العرب ، اذ كيف يتحداهم بما ليس من جنس كلامهم ، وكان لهم أن يقولوا عند التحدى كيف يتحدانا القرآن بكلام لا نعرفه ؟

ولهذا فان من يزعم أن فى القرآن كلاما غير عربى طالبناه بالدليل العقلى والنصى يقول الفخر الرازى ، وهو يرد على من يزعم ذلك : « وهذا مذهب فاسد ، والذى يدل على فساد هذا المذهب، قوله تعالى : **« قرآنا عربيا »** وقوله « **وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه** » والوصف بأنه عربى جاء فى معرض المدح والتعظيم .

والقرآن يشير بذلك الى أن لغة العرب هى أفضل اللغات . ويضيف الفخر الرازى فى تفسيره « مفاتيح الغيب » ماخلاصته : الكلام مركب من كلمات ، والكلمات مركبة من حروف ، وحروف اللغة العربية ظاهرة المخارج ، بينة المقاطع ، ولا يشتبه شىء منها بالآخر ، وذلك بخلاف الحروف المستعملة فى سائر اللغات ، فقد يشتبه شىء منها بغيره ، فى النطق ، وذلك يخل بكمال الفصاحة .

هذا من حيث مادة الكلمة ، وكذلك من حيث الحركات ، فالحركات المستعملة فى سائر لغة العرب حركات ظاهرة ، بينة تمام البيان ، وهى النصب والرفع والجر ، وكل يتميز عن الآخر تمام التباين ، وذلك مما يوجب فصاحة الكلمة ..

هذا وفى القرآن الكريم من سائر لغات قبائل العرب .

فمن قبيلة كنانة : يعزب بمعنى يغيب فى قوله تعالى : « **وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة** » ، ولا خلاق بمعنى لا نصيب فى قوله سبحانه « **أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة** » والخراصون أى الكذابون فى قوله عز وجل ، قتل الخراصون ، وأقتت بمعنى جمعت فى قوله سبحانه « **واذا الرسل أقتت** » ، وكنود أى كفور للنعم فى قوله عز وجل : « **ان الانسان لربه لكنود** » .

ومن قبيلة هوازن . ييأس بمعنى يعلم فى قوله عز وجل « **أفلم ييأس الذين آمنوا** » . ومن بنى عبس لا يلتكم بمعنى لا ينقصكم ، فى قوله تعالى « **وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا** » ، ومن قبيلة هذيل الرجز بمعنى العذاب فى قوله عز وجل « **فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء** » . وعيلة بمعنى فاقة فى قوله سبحانه : « **وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء** » ودسر بمعنى المسامير فى قوله عز وجل « **وحملناه على ذات ألواح ودسر** » وملتحدا بمعنى ملجأ فى قوله سبحانه « **ولن تجد من دونه ملتحدا** » ، ووليجة

بمعنى بطانة فى قــوله ســبحانه **« ولم يتخــذوا من دون الله ولا رســوله ولا المؤمنين وليجــــة »** ومن قبيلة حمير زيلنا بمعنى ميزنا فى قوله **« ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنـــا بينهم »** وينغضون بمعنى يحركون فى قوله سبحانه **« فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة ، فسينغضون اليك رءوســـهم »** ، ويتركم بمعنى ينقصكم فى قــوله سبحانه : **« والله معكم وان يتركم أعمالكم»** ومدينين بمعنى محاسبين فى قوله سبحانه **« فلولا ان كنتم غير مدينين »** .

ومن قبيلة جرهم كدأب بمعنى أشباه فى قوله تعالى **« كدأب آل فرعون »** وتعولوا بمعنى تميلوا فى قوله ســبحانه **« ذلــك أدنى ألا تعــولوا »** وشرد بمعنى نــكل فى فى قوله تعــالى : **« فشرد بهم من خلفهم »** وريع بمعنى طــريق فى قوله تعالى **« أتبنون بكل ريع آية تعبثون »** وحدب بمعنى جانب فى قــوله ســبحانه **« حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون »** .

ومن أزد شنوءة العضــــل بمعنى الحبس **« ولا تعضـــــلوهن »** والرس البئر **« وأصــحاب الرس وثمود »** وغسلين الحــار الــذى تناهى حره ، فى قــوله تعــالى : **« فليس له اليــوم ههنا حميم ، ولا طعام الا من غســلين »** ومن قبيلة مدحج الخرطوم أ الأنف فى قوله تعــالى **« سنسـمه على الخرطوم »** وحقبا بمعنى دهرا فى قوله سبحانه **« لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا »** ومن قبيــلة خثعم هلوعــا بمعنى ضجورا فى قــوله ســبحانه **« ان الانسان خلق هلوعا »** وشــطـطا بمعنى كذبا فى قوله سبحانه **« وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا»** .

ومن قيس غيــلان نحــلة بمعنى فريضة ، فى قوله سبحانه **« وآتوا النساء صدقاتهن نحلة »** وحــرج بمعنى ضــيق ، فى قــوله سبحانه **« كتاب أنزلناه اليك فــلا يكن فى صدرك حرج منه »** وصــياصيهم بمعنى حصونهم فى قوله ســبحانه **« وأخرج الــذين ظــاهروهم من**

أهل الكتاب من صياصيهم » ومن قبيلة كنده فجاجا بمعنى طرقــا **فى** سبحانه « **لتسلكوا منها ســبلا فجاجا**» وبست بمعنى فتت **فى** قوله سبحانه « **وبست الجبــال بسا** » ومن قبيلة حضر مــوت منســأته بمعنى عصاه فى قوله ســبحانه « **مادلهم على مــوته الا دابـــة الأرض تأكل منسأته** » ولغــوب بمعنى اعياء « **ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ســتة أيام وما مسنا من لغوب** » ٠

الى غير ذلك من كلمات القبائل العربية ، وما أكثرها ٠

ولهذا ٠

فان جمهور العلمــاء ومنهــم الشافعى والطبرى قالوا : ان غير العربى لم يقع فى القرآن ودليهم « **قرآنا عربيا** » ، « **وما أرسلنــا من رسول الا بلسان قومه** » ، وما ورد عن ابن عباس وغــيره ، من تفسير ألفاظ بالفارسية أو الحبشية، أو النبطيــة وغــيرها ، فمرادهم بــذلك ، أن العــرب كــانت لهم تجارات ، ورحلات ، وأسفار الى هــذه البــلاد واختــلاط بأهلها ، فأخذوا عنهم، ألفاظا تداولوها فيما بينهم ، وارتضوها ونطقوا بهــا فى أشعارهم ، ومحاوراتهم وأطــلق عليها الألفاظ المعربة ٠

وممن اختلط بهم العرب بــلاد فارس ، ومن الكلمات التى أخذوها عنهم كلمة استبرق فى قوله سبحانه « **متكئين على فرش ، بطائنها من استبرق** » وهو ما غلظ من الديباج وخشن ، وثياب الحــرير عرفهــا العرب من بلاد فارس ، ولم يكن لهم معــرفة بها من قبــل ، كمــا اختلطوا ببــلاد الحبشــــة ومن الــكلمات التى أخذوهــا عنهــم وعربوها كلمة مشــكاة فى قــوله سبحانه « **مثل نوره كمشــكاة** » والمشكاة هى الكوة فى الحائط غير النافذة ، وكلمة قســــورة بمعنى الأسد ، فى قوله ســبحانه « **فرت من قســورة** » وكلمــة كفلين أى ضعفين فى قوله سبحانه « **يؤتكم كفلين من رحمته** » ٠

كما اختلطوا ببلاد الروم ، ومن الكلمات التى عربوها عنهــم كلمة

قسطاس فى قوله سبحانه « وزنوا بالقسطاس المستقيم » والمراد به الميزان ــ كما كان لهم اختــلاط بأهل اليمن ، ومما عربوه عنهــم كلمة سامدون ، وقد ســـئل ابن عباس عنها فقال المراد بها الغنـــاء وهى يمنية ، وقد ذكرت فى قـــوله سبحانه « أفمن هــذا الحــديث تعجبون وتضحكون ، ولا تبكون ، وأنتم سامدون » وقد قال عكرمة عن الكلمة انها حميرية وهذا يؤكد أنها يمنية الأصل ، ثم استعملتها هذه القبيلة فصارت عربية ٠

ومن الكلمات اليمنية كلمة لا وزر بمعنى لا حيلة ، فى قوله سبحانه « كــلا لا وزر الى ربك يومئـــذ المستقر » ٠

كما اختلط العرب بأهل عمان ، وهــم يســمون العنب خمــرا ، وارتضى العرب ذلك وعليه نــزل قوله ســبحانه « انى أرانى أعصر خمرا » وكلمة بورا بمعنى هلكى ، فى قوله ســبحانه « وكنتم قــوما بورا » ٠ وممن اختلطوا بهم بلاد الهند وعندهم أبلع بمعنى اشرب ، وارتضى العرب ذلك ، ومنه قــوله تعالى « وقيل يا أرض ابلعى ماءك » كما اختــلطوا ببــلاد المغــرب ، وعندهم اناه بمعنى نضجه ، وعليه نزل قوله سبحانه « يأيهــا الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى ، الا أن يؤذن لكم الى طعــام غـــير ناظرين اناه » ٠

هذا ٠

ويجب العلم أن الكلمة القرآنية، متمكنة غاية التمكن فى الجمــلة ، ولو اجتمعت الدنيا على تبديل كلمة بأخرى ، أو زيادة كلمة ، أو حذف كلمة لاختـــل المعنى ، وفقــدت الكلمة فصاحتها ، وفقد الأسلوب بلاغته ٠

وخلاصــة هذا الــكلام ، أن القرآن عربى ، وان وجدت فيــه كلمات أصلها غير عربى ، ذلك أنها بالاستعمال والتــداول ، صــارت عربية ٠

وقد حكى أبو عبيد القاسم بن سلام خلافا فى هذه الألفاظ ثم قال:

والصواب عندى مذهب فيه تصديق القولين ، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية ، كما قال الفقهاء ، الا أنها سقطت الى العرب ، فعربتها بألسنتها وحولتها، عن ألفاظ العجم ، الى ألفاظها ، فصارت عربية ، ثم نزل القرآن ، وقد اختلطت هذه الحروف ، بكلام العرب ، فمن قال انها عربية فهو صادق ومن قال أعجمية فهو صادق قال ابن فارس : القول ما قاله أبو عبيد (١) ٠

دكتور

عبد الباسط بلبول

---

(١) انظر الاتقان للسيوطى ج ١ ص ١٣٧ ومابعدها ٠ الطبعة الثانية ٠ الازهرية ٠

الإخاء الإسلامى

للأستاذ / أحمد عبد الرحيم السايح

الاخاء الاسلامى •• هو الأصل الأصيل فى بناء دولة الاسلام ، وقيام الأمة الاسلامية •• ولقد كان العرب — قبل الاسلام — والناس معهم على شفا حفرة من النار • متشاكسون ، متنافرون ، متحاربون • سنين طويلة ، من أجل ناقة • فنزلت الآيات •• قيل لهم : تحابوا • قيل لهم :

تآخوا • فتآخوا •• ثم قيل لهم : انفروا • فهبوا خفافا وثقالا •• تنزلت الآيات •• فقالوا : سمعنا وأطعنا • ومؤمنو مكة ، على اختلاف قبائلهم ما عرفنا لهم اسما فى التاريخ الا المهاجرين ومؤمنو المدينة على اختلاف قبائلهم ما عرفنا لهم أسما فى التاريخ الا الانصار فاذا بالفرقاء والمتشاكسون دولة » (١)

والاسلام لم يكتف باطلاق اسم المهاجرين ، على المؤمنين من أهل مكة الذين هاجروا الى المدينة •• ولم يكتف أيضا باطلاق اسم الأنصار على قبيلتى الأوس والخزرج ، أبناء قيلة •• مع أن اطلاق اسم الانصار والمهاجرين كافيا لاعطاء العمق الاسلامى الأصيل •

لم يكتف الاسلام بهذا • ولذا نجد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يبدأ فى البناء الأخوى الكامل ، ليقيم دولة الاسلام ، على أساس سليم •

---

(١) مجلة البحوث الاسلامية . العدد الأول . ص ١٦ .. الرياض .

قال ابن اسحاق : « وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بين أصحابه من المهاجرين والانصار » فقال فيما بلغنا : « تآخوا فى الله أخوين أخوين » (١) .

قال تعالى « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » (٢) .

لقد بلغ المسلمون الأوائل فى الايثار — بكل ماتشمله كلمة ايثار من معنى ومفهوم ومدلولى — بلغوا درجة عليا ، ومكانة عظمى . بما وقر فى قلوبهم من ايمان ، وبما أشرق فى نفوسهم من يقين . ان قوة الايمان بالله ، والتصديق برسوله صلى الله عليه وسلم ، تجعل النفس الانسانية ، تشرق بالكثير من صفات الخير ، وتتخلق بالآداب والفضائل العظيمة ..

ولقد صنع ذلك الايمان وهذا التصديق ، جماعة اصطبغ سلوكهم بالشمائل الجليلة .. فكانوا يؤثرون اخوانهم بأموالهم ، وديارهم ، على أنفسهم ، ويتنازلون عن قسمهم فى الغنائم من أجلهم ، ويقدمون حاجة اخوانهم على حاجتهم ، حيالهم ، ورغبة فى اخوتهم (٣) .

والايثار فى الاسلام هو : تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية رغبة فى الحظوظ الدينية وذلك ينشأ عن قوة اليقين . وتوكيد المحبة ، والصبر على المشقة ، يقال : أثرته بكذا أى خصصته به وفضلته (٤) .

والذين سكنوا المدينة ، وأشربت قلوبهم حب الايمان ، من قبل هجرة أولئك المهاجرين .. لهم

---

(١) سيرة النبى . لابن هشام . الجزء الثانى ص ٣٥١ .
(٢) سورة الحشر . آية رقم ٩ .
(٣) الدين والحياة ع ١١٩ ص ٦ . وزارة الأوقاف المصرية .
(٤) تفسير القرآن . للامام القرطبى ج ١٨ ص ٢٤ .

صفات كريمة وشيم جليلة ، تدل على كرم النفس ونبل الطباع (١) ولذا كانوا يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ، ويبدءون بالناس قبلهم . وفى حال احتياجهم الى ذلك .. وهؤلاء تصدقوا وهم يحبون ماتصدقوا به ، وهؤلاء أثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم الى ما أنفقوه (٢) .

وجاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قسم أموال بنى النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر : أبا دجانة سماك بن خرشة ، وسهل ابن حنيف ، والحارث بن الصمة . وقال لهم : « ان شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم ، وشاركتموهم فى هذه الغنيمة . وان شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شىء من الغنيمة » .

فقالت الأنصار : بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ، ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها (٣) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصار : « ان اخوانكم قد تركوا الأموال والاولاد وخرجوا اليكم » ..

فقالوا : أموالنا بيننا قطائع .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو غير ذلك ؟ قالوا : وما ذاك يارسول الله ؟ .

قال : « هم قوم لايعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم التمر » . فقالوا : نعم يارسول الله .. (٤) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قالت الأنصار للرسول صلى الله عليه وسلم : أقسم بيننا وبين اخواننا النخيل . فقال الرسول : لا . فقالوا : المهاجرون ــ أتكفوننا

---

(١) تفسير القرآن للامام المراغى ج ٢٨ ص ٤٣ .
(٢) تفسير القرآن العظيم . لابن كثير . ج ٤ ص ٣٣٨ بتصرف .
(٣) الكشاف . للزمخشرى . ج ٤ ص ٨٤ .
(٤) تفسير القرآن العظيم . لابن كثير ج ص ٣٣٨ . رواه عبد الرحمن ابن زيد بن اسلم .

المؤنة ونشرككم فى الثمرة ؟ قالوا : سمعنا وأطعنا » (١) .

نعم .. ان الايمان الصادق اذا صادف قلوبا ، هيئت له ، تمكن فيها ونما وترعرع ، وأشرقت أثاره على من حولها ، وسعى أصحاب هذه القلوب المؤمنة ، فى بذل ما يرضى من حولهم من المسلمين .

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من خيرة من تمسك بفضيلة الايثار حرصا على اخوة الاسلام ، وتوادد فى ظلال الايمان .. قال تعالى : « **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** » (٢) .

وقال تعالى : « **والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم** » (٣) .

والمؤاخاة فى الناس ، قد تكون على وجهين (٤) ..

أحدهما : أخوة مكتسبة بالاتفاق الجارى مجرى الاضطرار ..

والثانية : أخوة مكتسبة بالقصد والاختيار ..

فأما المكتسبة بالاتفاق .. فهى أوكد حالا ، لأنها تنعقد عن أسباب تعود اليها .. والمكتسبة بالقصد ، تعقد لها أسباب ، تنقاد اليها ، وما كان جاريا بالطبع ، فهو ألزم مما هو حادث بالقصد ..

أما المكتسبة بالاتفاق ، فله أسباب : ماهوى الا له سبب .. يبتدى منه وينشعب ..

وأول أسباب الاخاء : التجانس فى حال يجتمعان فيها ، ويأتلفان بها . ان قوى التجانس ، قوى الائتلاف به ، وان ضعف كان ضعيفا ، مالم تحدث عليه علة أخرى ، يقوى بها الائتلاف .

وانما كان كذلك ، لأن الائتلاف بالتشاكل ، والتشاكل بالتجانس ،

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٣٣٧ ، والحديث رواه البخارى .

(٢) سورة الفتح . آية رقم ٢٩ .

(٣) سورة الانفال آية رقم ٨٥ .

(٤) أدب الدنيا للماوردى ص ١٤٠ ط ١٧ المطبعة الاميرية ١٣٤٦ هـ .

فاذا عدم التجانس من وجه انتفى التشاكل من كل وجه ، ومع انتفاء التشاكل يعدم الائتلاف •• فثبت ان التجانس وان تنوع أصل الاخاء • وقاعدة الائتلاف •

وقد روى يحى بن سعد عن عمر ، عن عائشة رضى الله عنها ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها أئتلف ، وما تناكر منها اختلف » فالأرواح بالتجانس متعارفة ، وبفقده متناكرة • قال الشاعر :

فلا تحتقر نفسى وأنت خليها
فكل امرىء يصبو الىمن يشاكل

وقال آخر :

فقلت أخى • قالوا : أخ من قرابة
فقلت لهم : ان الشكوك أقارب
نسيبى فى رأيى وعزمى وهمتى
وان فرقتنا فى الأصول المناسب

ثم يحدث بالتجانس • المواصلة بين المتجانسين • وهى المرتبة الثانية من مراتب الاخاء • وسبب المواصلة بينهما وجود الاتفاق بينهما ، فصارت المواصلة نتيجة التجانس •• والسبب فيه وجود الاتفاق • لأن عدم الاتفاق منفر • وقد قال الشاعر :

الناس ان وافقتهم عذبوا
أولا فان جناهم مر
كم من رياض لا أنيس بها
تركت لأن طريقها وعر

ثم يحدث عن المواصلة رتبة ثالثة وهى المؤانسة ، وسببها : الانبساط •

ثم يحدث عن المؤانسة رتبة رابعة وهى المصافاة ، وسببها : خلوص النية •• ورتبة خامسة •• وهى المودة وسببها الثقة • وهذه الرتبة هى أدنى الكمال ، فى أحوال الاخاء ، وما قبلها أسباب تعود عليها ، فان اقترن بها المعاضدة •• فهى الصداقة ، ثم يحدث عن المودة رتبة سادسة ، وهى المحبة ، وسببها : الاستحسان ، فان كان — الاستحسان لفضائل النفس ، حدثت رتبة سابعة ، وهى الاعظم• وان كان الاستحسان للصورة والحركات حدثت رتبة ثامنة ، وهى العشق ، وسببه : الطمع ، وقد قال المأمون رحمه الله تعالى •

أول العشق مزاح وولع

ثم يزداد اذا زاد الطمـــــع
كل من يهوى وان عـــالت بـــه

رتبـــة الملك لمـــن يهـــوى تبع

وهذه الرتبة آخـــــر الترتب المعدودة . وليس لما جاوزها رتبة مقدرة ، ولا حالة محدودة ، لانها قد تؤدى الى ممازجة النفــوس ، وان تميزت ذواتها . وتفضى الى مخالطة الأرواح ، وان تفــارقت أجسادها .. وهذه حالة لا يمكن حصر غايتها ، ولا الوقوف عنــــد نهايتها .. وقد قال الكنــــدى : الصديق انسان هو أنت الا أنـــه غيرك ..

ومثل هذا المروى عن أبى بكــر الصديق رضى الله عنـــــه ، حين أقطع طلحة بن عبيد الله أرضــا ، وكتب له بها كتابا ، وأشهد فيـــه ناسا ، منهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأتى طلحة بكتابه الى عمر ليختمه ، فامتنع عليه عمـــــر .. فرجع طلحة مغضبا الى أبى بكــر رضى الله عنه ، وقال : والله مــا أدرى أنت الخليفة أم عمر ؟ فقال: بل عمر لكنه أنا (١) ..

وأما المؤاخاة المكتسبة بالقصد .. فلا بد لها من داع يدعو اليها، وباعث يبعث عليها .. وقد يكون الداعى لها من وجهين : رغبـــــة ، وفاقة .. فأما الرغبـــة : فهى أن يظهر من الانسان فضائل تبعــث على اخائه ، ويتوسم بجميل يدعو الى اصــطفائه .. وأما الفــاقة : فهى أن يفتقر الانسان لوحشــــة انفراده ، ومهانة وحــــدته ، الى اصطفاء مــن يأنس بمــؤاخاته ، ويثق بنصرته وموالاته (٢) .

وأعز ما تملكه الجمــــاعات .. الاخاء فهو الرصــــيد الثابت ، والقاعدة الصلبة والمرتكز الصاعد.

والأخوة فى الاسلام ، قاعــدة الحياة ولا حياة بدون اخــــاء ، واخوان .. والأخوة فى الاســلام فوق كل الحواجز الجنســـية ، والعرقية ، والقومية ، والحزبية ، والسياسية .. وهى فى الاســلام

(١) ادب الدنيا والدين ص ١٤٣ .
(٢) المصدر نفسه . بتصرف ص ١٤٢ .

تقوم على أصول أصيلة ، وقواعد متينة ..

ومن ذلك وحدة الأصل الانسانى فالناس جميعا على اختلاف أجناسهم ، وتمايز ألوانهم ، وتباعد أقطارهم .. يرجعون الى أب واحد ، وأصل واحد ولطالما ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة وبينها فى أساليب شتى ، وآيات متعددة لكى تكون دائما موضع الاعتبار ، والرعاية .

قال تعالى : « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** » (١) .

فهذه الآية العظيمة ــ كما ترى ــ تقرر أصلا من أصول الاسلام ، وهو المساواة بين الناس .. ولقد قررت هذه الآية ، مبدأ ضخما من المبادىء الانسانية السامية .. فهى من معجزات هذا القرآن العظيم الذى أنزله الله ضياء للناس ونورا ، يهتدون به وبرهانا ساطعا ينير السبل أمامهم (٢) ..

وكان العالم قبل انبثاق نور الاسلام . يموج فى الظلم ، ويضطرب فى الفساد ، وتسوده الهمجية ، والعصبية الجاهلية ، وتخيم عليه ضلالات العصور القديمة ، وقد نشر الرعب أجنحته على الدنيا وزاد الفساد ، وتفاخر بالأنساب ، وعاشوا تحت ظل نظام الطبقات ..

فى هذه الظلمة الداكنة ، ينبثق فجر الاسلام ، فتبدد أنواره ، تلك الغيوم السوداء .. وتتنزل هذه الآية الكريمة ، لتقرر مبدأ انسانيا عظيما .. وهو اعلان المساواة بين البشر ، كل البشر (٣) ..

ويهتم القرآن الكريم بالانسانية والبشرية ، اهتماما يفوق حد الوصف . وهذه كلمة « الناس » يتكرر استعمالها فى أساليب القرآن الكريم نحوا من مائة وأربعين مرة

---

(١) سورة الحجرات . آية رقم ١٣ .

(٢) نظرات فى سورة الحجرات . للشيخ محمد محمود الصواف . ص ١٤٧ طبع مؤسسة الرسالة .

(٣) المصدر السابق ص ١٤٨ .

.. كثير منها جاء خطابا للبشر عموما ، وكثير منها ورد دالا على الجنس البشرى ..

وهذه أيضا كلمة « الانسان » تستعمل فى آيات القرآن الكريم ، فى أكثر من ثمانين موضع .. فى أساليب متنوعة ، عائدة بالمفكر والعاقل ، الى أصل الانسان ، ولا شك أن — استعمال « الناس » و « الانسان » بهذا الاهتمام يخلق فى المسلم انسانية ، تعجز عن الوصول اليها أساليب رجال التربية الحديثة ، أمثال : جان جاك روسو ، وهربارت سبنسر ، وجون ديوى ، ووليم جيمز .. وغيرهم من فلاسفة التربية ، حتى كلمة البشر الدالة على الجنس الانسانى الواحد ، تستعمل فى القرآن الكريم ، فى أكثر من خمس وثلاثين آية . وهكذا يهتم القرآن الكريم، بكل ما من شأنه أن يوقظ فى الناس أحاسيس الانسانية ، ويربى الخلق الانسانى .. والاسلام جاء ليقيم بين البشر رابطة الانسانية القائمة على ارتباط البشر جميعا بالله خالق الأرض والسموات ..

« وفى انشاء جميع البشر من نفس واحدة ، آيات بينات على قدرة الله وعلمه وحكمته ووحدانيته .. وفى التذكير بذلك ايماء الى مايجب من شكر نعمته وارشاد الى ما يجب من التعاون والتعارف بين البشر ، وأن يكون هذا التفرق الى شعوب وقبائل مدعاة الى التأليف . لا الى التعادى والتقاتل وبث روح العداوة والبغضاء بين الناس »(١)

وعن أبى مالك الاشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ان الله لا ينظر الى أحسابكم ، ولا الى انسابكم ، ولا الى أجسامكم ولا الى أموالكم . ولكن ينظر الى قلوبكم ، فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه وانما أنتم بنو آدم وأحبكم اليه أتقاكم » (٢)** .

والمسلمون هم أحق الناس بالحفاظ على الأخوة ، وأجدر

(١) تفسير الشيخ المراغى . الجزء السابع ص ٢٠١ .
(٢) التاج الجامع للاصول . الجزء الاول ص ٦١ .

الناس باتباع هدى القرآن وتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم .. ومن الأصول الأصيلة .. للأخوة فى الاسلام .. وحدة العقيدة ..

ووحدة العقيدة من أهم الركائز لوحدة المسلمين ، وتكامل اخوتهم. وعقيدة المسلمين واحدة ، لا تختلف باختلاف جنس من الاجناس ، أو لون من الالوان ، أو مصر من الأمصار أو جيل من الاجيال ، أو زمن من الازمان . هذه العقيدة قائمة وتقوم على الايمان بالله ، وبرسول الله وبكل مافى القرآن .. وأن الاسلام هو الاسلام .. والقرآن هو القرآن .. ومن آيات العقيدة فى القرآن .. قول الله تعالى : **« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البرمن آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وأتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » (١) .**

قال الامام ابن كثير : اشتملت هذه الآية على جمل عظيمة ، وقواعد عميمة وعقيدة مستقيمة(٢)

والآية كما نرى مشتملة على خمسة عشر خصلة .. وترجع الى ثلاثة أقسام : فالخمسة الأولى منها تتعلق بالكماليات الانسانية التى هى من قبيل صحة الاعتقاد ، وآخرها قوله : « **والنبيين** » وافتتحها بالايمان بالله واليوم الآخر .. لأنهما اشارة الى المبدأ والمعاد .

والستة التى بعدها .. تتعلق بالكماليات النفسية التى هى من قبيل حسن معاشرة العباد . وأولها (وآتى المال) وآخرها (وفى الرقاب) ..

---

(١) سورة البقرة . آية رقم ١٧٧ .
(٢) تفسير القرآن . لابن كثر . الجزء الاول ص ٢٠٧ .

والاربعة الاخيرة ، تتعلـــق بالكماليات الانســانية التى هى من قبيل تهذيب النفس وأولها (وأقام الصلاة) وآخرها «وحين البأس» ولعمرى من عمل بهذه الآية فقــد استكمل الايمـــان ، ونال أقصى مراتب الايقان (١) ..

وعقيدة الاسلام .. واحدة لدى كل المســلمين فى شرق الارض وغربها ، وشمالها وجنوبهـــا . تجتمع عليها قلوبهم ، وتحفظهــا عقولهم ، وتستيقنها نفوســهم ، ووحدة العقيدة .. جددت بيــن المسلمين مامضى من قرابة الــدم القائمة بينهم ..

واذا كانت أبوة آدم عليـــه السلام ، أبوة مادية ، تجمع بيــن الامة الاسلامية ، وتوحد بينها فى الاصل .. فان العقيدة الاسلامية هى أبوة روحية ، ترجع اليها فروع المؤمنين .. والحــق أن المــؤمن حينما يستشعر جلال هذا الاصل الروحى ، الذى يجمعه واخوانه ، المؤمنين فى مشـــــارق الأرض ومغاربها الى جانب الأصل المادى الــذى يرجعــه معهم الى أبــوة واحدة . فانه حينئذ يشــعر أنــه انما يحيا باخوانه ، ويحيا لهـــم ويحس كأنه غصن من أغصـــان شجرة عظيمة يحيا بحياتها ويموت بموتها (٢) .

وان رابطة العقيدة فى الاسلام — وهى رابطة فى المبادىء ، والمثل العليا ، والقيم الرفيعـــة — من أقوى عوامل التقدم والازدهار .

وتلك التعاليم هى أعلى وأقوى من رابطة الدم ، والنســـب ، والمساكنة ، فى الوطن والمشاركة فى القومية .. وهذا الاساس هـــو المنطلق الوحيد ، للخـــروج من قوقعة الأنانيات الفردية والقبليــة والقومية .. الى صعيد اللقـــاء الانسانى ، على أساس المبادىء . مبادىء الحق ، والعدل والخير .. وفى هذا الاطـــار التربوى النفسى ذاته ، عالج الاســـلام النفس

---

(١) تفسير القرآن للالوسى . الجزء الاول ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ .
(٢) المسلمون أمة واحدة . عدد رقم ١٠١ ص ١٣ (الدين والحيــاة) وزارة الأوقاف .

الانسانية اعدادا لها ، لتحقيـــق التعارف ، والتعاون •• فعالـــج آفاتها وأمراضها الحـــائلة ، دون التعاون كالحقد والحسد والغـل، التى تثيرها دوافع النفعية للذات الفردية أو القبلية أو القومية (١)•

والأصـــل الثـــالث ، فى أصول الاخوة الاسلامية •• وحدة مصدر التشريع •• ومصدر التشريع واحد لدى المسلمين •• وهـــو القـــرآن الكريم • كتاب الله ، الذى أنزلـــه ليكون دستور الخالق فى اصـــلاح الخلق •• ينظم الحياة ، ويعـــالج النفوس ، ويقوم اعوجاج المجتمع ، قال تعالى : « **وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصــــدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنـــا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعـــا فينبئكم بمـــا كنتم فيـــه تختلفون ،وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهـــواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصـــيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون** » (٢) •

وقـــال تعـــالى « **ذلـــك الكتاب لا ريب فيه هـــدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصـــلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والـــذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخـــرة هم يوقنـــون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون** » (٣) •

وقال تعالى : « **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل الســـلام ويخرجهم مـــن الظلمات الى النور باذنه ويهـــــديهم الى صراط مستقيم** » (٣)

---

(١) استراتيجية العالم الاسلامى . ص ٩٥ وزارة الحج والاوقـــاف ١٣٩١ هـ مكة المكرمة .

(٢) سورة المائدة . الايتان ٤٨ ، ٤٩ .

(٣) سورة المائدة . الايتان ١٥ ، ١٦ .

وأن الله عز وجـل ذكر للنور ثلاث فوائد :

الأول : أنه يهدى به الله مـن اتبع رضوانه سبل السلام • اى من اتبع منهم ما يرضيه تعـالى بالايمان بهذا النور ، يهديه الطريق التى يسلم بها فى الدنيا والآخرة ، من كل ما يريده ويشقيه فيقوم فى الدنيا بحقوق الله تعالى وحقـوق نفسه الروحية والجسدية ، وحقوق الناس ، فيكون متمتعا بالطيبـات مجتنبا للخبائث ، نقيا مخلصـا ، صـالحا ، مصـلحا •• ويكون فى الآخرة ، سعيدا ، منعما ، جامعا ، بين النعيم الحسى • الجسـدى ، والنعيم الروحى العقلى •• الثانية: الاخـراج مـن ظلمات الجهـل والوثنية ، الى نور التوحيـد الخالص •• حيث يصبح الانسان حرا كريما بين الخلق ، عبدا خاضعا بين يدى الخالق وحده •

الثالثة : الهـداية الى الصراط المستقيم ؛ وهو الطريق الموصـل الى المقصد والغاية من الدين ، فى أقرب وقت ، لانه طريق لا عـوج فيه ، ولا انحراف ، فيبطىء سالكه أو يضل فى سيره •• وهو أن يكون الاعتصام بالقرآن الكريم عـلى الوجه الصحيح الـذى أنزله الله تعالى لأجله • بأن تكون عقائده ، وآدابه ، وأحكامه ، مؤثرة فى تزكية النفس ، واصـلاح القلوب ، واحسان الاعمال •• وثمرة ذلـك سعادة الدنيا والآخرة ، بحسـب سنن الله فى خلق الانسان •• (١)

والقرآن الكريم هو وحده القادر على تحديد علاقة الانسان بالوجود كله والقرآن الكريم •• هو وحده القادر عـلى أن يرسم للمجتمع الاسلامى •• الخطوط السليمة ، ويضـع له الحـوافظ التى تحفظ الانسانية ، من التردى والهلاك •

والقرآن الكريم •• هو وحـده الذى توجـد فيه الحلول المنطقية المقبولة لكل ما وراء الحـواس •• وهو وحده الذى توجد فيه الحلول العملية لكل الجوانب وبهـذا كان القرآن الكريم •• غنيا بكل جوانب

---

(١) تفسير المنار . الجزء السادس . ص ٣٠٥ •

الحياة ، الروحية ، والعقلية ، والجسمية ••

والقرآن الكريم **هو وحده القادر على** اذكاء روح الاخوة الاسلامية وتدعيم المحبة بين المسلمين ••

وما دام القرآن الكريم يعمل على وحدة الصف الاسلامى ••• فلا غرو أن يأمر الله المسلمين ان دب بينهم نزاع بأن يرجعوا الى كتاب الله ••

قال تعالى : **«يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا »** فالرجوع عند التنازع فى أى أمر الى كتاب الله ، وسنة رسول الله شرط فى الايمان • وذلك كله خير محض لا شر فيه أبدا ••

ومن العجيب أن تشاهد تنازعا واختلافا بين الاخوة المسلمين ، يؤدى الى تحرك أجهزة الاعلام كلها ، لتلقى الشتائم والسباب ، والتهم •• وان هذا الامر محزن ومؤلم •• ولا يصح أن يكون بين المسلمين •• ولا شك أن المذاهب الهدامة والأحزاب البغيضة لها أثر فعال فى توسيع هوة الخلاف والاختلاف ••

والمسلمون اخوة بنص القرآن الكريم قال تعالى : **« انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون »** (٢) اخوه فى الدين والحرمة لا فى النسب • ولهذا قيل : اخوة الدين أثبت من أخوة النسب ، فان أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب • (٣)

وأخوة الدين أحق وأجدر أن يهتم لها ، ويصلح ما بين المؤمنين • لأنها اخوة بنص كتاب الله تعالى • والله سبحانه وتعالى هو الذى عقد هذه الأخوة وما عقده الله تبارك وتعالى لا تحله يد بشر ، مهما قويت ، وسطت ، وظلمت •

---

(١) سورة النساء . آية رقم ٥٩ .
(٢) سورة الحجرات • الآية رقم ٥٩ •
(٣) الجامع لأحكام القرآن • للقرطبى • ج ١٦ ص ٣٢٢ •

ومن عجيب أمر هذه الآية الكريمة، أنها جاءت وكأنها قررت أمرا واقعا مفروغا منه ، لا يرد ولا يصد . فقالت : « انما المؤمنون اخوة » هذا حكم الله ، وهكذا أخبر عن هذا العقد الذى ربطه فى السماء بين المؤمنين مهما اختلفت أجناسهم ، وتباينت لغاتهم ،وتباعدت اقطارهم وتناءت ديارهم فهم اخوة ، تجمعهم عقيدة خالدة ، ورسالة واحدة . وهكذا جاءت الجملة خبرية ، تقرر واقعا عظيما وتخبر عنه . فقالت : « انما المؤمنون اخوة » ولم تأت الجملة انشائية اذ لو جاءت الآية انشائية ، لكانت الاخوة غير موجودة . ولكنه عز وجل ربط قلوب المؤمنين برباط واحد ، وعقد هذا الرباط ، ثم أخبر عن هذه الحقيقة الثابتة الواقعة ، وقضى فيها بحكمة فقال : « انما المؤمنون اخوة» ثم ثنى بتقرير هذه الحقيقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : « المسلم أخو المسلم أحب او كره » .. كما قال عليه الصلاة والسلام : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يعيبه ، ولا يتطاول عليه فى البنيان، فيستر عنه الريح الا باذنه ، ولا يؤذيه بقتار قدره » .

وفى سنن أبى داود ، عن ابى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « المؤمن مرآة المؤمن . المؤمن أخو المؤمن ، يكف عنه ضيقه ويحوطه من ورائه » ..

وهكذا فهم الصحابة الكرام هذه الاخوة ، وعاشوا فيها ولها ، وأصبحوا بفضل الله تعالى اخوانا .. دعوتهم واحدة ، وأمرهم واحد .. تقاسموا الحب فيما بينهم وآثروا اخوانهم على أنفسهم . فقاسموهم الأموال ، ووصلوا الى درجة من الايثار،ان يقول الصاحب لصحابه . هذا مالى جعلته بينى وبينك . وهاتان زوجتاى اختر أيتهما تشاء لتتزوجها أنت (١) .

---

(١) راجع نظرات فى سورة الحجرات ص ١٠٧ ، ١٠٨ للشيخ الصواف .

والأخوة فى الاسلام • أسلوب تربوى وسلوك عملى • يسمو بالمسلمين ، ويصل بهم الى ذروة مراقى الفلاح والنصر ••

وآثار الأخوة تبدو واضحة فى التعاون الذى قام بين المسلمين ، فجعل منهم أمة واحدة •• تخوض المعارك بايمانها بالله وبنصر الله•

وسوف يبقى المسلمون فى أشد الحاجة الى الاخوة الاسلامية ، لانها السياج الذى يقى المجتمع من التعثر والتبعثر •

والأمة الاسلامية تحتاج الى الجامعة الاسلامية المتكاملة فى الاخاء الاسلامى • الذى لا يعرف ولا يعترف بالحزبية ، ولا العصبية، ولا القومية ، ولا الاقليمية ، ولا المذاهب الفكرية •

وقد أتم الله للمسلمين •• وحدة الأصل •• ووحدة العقيدة •• ووحدة المصدر •• ووحدة الشعور •• ووحدة الصف •• ووحدة العادات •• ووحدة العبادات ••

وكانت آثار ذلك واضحة ، سواء فى معارك بدر ، والقادسية ، واليرموك وحطين وعين جالوت ، والعاشر من رمضان • وغير ذلك من معارك المسلمين التى خاضوها فى سبيل الله ••

وسواء فى الحب فى الله ، والتعاون المثمر ، والتكامل ، والمساواة ، والعدل والشورى ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر •

ومن منطلق الاخوة الاسلامية • كانت أمتنا وما زالت تملك رصيدا ضخما ، يمكن استثماره ، لتحقيق الاخاء الاسلامى العظيم والذى يجعلنا نحس باخواننا المسلمين فى كل مكان •

والذى يجعلنا أيضا نعتز بالانتماء الاسلامى ، ونرفض كل ما عدا الاسلام من الماركسية والتقدمية • وغيرهما من الأسماء التى أبدعها القاموس الشيوعى الالحادى •

وسوف نحقق ما نأمله فى ظلال الاسلام •• وقوتنا رهينة بتمسكنا بالاسلام •• وقد أثبت التاريخ والتجربة أن الاسلام خير ماعرفته الانسانية ••

أحمد عبد الرحيم السايح

مكانة العلوم اللغوية فى تفسير الواحدى

للدكتور جودة محمد المهدى

تقوم مناهج التفسير على أسس نظرية تحددها الملكة الفطـــرية والمكونات العلمية عند المفسر فنجد ثلة من المفسرين يلتزمون بالمنهـج الأثرى النقلى تحرجا من الخوض بالرأى فى تأويل النص القرآنى .

على حين أننا نجد فريقا آخـر يدين بالمنهج العقلى ويؤمن بضرورة اعمال العقل فى فهم وتأويل التنزيل وفق ما يلتـــزم به من أسس ومبادىء على نحو ما نراه عنـــد مفسرى المعتزلة مثلا .

بينما نجد فريقا ثالثا ينتهـج المنهج اللغوى فى التفسير فيـولى الاهمية القصوى لتفحص أسرار اللغـة وسبر مدلولات الألفـــاظ والتعرف على المعنى فى ضوء الخبرة بالأساليب العربيـــة . وثم من يسلك المنهج النحوى فى استكشاف معطيات النص القـــرآنى فيعنى بالتعرف على أوجه الاعـــراب ومواقع الجمل والمفردات الى غير ذلك . ويتمثل هذا المسلك وما قبله بجلاء عند أصحاب المعـــانى من المفسرين كالفـــراء والزجـــاج وغـــيرهما .

كذلك شغف فريق آخر بالمنهج البلاغى فصرف وكده الى التعرف على الأسرار البلاغية وبيان مواطن الاعجاز فى النظم القرآنى وابراز ما احتواه التعبير القرآنى من قيم جمـــالية ممثلة فى الاستعارات الباهرة والتشبيهات الرائعـة التى تجسد المعنى فى أجمل صـــورة وأروع بيان وللزمخشرى القـــدح المعلى فى هذا الصدد .

ثم نجد الى جانب ذلك اتجاهات أخرى فى التفسير كالمناهج الفقهية والقصصية والعلمية الكونية وغيرها مما يثرى خزانة البحث القرآنى بضروب شتى من ألوان التفسير ومناهجه .

وهكذا تتنوع طرائق المفسرين قددا فى تناول كتاب الله تعالى بالدرس والتحليل وتتوفر هممهم على تطبيق تلك المناهج فى محاولات جادة ليؤكد كل منهم مثالية نظريته فى تفسير الكتاب المبين .

فماذا كانت نظرية مفسرنا الامام أبو الحسن على بن أحمد الواحدى (ت ٤٦٨ هـ) الذى شهد له أثبات العلماء بامامة القرن الخامس الهجرى فى تفسير القرآن الكريم؟؟ وما هو المنهج الذى ارتضاه لنفسه ليضيف بتطبيقه جديدا فى ميدان الدراسات القرآنية ؟؟

لقد أفصح الواحدى فى مقدمة تفسيره (البسيط) عن نظريته واتجاهه وتحدث عن دواعى تصنيفه هذا التفسير محددا مراميه من التأليف والجوانب التى يروم طرقها والضرب فى فجاجها ، من ثم رأيت أن أسجل ما حوته هذه المقدمة من أفكار وخواطر تصور اطار النظرية ومعالمها وتلقى مزيدا من الضوء على أبعادها ، وكذلك تدلل على صحتها بما يرفعها من نطاق النظرية الى حيز التقنين العلمى .

يقول الواحدى بعد أن استهل بالحمد لله والثناء والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وسلم) : ـ « .. وبعد :

فمنذ دهر تحدثنى نفسى بأن أعلق لمعانى اعراب القرآن وتفسيره فقرا فى الكشف عن غوامض معانيه ، ونكتا فى الاشارة الى علل القراءات فيه فى ورقات يصغر حجمها ويكثر غنمها والأيام تمطلنى بصروفها على اختلاف صنوفها الى أن شدد على خناق التقاضى قوم لهم فى العلم سابقة ، وفى التحقيق همم صادقة . فسمحت قرونتى بعد الاباء ، وزلت صعوبتى بعد النفرة والارتئاء . وذلك لتوفر أهل زماننا على الجهل . وظهور رغباتهم عن العلم الذى فيه شرف الدين والدنيا والاخرة والاولى).

وتظهر النزعة الارســــتقراطية العلمية عند الواحدى الذى نهــل من شتى ينابيع العلم ثم لم يجــد من الرفقاء من أوعية المعرفة الا قلة قليلة والبقية ما بين جاهل ودعى • والأدعياء كثــيرون !! ومنتشرون كالنباتات الطفيلية التى تعــوق امتداد الجذور الصالحة فى الأرض الخصبة • وهنا نجد الواحدى لــم يستطرد لبيــان هؤلاء الا لبيــان أن ظهورهم وانتشارهم كــان من أقوى دواعى التأليف •

يقول ــ والحديث عن العلــم والمنتسبين اليه ــ (فقل من ترى من المستحلين بعقــوده وقلائده ومنتحلى غرره وفرائده الا متشيعا كلابس ثوبى زور يبرق وبروقه غير صادقة يرعد وسماؤه غير وادقــة اللهم الا نفرا يقل عددهم عــن الاحصاء وتكثر فضائلهم عن الحصر والاستقصاء ، غير أنهم الأكثرون وان قلوا ، ومواضع الأنس حيث حلوا ، لان العلم وان أصــبح فى الناس وأظهروا عن منفرة وبتــوا فحرمته لاتضاع وسواق لا تراع ولن يخبو الشىء فى جنســه من عزته فى نفسه وان قل من يعتامه وعز من يطلبه ويستامه) ثم نــوه الواحدى ــ قبيل الافصاح عــن نظريته ومنهجه ــ باقتضاء المنهجية لدى الكثرة من مفسرى عصره رغم ولوعهم بحشد المعلومات وشغفهم بكثرة الكمية المرهقة دون ما طائل يثرى البحث القرآنى بخطة منهجية محكمة واضحة المعالم • الأمــر الذى عانى منــه المتطلعون الى الريادة والتجديد والعناية بالكيــف قبل الكم • وكان الواحدى لمنزلتــه فى العلم معقد أمل هؤلاء فقــال : (هؤلاء شــكوا الى غلظ همم المصنفات فى التفسير وان الواحدة منها تستغرق العمــر كتابتها ، ويستغرق الروح سماعها وقراءتها ثم لايحظى صاحبها ــ بعــد أن أنفق العمر فى تحصيلها بطائل تعظم عائدته وتعود عليه فائدته) •

من ثم حدد الواحدى نظــريته وأرسى أسس منهجه فى التفســير فقال : ــ

(ان طريق معرفة تفسير كــلام الله تعالى تعلم النحــو والأدب ، فانهما عمدتاه وأحكام أصــولها ،

وتتبع مناهج لغات العرب فيما يحويه من الاستعارات الباهرة والامثال النادرة والتشبيهات البديعة والملاحن الغريبة ، والدلالة باللفظ اليسير على المعنى الكثير مما لا يوجد مثله فى سائر اللغات)•

لقد ارتأى الواحدى أن علم التفسير منوط بالتبحر فى لغة الضاد أولا واتقان أصولها — وسبر أغوارها لمعرفة دقائقها وخوافيها والوقوف على أساليبها وتتبع مناهجها ثم التمرس فى دراسة آدابها ليزاوج بين الأصل النظرى والتطبيق العملى حتى يتسنى لمن يتصدى للتفسير بعد : أن يتذوق جمال التعبير القرآنى بما توفر له من دربة ومران وخبرة بخصائص التعبير ومميزاته المسجلة فى ديوان العرب ومأثور القول نثرا ونظما •

ثم يلفت النظر الى شدة حاجة المتآخرين — من المولدين الناشئين ومن لايعرفون لسان العرب — الى تعلم أصول اللغة ومعرفة المشكل والغريب حيث لم يعوز الصحابة الذين نزل فيهم القرآن الكريم علم ذلك لتوفره فيهم بالسليقة • فيقول :

« والله — تعالى ذكره — أنزل كتابه على قوم عرب أولى بيان فاضل وفهم بارع • أنزله جل ذكره — بلسانهم وصيغة كلامهم الذى نشأوا عليه وجبلوا على النطق به فتدربوا به يعرفون وجوه خطابه ، ويفهمون فنون نظامه ولا يحتاجون الى تعلم مشكله وغريب ألفاظه حاجة المولدين الناشئين مع من لايعلم لسان العرب حتى يعلمه ولا يفهم ضروبه وأمثاله وأساسه وطرقه حتى تفهمها » (١)•

وتعرض الواحدى فى حديثه لبيان ادوات التفسير التى توفرت للصحابة رضوان الله عليهم مع توفر الملكة اللغوية لديهم بالفطرة والسليقة • والتى ينبغى لمن يتصدى للتفسير أن يجد فى تحصيلها : — فقال

---

(١) مقدمة تفسير البسيط لوحة / ٣

« وبين النبى صلى الله عليه وسلم للمخاطبين من أصحابه رضى الله عنهم ماتمس به الحاجة من معرفة بيان مجمل الكتاب وغامضه ومتشابهه وجميع وجوهه التى لاغنى بهم وبالأمة عنه .

فاستغنوا بذلك عما نحن اليه اليوم محتاجون من معرفة لغات العرب واختلافها والتبحر فيها والاجتهاد فى تعلم وجوه العربية الصحيحة التى بها نزل الكتاب وورد البيان .

فعلينا ان نجتهد فى تعلم ما يتوصل بتعلمه الى معرفة ضروب خطاب الكتاب ، ثم السنن المبينة لمجمل التنزيل الموضحة للتأويل لتنتفى عنا الشبه التى دخلت على كثير من رؤساء أهل الزيغ والالحاد ثم على رؤوس ذوى الأهواء والبدع الذين تأولوا بآرائهم المدخولة فأخطأوا وتكلموا فى كتاب الله عز وجل بلكنتهم العجمية دون معرفة ثاقبة فضلوا وأضلوا .. » (١) .

وهكذا نجد الواحدى يركز على ضرورة معرفة اللغة كأساس للتفسير وكأداة للمفسر لاغناء عنها بحال . بل انه ليعتبرها أساس الأسس وأداة الادوات لتوقف سائر العلوم عليها . من ثم يؤكد الواحدى نظرته الى اللغة ببيان نظرة السلف اليها فيقول :

« وقد كان الأكابر من السلف يحثون على تعلم لغة العرب ويرغبون فيها ، لما يعلمون من فضلها وفرط الحاجة اليها فى معرفة ما فى الكتاب ثم فى السنن والآثار وأقاويل أهل التفسير من الصحابة والتابعين من الألفاظ العربية ، والمخاطبات العربية ، فان من جهل لسان العرب وكثرة الفاظها ، وافتنانها فى مذاهبها جهل جل علم الكتاب» (٢)

ثم شرع الواحدى يدلل على صحة نظريته ويبرهن على وجوب تعلم علم الأدب : ــ فيروى بسنده

---

(١) مقدمة تفسير البسيط لوحة / ٣ .
(٢) مقدمة تفسير البسيط لوحة / ٣ .

عن شيخه الثعلبى الى النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « ما نحل والدولده نحلة أفضل من أدب حسن » (١) .

ثم يسوق الواحدى ـ فى معرض التدليل على حتمية التضلع من اللغة والأدب قبل التصدى للتفسير ـ نموذجا يجسد ضرورة أحكام أصول اللغة وصقل الملكة اللغوية بدراسة الأدب والتضلع من مناهل القوافى وعيون الشعر الذى هو ديوان العرب .

فيروى عن سعيد بن المسيب رضى الله عنه أنه قال : ـ « بينما عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ على المنبر فقال : أيها الناس : ماتقولون فى قول الله عز وجل « أو يأخذهم على تخوف » ؟؟ فسكت الناس فقام شيخ فقال ـ يا أمير المؤمنين . هذه لغتنا بنى هزيل .

التخوف : التنقص ، قال عمر ـ رضى الله عنه ـ هل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم .

قال شاعرنا أبو كبير الهذلى يصف ناقة :

تخوف الرحل منها تامكا قردا
كما تخوف عود النبعة السفن

فقال عمر رضى الله عنه : ـ يا أيها الناس : عليكم بديوانكم الذى لايضل . قالوا : وما ديواننا ؟؟ قال : شعر الجاهلية ، فان فيه تفسير كتابكم ، ومعانى كلامكم) .

ويشفع الواحدى هذا الدليل ـ الذى لايقبل المعارضة ـ على ضرورة اتقان علم اللغة ، ودراسة الشعر العربى لمن يتصدى للتفسير: بدليل آخر يرويه بسنده المتصل عن ترجمان القرآن سيدنا عبد الله ابن‌عباس رضى الله عنهما. فيقول:

« وفيما كتب الى محمد بن عبد العزيز المروزى ـ بخط يده ـ ان محمد بن الحسن الحدادى أخبرهم عن محمد بن يحيى قال اسحق بن ابراهيم الحنظلى حدثنا

(١) رواه الترمزى والحاكم عن عمرو بن سعيد العاصى .

وكيع عن أسامه بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس قال :

اذا قرأ أحدكم شيئا من القرآن فلم يدر ما تفسيره فليلتمسه فى الشعر فانه ديوان العرب .

ثم يقول الواحدى : — « وبهذا الاسناد — أى السابق مباشرة — عن اسحق بن وهب بن جرير بن أبى قال : سمعت الزبير بن خريت عن عكرمة عن ابن عباس :

أنه كان يسأل عن الشىء من عربية القرآن فينشد الشعر » (١).

لقد استند الواحدى فى مقدمة التدليل على نظريته فى التفسير الى هذه النصوص الصريحة والواضحة المعزوة الى اثنين من كبار الصحابة — سيدنا عمر والامام ابن عباس رضى الله عنهما حيث لاخلاف فى حجية كلامهما . ثم تتتابع أدلة الواحدى وتنهمر كالسيل مؤكدا حتمية توفر ركنيه علمى اللغة والادب فى التفسير . وأحب أن أثبت ما يسوقه بسنده لمعرفة طرقه فى الرواية .

يقول الواحدى : « سمعت أبا عثمان سعيد بن محمد الحيرى ، سمعت القاضى أبا الحسن على بن القاسم وأبا اسحق ابراهيم بن الحسن بن بشر وأبا القاسم جعفر ابن عبد الله الفناكى الرازيين بالرى : قالوا سمعنا عبد الرحمن ابن أبى حاتم الرازى قال أخبرنى أبى حرمل بن يحيى قال سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول : —

« أصحاب العربية جن الانس » .

وسمعته يقول : سمعت محمد ابن أحمد بن يعقوب يقول سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى النحوى قال : قال عبد الملك بن مروان : تعلموا العربية فانها المروءة الظاهرة وقل من تقدم فى علم من العلوم الا بمعرفة الأدب ومقاييس العربية والنحو ، وما حدثت البدع والأهواء المضلة الا من الجهل بلغة العرب .

ويروى الواحدى عن الشيخ أحمد بن أبى منصور المقرى بسنده الى الربيع بن سليمان يقول سمعت الشافعى يقول : « عامة من تزندق

---

(١) مقدمة البسيط فى التفسير للواحدى لوحة / ٣

بالعراق لجهلهم بالعربية ولغات العرب » ومن أطرف الأدلة التى ساقها الواحدى عن الاصمعى لندلالة على ضرورة حذق العربية ماروا ه قائلا :

(وقرأت على الاستاذ سعيد بن محمد المقرى فقلت : حدثكم طلحة ابن محمد الشاهد ببغداد قال : سمعت أبا بكر بن وريد قال قال ابن أخى الاصمعى عن الاصمعى : (تعلموا النحو فان بنى اسرائيل كفرت بكلمة قال الله لعيسى (أنت نبى وأنا ولدتك) بتشديد اللام فخففوها •

ثم يؤكد الواحدى ما سبق بقوله :

(ولئن استغنى علم عن الأدب فمن ضرورة التفسير وعلم القرآن الأدب ومعرفة اللغة العربية ولا تكاد تجد ذلك متأتيا لمن لم يمرن عليها ولم يتدرب بها) •

لا أوتى برجل غير عالم بلغات العرب فسر كتاب الله الا جعلته نكالا !!

ويتساءل الواحدى قائلا :

« وكيف يتأتى لمن جهل لسان العرب أن يعرف تفسير كتاب جعل معجزة فى فصاحة ألفاظه وبعد أغراضه لخاتم النبين وسيد المرسلين ــ صلى الله عليه وعلى آله الطيبين ــ فى زمان أهله يتحلون بالفصاحة ، ويتحدون بحسن الخطاب وشرف العبارة ؟؟ وان مثل من طلب ذلك مثل من شهد الهيجا بغير سلاح ورام أن يصعد الهواء بلا جناح » !!

ثم نعى الواحدى على هذا الفريق من النقلة والمقلدة الذين تقحموا ميدان التفسير بلا أداة ولا استعداد فطرى لتذوق معانى التنزيل فقال :

(ثم وان طال تأمله مصنفات المفسرين وتتبعه أقوال أهل التفسير من المتقدمين والمتأخرين فوقف على معانى ما أودعوه كتبهم وعرف ألفاظهم التى عبروا بها عن معانى القرآن • لم يكن الا تابعا لهم فيما حكوه وعارفا معانى قول مجاهد ومقاتل وقتاده والسدى وغيرهم دون معنى قول الله عز وجل) •

وبخبرة الواحدى وذوقه الأدبى ساق نماذج من الشعر العربى وبعض الأمثال والأقوال المأثورة ليبرهن على أن فهم المعنى موقوف على معرفة مدلول كل لفظ على حدة والدراية بمواضع الألفاظ وطريقة نظمها فيقول مثلا فى قول امرىء القيس :

وما ذرفت عيناك الا لتضربى

بسهميك فى أعشار قلب مقتل

(.. معنى هذا البيت : أنه يقول لا مرأة : ما بكيت الا لتأخذى بمجامع قلبى . فمن عرف هذا فقد عرف معنى البيت . لكنه انما عرفه من قول من عبر عن مراد الشاعر بهذا لا من قول الشاعر . ودون أن تعرف وضع ألفاظه والمراد بكل حرف منه خرط القتاد) ثم يقول : (وعلى هذا النحو جميع كلام العرب مثل قولهم (أبى الحقين العذرة) يضرب لمن يعتذر وظاهر حاله يكذبه . ومعرفة هذا المعنى لا يفيدك معرفة هذه الألفاظ) ..

ثم ينتقل من التنظير بما أثر عن العرب من شعر ونثر الى تطبيق نظريته فى التفسير نفسه فيسوق النص القرآنى وما آثر عن السلف فى تفسيره ثم يبين موطن الحاجة الى استيعاب هذا التفسير المنقول وكيفية الوصول الى استيعابه والأداة التى يجب توافرها فيمن يروم اقتحام عقبة التقليد ليقف على المعنى بذوقه وادراكه هولا بالتلقين والحشو .

فيقول الواحدى « .. وكذلك آيات القرآن التى فسرها الصحابة والتابعون انما فسروها بذكر معناها المقصود . كقوله تعالى **« واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم »** : قال قتادة : (اذا قيل له مهلا مهلا ازداد اقداما على المعصية) . فمن أين لك أن تعرف هذا المعنى من لفظ الآية الا بعد الجهد وطول التفكر ؟؟

وكذلك قوله **« انما ذلكم الشيطان بخوف أولياءه »** . قال السدى (يعظم أولياءه فى صدوركم) فانظر هل يمكنك أن تفرغ هذا المعنى فى قالب هذه الألفاظ الا بعد التعب فى معرفة ما ذكره أرباب النحو ؟؟

وكذلك قوله : **« من تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا »**

تدبر هل تعرف صحة هذه الألفاظ واستواء نظمها مما ذكره المفسرون ؟؟ وهل يحسن أن يقال : من قام فانه يقوم ومن ركب فانه يركب ؟؟ وعلى هذا أكثر آيات القرآن وكلام العرب » .

طرح الواحدى هذه التساؤلات ليثبت ويؤكد صدق نظريته فى قيام التفسير على معرفة أصول اللغة . ولا يكفى مجرد معرفة معنى اللفظ كيفما اتفق . بل لابد من معرفة اشتقاقه ووضعه وكيفية تداخل المعانى ومعرفة طريقة النظم الى غير ذلك .

ثم لقد أراد الواحدى من ايراد تلك الأمثلة أن يوضح أن التفسير بالمأثور يحتاج الى أداة فى المعرفة والى تحصيل وسائل علميه يتسنى بها ادراك مطابقة التفسير للمفسر.

وهذه الوسائل انما تعوز المتأخرين فى تحصيلها دون السابقين الذين زودت فطرتهم بحاسة الادراك اللغوى والبلاغى ومعرفة مواقع الكلام وتمييز أصالته من زيفه وغثه من ثمينه .

من ثم حق على المفسر — أن يجد فى تحصيل هذه الأدوات ليعوض ما يفتقده مما تهيأ للطبقة المعاصرة والقريبة من نزول القرآن الكريم .

يقول الواحدى :

« وانما ذكرت هذه الأمثلة لتعرف أن من تأمل مصنفات المفسرين ووقف على معانى أقوالهم لم يقف على معانى كلام الله دون الوقوف على أصول اللغة والنحو » .

والمعنيون بالتصنيف فى هذا العلم طبقات :

فالصحابة الذين نزل فيهم القرآن شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل . لأنهم أهل اللغة الذين نشأوا عليها كما وضعناهم قبل .

وأما التابعون والسلف الصالحون فانهم لم يتصنعوا فى جمع ما جمعوا ، ولم يتكلفوا فى تتبع الخبايا من الزوايا .

وأرباب المعانى : اقتصروا على الاعراب وبيان نهج الخطاب .

والمتأخرين مراتب ودرجـــات وأغراض فى التصنيف متفاوتات ، والاشتغال بما يعنينا أولى من بيان درجتهم والكشف عن نقصـــهم ومزيتهم .

وقل من تراه يعنى بسوق اللفظ على التفسير وافراغه فى قـــوالب المعانى حتى يأتى به متسعا من غير ترجح ومطردا من غير تخـــاذل . وعلى هذا فلم يبقوا فى القـــوس منزعا ولم يترك الاول للآخـــر شيئا . غير أن المتأخر بلطيف حيلته ورقيق فطنته يلتقط الدرر ويجمع الغرر فينظمها كالعقد على صـــدر الكعاب يرومه المتأملين ويـــونق الناظرين فيســـتحق به فى الأولى حمد الحامدين وفى العقبى ثـــواب رب العالمين » .

بهذا النص وما سبقه أوضـــح الواحدى نظرته للتفســـير الأثرى وكشف النقاب عن حقيقة غفل عنها الكثيرون ، ألا وهى : مقـــــدرة مفسرى السلف على افراغ الألفاظ فى قوالب المعانى مع التطـــابق والاتساق والاطراد . وقد سنحت هذه المقدرة للسابقين بلا تكلـــف ولا تحصيل فكان على المتأخريـــن أن يستعينوا بأصول اللغة والنحو للافادة من مرامى عبـــــاراتهم وللوصول الى معرفة ما توصـــلوا لفهمه من مراد الله تعالى من كلامه المبين .

د / جوده محمد المهدى

من خصائص بيت النبوة

للدكتور / أحمد عمر هاشم

لبيت النبوة سماته وخصائصه التى هيأه الله تعالى بها وميزه لحمل تراث النبوة وحيا الهيا وليس المال ولا زخرف الحياة الدنيا ولا مباهجها الزائفة وعرضها الزائل وذلك ليكون المثل الأعلى والقدوة الحسنة فى الرضا والقناعة وفى الصبر والاحتمال .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم فهو الرءوف بهم العطوف عليهم وكانت أزواجه أمهاتهم فى التوقير والاكبار وفى الاكرام والاحترام قال تعالى : ــ « **النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا كان ذلك فى الكتاب مسطورا** » ــ سورة الأحزاب ــ ٦ .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ــ « ما من مؤمن الا وأنا أولى الناس به فى الدنيا والآخرة اقرءوا ان شئتم ــ « **النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم** » فأيما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ، وان ترك دينا أو ضياعا فليأتى فأنا مولاه ــ رواه البخارى .

ولقد ضرب صلوات الله وسلامه عليه أروع الأمثلة فى حياة التقشف والزهد والقناعة والرضا وجعل من نفسه وبيته المثال المحتذى والأسوة الحسنة فى العزوف عن الدنيا وعن الغرور بها وفى الاعراض عن زهرتها . وانما آخذ نفسه وأهله بالتقشف والزهد والقناعة لدرجة أنه لم يشبع ثلاثة أيام تباعا من خبز عن عائشة

رضى الله عنها قالت : — ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبز حتى مضى سبيله — رواه مسلم : بل ان صلوات الله وسلامه عليه لم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير ، عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أنه قال هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير — رواه الترمذى — وكانت بيوته عليه الصلاة والسلام على درجة عالية من الرضا والقناعة لاسيما عندما كان العيش قليلا •• ولا يوجد لدى أمهات المؤمنين من الأطعمة ما يطهى بالنار مدة طويلة • عن عائشة رضى الله عنها قالت لعروة يا ابن أختى ان كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقدت فى أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار فقلت : ياخالة ما كان يعيشكم قالت : الأسودان التمر والماء الا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار كانت لهم منائح وكانوا يمنحون رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقينا •• رواه البخارى •

وكان هذا الزهد والتقشف وحياة القناعة والخشونة مثلا يحتذى ، فى الصبر والرضا انه يجوع يوما فيصبر ويشبع يوما فيشكر ويعيش حياته بين التضرع والدعاء والشكر والثناء •

قالت عائشة — رضى الله عنها — (ولقد مات ومافى بيتى شىء يأكله ذو كبد الاشطر شعير فى رف لى •

وعن ابى أمامه • أن النبى صلى الله عليه وسلم • قال : عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت : لا يا ربى ولكنى أشبع يوما واجوع يوما • فاذا جعتتضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك • (فيض القدير جـ ٤ ص ٣١١) •

ولقد أخذ صلوات الله وسلامه عليه حياته على هذا النحو ، على الرغم مما كان فى وسعه من أن

تكون له بطحاء مكة ذهبا .. ولكن الرضا والقناعة والأسوة الحسنة التى يجب على أمته أن تتوخاها فلا تغرها الحياة ولا يغرها بالله الغرور .

فلقد عرض عليه كبراء القوم مقاليد الأمر وعرضوا عليه المال والجاه فالسلطان والسيادة ولكنه رفض باباء وقوة لا نظير لها لأنه ليس طالب مال ولا جاه وانما جاء الى الحياة وأرسل الى الناس شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا .

وكانت هذه الحياة اعدادا أو تهيئة للدار الآخرة وليكون بيت النبوة مثالا يحتذى وقدوة للناس وحين طلب أمهات المؤمنين من رسول الله صلى الله عليه وسلم النفقة نزلت آية التخيير تخيرهن بين الحياة الدينا وزينتها وبين الله ورسوله والدار الآخرة عن عائشة رضى الله عنها قالت : لما نزلت آية التخيير بدأ بى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عائشة انى عارض عليك أمرا فلا تفتتنى فيه بشىء حتى تعرضيه على أبويك أبى بكر وأم رومان رضى الله عنهما فقلت يارسول الله ما هو ؟ قال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل « **يا أيها النبى قل لأزواجك أن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما** » سورة الاحزاب ٢٨ ــ ٢٩ قالت : فانى أريد الله ورسوله والدار الآخرة ولا أؤامر فى ذلك أبوى أبا بكر وأم رومان ــ رضى الله عنهما ــ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استقرأ الحجر فقال « ان عائشة رضى الله عنها قالت : كذا وكذا فقلن ونحن نقول مثل ما قالت عائشة رضى الله عنهن كلهن » رواه ابن أبى حاتم .

ومما اختص الله به أمهات المؤمنين أن من يأتمنهن بفاحشة مبينة ــ وهى النشوز وسوء الخلق ــ يضاعف لها العذاب ضعفين فى الدنيا والآخرة وأن من يطع الله

ورسوله منهن يؤتها أجرهـا مرتين قال تعالى « **يانساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لهـا العذاب ضـعفين وكان ذلك على يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرهـا مرتين وأعتدنا لها رزقا كريمـا** » ويمتن الله عليهن بلطفه ، حيث خصـهن ببلوغ تلك المنزلة وانهن أهل لذلك حيث أنعم اللـه عليهن بـأن جعلهـن فى بيـوت تتـلى فيها آيـات اللـه تعالى والحكمة قال سبحانه : « **واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة أن الله كان لطيفا خبيراً** » الاحـزاب ٣٤ ويعـرج عـلى هـذا الأمـر الأسـتاذ عباس العقـاد رحمه اللـه حين يتحـدث عن خصوصية زواج الرسـول صـلى اللـه عليه وسلم رادا فرية المفترين على مقام النبوة فيقول : لم تكن تلك الخصوصية لتمكين صـاحبها من المتعة والاستغراق فى مناعم الحياة الزوجية فان البيت الذى يشـكو نساؤه قلة المؤونة والزينة ، لايقال عنه : انه بيت رجل تملكه أهـواء نفسه وتغلبه على رشده ولا يمد يده لاغتراف الثـروة التى تكفى زوجـاته وتملـى لهن فى الترف والزينة لن يكون رجـلا مغلـوب الحس منساقا مع غـواية المتعـة ووساوس الشـهوات ، وليس بالرجل المخلوق لطلب اللـذة من ينهض بما نهض به نبى الاسـلام من عظائم الأمـور فى مـدى ، سنوات معدودات .. الخ .

وليس معنى هذا أن فى الاسلام دعوة الى القلة والفقر أو أن فيه حجرا على التمتع بطيبات الحيـاة وانما هى القدوة المثلى والأسـوة الحسنة والنمـاذج العاليـة التى رباها الاسلام فاستهانت بزخارف الحياة ومتعها وأقبلت على ربهـا وعلى دعوة الاسلام غـير مكترثة بمال أو جاه أو ثراء أو عرض من زينة الحياة الدنيا .

أما حقيقـة الـدين فهى تجمع متطلبات الجسم والروح والدنيـا والآخرة قال الله تعـالى« **يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد**

وكلوا واشربوا ولاتسرفوا انه لا يحب المسرفين ، قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » « الاعراف ٣١ ، ٣٢ » •

ومن خصائص بيت النبوة ، أن الذى يتركه النبى صلى الله عليه وسلم من المال يكون صدقة فلا يسرى عليه ما يسرى على أموال سائر الناس من الميراث فقد قال صلى الله عليه وسلم : « انا معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة » وأما قول الله تعالى — حكاية عن زكريا •• « **فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب** •• » مريم من ٥ــ ٦ •

فلم يرد يرثنى مالى وانما أراد أن يرثه الحبورة لأنه كان حبرا ويرث من آل يعقوب ، أى يرث الملك • وأما قوله تعالى : « **وورث سليمان داود** » فالمراد : ورثه الملك والنبوة والعلم وكلاهما كان نبيا وملكا ، ومن الأدلة ، أيضا على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يورث أنه كان لا يرث بعد أن أوحى الله اليه وانما كانت وراثته أبويه قبل الوحى •

وأما منازعة فاطمة ، أبا بكر رضى الله عنها فى ميراث النبى صلى الله عليه وسلم فليس بمنكر لأنها لم تعلم ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وظنت أنها ترثه كما يرث الأولاد آباءهم فلما أخبرها بقوله كفت » •

وشاء الله تعالى ، أن يكون بيت النبوة نموذجا عاليا فى الصبر ، وفى الزهد والتقشف ، حتى يكون أسوة لغيره ، ولأهل الايمان على ظهر الأرض ، ولقد كان لبيت النبوة خصائصه الكريمة ، ومميزاته التى تميزه على غيره ••

فهو المثل الأعلى فى الاحتمال والصبر ، والرسول صلوات الله وسلامه عليه هو الأسوة الحسنة فى كل الأمور ، قال الله سبحانه وتعالى :

« لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا »

د/ احمد عمر هاشم

مشكلات الشباب وحلولها
فى ضـوء الكتاب والسـنة

للأستاذ على القاضى

وضع الدين فى المجتمع الاسلامى:

من المشـــكلات التى يجـدها الشاب فى العصر الحـديث فى مجتمعاتنا الاسلامية وضع الدين وهل هو خاص بالمسـجد أم أنه يتناول كل جوانب الحياة ــ بـل أحيانا يجد فى بعض الفلسـفات الغربية من ينكر الدين تماما ويرى أنه من رواسـب الماضى أو انـه مخدر للشعوب •

فقد غزت المدنية الغربية البلاد الاسلامية وجاءت معها أفـكارها ووسـائلها وقيمها وأخلاقياتهـا وأساليب تربيتها ــ وكان من أثر ذلك أن تغير الكثير من مظاهر حياتنا الخاصة والعامة ــ كما تغيرت نظم الحكم والادارة والقانون وبالتالى تغير نظامنا التعليمى وحـل محله تعليم جديد يهتم بالناحية المعروفة وحدها ــ ولا يهتم بالـروح ولا بالعواطف والسلوك والاتجاهـات ولا بالقيم الدينية وأفقـدنا هـذا القدرة على التحـكم فى حاضرنا ، لأنه نما فى كثـير من جـوانبه فى بيئة غير بيئتـا وأصـبحنا تابعين لغيرنا فى مجال الحيـاة الفكرية والاجتماعية وشلت ارادتنا وقلت مقاومتنا شيئا فشيئا حتى يمكن أن نقول : انها توقفت وترتب على ذلك أننا اهتممنا بالقشـور وتركنا اللباب واعتنينا بالمظـاهر وتركنا الجوهر ، وأصبنا بذلـك بانفصام فى شخصيتنا ، وأصـبح هناك ازدواجية فى المجتمع بـين الضمير ومستوى الأداء ــ بـين القـول والعمل ــ بين الايمـان والسلوك ــ بل وأصبح المسلمون يفهمـون لاسـلام كما يفهـم

المسيحيون المسيحية ــ فالاسلام خاص بالصلاة والصيام وبقية الشعائر ــ أما القيم والأخلاق وما الى ذلك فهى بعيدة عن اسلام المسلم مع أن العبادة فى الاسلام شاملة لكل شىء يفعله المسلم مادام ذلك يهدف الى تحقيق رسالته فى هذه الحياة .

وينظر الشاب المسلم الى المجتمعات حوله فيجدها قد خلت عن الدين وعن قيمه ــ ذلك لأن العداء بين المفكرين والكنيسة فى العالم المسيحى قد أدى الى بروز العديد من الفلسفات الوضعية التى تركت بصماتها بوضوح على الفكر وعلى التعليم ــ ولكن هذا لم يحدث بالنسبة للدين الاسلامى ــ ومع ذلك فان الشاب المعاصر نظرا لانه يرى الثقافة الغربية تنتشر هنا وهناك وتترك آثارها على كل ناحية فانه يتأثر بها شعوريا ولا شعوريا ــ وهذا هو الذى يجعل بعض المفكرين يسأل : هل علاقة الانسان بالحياة قد فهمت فهما واضحا ؟ ــ وفى الغرب يقولون فشل التعليم الدينى فى آداء رسالته وهم يقصدون التعليم الكنسى ــ ولكن الدين الاسلامى به شمول يعجز البشرية قاطبة عن الاحاطة به لانه نظام شامل للحياة كلها ــ ونحن نقصد بالتعليم الدينى فى الاسلام صياغة المعارف الانسانية كلها من تصور اسلامى صحيح ــ وحبذا لو قلنا عنه التعليم الاسلامى ليظهر تفرده من أول لحظة .

وينظر الشاب المسلم المعاصر فيرى اهتمام الافراد والجماعات قاصرا على النواحى المادية وحدها ــ وبذلك أصبح الانسان خطرا على نفسه باستخدام المهدئات والمخدرات وما يؤدى به الى الامراض النفسية والعقلية ــ وخطرا على المجتمعات من حوله ــ ويكفى مخزون القنابل الذرية لدى الدول العظمى ــ وما نراه من انتشار تلوث أخطار البيئة وانتشار الصواريخ عابرة القارات ثم عدم كفاية المواد الغذائية ــ وذلك يهدد بانتشار المجاعات وفناء البشرية ، وقد أصبحت السياسة مناورات لا اخلاقية ــ ولم يعد النصر للحق

وأصبح من المسلمات أن الغـاية تبرر الوسيلة وبذلك أصبح الانسان كطائر يطير بجناح واحد وفى هذا ما فيه من الاخطار التى تصـيب الانسان فى الصميم •

وينظر الشاب المسلم المعاصر الى مظاهر الحياة حوله فيجد أنهـا تسير بسرعة هائلة ــ وهكذا كـل منتجـات التقنية التى لا يـكاد الانسان يقدر على مسايرتها ــ ثم ينظر الى تقنية التعليم فيجد أنها جد بطيئة ــ ولهذا يقول توماس كاريل فى كتابه الانسان ومشكلات الحضارة : (ان الحضارة آخذة فى الانهيار لان علوم الجماد قادتنـا الى أرض ليست لنا فتقبلنا هداياها بلا تبصر ولا تمييز ، وأصبح الفرد ضعيفا متلصصا فاجرا غبيا غـير قادر عـلى التحـكم فى نفسه ومؤسساته) •

ومن مشكلات الشاب المسـلم المعاصر أن يرى فساد القيم ينعكس عـلى النظم التعليمية ذاتهـا فالرأسمالية والشيوعية خاليتان من القيم الدينية والأخلاقية ــ ولذلك فقـد انحطت أسـاليب الصراعات بينهما الى أدنى المسـتويات ــ وأصبح مـن سمات هـذا العصر فقدان القدرة الحسنة التى لهـا آثارها الواضحة فى كل ناحية من نواحى الحياة ــ وأصـبحنا نرى الاضـطرابات والعنف والكبت والأمراض النفسية تعم كثيرا مـن الـدول •

لقـد تخلت المجتمعات المعاصرة عن الدين كأساس للأمة ــ وأصبح الخوف، من الارتباط بأية قيـمة أخلاقية أو دينية من سمات المعاهد التعليمية المعاصرة مع أن التعليم ينبغى أن يضىء حيـاة الانسـان بتعريفه بنفسه وبحقيقة وضعه فى الكون والغاية مـن وجـوده فيه وكيف يستطيع القيام برسالته •• ولقد أصبحت نظم التعليم المعاصرة مقتصرة على نقل المعلومات وبذلك فقدت دورها التربوى فى اكتساب المهـارات والاخـلاق والسـلوك السليم ــ وفى تكوين الاتجاهات والعواطف وأصبح هـدف الطلاب من تعليمهم فى المدارس النجـاح بأية وسيلة ليحصلوا على الشهادة

وبالتالى ليحصلوا على الوظيفة المناسبة .

تربية الشاب المسلم المعاصر :

والاسلام يهدف الى تربية الانسان الصالح الذى يقوم برسالته على الوجه الأكمل وهذه التربية الكاملة المتكاملة تجعله قادرا على التحكم فى نفسه وضبط تصرفاته والايمان بالمثل العليا التى يحيا لها ويموت فى سبيلها جاعلا شعاره : (ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له) الانعام / ١٦٢ ، وهذه التربية تجعل لدى المسلم القدرة على الاستفادة من أقصى ما يصل اليه الانسان من الاستفادة التى تمكنه من أداء رسالته والتى تجعله ينتج أفضل ما يصل اليه الانسان من الاستفادة التى تمكنه من أن يفيد البشرية ويحقق هدف الاسلام السامى .

والشاب المسلم بذلك يستطيع أن يعيش حياته بقيمه وأخلاقه التى قررها الله له مع اسقاطه لكل القيم والاخلاق الواردة عن الغرب ثم انه يريد أن يتعرف على النواميس الكونية التى اودعها الله له هذا الكون المادى ليستخدمها فى ترقية الحياة ــ وحينئذ يحس بأن عمله كله عبادة .

والتقدم الحضارى الاسلامى روح تكمن وراء الانجاز المادى والفكرى فاذا تطورت الروح تغير العالم من حولها والآية الكريمة : **(ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)** الرعد / ١١ ، تبين ذلك ــ ونلاحظ تعبير : أنفسهم ــ فهو الذى يحدث التقدم الحقيقى الذى يتكامل فيه الظاهر والباطن ــ وغلبة هذا التعبير أن يتطابق القول والعمل وأن يعيش الناس القيم الاسلامية .

والاسلام لا يرفض التقدم المادى ولا الاستمتاع به ما دام ذلك فى الاطار الاسلامى : **(قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق)** الأعراف / ٣٢ بل يحث عليه ويطلب أن يشارك أبناءه فيه أو أن يقوموا به ما دام ذلك يساعدهم على تحقيق رسالتهم

واذا كان الفكر الغربى المعاصر

يفصل الدين عن العلم ، وينكر بعض رجاله الدين ويعترف بعضهم به ولكنه يضعه فى اطار محدد هو الكنيسة فان الاسلام ليس فيه هذا الفصل — فالعلم من الدين وهو يسير فى تحقيق اهداف الاسلام وهذا يمكنه من قيادة حركة الحياة بالنسبة للفرد المسلم وبالنسبة للمجتمع على السواء وفى ذلك يقول الله تعالى : **(الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر)** الحج /٤١ ، والاسلام لا يقبل أن يستورد نظما غربية عنه فتحدث آثارها السيئة فى الافراد وفى الجماعات على السواء — هو يقبل التقنية الحديثة ولكنه يرفض القيم المصاحبة لها لأن له قيمه الخاصة به وهى التى تكون شخصية المسلم التكوين الذى يمكنه من أداء رسالته .

والاسلام دين عالمى فى نظرته للفرد والأمة وفى علاجه للمشكلات ولا يرضى باقامة الحواجز التى نشأت فى العصور المختلفة لأنه دين يهدف الى جمع البشر كافة تحت راية واحدة — وهو بالنسبة لهذا العالم الذى مزقته الاحقاد والتنافس بين أممه المختلفة — رسالة الحياة والامل فى مستقبل عظيم مزدهر .

الوطنية الغربية :

ومن مشكلات الشباب المسلم فى العصر الحديث المفهوم السائد للوطنية الغربية فى البلاد الاسلامية وقد أصبحنا نرددها ونجح الاستعمار فى حملنا عليها — وأصبح هناك هوة بين بعض البلاد العربية والاسلامية وبعضها الآخر — كل دولة تعمل على مصلحتها فى الاطار الضيق ولو تعارض مع مصالح غيرها .

ومن خصائص الوطنية الغربية الكراهية والخوف فالوطن لا يبقى الا اذا كان للشعب ما يكرهه وما يخافه ولايزال المسئولون هناك يثيرون الكامن من عواطف الخوف والكراهية .

ومن مظاهر الوطنية الغربية ما فعله الاستعمار فى نشر الخمر والحشيش والافيون والربا

والقمار والفجور بالقوة تارة وتحت عناوين براقة أخرى كالمدنية والتقدمية والحضارة وأصبحت مخترعات المدنية تستخدم فى التدمير والاعتداء ونشر الكراهية والحقد .

وقد قسمت الدول الاسلامية الى دويلات تمشيا مع هذه النزعة مثل الشام التى قسمت الى أربع دول ، وأهم من ذلك الروح التى تسود هذه الدويلات وأصبح كل قطر اسلامى يتعامل مع غيره على أساس العداوة فى أكثر الأحيان .

وتسير الجامعات فى البلاد الاسلامية على تربية المواطن الصالح بالمفهوم الغربى ويصبح الشباب المسلم فى حيرة بين مثل اسلامه وبين واقع حياته .

والاسلام يعنى بتربية الانسان الصالح وهو الذى ينظر نظرة عامة الى المجتمع الانسانى يحاول أن يحقق فيه رسالته عن طريق عمارة الارض ونشر الأمن والعدالة فيها: **(والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)** سورة العصر .

والاسلام لا يمنع الشاب المسلم أن يحب البيئة التى ولد فيها وتربى وعاش فلها حقوق الأخوة والجيرة والاصدقاء — والزكاة ينفقها صاحبها على الفقراء من أهل بلده وأقاربه والرسول الكريم يقول عن مكة : (والله انك لأحب بلاد الله الى الله وأحب بلاد الله الى ولولا أن قومك أخرجونى ما خرجت) — ولكن الاسلام لا يرضى بالعصبية لانه يرى أن الناس جميعا من أب واحد ومن أم واحدة وقد جعلهم الله شعوبا وقبائل ليتعارفوا لاليستعبد بعضهم بعضا ولا ليطغى بعضهم على بعض والرسول الكريم يقول: (ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية) أبو داود ، والقرآن الكريم يقولها صريحة مدوية : **(ولا يجر منكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)** المائدة/٢ .

مشكلة الحرية :

ومن مشكلات الشباب فى عصرنا

الحاضر مفهوم الحرية الذى جاء من الغرب احتضنته فلسفات مختلفة وكلها تعنى الانفلات من كل القيم والاخلاقيات بحيث يكون الانسان حرا فى كل ما يفعل وليس له ضابط خلقى أو اطار قيمى يفعل فيه ومن ذلك :

الوجودية :

وتلخيص هذه النظرية : انت مطلق الحرية فاصنع ما تشاء فان الحياة كلها سخط يورث القلق والضجر يقول سارتر (اليوم كغد والغد كبعد غد وأنه لا طعم لشىء ولا لذة ولا أمل فى شىء) مجلة حضارة الاسلام ، شعبان/١٣٩٨هـ

فهى بذلك تريد جرف الانسان الى غابة من الحرية المطلقة غير الملتزمة بأى اطار أخلاقى مثالى — غابة تسودها الفوضى وتظهر انعكاساتها السلبية على كيان الأسرة وعلى علاقات الناس بعضهم ببعض وعلى علاقات الناس بالدولة — ولقد كان حصاد ذلك كله موجات الهيبز التى تسود أوربا فى عصرنا الحاضر •

البراجماتية :

وهى فلسفة تؤله الفرد على حساب المجموع — وتضع معايير للتقدم والنجاح ولا تلقى بالا لعذاب المجتمع فى سبيل صعود الفرد حتى تصل بالنظام الاقتصادى الى مرحلة الاحتكار والاستبدال والقهر المستتر تحت أردية الحرية — ونتائج هذا ما نشاهده من مظاهر التفسخ الاجتماعى التى تظهر دلائلها الآن فى أمريكا وتدفع بالمئات الى الانتحار الجماعى •

فلسفة التربية الاسلامية :

وهكذا نرى هذه الفلسفات التى تفسر الحرية بالانطلاق الكامل الذى يدمر الانسان لأنها فلسفات بشرية تنظر للانسان من زاوية واحدة وتنظر اليه نظرة خاصة فى وقت خاص — ومن هنا كانت الخطورة لكن فلسفة الاسلام فى التربية تجعل مفهوم الحرية بعيدا عن هذا كله لأنها تحده بقيود الأخلاق الاسلامية وترفع الانسان الى مرتبة عليا لأنه خليفة لله فى

هذه الارض يقوم بعمارتها فى حرية كاملة بالاسلوب الذى يراه ولكن فى اطار الاسلام ومع الالتزام بالقيم الأسلاميه وبذلك يصبح مفهوم الحرية هو مفهوم البناء ـ بناء الفرد وبناء المجتمع وبناء الامة وبناء الأنسانية كلها .. واذا كانت الفلسفات الوضعية قد فشلت فى تحقيق سلام الانسان مع نفسه رغم المؤتمرات العديدة التى تقوم بعقدها فان الاسلام نجح فى تحقيق سلام الانسان مع الانسان وفى تحقيق سلام الأنسان مع الحيوان وسلام الانسان مع النبات وسلام الانسان مع الجماد لأن كل هذه الأشياء مخلوقة لله ، واذا كانت الدول المتحضرة فى العصر الحديث تحاول أن تثبت حقوق الانسان فان الاسلام قد فرغ من هذا كله منذ اربعة عشر قرنا وزاد عليه حقوق الكون كله على الانسان من حيوان ونبات وجماد .. الاسلام يبنى والحضارات الحديثة تهدم وتلك هى الخلفية الثقافية لكل ما يقومون به فى هذه الحياة .

ان الاسلام يحرم على المسلم أن يطأ بقدمه كسرة خبز أو مايؤكل مما يفيد الانسان أو غيره من مخلوقات الله تعالى لأن فى ذلك امتهانا للقمة التى حماها الله ـ فاحترام النعمة والمحافظة عليها سببه حاجة مخلوق من مخلوقات الله تعالى من ناحية وتقدير لجهد عامل من ناحية أخرى وإلى جانب ذلك ففيه ابتعاد عن الاسراف ومنع للفساد ـ ولو قارنا هذا بما يحدث فى أمريكا مثلا لوجدنا البون شاسعا ـ ومن ذلك أن ما يلقيه الشعب الأمريكى فى القمامة فى عام واحد يكفى العالم الثالث الجائع لمدة عام كامل .

المساواة بين الرجل والمرأة :

وما أكثر ما نادى المنادون فى الغرب ـ ثم فى الشرق ـ بالمساواة التامة بين الرجل والمرأة وما أكثر الخطوات التى اتخذوها فى سبيل ذلك حيث فتحوا لها أبواب العمل فى المجالات المختلفة التى تناسبها والتى لا تناسبها ـ وجعلوا التعليم واحدا للفتى

والفتاة وكأن ليس لكل واحد منهما وظيفته فى هذه الحياة ــ وساعدت أجهزة الدعاية والاعلام والجمعيات النسائية فى نشر هذه المفاهيم بين الناس وافتعلت المعارك بين الرجل والمرأة ففلان نصير للمرأة وفلان عدو لها وتنشر الصحف دائما عن المكاسب التى حصلت عليها المرأة فى دولة كذا ودولة كذا .

وسارت البلاد الاسلامية فى هذا الاتجاه ــ ذلك لأن العالم الاسلامى أصبح فى موقف المستقبل لا المرسل والمتأثر لا المؤثر ــ فالغرب قد ربى أبناء الاسلام وغرس فيهم المفاهيم والقيم التى جعلتهم يسيرون فى اتجاهه وهم يظنون أن هذه الأشياء هى علامات التقدم والحضارة والمدنية ... وكانت نتيجة ذلك ما لاحظه المفكرون وعلماء النفس من ضياع أجيال واصابتهم بمختلف الامراض النفسية والعقلية لفقدانهم الرعاية والحنان والعطف والرعاية الطبيعية ــ وتركهم فى المحاضن أو مع العلامات فى المنازل ــ كما كان من نتيجة ذلك تخلخل داخل كل أسرة من الأسر ــ لأن المرأة شغلتها وظيفتها عن رعاية أسرتها ــ وكان هذا فوق ما تحتمله المرأة ــ بل وفوق ما تحتمله الجماعات الانسانية .

وكانت هذه مشكلة حيرت الشباب المسلم من الجنسين الذى وقع فى حيرة كبيرة من جراء هذه الأفكار التى تصب فى آذانه ليل نهار بينما يرى واقع الحياة على غير ما يتوقع ــ وعلاج هذه المشكلة من نشر الأفكار الاسلامية التى تنظم العلاقة بين الرجل والمرأة وتدعيمها بأحدث البحوث الغربية التى تناولت علاج هذه المشكلة والتى تبين أن المساواة بين الرجل والمرأة لا سند لها من علم أو فكر سليم فى أى ناحية من النواحى وأن هناك فروقا بين الرجل والمرأة من الناحية البيولوجية ومن الناحية الفسيولوجية ومن الناحية السيكلوجية ومن الناحية العقلية ، وان العالم اذا أراد أن يخفف من

مشكلاته فلابد وأن يعود بالمرأة الى وظيفتها الأولى وهى تربية الأجيال .

الفروق البيولوجية :

الدكتور الكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل للعلم يبين الفرق بين الرجل والمرأة من الناحية البيولوجية فى كتابه الانسان ذلك المجهول (أن الامور التى تفرق بين الرجل والمرأة لا تتحدد فى الاشكال الخاصة بأعضائها الجنسية والوحم والحمل — ان هذه الفوارق ذات طبيعة أساسية نابعة من اختلاف نوع الانسجة فى جسم كليهما — كما أن المرأة تختلف عن الرجل كليا فى المادة الكيماوية التى تفرز من الرحم داخل جسمها — فكل خلية فى جسمها تحمل طابعا أنثويا — وهكذا تتكون أعضاءه المختلفة — بل وأكثر من هذا فهذا هو حال جهازها العصبى) ، وتوجد فروق أيضا كثيرة بين الرجل والمرأة فى الوزن وفى العظام وفى القوة البدنية وغير ذلك .

الفروق الفسيولوجية :

ومن الناحية الوظيفية أو الفسيولوجية فان أعضاء الجسم تتخذ شكلا يتناسب والاختلافات التشريحية فهناك فروق فى الكبد وفروق فى الدم وما الى ذلك .. يقول فيروسيه فى دائرة معارفه (انه نتيجة لضعف دم المرأة ونمو مجموعها العصبى فاننا نرى مزاجها العصبى أكثر تهيجا من مزاج الرجل فتركيبها أقل مقاومة لأن تأديتها لوظائف الحمل والأمومة والرضاعة تسبب لها أمراضا قليلة أو كثيرة الخطر ». كما يقول الدكتور درفارينى فى دائرة المعارف الكبيرة (ان المجموع العضلى عند المرأة أقل منه كمالا عند الرجل وأضعف منه بمقدار الثلث — والقلب عند المرأة أصغر وأخف منه بمقدار ٢٠ جراما فى المتوسط فالرجل أكثر ذكاء وادراكا والمرأة أكثر انفعالا وتهيجا) كما يقول نيكوليه دبلين فى دائرة المعارف الكبيرة (أن الحواس الخمس عند المرأة أضعف منها عند الرجل) .

الفروق السيكلوجية :

وهناك فروق بين الرجل والمرأة فى العاطفة — والمرأة أكثر حساسية وتأثرا بالظواهر الطبيعية والمرأة لا تستطيع حفظ الاسرار — والمرأة يجذب انتباهها حادثة ما أكثر من فكرة — وانفعالات الرجال أعمق أثرا من انفعالات النساء ولكنها أقل بعكس النساء اللاتى تظهر عليهن الانفعالات الحادة الفجائية من غير كظم أو اخفاء — وقد لوحظ أن جرائم الشباب هى التشاجر والقسوة والتشرد أما البنات فان جرائمهن هى الأمور الجنسية والكذب ومحاولة الانتحار .

الفروق العقلية :

تثبت الدراسات أن هناك فروقا فى النواحى العقلية بين الرجل والمرأة يقول الدكتور جابر عبد الحميد رئيس قسم علم النفس فى جامعة قطر فى كتابة الذكاء وقياسه (لوحظ على الدوام أن الذكور يمتازون فى نواحى القدرة الميكانيكية — كذلك يتفوقون على الاناث فى الاختبارات العددية التى تتطلب الاستدلال — وتتفوق البنات فى اختبار الدقة وفى استخدام الأصابع مع الادراك الكافى للتفاصيل) .

فترات خاصة :

وهناك فترات خاصة تمر بها المرأة ولا يمر بها الرجل وتظهر فيها أمراض كثيرة تكون خلالها مضطربة قلقة لا تتمكن من أن تسير سيرا طبيعيا وهى حالات الدورة الشهرية والحمل والولادة والنفاس .. يقول فان دى فلد فى كتابه الزواج المثالى (أما الأعراض البدنية السائدة فى المرأة قبل الحيض وخلاله فهى الشعور بالتعب والضيق الغامض — ويظهر الصداع غالبا فيمن اعتدن الصداع فى هذه الفترات — ويزداد تدفق اللعاب ويتمدد الكبد ويتضخم ويحدث مغص فى الكيس الصفراوى ويضطرب الهضم كما تضطرب شهية الأكل) .

على القاضى

الباحث عن الحقيقة

للمرحوم محمد عبد الحليم عبد الله
من منظور الفن الروائي

للدكتور فتحي محمد أبو عيسى

ـ ٤ ـ

* لاشك أن تلون الموضوعات التى تدور حولها الاعمال الروائية مؤشر ذو دلالة على نفاذ نظرة الروائى الى الأحداث التى تمور بها الحياة كما أنه أمارة على ما قد ينزع اليه فى ركوب متن « الخيال » ، والتحليق فى أجواء أثيرية ترتمى روايته بين أحضانها ٠

و « عبد الحليم » روائى لم يحبس أعماله فى « قمقم » ، أو يعزلها عن الحياة حتى تبقى صورا مكرورة فى الموضوعات والتناول على سواء ٠٠ ولعل وراء ذلك أستاذية متمكنة ، وضلاعة فنية مواتية طوعها فى تطوير فنه وبث رؤاه من « عاطفية مجردة تفتعل الوقائع لتستندى الدموع فى روايته الأولى « لقيطة » الى انفعال مباشر تحمله أعماله الأخيرة الناضجة ،

---

* الباحث عن الحقيقة : رواية تكشف كثيرا من المعانى التى تتصل باسلام الصحابى الجليل « سلمان الفارسى » رضى الله عنه ٠٠

وهى رواية تستبطن المعانى الدفينة التى خالجت هذا الصحابى الجليل منذ بحثه عن حقيقة « اسلامه » ٠

ولاشك أن الدراسة النقدية حين تلتحم بتلك المعانى التى عرض لها المرحوم « محمد عبد الحليم » تلقى ضوءا ساطعا على بعد ضخم من الابعاد الحياتية فى شخصية « سلمان » رضي الله عنه ٠

وخصوصا : « غصن الزيتــون » « ومن أجل ولد ى» (١) •

وهذا الملمح ــ فى حــد ذاته ــ يؤكد صدق « عبد الحليــــم » فى بعض الردود التى وجههـــا الى الدكتورة « بنت الشاطىء » (٢) ، فضلا عن موقف الفنان الـــذى يحلوله أن يظل حيث هو جامدا فى مكانه ، ثابتا فى موقعه لايريم عنهما أو يتحول ، فلا مراء ــ حينئــذ ــ فى ركود أعماله وضمورها • ومــن الظلم للفن دعواه الانتماء اليــه ، بل ومن الاهدار لأصالة الفــــن ورسالته أن نترخص فى مجـــرد تسميته « فنانا » •

وأمثال « عبـــد الحليم » من الروائيين الذين يمتلكون ناصــية « الفن » ويقتعدون غاربه ويربأون بأنفسهم عن الركون الى منطقــة الظل ، والاستسلام للدعة الفنية ، والاخلاد الى الراحة الفكـــرية ، بدليل أن أعمالا روائية غـــزيرة أبدعتها موهبته ، وتسامت به عــن العمل الفج الذى لايحمل مضمونا ينطوى على مقدرة وتبريز •

ونقرر نصفة للرجل • أن أعماله الروائية ، منذ أتيح لهـــا أن ترى النور تتسم بتجدد منظوره الفنى وفقا لنزعته الفنية التى تبـــدو فى تلك الأعمال مما يقطـــع بتلـــون الموضوعات ، واختلاف اتجاهه فى مرحلة عنها فى مــرحلة أخـــرى • وتأمل ما يقوله مصداقا لذلك •

« لكن بعض أعمـــالى الأولى أخـــذت الطـــابع « الرومانسى » ، وهذه مرحلة تكاد تكون طبيعية عند معظم الكتاب فى السنوات الاولى من حياتهم الأدبيـــة ، لكن قصصى الأخيرة مالت نحو « الواقعيـــة » مثل « شجرة اللبلاب » و « غصن الزيتون» و «من أجل ولدى» (٣) •

فعبد الحليـــم ــ اذن ــ ليس بدعا بين أبناء جيله من الكتـــاب ، فقـــد انعكست بعض مظاهـــر

---

(١) تجارب فى الادب والنقد ١٧٥ •

(٢) راجع موضوع التكرار الادبى والدكتورة (بنت الشاطىء ٩٣ ــ ٩٦ « قضايا ومعارك أدبية » •

(٣) مجلة الآداب (مايو ١٩٦٢) •

« الرومانسية » لدى رهط من الكتاب والروائيين ، نذكر منهم الدكتور طه حسين فى روايته دعاء الكروان ونجيب محفوظ فى رائعته خان الخليلى ويوسف السباعى فى انى راحلة وبين الأطلال وسواهم ·· « وتأمل هذه الروايات يهدى الى موضوعها العاطفى وهو ما يتفق فيه كاتبنا مع كتاب عصره فى أول عهده » (١) واذا كان الطابع « الرومانسى » قد غلب على أعماله من البداية فقد تحول (عبد الحليم) الى اتجاه آخر انطبعت به رواياته فى فترة تالية عندما صار الى « الواقعية » التى سادت بعض أعماله الروائية ·

ويبدو الفرق بين الطابعين عنده فى أن النظرة التى كانت تتملكه فى المرحلة الأولى اتجهت به الى المجتمع من خلال دافع عاطفى بحت ، فى حين أصبحت النظرة لديه فى المرحلة الثانية ذات دافع اجتماعى عاطفى معا ·· وربما يكون مرد هذا التحول الذى صار اليه الى عوامل ماجت بتيارات سياسية استقرت فى وعى المجتمع، وترسبت بين حناياه ، ونميل الى أن تكون تلك العوامل :

(أ) العدوان الثلاثى على « مصر » فى سنة (١٩٥٦ م) ·

(ب) الوحدة بين « مصر » و « سورية » عام (١٩٥٨ م) ، وما آل اليه أمر تلك الوحدة بعد ذلك بقليل ·

(جـ) انحسار المد الاسلامى فى عديد من صوره ، ولاسيما فى صورة وأد الفكر الاسلامى ، والتنكيل بصفوة من رجالاته ، سنة (١٩٦٥ م) ·· كانت تمثل نقاء الفكرة الاسلامية ونبضها ·

(د) نكسة (يونيو ١٩٦٧ م) · وما جرته على الشعب من البلبلة والكبت والتمزق ·

فهذه العوامل ــ فيما أرى ــ لايمكن أن تمر مرورا عابرا دون أن

---

(١) انظر : « قضايا الفن القصصى ٨٨ » د · يوسف نوفل ·

تحدث فى وعى « الفنان » أخاديد عميقة رفدت، بعض الأعمال الروائية التى واكبت هذه الأحداث

وليس أدل على تأثر الكاتب بمجريات تلك الأحداث من قوله فى حديث له مع احدى المستشرقات الروسيات يصف يوم « النكسة » وكيف كان وقعه على النفوس والمشاعر :

« اذا كان هذا اليوم (يشير الى الخامس من يونيو) حدا فاصلا فى التاريخ فكيف لا يكون حدا فاصلا بين عهدين فى شعور الناس وفى احساسهم ؟ وحين أقول « الناس » فانما أقصد جميع الناس ، فما بالنا بالكاتب والفنان الذى اتفقنا — أولا — على أنه انسان غير عادى .. اذا كان الخامس من « يونيو » ١٩٦٧ م فاصلا بين عهدين فى التاريخ ، غير شعور كل الناس والرجل العادى ، وجعل الريفى فى الحقل والعامل فى المصنع يتكلم بكلام جديد ، ويتحدث بأفكار جديدة ، فكيف لايكون فاصلا بين عهدين بالنسبة للرجل أو المرأة التى تحمل القلم أو الفنان !! أعتبر أن هذا شىء طبيعى ، كما نقول : الشتاء يأتى بعد الخريف ، والربيع يأتى بعد الشتاء ، ونحن الآن فى انتظار الربيع » (١) .

على أن العوامل السابقة التى طوعت قلم « عبد الحليم » لينزع فى رواياته منزعا واقعيا اجتماعيا عاطفيا لا تعدو أن تكون سياسية أو اجتماعية تحركت على مسرح الحياة ، فأما العوامل الفنية الداخلة فى اطار الفن والتى لعبت دورا — هى الأخرى — فى تحول الروائى الراحل من المرحلة الأولى الى المرحلة الأخيرة فتتبدى فى أن « الرومانسية » لم تعد — آنئذ — ذات بال فى معالجة القضايا وتناولها مما حدا بالكاتب أن ينزع نحو الواقعية .

يذكر الدكتور « يوسف نوفل » أن الكاتب فى المرحلة المتأخرة كان يحاول جاهدا أن يتخلص من

---

(١) مجلة الهلال أكتوبر ١٩٧٠ .

(الرومانسية) المتشبثة بكتاباتــه عن تغلغل وحنين قديمين ، رغبــة منه فى مواكبة التطور الفنى الذى طرأ على فن القصة عالميا ومحليــا فى الوقت الــذى اقتنع أو حــاول أن يقتنع فيــه بعــدم جــدوى « الرومانسية » فى مواجهة قضايا العصر ، وأهمية اعتناق الواقعيــة فيما يكتب فى هذا الوقت ، فى هذا الوقت كان الواقعيون المحــدثون قد فرغوا من اعداد وتطبيق صيغة جديدة متقدمة للواقعية ، استيعابا لقراءاتهم العالمية للواقعية النقدية والواقعية الاشتراكية ، والوجودية والرمزية والنفسية ، والتعبيرية بل واللا معقول) (١) والذى يعنينــا أن نلفت اليه أن (البــاحث عــن الحقيقة) موضوع تاريخى ، نزع عن قوس (الجنة العذراء) رواية الكاتب ، غير أن الموضــوع فى (الجنة العذراء) تاريخ يصطبــغ بالصبغة السياسية ، ويســتمد مقوماته من الحرب العالمية الثانية ، وما صاحبها من غارات واكتنفها من ملابسات ، وآلت اليه من نتائج ، أما (الباحث عن الحقيقة) فتاريخ موغل فى القدم ينتهى الى فجــر الدعوة الاسلامية ، وكيف صــاغت النماذج الفريدة من صحابة النبى صلى الله عليه وسلم على نحــو رائع ، سيظل مضرب الأمثال فى كل آنية وأوان .

ويبدو أن انعطافه الى التاريخ الحديث له من الأســباب مايجعله مقبولا ، فقد كانت بداية التحــول الاشتراكى تفرض نفسها فى عديد من مواقع العمل ، وسط قطــاعات عريضة فى المجتمع ، لهــذا كان التاريخ الحديث مرجعــا ضروريا يستقى منه عمله ، ابتغاء أن ينطلق منه الى توضيح رؤيته .

ثم جد من الأحداث ما أتاح له أن يثوب الى نفسه ليجيل فكره فى تاريخ الاسلام ، كأنما وجــد فى التاريخ الاسلامى ومواقفه دغدغة لمشاعره الحــرى وقد أرهقها ما أرهقها من أحداث توالت عــلى مسرح الحياة ، خلفت ـ بتعــاقب

---

(١) قضايا الفن القصصى ١٣٦ .

الأحداث ــ نفسا مشحونة بالأسى مفعمة بالمرارة •

وما مهد للاتجـــاه التاريخى « أزمة نفسية عاتية تعرض لهـا الكاتب فى بداية « الســتينيات » حيث عاش محنة قاسية نتيجـة ما انتهى اليه فهمه لفساد الحيـاة الأدبية من ناحية ، ومشكلة الانتماء العقدى من ناحية أخرى ، فاعتزل الحياة ، وانفرد بنفســه يتأمل قسوة الحياة الأدبية بألم ، وظـل فى معاناته تلك حتى تهيـأ له فى « نوفمبر ١٩٦٦ م » أن يصب كل همومه النفسية ورؤاه الروحية فى هذا العمل ، ملتقيا بشــخصية الصـحابى الجليــل « سـلمان الفارسى » •

ولاشك أنه بهذه الرواية دخـل أدب الكاتب قمة مرحلة من مراحل ابداعه ، وهى مرحلة يتجاوب فيها مع التاريخ ومع قضايا المجتمـع فلم يعـد يســتند عـلى الفطرة العاطفية والجمالية فحسب ، بـل لجأ الى المجتمع ومجالات النفس ، واتخذ من معالجتها طريقا للتعبير عن الرغبة فى التغيير الاجتمـاعى والخلقى » (١) •

ومن الحقائق الأولية البدهيـة أن هيكل القصة يتفاوت فى شـكل الأعمال الروائية من عمل الى آخر وفى التناول من كاتب الى سواه ، ذلك أن العمل الروائى قد يكـون عاديا (تركيبيا) ، كمـا يكـون (تحليليا) وفى كلا الشكلين يحدد الروائى موقفه ، ويجد نفسه أمام العمل التحليلى مضطرا الى سبر الأغوار واســتبطان الحـوادث واكتناه المواقف ، وليس هذا أمرا سهلا ، فما لـم يكن الروائى ذا نظرة ثاقبة ورؤية عميقة، وملاحظة واعية فان عمله التحليلى لا يلبث أن يتوارى شيئا فشيئا فى زحمـة المشاهد ، وقد يتلاشى ، وحينئـذ لانرى فى العمل الروائى عنصرا من عنـاصر المتعة أو التشـويق •

والروائى الناجح والفنان البـارع هو الذى يخلع على روايته الحركة، ويوجد فيها الصراع ، ولا يتـأتى

---

(١) المرجع نفسه ١٠٨ •

له ذلك الا بعد اختيار الموضـوع والشخصية والهدف •

و « عبد الحليم » كان موفقا فى جعل تلك الشـخصية الجليلة موضوعا لروايته الاسـلامية •• وقد يتوهم بعض النـاس حين يتصور أن اختيار « عبد الحليم » لهذه الشخصية خلو من الفنيـة ، على عكس صنيعه فى بعض رواياته الأخرى ، اذ حاول أن ينشىء لهـم كيانا ، أسهمت فيه ملكاته بنصيب كبير ، معتمدا فى ذلك على حسـه الفنى المتقد ، أما هو فى (الباحث عن الحقيقة) فقـد تلبث أمـام موضوع أو شخصية جاهزة ، فمـا فضله — اذن — وشـخصية (سلمان) غير مغمورة ولاخاملة ؟ قد يتراءى ذلك لبعض النـاس ، ولكن احساس الكاتب بانفعال تلك الشخصية المألوفة ، وتنسيق هـذه الانفعالات فى مناخ نفسى متفق هو الذى يخلق فى العمل الروائى — أيا كان — روح الفن وجـوهره وبهذا تتفاوت الأعمال الروائية •

وقـد تهيأ لعبـد الحليم فى (الباحث عن الحقيقة) مناخ نفسى أعانه عـلى ائتـلاف الشخصيات وتلاؤمهـا ولمس ما فى نفوس أصحابها من كوامن ، شكلت هـذا المناخ بالصورة التى جاء عليها فى (الباحث عـن الحقيقة) هـذا « سلمان » يتحدث الى أختـه (بوران) ، وقد طلبت اليه أن تحل وثاقه :

« آه يا « بوران » الغالية ، ليتك يا حبيبتى تشعرين بما أشعر به ، الجنة الآن فى داخلى •• ذراعاى خلفى ، وقـدماى موثوقتـان ، والراحة تملأ القـلب ، عينى وراء أفقـكم يا (بوران) •• هنـاك صلاة ذات أجنحة ترتفع بأصحابها الى السماء ، وهناك صلاة كسلاسل (الميناء) نشد السفينة الى الأرض •• = أحل وثاقك وألقى جزائى •

هتف (سلمان) بصوت كأنه آت من عالم بعيد :

لاتفعلى ، فالقـوة التى حلت وثاق القلب ليست عاجـزة يـا (بوران) عن أن تحـل وثاق

القـدم » (١) ، ان الانفعـال النفسى فى مثل هذا المشهد ، والثقة التى داخلت (سلمان) وعاشـت بين جوانحه واحساس الكاتب بكل ما تمليه تلك المـواقف من حـركة وجيشان من شـأنه أن يحـرك الأحداث ويبرز الصراع •

وائتلاف الشخصيات وتلاؤمها فى وحدة نفسية متسـقة ضرب من اللمسات الفنية التى تكون أثرا من آثار معايشة الفنان للعمل الروائى الذى يتصدى له ، مما ينأى بالعمل الروائى عن طبيعة « السرد » الذى لايعول فى أغلب صوره على الغوص فى مسارب النفس وخواطرها •

ومن أمثلة هذا التلاؤم ما نراه واضحا فى شخصيات : « سلمان » و « الـراعى » و « سـهيل » و « العـابد » من خط نفسى ينتظمهم ، فسلمان شـخصية كل ما يشغلها أن تشبع الرغبة الدفينة بين حناياها وهى رغبة تظهـر فى الاصرار على الاطاحة بالتقاليـد الرثة البالية التى تسـتهين بقيمـة الآدمى ، وتستخف بعقله وكرامته، وتهدر فيه الفطرة النقية ، ولا تأبه لشفافية المثل الروحية التى تشبثت بعالم الحق والخير والجمـال ، ولهذا كان التردد يملؤه ، والقلـق يسيطر عليه •• وكـذلك كـان (الراعى) •• ألـم تراليـه و (سلمان) يتحسس الطـريق نحو داره ليلبس ملابسه يقـول : « ابن الدهقان !! هذا ليس معقولا يا اله النور هل آن لك أن تنتصر على اله الظلام » ؟

وكـأنى بالـراعى يفصـح عمـا بداخـله من مشـاعر مشحونة بالترقب والتحفز والتوثب فطالما كان لاله الظلام الذى عبده جبروت وسورة ، ولكنه جبـروت يوشك الحوار أن يعصف به فيتبدد ويهتز،وهل الحق سوى اله النور؟!

أما (سهيل) فكان عـلى غرار « سلمان » ، فاذا كان « سلمان » قد داخلته ثورة عاتية بددت هـذه الرواسب التى عاشت بين جوانحه ردحا من الزمن فان (سهيلا) يبدو

(١) الباحث عن الحقيقة ٢٠ وما بعدها •

هو الآخر غير مقتنع بالهه الــــذى يتقرب اليه ، وربما كان ذلك مدعاة الى التهكم به ، والتمرد عليه ، على أن مظاهر العبادة التى سيق اليهــا غير موصولة بأعماقه ، هكذا كــان احساسه ، بيد أن تيار التقليـــــد الزائف فرض عليه لونا من الولاء ، وأنى له بمن يستمع اليه ليترجـــم عن احساسه ، ويقدرمشاعره ؟

لاريب أن الاتفــــــاق فى تلك الخواطر ، وفى التطلع الى من يبثها اليه : يعنى لونا من الانسجام فى المناخ النفسى لشخصيات الرواية •• وأمام كل هذه الأصباغ الفنية يتولد الصراع وتتشابك الأحداث ، ثم يمتد سريان هذا الطابع خــلال العمل الروائى على نحو ينفــــرج قليلا قليلا حتى يبلغ الكاتب هدفه الذى توخاه منذ البداية •

(يتبع)

دكتور فتحى محمد أبو عيسى

« اقامة الألسنة »

قال عبد الملك بن مروان :

ما الناس الى شىء من العلوم أحوج منهم الى اقامة ألسنتهم التى بها يتحاورون الكلام ، ويتهادون الحكم ، ويستخرجون غوامض العلم مــن مخابئها ، ويجمــعون ما تفرق منها • ان الكلام قاض يجمع بين الخصــوم ، وضياء يجلو الظلام ، وحاجة الناس الى مواده كحاجتهم الى مواد الأغذية •

تساؤلات
بين يدى ميلاد الرسول العظيم

للأستاذ / رشدى محمد ابراهيم

اختيار الهى لا نستطيع أن نقف على أسراره جملة واحدة ، ولكننا قد نستطيع ادراك جزء من أسرار هذا الاختيار عندما نطرح هذه التساؤلات :

كيف كان العالم قبل الرسالة ..؟ وما سر اختيار النبى صلى الله عليه وسلم من العرب دون غيرهم .. ؟ ومن مكة دون سواها .. ؟ وما دلالة العلامات التى سبقت ميلاده .. ؟ والاحداث التى واكبت هذا الميلاد .. ؟

* * *

والمطلع على تاريخ العالم ، خلال الحقبة الزمنية ، التى سبقت اشراق نور الاسلام ، يجد أن العالم اذ ذاك اقتسمته امبراطوريتان عظيمتان ، تمتعتا بالمجد والسيادة ، على الدول والامارات التى تقع فى فلكيهما .. فكانت الامبراطورية الرومانية — فى الغرب — قد جعلت البحر المتوسط بحيرة تسيطر على شواطئه أطماع الرومان ، فتمتد يد الظلم الرومانى الى كل جانب .

والامبراطورية الفارسية فى الشرق بسطت نفوذها على الخليج ، وعلى الامارات المحيطة بها وتورطت الامبراطوريتان معا فى صراع دموى، فكانت الحرب بينهما سجالا .. وعلى مقربة من هذين الخصمين الكبيرين كانت تقبع شبه الجزيرة العربية بسكانها العرب الذين تلاءمت حياتهم مع مناخ الجزيرة ، فكانت لهم سماتهم الخاصة التى تغاير حياة الشعوب

الخاضعة للفرس والروم • فاتسم العرب بالشجاعة والاقدام، والكرم والوفاء والمبادرة بغوث المكـروب والمستصرخ •• غير أن ظـروف البيئة جعلت من القوم فى أنحـاء متفرقة من الجزيرة متحـاربين يدفعهم الى ويلات الحروب البحث عن المرعى الخصيب ، والعصبية والحمية •• وان كانوا عـلى ذلك قد عظموا البيت الحرام بمكـة ، وجعلوا الصدارة الدينية والزعامة لأهله ، لأنهم يحيون فى كنف هذا البيت العتيق • لذا عاش أهل مكة فى مأمن ، ومن يلذبهم فهو فى مأمن، فاشتغلوا بالتجارة شتاء وصيفا ، وعمهم الثراء ، كما عمهم الامان ، وأصبحت لهجتهم اللغوية أصفى النهجات وأنقاها ••

* * *

وبينما الحياة تسير فى طريقها •• كان أبناء الجزيرة قد أشربوا فى قلوبهم عقيدة ، ورثها الابناء عن الآباء ، فخالفوا بها الفطرة النقية فى الانسان ، وانقلب بذلك ميزان الحياة ، واضطربت لذلك مقادير الامور ، وتعصب هؤلاء القـوم لعقيدتهم الفاسدة فجرفهم طوفان الشهوات الدنيئة ، فغصت حياتهم بالخمر والميسر والليالى الحمر ، حيث لا وازع ، ولا رادع يحجبهم عن هذا المجون السـافر •• وبلغ بعضهم الغاية فى الغواية عندما رأوا فى انجاب الاناث العار لهم فجعلوا وأد البنات سنة فيهـم ، وخلص الفساد الى كل حياتهم الاجتماعية، واندفعوا وراء عصبيتهم يقتتلون لأتفه الاسـباب ، فمزقت أنياب القوة كرامة الضعفاء ، وحـرية البائسين ولم يكن اضـطراب العقيدة مقصورا على الجزيـرة وحدها بل امتد الى الفرس والروم فاذا الفرس قد جذبهم تيـار الرزادشية الى طوفان المـادية والشهوات ، وضـاعوا بين الهى النور والظلام ، والخير والشر ، وعرفت قصـور الاكاسرة ضروب المتاع الحسى البغيض •• كمـا اختلف الرومان مع الشـعوب الخاضعة لهم فى فهم المسـيحية فاضطهدوهم ، وتاهوا فى هـذا الخـلاف محرفين بذلك العقيـدة فاضطربت أمورهـم ، وبدأت

أملاكهم تتقلص واستبدبهم اللهو والمتاع الحسى البغيض ..

وما كانت الحياة لتظل هكذا .. ما كانت لتظل أصناما ترفع ، وحقا يصرع ، وضعيفا يركع وبائســـا يخضع ، ومستبدا يتجبر ، وطاغيا يتكبر .. وظلمات كظلمات بحـــر لجى .. هكذا كانت الحيـــــاة اضطرابا يموج بوجدان الكـــون ومقدمات تسبق النتائج ، فلقـــد تقاذفت أمواج الشهوات ســفينة البشرية فى بحار الملذات الطامية ، فافتقدت السفينة شاطىء الأمان ، وتطلع الجميع الى ربـــان وأى ربان .. انه ربان يستطيع أن ينجو بالســـفينة من أثباج هذا العباب المزيد .. حتى آذن النور بالظهور.

* * *

ويتساءل العقل لو أن اختيـــار النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن من العرب بل كان من أمة متحضرة مثل الفرس والروم .. هل كان بمستطيع أن يصدع بالحق والدعوة لاتزال فى المهد .. فى وجه كسرى أو قيصر .. ؟

ان عروش الظالمين والطغاة فى كل عصر ومصر تخشى نور الحـــق فتقمع دعـــوته وهى فى المهد وتكمم افواه الدعاة حتى يظل الطغاة أبطال الساحة المغاوير .. ؟

اذن ما كانت بلاد الفـــرس أو الروم بصالحة ، لان تكون مهـــدا لدعوة الحق الخاتمة .. أما جزيرة العرب فهى لا تخضع لنفـــوذ أصحاب العروش ، ولا تدين بالولاء لحاكم يبطش بأهلها ، وانما تخضع لقانون العصبية الذى يجعل من أفراد القبيلة جميعا يدا واحدة ، ومن أفراد القبائل المتحالفة قـــوة واحدة فى وجه من يريد المســـاس بحرمة القبيلة أو حرمة أى فـــرد فيها .. لذا رأينا بنى هاشـــم جميعا يعانون المقاطعة التى فرضت عليهم لان محمدا ــ صلى اللـــه عليه وسلم ــ واحد منهم وما كانوا ليسلموه لشر أبدا ، رغم أن منهم من لا يدينون بدينه ، ولو أن أحدا من خارج مكة أراد الكيـــد بالنبى عليه الصلاة والسلام ، ما كانت مكة لتتركه له رغم أنها تعـــارض دعوته .. اذن فهى العصبية التى كانت سياجا لحماية الدعوة والداعى

من أى عدوان خارجى وان كانت نفس العصبية هى أداة الحرب التى وقفت فى وجه الدعوة ولكن بعد أن مكن الله لنبيه ودينه ..وكان العرب فى جزيرتهم رمزا للفطرة النقيةالتى لم تغيرها سطوة حاكم مستبد أو أمير ظالم .. وليتهم الآن يدركون رسالتهم فى الحياة ويعلمون أن دورهم فيها دور القائد الذى يتأسى به قومه ، فيعملوا على اصلاح ما تمزق من شملهم وماتناثر من أشلاء كرامتهم المبعثرة فى الشرق والغرب .

* * *

أما مكة فسر اختيارها دون غيرها ، من حواضر الجزيرة المستقرة — والله أعلم — أنها كانت رمز الزعامة الدينية ، ولها شرف الرئاسة على مناسك العرب التعبدية فى جاهليتهم .. فالمكيون هم زعماء العرب ، وسادتهم ، لانهم يعيشون فى كنف بيت الله الحرام .. ودعوة النبى — صلى الله عليه وسلم — هى نقض كامل لعقائدهم الدينية ، فكان اختيار مكة مهدا للدعوة ايذانا بانتهاء تلك الزعامة الدينية الفاسدة .. وتوجيها للدعاة ، بأن الدعوة — لكى تؤتى أكلها — يجب أن توجه أول ما توجه الى أسماع الزعماء قبل العامة .. وأيضا لو أن محمدا — صلى الله عليه وسلم — بدأ دعوته من موضع آخر غير مكة لقال الزعماء : لو كان هذا بيننا — نحن المكيين — لأخمدنا دعوته منذ ذرقرنها ..

لذا كان اختيار مكة أمثل اختيار .. فكل الاعين تتطلع اليها ، وتنتظر ماذا ستفعل مكة بابنها الذى تمرد على دينها الموروث .. ولذلك لما فتحت مكة وأسلم أهلها ، دخل الناس من سائر القبائل والعشائر فى دين الله أفواجا .

* * *

ونتساءل عن تلك الاحداث التى واكبت ميلاد النبى عليه الصلاة والسلام ..فنجدها ذات دلالة خاصة .. وعلى رأس هذه العلامات قصة أصحاب الفيل التى وقعت فى العام الذى ولد فيه النبى صلى الله عليه وسلم .. وأفردها الله تعالى بسورة فى كتابه الكريم ..

حيث تولى الله أمر بيته ، فوقــاه شر جيش أبرهه .. وكان هــذا اعلاما بأن قريش فى حماية الخالق فهم أهل بيته ، والقائمون عـــلى أمره، وهاهم أولاء قد واجهوا كيدا يراد بالبيت ، وليس لهم قبـــل برده فكان نصر الله .. وكان جند الله .. فمكن الله بذلك لقريش بين القبائل والذى يتابع النســـــق القرآنى يجد أن القرآن الكريم ذكر عقب سورة الفيل سورة قريش **« لا يلاف قريش »** ومـــا ذلك الا تأكيدا للمعنى السابق وهـــو اعزازهم .

ونتساءل : لم هذا الاعزاز .. ؟ الأنهم هم القائمون على بيت الله الحرام .. ؟ وهم المشرفون على الاصنام .. ؟ أم أن هناك أمرا أجل وأعظم .. ؟

لاشك أن فى ضـــمير الغيب كنزا مدخرا ونورا عما قريب ســـوف ينبلج .. وســـوف يصـــعق لـــه كـــل أولئـــك وهـــؤلاء .. أو ليس فى لجوء قريش ــ يوم ضاقت عليها الحلقـــــات ، واستحكمت الدوائر أمام جند أبرهـــة ــ الى الخالق رب السماء والارض ، ورب البيت الذى يحمى بيته ، دليـــل قاطع على عجز الآلهـــــة التى يعبدونها ، والا للجأوا اليها وطلبوا منها العون .. نعم لكأن القـــوم فى أعماقهم احساس بضعف الآلهة الزائفة غير أنهم يكابرون فى ذلــك ويجادلون .

وحدث آخر سيظل عالقـــا بذاكرة التاريخ وهو قصة فـــداء عبد الله بن عبد المطلب ، لقد كان حدثا رج جنبات مكة .. فعبـــد المطلب يريد أن يفى بنذره القديم ، الذى قطعه على نفسه بأن يذبـــح أحد أبنائه اذا أصـــبحوا عشرة رجال واليوم وقد حدث تخـــرج السهام على آخرهم وأحبهـــم الى نفسه ، على عبد الله ليكون هـــو القربان ، ويقف أهل مكة فى وجه عبد المطلب ، وينتهى الامر باجراء القرعة بين عبد اللـــه وعشرة من الابل هى فدية الرجل عندهم على أن تزاد الابل عشرا كلما خرجت القرعة على عبد الله .. وهكـــذا حتى بلغت مائة انه أكبر فداء يقدم لانسان فى الجزيرة قاطبة ،ولـــم تمض الا أشهر حتى كان عبد الله قد توفى بعد زواجه وخروجـــه

للتجارة والناس بعد لم ينسوا ذلك الفداء الكبير •• ما السر فى ذلــك اذن ••؟ ان قصة الفداء دليل على عظمة المفدى لانه يحمــل أشرف نطفة لاشرف مخلوق •• وما كان له أن يعيش بعد أداء مهمتــه ألا وهى اخراج هذه النطفة الى حيز الوجود •• والله سيتولى أمـــر الرعاية والحماية والتربية فـــلا حاجة اذن الى امتداد حياة الأب•• وانها لعبرة لأولى البصائر النيرة •

وهناك علامات كثيرة قد سبقت البعثة النبوية وصاحبت ميـــلاد النبى العظيم •• وان شكك فيهـا البعض ممن عميت بصائرهم فانه لن يستطيع أن يطمس نور التاريخ الذى انبعث من مشكاة النبـــوة وهاجا منيرا •

رشدى محمد ابراهيم

عدم قصر الألفاظ على معانيها الشائعة

للأستاذ / عباس ابو السعود

تمتــــاز الفصــحى بأن لمعظم ألفاظها أكثر من معنى ، بيــد أن كثيرا من المثقفين وبخاصة من هى مهنتهم يكتفون للفظ بمعنى واحــد هو المشهور ، ويهملون ما عداه •

لهذا رأيت من واجبى أن أقوم بنصيبى فى سد هذه الكلمة وتذليل تلك العقبة وذلك بأن أمدهم بمـا ند عنهم من المعــانى لطائفــة من الألفاظ تكون نماذج يترسمونها ، لعلهم يهتدون بها الى ما أشــكل عليهم أمره ، ويكشفون عما طمس الاهمال والتقصــير معــالمه ، ففى ذلك نماء لمحصولهم اللغوى ، كما فيه فرصة يتخيرون بها من المعانى ما يجعل أساليبهم متناســقة لا مرسلة بددا ، ومتناظمة لا طرائق قددا •

وآنئذ تتسع على قارئها وسامعها الظلال والأضواء ، وجودة السبك ، وحلاوة النســج ولا يغيبن عــن الأذهان أن الألفاظ هى حلل المعانى والآراء الســليمة ، وترجمــان الحوادث والأفكار •

بها تتسم المسميات ، وتتخصص المبهمات ، وتتميز المســتحدثات والمبتكرات وعلم اللغة بما يضــم من الفاظ ومعــان يذكر برجــاحة العقل طالبــه ، وينعت بصــفاء الذهن صاحبه ، ويســتحق الحمد عند كل العقلاء حاويه ، ويستوجب الثنــاء الحسن من كل الأفاضــل واعيه •

هو ناســج أبراد العربيــة ، وحائك غلائلها ، ومشرق شمسها ، ومظهر وحيها والالمام بكل معــانى

اللفظ يروى غلة الباحث ، ويخلق منه أديبا يسماعا ، ويغريه بـأن يتقيـل البلقـاء فى قيم نتاجهم ، ويحمله على أن يدرك مافى الآثـار الادبية من ألوان البلاغة •

فمن عنى بتحصـيل معـانى الألفاظ وحفظهـا مع فهم ثاقب ، ولب راجح وقريحة صـافية ، ولسان عضب فحل نثره ، وجـزل شعره ، وأصبحت عيون الأدبـاء نحوه روامق ، وألسنتهم بمدحـه نواطق •

ومن أمثلة ذلك :

أنهم يقصرون كلمة أسماء على أنها جمع لاسم كما فى قوله تعالى **« الله لا اله الا هو له الأسـماء الحسنى »** والحق أنها تسـتعمل مفردة أيضا على أنهـا علم لأنثى وأصلها وسماء بالواو •

تقول : وسـم فلان من بـاب ظرف وسامة فهو وسيم أى جميل حسن الوجه، وهم وسماء كظرفاء، ووسام كظراف ، وهى وسـيمة ووسماء ، وبهذا سموا أسـماء وهمزته أصلهـا واو ، ومن ذلك السيدة أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها وجمع الوسيمة وسـام بالكسر كصبيحة وصباح •

والميسم بكسر الميم المكـواة ، وكذلك هو الجمال وأثر الحسـن ، وأصل الياء فيه واو جمعه مياسم على اللفظ ، ومواسم على الأصل ، تقول : امرأة ذات ميسم اذا كان عليها أثر الجمال والحسن •

ونقول : توسمت فى فلان الخير اذا تفرسته وتبينته حتى تعرفـه بسمته ، فـأنت متوسـم ، وهم متوسمون ، ومن هذا قوله سبحانه **« أن فى ذلك لآيات للمتوسمين »** •

وقول الفرذدق :

توسـمت لمـا أن رأيت مهـابه
عليه وقلت الشيخ من آل هاشم

وتوسـم الفـلاح اذا طلب كلأ الوسمى ، والوسمى بفتح الـواو وتشديد الياء هـو مطـر الربيع الأول ، وسمى بذلك لانه يسـم الأرض ويزينها بالنبات والوسـم بزنة الوجه هو التزين والتحسن ومنه قول الفرزدق •

انى امرؤ أسم القصائد للعداء
ان القصـائد شرها أغفالهـا

ويقال : وسم الناس توسيما اذا شهدوا الموسم كموسم الحج وغيره ، كما يقال : عيدوا اذا شهدوا العيد •

٢ — ويقصرون كلمة الكتاب على المكتوب المعروف ، وعلى المنزل كما فى قوله تعالى « **ذلك الكتاب لا ريب** » وعلى الرسالة كما فى قولك : وصل الى من صديقى كتاب يقول فيه كذا وكذا •

والواقع أن للكتاب معانى عدة يجهلونها منها •

١ — أنه مصدر لكتب ، تقول كتب من باب نصر كتبا وكتابا أيضا والاسم الكتابة لأنها صناعة ومن الكتاب بمعنى المصدر قوله تعالى « **وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا** » فكتابا هنا مصدر مؤكد ، لأن المعنى كتب الله الموت كتابا له أجل لا يتقدم ولا يتأخر ومنه أيضا قوله سبحانه « **ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا** » أى محددا مكتوبا •

٢ — ومنها القدر كما فى قولك حين رأيت جنازة : هذا كتاب الله تعنى قدره ، قال الجعدى •

يابنت عمى كتاب الله اخرنى
عنكم وهل أمنعن الله فعلا ؟

والكاتب عند العرب العالم ومنه قوله تعالى « **أم عندهم الغيب فهم يكتبون** » جمعه كتاب بتشديد التاء ، وكتبة بثلاث فتحات ، وكاتبون ، ومن هذا قوله تعالى « **فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون** »

وكذلك منه قوله سبحانه « **لكل أجل كتاب** » **أى لكل وقت من أى حكم يكتب على العباد**

٣ — ويقصرون السيد بتشديد الياء مكسورة على من يسود قومه ، اذ يقال : ساد فلان قومه يسودهم من باب كتب سيادة وسؤددا أيضا فهو سيد ان أردت الحال ، وسائد ان أردت الاستقبال ، وهم سادة ، وسيايد ، وسادات ، ولكن العرب وضعت هذا اللفظ لمعنيين آخرين زيادة على المعنى الشائع •

أحداهما : زوج المرأة كما فى قوله تعالى فى امرأة العزيز « **وألفيا سيدها لدى الباب** » •

والآخر : المسن من المعز ، وفى

الحديث « ثنى الضأن خير من السيد من المعز » .

أما السيد بكسر السين فهو الذئب والأسد ، تقول : فلان على كالسيد ، أى عدو كالذئب وهم على كالسيدان ، وزان صنو وصنوان ، ويقال للذئبة السيدانة ، ومن المجاز قولك هذه امرأة سيدانة .

٤ — ويقتصرون السواد على اللون المعروف ، يقال : سود الشيء يسود من باب تعب فالذكر أسود ، والأنثى سوداء ، جمعها سود بالضم كأحمر وحمر .

والحق أن للسواد معانى أخر .

١ — فهو الشخص جمعه أسودة كجناح وأجنحة ، وأساود أيضا ، تقول . رأيت سوادا ، وأسودة وأساود ، أى شخوصا ، قال الأعشى :

تناهيتمو عنا وقد كان منكم
أساود صرعى لم يوسد قتيلها

وتقول : كثرت سواد القوم بسوادى ، أى جماعتهم بشخصى .

ومن هذا قولك : ساودت فلانا اذا ساودته ، لأنك تدنى سوادك من سواده .

٢ — وهو من القلب حبته كسويدائه .

٣ — وهو من الناس عامتهم ، تقول : عليكم بالسواد الأعظم ، أى عليكم بجماعة المسلمين .

٤ — وهو المال الكثير وهو من المدينة قرها ، تقول خرجوا الى سواد المدينة أى الى ما حولها من القرى والريف ، ومنه سواد العراق لما بين البصرة والكوفة ، وحولهما من قراها .

٥ — ويقصرون الأسود على معنى واحد هو المتصف بالسواد ، والواقع أنه يؤدى معانى أخر فضلا عن الفاشى .

١ — فهو الحية والعقرب ، ومنه الحديث « اقتلوا الأسودين فى الصلاة » جمعه الأساود .

٢ — والعرب تسمى الأخضر أسود ، لأنه يرى كذلك من بعيد ، ومنه سواد العراق لخضرة أشجاره وزروعه .

٣ — والأسود من السهام

هو المبارك المدمى يتيمن به كأنه اسود من كثرة ما أصابته اليد •

تقول : رمى الجندى بسهمه الأسود أى المبارك ، قال راشد :

قالت أميمة لما جئت زائرها
هلا رميت ببعض الأسهم السود

٤ — والأسودان التمر والماء ، تقول : ما طعامهم الا الأسودان •

٥ — والأسود من القوم هو الشريف الماجد ، تقول : فلان أسود القوم أى شريفهم ويصغر الأسود قياسا على أسيد بتشديد الياء مكسورة ، وعلى أسيود بكسر الواو ويصغر ترخيما على سويد •

٦ ويقصرون النفس على أنها الروح اذ يقال : خرجت نفسه أى روحه والحق أن لها عدة معان •

١ — فهى الدم ، تقول : سالت نفسه أى دمه ، ودفق فلان نفسه أى دمه ، وقولهم لا نفس له سائلة معناه لا دم له يجرى ، وفى الحديث « ما ليس له نفس سائلة فانه لا ينجس الماء اذا مات فيه » وسمى الدم نفسا لأن النفس التى هى اسم لجملة الحيوان قوامها الدم ، والنفساء من هذا •

٢ — وهى العند والحقيقة ، ومن هذا قوله تعالى « **تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك** » اى تعلم ما عندى ولا أعلم ما عندك ، أو تعلم حقيقتى ولا أعلم حقيقتك ، قال ابن الأنبارى : الأجود أن النفس فى هذه الآية معناها الغيب ، أى تعلم غيبى ولا أعلم غيبك ، لأن النفس لما كانت غائبة أوقعت على الغيب ، ويشهد لصحة هذا الرأى قوله تعالى فى آخر الآية « **انك أنت علام الغيوب** » كأنه قال : تعلم غيبى يا علام الغيوب •

٣ — وهى الانسان كما فى قوله سبحانه « **كل نفس ذائقة الموت** » وقوله « **كل نفس بما كسبت رهينة** » وقوله « **يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها** »

وقولهم : ثلاثة أنفس بالتذكير معناه أن المفرد انسان •

٤ — وهى العقوبة كما فى قوله عز شأنه « **ويحذركم الله نفسه** » أى عقوبته •

من وحي المولد الشريف

للأستاذ / محمد عبد الرحمن صان الدين

ربيب القفــر والــوادى الجـــديب
بـــكف اليتـــم فى عيش اللغـــوب
جفتـــك المرضعـــــات وأنـــت غض
عـــلى مهـــد من الصـــخر الصـــليب
طـــلعت عـــلى بنى الدنيـــا ســـلاما
وشمســـــا لا تميـــــل الى غـــــروب
بأخــــلاق كأنســــــام رقــــــاق
سرت فى الســـــكون تنفحــــه بطيب
رســــــول اللـــه يـــا سر الليــــالى
وكنـــــز الـــــدهر فى طى الغيـــوب
وأمنيـــة المســــــاكين الحيــــــارى
وحلم البيـــد والرمــــل الخضـــيب
رعيت ســــوائم الأنعــــام طفــــلا
وســـت النـــــاس ابان المشـــيب
فذللت الجمـــــوح بغـــير ســــوط
وألفت القـــلوب عـــلى القـــلوب
وأسبغت الســــــلام عـــلى بقــــاع
هـــوت فى وهـــدة الشر الـــرهيب

شريعتها سيوف داميات
بحلبات التصادم والحروب
تصيح بها شياطين المنايا
وتركض فى المفاوز والدروب
وتشرب من دموع ساجمات
وترقص حول حشرجة النحيب
حياة فى جحيم البغى تغلى
وطاحون يدور بلا رقيب
وأقوام على الأهوال ساروا
وقروا بين ألسنة اللهيب
تعابثهم طيوف شاردات
من الأوهام فى تلك السهوب
وأفكار عشاوى هائمات
بليل الجهل والسفه الغضوب
خفافيش يروعها ضياء
كما ترتاع بالخطب المصيب
فلما لاح فجر الحق ماتت
وكفنها دجى الليل الكئيب
طبيب الناس قد سقمت قلوب
فذكرها ببلسمك العجيب
فما فى الخلق بعدك من رشيد
وما فى الأرض غيرك من طبيب
فكيف أقمت من رمل الفيافى
صروحا لا تزعزع بالخطوب
وكيف صنعت من قوم غلاظ
مصابيح الهداية للشعوب

وشهبا قد رميت بها بلادا
تهيم بحمأة الرجس المعيب
فأضحت والفضائل توجتها
تتيه بمئزر الطهر القشيب
وترتع فى ظلال الأمن نشوى
بما بلغته من عز رتيب
أجل هو منحة الرحمن وحى
ضياء الروح واللب الأريب
فكان لحيرة الانسان رشدا
وكان العتق من رق الذنوب
رسول الله والأزمان بينا
كأنك فى ضحى الأمس القريب
حياتك فى فم الدنيا نشيد
وذكرك فى المسامع والقلوب
تردده الليالى راقصات
على قيثارة الدهر الطروب

محمد عبد الرحمن صان الدين

حكم ... وطرائف

اعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« حب الوطن »

قدم سعد بن ضمضم على الحسن بن سهل ، فأنشده قصيدة يمدحه فيها ، ويصف سوء حاله بالبادية ، ويطلب منه المساعدة فقال له الحسن : سل ما شئت وتمن ما أحببت فلو خرجت اليك من ملكى كله ماكافأتك !!

فقال : تشترى لى غنيمات ثم تردنى الى البادية ، فقال الحسن تحن الى مكان فيه الفقر والفاقة ، والذل والهوان ، فقال : الوطن ، الوطن !! ثم أنشد :

بلادى وان جارت على عزيزة
وأهلى وان ضنوا على كرام

فاشترى له ألف شاة وأعاه عشرين ألف درهم ورده الى وطنه

« سؤال من شيطان »

قال حامد الأصم : ما من صباح الا والشيطان يقول لى : ماذا تأكل ؟ وماذا تلبس ؟ وأين تسكن ؟! فأقول : آكل الموت ، وألبس الكفن ، وأسكن القبر •

« صدق وشجاعة »

جلس الحجاج يوما لقتل من خرجوا عن الطاعة ، فلما حضروا بين يديه قام من بينهم رجل ، وقال : أيها الأمير لا تقتلنى ، فان لى عليك حقا .

فقال الحجاج له : وما حقك عندى ؟

قال : انى سمعت كبيرنا يسبك فعارضته ، ودافعت عنك .

فقال الحجاج : هذه دعوى لا تثبت الا بالشاهد فهات شاهدك على ما قلت ، فالتفت الرجل الى المحضرين للقتل ، وقال : أليس فيكم من يعلم ذلك عنى ؟ فقام رجل وقال : أيها الأمير قد حصل ذلك أمامى وبمسمعى فقال الحجاج : وما الذى منعك أنت من أن تدافع عنى مثل ما دافع صاحبك هذا ؟ قال : منعنى عن ذلك بغضى لك ، فقال الحجاج : قد عفوت عن الرجلين : الأول لحقه على ، والثانى لصدقه فيما قال !! .

« الويل »

تحدث « ابن الجوزى » عن رجل اسمه « بزيه » وكان قبيح الصورة ، فلما حملت امرأته ، قالت له : الويل لك ان كان ولدى يشبهك .
فأجابها : بل الويل لك أنت ان جاء يشبه أحدا غيرى !!

« أصدق الايمان »

مر عبد الواحد بن زيد على أحد الصالحين ، وقد أصابته جميع البلايا والرزايا حتى ان الدود يتناثر من جسمه بسبب جراحاته ، ومع ذلك يقول : الحمدلله الذى عافانى مما ابتلى به كثيرا من خلقه ، فتعجب من ذلك الرجل ، ومن صبره على هذه المصائب ، ثم تقدم اليه ، وقال : يا أخى وأى شىء عافاك الله منه ؟ والله ما أجد جميع البلايا الا محيطة بك ، فرفع طرفه وقال : اليك عنى فانه عافانى اذ أطلق لى لسانا يوحده

وقلبا يعرفه ، وفى كل لحظة يذكره وأنشد :

حمـدت اللـه ربى اذ هـدانى
الى الاسـلام والـدين الحنيف
فيـذكره لسـانى كـل وقـت
ويعـرفه فـؤادى باللطيـف

« أفضل صحبة ؟ »

قيل لحكيم : أى الرجال أفضل صحبة ؟

قال : الذى جاورته وجدته عليما ، واذا اختبرته وجدته حكيما ، واذا غضـب كان حليما ، واذا ظفر كان كريمـا ، واذا استعطى أعطى جسيما ، واذا وعد وفى وان كان الوعد عظيما ، واذا اشتكى اليه وجـد رحيما .

« كلكم محقون »

اختصم صديقان لجحا ، جاء أحدهما يعرض عليه شكواه .

فقال له : أنت محقق فى شكواك .

ثم جاءه الصديق الثانى فى اليوم الثانى ، فقال له : كما قال لخصمه . وكانت امرأته تسمع القصتين .

فقالت لجحا : « يالك من جاهل » خصمان مختلفان وكـلاها محق فى شكواه ؟

فقال لها ولماذا تغضبين ؟ فأنت أيضا محقة فيما تقولين .

« دعـاء »

« ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينـا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا ، واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » .

« صدق الله العظيم »

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

باب الفتاوى

إعداد الأستاذ عبد الحميد شاهين

س : ماهى حقيقة كل من الجن والشياطين ؟ وهل هما من أهل التكليف ؟ وهل تجوز المناكحة بين بنى آدم وبين الجن ؟

وما المراد بالسحر ؟ وما مدى تأثيره على المسحور ؟ وما هو حكم من يشتغل بالسحر ؟

جـ : وقد عرضنا هذه الأسئلة على فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالله المشد عميد كلية الدراسات الاسلامية الأسبق ، وعضو لجنة الفتوى وعضو مجمع البحوث الاسلامية فتفضل مشكورا بالاجابة التالية :

أصل الجن : ستر الشىء عن الحاسة ، يقال جنه الليل وأجنه اذا ستره ، وجن عليه فجنه ستره.

وأصل الشيطان ــ من شطن أى تباعد والشيطان بعيد عن رحمة الله ، أو من شاط يشيط : بمعنى احترق غضبا .

ذكر صاحب المقاصد : ان وجود الجن والشياطين مما انعقد عليه اجماع الآراء ونطق به كلام الله تعالى ، وكلام أنبيائه عليهم الصلاة والسلام اهـ وحينئذ يكون انكار وجود هذا النوع كفرا كما صرح بذلك المفسر الألوسى فى تفسير سورة الجن .

ولكن الخلاف بين العلماء فى هذه المسألة انما هو فى مفهوم الجن والشياطين وبيان حقيقتهم وأوصافهم مما لم يرد به أدلة شرعية صريحة قاطعة .

ولهذا انقسم علماء المسلمين فى ذلك الى فريقين رئيسيين .

(أ) الفلاسفة المسلمين •
(ب) وغـــيرهم من المتـــكلمين والفقهـــاء •

وقد انقســـم الفلاســـــفة الى قســـــمين :

١ ــ عرف بعضهم الجن : بأنهم جواهر مجردة عن المادة لها تصرف وتأثير فى الاجسام العنصريـــة من غير تعلق بهـــا تعلق النفـــــوس البشرية بأبدانها ولا تلبس •

وعرف الشياطين : بأنها القوى المتخيلة فى أفراد الانسان من حيث استيلاؤها على القوى العقليـــة ، وصرفها عن الخير واكتساب الكمال العقلى ، والميل بهـــا الى اتبـــاع الشهوات والملذات الحسية والوهمية واختاره الامام محمد عبده •

٢ ــ أما القسم الآخـــــــر من الفلاسفة فقد عد الجن والشياطين متفقين فى حقيقتهـــا • وذلك لأن الجن والشـــياطين عنـــــدهم هى النفوس البشرية المفارقة لأبدانها بعـــد فنـــــاء الابـــدان وزهوق الارواح •

فالجن : ما كـــان خيرا من تلك النفـــوس خاضعا لدواعى القـــوة العاقلة فى حياته •

والشياطين : ما كان منها شريرا فى الحياة ، ثم يعد مفارقته للأبدان أخذ يعين الناس على الضـــلال ، والانغماس فى الغواية •

اما غير الفلاســـفة من المتكلمين والفقهـــاء فقـــد اختلفـــوا فى ذلك أيضا •

١ ــ قـــال **بعضـــــهم** • الجن والشياطين متغايران بالحقيقة •

فالجن : أجسام لطيفة هـــوائية تتشكل بأشكال مختلفة ولا دليـــل لهم على ذلك ــ وقالوا منهم المؤمن والكافر والمطيع والعاصى •

أما الشياطين فهى أجسام نارية تقوم بالقاء النفس فى الفســـــاد والغواية •

٢ ــ وقال بعضهم حقيقة الجن والشياطين واحدة ، وهى اجسام عاقلة تغلب عليها النـــارية قابلـــة للتشكل •

والفرق بينهما : أن الشـــيطان هو المتمرد من الجن ، أمـــا الجن فهو شامل للتمرد ولغـــيره وهـــذا

هو المشهور بقول الله تعـــالى **(والجان خلقناه من قبل من نـــار السموم)** (١) •

وقال الراغب الاصفهانى :

الجن يقال على وجهين احدهما للروحانيين المستترين عن الحواس كلهـــا فتدخـــل فيـــه الملائـــكة والشـــياطين • فكل ملائكـــة جن ، وليس كل جن ملائكة •

وقيـــــل : بـــل الجن بعض الروحـــانيين ، لأن الروحـــانيين ثلاثة •

١ــ خيار وهم الملائكة •

٢ ــ أشرار وهم الشياطين •

٣ ــ أوساط : فيهم أخيـــار وأشرار وهم الجن •

يدل عليه قوله تعالى **(وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون)** (٢) •

والشيطان : مخلوق من نار دل عليه قوله تعالى **(خلق الجان من مارج من نار)** (٣) •

لانه اختص بفرط القوة الغضبية والحمية الذميمة والامتنـــاع عن طاعة الله بالسجود لآدم •

ويطلق على كل عارم من الجن والانس والحيوان •

ففى قول الله **(واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك ســـليمان)** (٤) المراد منهم مردة الجن ويصح أن يراد منهم مردة الانس •

وقوله تعالى **(شـــياطين الانس والجن)** (٥) وقوله : **(ان الشياطين ليوحون)** (٦) صـــالح لمردة الجن والانس وقوله : **(واذا خلوا الى شياطينهم)** (٧) بمعنى أصحابهم وقوله **(كأنه رءوس الشياطين)**(٨) وهى حباب خفيفة الحركة •

وجاء فى كتاب الأشباه والنظائر

---

(١) الآية ٢٧ من سورة الحجر •

(٢) الآية ١٤ من سورة الجن .

(٣) الآية ١٥ من سورة الرحمن •

(٤) الآية ١٠٢ من سورة البقرة .

(٥) الآية ١١٢ من سورة الأنعام •

(٦) الآية ١٢١ من سورة الأنعام •

(٧) الآية ١٤ من سورة البقرة •

(٨) الآية ٦٥ من سورة الصافات .

عن السيوطى نقــلا عن غـــيره : **لا يجوز المناكحـــة بين بنى آدم والجن وانسان المـــاء لاختـــلاف الجنس** •

وســــئل الحسن البصرى عن التزوج بجنية فقال : لا يجوز ؟

وسئل : على بن أحمـــــد عن تزوج المسلمة بجنى هل يجـــوز ؟ فقال : يصفع الســـائل لحماقتـــه وجهله •

واستدلوا على التحـــريم بقول الله تعالى « **والله جعل لكم مـــن أنفســــــكم أزواجا** » (١) أى من جنسكم ونوعكم ، كما قال تعـــالى « **لقـــــد جاءكم رســـــــول من أنفسكم** (٢) أى من الادميين •

وبما روى عن الزهـــرى (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نكاح الجن) وهـــو وان كان مرسلا لكنه تأيد بآراء العلمـــاء : الحسن البصرى وقتــــادة وابن قتيبـــة ، وابن راهـــويه ، وابن الاصم •

والجمهور على أنه لم يكن من الجن نبى وان معنى قـــوله تعالى « **يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم** » بمعنى رسل عـــن الرسل ســـــمعوا كلامهم فأنذروا قومهم ، خلافا للضــــحاك وابن حزم •

وكانت رسالة محمد عليه السلام عامة وشاملة •

واختلفوا فى مؤمنى الجن :

ذهب ابو حنيفة وجماعة : الى أنه لا ثواب لهم الا النجـــاة من النار ، وزاد الليث ثم يقال لهم : كونوا ترابا كالبهائم

وقال مالك وابن ليلى : يثابون كما يعاقبون ـــ وزاد الضحاك :ـــ

ويلهمون مـــن التسابيح والذكر ما يصيبون به من اللذة ما يصـــيب بنو آدم من نعيم الجنة •

وقال عمر بن عبــــد العزيز : يسكنون حول الجنة فى ربضهـــــا ولا يسكنون فيها •

وكل هذه أراء واجتهاد لم يقم

---

(١) الآية ٧٢ من سورة النحل •

(٢) الآية ١٢٨ من سورة التوبة •

عليها دليل من كتاب أو سنة وانما هى من الأمور الغيبية والسحر : هو عقد ورقى ، وكلام يتكلم به أو يكتب ، أو يعمل شيئا يؤثر فى بدن المسحور أو قلبه ، أو عقله من غير مباشرة .

قال الشافعى واحمد :

وله حقيقة فمنه ما يقتل ، ومنه ما يمرض ، وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه من غشيانها ، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه ، وما يبغض أحدهما فى الآخر .

يدل على أنه حقيقة لا تخييل قول الله تعالى « **ومن شر النفاثات فى العقد** » (١) يعنى السواحر اللاتى يعقدن فى سحرهن ، وينفثن عليه ، ولولا أن له حقيقة ما أمر الله بالاستعاذة منه .

وقال الله تعالى « **يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت** » الى قوله (**فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه**) (٢) ورد عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم سحر حتى انه يخيل اليه أنه يفعل الشىء وما يفعله .

وقال بعض أصحاب الشافعى :

ان السحر لا حقيقة له ، وانما هو تخييل لان الله تعالى يقول : (يخيل اليه من سحرهم انها **تسعى**) (٣) .

وقال الحنفية :

أن كان شىء يصل الى بدن المسحور من عمل الساحر كدخان ونحوه جاز أن يحصل منه ماذكر من الاضرار ، فأما أن يحصل المرض والموت من غير أن يصل الى بدنه شىء فلا يجوز ذلك لانه لو جاز لبطلت معجزات الانبياء لان ذلك يخرق العادات .

قال أحمد :

فاذا ثبت ما قررناه حقيقة ثبت أن السحر وتعلمه حرام ، ويكفر بتعلمه وفعله سواء اعتقد تحريمه أم اباحته ، لقوله تعالى

---

(١) الآية ٤ من سورة الفلق .
(٢) من الآية ١٠٢ من سورة البقرة .
(٣) الآية ٦٦ من سورة طه .

« وما كفر سليمان » (١) **وقــوله « أنما نحن فتنة فلا تكفر »** (٢) ٠

وقال ابو حنيفة : ان اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء كفر — وان اعتقد أنه تخييل لم يكفر ٠

وقال الشافعى : ان اعتقــــد ما يوجب الكفـــر كالتقــرب الى الكواكب وأنها تقضى ما يلتمس أو اعتقد حل السحر كفر لان القرآن نطق بتحريمه والافسق ولم يكفر لأن عائشة باعت مدبرة سحرتها ٠ وحد الساحر عند الحنفية والمالكية القتل وهو مذهب عمر وعثمان وابن عمر وحفصة ٠

وقال الشافعى : لا يقتل بمجرد السحر لأن عائشة باعت مــدبرة سحرتها ولو وجب قتلهــا لما حل بيعها ٠

ولان النبى قال (لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث : كفر بعد ايمان ، وزنا بعد احصان أو قتل نفس بغير حق) والساحر بمجرد السحر ليس واحدا منهم ٠

وقال أحمد : حد الساحر ضربه بالسيف فقد كتب عمر الى ولاته قبل موته بسنة — اقتلوا كل ساحر فقتلوا ثلاث سواحر فى يوم واحد وقتلت حفصة جارية لها سحرتها ٠

وهل يستتاب :

المشهور عن الصــــحابة انه لايستتاب لعدم الاثــر أو النص بذلك ، وروى أنه يستتاب قبــل قتله ، فان قبلت توبته لأن الساحر لو كان كافرا وأسلم صح اسلامــه وتوبته فاذا صحت التوبة منهمــا صحت من أحدهما ٠

ازالة الضرر بحل السحر وهـــو ما يسمى (بحل المربوط) ٠

ان كان بشىء من القرآن والذكر فلا بأس به ، روى عن ســـعيد ابن المسيب فى الرجل يؤخذ عــن امرأته يلتمس من يداويه فقــال : انما ينهى الله عما يضر ولم ينــه عما ينفع ٠

أما الكاهن : الذى يدعى أن له رئيا من الجن يأتيه بالاخبار ٠

والعـــــراف : الذى يحدس ويتخرص فيحبس كل منهمــــا ويستتاب ٠ والله الموفق

عبد الحميد السيد شاهين

(١ ، ٢) من الآية ١٠٢ من سورة البقرة ٠

« فقيد العلم والاســلام »
فضيلة الشــيخ محمد علوانى سامون

• ولد فضيلة الاســتاذ الشيخ محمد علوانى ســـامون فى ١٨٩٤/٩/٣٠ بالدلنجات بحيرة . والتحق بمكتب البلـــدة حيث حفظ القرآن الكريم وأتمه وهو فى سن الحادية عشر . ثم انتقل الى معهد الاسكندرية الدينى وأتم الدراسة به وتقدم للحصول على شهادة العالمية النظامية واجتاز امتحانها بنجاح . وكان فى مراحل التعليم المختلفة من الاوائل .

• ولما كانت لوائح التعيين السارية آنذاك لا تجيــز التعيين لمن هو دون الخامسة والعشرين فقد اشـــتغل بالمحاماة وكان من روادها حيث عمل على نصرة الحق واعلاء شأنه .

• ونزولا على رغبة والده فى أن يكرث جهده للعلم والـــدين تقدم لامتحان مسابقة التدريس واجتاز الامتحـــان بنجاح وعين مدرسا للعلوم العربية والدينية بالمعاهد الدينية الأزهرية .

• وعندما أنشئت كلية الشريعة أختير للتدريس بها . ثم أختير عام ١٩٤٨ مفتشا للعلوم العربية والدينية ثم عين شــيخا لمعهد المنيا الدينى . وبناء على رغبته فى العودة الى ســلك التدريس بالكلية فقد عاد الى كلية الشريعة عام ١٩٥١ وظل بها حيث عين أستاذ لمادة أصول الفقه ثم أختير وكيلا للكلية الى أن بلــغ سن التقاعد عام ١٩٥٩ . وقد تتلمذ عليه كثير من العلماء الذين تبوءوا عديدا من المناصب .

• أختـــير بعد ذلك للتدريس بكلية الدراســات الاسلامية والعربية ثم عضوا بلجنة الفتوى بالأزهر ثم أختير رئيسا للجنـــة خلفا للمرحوم الشيخ محيى الدين عبد الحميد سنة ١٩٧٢ .

• شارك فى تقنين المعاملات وفقا لأحـــكام الشرع المحمدى وكذلك تقنين الحدود .

• أختير عضوا بمجمع البحوث الاسلامية فى أغسطس ســنة ١٩٨٠ وتوفى فى ١٩٨٠/١٢/٢١ .

مِنْ أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ فهمى عبد الإله سيد على

« علماء المغرب يشيدون بدور مصر فى نهضة العالم العربى والاسلامى » (١) •

صرح الشيخ المكى الناصرى كبير علماء الرباط أنه لا يوجد عربى سليم العروبة ولا مسلم قوى الايمان يستطيع أن ينكر دور مصر فى نهضة العالم العربى الاسلامى •

وقال كبير علماء الرباط فى افتتاح الموسم الجديد للمركز الثقافى المصرى بالرباط والذى حضره وكيل وزارة التربية والثقافة ، وعدد كبير من المفكرين والكتاب المغاربة ••• انه لا يمكن انكاردور مصر ، والعبء الذى تحملته فى الدفاع عن قضاياها العادلة ، وفى الوقوف جنبا الى جنب مع كافة الشعوب العربية والاسلامية دفاعا عنها وعن قضاياها •

وأضاف الشيخ المكى ••• لقد كنا نقصد مصر لأنها قبلة الفكر الحديث ، والنهضة الحديثة ، والتوجيه الوطنى السليم • وكانت مصر تفتح ذراعيها لاستقبالنا ، وتفتح جامعاتها ونواديها بكل عطف وترحيب وتشجيع ••• ولقد ظلت مصر فى اذهاننا آمة ذات رسالة ••• رسالة العروبة ، ورسالة الاسلام ، ورسالة التجديد ، ورسالة النهضة الوطنية والمقاومة

---

(١) أخبار اليوم ١١/١٠/١٩٨٠

للاستعمار ... وقد كانت الرسالة الدائمة الأولى والمستمرة لكل فترة من فترات تاريخ مصر هي رسالة الثقافة ... رسالة التربية . رسالة التعليم .

وكان قد تم افتتاح الموسم الجديد للمركز الثقافى المصرى بالرباط ليؤدى رسالته الثقافية على مدى الأشهر الستة القادمة بعد اجراء تجديدات شاملة .

ويضم المركز نحو ٢٠ ألف مجلد فى مختلف العلوم والفنون والمعرفة ... ومن المعروف أن المركز تم انشاؤه عام ١٩٥٧ م .

« جمعية علماء الهند » (١) .

منظمة اسلامية قديمة ذات دستور ونظام ، تمثل علماء الدين خاصة والمسلمين عامة فى الوطن الهندى وتحمل تاريخا طويلا ، يحفل بأعمالها المجيدة وتضحياتها الجسيمة فى سبيل كفاح التحرير قبل تقسيم الهند ، وتمتاز بخدمات مركزة ومجهودات بناءة للاسلام والمسلمين بعد الاستقلال وتقسيم الوطن ، ولعبت دورا هاما فى توجيه الأمة الاسلامية وقيادتها ، وقامت ببطولات منذ تأسيسها للمحافظة على الشعائر الاسلامية ، وفى الدفاع عن حوزة الاسلام وحقوق المسلمين، وبذلت ولاتزال تبذل جهودها المثمرة المتواصلة فى رفع مستوى المسلمين دينيا واجتماعيا واقتصاديا ، فهى المنظمة الوحيدة التى حملت بعد استقلال الهند أعباء جسيمة ومسئوليات ضخمة للدفاع عن حقوق المسلمين والمحافظة على كرامتهم ومقدساتهم والنهوض بهم فى كافة شعب الحياة ليعيشوا فى وطنهم مكرمين مطمئنين .

« المؤتمر العالمى للاعلام الاسلامى بأندونيسيا يضع لأول مرة :

ميثاق شرف للاعلام الاسلامى ....

تحية من المؤتمر لمصر المسلمة

---

(١) جريدة الكفاح الهندية العدد ٦ ، ٧

... وشعبها المسلم العريق » (١)

أصدر المؤتمر الدولى الأول للاعلام الاسلامى فى مدينة جاكارتا عاصمة اندونيسيا ميثاق شرف للاعلام الاسلامى أطلق عليه « اعلان جاكارتا » يقضى بضرورة التزام الصحفيين المسلمين بنشر الاسلام والعمل على ترسيخ قيمه ومبادئه الخلقية ، وجمع كلمة المسلمين ، والدعوة الى التحلى بالعقل والأخوة الاسلامية والتسامح ومجاهدة الاستعمار والالحاد فى كل أشكاله ، والعدوان فى شتى صوره ، والحركات الفاشية والالحادية .

كما يقضى ميثاق الشرف الاعلامى الاسلامى الذى يقر الأعلاميون المسلمون الالتزام به وجعله نبراس أعمالهم ، ومصدر التقنين لواجباتهم وحقوقهم ، مجاهدة الصهيونية واستعمارها الاستيطانى ، واليقظة الكاملة لمواجهة الأفكار والتيارات المعادية للاسلام ، والتدقيق فيما يذاع وينشر ويعرض حماية للأمه الاسلامية من التأثيرات الضارة بشخصيتها الاسلامية وبقيمها ومقدساتها ودرء الأخطار عنها والامتناع عن اذاعة ونشر كل ما يمس الاداب العامة أو يوحى بالانحلال الخلقى أو يرغب فى الجريمة والعنف والانتحار ، ويبعث الرعب أو يثير الغرائز سواء بطريق مباشر أو غير مباشر .

وكذلك يلتزم الاعلاميون المسلمون بمقتضى هذا الميثاق بالتعرف بالقضايا الاسلامية والدفاع عنها وتعريف الشعوب الاسلامية بعضها ببعض والاهتمام بالتراث الاسلامى والتاريخ والحضارة الاسلامية ، بين أبناء الأمة الاسلامية وخصوصا بين الأقليات الاسلامية ، وباحلال الشريعة الاسلامية محل القوانين الوضعيه ، ويتعهدون بالمجاهدة من أجل تحرير فلسطين وفى

---

(١) الأهرام ١٢/٩/١٩٨٠ .

مقدمتها القدس ، وكافة الأقطار الاسلامية المضطهدة . ويلتزمون بتثبيت فكرة الأمة الأسلامية المنزهة عن الاقليمية الضيقة ، والتعصب العنصرى والقبلى ، واستنهاض الهمم لمقاومة التخلف فى جميع مظاهره .

ولقد كان لوفد مصر فى هذا المؤتمر العالمى دور بارز فى جميع أعماله ، حيث اشترك فى كافة اللجان وشارك فى أعداد وصياغة معظم القرارات والتوصيات وقدم العديد من الأبحاث والدراسات والمشروعات التى كانت موضع تقدير المؤتمر الكبير .

« علوية القرآن فى حقيقتة العالمية » .

قال : الفيلسوف الانجليزى توماس كارليل عن القرآن الكريم عندما تحدث عن الاسلام والمسلمين ورسولهم الكريم فى كتابه الأبطال : لله علويه القرآن فى حقيقته العالمية فهو حافل بالعدل والاخلاص والدعوة التى بلغها محمد ــ عليه الصلاة والسلام ــ الى العالم حق وحقيقة .. لقد نظر العرب الى القرآن نظرة معجزة لما بين آياته وأذواقهم من ملاءمة ، ولعدم وجود ترجمة تذهب بجنسه وأبداعه .

لقد أعطاه العرب من التبجيل أكثر مما أعطاه أهل الأديان الأخرى لأديانهم . ومابرح فى كل زمان ومكان قاعدة التشريع والعمل ....

والقانون المتبع فى شئون الحياة ومسائلها والوحى المنزل من السماء هدى للناس وسراجا منيرا يضىء لهم سبل العيش ، ويهديهم صراطا مستقيما ، ومصدر أحكام القضاة والدرس الواجب على كل مسلم حفظه والاستنارة به فى غياهب الحياة. وفى بلاد المسلمين مساجد يتلى فيها القرآن جميعه كل يوم مرة يتقاسمه ثلاثون قارئا على التوالى . وكذلك ما برح هذا الكتاب يرن صوته حتى آذان الألوف من خلق الله وفى قلوبهم فى كل آن ولحظة .

فهمى عبد اللاه سيد على

الأَزهرُ

لجنة ميثاق الشعوب الإسلامية

مشروع

ميثاق شعوب الأُمَّة الإسلاميَّة

بســــم اللـــه الرحمن الرحيم

((مذكرة تمهيــدية))

١ ــ بناء على الرسالة الموجهة من السيد رئيس ديوان السيد رئيس الجمهورية والمؤرخة ١٩٧٩/١١/٨ والتى تضمنت ما أشـــار به السيد الرئيس محمد أنور الســادات من احالة موضـــوع اقتراح تأسيس هيئة للامم الاســـلامية لتعمل على تحقيق ما عجزت عنه هيئة الامم المتحدة ــ الى فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الازهر •

وما قرره فضيلته من تشكيل لجنة برياسة فضيلة الاستاذ الدكتور محمد الطيب النجار وكيل الازهر لانجاز هذه المهمة •

٢ ــ وتنفيذا لما سلف ــ فقد اجتمعت اللجنة المشكلة برياسة فضيلة الدكتور وكيل الازهر وعضوية كل من :

١ ــ فضيلة الاستاذ الدكتور الحسينى هاشم
الامين العام لمجمع البحوث الاسلامية

٢ ــ فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الله كريم
وكيل الوزارة لشئون المعاهد الازهرية

٣ ــ فضيلة الاستاذ الشيخ عبد المهيمن الفقى
مدير ادارة البحوث والنشر بالازهر

٤ ــ السيد الاستاذ السفير عبد الشافى اللبان
وكيل وزارة الخارجية السابق للشئون السياسية

٥ ــ السيد الاستاذ المستشار السيد عبد العزيز هندى
المستشار القانونى لشيخ الازهر

٣ ـــ وبعد أن توالت اجتماعات هذه اللجنـــة ـــ وبحثت الموضـــوع من كافة جوانبه ـــ رأت وضع ميثاق لشعوب الامة الاســـلامية يكون بمثابة ورقة عمل ينظم علاقاتها مع بعضـــها البعض ومع غيرها من الشعوب الاخرى وذلك فى اطار المبادىء الاساسية المســتقرة والمتفق عليها فى الشريعة الغراء .

ورأت اللجنة أن ترجىء بحث الموضوعات الاخرى التى قد تكون موضع خلاف بين شعوب الامة الاسلامية الى ما بعد انعقاد المؤتمر العام لهذه الشعوب الاسلامية .

وحسبنا فى هذه المرحلة الاولى ان تجتمع كلمة المسلمين على هذه المبادىء الاســـــاسية المتفق عليها والعمل بموجبها حتى تستقر هذه الاصول الكلية فى نفوس شعوب الامة الاسلامية وفى معاملاتها .

٤ ـــ وقد عهدت اللجنة الى السيدين الاســتاذين / السفير محمــد عبد الشافى اللبان والمستشار السيد عبد العزيز هندى ـــ بصياغة مواد هذا الميثاق ـــ فقاما بالمهمة الموكولة اليهما ـــ وعرضا على اللجنة مشروع الميثاق المرفق ـــ فأقرته باجماع الاراء .

٥ ـــ والله نسأل أن يتقبل هذا العمل ويباركه ويهدى اليه .

ويشرح صدور شعوب الامة الاسلامية للعمل بموجبه ـــ وأن يجمع كلمة هذه الامة على هدى الله ورســـوله ـــ فيصلح حالها بما صلح به أولها ـــ لتعود الى سابق علوها ورفعتها وتعود الى قيادة العالم أجمع الى شاطىء الايمان والأمان .

« انه نعم المولى ونعم النصير » .

السيد عبد العزيز هندى

المستشار القانونى لفضيلة الامام الأكبر شيخ الازهر

الديباجــة

نحن شعوب الامة الاسلامية

ــ اعترافا منا بفضل الله علينا اذ هدانا للاسلام ورضيه لنا دينا .

فقال : عز من قائل :

« اليــوم أكملت لكم دينــكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .

ــ وتصديقا منا لوعد الله : اذ يقول : وقوله الحق :

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصــالحات ليستخلفنهم فى الارض كما اســتخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شــيئا » .

ــ وثقة منا بقوله سبحانه : وهو أصدق القائلين :

« ولو أن أهل القرى آمنــوا واتقــوا لفتحنــا عليهم بركات من السماء والارض » .

ــ ويقينا منا بأن الله جلت قدرته ــ قد بعث محمــدا صلى الله عليه وسلم ــ خاتما للانبياء والمرسلين ورحمة مهداة للناس أجمعين .

قــد قــررنا

ان نوحد جهودنا لتحقيق هذه الاغراض .

ولهذا فان شــعوبنا الاســـــلامية المجتمعة على يد مندوبيها قد ارتضت « ميثاق شعوب الامة الاسلامية » هذا ليكون أساسا لعلاقاتها مع بعضها البعض ومع غيرها من الامم الاخرى .

وأنشــأت بمقتضــاه هيئة دولية تسمى « هيئة شـــعوب الامة الاســـــلامية » .

الباب الأول
الأمة الاسلامية

مادة (١) :

المسلمون أمة واحدة .

والشريعة الاسلامية هى المصدر الاساسى لكل تقنين .

مادة (٢) :

يجوز أن تتعدد الدول فى الأمة الاسلامية ــ وأن تتنوع أشكال الحكم فيها .

مادة (٣) :

يجوز لدولة اسلامية أن تتحد مع دولة اسلامية أخرى أو أكثر فى الشكل الذى يتفق عليه بينهم .

مادة (٤) :

اللغة العربية ــ لغة القرآن ــ هى اللغة الاساسية بين شعوب الامة الاسلامية ويجوز أن تقوم الى جانبها لغات أخرى محلية .

مادة (٥) :

الاخوة الاسلامية هى العلاقة التى يجب أن تقوم بين شعوب الامة الاسلامية على هدى من قوله تعالى : « **انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون** » .

مادة (٦) :

السلم هو أساس العلاقة بين المسلمين ومخالفيهم فى الدين ــ ما لم يطرأ ما يستوجب الحرب ــ من اعتداء على المسلمين ــ أو مقاومة لدعوتهم بمنع الدعاة من بثها بالحسنى ــ ووضع العقبات

فى سبيلها وفتنة من اهتدى اليها استهداء بقوله تعالى : « **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين** » .

ــ الآيات .

وقوله تعالى : « **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير** » .

مادة (٧) :

فى حالة وقوع خلاف أو نزاع بين شعبين مسلمين ــ يسوى الموقف بينهما طبقا لما أمر الله سبحانه به فى قرآنه الكريم اذ يقول : **« وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فأن بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين »** .

مادة (٨) :

أى عدوان أو تهديد بعدوان ــ خارجى ــ يقع على الامة الاسلامية أو أى شعب من شعوبها يعتبر عدوانا عليها جميعا ــ وبمثابة اعلان حرب عليها جميعها .

ويتضامن جميع أفراد الامة الاسلامية فى رد هذا العدوان ــ بكافة الوسائل ــ مع تقديم كافة التسهيلات والمعونات المادية والمعنوية ــ للشعب الاسلامى المعتدى عليه فى هذه الحالة بما فى ذلك استعمال الموانى الجوية والبحرية والقواعد العسكرية .

ويعتبر الجهاد فى هذه الحالة فرض عين على كل مسلم أهل للجهاد ــ وذلك تطبيقا لقوله تعالى : **« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم »** .

وقوله عز من قائل :

« وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين » .

الباب الثانى

منظمة شعوب الأمة الإسلامية

١ ــ تتألف منظمة الشــعوب الاسلامية من مندوبين عن جميع شعوب الامة الاســلامية ــ وهى الشــعوب التى تســود فيها أحكام الشريعة الاسلامية ــ أو يدين أغلبية شعبها بالاسلام ــ ويتكون المؤتمر العام لهذه المنظمة من جميع ممثلى هذه الشــعوب ــ ويكون للشــعوب التى فيها أقلية مسلمة ممثلون عنها بحسب الشروط التى يضعها المؤتمر العام لهذه المنظمة ٠

٢ ــ تســتهدف المنظمة توثيق الصــلات بين شــعوب الامة الاسلامية المشتركة فيها ــ وتنسيق خططها الســياسية والاجتماعية والاقتصادية على هــدى من المبادىء الاساسية فى الشريعة الاسلامية وانماء علاقات الود والترابط بين جميع شــعوب الامة الاســلامية ــ وبينها وبين غيرها من الامم الاخرى ــ على أســاس من الاحترام والتعاون المتبادل ــ استهداء بقوله تعالى :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شــعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » (ســورة الحجرات ــ آية ١٣) ٠

وبقوله تعالى :

« انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفســهم فى ســبيل الله اولئك هم الصــادقون » ٠

(سورة الحجرات ــ آية ١٥) ٠

٣ ــ كما تستهدف هذه المنظمة تحقيق التعاون الاسلامى والدولى على حل المسائل الإسلامية والدولية ذات الصبغة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والانسانية ــ وعلى تعزيز احترام حقوق الانسان والحريات الاساسية للمسلمين وللناس كافة ــ وفقا لمبادىء الشريعة الاسلامية وجعل هذه المنظمة مرجعا لتنسيق اعمال شعوب الامة الاسلامية وتوجيهها نحو ادراك هذه الغايات الاسلامية المشتركة .

وحث مؤسساتها وحكوماتها على العمل بمبادىء الشريعة الاسلامية الغراء .

٤ ــ تكون الهيئات الآتية فروعا رئيسية للمنظمة : المؤتمر العام لشعوب الامة الاسلامية ــ المجلس الاقتصادى والاجتماعى ــ محكمة العدل الاسلامية ــ الامانة العامة .

ويحدد المؤتمر العام اختصاصات كل منها ــ وانشاء هيئات اخرى اذا اقتضت المصلحة العامة ذلك ــ فى اطار الشريعة الاسلامية الغراء .

أخى القارىء

بعون الله ومشيئته وارضاء لزوقك الفكرى وإحساسا بما تتطلبه مهنة الصحافة الاسلامية من عرض عصرى متطور للقضايا الاسلامية سنعمل على احداث تغيير شامل بقدر الامكان فى العدد القادم (عدد ربيع الثانى سنة ١٤٠١ هـ) من مجلة الأزهر وفى النية أفكار أخرى ستراها فى الأعداد التالية ٠

واذا كان لك اقتراح فى تطوير الشكل والجوهر فنحن فى انتظارك ٠

(التحرير)

فهـــــرس العـــدد

الصفحة	اسم الموضوع
	● **عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم**
٤١٧	لفضيلة الدكتور / محمد الطيب النجار . . . .
	● **من أئمة المحدثين عبد الله بن عباس**
٤٢٤	لفضيلة الدكتور / الحسـيني هاشم . . . . . .
	● **محمد صلى الله عليه وسلم سفينة نجاة في بحر مضطرب**
٤٣٨	للأستاذ محمد صـابر البرديسى . . . .
	● **ذكريات قرآنية .. رسول الهدى ودين الحق**
٤٤٥	لفضيلة الشيخ مصـطفى الطير . . . .
	● **فى ذكرى المـولد النبوي**
٤٥٦	للدكتور محمد رجب البيومى . . . .
	● **فى ذكرى الميلاد النبوى العظيم « ميلاد جديد للانسانية »**
٤٦٥	للدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى . . . .
	● **فى مواجهة الالحاد المعـاصر**
٤٧٥	للدكتور / يحيى هاشـم . . . .
	● **القرن الخامس عشر واخلاقيات العلم**
٤٨٥	للدكتور / عبد الفتاح عبد الله بركـة . . . .
	● **هواتف يا رسول الله**
٥٠٠	للدكتور / ابراهيم أبو الخشـب . . . .
	● **المجتمع البشرى وكيف تهيأ لميلاد خاتم الانبياء**
٥٠٧	للمستشار / محمد عزت الطهطـاوى . . . .
	● **وقفة مع التصوف فى رحاب الذكرى**
٥٢٠	للأستاذ / عبد الحفيظ فرغلي القرنى . . . .

اسم الموضوع | الصفحة

● **مع العقاد فى فلسفة الحياة والموت**
للأستاذ / السيد حسن قرون ٥٢٩

● **قضية نحوية ((نون الوقاية من أوهام النحاة))**
للدكتور / السيد رزق الطويل ٥٣٦

● **بين الشريعة الاسلامية والقانون الوضعى**
للأستاذ / السيد عبد العزيز هنــدى ٥٤٨

● **القرآن الكريم والكلمات الأعجمية**
للدكتور / عبد الباسط بلبول ٥٥٩

● **الاخـــاء الاســلامى**
للأستاذ / أحمد عبد الرحيم الســايح ٥٦٦

● **مكانة العلوم اللغوية فى تفسير الواحدى**
للدكتور / جودة محمــد المهدى ٦٨١

● **من خصائص بيت النبوة**
للدكتور / أحمد عمر هاشــم ٥٩٢

● **مشكلات الشباب وحلولها فى ضوء الكتاب والسنة**
للأستاذ / على القــاضى ٥٩٧

● **الباحث عن الحقيقــة**
للدكتور / فتحى محمد أبو عيسى ٦٠٨

● **تساؤلات بين يدى ميلاد الرسول العظيم**
للأستاذ / رشدى محمد ابراهيم ٦١٧

● **عدم قصر الألفاظ على معانيها الشائعة**
للأستاذ / عباس أبو الســعود ٦٢٣

● **من وحى المولد الشريف**
للأستاذ / محمد عبد الرحمن صان الدين ٦٢٨

● **حكم وطـــرائف**
اعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٦٣١

اسم الموضوع | الصفحة

• **بــــاب الفتـــــاوى**
اعــداد الاستاذ / عبد الحميد شاهين ٦٣٤

• **من أنبـــاء العالم الاسلامى**
اعداد الاستاذ / فهمى عبد اللاه سيد على ٦٤١

• **الأزهـــــر**
لجنة ميثاق الشعوب الاســـلامية ٦٤٥

طبع بمطابع مؤسسة روزاليوسف

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث

الإسلامية بالأزهر

في أول كل شهر عربي

○ ◯ ○

العنوان : إدارة الأزهر

بالقاهرة

تليفون : ٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

● ● ● ● ●

رئيس التحرير

د. عبد المعطي محمد بيومي

مدير الإدارة

محمد صابر البرديسي

صورة الغلاف

صورة لجانب من القاهرة تبدو فيها مئذنة الازهر مع الشروق أملا في شروق جديد « لهذه المجلة » ..

الجزء الرابع ـ السنة الثالثة والخمسون .

ربيع الآخر ١٤٠١ هـ ـ مارس ١٩٨١م

بسم الله الرحمن الرحيم

« كلمة التحرير »

أخي القارئ ..

في هذا العدد ترى شيئا جديدا في هذه المجلة ، وقد بدأنا خطوات في تطويرها الشامل أن شاء الله .

وفي ذهننا ونحن نقوم بعملية التطوير عدة أمور :

● أن هذه المجلة ذات تاريخ عريق عراقة الأزهر تمثل هذه المؤسسة الضخمة برصيدها الضخم من جلال التاريخ .

● ثم أننا لا ننسى شيئا مهما وهو ان هذه المجلة كانت وعاء لفكر العباقرة الذين كتبوا فيها والذين رأسوا تحريرها وأشرفوا عليها من قبل .

فهنا كان يكتب الأستاذ محمد فريد وجدى ، والشيخ الخضر حسين وعباس العقاد ، وأحمد حسن الزيات ورجال الاصلاح من الأزهر الشريف ، وهنا على صفحات « الأزهر » دارت المناقشات واحتدم الحوار بين أكبر العقول في أهم القضايا .

نحن نشعر ازاء ذلك بمسئولية كبيرة ونحاول ابتداء من هذا العدد أن نتخذ من وقع خطى التاريخ تحديدا لخطانا الى المستقبل لنجمع بين الأصالة والحداثة .

ورجاؤنا للكتاب والقراء جميعا أن يكونوا معنا بفكرهم واقتراحاتهم نحو هذه الغاية .

(التحرير)

كلمة فضيلة الإمام الأكبر بمناسبة تطوير مجلة الأزهر

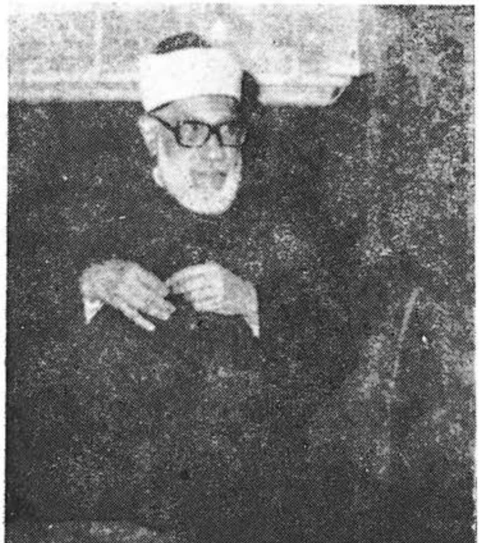

ان ديننا الحق دين متجدد يلاحق الواقع أينما كان وفى كل زمان بما ينفع الناس ويهديهم الى السعادة والرشاد ..

ولذلك كان من اللازم أن تكون مؤسسات هذا الدين متجددة باستمرار تأخذ من كل عصر أحسنه وتمد المسلمين بالمبدأ الاسلامى الذى يقيم حياتهم بطريقة تصل الى قلوبهم وافئدتهم.

ومجلة الأزهر العريقة عراقة الأزهر وأصالته مؤسسة فكرية تستمد من الاسلام رواءها وتقدم للناس صوت الاسلام فى كل ما يعرض لهم من

الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار
« شيخ الأزهر »

مشكلات بأسلوب الصحافة الذى بات من اساليب العصر الفعالة فى الدعوة الى الله ، وهو أسلوب متطور باستمرار تطور الخبرة الصحفية المتطورة فى كل يوم ٠

وقد سعت المجلة لفضيلة الامام الاكبر تسأله التوجيه ازاء هـذا التطوير ٠ فوجه فضيلته الى أننا نتواصى فيما بيننا بالاجتهاد واعمال العقل وحفز الهمم لاستنباط الحلول الاسلامية لمشكلات العصر المتغيرة ٠

ان معاملات استحدثت واوضاعا جدت فى العالم كله تتطلب من عالمنا الاسلامى ايجاد حل يقوم على حكم الله فى هذه المعاملات فلتكن مجلة « الأزهر » ندوة فكرية ومدرسة جامعة لتداول الرأى والمدارسة حـول هذه الاحكام والمعاملات امتدادا لرسالة الله فى الارض واستمرار لدور الأزهر فى خدمة هذه الرسالة الغراء ٠

ووجه فضيلته أيضا الى ان المجلة يجب ان تفتح صدرها وتوسـع من صفحاتها للباحثين المهتمين بقضايا الفكر الاسلامى المعاصر الذين لهم اسهام بارز فى حلول مشكلاته وتناول مســائله من الأزهريين وغير الأزهريين على السواء لان الأزهر ذاته منبر لكل صاحب رأى بناء أيا كان موقعه فى الأمة الاسلامية لان منبر الازهر منبر للأمة ٠

وقال فضيلته : أن مستقبل هذه المجلة يجب ان يتساوق مع ماضيها العريق من حيث نوعية الفكر الذى تقدمه للقراء والاسلوب الذى توصل به هذه النوعية الراقية الى العقل والقلب جميعا ٠

وقال فضيلته : أرجو ان تعملوا وفى ذهنكم ابتغاء مرضاة الله هدفا أساسيا يجب أن نعمل له جميعا والله يوفقكم ويسدد خطاكم ٠

حديث الشهر

دهشة فى العالم كله مبعثها تلك الحركة الاسلامية العامة التى تعبر عن نفسها بصورة مختلفة فى أنحاء العالم الاسلامى ، وبين الاقليات الاسلامية فى أنحاء العالم ، وقد أتى على الغرب والشرق معا حين من الدهر ظنا فيه ان المسلمين باتوا فى خبر كان ، وأن الاسلام قد انتهى زمانه واختفى من الحياة العملية ، ليأوى الى ركن منزو فى متحف التاريخ ، فاذا بالصحوة الاسلامية التى يشهد العالم دلائلها هنا وهناك ، تقلب على هؤلاء كل حساب ، وتطرق عليهم كل باب .

وتختلف القوى العالمية فى ردود الفعل الصادرة عنها ازاء نهضة الاسلام « فالدب الروسى » أسرع الى استعمال القوة والقفز على مقدرات شعوب الاسلام ، تارة بالحصار ومحاولات التطويق فى أثيوبيا وجنوب الجزيرة العربية ، وتارة بالقوة الغاشمة باحتلال ديار الاسلام فى أفغانستان يظن أنه يستطيع بالقوة أن يحقق ما لم يستطع تحقيقه بالمساعدات الاقتصادية المشبوهة والمغرضة ، أو بمحاولات اقناع العالم الاسلامى باعتناق المذهب المركسى الذى لم يثبت له فى هذا العام قدم ولا ساق .

أما الأوربيون والأمريكان فقد أسرعوا الى مراكز البحث ووسائل الاستخبارات لعلهم يجدون عندها وهى « العرافة » تفسير حركة الاسلام وبدء صحوته بعد طول رقاد ولم يكن نشاط الجامعات أقل من نشاط المخابرات .

الإسلام .. والعالم الحديث

(بقلم رئيس التحرير)

ولم يعد عجبا أن نرى بين الحين والحـين الوفود المتـابعة على الازهر الشريف وقد تغيرت اهتماماتهم عما كان عليـه الحال منذ كانوا يبحثون فى الأزهر عن الأثر ويتلهفون لالتقاط صور المسجد العتيـق وفى ذهنهم سؤال عن تاريخ هذه الصخرة هنا أو ذاك الجدار هناك فاذا بهم اليوم على سحنتهم معالم الجد يودون لقـاء العلماء ويتلهفون لعقـد الندوات وفى ذهنهم السؤال هذه الايام عن الاسلام والعالم الحـديث والمستقبل ·· ولماذا تجدد هذا الدين العجيب فجأة ؟ وما عوامل هـذا التجدد ؟ وما مساراته ؟ وما أثره على الحركات السـياسية العـالمية ؟ وما الدور الذى يمكن ان يؤديه الأزهر وسط ذلك كله ؟

ولعل أوضح تصوير للدهشة العالمية من النهضة الاسلامية النامية ، ما أبرزه الدكتور الفونسو نائب مدير مركز بحوث فبراير ٧٤ للابحاث والتسجيل فى روما بايطاليا الذى زار جامعة الأزهر فى أوائل الشـهر الماضى على رأس وفد من المركز والتقى بمجموعة من كبـار الأسـاتذة والمسئولين فى جامعة الأزهر ·

قال الدكتـور الفونسـو :

اننا نلاحظ النهضة الاسلامية المتزايدة كما نلاحظ قوة الاسـلام ازاء التطورات فى العالم الحديث وما جاءت به من ثروة وتكنولوجيـا ·

وقارن الدكتور الفونسو ذلك مع تركيزه على أن محاولات احيـاء الدين فى أوربا تفشل ازاء انتشار الالحاد ·

واشار الى ان هذه القضية تشغل الأذهان هناك وأنه يود أن تعقد الندوات المشتركة لمعرفة سر قوة الاسـلام ·

وسر قوة الاسلام ونمو النهضة الاسلامية الجديدة ترجع الى عدة

أسباب لابد أن تكون واضحة أمام العالم ٠

* فعقيدة الألوهية فى الاسلام بسيطة واضحة فالله فى الاسلام أحد لا شريك له وهو المقصد لكل مخلوق وهو منزه عن أن يتخذ زوجة أو ولدا ومن شأن هذه العقيدة ابعاد الانسان عن الحيرة التى يسببها الغموض وعدم الفهم فى بعض العقائد مما ينجى الانسان من القلق الذى هو مرض العصر « قل هو الله أحد ٠ الله الصمد ٠ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » ٠

* أن الاسلام يدعم قضية الحرية والكرامة الانسانية فى صلب العقيدة فالناس سواء وكل منهم ارفع من أن يذل لمخلوق أو يستذل لشىء لأنه « لا اله الا الله » ، فالعبودية لله أفضل تحرير للانسان ٠

* أن الاسلام أشد الأديان والنظم محاربة للظلم الاجتماعى والاستبداد فهو يأخذ من مال الأغنياء ما يعطيه للفقراء حقا معلوما ليشعر الجميع أن المال مال الله قال تعالى : « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » (سورة الحديد ٧) ويهيب بالمستضعفين ألا يستكينوا للظلم والقهر « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » (النساء ٩٧) ٠

* ثم ان الاسلام يحارب الفقر ويحض على التنمية ويحارب الجهل ويعمل على نشر العلم ويحث اتباعه على تحصيل القوة فالكيان الاسلامى فى الفرد والمجتمع لا يتحقق الا بأسس متكاملة هى الايمان والعلم والقوة وليس هناك تقدم علمى صحيح يمكن أن يقف الاسلام منه موقف المعارضة ٠

* وليس فى الاسلام انشقاق بين مصلحة الفرد ومصلحة المجموع وأسس الايمان التى يجب ان يعمل لها الفرد هى فى الوقت

« البقية على صفحة ٦٨١ »

دراسات قرآنية

مع آيات خلق الإنسان فى القرآن

دكتور محمد محمد خليفة

— ٢ —

قدمنا فى مقال سابق بعض آيات الخلق المجمل وبعض آيات الخلق المقترن بالاعادة والبعث وسنقدم ان شاء الله فى هذا المقال بعض آيات الخلق والتصوير أو التطوير ثم آيات الخلق من التراب :

آيات الخلق والتصوير والتطوير :

قال تعالى :«هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء» ٦ آل عمران

ان الله سبحانه هو الذى يصور فى ظلمات الارحام ذلك المخلوق البشرى فيركبه من أعضاء مختلفة الشكل من العظام والغضاريف والشرايين والاوردة ويضم بعضها الى بعض لتكون ذلك الانسان ثم يودعه الطباع المختلفة والغرائز المتباينة والصفات المتفاوتة من حيث القوة والذكاء والادراك والشعور ثم يضفى على جلده اللون الابيض أو الاسمر أو الاحمر وكل ذلك يدل على كمال قدرته حيث يخلق النطفة ثم يتناول تصويرها فى الارحام كيف يشاء .

وقد كان النصارى يجادلون المسلمين فى أمر خلق عيسى : فكانوا يقولون : أيها المسلمون أنتم توافقوننا على انه ما كان له أب من البشر فوجب أن يكون ابنا لله فأجاب الله عن هذه الشبهة بقوله : **« هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء »** لان هذا التصوير لما كان من الله فالله ان شاء صوره من نطفة الاب

وان شاء صوره ابتداء من غير الاب « **والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين** » ٩١ الانبياء

وقال تعالى : «**ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين** » ١١ الاعراف .

لقد ذكر الله قصة آدم عليه السلام مع قصة ابليس فى سبعة مواضع من القرآن : فى البقرة والاعراف والحجر والاسراء والكهف وطه و (ص) .

وقد اختلفت أقوال المفسرين فى هذه الآية :

١ ـ أن قوله : «**ولقد خلقناكم**» أى خلقنا أباكم آدم وصورناكم أى صورنا آدم ثم قلنا للملائكة اسجدوا ، وذلك السجود انما كان بعد خلق آدم وتصويره ، فقوله خلقناكم ثم صورناكم كناية عن خلق آدم وآدم أبو البشر فأطلق خلقناكم وصورناكم وأريد منه خلقنا أصلكم وهو آدم .

٢ ـ أن يكون المراد من خلقناكم : خلقنا آدم ، ومن صورناكم : صورنا ذرية آدم ، قال مجاهد : خلق آدم أولا ثم أخرج أولاده من ظهره فى صورة الذر .

٣ ـ أن يكون المراد خلقناكم ثم صورناكم أنتم ثم انا نخبركم أنا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم .

٤ ـ أن يكون المراد من الخلق : التقدير ، وتقدير الله هو علمه بالاشياء ، فقوله : خلقناكم : اشارة الى حكم الله وتقديره لاحداث البشر فى هذا العالم ، وصورناكم : اشارة أنه أثبت فى اللوح المحفوظ صورة كل شىء كائن الى قيام الساعة ، فخلق الله عبارة عن حكمته ومشيئته ، والتصوير هو اثبات صورة الاشياء فى اللوح المحفوظ ، والسجود قد يراد به : التعظيم لا نفس السجود ، أو السجود كان لله وآدم كان كالقبلة .

(جـ) وقال تعالى : « **الله الذى جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم** » ٦٤ غافر .

ما أكثر ما قدم الله للانسان فى

القرآن من دلائل قدرته فى الآفاق وفى النفس الانسانية مـن حيث تكوين ذلك الجسد وفى هذه الآية قدم دليلين من الآفاق :: أولهما : جعله الارض قرارا أى مستقرا للانسان وموطنا له فى الحياة وبعد الموت وثانيهما : جعله السماء بناء فهى كالقبة المضروبة القائمة الثابتة بدون عمد ترونها •

ثم قدم أدلة من النفس : أولها : أنه صورها وألفها من أعضاء وغضاريف وشرايين وأوردة وثانيها : أنه أحسن تصويرها وابداعها من حيث تركيب الرأس وما اشتملت عليه من الاعين والاذان والفم وغير ذلك • وثالثها: أنه رزق الناس من طيبات الارزاق مما أنزل من السماء وأخرج من الارض ، وذلكم الذى فعل كل هذا هو الله تبارك الله وتعالى وتنزه عن العجز فى الخلق والتصوير والرزق •

(د) : وقال تعالى : « خلق السموات والارض بالحق وصوركم فأحسن صوركم واليه المصير » ٣ التغابن •

ذكر الله أن كل ما فى السموات وما فى الارض يسبح له وأنه القادر على كل شىء ، ومن دلائل قدرته أنه خلق السموات والارض بالحق أى بارادته القديمة أو للحق وهو البعث وأنه صوركم فأحسن صوركم وأحكمها على نحو لا يوجد فى غير الانسان مما خلق ، ويراد بالحسن حسن المنظر اذا قورن بغيره من خلقه ثم بين فى ختام الآية أن المرجع والمآب والمصير اليه وحده يوم القيامة للسؤال والحساب •

(هـ) وقال تعالى : « مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا » ١٣ ، ١٤ من سورة نوح •

أى مالكم لاتأملون لله توقيرا وتعظيما على معنى لا تكونون على حال تأملون تعظيم الله اياكم « وقد خلقكم أطوارا » وخلقكم على هذا النحو موجب للايمان به فقد خلقكم أولا من تراب ، ثم خلقكم نطفا ثم خلقكم علقا ثم مضغا ثم عظاما ثم لحما ثم أنشأكم خلقا آخر •

ويجوز أن يكون تمام الكلام عند قوله : « مـــالكم » ثم قال : « **ترجون لله وقارا** » على تقدير استفهام انكارى تقـــديره : ألا ترجون لله وقارا أى ثباتا وبقاء وقد خلقكم أطوارا والطـــور : التارة : أى حالا بعد حـــال من التراب الى النطفة الى العلقة الخ أو يراد بالطور : الصنف والشكل ، أى خلقكم أصنافا مختلفة وأشكالا متباينة بحيث لا يشبه بعضـــكم بعضا .

(و) : وقال تعالى : « **يا أيهـا الانسان ماغرك بربك الكريم . الذى خلقك فسواك فعدلك . فى أى صورة ما شاء ركبك** » ٦ ، ٧ ، ٨ الانفطار

قيل المراد بالانسان فى الآية : الكافر ، وقيل يشمل جميع العصاة وغرك : أى : خدعك وسول لـــك الباطل فتركت ما فـــرض عليك واقترفت ما حرمه فما الذى أمنك من عقاب ربك ، أو ما الذى دعاك الى الكفر بالرسل والبعث ، وان ترك المعاجلة بالعقوبة لان اللــه كريم لايقتضى أن يغتر الانسان بأنه لادار بعد هذه الدار ، بل ان كثرة كرم الله ونعمه على الانســـان توجب الاجتهـــاد فى عبـــادته والاستحياء من الاغترار والتوانى ، وقد ذكر الله ما يدل على تحقـــق كرمه فيما يلى :

أولا : أنه خلقك ، وخلقك كرم منه لان الوجود خير من العـــدم ووجودك فى الحياة كرم من اللـــه سبحانه .

ثانيا : أنه سواك : أى جعلك سويا سالم الاعضاء تسمع وتبصر وقد قال فى آية أخرى : « **أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا** » ، وقد جعل الله لك لسانا تنطق به فيجب أن تؤدى زكاة لسانك فتذكره ، وجعـــل لك عقلا فيجب أن تصرفه فى التفكر فى ملكوته وأن يقودك تفكيرك الى الايمان به وقد فضلك الله بمـــا أنعم به عليك على الكثير من خلقه .

ثالثا : أنه عدلك ، أى عـــدل خلقك فى عينيك وأذنيك ويـــديك ورجليك فلم يجعل احدى العينين أوسع من الاخرى ، ولا أحد الرجل أطول من الثانية وبالجملة لم يجعل

تفاوتا بين نصفيك فى الخلق بل عدل أعضاءك فى خلقها •

(فى أى صورة ماشاء ركبك) :

قيل ان ما ليست زائدة بل هى فى معنى الشرط والجزاء •والمعنى: فى أى صورة ما شــــاء أن يركبك ركبك أى ان شاء ركبك فى غــير صورة الانسان من كلب أو حمار أو قرد ، أو المعنى فى أى صــــورة تقتضيها حكمته من الصور المختلفة فانه سبحانه يركبك على مثلهــا ، وقيل المراد : هو الصور المختلفة بحسب الطول أو القصر والحســن أو القبح والذكورة أو الانوثة •

وقيل المراد : صورة المطيعين أو العصاة ، فليس من ركبه عـــلى صورة الولاية كمن ركبه على صورة العداوة •

(ز) : وقال تعالى: **«سبح اسم ربك الاعلى • الذى خلق فسوى »** ١ ، ٢ ، الاعلى •

قيل : المراد بقوله : **« سبح »** الامر بتنزيه الله وتقديسه ، وقيل: المراد : نزه اسم ربك عن أن تسمى به غيره وفى ذلك معنى النهى عن أن يدعى غيره باسمه ، فاسم اللـــه يجب أن يصان عن الابتـــــذال والا يذكر الا على وجه الخشوع له وتعظيمه ، وقد يكون المراد : سبح باسم ربك : أى مجــــده بأسمائه التى أنزلها عليك أو المراد: تنزيهه عن كل ما لا يليق به فى ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه وأحكامه•

وقوله : **« الذى خلق فسوى »** استئناف كأنه جواب لسؤال سائل يسأل : ان الاشتغال بالتسبيح انما يكون بعد معرفة الله فما الدليل على وجوده وكان الجواب : الذى خلق فسوى ، والمراد بقوله : الذى خلق : يحتمل أن يراد : خلق الناس خاصة ، ويحتمل : خلق المخلوقات جميعها ، والمراد من التسوية : أنه خلق ما أراد على وفق مـــا أراد موصوفا بوصف الاحكام والاتقان

(ح) : وقال تعالى : **« لقــــد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم »** ٤ التين •

المــراد بالانســـان حقيقتـــه والتقـــويم : كـــون الشىء على ما ينبغى من التأليف ، والحســن اما أن يكون جسديا فيتناول أعضاء الانسان وأجزاءه واستقامته وكل

ما يشتمل عليه جسده واما أن يكون عقليا من حيث الفهم والادراك والعلم ، ويكون المعنى : خلقناه فى أحسن صورة ظاهرة أو فى أحسن صورة باطنة ، وقد فسر بعض العلماء : التقويم بحسن الصورة وكان دعاء بعض الصالحين : اللهم أعطيتنا فى الأولى أحسن الاشكال فأعطنا فى الآخرة أحسن الأفعال وهو العفو عن الذنوب والتجاوز عن العيوب .

آيات الخلق من التراب :

(أ) قال تعالى : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » ٥٩ آل عمران .

نزلت هذه الآية حينما وفد نصارى نجران على الرسول صلى الله عليه وسلم ودار حوارهم معه حول خلق عيسى ، وقادهم خلق عيسى الى ادعاء بنوته لله ، وقد قالوا للرسول : لما سلمت أنه لاأب له من البشر وجب أن يكون أبوه هو الله ، فقال لهم الرسول : ان آدم لم يكن له أب ولا أم ، ولم يقل أحد انه ابن الله فكذلك القول فى عيسى ، واذا جاز أن يخلق الله آدم من تراب فلم لا يجوز أن يخلق الله عيسى من دم مريم أو من التراب فنزلت الآية والمراد بقوله : **أن مثل عيسى :** صفته أى : أن صفته فى الخلق كصفة آدم .

وفى أصل خلق آدم تعددت الآيات واختلفت فى بيان الاصل :

١ ــ أنه خلق من تراب وذلك ما يدل عليه هذه الآية : **« ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب »** .

٢ ــ أنه خلق من الماء قال تعالى: **« وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا »** .

٣ ــ أنه خلق من الطين قال تعالى : **« الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين »**

٤ ــ أنه خلق من سلالة من طين قال تعالى : **« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين »** .

٥ ــ أنه خلق من طين لازب ، قال تعالى : **« انا خلقناهم من طين لازب »** .

٦ ــ أنه خلق من صلصال قال

تعالى : « **انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون** » .

وقد جعل الله التراب أصلا فى خلق آدم لانه خلق لخلافة أهل الارض : « **انى جاعل فى الارض خليفة** » ،ولان التراب يشتمل على المعادن التى يحتاجها بناء الانسان، ثم مزج الله ذلك التراب وما فيه من معادن بالماء ومافيه من خواص فكان الماء بعض أصل الانسان ، وبذلك المزج صار طينا ، وذلك الطين مكون من سلالات وأجزاء ، ثم ترك ذلك الطين فترة فتداخل بعضه فى بعض ، والتصقت أجزاؤه ثم ييس وذلك ما عبر عنه بالصلصال لانه يصل اذا تحرك واسود ، وذلك ما عبر عنه بالحمأ ، وقد تغيرت رائحته وهو حمأ وذلك ما عبر عنه بالمسنون ، ولكل هذا اختلف التعبير عن أصل الانسان لاختلاف تطورات الخلق ولكل طور اسمه الخاص به فمرة يذكر التراب وهو أحد مكونات خلق الانسان ومرة يذكر الماء وهو كذلك أحد مكونات الخلق ، ومرة يذكر الطين حيث اجتمع الماء بالتراب وتارة يذكر بعض تطوراته كالصلصال والحمأ والمسنون .

فهل يذكر الانسان أصله الطينى المنتن فلا يطغى ولا يختال ولا يتجبر ولا يتعالى ولا يستنكف أن يكون عبدا لله ؟ .

(ب) وقال تعالى : « **قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا** » ٣٧ الكهف . لقد افتخر الكفار بأموالهم وأعوانهم على فقراء المسلمين ، والفخر الحقيقى يجب أن يكون بطاعة الله وعبادته وهذا ما يسعد به فقراء المسلمين وقد ضرب الله مثلا برجلين : جعل الله لاحدهما جنتين من أعناب محفوفتين بالنخل، وجعل بينهما زرعا ، وآتت الجنات أكلها وفجر الله خلالهما الانهار ، واعتز ذلك بجناته وأمواله وأعوانه، وظن أن جناته لن تهلك وأنكر الساعة والحساب ، وظن أنه اذا رجع الى الله سيجد فى الآخرة خيرا من تلك الجنات وفى حواره مع الفقير قال له الفقير : أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة

ثم سواك رجلا ، فأنكر عليه كفره بالخالق ، ثم أرسل الله نقمته على الغنى الجاحد فأحيط بثمره وهلكت جناته وراح يقلب كفيه على ضياع كل ما كان يملكه وندم وتمنى ان لم يكن أشرك بربه وان لم يكن له أعوان أطغته قوتهم وفتنوه عن عبادة ربه •

وفى الآية ما يدل على الخلق الاول وأنه من تراب ثم من نطفة وأن القادر على الخلق الاول قادر على الاعادة والخلق الثانى وأنه خلق الخلق ليعبدوه وأن الفقر والغنى من الله وأن على الانسان أن يحمده اذا أعطاه وأن يصبر اذا ما ابتلاه •

(ج) : وقال تعالى : **« يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يراد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا »** ه الحج •

بعد أن حكى الله الجدال الذى بينه فى قوله : « ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم » حول الحشر ، أود ما يدل على صحة ذلك ووجههم الى التدبر فى الخلق الأول ليعلموا أن القادر عليه قادر على الاعادة ، وذكر من أطوار الخلق الأول أمورا :

الطور الأول : الخلق من تراب:

أى خلق أصلهم الاول وهو آدم من تراب وقد بين فى خلق عيسى أنه كخلق آدم من تراب ، وفى آية أخرى يتحدث عن الأرض ويبين خلق الناس فى قوله : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » والضمائر كلها للأرض •

أو أن الله خلقكم من منى الرجل وبويضة المرأة وأنهما يتولدان من الغذاء والغذاء : اما حيوانى وينتهى تسلسله الى النبات والنبات يتولد من الأرض ومن ترابها ، واما نباتى ومرجعه الى الأرض والتراب •

الطور الثانى : أنه خلقهم من

نطفة ، والنطفة : الماء القليل ، ويقصد به ماء الرجل لأنه الأصل والنطفة تتكون من الغذاء وهو اما حيوانى أو نباتى فمرجع تكوين النطفة فى النهاية الى الغذاء وأساس الغذاء ما تنبت الأرض •

الطور الثالث : أنه خلقهم من علقة وهى قطعة الدم المتجمد ، وبين الماء والدم المتجمد تباين فى الشكل وذلك يكشف عن قدرة الله فى ذلك التحويل •

الطور الرابع : المضغة وقسم المضغة الى مخلقة وغير مخلقة وقيل المراد بالمخلقة : التامة الصورة والحواس أو المصورة أو ما تم تخليقها • وغير المخلقة عكسها « وقد فعل الله ذلك ليبين لكم أن تغيير المضغة الى مخلقة هو باختيار الله ولولاه لما كان ذلك التخليق » أو لنبين بتلك الأطوار ما يدفع الشك فى أمر البعث •

الطور الخامس : اخراجكم من أرحام الأمهات طفلا أى من الطفل

الطور السادس : طور بلوغ القوة وعبر عن ذلك بقوله « لتبلغوا أشدكم » أى كمال قدرتكم وعقلكم •

الطور السابع : اما الوفاة وهو فى حالة القوة واما أن يرده الله الى أرذل العمر وهو الهرم فيتحول الى ما يشبه طور الطفولة من قلة الفهم وضعف قواه العقلية وكأنه لا يعلم شيئا مما كان يعلمه •

وقال تعالى : « ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون) ٢٠ الروم •

بعد أن ذكر الله قدرته على الاحياء والاماته واحياء الأرض بعد موتها وأنه كذلك الاحياء يخرج الناس ويبعثهم يوم القيامة بعد ذلك ذكر الآيات العظيمة التى تدل على قدرته ومن جملتها خلق الانسان من تراب ، والتراب أبعد الأشياء عن درجة الاحياء ولذلك كان خلق الانسان منه آية من آيات الله :

فالتراب بارد يابس والحياة انما تكون بالحرارة والرطوبة ، والتراب كدر والروح نور والتراب

ثقيل والروح خفيفة والتراب ساكن والانسان متحرك •

فالتراب فى جملته أبعد الأشياء من قبول الحياة ولكن الله خلق منه البشرية المدركة وهذا موطن العجب بل هو الآية •

وخلق الانسان من تراب اما أن يراد به أصل الانسان وأبو البشر وهو آدم ، واما أن يراد به أن كل بشر مخلوق من التراب باعتبار أن خلقنا من نطفة والنطفة من الغذاء والغذاء اما من لحوم الحيوانات وألبانها وشحومها وكل ذلك تكون من نبات الأرض ، واما أن يكون الغذاء نباتا ، وغذاء النبات من الأرض فيكون مرد النطفة الى أنها تكونت من غذاء أرضى فتكوينها يكون من التراب وهذا لا يتنافى مع ما جاء فى آيات أخرى من نحو قوله : (**وهو الذى خلق من الماء بشرا**) وقوله فى أخرى عن خلق الانسان انه من ماء مهين والمراد بالماء فى الآيتين ذلك المنى وذلك المنى من غذاء الانسان مرجعه الى الأرض حتى الأسماك غذاؤها أغلبه ناشىء من الأرض •

ويمكن القول بأن الانسان من أصلين : الماء والتراب ، والتراب لا ينبت الا بالماء فمرجع الأغذية الى الماء والتراب وما ينبت بهما ، وقد بين فى بعض الآيات جزء من أصل الانسان وهو التراب وفى بعضها الجزء الآخر وهو الماء وجمع بينهما فى بعض الآيات كقوله : (**أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة**) •

(هـ) وقال تعالى : (**والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزوجا**) ١١ فاطر •

يذكر الله فى هذه الآية خلق الانسان وأنه من تراب ، وقد قال بعض المفسرين : ان المراد بقوله : (**خلقكم من تراب**) خلق أصلكم وهو آدم وقوله : ثم من نطفة : اشارة الى خلق أولاده وقيل : خلقكم : خطاب للناس وهم أولاد آدم وآدم من تراب فأصل خلقكم من تراب ثم قال : ثم من نطفة ليشير الى أبناء آدم ثم جعلهم الله أزواجا ليتحقق التوالد والتناسل •

(و) وقال تعالى : ((**هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا**)) **٦٧ غافر** .

ذكر الله فى الآية بعض دلائل قدرته فى خلق الانسان وتكوين بدنه ومراتب أطوار حياته من حيث القوة والضعف فبين أن خلقه من تراب وقد بينا فيما سبق أنه قد يراد خلق الانسان الأول وهو آدم وقد يراد ذريته على أنهم من نطفة ومرجع تكوين النطفة الى التراب والماء لأن منهما يتكون ويتولد وينبت غذاء الانسان وهذه النطفة تحولها قدرة الله الى علقة ودم متجمد ، ثم بين مراتب عمر الانسان :

المرتبة الأولى : الطفولة وهى دور النماء والتزايد .

المرتبة الثانية : مرتبة كمال النماء وهى التى أشار اليها بقوله: **ثم لتبلغوا أشدكم** .

المرتبة الثالثة : مرتبة التراجع الى الضعف والنقص ، وهى التى أشار اليها بقوله : **ثم لتكونوا شيوخا**)) ثم قال : ((**ومنكم من يتوفى من قبل**)) أى من قبل هذه المراتب وهو السقط أو من قبل بلوغ الشيخوخة فيموت فى شبابه ، ويفعل الله ذلك لتبلغوا الأجل الذى كتبه لكل مخلوق .

وكل ذلك دليل على قدرة الله الذى خلق الانسان وتدرج به بين هذه المراتب .

والى اللقاء فى أعداد قادمة ان شاء الله حول آيات خلق الانسان فى القرآن .

دكتور : محمد محمد خليفة

وجه الدلالة فى البيان

دكتور محمد أبو موسى

يعلم أهل العلم أن للعربية أسرارا ودقائقا فى تصـــــور المعانى وتحديدها ، ولحظ الفروق والأحوال والمراتب ، وأن أحـــوال الكلمــات تختلف اختلافا واسعا وأنه يتبع ذلك فروق دقيقة وملبسة فى معانيهــا ، وأن أحوال التراكيب وأوضـــاع الكلمات فى بناء الكـــلام تختلف كذلك اختلافا واسعا ، وأن وراء هذا الاختـــلافات من الغـــوامض والهواجس ما وراءها ٠

والمتكلم المبين يتجه الى اللغة يتحسس حضراتها ، ويتلمس دقائق الأحوال فى الافراد والتركيب ، ليجد من بينها ما وجده فى نفسه فيجعله عبارة عنه ، والمعانى والأغراض هنا تفيض بها الكلمات لأنها متلبســـة بهــــا ٠

وقد يجد المتكلم فى نفسه شيئا لا تنتزعه الكلمات ولا تلامسه ، بل ولا تستطيع أن تشير اليه ، مع أنها حافلة بوسائل الاشــــارة والرمز والايماء ، وحينئذ تنهض ملكة البيان وتصطنع وسائل أخرى تدخل بهــا وسائط بين اللغة وما التبس فى غوامض النفس ، فيتيسر بذلك ســـبيل العبارة عنه ، وهذه الوسائط منتزعة من الأشياء الكائنة فى حياة الناس ٠ والمتكلم حال اقتناصها يقلب وجهه فيما حوله أو يرجع الى أعماق نفسه يفتش عن الأشباه والنظائر والأشياء التى يحضر بعضــها بعضــا ويدل بعضها على بعض ، وكل ما يمكن أن يفتح به باب الأفهام لا يجد ٠

أقرأ ما شئت من صور التشبيه والمجاز والكناية فى كلام أهل الطبع ، أو انظر الى قول نصيب :

كأن القلب ليلة قيل يغدى
بليلى العامرية أو يراح
قطاة عزها شرك فباتت
تجاذبه وقد علق الجناح
لها فرخان قد تركا بوكر
فعشهما تصفقه الرياح
اذا سمعا هبوب الريح نصا
وقد أودى بها القدر المتاح
فلا بالليل نالت ما ترجى
ولا فى الصبح كان لها براح

تجد الشاعر لم يصف قلبه بالكلمات الدالة على ما يجد لأنه لا يستطيع ذلك ، ولو استطاعه لفعل ، وانما وصف قلبه بصورة هذه القطاة التى هذه حكايتها .

وكأن هذه الحكاية هى الكلمة التى وصفت قلب الشاعر .

ولا ريب فى أن نصيبا راجع الكلمات وروى فى الصياغة وبذل الجهد الذى يستهدف اثارة ما فى اللغة من طاقات فى الدلالة والايحاء ، وكان ذلك كله ليضىء جوانب تلك الحكاية ، ويكشف ما فيها من خوالج وهواجس ليجعل ذلك فى النهاية كلمة دالة على حاله .

وانظر الى اطلاقهم القرم بفتح القاف على السيد الشريف المقدم تجدك لا تدرك معنى السيد الشريف المقدم من لفظ القرم لأن معناه الفحل الذى لا يحمل عليه ولا يذلل ، وانما يصير معنى القرم بهيأته واكرامه وأنه لا يمتهن ولا يسخر ولا يكون معه ما يكون مع جنسه هو الدال على المعانى المقصودة فى السيد الشريف ، وكأنه صار كلمة .

وكذلك اذا قلنا فلان مشمر عن ساقه ، أو قلب يديه ، فان الدال على المعنى ليست الألفاظ ، وانما ما وراءها من معان وأحداث . يعنى أننا لا نفهم معنى الجد من لفظ مشمر عن ساقه ، وانما تكون هيأة الرجل وقد أنصف الساق مئزره دالة على حالة الجد . وكأنها هى الكلمة .

وقد أشار عبد القاهر الى فقه

الدلالة ، وطريقة الابانة فى هـذا الضرب من الكلام ، فذكـر أن الكـلام ، على ضربين « ضرب أنت تصـل منه الى الغرض بدلالة اللفظ وحـده ، وذلـك اذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج (على الحقيقة) • فقلت خرج زيد •• وضرب آخـر أنت لا تصـل منه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذى يقتضيه موضـوعه فى اللغة ثم تجـد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها الى الغرض ، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيـل » « دلائل الاعجـاز ص ١٧١ » •

واضح أن اللفظ لا يستقل وحده بالـدلالة فى هذا الضرب الثانى ، وانما يصـير معناه أيضا طريقا للدلالة ، وهـذا المعنى قد يكون مفردا كمعنى الاسـد والبـدر ، وقد يكون مركبا حدثا أو حكاية •

واذا كانت المعانى الناشـبة بالألفاظ لا تحتـاج الا الى العلم بالمواصـفة فان العلم بالمعانى الثوانى المدلول عليهـا بالمعانى الأول ، المدلول عليهـا بالألفاظ انما يتحصل بطريق الاسـتنباط ، والاستدلال ، والتعقل ، أى أن هذه الكوائن والأحـداث ، أو المعانى التى تنصب رموزا دالة وكأنهـا كلمات كما قلنا تختلف فى طبيعـة دلالتها والتقاط الأغراض والمقاصد منها ، عن الكلمات المتلبسـة بالأغراض بلا واسطة •

ولا ريب فى أن هنـاك فرقا بين أن تفيض الكلمـات بالمعـانى والمقاصد وان تفيض بها الأحـداث والصـور • فرق بين ما يدل عليه لفظ الشجاعة وما تدل عليه صورة الأسد ببطشه ، واقدامه ، وبأسه ، وشدته ، المعانى التى تفيض بهـا الأحداث والصور أغزر ، وأبين ، وأمكن ولابد أن يكون هذا القـدر الزائد مقصودا ، وأن لا يكون هناك سـبيل الى الابانة عنه الا هذا الطريق ، وأن كل وسـيلة من وسائل البيان لا يصـار اليها الا لضرورة • فلا يعرف أهل العلم أن فى الكلام شـيئا يساق لتحلية الاسلوب ، أو للتفنن ، أو الطرافة،

أو الجـــــدة ، أو للقيم الجمالية كما يقول أهـل زماننا ، وانما كل شيء فى كلام أهل الطبع ركن فيه لا ينهض الا به ، فاذا رأينا تشبيها أو مجازا أو كناية وليس موقعه فى الكلام موقع ما لا يتحصل الشيء الا به فهو تكلف ســـاقط وغث مسترذل . وقد كثرت هذه الوسائل فى الكلام حتى صارت كأنها أقطاب تدور عليها المعانى فى متصرفاتها ، وأقطار تحيط بها من جهاتهـــا كما يقول الشيخ الامام . ولما تعدد مجال الحذق فيها من حيث اختيار العناصر المعبرة ــ فضلا عن احكام بنية الكلام الدال عليهـــا ــ ذكر الشـــيخ أنه بما قرى الحسن من الجهتين ، حسن النظـم ، وحسن اللفظ ، والمراد باللفظ هنـــا وفى مثله المعانى الدالة كما هو صريح كلامه فى غير هذا الموطن .

وهذه الضروب من الابانة والتى نسميها فى علم البلاغة علم البيان فيها مجالات متراحبة لم نتعرض لها فى هذا المقال لانها لا يحاط بها فى بحث ، بل ولا يحيط بها باحث ، وانما هى فى حاجة الى جهـــود صادقة وصابرة ومتكاملة .

من ذلك بحث الوســـائل التى انتفع بها كل شـــاعر فى الابانة عما وجد ، وكيف صرف هـــذه الوسائل ؟ وكيف صـــاغها ؟ وكيف أقامها رموزا دالة ؟ ولا يرى قرب ذلك الا الذى لا يدركـــه . لأنه يعنى الوقوف المتوسم عنـــد كل تشـــبيه ومجاز وكناية ، والتعرف على عناصره ، وطريقـــة تصريفـــه ونســـج خيوطه ، وكيف أحكم هيأته ، وظاهره وباطنـــه ، ومدى ملاءمة ذلك للسياق والغرض ؟ وغير ذلك مما يســـتوجبه فهم هذه الوسائل وتحليلها .

وهـــذا يحتاج فيما يحتاج الى التعرف الكامل على بيئة الشـــاعر التى طواها فى شعره وصارت جزءا فى بناء كلامه ، وهـــذه وحــــدها « دونهـــا خرط القتاد » كما يقول شـــيوخنا . لأنه يعنى التعرف الواضح على أرضـــها وجبالها ، ووديانها ، وحزنها ، وســـهلها ، وأنواع أوانسها وأوابدها ، وأنواع

نباتها ثم الناس ، وقبائلهم وبطونهم ، وأيامهم ، ووقائعهم وعاداتهم وضرهم وشرهم ، وغير ذلك مما ترى الشعر مشحونا به وهو كثير جدا ، وخير ما ينبيء عنه قراءة قصيدة من شعر امرىء القيس أو لبيد أو غيرهما ، وتحديد صور التشبيه والمجاز والكناية ، والتعرف على ما يلزم لفهم ذلك •

وحين تفرد كل وسيلة من هذه الوسائل تعد بابا واسعا من أبواب البحث انظر الى الناقة عند زهير مثلا ، وتعرف على كيفية صياغتها فى بيانه ، وكيف انتزع منها تشبيهاته ؟ وكيف تعددت صورها عنده ؟ وقارن ذلك بما استنبطه غيره منها ، وكيف تأملوا كل شيء فيها ، وانتزعوا منه ما أبانوا به فأبانوا بحنينها ، وارزامها ، تطوافها ، ولقاحها ، ونتاجها ، وأصلابها وأعجازها وكلكلها ، وغاربها ، وبرحلها اذا مال وجاوز الحزام الطبيين • واذا اعتدل وهكذا •

وكذلك البرق ، والسحاب ، والأنواء ، والثريا ، وثور الوحش ، وحماره ، وأتنه ، الى آخر هذا الذى لو تتبعته وجدت فيه مجالات عديدة للنظر •

ومقارنات هذا الباب تكشف اسرارا فى الشعر يروع مذاقها ، تأمل ثور الوحش وقصته مع كلاب الصيد ، وكيف تصرفت الاحوال والاحداث وتشابهت وتباينت عند شاعر واحد كالنابغة ، فضلا عن أن تجعل هذه القصة أصلا للمقارنة عند جملة من الشعراء •

أو تأمل الأوابد والسباع فى تشبيهات الصعاليك ومجازاتهم ، وكيف أبانوا بالذئاب وتناديها فى الخرائب •

والمهم أن نسيج التشبيه والمجاز والكناية عند كل شاعر ومتكلم بين باب من أبواب البحث والنظر له جهات متعددة ينظر اليه منها حتى اننا نستطيع أن نجد لكل شاعر معجم تشبيه ومجاز وكناية ، يتحدد فيه ما اقتبسه من غيره ، وما أضافه ، والى أى مدى كانت صور الآخرين تتعدل عنده وتتأثر

بسليقته وطبعه ، والى أى مدى بقيت قريحة الصحراء ناشبة فى اللسان . وهكذا ينظر الى الشعراء الذين يجمعهم مذهب واحد ، أو طبقة واحدة ، أو بيئة واحدة ميزتهم كشعراء نجد والحجاز أو شعراء قيس وتميم ، وسوف نجد — لا محالة — عوامل جامعة فى باب التشبيه والمجاز والكناية لأنها أشد وسائل الكلام رقة ورهافة وتأثرا بالأحوال والطباع .

وهكذا ينظر الى المتكلمين فى كل طور متميز من أطوار الحياة الادبية ، وتجتهد الدراسات فى أن تضع معجم التشبيه والمجاز والكناية لكل طبقة أو قبيلة أو جيل ، ومحصل ذلك كله تجده معجما عاما للتشبيه والمجاز والكناية ، وبذلك تتحدد لنا نشأة كثير منها ، وأوليات كل شاعر ومتكلم ، وأوليات كل جيل ، أو طور ، أو بيئة ، وما شاع عند كل من صور .

وقد أومأ عبد القاهر الى باب من أبواب البحث فى هذا الذى نقول حين ذكر أن هناك أشياء عكف عليها خيال القوم واستنبط منها أحوالا متعددة ، وجعلها وسائل للابانة عن معان مختلفة ، وأن هذا موضع مهم من مواضع بحث التشبيه . وذكر الزند وكيف صرفوه فى أغراضهم فهو بايرائه يعطى شبه الجواد ، والذكى الفطن ، وشبيه النجح فى الأمور الى آخر ما قال ، ثم ذكر البدر وأحواله التى أبانوا بها ، فهو يعطى الشهرة فى الرجل ، والنباهة والعز والرفعة ، ويعطى الكمال عن النقصان ، والنقصان بعد الكمال ، الى آخره وهذا بيان لطريق من طرق النظر فى التشبيه يغاير ما تعارفنا عليه فى أمره ، وأنه بحث الطرفين والوجه والاداة .

ومسألة وضع معجم التشبيه والمجاز والكناية لكل شاعر ومتكلم مبين ولكل طور الى آخر ما ذكرنا ليست أفكارا نبتدئها ، وانما حققها الشريف الرضى بصورة ما فى تلخيص البيان فى مجازات القرآن ، وفى المجازات النبوية ، وحققها ابن ناقيا البغدادى فى تشبيهات القرآن ، وحققها الزمخشرى فى

الأساس ، ولكننا لم نتابع هذا الاتجاه •

وقد نبه ابن خلدون الى أهمية تتبع مجازات العرب ، ووضع المعجم الجامع لكل ما تجوزوا به من الفاظ ، وتراكيب ودلالات ، وذكر أن الزمخشرى له فى هذا كتاب وأنه كتاب شريف (مقدمة ابن خلدون ص ٤٨٥) •

د• محمد أبو موسى

« **بقية حديث الشهر** »

ذاته الجسور المهمة التى يقوم عليها كيان المجتمع من المعاملة والأخلاق والتكافل •

تلك هى بعض ملامح قوة الاسلام التى تصنع التطور والتقدم وهى نفسها علاج العصر الذى ضاق من غموض العقائد وعجزها كما ضاق بالاستبداد وقمع الحريات والتخلف والميل مرة لصالح الفرد ومرة لصالح المجموع الغريب أن بعض أبناء جلدتنا لم يستيقظوا من سباتهم بعد •

اللغــة و المجتمع

للدكتور عبد الغفار حامد هلال

تناولنا فى المقالين السابقين بعض المظاهر الاجتماعية للغة فتناولنا اللغة والجنس واللغة والمكان والزمان ونتحدث هنا عن مظاهر أخـــرى هى : اللغة والنظم الاجتماعية واللغة والطبقــات الاجتمــاعية والعرف واللياقة اللغوية وتبين جوانبها المختلفة واليك القول فيها :

اللغــة والنظم الاجتمــاعية :

تتأثر اللغة بالأنظمة الاجتماعية التى تكون عليها الأمة ، فتحمــل سمات المجتمع فى النواحى السياسية ، والاقتصادية ، والدين ، فالمجتمع يطبع خواصه فى هذه النواحى على لغته ، فالكلمات ، والتعبيــرات تتمشى مع شكل النظام الســياسى ، والاقتصـــادى والــدينى وغيرها من النظم الاجتماعية ..

ففى مجال السياسة نلاحظ اختلاف نظم الأمم ، فهنــاك النظــام الديمقراطى أو النظام الاقطاعى ، أو النظام الشيوعى ، ولكل طريقتــه التى تظهر فى أساليب لغته ، فلغة الانتخاب ، والمراسيم ، الحكــومية ، والمجالس النيابية تتجلى فيها طريقة النظام الذى تسير عليه الدولة ..

وعندما يتغير الشكل الســياسى تتأثر اللغة به ، فلو درسنا الألفاظ المستعملة فى مجال السياســـــة الطبقية قبل الثورة ، وما استعمل بعد الثورة لوجدنا اختلافا واضحا فى كل من الفترتين ، فالنظرة الى

الفرد قد اختلفت وأخذ لفظ (السيد) مفهوما جديدا فى الاستعمال •

ونلاحظ فى أسلوب المعاهدات والمعاملات بين الدول طابع الصورة التى تكون عليها تلك الشعوب ، من النواحى السياسية، فترد عبارات : (العالم الحر) ــ (عدم الانحياز) ــ (التحالف) ــ (الصداقة) ــ (المودة) وتفسر فى ظل المفاهيم السياسية التى تراها الدول التى يجرى بينها التعامل ••

وقد نشأ عن هذا تغيير مدلولات كثير من الألفاظ والتراكيب ولودرست معانيها فى القديم والحديث ــ لاكتشفت فروق هائلة بين المراد قديما ، وحديثا حسب مصطلحات العصر ، وربما أتاح هذه مادة خصبة لمعجمات تضم معانى جديدة لم تعرفها العربية من قبل ••

ولنراجع معا هذه العبارات : (الظلم الاجتماعى) ــ (سيطرة الاقطاع) ــ (الخلية الثورية) ــ (الدفع الثورى) ــ (الحوافز الثورية للجماهير) (الدكتاتورية الطبقية) ــ (دموية الصراع الطبقى) ــ (نضال الشعب) الخ ••

وللحياة الاقتصادية طرائقها ، ونظمها التى تتخذ من اللغة أداة فعالة لها ، توجهها كما تشاء فى الاصوات والمفردات •

فالنواحى الاقتصادية كثيرة ، والتعامل بين الأمم له وسائله ، ودعاياته والتعامل بين أفراد الامة وجماعاتها له وسائله ودعاياته أيضا ••

فأسلوب البيع والشراء له مسالكه التى يلجأ اليها كل من البائع والمشترى وطرق عرض السلع ، والاعلان عنها يأخذ أساليب شتى ، وأسواق البيع والشراء تحوى دهاء البائع والمشترى ، ولذا تبدو فى المجال اللغوى للبيع والشراء اصطلاحات وألفاظ وطرائق لغوية تتميز بها جماعات التجار على تعدد أنواعهم وسلعهم ••

ونشاط أصحاب الحرف زراعية وصناعية وتجارية يرتبط بالمفاهيم

اللغوية الجديدة التى تتمشى مع وصفهم فى المجتمع ، فأساليب الزراع ، والصناع ، والتجار تجرى حسب ميولهم ، وأهوائهم ، ومصالحهم ، وترتبط بالأوضاع الجديدة التى تعرض لهم ..

ويكفى أن نعرف أن العمل، والعمال زراعيين، وصناعيين أصبح لهم بعد الثورة شرف الانتساب الى أعمالهم ، وتحولت معانى الكلمات (العمل ــ العامل الفلاح) من الصفة التى كانت تلاحقهـا فى الماضى بسخرية واستهزاء الى شرف المعنى واحترامه (١) .

وللدين كذلك أثره الفعال فى اللغة ، فالمجتمع فى طقوسه الدينية ومشاعره يسلك مسلكا لغويا اذ طابع خاص ، ولغة الدين لها ألفاظها ، وتراكيبها ، وطرائقها التعبيرية ، ولننظر الى ألفاظ الأذان ، والصلاة ، والخطب الدينية ، وطرائق المدائح النبوية، وأساليب القرآن الكريم الذى يلجأ الى طرق خاصة فى الاقناع والتوجيه ، ولا ريب أن أداء هذه المراسيم الدينية ، وقراءة النصوص ، والأدعية المأثورة لها نظمها الصوتية ، التى تحرك المشاعر ، والوجدان ..

وهناك تعبيرات شائعة لدى الناس يستمدونها من ايمانهم بخالقهم ، ويحيطونها بهالات الاكبار الذى ينبعث من الاحساس الدينى كأساليب القسم وتعويذ الاطفال بآيات الكتاب الكريم ، والأساليب الشعبية المستمدة من الدين مثل (اسم الله عليك ــ باسم النبى حرسك) ..

ولو تتبع الباحث اللغوى تاريخ الألفاظ ، والتعبيرات الدينية المأثورة قديما حتى العصر الحديث لأمكنه أن يقف على تاريخ التطور اللغوى الذى ينبعث من مشاعر دينية ، لاسيما ونحن نعلم أثر الدين فى النفوس ..

ولو درس الأسلوب القرآنى دراسة فاحصة ، لأمكن ادراك كثير من الاتجاهات ، والمسالك اللغوية التى ينتحيها ..

ونلمس فى لغة الأساليب الدينية

(١) د : السعران : اللغة والمجتمع ص ٧٤ ــ ٩٤ بتفصيل اكثر ..

ميلا الى الايقاعات الصوتية كالسجع ، والفواصل وتتابع الأصوات وتنعيم الكلام ..

ولو تركنا الدين الاسلامى الى غيره من الأديان الأخرى لوجدنا الطقوس الدينية التى تسلك مسالكها ، فلا تزال الكنيسة تستخدم التعابير القبطية التى يرددها بعضهم دون فهم (١) .

ولاشك أن كتابات المسيحيين باللغة العربية تحول الأساليب ، ومفهوم الألفاظ العربية ، حسب الاتجاهات التى يلجأون اليها ، فلهم عرفهم فى الاستعمالات اللغوية ويمكن ملاحظة ذلك من أساليب كتاباتهم الدينية ، وذلك أيضا يغير من ألفاظ اللغة ، وتراكيبها ومفاهيمها فيخضعها لما يريدون ..

٤ ــ اللغة والطبقات الاجتماعية :

يضم كل مجتمع عناصر مختلفة تعيش فى المدن ، والقرى ، وفيها الزراع والصناع والارستقراطيون والفقراء ومتوسطو الحال وفيها الأميون والعلماء والمثقفون ، كالطبيب والمهندس والمدرس ، وعالم الدين ، ورجل القانون ، والأديب وغيرهم ..

ولكل من هذه الطوائف خصائصها ، فى نشأتها ، وطريقة حياتها ، وعاداتها وتقاليدها ، ومستواها الاجتماعى ، ولذا تستخدم اللغة استخداما مستمدا من البيئة والأعمال التى تزاولها .

وتعرف هذه اللهجات ذوات الطوابع المتميزة بـ (اللهجات الطائفية) أو (الطبقية) أو (الاجتماعية) ، كما يسميها علماء اللغة (٢) ..

فالمشتغلون بالزراعة لهم لهجتهم الخاصة ، المستمدة من بيئتهم وعملهم ، وما يتصل به من آلات ، وأدوات ..

ففى (اللتوائية) ــ وهى لغة شعب زراعى ــ خمس كلمات للدلالة على اللون الأشهب ،

---

(١) فندريس : اللغة ص ٣١٤ ، ٣١٥ .

(٢) د . السعران : اللغة والمجتمع ص ٦٠ ، د . وافى : اللغة والمجتمع ص ١٤٨ .

هذه الكلمات ليست من المترادفات ولكن لأن كلا منها تقال عن شيء خاص الأوز والخيل والبقر والحيوان الداجن مما عدا ما سبق وشعر الانسان — وفيها دلالة على (المبقع) أو (الأيلق) عدد من الكلمات بقدر ما يوجد فيها من الفصائل الحيوانية ، وهذا يستلزم قوما اخصائيين فى تربية الحيوان ، (١) ..

وللزراع — فى مصر — لهجاتهم الخاصة التى تختلف باختلاف المناطق التى يعيشون فيها ..

ويبدو ذلك فى مظاهر حياتهم، وسلوكهم اللغوى ، ولعل فى هذا المثل المستمد من بيئتهم ما يؤكد هذه الحقيقة ، ففى بعض المناطق يقولون : أردب ما هو لك ما تحضر كيله تتعفر دقنك ويلزمك شيله) .

ولكل حرفة أو صناعة ألفاظها الخاصة ، فللحدادين ، والنجارين، والبحارة وغيرهم من الصناع وذوى الحرف لهجات متنوعة فى كلماتها ، وعباراتها ..

وتشتمل لهجات هؤلاء وأولئك على ألفاظ من اللغة العامة ، أو من لغات قديمة أو أجنبية ..

ففى مجال الزراعة تحتفظ العامية المصرية — من اللغة القبطية — بأسماء الشهور ، والمواسم الزراعية ، وأسماء بعض الآلات الزراعية ، وفى العامية العراقية كثير من الكلمات البابلية ، والآشورية ، والفارسية المتعلقة بهذه الموضوعات ..

وفى مجال الصناعة كلمات متوارثة ، أو منقولة من لغات أجنبية وبخاصة — بعد التطور الصناعى العالمى ، وقد دخل اللغة العربية كثير من الألفاظ الانجليزية ، والايطالية والألمانية ، واليونانية ، مما يتصل بالهندسة والميكانيكا والآلات الصناعية (٢) .

---

(١) فندريس : اللغة ص ٢٨٦ .
(٢) د . السعران : اللغة والمجتمع ص ١٠٥ — ١٠٨ بتصرف ، وانظر : اللغة ص ٢٨٣ وما بعدها .

وللطبقات الارستقراطية ، والفقيرة ، والوسطى ، لهجاتها التى تنبىء عن مكانتها الاجتماعية ، وأوضاعها الاقتصادية ، وطرق معيشتها ونظامها الاجتماعى ..

يقول فندريس – عن اللهجات الارستقراطية الفرنسية – (فى كل العهود التى كونت فيها الارستقراطية طبقة مغلقة ، تحيا حياة الصالونات وتعتز بجمال اللغة أدت هذه الحال الى نشوء مفردات نبيلة أبعدت منها كل كلمة سوقية ، وهم وان استووا فى العقل مع غيرهم ظلت لهم على غيرهم من سواد الناس ميزة التعبير بعبارات خير من عباراتهم، وجمل أشهى الى النفس) (١) .

وللطبقات الارستقراطية فى مصر لهجاتها الخاصة ، ولكنها تقوم – أحيانا – على تشويه بعض أصوات اللغة العامية ، واستعمال كلمات وتراكيب أجنبية لاعتقادها أن ذلك علامة الرقى ، والتمدن (٢) .

والطبقات الفقيرة ، والوسطى أكثر استقرارا واعتدالا فى استعمال اللغة .

وقد يعرض لفرد أو أكثر من الطبقات الدنيا ثراء فجائى ينقلهم الى مستوى مادى أعلى ، فيحاولون مجاراة الطبقة الراقية، واذا كانوا يستطيعون ذلك فى المسكن والملبس ، وغيرهم من مظاهر الحياة المادية ، فمن العسير عليهم مجاراة تلك الطبقة فى لهجتها فان صعوبة التقليد الكامل تجعلهم عرضة للخطأ وتعود بهم الى طبقتهم الأولى (٣) .

وللطبقات الخارجة على نظام المجتمع – كاللصوص ، والمجرمين، والأشقياء لهجات تستخدم طرائق معينة فى استعمال كلمات اللغة العامة ، ينقلها الى معان مجازية

---

(١) فندريس : اللغة ص ٢٨٧ ..

(٢) انظر الى استعمالهم : انارب مكان أرانب – زالم مكان ظالم – السبر مكان الصبر مرسيه مكان شكرا . ونحو ذلك

(٣) د . السعران : اللغة والمجتمع ص ٦٠ .

أو استعارتها لدلالات بعيدة عن مفهومها الأصلى ، أو خلق وابتكار مفردات وعبارات جديدة ، لمفاهيم يصطلحون عليها ، وربما لجأوا اليها لاخفاء جرائمهم ، وأوضاعهم الشاذة ، « ففى أمريكا — مثلا — يسمى اللصوص (الجواهر) باسم (الجليد) والجواهر المسروقة (الجليد الساخن) (١) .

ولذا تسمى لهجتهم بـ (اللهجة السرية) أو (الكلام السرى) (٢).

وقد فطن الجاحظ الى لهجات الطبقات الدنيا فى أيامه فهو يعرض للهجة المتسولين ، والمحتالين ، ولا سيما ما جاء فى كتاب البخلاء من هذا الباب كما أشار الجاحظ الى جماعة من هذه الجماعات التى ارتضت لنفسها أن تحيا حياة خاصة ، وهم اللصوص ، وقد كتب فى الموضوع رسالة أسماها كتاب اللصوص ، وجاء ذكر الكتاب فى مظان عدة(٣).

ومن امثلة تلك اللهجات الخاصة القصيدة الطويلة التى كتبها فى القرن الرابع الهجرى الشاعر الماجن المتسول أبو دلف الخزرجى الينبوعى مسعد بن مهلهل — واشتهرت باسم القصيدة الساسانية ، واختار منها أبو منصور الثعالبى قدرا لا بأس به وشرح المصطلحات الخاصة بالمتسولين (٤) .

وللعلماء والمثقفين — على اختلاف طبقاتهم ومناحى تعليمهم — من أطباء ومهندسين ومدرسين وعلماء وكتاب ، أنواع من اللهجات تتفق مع مستواهم الثقافى والعامى ..

وتبين لهجة المتكلم نوع تعليمه، ووسطه الثقافى ، فالقانونيون لهم

---

(١) نفسه ص ٦١ .
(٢) فندريس : اللغة ص ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣٢٠ .
(٣) د . حسن ظاظا : اللسان والانسان ص ١١٢ .
(٤) الثعالبى : يتيمة الدهر ط ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م ج ٣ ص ٣٣٢ ، ٣٣٣ . و . د . حسن ظاظا : اللسان والانسان ص ١١٢ — ١١٤ .

لهجتهم الخاصة ، وحيثياتهم التى يبنون عليها كتاباتهم وأحكامهم (١) ومثال ذلك حالة (المحضر) وحالة (القاضى) فهذان يستعملان فى تسبيب حيثياتهما أو فى تحريرها لغة بعيدة جدا عن اللغة الجارية ، (١) ولغة المحاكم — بعامة — من هذا القبيل فكل مصطلح فيها اتخذ له دلالة نهائية على رجال المحاكم أن يحفظوها وأن يتبعوها دون أن يغيروا شيئا منها (٢) ..

وللاطباء لهجة يستعملونها عندما يحررون نشرة طبية ،وللعلماء لهجة عندما يعالجون مادة علمهم .

ويسمى علماء اللغة هذه اللهجات باسم اللهجات الفنية ، ففى كل فن علمى تستخدم كلمات اللغة العادية فى معنى خاص ، كما يفعل علماء الطبيعة ، حين يتكلمون عن الكتلة أو (السرعة) أو (القوة) وأحيانا تخترع كلمات خاصة ..

* واللغات الفنية تدين بوجودها الى الحاجة للدلالة على أشياء أو أفكار لا أسماء لها ، فى الاستعمال الجارى ، ولكنها أيضا ترجع الى الحاجة للدلالة (بصورة علمية) أى بمصطلح دقيق يرفع كل ليس على أشياء مما تعبر عنه اللغة العادية تعبيرا جيدا » (٣) .

ولرجال الأدب من شعراء ، وقصاص لهجة ذات خصائص ، والأديب فى حاجة الىأداة شخصية يعبر بها عما يوجد فى ذكائه ، وحساسيته من عناصر خاصه ، ومن أمثلة اللهجات الأدبية لغة الملحمة اليونانية وفى الهند لغات أدبية على أساس ما من اللهجات (٤) .

وللصحافة لهجتها الخاصة ،

---

(١) فندريس : اللغة ص ٣١٤ .
(٢) نفسه ص ٣١٥ .
(٣) فندريس : اللغة ص ٣١٥ .
(٤) نفسه ص ٣٤٠ .

فالصحف الشعبية فى فرنسا (لا تكاد تكتب غير اللغة المتكلمة مصبوغة بالصيغة الأدبية ان قليلا وان كثيرا) على حين أن الصحف الكبرى تستخدم اللغة التى يستعملها خير كتابنا (١) •

ومعظم الصحف والمجلات المصرية ــ الآن ــ وان اصطنعت العربية الفصحى صورة فانها تخالفها مضمونا بادخا لها كثيرا من الألفاظ والتراكيب الغريبة عليها وهى ــ بذلك ــ لها لهجتها الخاصة التى تخاطب الجماهير الشعبية •

ولكل من الرجال والنساء لهجة خاصة ، فى المجتمعات التى تفرق بين الجنسين وتعزل أحدهما عن الآخر •

وكلما ازداد البعد ، والاتصال بين الجنسين أدى ذلك الى وضوح الفروق بين لهجة كل منهما ••

أما فى المجتمعات التى تخف فيها قيود الانفصال بين الرجل والمرأة فان اللهجة تتقارب بينهما ، ولا يكون لها مظاهر الا فى اختلاف يسير فى بعض الأصوات والمفردات والتراكيب كما يشاهد فى معظم مناطق مصر الحديثه •

ولهذه اللهجات الطبقية خصائص عامة ، تشترك فيها جميعا فهى :

١ ــ تشوه أصوات بعض الكلمات ، وقوانينها الصرفية ، فلكل منها اتجاه صوتى فى نطق الكلمات •

فقد يقع للعامية الخاصة أن تتبع بعض عادات فى النطق تساعد على تمييزها ومن أمثلة ذلك نطق الطبقات الريفية والمدنية للافعال (قال ــ جاء ــ يقدر) فينطقها بعض الريفيين (جال ــ ايجه ــ يقدر) وفى المدن والقرى المتأثرة بها (آل ــ جه ــ بأدر) •

وهذا فى الحالين تشويه لأصوات وبنية بعض الكلمات •

---

(١) نفسه ص ٣٤٥ ، ٣٤٦ •

كما أن طريقة الأداء الصوتى مختلفة بين الريف والحضر ، بشتى الطبقات ، ويمكن — من خلال الاتجاه الصوتى التعرف على طبقة المتكلم الاجتماعية .

« والعامية الخاصة المستعملة فى الأطراف الباريسية تحتوى على بعض الخصائص الصوتية التى تكفى للتعريف بطبقة المتكلم الاجتماعية » (١) .

وفى العامية الخاصة يستطيع المتكلم بوجه خاص أن يسمح لنفسه بنطق الكلمات فى صورة مختزلة ، لأنه يخاطب عددا محصورا من المتكلمين كلهم ممهد الذهن لفهمه ، وكلهم متفاهم معه، مقدما ، ومن ثم يجىء هذا العدد الضخم من حالات الحذف ، والاسقاط ، والتبسيط ، وحذف النهايات ، هذه العوارض الصوتية التى تجعل العامية الخاصة لا يفهمها الا العارفون (٢) .

ولذلك أمثلة كثيرة فكلمة (ولد) ينطقها بعض المصريين كاملة الأصوات ، هكذا ، وبعضهم (ول) وبعضهم (واد) وعلى هذا يختلفون فى ندائه (ياولد — ياول — يواد) .

وغنى عن البيان أن الاختصار فى استعمال اصوات الكلمات يتم اعتماده على فهم أرباب الطبقة التى منها المتكلم ..

٢ — تستعير كلمات من اللغة العامة ، وتستعملها استعمالا مجازيا .

فالكلمات العامة (مشغل — عمل — صنعة — تصنيف — علبة) تتخذ بالضرورة معه خاصا فى أفواه الذين يستعملونها وفقا لنوع المهنة التى تستخدم فيها هذه الألفاظ ، فظاهرة التخصص المعنوى تلك هى أساس العامية الخاصة) (٣) .

والاستعارات ، والنقل فى العامية الخاصة تبلى بسرعة ، وتحتاج الى كثرة التجديد ، لأن

---

(١) فندريس : اللغة ص ٣١٧ .
(٢) نفسه ص ٣١٩ ، ٣٢٠ .
(٣) نفسه ص ٣١٧ ، ٣١٨

الغرض من استعمالها هو توسيع شقة الخلاف التى تفصل بين العامية الخاصة ، واللغة المشتركة والمحافظة على بقاء هذا الخلاف ، فلا يدهشنا اذا أن تستهلك العامية الخاصة من الاستعارات أكثر مما تستهلك أية لغة أخرى » (١) .

٣ ــ تستمد كلمات من لغات أجنبية ، والمراد بالأجنبية كل ما ليس من اللغة المشتركة فتدخل فى ذلك ما تنقله من اللهجات الخاصة الأخرى ، ومن كل اللهجات المتفرعة من اللغة المشتركة ، فضلا عن اللغات الأجنبية التى تتكلمها الأقطار المجاورة (فالعامية الخاصة الفرنسية على وجه العموم تحتوى على كلمات أجنبية قليلة العدد : عربية وألمانية ، وغيرها (٢) .

وفى اللهجات الخاصة المصرية ألفاظ مستمدة من لغات أجنبية حسب الطبقة أو الحرفة التى تتطلبها ..

٤ ــ قد تأخذ اللهجات الخاصة من الكتب وهو أمر فردى فى غالب الأحيان ، وهو احدى الوسائل الاصطناعية التى تدخل فى تكوين العامية الخاصة ، ويذكرون أن فرجليوس مارو النحوى الذى عاش ــ على ما يظهر ــ فى القرن الخامس بعد الميلاد اخترع لغة خاصة ، ظلت شائعة الاستعمال زمنا طويلا بين تلامذة المدارس الايرلندية ، وكانت تقوم هذه اللغة على تشويه الكلمات الجارية، بأنواع من تضعيف المقاطع ، أو بترها ، أو نقلها ، وبمضى الزمن تحورت وتمخضت عن لغة أخرى أمشاج سميت (لغة الشعراء) وهى عامية خاصة اختلطت فيها ــ على غير قاعدة ــ كلمات مستعارة ، من اللاتينية ، والاغريقية ، والعبرية ، وكلمات أهلية أهمها الاستعمال أو استمدت من النصوص العتيقة(٣) .

واللهجات الخاصة لا ينفصل بعضها عن بعض ، انفصالا تاما

---

(١) فندريس : اللغة ص ٣١٧ ، ٣١٨ . (٢) نفسه ص ٣١٨ .
(٣) نفسه ص ٣١٩ ــ ٣٢١ .

فللطوائف الاجتماعية صـــلات تقتضيها المصالح التى تجمعهم فى « تنوع اللغات (اللهجات) يرجع الى تعقد الروابط الاجتماعية ، ولما كان من النـادر أن يعيش فـرد محصورا فى مجموعة اجتماعيـة واحدة ، كان من النادر أيضا أن تبقى أحدى اللغات دون أن تنفذ الى مجموعات مختلفة ، اذ يحمل كل فرد معه لغة مجموعته ، ويؤثر بلغته على لغة المجموعة المجـاورة التى يدخل فيها » (١) .

ولا تتكلـم أسرتان متجاورتان لغة واحدة اطلاقا ، ومع هذا فان لقاء الأسر المشـترك يؤدى الى الوحدة اللغوية بينهما ، وقد تعيش أخوان معا ، ولأحدهما مهنة تختلف عن مهنة الآخر ، فتميل لهجة كـل منهما الى طائفته التى ينتمى اليها، وندب عوامل الفرقة بين لسانيهما الا أنهما يتقلبان عليها ، بلقائهمـا اليومى ، ولو أن أحدهما انفصـل عن الآخر فى حياته ، أو أدى حدث ما الى التفريق بينهما فقد يصبح لكل منهما لهجة تختلف تمـام الاختلاف عن الأخرى (٢) .

فاللهجات الطائفية تتداخل فيما بينها لعوامل الاتصال القائمة بين أصحابها فاذا قدر لاحدى اللهجات أن تنفصل عن الأخرى ــ لعوامل تدعوا الى ذلك فان هذه اللهجـة تصبح بعيدة عن أخواتها (ولذلك كانت فى فرنسا لهجة الطبقـات الدنيا من العمال واللهجات السرية لجماعات المتصوفين ، والرهبـان، ولهجات المجرمين ، واللصـوص ، ومن اليهم ، من أكثر اللهجـات انحرافا عن الأصل الذى انشعبت عنه ، وبعدا عن المستوى العـام لبقية اللهجات الاجتماعية الفرنسية وكذلك الشأن فى انجلترا ، فلهجات اللصوص ، وقطاع الطـرق ، والمجرمين الانجليز من أشـد اللهجات بعدا عن اللغة الأصلية ،

---

(١) فندريس : اللغة ٣٠٦ ، ٣٠٧ .
(٢) نفسه ص ٣٠٧ .

وعن المستوى العام للهجات الاجتماعية (١) .

وهذه اللهجات الاجتماعية ، لا يتميز بعضها من بعض الا فى المدن الكبرى حيث تتعدد الوظائف ، ويكثر الناس ، وتتنازع الطبقات، كنيويورك ولندن ، وبغداد — فى عصر العباسيين ، والقاهرة — فى العصر الحديث ، (ويوجد داخل باريس عدد من اللغات (اللهجات) المختلفة ، تسير كلها جنبا الى جنب فلغة الصالونات مثلا ليست لغة الثكنات ، ولغة الأعيان ليست لغة العمال ، وهناك ركانة المحاكم ، والعامية الخاصة التى تتكلم فى حواشى المدنية ، وهذه اللغات يختلف بعضها عن بعض الى حد أنه قد يعرف الانسان احداها دون أن يفهم الأخرى) (٢) .

واللهجات الخاصة تنشأ من الانفصال الاجتماعى ، ولكنها تقوم دائما على مادة لغة مشتركة ، وتظل عادة تستمد منها غذاءها (٣) .

٥ — العرف واللياقة اللغوية :

فى كل مجتمع أمور يعاب التصريح بها ، أو التحدث عنها ، أحيانا بين الكبار ، وأخرى بين الصغار ، وما يباح لبعض الكفار فى موقف قد لايباح لهم فى موقف آخر .

ولكل من الصغير والكبير ، والرجل والمرأة ، وجماعة الذكور وجماعة الاناث كلام لايباح للآخر ولا يليق به .

وبعض الكلام لا يليق التفوه به فى العرف الاجتماعى ، كالشتائم وما يكون لدى بعض الناس من عاهات ، وكل ما هو جارح للاحساس ، والآداب العامة ، ويستعاض فى اللغات عن الكلمات الجارحة بأخرى تخفف من حدتها

ويكره المجتمع التحدث عن بعض الأمور التى يتشاءم منها كالموت ، والأمراض الخبيثة ،

---

(١) د . وافى : اللغة دالمجتمع ص ١٤٨ ..
(٢) فندريس : اللغة ص ٣٠٦ .
(٣) نفسه ص ٣٢٥ .

والجن ، والشياطين ، وجهة اليسار والشر ، فيلجأ عند ذكرها الى التستر والغموض .

ويتحدث الناس فى الأمور المتصلة بعالم الغيب بعبارات خاصة جرت العادة باستعمالها .

ويلجأ المجتمع فى التعبير عن الأمور الممنوعة ، أو التى تدعو الى القلق الى استعارة كلمات من الخارج ، أو الى المجاز ، أو استبدال كلمة مكان أخرى ، وتشويه بعض الكلمات أحيانا ، وتعديل عناصرها صوتيا .

فكلمة Pissoir (مكان البول) فى الألمانية أقل منها جرحا للاذن فى الفرنسية ، لأن استعارة كلمة من الخارج تخفف من افتضاح الشىء الذى يعبر بها عنه ، فهى تلعب دور الكناية (١).

وكلمات (كبانيه — تواليت — دورة المياه) — عندنا — حلت محل كلمة (مرحاض) وكأن الاستعارة من اللغات الأجنبية ، أو استبدال كلمة بأخرى تجعلها أكثر مراعاة للياقة .

(وقد عدل الأطباء منذ حين عن استعمال كلمة (عملية) Operation التى صيرها الاستعمال قاسية مخوفة ، لا يسمعها المريض حتى يتصور الآلات المرعبة والملابس الملوثة بالدماء ، والجسم وقد طواه الالم طيا ، فكلمة (عملية) ضحية الصور التى تثيرها لذلك يسود الميل الى الاستعاضة عنها بكلمة Intervention (تدخل) لأنها أنضر جدة منها ، واكثر تحفظا وأشد غموضا ، أيضا لا يهلع لسماعها قلب المريض ، والكناية ليست الا صورة مهذبة متحضرة مما يسمى تحريم المفردات) (٢) .

ولما كانت أسماء المثاليب والعاهات معوضة للنهى بشكل خاص ، فلا ينبغى أن تدهش حين نرى الجرمانية تشتق من أصل

---

(١) فندريس : اللغة ص ٢٨٠ .
(٢) نفسه ص ٢٨١ .

واحد ، يدل على عاهة جسمانية ثلاث كلمات مختلفة (تدل على الصمم ، والبكم ، والحماقة) وذلك بتعديل عناصره الصوتية(١).

(وترى الشتائم فى كثير من اللغات ، تصاب بشىء من التشوه المقصود ، الذى يمكن من ادخالها فى أرقى الأوساط(٢) .

ونحن نقول فى عاميتنا : (يا نهار أحوس — يا خراشى — يخيشك) بدلا من (يا نهار أسود — يا خرابى — يخيبك) كل ذلك للتخفيف من حدتها .

أما موضوعات التشاؤم كالموت والخوف من الجن ، والأمراض الخبيثة فنلاحظ المجاز ، والكناية عنها ، واستعمال عبارات تشير الى الخوف أوتقلب معناها الى مايتمنى من الخير .

فالموت — فى أكثر اللغات — يكنى عنه بالذهاب ، وفى العربية تستعمل لفظة (الوفاة) وهى مشتقة من (الوفاء) أى رد ما يستحق الآخرون عند الانسان ويعبر عنه بعبارات كثيرة مثل : أفلت شمسه ، صعد الى بارئه (٣) — لبى داعى ربه .

ويكنى عن الحصبة فى العامية المصرية بـ (المبروكة) .

ويعرض الناس — عادة — عن ذكر الأمراض الخبيثة ، كالسل والسرطان ويدخلون فى كلامهم عبارات لازالة مفهومها القاسى مثل — ربنا يكفينا شره — والعياذ بالله — الخ ويستعيذون بالله من الأرواح الشريرة .

وجهة اليسار جهة يتشاءم منها، وكأنها جهة القوى الخفية ، التى لايراد ايقاظها (لذلك كثيرا ما قضى بالتحريم على اسم اليسار ، وكانت نتيجة هذا التحريم الاضطرار الى استعمال العبارات الملفوفة ،

« البقية على صفحة ٧٣٤ »

---

(١) نفسه ص ٢٨٢ .
(٢) جسبرسن : اللغة بين الفرد والمجتمع ص ١٨٤ ، ١٨٥ ، وانظر : فندريس : اللغة ٢٨ ، ود . السعران : اللغة والمجتمع ص ١٣٠ .
(٣) د . السعران : اللغة والمجتمع ص ١٣١ .

تشريع إسلامي

التهجم على الإفتاء

للدكتور محمد رجب البيومى

أحسنت دار الافتاء بالجمهورية حين شرعت فى اصدار أجزاء متتالية تحمل فتاوى الأئمة المتخصصين ممن تولوا منصب الافتاء فى مصر ، ليقرأ الناس رأى الاسلام الصحيح فى معضلات العصر الحاضر ومشكلاته ، مؤيدا بالنص ، ومدعوما بالبرهان .

ونحن نعرف أن لكل علم رجاله المتخصصين فى دراسته ، فالطب لايخوض فى مسائله غير الطبيب والقانون لايتحدث عنه غير القانونى ، والهندسة لا يناقش أمورها غير المهندس ، فاذا ألم غير متخصص ببعض مالا يمت الى ثقافته ، سأل فى تهيب وحذر ، وانتظر الجواب الصائب مذعنا لما يشير به أولو العلم دون معارضة أو لجاج ، نجد ذلك فى كل علم من علوم الحياة ، الا الفقه الاسلامى ، اذ كان من مآسيه المعاصرة أن يخوض فى مسائله كل متكلم من غير المختصصين ، فأنت تجد كاتب المقالة الاجتماعية ، وصاحب التعليقات الاذاعية ، ومحرر اليوميات الصحفية ، يتحدث فيما لم يتهيأ لدراسته ، حين يحمل الدين ما لا قبل له به من الآراء المتعجلة ، فيفسر الآية القرآنية على غير وجهها ، ويميل بالحديث النبوى منحرفا عن دلالته وتقطيعه شذورا مبتورة من سياقها التام فى كتاب الله لتكون دليلا على مايرى من وجهة نظر شخصية فاذا قلت لهؤلاء جميعا : ياقوم ، انكم تهرفون بما لا تعرفون ، وان

للتشريع الاســـــلامى علمــــاءه المتخصصين ، يصدرون عن أمره ، وينهلون من حوضه فى يقظة ووعى، اذا قلت ذلك مخلصا لكتاب اللـــه الذى يفسرون آياته على غير وجهه صاح بك الصائحون من هــؤلاء : كلنا رجال الــــــدين ، وليس فى الاســــــلام كهنوت ، ولا أناس يحتكرون الحديث عن مســــائل الدين !

ونحن نعلم أنه ليس فى الاسلام رجال دين بالمعنى المشتهر لــدى الكنيسة ، ولكن للاسلام علمــاءه المتخصصين فى أصـــــول تشريعه وفقه مسائلة ، درســــــوا كتابه وفهموا قضاياه ، وفهموا معضلاته فهم وحدهم مصدر الافتـــــاء فى أحكـــــامه ، وليس لكاتب غـــــير متخصص فى أصول الفقه وفروع التشريع أن يكون أحد هـــــؤلاء الكبار ، لأنه أصبح بطريقة ما يملك قلما فى صحيفة أو لسانا فى اذاعة فله تبعا لذلك أن يتحدث عمـــــا لا يعرف من مسائل الدين ، مستندا انى قشوره السطحية ، ومحرفـــا الكلام عن غير وجهه ، فاذا تعرضت له بالنقد ورأيت أن يترك مكانا لم يتهيأ للجلوس فيه ، مكان الفتوى فى دين الله دون علم ، صاح بك فى غطرسة كاذبة ، وادعاء رخيص : ليس فى الاسلام رجل دين !!

انك لتقرأ لهؤلاء ، وتسمع منهم ما يغيظ ويحنق ، حيـــن يتطاولون الى القضايا الدقيقة ، فيلوكـــون القول بألســـنة مريبة ، وفيهم من يندفع فيتجاوز الفروع الفقهيـــة المحدودة الى القواعد الأصـــولية الكلية التى لا يقف على أبعادها غير الراسخين من الفحول ، فيتحـــدث عن المصالح المرسلة ، والاستحسان وسد الذرائع ، والضرورات التى تبيح المحظورات ، وهو لا يدرى — شهد الله — من ذلك غير ألفاظ عامة لا تستقر على مدلولها الأصولى كما سبره المتخصصون ! وقـــد رأيت أحدهم يتبجح بقوله ان عمــر بن الخطاب رضى الله عنه قد تخطـــى النص القرآنى اذ عطل حد السرقة فى عام الرمادة فلنا أن نتجاوز عن النص القرآنى عـــند الضرورة !! وعمر الفاروق برىء مما يهرف به هؤلاء الادعياء،ولحد السرقة قيود

وضوابط يعرفها الفاقهون ، ولم يخرج عمر عن نطاقها الدقيق ، ولكنه الفهم الطائش بل الفتات الساقط يلتقطه من الموائد المغرضة من لا يدرك حقيقته فيبالغ فى أمره ويفسره وفق الهوى لا الحق ويصير بعد ذلك فى نظر نفسه وعند فريق ممن يداهنونه بالملق عالما اسلاميا يرجع الى أصول التشريع والى رجال الصدر الاول من خلفاء الاسلام !! وسبب ذلك كله هو التهجم على الفتوى دون استعداد اشباعا لغرور كاذب ، دون تقدير لعاقبة خطيرة ، والا فكيف اجترأ كتاب الأعمدة الصحفية على الافتاء فى مسائل التشريع ، وفيهم من لايحسن التعبير الصحيح على وجهه العربى المستقيم !! فضلا عن أن يفهم قواعد الاصول فى كتب الثقات .

لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتهيبون الافتاء ، مع رسوخ أقدامهم ، وسعة أذهانهم ، فيحيل بعضهم على بعض خشية الزلل ، حتى قال ابن أبى ليلى : لقد أدركت فى هذا المسجد ــ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ــ مائة وعشرين من الأنصار ، مامنهم أحد يحدث الا ود لو أن أخاه قد كفاه الحديث ، وحتى روى عن الامام الشعبى أنه كان اذا سئل عن مسألة فقهية ، أحال على زميل آخر يشاركه البصر فيحيل الآخر على غيره وتدور الاحالات حتى ترجع للشعبى بعد طول طواف ، فلا يجد بدا من الافتاء ، وما ذلك كله الا خوف الخطأ فى الاجابة ، مع أن المجتهد الحقيقى فى الاسلام له أجر اذا أخطأ ، وأجران اذا أصاب ، ولعل ثقة الفقيه من هؤلاء الأجلاء بزملائه ، كانت مما يدفعه الى الاحالة عليهم ، بمعنى أن اماما كالشعبى ما كان ليحيل على غيره الا اذا وثق فى شدة فهمه ، وعمق استنباطه ، وقد ولد هذا الحذر المؤمن فى النفوس المخلصة خشية كانت موضع العجب ، حتى قال بعض الأئمة (لولا الخوف من الله أن يضيع العلم بالسكوت ، لما أفتيت أحدا فتوى يكون له منها الراحة ، وعلى التعب اذا أخطأت) .

واذا تركنا الشعبى وأمثاله الى

من وليهم من أئمة الاسلام ، فاننا نجــد عالم المدينة مالك بن أنس رضى الله عنه ، يهتف بكلمتـــه المأثورة (من قال لا أدرى فقــد أفتى) وهى كلمة تحملنا عــلى أن نقف لديها متأملين ، لأن الامــام مالكا كان حاضر البديهة ، واضــح الحجة ، عظيم الدراية ، ومثله فى جلال علمه ، وطــول تجربته . وكثرة معاناته لا يعوزه أن يجـد الرد السريع فى كثير مما يوجه اليه من مسائل التشريع ، ولكنه كـان يمسك عن الاجابة فى أحيان كثيرة ، ليضرب المثل الملموس فى وجـوب التثبت ، ودقة التحرى ، اذ وجد فى عصره أناسا يهجمــون عــلى الفتوى السريعة فى كل مسألة تعنّ ويرون فى سرعة الاجـــابة من التطاول والمباهاة مالا يليق برجل الفقه ، وقد يكون فيهم من يخطىء الرد عن غير عمد ، فــآثر الامام مالك أن يقول قولته (من قـــال لا أدرى فقد أفتى) لينهى هـؤلاء المتسرعين عن الخبط الطائر دون تريث ، وليعظم لديهم مكانة المفتين والافتاء .

ونحن الآن فى عصر يشـــتد احتياجه الى تدبر قول الامام مالك والوقوف طويلا أمامه مــوقف العظة والانتفاع فقــد طم الامر فى الفتوى الدينية حتى انتقل من الجرائد والمجلات الى المجــالس العامة ! لقد انتقلت الفتــوى من حملة العلم فى ســاحات الدروس والمراجعة الى أندية الســـمر ومجالس الأفاكيه ، فقد تكون فى مجلس عام ، أكثره عاميون وأقله متعلمون ، ثم يتشقق الحــديث لينتهى الى سؤال دينى ، فتجـد تسرعا فى الاجابة ممن لا يعلــم ، فان عارضه متعلم يهديه الى الحق سمعت ما لايرضى الحق من أنواع المغالطة ، وكأن المسألة مســألة سيطرة واستعلاء وظهــور وادعاء وليست مسألة فقه وديــن ، واذا كنا نؤاخذ هؤلاء المتهجمين عــلى الفتوى دون استعداد فاننا نؤاخذ من يميلون الى الاستماع اليهم ، والترحيب بما يهــرفون به من أراجيف ، فلو كان لدينا جمهــور يقظ لأشاح عن هؤلاء اشـــاحة يجبرهم على الســكوت ، ولكنهم

يقولون فيجدون من يستمع ويحبذ فيحسبون أنهم على شيء ، والله يعلم أنهم أدعياء ، فمتى يكون لدينا رأى عام ينكر التهجم والافتيات • ويجابه المدعين والأدعياء •

وآفة بعض الصحف أن تحاول الاثارة دون اهتمام بالحق الأكيد ، فهى تنتهز الحديث عن مسألة دينية فى مناسبة طارئة ، فلا تلجأ فى الفتيا الى أعلامها المشهود لهم بالتبحر والاستقصاء ، ولكنها تختار من ذوى العمائم من أغرم بادعاء التجديد والمعاصرة دون علم ولاكتاب منير ، فما أسرع أن ينطلق صاحبنا ليرضى نزغات هؤلاء الذين يحرصون على ابتكاره ، وينشرون رسمه البارز ، وما أسرع مايتناقل الناس رأيه بين مؤيد ومعارض وكأنه من ذوى الاختصاص ! وكنت أقلب يدى حائرا متسائلا ، كيف يتصدر مثل هذا للفتوى ويترك أمثال محمود شلتوت ومحمد أبى زهرة وحسنين مخلوف من أعلام التشريع حتى ليصدق قول الأستاذ محمد الأسمر :

صرنا لما جد من هزل الخطوب بنا
نمشى على الرأس لا نمشى على القدم

على أنى أعرف جيدا نفرا من ذوى العقول البصيرة يدركون فضيلة التحرى المتثبت ، والاطمئنان المتئد فلا يسرعون فى الاجابة حتى ولو علموها ، جاهدين أن يضربوا المثل الرائع فى الاحتياط المطمئن ، فتعظم مهابتهم لدى العقلاء ، وأستشهد هنا بفقيد الأدب والعلم والدين أستاذنا الأكبر مصطفى عبد الرازق رحمه الله ، وقد كان شيخ الأزهر الأسبق وأستاذ الفلسفة بالجامعة ، فى أرقى عهودها الزاهرة ، وكانت ندواته الفكرية فى منزله الآهل موردا صافيا لتمحيص الحقائق ، وتشريح الآراء ، والاستاذ الأكبر يستمع الى كل ما يدور مكتفيا بالنظر الهادئ ، والابتسام الوقور ، وقد تطلب منه الاجابة عن سؤال فى مادة تخصصه التى درسها عشرين عاما بكلية الآداب ، فيعد بالاجابة فى ندوة الأسبوع المقبل بعد مزيد الاطلاع وكثير من هذه الأسئلة المرجأة مما

يسهل الحديث عنه اذ كان مادة درسه المتكرر من قبل ، وقد هضمه الرجل الكبير هضما لا مزيد عليه ، ولكنه يرجىء الاجابة لمزيد الاطلاع ، وأحسبه بذلك يقول للناس : « لاتهجموا على الفتوى العلمية ، دون بحث متجدد ، ولن يغنيكم اطلاع الأمس عن اطلاع الغد » وهو بذلك يزداد عظمة واحتراما لدى المنصفين ، ويكون موضع الثقة كل الثقة حين يحين الموعد فيجيب ، وكان تواضعه العلمى فى بحوثه العلمية يدفعه الى كثرة الاستشهاد بالنصوص معزوة الى قائليها ، دون أن ينسب شيئا الى نفسه ، فكان بذلك من أساتذة الأخلاق نظريا وعمليا ، وسهل جدا أن يكون العالم أستاذا نظريا للاخلاق ، ولكن ما أشد صعوبة الأستاذية العملية التى تجعل السلوك مطابقا للمعرفة ، فتلك القمة العالية التى لاتنال دون استبسال .

ان هؤلاء المتهجمين على الفتوى دون علم لم يكد يخلو منهم عصر ! وقد كان الخليل بن أحمد الفرهودى عبقرى هذه الامة أدرى بهم وأخبر حين استعرض معارفه وخلطاءه من المتحدثين استعراض التأمل الفاحص ، ثم قال قولته الذائعة (الناس أربعة ، فرجل يدرى ويعلم أنه يدرى ، فذلك العالم فيسأل ، ورجل لايدرى ويعلم أنه لا يدرى فذلك الجاهل فيسأل ليتعلم ، ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذلك الغافل فينبه ، ورجل لايدرى ويدرى أنه يدرى فذلك الأحمق فيجتنب) وهذا تقسيم جيد لا مشاحة فيه ، ونعقب عليه بأن الرجل الذى يدرى ويعلم أنه يدرى ، والرجل الذى لايدرى ويعلم أنه لا يدرى انما يسلكان مسلكا طبيعيا بين الناس فهما على الصراط القويم ، أما من يدرى ولا يعلم أنه يدرى فقد يكون متصوفا صرفه الزهد عن تقدير نفسه وقد تكون الحياة هينة فى عينه حتى ما يحس جدوى للافادة ، وأمثاله لايخفقون على الناس فهم يلحفون بالأسئلة لديهم ليضطروهم الى الجواب ! أما الذين لايدرون ويدرون أنهم يدرون فهم الداء

العياء وهم الذين من أجلهم نكتب هذا المقال • ولهم فى ادعاء الفقـــه والبصر والحنكة تطاول يدعــــو الى السخرية ، فليتهم يعلمون أن الله يبعض كل متفيهق ثرثار ، وفى الأدب العربى طرائف مضـــحكة تروى عنهم ، اذ تنكشف جهالتهم فلا يتعظون ، وكان فى قول الامام مالك (من قال لا أدرى فقد أفتى) شفاء لهم مما يكابدون ، وانقـــاذا لأقدامهم من السقوط ، لو يتأملون ورحم الله امرءا عرف قــــــدره فاستكان •

د• محمد رجب البيومى

(رجاء الى كتاب الأزهر)

تسهيلا لعمليات المراجعـــة ، يرجى من الســـادة كتاب المجلة التكرم بكتابة مقالاتهم على الآلة الكـــاتبة ثم مراجعتها أو كتابتها بخط واضح مع مراعاة ترقيم الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبـــوية والمجلة لا تقبـــل صور المقالات التى يراد نشرها •

مصادر التشريع الإسلامى

للأستاذ محمد صابر البرديسى

* **الشريعة :** ما شرعه الله تعالى لعبـــاده من الدين ، قال تعالى : « **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا** » (١) أى لكل من اليهود والنصـارى والمسلمين شريعة عليهم أن يقفوا عند حدودها ، وينزلوا على أحكامها .

* والشرائع تختلف لأنها مبنية على مصـالح العباد ، ومصـالح العباد تختلف باختلاف الزمان والمكان .

* والدين لا يختلف فهو من بدء الأنبياء الى خاتم النبيين شىء واحد يقوم على الايمان بوجود الخالق ، وتوحيده ، والعمل الصالح ، والايمان بيوم الحساب والجزاء على العمل ، قال تعالى : « **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك ، وما وصـينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ، ولا تتفرقوا فيه** » (٢) .

* واذا كانت الأديان السـابقة على الاسلام ، قد جاءت لأمم بعينها ، فقد جاء الاسلام للأمم كافة ، فكان هو الدين الشامل ، والأساس الحق لكل معتقد سليم .

* ودين الاسلام دين الفطرة ، قال تعالى : « **فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها** » (٣) .

* تدور أصول الدين الاسلامى وتعاليمه وأحكامه على أساسين :

---

(١) سورة المائدة آية ٤٨ .
(٢) سورة الشورى آية ١٣ .
(٣) سورة الروم آية ٣٠ .

الأساس الأول :

التوحيد : وهو الدعامة الأولى فى الاسلام ، فالاسلام جاء ليوحد المعتقد فى الله عز وجل .

الأساس الثانى :

التشريع :

وهو العبادة الصحيحة المبنية على توحيد الله .

هو أثر خطابه تعالى المتعلق بأفعال العباد ، اقتضاء أو تخيير أو وضعا ، « هو حكم الله » .

* شريعة الاسلام عامة وشاملة ، ومن طبيعة الشريعة العامة ، أن تكون كاملة لا ينالها النقص ، متجددة لا يعتريها البلى ، صالحة لكل نفس ، ولكل أفق ، وفيها لكل مشكلة حل .

تلك هى خصائص الشريعة المحمدية التى انقطع بعدها الوحى واختتمت بها الرسالات ، وهى خير الشرائع جميعا .

* والله سبحانه وتعالى ، قد اختص بالتشريع للأحكام ، ولم يفوض أحدا من عباده أن يشرع للناس من الأحكام حسب هواه ، أو أن يحكم بينهم من عند نفسه أو بما يراه .

* والطريق الوحيد للتشريع هو الكتاب ، والسنة النبوية لأنها من الوحى ، والاجماع والقياس لأن أساسهما الوحى الالهى ومردهما اليه .

مصادر التشريع

١ ـ **الكتاب :** وهو ما بين دفتى المصحف « القرآن الكريم » المنزل على رسول الله محمد « صلى الله عليه وسلم » **« لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »** (١) والذى نقل الينا نقلا متواترا .

السنة : ومعناها لغة : الطريقة ، والسيرة الحسنة أو غير الحسنة .

قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » .

من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ، ومن سن سنة

---

(١) سورة فصلت آية ٤٢ .

ســيئة ، فعليه وزرها ، ووزر من عمل بها ٠

✽ والســنة فى اصطلاح أهل الشرع : تطلــق عــلى ما كان من العبــادات زائــدا عن الفرض ، وتطلق كذلك فى مقابل البدعة ٠

✽ وكل ما صدر عن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » من فعل أو قول ، أو تقرير يجب اتباعه ، بشرط أن يصدر عنه « صلى الله عليه وسلم » بوصفه رســولا من عنــد الله ، ودلت الدلائل على أن المقصود به التشريع والاقتداء ٠

✽ وفى القــرآن بيان كل شىء بنوعه أو جنســه ، والســنة بيان للكتاب ، قال تعــالى : « **وأنزلنا اليــك الذكر لتبين للنــاس ما نزل اليهم** » (١) ٠

✽ وهذا البيان ، اما تفصــيل لمجمله ، مثل قوله تعالى : « **فأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة** » (٢) ٠

✽ واما توضــيح لمشــكلة ، كالأحاديث التى بينت الآيات التى فهم الصحابة منها خلاف المقصود بها كقوله تعالى : « **والذين يكنزون الذهب والفضة ، ولا ينفقونها فى ســـبيل الله ، فبشرهم بعذاب أليم** » (٣) ٠

فحين نزلت هذه الآية كبر أمرها على الصحابة ، فسألوا عنها فقال « عليه الصلاة والسلام » « ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب بهــا ما بقى من أموالكم » فلما سمعوا ذلك من رســـول الله « صلى الله عليه وســـلم » فرحوا حتى كبر عمر ٠

✽ وقد تكون الســـنة بســط لمختصر الكتاب ، وقد تنشىء أحكاما لم يذكرها الكتاب ، كتحريم زواج المــرأة على عمتهــا أو خالتهــا ، بالحديث الصحيح ، عن **أبى هريرة** « رضى الله عنه » فى قوله : « **نهى** رســـــول الله صلى الله عليه وســـــلم أن تنكح المــرأة على

---

(١) سورة النحل آية ٤٤ ٠
(٢) سورة الحج آية ٧٨ ٠
(٣) سورة التوبة آية ٣٤ ٠

عمتها ، والمرأة على خالتها » •

* وقد دل الاستقراء على أن هناك أشـياء لا تحصى كثرة بينتها السنة ولم ينص عليها فى الكتاب •

* قيل لمطـرف بن عبد الله : لا تحـدثونا الا بالقرآن ، فقال مطـرف : والله ما نريد بالقـرآن بدلا ، ولكنـا نريد من هو أعلم بالقرآن » يعنى بذلك رسول الله ، وسنته ، فان حديثه يبين القرآن •

* قال الشـاطبى « رضى الله عنه » : « ان الاقتصار على الكتاب رأى قوم لا خلاق لهم ، خارجين عن السـنة ، اذ عولوا على أن الكتاب فيه بيان كل شىء ، فاطرحوا أحكام السـنة ، فأداهم ذلك الى الانخـلاع عن الجماعة ، وتأويل القرآن على غير ما أنزل الله » •

* قال رسول الله « صلى الله عليه وسـلم » « ألا انى أوتيت الكتاب ، ومثله معـه ، الا وان ما حرم رسـول الله ، مثل الذى حرم الله ، ألا لا ألقين أحـدكم متكئا على أريكته يأتيـه الأمر من أمرى بما أمرت به ، أو نهيت عنه ، فيقول لا أدرى ، ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه » (١) •

* فالذين يطرحون السـنة ، ويعرضـون عنها زاعمين أنهم يكتفون بالقـرآن الكـريم هم من الغافلين •

السنة تكون تشريعا وغير تشريع

* ما ورد عن النبى « صلى الله عليه وسـلم » ودون فى كتب الحـديث من أقواله ، وأفعاله وتقريراته فهو على أنواع •

١ ــ سنة لغير التشريع :

وهى ما كان طريقهـا الحاجة البشرية ، كالأكل والشرب والنوم والمشى •

٢ ــ ما كان سـبيلها سـبيل التجارب ، والعادة الشخصـية أو الاجتمـاعية كالذى ورد فى شئون الزراعة والطب •

٣ ــ ما كان سـبيلها سـبيل التدبير الانسـانى حسب الظروف الخاصـة مثل « توزيع الجيوش على المواقـع الحربيـة ، وتنظيم

---

(١) أخرجه أبو داود والترمزى •

الصفوف فى الموقعة الواحدة •

* وكل ما نقل من هذه الانواع الثلاثة ليس شرعا يتعلق بها طلب الفعـــل أو الترك ، وانما هو من الشئون البشرية التى ليس مسلك الرسول فيها تشريعا ولا مصـــدر تشريع •

السنة التى للتشريع :

* ١ ــ ما يصدر عن الرسول على وجه التبليغ بصفة أنه رسول ، كأن يبين مجمـــلا فى الكتـــاب ، أو يخصص عاما ، أو يقيد مطلقا ، أو يبين شـــــأنا فى العبادات ، أو الحلال أو الحرام ، أو العقائد والاخلاق أو شأنا متصـــلا بشىء مما ذكر ــ وهذا النوع تشريع عام الى يوم القيامة • وهو سنة يتعلق بها طلب الفعل أو الترك ، فان كان مأمور بها أقـــدم عليهـــا كل أحد بنفســـــه ، وان كان منهيا عنها اجتنبها كل انسان بنفسه •

* ٢ ــ ما يصـــدر عنه « صلى الله عليه وسلم » بوصف الامامة الرياســـة العامة لجماعة المسلمين مثل « بعث الجيـــوش ، وصرف أموال بيت المال فى جهاتها ، وجمعها من محالها وعقد المعاهدات ، وغير ذلك مما هو شأن الامامة ، والتدبير العام لمصلحة الجماعة •

* وحكم هذا ــ ليس تشريعا عاما ــ فلا يجـــوز الاقدام عليه الا باذن الامام ــ وليس لاحد أن يفعل شيئا منه تلقاء نفســه بحجة أن النبى « صلى الله عليه وسلم » فعله أو تركه •

* ٣ ــ وما يصـــــدر عنه « بوصف القضاء » فانه كما كان رســـولا يبلغ الأحكام عن ربه ، ورئيســـا عاما للمسلمين ، ينظم شئونهم ، ويدير سياستهم ، كان عليه السلام مع ذلك قاضـــيا فى الدعاوى والبيـــنات أو الايمان والنكول •

* وحكم هذا كسابقه « ليس تشريعا عاما » فمن كان له حق على آخر ويجحده ، وله عليه بينة فليس له أن يأخذ حقه الا بحكم الحاكم ، لأن هذا هو الذى كان شـــأن أخذ الحقوق عند التجاحد على عهـــد

رســــول الله « صلى الله عليه وسلم » (١) .

٣ ــ الاجمـــاع

الاجماع فى اللغة يفيد التضامن وعدم التفرق :

* وشرعا : « كل قول قامت حجته » (٢) .

* أوهو «اتفاق جملة أهل الحل والعقد من أمة محمد « صلى اللـــه عليه وسلم » فى عصر من الاعصار على حكم واقعة من الوقائع » (٣)

* قال حجة الاسلام الغزالى : « رحمه اللـــــه » :

* « والدليل على تصــــــور الاجماع وجوده ، فقد وجدنا الامة مجمعة على أن الصلوات خمس ، وأن صوم رمضان واجب ، واستدل عـــلى ذلك بقوله تعـــــالى : **« وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه الى الله »** (٤) .

ومفهومه أن اتفقتم عليـــه فهو حـــق .

* وقال تعالى : **« ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين ، نـــوله ما تولى ، ونصــله جهنم وساءت مصيرا »** (٥) .

* فان ذلك يوجب اتباع سبيل المؤمنين ، وهذا ما تمســــك به الشافعى « رضى اللـــه عنه » .

* وقال رسول اللـــه « صلى الله عليه وسلم » لا تجتمع أمتى على خطأ » .

* ــ وبعد ــ فقد تعـــددت الرواية عن رسول الله « صـــلى الله عليه وسلم » بألفاظ مختلفة ، مع اتفاق المعنى ، فى عصـــمة هذه الامة من الخطأ ، واشتهر على لسان الثقات من الصـــحابة وغيرهم من نحو قوله «صلى الله عليه وسلم» « لا تجتمع أمتى عـــلى الضلالة » وقوله « من فارق الجماعة ، ومات ، فميتته جاهليـــة » وغير ذلك من الاحاديث المماثلة .

---

(١) عن كتاب روح الاسلام ، للأستاذ عفيف عبد الرحمن (بتصرف) .
(٢) قاله النظام .
(٣) قال ذلك جمهرة من أهل العلم .
(٤) سورة الشورى آية ١٠ .
(٥) سورة النساء آية ١١٥ .

* وهذه الاحاديث لم يرفعها أويختلف فيها أحد من سلف الامة وخلفها ، ولم تزل الامة تحتج بها فى أصول الدين وفروعه .

٤ ــ القيــــاس :

القياس فى اللغــة : التقدير :

* وفى الشرع : الحكم فى شىء ما بحكم لم يأت به نص مــن أجل مشابهته شيئا آخر ورد فيه ذلك الحكم .

* مثال ذلك : الصـبى يولى عليه ، وحكمة ذلك عجزه عن النظر لنفسه فليس الصبا سبب الولاية لذاته ، بل لهذه الحكمة ، ولهــذا نصبوا الجنون سببا للولاية على المجنون ، قياسا على الصغير .

* وكل قياس يقوم بناؤه على أربع دعائم هى . الاصل ، والفرع والعلة ، والحكم .

* ففى المثال الســابق ترى الاصل فى الصبى القاصر عن النظر لنفسه وادراك ما يصلح شأنه ، وترى الفرع فى المجنون ، وترى العلة فى العجز عن ادراك وجوه المصالح ــ قائمة فى كل من الاصل والفرع ، ثم ترى الحكم أخيرا فى تنصيب الولى على المجنون يدبر له أمره ، كما نصب الولى على الصبى من أجل ذلك .

* **هنا ولابد أن يكون حكم الاصل ثابتا** حتى لا يكون فيــه نزاع .

* **وأن تكون علة الاصـــل موجودة فى الفرع ، فان تعــدى** الحكم فرع لتعدى العلــة ، وأن وجدت العلة ، وجــد الحكم ، والافلا .

* **ولابد أن يكون الحكم حكما شرعيــا** . فان الحكم العقــلى ، والاسم اللغوى لا يثبت بالقياس ، فاننا لا نعرف كون المكره قاتلا من طريق القياس وكذلك الشريك فى القتل ، وانما نعرف ذلك بالبحث العقلى .

* وكذلك الاسم اللغـــوى ، فان الفرس الاســـود يســميه العرب ادهما لاجل سواده ، ولكنهم لا يجرون هذا الاسم فى كل أسود .

*** ولابد من وجود العلة :**

* وهى : وصف ظاهر منضبط مشتمل على حكمة تصلح أن تكون مقصودة للتســـارع الذى شرع

الحكم ، مثل : الاسكار فى الخمر ، وقد حرمت الخمر بسبب الاسكار، فالنبيذ المسكر يقاس على الخمر لوجود علة تحريم الخمر فيه ، فيكون حراما كالخمر .

وجملة الكلام أن الكتاب والسنة ، هما المصدران الاساسيان للشريعة ، وقد الحق بهما الاجماع والقياس على أساس أنهما يستندان الى دلالات من المصدرين الاصليين (الكتاب والسنة) .

فاذا استعصى على المسلمين العثور على مصدر ونص من الكتاب والسنة اجتهدوا ، وقد أقر النبى « صلى الله عليه وسلم » « الاجتهاد » فقد سأل رسول الله « صلى الله عليه وسلم » معاذ بن جبل ، لما بعثه الى اليمن عما يحكم به فيما ليس فيه كتاب ولا سنة ، فقال : « اجتهد رأيى ، لا آلوا » فأقره رسول الله « صلى الله عليه وسلم » على ذلك .

وقد ثبت أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» كان مأذونا له فى الاجتهاد ، فقد جاءته امرأة وقالت له : « يا رسول الله . ان أمى ماتت وعليها صوم نذر أفأصوم عنها ؟ فقال : « أرأيت لو كان على أمك دين فقضيته ، أكان يجزى عنها . قالت نعم ، قال : فدين الله أحق أن يقضى » .

والاجتهاد :

استنباط علماء الشريعة للاحكام، بفهمها والقياس عليها فيما لم يرد فيه نص ، وهو توسيع فى تبسيط القواعد الكلية وتطبيقها على الحوادث الجزئية المتجددة ، وهو كشف لحكم الله فى حادثة ، له أساس من الكتاب والسنة .

وقد ترك لنا فقهاء الاسلام ، وعلماؤه تراثا عظيما من الأحكام الشرعية التى كان لها عظيم الاثر فى تثقيف المسلمين ثقافة اسلامية عميقة والاسلام من خصائصه انه لا يماشى الجمود ، ولا يعايش الجهل وانما يحض على تعليم ، العلم ، واستعمال العقل .

* ان الاسلام دين شامل يتسع لكل البشر ، يتسع لامانيهم

« البقية على صفحة ٧٢٠ »

أعلام الإسلام

صفحة خالدة من التضحية والفداء

دكتور محمد الطيب النجار
رئيس جامعة الأزهر

يعى التاريخ الاسلامى كثيرا من الذكريات المجيدة ، ويضم كتابه العظيم صفحات مشرقة بالبطولة ، عطرة بالفداء والتضحية مزدهرة بالايمان والوفاء ، وانه ليطيب للنفس المؤمنة أن تتمثل أشباح هذه الذكريات ، وأن تستخرج من أطواء القرون تلكم الاحداث الخالدات ، وأن تلتمس فى ذلك مواطن العبرة والعظة ، .. ولا غرو فمن العقل أن يتأسى الانسان بغيره ، ويضم الى تجاربه تجارب الماضين حتى يكون له من وراء ذلك عدة قوية يقاوم بها الشدائد ، ونور وضاء يؤنسه ويهديه فى ظلمات الحيرة ، ويأخذ بيده الى الحق والى الطريق المستقيم .

وسنقف اليوم عند صفحة خالدة كتبها نفر من المسلمين الأولين الذين تزودوا بخير الزاد، وجاهدوا فى الله حق الجهاد حتى لقد أثنى الله عز وجل على جهادهم الكريم وجهاد أمثالهم ممن يؤمنون بالله ، ويقدمون أرواحهم ونفوسهم رخيصة فى سبيل الله فقال فى محكم كتابه :

« ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد (١) » .. أولئك هم أبطال سرية الرجيع وهم : مرثد بن أبى مرثد الغنوى ، وخالد بن البكير

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٠٧ .

الليثى . وعبد اللـه بن طـارق ، وزيد بن الدثنة وخبيب بن عدى : ستة نفر كـرام من أصـحاب الرسول صلوات الله وسـلامه عليه . كان لهم فى تاريخ الاسلام بـلاء أى بـلاء . وفى ميـدان التضحية والاسـتشهاد صفحة ناصعة بيضاء .. ، وذلك أن قوما ينتسبون الى بنى الهون بن خزيمة ابن مدركة وكانوا يسكنون بالحجاز بين مكة والطائف . جـاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسـلم سنة ثلاث من الهجرة ، فقـالوا : يارسول الله ، ان فينا اسـلاما فابعث معنا نفـرا من أصـحابك يفقهوننـا فى الـدين ويقرئوننـا القـرآن ، ويعلموننـا شرائع الاسلام ، .. وقد اسـتجاب لهم رسول الله صلى الله عليه وسـلم لأنـه لم يكن يعلم الغيب ، ولم يطلعه الله على ما تنطوى عليـه قلوبهم من غـدر وخيانـة وكفر وضلال ، وقد كان الرسول شديد الحرص على نشر الاسلام واعلاء كلمته وظن أن هذا الوفـد جـاء يلتمس النور ويبتغى الخـير فلم يضن عليهم بذلك ـ وما هـو فى الخير بضنين ـ وبعث معهم هؤلاء النفر الستة وأمر عليهم مرثد بن أبى مرثد الغنوى .. ، وخـرج القـوم من المدينـة يضربون فى البيداء المترامية وهم فى الظـاهر مؤتلفون متضامنون يهتفون بالله ربا وبالاسلام دينا ، ويتغنـون بتعاليم الـدين الحنيف وآدابـه السامية .. ولكنهم فى حقيقة الأمر فئتان : فئـة مؤمنـة وهم النفر الستة الذين خرجوا لنشر دين الله واعلاء كلمته ، وأخرى كافرة وهم الوفد الذين جاءوا يتظاهرون أمام الرسول بالاسلام وهم لا يزالون على كفرهم وضـلالهم .. حتى اذا وصلوا الى الرجيع وهـو ماء لهذيل بناحية الحجاز تحرك الغدر الكامن فى نفوس أولئك الكفـار المنافقين فاستصرخوا قبيلة هذيل على الستة المسلمين المسـالمين ، وما هى الا لحظـات قليلـة حتى فوجىء المسلمون بأعداد كبيرة من هـذيل وفى أيديهم السـيوف وأحاطوا بهم من كل جانب ، فأخذ المسلمون أسيافهم ليقاتلوا ، ولكن

هذيلا قالت لهم : انا والله مانريد قتلكم ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة . ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم .. وحينئذ نظر المسلمون بعضهم الى بعض وأدركوا ما يبيت لهم هؤلاء الكفار من الشر . وفهموا ما ينطوى عليه هذا القول من الخديعة والمكر . وما ينتظرهم من الويلات والأخطار بأيدى أولئك الفجار الأشرار ، وهنا وفى هذا الوقت الرهيب تشرق بشاشة الايمان فى نفوسهم وتغلى حراراته فى دمائهم ، وتتراءى أمامهم الجنة بما فيها من سعادة ونعيم وملك كبير ، فيالله . ما أروع الحق وأجمله ، وما أعظم الايمان وأجله ، !! ان النفس المؤمنة المطمئنة لتعرف جيدا قول الله تعالى : « **وما كان لنفس أن نموت الا باذن الله كتابا مؤجلا** » (١) وقوله سبحانه « **فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالأخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما** » (٢) .

وان النفس المؤمنة المطمئنة لتتمثل دائماً بما ينطوى عليه قول القائل:

الحر لا يموت الا مرة
والموت أحلى من حياة مره

وهى لذلك لاتهنأ بالحياة الا فى ظل انعزة الاسلامية . وترى الحياة بدونها موتا وهلاكا ، ومتاعها وزينتها وميضا خادعا بل وهما باطلا وسرابا ، .. أجل ، لقد أشرقت بشاشة الايمان فى نفوس أولئكم الأبطال فحملوا سيوفهم وقاموا للقتال ، وقالوا : لا نقبل **من مشرك عقدا ولا عهداً أبداً ، وبدءوا يقاتلون هذيلا بعددها الكبير الذى بلغ المائتين ، ويالها من شجاعة مذهلة حيث يقف ستة جال أمام مائتين** .. **ومع أن** الدين لا يلزمهم فى مثل هذا الموقف بالقتال الا أنهم نظروا بقلوبهم البصيرة فأدركوا أنهم لو

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٥ .
(٢) سورة النساء الآية ٧٤ .

استسلموا فسوف يقتلون ، فآثروا الا يقتلوا دون أن يلحقوا بأعدائهم المتاعب والآلام والاخطار الجسام ، ولذا فانهم قاتلوا القوم حتى قتل عاصم بن ثابت وقتل صاحباه مرثد بن أبى مرثد وخالد بن البكير . وصعدت أرواح الشهداء الثلاثة الى بارئها راضية مرضية تهتف بالعزة الاسلامية ، وترتل فى مسمع الأيام نشيد الايمان والاسلام .

واستسلم الثلاثة الباقون ، وما كان استسلامهم عن خور فى العزيمة أو ضعف فى العقيدة أو خوف من الموت ولكنه استسلام الليث الهصور وقع فى قبضة الغالب . وأطبقت عليه القوة الطاغية من كل جانب .. ، وغلل هؤلاء الثلاثة الأبرار بقيد الاسار وسارت بهم هذيل الى مكة لتبيعهم فيها ، فلما كانوا فى بعض الطريق انتزع عبد الله بن طارق أحد المسلمين الثلاثة يده من غل الأسر ثم أخذ سيفه فاستأخر عنه القوم وأخذوا يرجمونه بالحجارة حتى قتلوه ، ورأى أخواه الباقيان زيد بن الدثنة وخبيب بن عدى عظمة استشهاد أخيهما فتمنيا لو ينتزعان القيود ويحطمان الأغلال لكى يلحقا به الى هذا المصير والمآل .. ، ولكن الأقدار أبت الا أن تسوقهما الى مكة فاستبدلتهما هذيل بأسيرين منها كانا فى مكة ..

فأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية ابن خلف الذى قتل فى يوم بدر ، وبعثوا به الى التنعيم ليقتلوه بعيدا عن الحرم .. واجتمع عليه رهط من قريش ليشاهدوا عملية قتله وكان منهم أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أنشدك الله يازيد ، أتحب أن محمدا عندنا الآن فى مكانك تضرب عنقه وأنك فى أهلك ؟ ، فقال زيد : والله ما أحب أن محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وانى جالس فى أهلى .. فقال أبو سفيان وقد تملكه العجب : ما رأيت أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا .. ، ثم قتل زيد فذهب شهيد وفائه واخلاصه وحبه لله ولرسوله ..

فأية عظمة نفسية تنطوى عليها تلك النفس المؤمنة التى تستقبل الموت فى سبيل الله بابتسامة الرضا والطمأنينة ، والتى لو خيرت لاختارت القتل على ألا يصاب الرسول صلوات الله عليه بشوكة تؤذيه ؟ .. انها التربية الاسلامية التى أسست على قوله تعالى : « **قل ان كان أباؤكم وابناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره** » (١) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ماله وأهله والناس أجمعين » .

واما خبيب بن عدى فابتاعه عقبة بن الحارث بن عامر ليقتله بأبيه . فحبسوه حينا حتى انقضت الأشهر الحرم ثم خرجوا به الى التنعيم ليصلبوه ، وفيما يروى عنه أنه قال حينما رأى القوم قد أجمعوا لصلبه :

لقد جمع الأحزاب حولى وألبوا قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وكلهم مبدى العداوة جاهد على لأنى فى وثاق بمضيع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم وقربت من جذع طويل ممنع
الى الله أشكو غربتى ثم كربتى وما أرصد الأحزاب لى عند مصرعى
وقد خيرونى الكفر والموت دونه وقد هملت عيناى من غير مجزع
ولست أبالى حين أقتل مسلما على أى جنب كان فى الله مصرعى
ولست بمبد للعدو تخشيا ولا جزعا انى الى الله مرجعى

وحينما جاءوا به الى التنعيم ليصلبوه قال لهم : ان رأيتم أن تدعونى حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دونك فاركع ، فركع ركعتين اتمهما وأحسنهما ثم أقبل على القوم وقال : أما والله لولا أن تظنوا أنى انما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من

---

(١) سورة التوبة الآية ٢٤ .

الصلاة ، ثم رفعوه على خشبة فلما أوثقوه قال : اللهم انا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا ، •• ثم قال : اللهم أحصهم عددا ، واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا •

وكانت هذه آخر كلمات فاضت بعدها روحه تسجل الخزى واللعنة على هؤلاء الطغاة الظالمين، بل كانت صرخة الحق فى وجه الباطل ، ودعوة مظلوم صعدت الى الله لم يصدها حجاب ، ولم توصد دونها أبواب • فما هو الا زمن يسير حتى استجاب الله دعاءه فجاء نصر الله والفتح ، واندك صرح الظلم وتداعى ركنه، وأشرقت مكة — بعد أن كانت مباءة الأصنام والأوثان — بنور الحق والايمان •

وبعد • فهذه صفحة رائعة من الايمان الكامل تتألق فى تاريخ الانسانية كما تتألق النجوم الهادية ، ولا غرو فهى تشع بالتضحية والفداء ويتجلى فيها مدى حب المسلمين الأولين لنبيهم ولدينهم حتى لقد جاءوا فى هذا السبيل بأرواحهم • والجود بالنفس أقصى غاية الجود •

ونحن الآن فى عصر قست فيه القلوب وغشيتها ظلمات الأثرة والأنانية فمن الحق علينا — نحن المسلمين — أن نسير على نهج أسلافنا ، الأبرار ومن سار على الدرب وصل • ويؤمئذ يعود للاسلام مجده التليد • ويتلألأ سعده من جديد • « ويؤمئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » •

هذا ، ومن الله العون وبه التوفيق ••

د / محمد الطيب النجار

« بقية مقال مصادر التشريع »

ومصالحهم ويتطور مع تطـــور العصور، واختلاف الازمنة والامكنة مع المحافظة على أصول التشريع •

والمسلمون بمقتضى عقيدتهم ، وقواعد تشريع دينهم ، هم أقـــوم الناس عدلا وأوفرهم انســانية ، وأحسنهم فى الحيــــاة سلوكا ، وأسعدهم معيشــــة اذا ما اتقوا وآمنوا وأحسنوا •

* ومع تلك القـــوة الذاتية للاسلام فى العقيدة والشريعــة ، وفى الآداب والاخــلاق ، فقــد اعترى بعض المسلمين فى هـــذه الايام خلل فى سلوكهم وأحاط بهم نطاق من الوهن والخـــوف ، جعلهم يخضعون لكل مســـتبد ، ويهزمون أمام قوى الشر والالحاد، ويجعلهم هدفا لنيران العـــدو ، وطعمة لجحيمة المستعر •

* وسبب ذلك بعد المسلمين عن تعاليم دينهم ، واتباعهم شـــهوات نفوســـهم وحبهم الاســـتئثار بالسلطة ، وارتفاع أصوات الباطل بينهم ، غضـاعت القيم ، وتبدلت أحـــوال كثير من المســلمين ، عما كانت عليـــه من ترابط وتراحم ، وعمل خالص لوجه الله تعالى :

ولكن مما يبشر بالخير أن أفرادا وجماعات فى الأمة بدأت فى هـــذه الايام تستيقظ من رقادها ، وعقدت العزم على الرجوع الى كتاب الله وسنة نبيه وحملت على عاتقها عبء الدعوة الى الله على بصـــيرة ، وتوجيه الناس الى محاسن دينهم بعيدا عن التطرف والجمود ، وحث المسلمين على التآخى فى اللـــه وبعث النهضة الاسلامية الحقــة التى كانت أيام المســلمين الاوائل يوم كان المسلم ، مثالا للفضائل ، والمبادىء القويمة ، يوم كان المسلم مثلا من نيته فى اخلاق الله •

أرجوا الله أن يهىء للشـــباب المسلم فى كل مكـــان الدعـــاة المخلصين ، من العلماء العــاملين الذين يعملون على تثقيف الشباب ثقافة اسلامية هادفة حتى يعــود للاســلام مجده ، وترتفع رايتــه وتعلو كلمته ويتحقق للمســلمين النصر ، انه على ما يشاء قدير •

محمد صابر البرديسى

أئمة الحديث النبوى

من العلماء التابعين وتابعيهم

دكتور الحسينى هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

« الامام مالك بن أنس »

من أهم الشخصيات الاسلامية فى طبقته امام دار الهجرة « المدينة المنورة » وأحد الائمة الأربعة المشهورين ، فقد كان الامام مالك مجتهدا فى اطار الكتاب والسنة ، وأقره علماء عصره ، ومن بعد عصره ، على سلامة ذوقه ، وصحة استخراجه ، ومتانة اجتهاده ، ونزاهة نظرته ، فاستحقت آراؤه المتابعة ، واستحق اسمه الخلود • انتهت اليه الامامة فى الحجاز فى الفقه والحديث ، وتتلمذ عليه من العلماء خيارهم ، وقابل أبا حنيفة وناظره ، وأثنى كل منهما على الآخر ، واعترف كل منهما بفضل أخيه •

نسبه :

هو أبو عبدالله مالك بن أنس ابن مالك بن أبى عامر بن عمرو بن الحارث • ينتهى نسبه الى عمرو ابن الحارث ذى أصبع الحميرى ، من ملوك اليمن العربى الصريح •

مولده :

ولد فى ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين من الهجرة على الراجح ، وكان أبوه أنس راوية للحديث ، وكان مقعدا يحترف صناعة النبل •

نشأته :

بدأ مالك يطلب العلم صغيرا تحت تأثير البيئة التى نشأ ، فيها ، وتبعا لتوجيه أمه له ، فقد حكى أنه كان يريد أن يتعلم الغناء ، فوجهته الى طلب العلم ،

يقول مالك ، حيثما بلغت سن التعليم ، عممتنى وقالت : أذهب فاكتب « تريد الحديث » ولعلها كانت تريد أن تسترجع فيه علم جده مالك ، فقد كان من كبار التابعين ، روى عن كثير من الصحابة ، وكان ثقة ، وهو أحد الذين كتبوا المصحف الشريف فى عهد عثمان (رضى الله عنه) أو كانت تتوسم فيه أن يكون كأحد الشيوخ بالمدينة ممن يشار اليهم بالبنان .

وانطلق يلتمس العلم ، فأحبه من صغره ، وحرص على جمعه ، وتفرغ له ولازم العلماء ، وحمل عنهم العلم والعمل ، ولعل أشدهم أثرا فى تكوين عقليته العلمية التى عرف بها هو : أبو بكر عبد الله بن يزيد المعروف بابن هرمز المتوفى سنة ١٤٨ هـ فقد روى عن مالك أنه قال : كنت آتى ابن هرمز من بكره ، فما أخرج من بيته حتى الليل ، يقضى معه اليوم كله من الصباح الى المساء سبع سنوات أو ثمانى ، وكان ابن هرمز يجله ، ويخصه بمالا يخص به غيره لكثرة ملازمته له ، ولما ربط بينهما من حب وتآلف ووداد .

وابن هرمز ، هذا هو العالم الثائر الجرىء الذى خرج مع محمد بن عبد الله المعروف بالنفس الذكية ضد أبى جعفر المنصور وحمل سلاحه ، وحارب ، فلما خمدت الثورة ، وأوقف أمام الوالى سأله عن سبب خروجه : فقال : فتنة شملت الناس فشملتنا فيهم ، فتركه الوالى لمكانه ومكانته عند الناس .

وأخذ عن الامام محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، وهو أول من دون الحديث ، ومن أشهر شيوخ المدينة ، وقد روى عنه مالك فى موطئه مائة واثنين وثلاثين حديثا بعضها مرسل .

وكذلك روى مالك عن نافع مولى ابن عمر .

وأخذ عن جعفر الصادق الامام الشيعى من آل البيت ، وأخرج له فى الموطأ تسعة أحاديث ، منها خمسة متصلة ، مسنده أصلها حديث واحد طويل ، هو حديث

جـابر فى الحـج ، والأربعـة منقطعة .

وروى عن شيوخ كثيرين منهم هشام بن عروة ، ومحمد بن المنكدر ويحيى بن سعيد الأنصـارى ، وسعيد بن أبى سـعيد المقـيرى وغيرهم وقد بلغ عدد شيوخه على ما قيل ، ثلثمائة من التـابعين وستمائة من أتباعهم .

وكان الامام قوى الحافظـة .

وكان جيـد التحرى فى رواية الحـديث ، مدققـا فى ذلك كـل التدقيق لا ينقل الا عن الأثبـات الثقات ، ولا يغتر بمظهر الراوى ، أو هيئته الصالحة .

روى مسلم فى مقدمة صحيحة عن يحيى بن سعيد قال :

سألت سفيان الثورى ، وشعبة، ومالكا ، وابن عيينة عن الرجـل لا يكون ثبتا فى الحـديث فيأتينى الرجل فيسألنى عنه قالوا ، أخبر عنه أنه ليس يثبت .

« وقال مالك » : « لقد أدركت فى هذا المسجد » (مسجد المدينة) سبعين ممن يقول : قال فلان قال رسول الله (صـلى اللـه عليـه وسلم) فما أخذت عنهم شـيئا ، وان أحـدهم لو أؤتمن على بيت مال لكان أمينا عليه ، الا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن » .

وقال : « قدم علينا ابن شهاب فكنا نزدحم على بابه » .

وقال : عن نفسه « ربما وردت على المسـألة فأسـهر فيها عامة ليلتى » .

ولقد بهر مالك أساتذته كمـا بهر أقرانـه بمواهبـه الفطرية وجهاده الدائب ، وشغفه الشديد بالعلم ، وتـأدبه مـع العلم والمعلمين ، ودقته وتحرياته فيمـا يقبل ، وفيما يظهر من العلم » .

رحـلاته :

لم يرحل فى طلب الحديث ، مع أن الرحلة فى ذلك الوقت كانت من السمات المميزة لرجال الحـديث ، ولعله كان يعتقـد أن العلم عـلم أهل المدينة ، قال الليث بن سـعد « وأن الناس تبع لأهل المدينـة التى اليها كانت الهجرة وبها نزل القرآن » .

على أنه لم يخسر بعدم الرحلة

شيئا ، لقد كانت المدينة ملاذ العلماء ، ولم يخل محدث ممن رحلوا من المرور بها لزيارة القبر الشريف ، ولتلمس العلم من مكانه ، والحديث من مصدره فالتقى مالك بأكثرهم ، واستفاد منهم •

احترامه للحديث ، وصاحب الحديث (صلى الله عليه وسلم)

وكان الامام مالك اذا أراد أن يحدث توضأ وسرح لحيته وجلس متمكنا فى جلوسه على صدر فراشه فى وقار وهيبة وحدث • فقيل له فى ذلك ، : فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ولا أحدث الا على طهارة متمكنا •

وكان يكره أن يحدث فى الطريق ، أو هو قائم أو يستعجل•
وقال أحب أن أفهم ما أحدث به عن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » •

وعن ابن المبارك : كنت عند مالك ، وهو يحدثنا حديث رسول الله «صلى الله عليه وسلم»فلدغته حشرة كالعقرب ست عشرة مرة ومالك يتغير لونه ، ويتصبر ، ولا يقطع الحديث ، فلما فرغ من المجلس ، وتفرق الناس قلت له : لقد رأيت منك عجبا ؟

فقال : نعم ، انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وكان يتتبع الآثار النبوية ، ويميل الى الأخذ برأى أهل المدينة ويتجنب أصحاب الأهواء ، وأهل الفرق ، ويأبى كل الاباء أى انحراف عن الدين •

فالدين فى نظره واحد لايتغير ، ويتمثل فى الأخذ بكتاب الله الكريم ، وسنة الرسول « صلى الله عليه وسلم » وما قال به الخلفاء الراشدون ، وما رواه الصحابة وأهل العلم والتقى من علماء المدينة •

ولقد كان هذا الاحترام للحديث ولصاحبه نابعا من اعتزاز منه بما أنعم الله عليه من العلم ، ولعل فى موقفه من الخلفاء ما يدل على ذلك أبلغ دلالة ، فقد روى أن هارون الرشيد ، وهو خليفة

المسلمين ، زار مالكا فى بيته ومعه بنوه ، ورغب اليه أن يقرأ عليهم الموطأ ، فقال مالك : ما قرأت على أحد من زمان ، وانما يقرأ على ، فقال هارون : اخرج الناس عنى حتى أقرأ أنا عليك ، فقال مالك : اذا منع العام لبعض الخاص لم ينتفع الخاص • وأمر معن بن عيسى أن يقرأ فقرأ ، فلم يجد الرشيد بدا من النزول على رأى مالك •

وروى عبد الله بن وهب قال : سمعت مالكا يقول : « دخلت على أبى جعفر المنصور فرأيت غير واحد من بنى هاشم يقبل يده المرتين والثلاث ، ورزقنى الله العافية فلم أقبل له يدا » •

ولما قدم المهدى المدينة بعث الى مالك بألفى دينار ، وقيل بثلاثة آلاف ، ثم أتاه الربيع فقال : ان أمير المؤمنين يحب أن يصاحبه الى دار السلام ــ بغداد ــ فقال له : قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » •

من صفاته الفاضلة ، وأخلاقه السامية :

كان جوادا كريما سمح المحيا ، وكان مهيبا نبيلا محترم المجلس ، والجلساء حازما فى الدفاع عن الحق ، يكره الجدال واللغط ، ورفع الصوت خاصة فى مجلس الحديث ، ومن كلماته •

« الدنو من الباطل هلكة ، والقول بالباطل بعد عن الحق ، ولا خير فى شىء وان كثر من الدنيا بفساد دين المرء ومروءته »

ومع تواضعه الفائق ، وهضمه لذاته، كان لايهاب السلاطين ويرسم للعامة طريق المصارحة بالحق معهم •

ناظره أبو جعفر المنصور فى مسجد الرسول « صلى الله عليه وسلم » فرفع صوته فقال له مالك : يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك فى هذا المسجد ، فان الله عز وجل أدب قوما فقال : **لاترفعوا أصواتكم فوق صوت** النبى ومدح أقواما فقال « **ان الذين يغضون أصواتهم عند**

رســول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى » •

ولما قدم الخليفة المهدى المدينة أقبل الناس عليه مسلمين ، فلما أخـذوا مجالسـهم ، جـاء مالك فقالوا : اليوم يجلس مالك آخـر الناس •

فلما دنا ونظر ازدحام الناس ، وقف وقال : يا أمير •• أين يجلس شيخك مالك ؟ فناداه المهـدى : عندى يا أبا عبد اللـه • فتخطى الناس حتى وصل اليه ، فرفـع المهدى ركبته اليمنى ، وأجلسـه بجانبه •

وهو فى ذلك يصـدر عن فهم واسع ، وخبرة عميقة ، واحترام للعلم دفعه الى احترام نفسـه فى مثل هذا الجمع •

وفـاته :

وبعد حياة عريضة حافلة توفى رحمه اللـه فى ربيع الأول سـنة ١٧٩ هـ (تسع وسبعين ومائة) عن خمس وثمانين سـنة قضـاها فى خـدمة العلم والـدين ، وأعطى صورة للعالم العـامل • وصـلى عليه أمير المدينة عبد الله بن محمد ابن ابراهيم العباسى ، وشـيع جنازته ، واشترك فى حمل نعشـه ودفن بالبقيـع • « رضى اللـه عنه » •

آثـاره :

وككل العلماء الأجـلاء ، ترك الامام مالك آثارا حافلـة تمثلت فى تلك النخبة من تلاميذه ، وحملة علمـه •

فقد روى عنه كثـيرون منهم الامام أبو حنيفة ، وقد روى عنه حديثان فى جامع مسانيده الـذى جمعه الخوارزمى ، ومنهم الامام الشافعى ومحمد بن الحسن ، وله رواية للموطأ وابن المبارك ويحيى ابن سـعيد القطان ، وكثيرون من شيوخ البخارى ومسـلم وأئمـة الحديث •

وقد روى عنـه من شـيوخه الامام الجليـل الزهرى ، ويحيى ابن سعيد الأنصارى •

ومن أجل آثاره كتابه الخـالد « الموطأ » •

وهو الكتاب الذى طبقت شهرته

الآفاق ، واعترف الأئمة له بالامانة والسبق على كل كتب الحديث فى عهده وبعد عهده الى عهد الامام البخارى • قال الامام الشافعى : ما ظهر على الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك ، وفى رواية ، أكثر صوابا وفى رواية أنفع •

وقال القاضى أبو بكر بن العربى فى شرح الترمذى : الموطأ هو الأصل واللباب ، وكتاب البخارى هو الأصل الثانى فى هذا الباب ، وعليهما بنى الجميع كمسلم والترمذى •

وعدد أحاديث الموطأ كما قال أبو بكر الأبهرى « جملة مافى الموطأ من الآثار عن النبى « صلى الله عليه وسلم » وعن الصحابة والتابعين ألف وسبعمائة وعشرون حديثا ، المسند منها ستمائة حديث ، والمرسل مائتان واثنان وعشرون حديثا ، والموقوف ستمائه وثلاثة عشر •

ومن قول التابعين مائتان وخمسة وثمانون » وقد رود غير ذلك فى عدده وقد عنى العلماء بشرح موطأ مالك ، رواية يحيى أبن يحيى المصمودى الأندلسى ، حتى بلغت شروحه مائة ، وصار الأمر كما قال القاضى عياض : لم يعتن بكتاب من كتب الحديث والعلم اعتناء الناس بالموطأ •

وأهم هذه الشروح : التمهيد للحافظ أبو عمر بن عبد البر ، رتبه على أسماء شيوخ مالك ، وهو كتاب فى عشرين جزءا ، مدحه بن حزم رغم تهجمه على العلماء •

دكتور/الحسينى هاشم

عبد الوهاب عزام
أديب الإسلام

للأستاذ / محفوظ عزام

توطئـــة :

فى الثامن عشر من يناير سنة ١٩٥٩ غادر الساحة الاسلامية أحد فرسانها ، بعد ما يقرب من أربعين عاما من النضال من أجل الاسلام ٠ ذلك الفارس هو المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام ، أحد أعلام القرن الرابع عشر الهجرى ، وأحد العلامات البارزة للحركة الفكرية والوطنية فى مصر ، وأحد أعلام البناء الفكرى فى العالمين : العربى والاســلامى ٠ ذلك الرجل لا يمكن الاحاطة ببحره فى مقالة واحدة ، لأنه متسع الجوانب ، ومتعدد المجالات والمواهب ، فهو شاعر وأديب ، ومفكر ، ومتصـــوف ، ورحالة ، وعالم لغة ، وسياسى ٠ ولقد حصـــل على كثير من الدرجات العلمية ، وشغل كثيرا من المناصب ، ومنح كثير من الأوسمة والنياشين ، وشارك فى كثير من المجامع والمؤتمرات العلمية والأدبية ٠ كما كان يغرف من بحر فى انتاجه العلمى ، تأليفا وترجمة وتحقيقا ، فقد ألف نحوا من خمسة عشر مؤلفا ، وترجم نحوا من ستة كتب عن الفارســية والتركية والأردية ، وحقق ستة كتب ، هذا بالاضافة الى عدد لا يحصى من المقالات المنتثرة هنا وهناك فى المجلات المختلفة والصحف الســيارة وبخاصة فى مجلتى الرسالة والثقافة ٠

واذا كان من العسير الالمام بكل جوانب أدب وفكر عبد الوهاب عزام فلا أقل من أن نلم ببعض هذه الجوانب ، ألا وهو الجانب الاسلامى من أدبه وفكره ، رحمه الله ٠

عبدالوهاب عزام المتصوف المسلم:

العروبة والاسلام هما مفتاح شخصية هذا الرجل ، حيث كان فى حياته صاحب رسالة ظل عمره يعيش لها ، ويحيابها ، ويدعو اليها ، ولما قضى مات عليها . فلقد كان الاسلام والعروبة قبلته ،مؤلفا ومترجما ودارسا ومحققا ومناضلا، كانا شغله الشاغل ، مقيما ومرتحلا، لا يشغله شيء عنهما . وكان أدبه وفكره وسلوكه كلا لا يتجزأ ، فكان دمث الخلق ، عفيف اللسان والقلم ، محبا للخير ، خاضعا ، أبيا على الباطل ، شجاعا ، وفيا ، تقيا، ورعا ، متواضعا ، عزب الروح ، محببا الى القلوب محبا للعروبة والاسلام . يقول فيه الدكتور طه حسين — رحمه الله — : « لم يكن عبد الوهاب عزام يكتفى بأن يكون مصريا عربيا ، وانما كان يريد — وقد حقق ما كان يريد — أن يكون عربيا اسلاميا ، فأتقن العلم بأمور المسلمين . جميعا ، قريبهم وبعيدهم ، وسار سيرة المسلم الصادق فى اسلامه ، والمتصوف المخلص فى تصوفه .. وبلغ من التقريب بين المسلمين من العرب والمسلمين من الشرق البعيد ما لم يبلغه مصرى قبله » (١) .

فعبد الوهاب عزام متصوف مسلم ، نذر حياته للعروبة والاسلام ، كاتبا وشاعرا وخطيبا ، واستاذا فى الجامعة وسفيرا . وكانت داره ملتقى العرب والمسلمين فى كل وقت وحين .

ولقد اهتم بقضية التوحيد ، فكان يرى — رحمه الله — أن التوحيد انما يكمل بالنفى التام والايجاب ، فهما كالقطبين فى الكهرباء ، وهما السالب والموجب . لا تكون الكهرباء بدونهما ، قصور هذه المعانى فى « مثانيه (٢) » قائلا : انما التوحيد ايجاب وسلب فيهما للنفس عزم ومضاء

---

(١) د. طه حسين : مقدمة كتاب « محمد اقبال ـ سيرته وفلسفته وشعره » للدكتور عبد الوهاب عزام — القاهرة .

(٢) أى ديوان « المثانى » الذى نظمه ، وهو عبارة عن مقطوعات شعرية فى الفلسفة والاخلاق كل قطعة عبارة عن بيتين فقط .

لا وألا قـــوة قاهـــرة
فهما فى القلب قطبا الكهرباء(١)

والاسلام عنده يجب أن يكـون هو النظام السائد فى العالم ، لان الاسلام فى عقائده وعباداته وسننه وفى مقاصده دين وســط ، لاغلو فيه ولا اغــراق ، ولا تفـــريط ولا افراط (٢) . . فالاسلام دين نظام ووحدة فيجب على المسـلم المؤمن الا يحيد عن نظامه ، لان فى نظامه وحدة :

ليت شعرى أحائد عن نظام
مؤمن بالتوحيد قلبا أضاء ؟
ان دين التوحيد دين نظام
انما النظم وحدة لامراء (٣)

واذا كان النظام الذى يتجلى فى العالم ، اتقانا واحكاما وجمالا، يتجلى فى شرائع الاسلام كلها ، فعبد الوهاب عــزام يطلب مــن المســلمين اليوم أن يكونوا أئمة الأمم فى النظـــام والاتقـــان والاحكام (٤) ولا سيما أن التاريخ قد حفظ لنا نظاما واتقانا واحكاما ، وعلما وتعليما وعملا ، لأسلافنا من المسلمين لم يع مثله لامة أخرى من الامم ، فقــد حفظ المسلمون أمانة العــلم التى ورثوها عــن الامم الخالية ، وصححوها وزادوا عليها، فكانت علــومهم ينبــوع العلم فى الحضارة الاوربية الحديثة ، ولبثت كتبهم عمدة القــراءة والدرس فى جامعات أوربا الى القرن الســابع عشر الميلادى .

فأول مدرسة للطب فى أوربـــا أنشأها المسلمون فى « سالين » فى ايطاليا . وأول مرصد فلكى عرفته أوربا كان مرصد « أشـــبيلية » . ولا يستطيع مؤرخ علم الفلك ـــ كما يقول عبد الوهاب عزام ـــ أن يعد فى قدماء اليونان الا بضـــعة من الراصدين ، وأما الراصدون من المسلمين فلا ينالهم الحصر .

---

(١) عبد الوهاب عزام : ديوان المثانى ص ٢٨ ـــ ٢٩ دار المعارف ـــ القاهرة سنة ١٩٥٤ .
(٢) د . عبد الوهاب عزام : الشوارد أو خطرات عام ص ٢٩٨ ، كراتشى ١٩٥٣ .
(٣) د . عبد الوهاب عزام : النفحات ص ١٠٥ ، القاهرة ١٩٥٣ .
(٤) د .عبد الوهاب عزام : الشوارد ص ٢٣٩ .

ولا يعد فى الكيمياء مجرب واحد عند اليونان ، ويعد مئون من المجربين عند المسلمين ، فالكيمياء الحقيقية من كشوف المسلمين .

وقصارى القول – كما يقول عبد الوهاب عزام – ان العالم لم يشهد قبل المسلمين أمة مثلهم أخلصت فى طلب ، وجدت فيه ، وبذلت الجهد والوقت والمال ، وبلغت فيه الغايات التى بلغوها ، وكشفت الحقائق التى كشفوها .

ثم يوجه عبد الوهاب عزام المسلمين المعاصرين الى حقيقة بالغة الاهمية ، هذه الحقيقة هى أنه يجب على المسلمين أن يعرفوا أنفسهم ، وأن يذكروا ماضيهم ، والا ينسوا الامانة التى حملوها ليكونوا أئمة الناس فى العلم النافع ، والعمل الصالح ، ولا يكونوا كما هم اليوم عالة على العلماء وأتباعا للمفكرين ، يأخذون ولا يعطون ، ويعظمون غيرهم ويحتقرون أنفسهم . وعليهم أن يبلغوا الرسالة التى كلفوا أداءها ، ويحتلوا المكانة التى هم أهل لها ، ويرجعوا الى سيرتهم الاولى ، علماء معلمين ، وأئمة هادين يطلبون العلم من المهد الى اللحد ، ويلتقطون الحكمة أنى وجدوها ، ويكونوا خلفاء لاسلافهم ، وأوفياء لتاريخهم (١)

وكان عبد الوهاب عزام يدرك معنى «الاخوة الاسلامية» ، فكرا، وعملا ،فعمل لها ومن خلالها حتى أنه أنشأ جمعية بهذا الاسم « جمعية الاخوة الاسلامية » ، وكان هو رئيسا لهذه الجمية . فكان رحمه الله ، يرى أن بلاد العروبة والاسلام وطن له ، فهو يقول : « فأنا حينما كنت فى بلاد العرب والاسلام كأنى فى وطنى وبين قومى . **بلاد أعرفها وتعرفنى ، أعرف ماضيها وحاضرها ، وأعرف لغاتها وآدابها ، وأعرف كثيرا من أهلها ، لم أتكلف هذه المعرفة ، ولا اصطنعت هذه المودة ، ولكنها**

---

(١) عبد الوهاب عزام : مقال الاسلام والعلم ، ضمن كتاب الاسلام اليوم وغدا ص ١٥٦ – ١٥٩ – القاهرة .

وحى الاخوة الاسلامية والتاريخ والآداب . حقائق لا تزوير فيها ، ووشائج لا تكلف بها ، وأواصر لم أخلقها ، ولا اصطنعها غيرى» (١).

وكان رحمه الله — يرى أن مصر وباكستان هما دعامتا الاسلام فى هذا العصر . مصر بمكانها ومكانتها وتاريخها وحاضرها ، وأنها من العرب كالاخ الاكبر ، وباكستان بمكانها كذلك وعددها ، ووصلها بين المسلمين فى الوسط والمسلمين فى أقصى الشرق ، وبأنها دولة قامت للمسلمين بالاسلام تبغى أن تعيش به ، وتحقق مقاصده وتمضى على سنته (٢) .

كما كان عبد الوهاب عزام يرى أن شر ما تصاب به أمة أو جماعة هو الخلاف بين أبناء هذه الأمة أو الجماعة ، فيجب للامة — ان أرادت اصلاحا — أن تنبذ هذا الخلاف ، ونبذ الخلاف لا يكون بالكلام ، وانما يزول الخلاف بالعلم والفكر ، « ان الخلاف بين المسلمين يزول بالعلم والفكر ، ويستحكم بالجهل والغفلة . وعسى أن يرتفع المسلمون بأنفسهم عن هذه الجهالات وينجوا بها من هذا العار . ان الاسلام دين توحيد وأخوة ، فان اختلف المسلمون فقد خالفوا الاسلام وقواعده ، ولم يقبل منهم فى هذا عذر ، ولا يجدى عليهم بعده عمل (٣) .

أما صوفية عبد الوهاب عزام ، فهى صوفية قائمة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . فهو صوفى يرى فى آية واحدة من آى القرآن الكريم جميع ما قرأه فى التصوف ووعاه ، وملاك ما سمعه عن الصوفية وأدركه (٤) ، وهذه الآية هى قوله تعالى : **« واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من أغفلنا**

---

(١) كتاب الشوارد ص ٤٢ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٠٧ .
(٣) كتاب النفحات ص ٣٦ .
(٤) كتاب الشوارد ص ٢٣٣ .

قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا » (١) •

وتصوف عبد الوهاب عزام تصوف ايجابى ، وليس تصوف سلبيا ، فليس شيئا أن يعتزل الانسان فيتعبد وكفى• انما العبادة الحقة ، أن ندفع فى مضايق الحياة ومعاركها ، ونمارس فتنتها ومطامعها ، ثم لا يقطعنا شىء عن عبادة الله آخذين بالحق قائمين بالقسط • « ان العالم هو المعبد الاكبر ، فما أثرت فيه من عمل صالح ، وما قلت فيه من حكمة طيبة فهو عبادة وكل ما تعمل فى عمارة الارض من بناء أو تمهيد طريق أو زرع أو غرس فهو عبادة• وكل ما تسن للناس من سنة حسنة، وكل ما تهديهم من رأى سديد عبادة يحبها الله ويدعو اليها الدين• فاتخذ هذا العالم معبدا ، واسع فيه الى الخير أبدا ، وأصلح ما استطعت • فان تفعل فأنت فى عبادة دائمة ، ليلك ونهارك ، وأنت فى ذكر لا تفتر ، سرك وجهرك ، وصلاة لا تنقطع يجزى الله بها عباده الحسنى وزيادة » (٢) •

كان يرى أن الصوفى الحق هو الذى يجمع بين المظاهر والحقائق (٣) ، أى هو من ينال من الدنيا مالا وجاها وسلطان فيصرف ما نال بالعدل والحق والاحسان •• يملك الدنيا ولا تملكه ، وتصرفها يده ولا تتصرف هى فى قلبه • « ان الصوفى الحق من يسير فى هذه الحياة مجاهدا كادحا ، كاسبا مسيطرا ، آخذا معطيا ، محبا مبغضا ، مسالما معاديا ، مستمتعا متزينا ، ولكن لا يعد والحق والعدل وقصد الخير لنفسه وللناس ساعة ولا يغفل عن الله طرفة عين • فهو فى جهاده ودأبه كأنه قانون من قوانين الله دائمة ، لا تفارقها النية الصالحة ولا تخلو من ذكر الله » (٤) •

---

(١) سورة الكهف ٢٨ .
(٢) كتاب الشارد ص ١٨ .
(٣) المرجع السابق ص ٨٤ .
(٤) كتاب الشوارد ص ١٩٩ .

ليس شيئا تصوف مــن تقى
فر من غمرة الحيـــاة بدين
انمايعرف التصوف فى السوق
بمــال ومطمع وفتـــون (١)

وقد عاب عبد الوهاب عزام على الباطنية وبعض الصوفية طريقهم فى تفسير القرآن الكريم ، « فقـد سار الباطنية وبعض الصوفيـــة على طريق تجعل تفسير القرآن تبعا للأوهام والاهواء ، لا صـلة لها بألفاظه ، فأضلوا الناس بهذا ، وأبطلوا الاحتكام الى القرآن فيما يشـجر بين المسلمين » (٢) مـن خـلاف • •

رحم الله عبد الوهاب عـزام ، فقد كان مسلما معتزا باسـلامه ، داعيا المسلمين للوحـــدة ونبذ الخلاف ، ومعنيـا بالاخـوة الاسلامية فى كل أمر من أمـوره ، متصوفا حقا • فجزاه الله عن الامة الاسلامية خير الجزاء •

محفوظ عـلى عزام

(١) ديوان المثانى ص ١١
(٢) كتاب الشوارد ص ٢٣٤

« بقية مقال اللغة والمجتمع »

والاستعارات للتعبـير عـن اليسار) (١) •

وهناك الامور الغيبية ، والعلم غير المنظور الذى يقتضى عبـارات خاصة (فالرقى السـحرية التى نعثر عليها فى قبور اليـونان ، وايطاليا ، وافريقية مكتوبة عـلى ألواح من الرصاص ، تطبـق فى غالب الأحيان ، هذه الخطط نفسها: استعمال الكلمات الأجنبيـة ، أو تشويه الكلمات الأهلية ، ولكـن الباعث هنا يختلف ، اذ يبغون من وراء ذلك الاتصال بالعالم الآخر ، ومن ثم يدخلون فى تحرير النص اعتبارات لا صلة لها باللغة (٢) •

دكتور عبد الغفار حامد

(١) فندريس : اللغة ص ٢٨١ .
(٢) نفسه ص ٣٢١ ، وانظر أيضا ص ٣٢٢ ــ ٣٢٥ .

طرائف .. ومواقف

إعداد عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

« السؤال فى القرآن الكريم »

قال تعالى : « يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج » « ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو » •

وهكذا فى السؤال عن المحيض ، وعن الشهر الحرام ، وعن الأنفال ، والروح ، وذى القرنين ، والساعة واليتامى ، ففى كل ذلك يخرج الجواب بقوله : « قل » الا فى قوله تعـــالى : « واذا سالك عبـــــادى عنى فانى قريب » فلم يقل : « قل » •

وكأنه تعالى يقول : يا عبدى ، انما تحتاج الى الواســـطة فى غير الدعاء ، وأما فيه فلا واسطة بينى وبينك •

« لا يجتمعـــان »

لا يجتمع حب الله وموالاة الظالمين فى قلب عالم أبدا •

ولايجتمع حب الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وموالاة أعدائه فى قلب مسلم أبدا •

ولايجتمع حب الدين وموالاة المفســدين فى قلب داعيــة أبــدا •

« فضـــل العقل »

قال سعيد بن جبير : لم تر عيناى أفضل من فضل عقـــل يتحلى به الرجل : ان انكسر جبره ، وان صرع أنعشه ، وان ذل أعزه ، وان اعوج أقامه ، وأن عثر أقاله ، وان غوى أرشـــده ، وأن خاف أمنه ، وأن حزن أفرحه ، وان تكلم صدقه ، وان أقام بين قوم اغتبطوا به ، وان غاب عنهم أسفوا عليه ، وان بســـط يده قالوا جواد ، وان قبضها قالوا مقتصد ٠

« هكذا يعرف الأحمق »

بست خصـــــال يعرف الأحمق : بالغضب من غير سبب ، والكلام فى غير نفع ، والثقة بكل أحد ، وبذله فى غير موضـــــع البذل ، وسؤاله عما لا يعنيه ، وبأنه لا يعرف الصـــــــديق من العـــــدو ٠

« أحوال العبد »

أحوال العبد أربع لا خامس لها : النعمـــــة ، والبلية ، والطاعة والمعصـــــية ، فان كنت فى النعمة فمقتضى الحق منك الشـــكر ، وان كنت فى البلية فمقتضى الحق منك الصـــبر ، وان كنت بالطاعة فمقتضى الحق منك شـــهود منته عليك ، وان كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك وجود الاستغفار ٠

« سيف الله »

« ما فى جسدى موضع الاوفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو جرح بسهم ، وها أنذا أموت على فراشى كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء .

لم يكن فى الجاهلية ولا فى الاسلام أشجع منه ، ولشجاعته سماه الرسول — صلى الله عليه وسلم — سيف الله .

انه خالد بن الوليد — رضى الله عنه وأرضاه — نصحه أبو بكر فقال : احرص على الموت توهب لك الحياة .

« زينة السماء والأرض »

زين الله السماء بثلاثة : بالشمس والقمر والنجوم .

وزين الارض بثلاثة : بالعلم والمطر والسلطان العادل .

« عدل .. وعفة »

دعى حكيم الى طعام ، فقال لداعيه : أجيبك بشرط أن لاتتكلف ولاتخون ، ولا تجور .

فقال الداعى : اريد مزيدا من التوضيح ؟

قال الحكيم : أما التكلف فهو أن تتكلف بما ليس عندك .

والخيانة : أن تبخل بما عندك ولا تقربه الى .

والجور : أن تجور على أولادك .

« أوصاف كريمة »

أحب مكارم الأخـــلاق جهـــدى
وأكـــــره أن أعيب وأن أعـــابا
وأصفح عــن ســباب الناس حلمــا
وشر النـــاس من يهــوى الســبابا
ومن هاب الرجـــال تهيبـــوه
ومن حقر الرجـــال فلن يهـــابا

« عقـــاب »

وقف اعرابى مشوه الفم على أحد الولاة وأنشده قصيدة فى الثناء عليه التماسا للمكافأة ، لكن الوالى لم يأمر بأى مكافأة ولم يكفه هذا بل سأله : ما بال فمك معوجا ؟

فقال الأعرابى : لعله عقاب من الله .

فعاد الوالى أيضـــا يسأله : ولأى شىء عاقبك ؟

قال : لكثرة ما كذبت عليه بالثناء الباطل عـــلى بعض الناس .

« دعـــاء »

اللهم انى أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق .

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

من حضارة الإسلام

الإيمان ضرورة نفسيَّة

دكتور محمد سيد أحمد المسير

الايمان ضرورة تحتمها الحياة النفسية لبنى البشر ، فالانسان اذا أظلم عليه السبيل أو هاله ليل أو جاءته ريح عاصف — رجع الى صوت الفطرة ، وتضرع الى الله وحده رجاء كشف الضر ، فتتداركه عناية الله وتسبغ عليه من النعم ظاهرها وباطنها .. ولكنه هو الانسان الظلوم الجهول ما يكاد يستشعر بسطة جسم أو فضل نعمة حتى يقول — كما قال قارن — : انما أوتيته على علم عندى .. !!

وصدق الله حيث يقول :

« قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون » (١) .

وفى تصوير معجز لحال الانسان المضطربة أمام اعترافه بخالقه يقول القرآن المجيد أيضا :

« واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه » (٢) .

أى أنه فى حال شدة البحر واشراف الانسان على الغرق ينسى جميع الشركاء ولا يعتقد الا فى قدرة الله جل جلاله ، فيحقق الله رجاءه ، وينقذه مما فيه من أهوال ولكن الانسان تلهيه النعمة :

« فلما نجاكم الى البر أعرضتم

---

(١) الأنعام — ٦٣ ، ٦٤ .
(٢) الاسراء — ٦٧ .

وكان الانسان كفوراً » .

وهل نسى الانسان أن اله البحر هو اله البر ، وأن صاحب الهيمنة المطلقة هو الله وحده ؟ !

« أفأ منتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا » .

وأيضا أليس من الممكن أن تعود الشدة ، ويقف الانسان نفس الموقف السابق يحيط به الموج من كل مكان ؟ !

« أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعا » .

ان الايمان هو الأمل فى هذه الحياة ، وهو الضياء لمسيرة الانسان ، وهو السعادة الكاملة ، وبدونه تصبح الحياة شقاء وبلاء وجحيما لا يطاق ..

ان الحياة قائمة على المتقابلات ، من صحة أو مرض ، ومن غنى أو فقر ومن أولاد أو عقم ، ومن شباب أو كهولة .. الخ ، وتلك سنة جارية لا تتخلف ، وليس هناك من ناموس يحكم هذه المتقابلات ويهب الناس السكينة تجاهها الا الايمان بالله ، ذلك أن الحياة فى منطق الايمان مبنية على قانون عام هو الابتلاء والامتحان .. قال تعالى « ونبلوكم بالشر والخير فتنة » (١) .

وشأن المؤمن أن يكون شاكرا عند النعمة والعطاء ، صابرا فى مواقع القضاء .. واذا ضاقت نفس الانسان فما عليه الا أن يلجأ الى الله وحده فهو سبحانه رحمن رحيم ، وهو جل شأنه الحكيم الخبير ، فما من عسير الا ويعقبه يسر ، وما من ضائقة الا ولها فرج قريب ، قال تعالى **« فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا » (٢) .**

ولن يغلب عسر يسرين فان أهل اللغة يقولون ان المعرفة اذا أعيدت معرفة كانت عينها ، وان النكرة اذا أعيدت نكرة كانت غيرها ، كما

---

(١) الأنبياء ــ ٣٥ .
(٢) الشرح ــ ٥ ، ٦ .

أن فى التعبير بلفظ « مع » الدال على الصحبة ما يؤكد قرب اليسر المترقب كأنه مقارن للعسر •

وإذا كانت الحياة تنتهى حتما بالموت الذى قد يواجه الانسان طفلا أو شابا أو كهلا أو شيخا كبيرا ، وهذا مما يؤرق البشر كثيرا ويقض مضاجعهم ، فان المؤمن لا ينظر الى هذا المصير المحتوم نظر تشاؤم ومأساة ، بل هو حلقة ضرورية للخلود الأبدى ، فالانسان لم يخلق للعدم وانما خلق للبقاء ، وهذا البقاء أو الخلود يمر بمراحل فى الرحم ،أو على ظهر هذه الأرض أو القبر أو فى القيامة « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا » (١) •

ومع تلك النظرة فليس من حق الانسان أن يتمنى الموت مهما اشتدت حوله الأمور فان الأمل فى الله أكبر ، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم ــ كما فى صحيح الحديث ــ :

لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه فان كان لابد فاعلا فليقل اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرا لى ، وتوفنى ان كانت الوفاة خيرا لى • واذا كان مجرد تمنى الموت خطيئة فى نظر الاسلام فما بالك بمن يقدم على الانتحار ؟ !

ان الانسان لا يملك نفسه ، فالأنفس كلها لله ، وقتل النفس كقتل الغير سواء بسواء ، وفى صحيح الحديث يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

« من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا » •

وذلك لأن أفكار السوء ووساوس الشيطان انما تأتى الانسان الفارغ من الايمان •• أما

---

(١) آل عمران ــ ٣٠ •

المؤمن الحق فهو دائما مسدد الخاطر ، ملهم الضمير ، ويمنحه الله هداية يفرق بها بين الحق والباطل ، والطيب والخبيث ، قال جل شأنه : يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » (١).

فتقوى الله هى النجاة من كل كروب الدنيا والآخرة ، وهى الأمل وسط ظلمات الحياة وما دياتها ..

لننظر ماذا يجرى بين الماديين المنغمسين فى شهوات النفس الآثمة والذين وصلوا الى درجة التشبع المادى الرخيص .. ولنقرأ هذه الرسالة التى كتبها « ويليام بوردرز » فى صحيفة « النيويورك تايمز » ونشرها الأهرام (٢٠/٣/١٩٨٠) :

أعلنت احدى المؤسسات البريطانية فى لندن أنها تنوى نشر كتاب خاص للراغبين فى الانتحار، ومن المعروف أن هذه المؤسسة التى يطلق عليها اسم « الخروج من الحياة » تدعو لما تسميه « الحق فى الموت بصورة مشرفة » !! .

ومن المنتظر أن يحتوى الكتاب على أساليب عديدة للانتحار تعد سهلة نسبيا حتى بالنسبة للمعوقين الراغبين فى الانتحار ، وسوف يحتوى الكتاب أيضا على قائمة بأسماء العقاقير الطبية ورأى الطب فيما يكفى من كل من هذه العقاقير لانهاء حياة الراغبين فى الانتحار ..

وصرح السكرتير العام للمؤسسه بأن أعضاء المؤسسة يكافحون من أجل حق انسانى هو الحق فى الموت .. !!

هكذا يفكر من لا ايمان له ..!!

هذا .. وان الانسانية فى حقيقة أمرها تجمع أخلاقى يرتبط بالارادة الحرة التى يكون على أساسها التكليف والمسئولية ، ولكن ما هو المقياس الاخلاقى ؟ !

ان القوانين مهما أحكمت لا تستطيع أن تسيطر على قوى الانسان الداخلية ، ثم ان القانون يحتاج الى انسان يقوم على أمر

(١) الأنفال ـــ ٢٩ .

حمايته وتنفيذه ، وهذا الانسان بدوره يحتاج الى من يراقبه لأنه لن يكون معصوما ..

أن الايمان وحده الذى يتولى تأصيل القيم والمبادىء داخل النفس الانسانية فتسارع الى الخير بمقتضى فطرتها التى صقلها الأيمان . أما النفس الملحدة فتساق من ظاهرها برهبة السوط وعين القانون ، ومتى أخطأ السوط أو غفل القانون فهناك مجالات رحبة من فوضى الأخلاق والمعاملات وصراع الطبقات وسريان قانون الغاب ..

لقد علمنا الاسلام المراقبة الذاتية عندما حكى القرآن المجيد قول لقمان لابنه :

« يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير » (١) .

ولعل وصية الرسول صلى الله عليه وسلم تشير الى هذا المعنى عندما قال « اتق الله حيثما كنت »

وعلى أساس هذه القيم الايمانيه أخى الرسول صلوات الله وسلامه عليه بين المهاجرين والأنصار ، وأصبحت الأموال والعقارات بينهم كالماء فى الأنابيب المستطرقة ، وتوارث المسلمون بصلة الدين دون لحمة النسب الى أن استقرت الأمور فنزل قوله تعالى « **وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله**» فاقتصر التوارث على النسب ..

ومن طريف ما يروى أن سعد ابن الربيع الأنصارى قال لعبد الرحمن بن عوف ــ كما فى صحيح الحديث ــ :

أى أخى ، أنا أكثر أهل المدينة مالا فانظر شطر مالى فخذه ، وتحتى امرأتان فانظر أيتهما أعجب اليك حتى أطلقها .

فقال عبد الرحمن بن عوف : بارك الله لك فى أهلك ومالك ، دلونى على السوق .

فذهب فاشترى وباع فربح حتى قال بعد ذلك :

---

(١) لقمان ــ ١٦ .

فلقد رأيتنى ولو رفعت حجــرا لرجوت أن أصــيب ذهبـــا أو فضة •• !!

ان الناس بغير الايمان يــأكل قويهم ضعيفهم ، ويستعبد غنيهم فقيرهم ويتربصون الدوائر بعضهم بعضــا •• فالايمــان ضرورة لتصحيح مســار العـــلاقات الاجتماعية التى تنمو على أساس مبدأ المحبة لله ، والمحبة فى الله ، ذلك المبدأ الــذى يتســامى على أهواء النفس ودنايا المادة فتنزوى الأحقاد وتنأى الخصومات ويعيش الناس عباد الله اخوانا ••

ولننظر ماذا يقول فيلســوف ملحد مثل « فردريك نيتشه » فى كتابه هكذا تكلم زرادشت :

اذا رأيتم متداعيا الى السقوط فادفعوه بأيديكم وأجهزوا عليه ، وكل انسان تعجزون عن تعليمــه الطيران علموه ــ على الأقل ــ أن يسرع بالسقوط •• !!

ويقـــول :

دع الصداقة اذا كنت عبدا ، ولا تطمح الى اكتساب الأصدقاء اذا كنت عاتيا •• !!

ويـــرى :

أن « ارادة الحق » هو شـــعار المذلـــة •

وأن جوهر الوجود وحقيقتــه هو « ارادة القوة » •• !!

هكذا تكون أخلاق الملحدين •

دكتـــور

محمد سيد أحمد المسير

الماركسية
الصنم الذى يتحطم

الدكتور عبدالغنى الراجحى

كثيرا ما قــــــــرأنا فى تـــاريخ **الدعوات الاجتماعية والســياسية أن كثيرا منها كأن يوصى فى مبادئه ولاتباعه أن يلونوا الدعــوة بأكثر من لون وأن يكونوا متقربين بهـــا الى أصحاب المبـــادىء الأخرى • على سبيل المجـــاراة والمحـــاولة لكسب أرض جديدة وأتباع جدد بأية وســـيلة كاذبة أو صــــــادقة مادامت توصل الى الغاية وتحقق الهدف المنشود باستيعاب حصـــيلة للدعوة واستقطاب آخرين لهـــا •**

ويظهر أن الماركســـية ابتدأت أخيرا تفطن الى هــذه الفـــــكرة وتستعملها للضحك على الذقـــون واستيعاب حصيلة لها من الدهماء والبسطاء الذين تجوز عليهم هذه الحيلة وتنطلى عليهم هذه اللعبة•

فنجد ما هو معروف ومقرر ومؤكد مبدئيـــــا من أول ما وجــــــدت الماركسية • من أنها عدوة للأديان ومنافية لها ومناقضة وتعتبرهـــــا مخدرا وأفيونا للشعوب وخرافـــة من الخرافات • وكثيرا ما ألـــزمت أتباعها وروادها ورجالها بمهاجمة الفـــكرة الدينيـــة والأمـــــور الميتافيزيقية باعتبارها فى نظرهـــا معوقة عن الاشـــــتغال بالأمور العملية ، واعتبـــارها وهمـــا من الأوهام وضربا من الخيـــالات ، يتنافى مع العلمانيـــة والحتميـــة التاريخية والجدلية المادية •• بعد أن عرف ذلك عنها وتقرر وتأكد من أقوال مؤسسيها وأســــــاطينها من أمثال كارل ماركس القائل «**الستور** **والأخلاق والدين خدعة برجوازية**

يتسترون وراءها من أجل المطامع، فالدين هو افيون الفقراء هذا هو حجر الزاوية من الفلسفة الماركسية وجميع الديانات والكنائس والمنظمات الدينية تخدير للطبقة العاملة » .

ولينين القائل « أننا لا نؤمن بالله ونحن نعرف كل المعرفة أن أرباب الكنيسة والاقطاعيين والبورجوازيين لا يخاطبوننا باسم الله الا استغلالا » وكما ذكر لينين عام ١٩٠٥ كأساس من أسس دعوته **« ان الدين هو أفيون الشعوب ان الدين نوع من الخمر الروحية يغرق فيها عبيد الرأسمالية صورتهم الانسانية ودعواهم الى حياة انسانية كريمة والبحث عن الله لا فائدة منه** ، ومن العبث البحث عن شىء لا وجود له ، لابد من محاربة الدين ، هذا هو لب الماركسية ، ينبغى أن نعرف كيف نحارب الدين » ! وكما ورد فى تعليمات الحزب الرسمية عام ١٩٤٠ الى المعلمين فى جميع أنحاء الاتحاد السوفيتى « ان المعلم الذى يؤتمن على تعليم النشىء لا يمكنه ولا يجب أن يكون محايدا فى موقفه من الدين ان عليه أن لا يتخلص من الايمان فحسب ، بل أن يقوم بدور ايجابى فى الدعوة الى عدم الايمان بوجود اله ، وأن يكون داعيه متحمسا الى الالحاد » ! وقد جاء فى كتاب أسس الماركسية اللينية الطبعة الثانيه بالانجليزية ص ١٦ سنة ١٩٦٤ « **أن الماركسية اللينية لا تعترف بوجود أى قوى فوق الطبيعة ولا فى أى خالق ، أنها تحرر الانسانية مرة واحدة الى الأبد من الخرافات والعبودية الروحية . أن الماركسية اللينية تنظر الى العالم كما هو قائم دون أن تضيف أليه مخترعات الجنة والنار » ! وتابع ستالين أشياخه فى ذلك فقال « لا يستطيع الحزب أن يقف من الدين موقف الحياد لأن الحزب يؤمن بالعلم والعلم يتعارض مع الدين ، والدين مناوىء للعلم » وجاء فى برنامج المؤتمر السادس الدولى الشيوعى سنة ١٩٤٨ ما نصه « الحرب ضد الدين » تشغل مكانا بارزا فى**

الثـورة الثقـافية ونحن نعترف بحرية الضمير ، ولكن كل الوسائل ينبغى أن توجه ضد الدين لتكون التربية على أساس التصـور المادى للدنيا فقط » وجاء فى كتاب « أسس الماركسية اللينية » وهـو الكتاب الرسـمى للمـذهب « أن الماركسية اللينية لا تعترف بوجود أى قوى فوق الطبيعـة ، ولا أى خالق ، انها تحرير للانسان والى الأبد من الخـرافات الروحيـة والجنة والنار » ! وجـاء فى مجلة « البلشفى الصغير » ان المقـام الشيوعى الرفيع لا يتمتع به الا الذى تجرد من كل عقيدة دينية ، يجب مضاعفة الجهد للتخلص من بورجوازية وخرافات الدين » .

بعد ما تقررت هـذه المعانى فى أذهان الناس ، وتقرر فى عقـولهم أنها طابع الماركسـية ، وأيدت أقوالها بالأفعال حيث أبادت ابادة تامة كثيرا من المـلايين المتـدينين بالاسلام ، فى أكثـر الأقـاليم الاسلامية التى ضمها اليه وابتلعها الغول الشيوعى فى وسط آسـيا وعندما أحست الماركسية احساسا عميقا أن العقبة الكئود فى طريقها هو الدين والتدين والمتدينـون ، عادت تلف وتدور وتغير من لونها وتبدل من جلدها ، وتعدل خططها، وتطور من أسـاليب دعوتهـا ، فتحاول أن تهادن الأديـان ، وأن تتقـرب الى المتـدينين ، فيأتى لسنوات مضت المفـكر الفرنسى روجين جارودى ، فيلقى فى قاعة ندوات الأهرام عـدة محاضرات يدعى فيها عدم منافاة الماركسـية للاسلام ، ويجهد نفسـه فى شرح هذه الدعوة غير المعقولة ، ويذكر بالنص ان كلمـة الدين أفيـون الشعوب ، كلمة ثبت عدم صدقها فى كثير من الاحـوال والظـروف » ويذكر أن الانسـان يستطيع أن يكون متدينا وشيوعيا ، ويسـوق بعض الأمثلـة عن بعض رجـال الدين المسـيحى الـذين ناصروا الماركسـية فى بعض الجهـات ، **ويقول ان ماركس ولينين لو قـدر لهما أن يكونا من الاحياء اليـوم لقالا مثل هذا الكلام وعـدلا عن أقوالهما السابقة ، ولما عقب عليه كثير من المفكرين المصريين موافقة**

أو مناقضة ، أعلن فى نهاية المحاضرة أنه مسرور بما سمع وأنه سيأخذ على عاتقه تنمية هذه الفكرة والاضافة اليها عندما يعيد القاء هذه المحاضرة فى بلاد أخرى ومناسبات أخرى ، ومن العجيب والغريب ان هذا الجارودى قرأت عنه فى الأيام الأخيرة ، أنه اشتغل بالاخراج السينمائى ، وأنه كان يلتقط منذ أيام قلائل صورا فى الأقصر وأسوان مع بعض الممثلين والممثلات ، ولعله لما أحس بفشل فكرة التقرب بين الماركسية والأديان نزع الى فكرة أخرى هل التقريب بين الماركسية والعمل السينمائى ، لأن ماركس لما قال يجب أن يزول الدين عن المجتمع قيل له لكن الناس لابد لهم من عقيدة ، فقال ألهوهم بالمسرح .

أو لعله وثق بأن البذرة التى بذرها فى أرض مصر ، عن فكرة التقريب بين الماركسية والأديان سوف تنبت وتنمو وتترعرع ، ويتبناها فى يوم من الأيام ماركسيون مصريون يطلعون علينا فيما بين حين وآخر بمقالات متتابعة فى هذا الموضوع الذى لا يمكن أن يقف على قدميه فى يوم من الأيام، ولا أن يثبت أمام البحث المدعم بالأدلة والبراهين ، ولا أن يكون صاحب الدعوة نفسه مقتنعا جوانيا بأنه على حق فيما يقول ، فانهم يطرقون حين الحديث عن ذلك موضوعات وافكارا ليست هى محل النزاع ولا بيت القصيد، ولا مربط الفرس فى هذه القضية ، فهم يدعوننا الى أن نستورد الماركسية الى حياتنا ، بدعوى أن الاسلام يتبنى كل نافع ويحب لأتباعه أن يقتبسوا من غيرهم ما هو مفيد ، ويطيلون فى بيان ذلك بضرب الأمثلة بما فعله المسلمون الأولون ، من اقتباس بعض النظم فى تدوين الدواوين ، وتنظيم أعطيات الجنود ، وعدول عمر ابن الخطابعن تقسيم أرض العراق على الفاتحين غنيمة الى تأميمها وضرب الخراج عليها ، واقتباس المسلمين الأولين كثيرا من المعارف والعلوم العقلية والنظرية والعملية بطريق الترجمة عن دول أخرى كثيرة غير اسلامية،

وهذا كله مسلم وواضح ومبدأ اسلامى مقرر ، والحكمة ضالة المسلم أنى وجدها فهو أحق بها ، واقتباس المفيد وطلب العلم ولو بالصين ، ومحاولة الانتفاع بكل جديد ما فى ذلك شك ، لكن من قال أن الماركسية شىء نافع ومفيد نقتبسه ، وعلم وحكمة نسعى فى طلبها ، **اننا حين نرفض الماركسية لا نرفضها وهى فى نظرنا ذات فائدة لكننا نرفضها وهى فى نظرنا ونظر الحق والواقع شىء تافه وفاسد وضلال وفتنة فى الأرض ، وفساد كبير ، من سائر الوجهات الاقتصادية ، والاجتماعية ، والخلقية والدينية والانسانية .**

نرفضها لأنها منافية للفطرة والغريزة الدينية التى فطر الله الناس عليها ، فهى تجريد للنفس البشرية من أسمى غرائزها وعواطفها التى أجمعت الانسانية ما عدا الماركسية على اعتبارها . ونرفضها لأنها مناقضة للفطرة والغريزة فى حب التملك والاقتناء والاستحواز ، والشعور بالكيان الفردى والاستقلالى مع عدم منافاته للشعور الجماعى والتكافل الاجتماعى .. نرفضها لاهدارها القيم الأخلاقية والمثل العليا الانسانية . نرفضها لاعتبارها الانسان كأنه مسمار أو ترس فى آلة حديدية ، نرفضها لأنها أقسى وأقبح أنواع الدكتاتوريات التى لا تتورع فى سبيل تحقيق أغراضها من الابادة والافناء للأفراد والجماعات ، نرفضها لأنها تركيز للسلطة والقوة كلها فى يد شخص واحد هو سكرتير الحزب الذى يحاول اغتصاب مقام الألوهية من الله الواحد القهار ..

نرفضها لأنها العدو رقم واحد للحريات ، تتباكى أولا على الحرية، وتطالب بحرية الرأى والكلمة وتعدد الأحزاب ، فاذا ما تسللت وتم لها ما أرادت ، وتملكت زمام الأمور ، وقدر لها الانتصار والسيطرة على الناس ، قلبت الاسطوانة ، وقلبت للناس ظهر المجن وخلعت لافتة الحرية وثبتت مكانها لافتة القهر والجبروت والكبت وكتم الانفاس ، واراقة

الدمـــاء أنهـــارا فى الشـــــوارع والطرقات اذا ما اقتضى الأمــر • والذى حصل فى المجر ويوغوسلافيا والولايات الاسلامية التى استولت عليها الشيوعية فى آسيا ، وعمليات السحل فى شوارع العراق فى عهد عبد الكريم قاسم ، وما جـــرى فى السودان ضد النميرى وجماعته ، وما جرى فى الصومال من احراق علماء الاســـــلام الذين تصـــدوا لانحــــــراف حكومتهم ذلك وغيره ليس ببعيد عن الأذهان لا ســـيما ومأساة أفغانستان اليوم تجعـــله ماثلا للأذهان بصورة أوضـــح •• نرفضـــها لأنها ضـــد القوميـــات والوطنيات ، ونحن لا نستطيع أن نعيش بدون قوميه ووطنية •

ان الماركسية تحاول أن تصـــهر فى بوتقتها كل القوميات والشعوب فلا يكون عـــلى ظهر الأرض شىء غير الشيوعية ، والولاء لها ولموسكو قبل الولاء للوطن الـــذى يســـكنه الشـــيوعى مهما كان بعيـــدا عـــن موسكو • فلو تعارضت مصـــلحة الوطن الأصلى للمواطن مع مصلحة الاتحاد السوفيتى فعليه أن يقدم الثانية على الأولى مادام ســـيادته شيوعيا ، فهـــل بعد ذلـــك خيـــانة وتشريع لها • وما نقوله يصرح به لينين فى قوله « هلاك ثلاثة أرباع العـــالم ليس بشىء وانمـــا الشىء الهام أن يصبح الربع الباقى منهم شـــيوعيين ؟ وتصرح به قـــرارات المؤتمر الشيوعى سنة ١٩٤٨ « ان الدفاع عن الاتحاد السوفيتى وهو الوطـــن الأم للاشـــــــتراكية والبروليتاريا فى العالم هو واجب مقدس على كل مؤمن بالماركسية فى أى مكان • وليس على المقيمين فى الاتحاد السوفيتى وحدهم » ومن هنا نستطيع أن ندرك الربط بـــين الشيوعين كمبدأ ســـياسى وبـــين **انكارها للألوهية والأديان** ـقد كنت **أعجب أشد العجب وأتســـاءل • ما فائدة الشيوعية كمذهب سياسى واقتصادى فى انـــكارها للأديـــان ولوجود الله وللقيم الروحية ، حتى رأيت مؤخرا ومؤخرا جدا كلمات للكـــاتب البولندى دى بويس فى كتابه « مستقبل الغرب » الـــذى نشره فى سنة ١٩٥٣ • ويقول فيه « ان الدولة التى لا تسمح بوجود**

أى ولاء الالها هى عدو لدود للدين فهى لا تستطيع الاعتراف بأن الروح تدين بالولاء لخالق هذا العالم لأن هذا معناه القضاء على الولاء لها • أن جميع المذاهب الدينية فى الصراع بين الايمان الرحب والمادية الضيقة لا يمكنها الا أن تعادى العقيدة المادية الهشة • وهذا ينطبق على الاسلام والمسيحية حتى البوذية • أما بالنسبة لنا نحن أبناء الحضارة الأوربية فان الوصايا الدينية التى عرفت منذ ألفى عام والتى تدعونا الى حب الجار مازالت بالنسبة لنا خيرا من المبادىء المادية الهدامة التى ظهرت منذ مائة عام والتى تحض على الكراهية والبغضاء تجاه طبقات معينة من نفس المجتمع ، انتهى عن مقال للدكتور حلمى مراد اهرام الجمعة ٧٥/٦/٦ • ان الماركسية لهذا السبب الذى افصح عنه الكاتب الهولندى تأخذ على عاتقها معاداة الأديان والطعن فيها ، بينما الذين كانوا أسبق منها فى الانخداع بالماديات والاعراض عن الأديان بدأوا يفيقون من غفلتهم • ويشعرون بخطئهم ، ويعودون الى الاعتراف بالأديان والقيم الروحيه، تملجأ حصين لشفاء الانسانية من أمراضها الفتاكة الاجتماعية والخلقية والنفسية ، وها هو ذا الكاتب العالمى (تويمبى) يقول فى محاضرة له بجامعة أدنبرة (ان حركة القرن الماضى فى الغرب التى بدلت التكنولوجيا بالدين سوف تنقلب فى القرن القادم الى حركة مضادة يعود فيها الجنس البشرى من التكنولوجيا الى الدين ، وليس القرن الحالى سوى فترة انتقال ، لتعود الأمور الى نصابها • وحتى العلوم التى تحدت الدين فى يوم من الأيام تعود الآن الى التراجع عن مساندة التفسير المادى للكون والانسان ، ومدرسة الطب النفسى تعلن أن ثلثى أمراض البشر هى أمراض روحية وعقلية تنتج عن الصداع النفسى بفعل المادية الطاغية) •

وبعد فان أخطر كتاب ناقد للشيوعية هو الذى صدر مؤخرا

بعنوان « الصنم الذى تحطم» (١) وهو بأقلام قمم الفكر فى العالم الذين نزعوا عن الشيوعية أقنعتها. فى البداية خدعتهم الشيوعية فاعتنقوها كعقيدة ثم تخلوا عنها بعد أن اكتشفوا زيفها وخواءها . كانوا من شيوعيى فرنسا وانجلترا والمانيا وايطاليا وأمريكا . فى البداية توهموا أن المجتمع الشيوعى هو فردوسهم المفقود فلما درسوها بكل أبعادها اللا أخلاقية واللا أنسانية قدموا هذا الكتاب عنها رجوعا الى الحق وبيانا للناس عن خبرة وتجربة . أندريه جيد الفرنسى أحد الكتاب فى هذا الكتاب يتحمس للشيوعية أولا ويطوف بأنحاء الدولة الشيوعية ولكن تصدمه على الفور أنواع الظلم والقهر والمعاناة التى تتعرض لها جماهير الشعب السوفيتى الذى لا يحصل على الفتات مقابل كدحه وصبره فالعمال يعيشون فى فاقة مؤلمة ومن يعترض يشرد من مسكنه وتصادر حقوقه ويعتبر عدوا للشعب أو خائنا والتعليم الذى يتلقاه أفراد الشعب له وظيفة واحدة هى تمجيد النظام الشيوعى وتعاليم الحزب لا يمكن انتقادها ومناقشتها . ثم يقول أندريه جيد . لقد حان الوقت لكى يعلم العمال خارج الاتحاد السوفيتى ان الحزب الشيوعى ضللهم وخدعهم مثلما خدع العمال السوفيت . المجتمع الرأسمالى القديم أعيد بناؤه من جديد فى روسيا بصورة أكثر استغلالا واستبدادا ودكتاتورية من نوع جديد دكتاتورية البيروقراطية السوفيتية .

ان الشيوعية تتبنى نظرية اجتماعية تمجد الرزائل والنقائص البشرية والغاية عندهم تبرر الوسيلة معسكرات الاعتقالات وازهاق الأرواح لمن لم يصبحوا شيوعيين هدفه زيادة السعادة البشرية بانتصار الشيوعية فلابأس بالرزائل من أجل ذلك . هذا

« البقية صفحة ٧٦٢ »

(١) كما ذكرت مجلة آخر ساعة المصرية فى عددها الأسبق .

في مطالع القرن الخامس عشر الهجري

قضايا تحتاج إلى مناقشة

حركة ترجمة الفكر الغربي إلى العربية

(محاذيرها وأخطارها)

بقلم : أنور الجندي

يواجه الفكر الاسلامى فى مطالع القرن الخامس عشر الهجرى عديدا من التحديات التى انطلقت منذ بدأت حركة الاستشراق والتبشير والغزو الثقافى يهدف « تغريب » الاسلام وبلاده وفكره وذلك عن طريق طرح معطيات الفكر الغربى بواسطة الترجمة على نحو بالغ الخطورة اختلط فيه النافع بالضار وغلبت مترجمات الفلسفة اليونانية والقصة المكشوفة ونظريات العلوم الاجتماعية والنفس والاخلاق الغربية .

ومترجمات النظريات الاقتصادية سواء الرأسمالية أم الماركسية ، بل وطرحت من خلال هذه المترجمات نظريات مادية فى ترجمة الحياة وتفسير التاريخ ونقد الأدب وكلها تتعارض تعارضا تاما مع مفاهيم الاسلام وقيم الفكر الاسلامى ، هذه الظاهرة الخطيرة : ظاهرة المترجمات الى اللغة العربية من الفكر اليونانى الوثنى القديم والفكر الغربى الليبرالى والماركسى تحتاج الى نظرة فاحصة فى مطالع القرن الخامس عشر بهدف تحديد موقف الفكر الاسلامى منها من حيث الوجهة التى يجب ان يتجه اليها فى القرن الخامس عشر وهى وجهة التحرر من الوافد والدخيل ومن التبعية والاحتواء ، واحتلال ناصية الأصالة واعلاء الذاتية الخاصة وتمكين الوجود الاصيل المستمد من منابع الاسلام ، والنظر الى الفكر الوافد على أنه نتاج

غـــريب لقـــوم لهم مفاهيمهـــم وقيمهم ، ولا بأس من النظـــــر فيه والاســـتئناس به للتعرف على اســـاليبه ووجهته ، دون أن يكون مسيطرا أو موجها لفكرنا الاسلامى ودون أن يكون فكرنا الاسلامى — ذى الميراث الـــربانى والتـــراث العريق — خاضـــعا له أو منصهرا فى بوتقة الاممية العالمية .

ولقد قامت الترجمـــة فى العصر الاسلامى الاول بارادة المســلمين الحرة وفى ســبيل الحصـــول على تراث الامم العلمى باعتبــــار ان الاســـلام هو وارث الحضــارات القديمـــة جميعـــا ، ونظـــرا لان الاسلام قد دعا الى العـــلم والى النظر فى الكون فحق على أهله أن يتعرفوا على ما سبقهم من تجارب فى هذا المجال بغية تقييمها والنظر فيهــــا وتصـــحيح اخطائهـــا والتماس السليم الصادق منها مما لا يتعارض مع مفهوم التوحيـــــد الخالص للبناء عليه على النحـــو الذى تحقق باقامة المنهـــج العلمى التجريبى الاسلامى ومنهج المعرفة الاسلامى ذى الجناحين (روحـــا ومادة ودنيا وعلما ودنيا وآخرة)

ومن ثم فقد يحث المسلمون جهدهم فى الحصول على اوليات العـــلوم الطبية والطبيعية والفلكيـــة التى كانت ميراثا عاما (من بابل وفارس ومصر والهنـــــد والصين) والتى كانت قد تجمعت فى بيئـــة اليونان والرومان ثم جاءت المســـــيحية فرفضتها كلية ، ومـــن ثم كان فهم المسلمين للترجمة فى العصر الاول دقيقا وسليما ، فقد كانوا يفرقون تفريقا واسعا بـــين « العـــلوم » « والثقافة » وكانوا يؤمنـــون بأن لكل امه ثقافتها الخاصـــــة بهـــا المستمدة من عقيـــدتها ومفهومهـــا للحياة وميراثها الفكرى ، ولما كان التوحيد الخالص هو قمه معطيات الاسلام فقد حددوا موقفهم ازاء الشعر والأدب والفلسفة وأدخلوها فى دائرة ثقافة الامم الخاصة بهم ، وأخذوا فى ترجمة العلوم والمعارف العامة باعتبارها ملك لجميع الامم ، ولذلك فقد سارت نهضة الترجمة فى العصر العباسى على هذا الاساس لولا أن عـــوامل معينة تدخلت فى ترجمـــة الفلســـــفات اليونانيـــة

والفارسية وخاصة ما يتصل بعلم الاصنام اليونانى المستمد من الوثنيه اليونانية وكذلك ما يتصل بالغنوصية الشرقيه ، وكانت قد مزجت فلسفة اليونان والفلسفة الشرقيه فى المدرسة الأفلوطينية .

غير أنه ما أن ترجمت فلسفات ارسطو وأفلاطون وغيرهما حتى واجهها الفكر الاسلامى فى معارضة قوية واعتبر القائمين بها أتباعا لمدرسة اليونان حتى اطلق عليهم اسم (المشائين المسلمين) وكشف عن فساد مفاهيمها ومعارضتها للتوحيد الخالص ومن ثم نشأت مدرسة الاصالة التى بدأها الامام الغزالى ووسد قوانينها الامام ابن تيمية الذى كشف عما اسماه « منطق القرآن » فى مواجهة منطق اليونان وكان الامام الشافعى قد بدأ هذا الاتجاه حين فرق بين أرجاتون اللغة اليونانية وارجاتون اللغة العربية : لغة القرآن ، وخاصة فيما يتعلق بأن الفلسفة اليونانية تقوم على الوثنية والعبودية بينما يقوم مفهوم الاسلام على التوحيد والاخاء البشرى .

ولكن الترجمة فيما عدا هذا الجانب الفلسفى ظلت محكومة بهدف واضح وبارادة قديرة . قوامها مفهوم الاسلام نفسه ، وكل ما وجده علماء الاسلام ومفكروه معارضا للاسلام نقضوه وما وجدوه مخالفا عارضوه ، وكشفوا زيفه وأعلوا شأن مفهوم الاسلام الجامع القائم على التوحيد الخالص والمسئولية الفردية والالتزام الاخلاقى .

أما فى العصر الحديث فان الارادة الاسلامية الحرة كانت مقيدة ومغلوله حين نشأت حركة الترجمة واتسعت فى ظل النفوذ الاستعمارى المسيطر على البلاد العربية فكانت حركة الترجمة جزءا من مخطط التغريب والغزو الثقافى بالرغم من أنها بدأت فى عصر محمد على بداية صحيحة راشدة ، غير أنها سرعان ما فقدت أصالتها وتغلبت جماعات من المترجمين المارون اللبنانين (شأنهم فى هذا شأن جماعة السريان فى العصر الاول) الذين عكفوا على ترجمة

القصص الفرنسى الجنسى المكشوف ونقل القصص التافه السخيف ، وكانت الترجمة وسيلة لكسب للعيش وليس عملا فنيا فضلا عن جهل لقواعد اللغة وعدم التقيد بالاصل المترجم وتشويه القصة ، وكان ابرز هؤلاء طانيوس عبده ونقولا رزق الله ، اللذين قدما فى لغه ركيكه مبتذلة عددا بلغ ستمائة قصة ، ثم ظهرت مؤامره التمصير التى قادها عثمان جلال فكان يترجم القصص الفرنسية الى العاميه المصرية .

وظهرت مدرسة الترجمة من الادب الاغريقى بقيادة لطفى السيد وطه حسين حيث ترجمت بعض آثار أرسطو والباذه هو مروس (سليمان البستانى) ومائدة أفلاطون (لطفى جمعه) وجمهورية افلاطون (حنا خباز) وجاء بعد ذلك لويس عوض وكثيرون .

ثم ظهرت أبعد القصص الادبية اباحيه وكشفا حين ترجمت آثار موليير وراسين وكورنى .

ودخلت الى الادب العربى مفاهيم مختلفة تمام الاختلاف عن مفاهيم المسلمين فى المرآة والرجل وفى العلاقات الاجتماعية على نحو يمتهن كرامة العرض والخلق كذلك ترجم طه حسين وغيره أسوأ أشعار الأدب الفرنسى والقصص المسرحى أمثال بودلير وتوماس هاردى ، وبورجيه ، وموباسان ، وبول فاليرى ولم يسلم من هذا الاتجاه الاعدد قليل جدا من امثال فتحى زغلول وعادل زعيتر ومحمد بدران بل لقد وقع المترجمون فى ذلك الفخ الذى نصبه النفوذ الاجنبى بنسة اشعار فارسية قديمة فى الخمر الى العالم الفلكى عمر الخيام فترجمها الزهاوى والصافى النجفى واحمد رامى وعبد الحق فاضل وأحمد حامد الصراف ووديع البستانى الى العربية مشيدين بها وهى لم تثبت فى الاصل وتبين فساد مصدرها وأنها كانت محاولة خطيرة لبث روح التحلل والفساد والتمزق النفسى فى الشباب المسلم .

ويمكن القول أنه كان وراء خطة الترجمة على هذا النحو قوى كبرى

تهدف الى غاية واضحة قوامها « تغيير أعراف هذه الامة وتدمير مقوماتها » وقد كان لهذا القصص المكشوف أثره الواضح فى تدمير أعراض كثير من البيوت .

واستمرت هذه الموجة من الترجمة الموجهة ولاتزال حتى اليوم تعمل فى عدة ميادين وترمى الى غايات بعيدة منها الغض أساسا من شأن الاسلام وقيمة ومفاهيمه وشريعته ولغته وتاريخه وطرح هذا الركام المسموم فى مختلف الميادين وخاصة ما طرح فى ميادين العلوم (نظرية دارون) والنفس (نظرية (فرويد) والعلوم الاجتماعية (نظرية دوركايم) والاخلاق (نظرية سارتر) وفى العلوم الاقتصادية (نظرية الرأسمالية ونظرية الماركسية) .

وكلها تهدف الى فرض مفاهيم ونظريات وافدة معارضة لمفهوم الاسلام الاصيل الجامع الواضح فى مختلف مجالات النفس والاخلاق والسياسة والاقتصاد والاجتماع .

واذا أحصينا هذه الاجناس والفنون المختلفة وجدنا أن أقلها ما ترجم فى ميدان العلوم والتكنولوجيا التى هى المادة الوحيدة التى نحن فى حاجه الى نقلها من الفكر الغربى ، وبالرغم من ذلك فلاتزال القيود تقيد خطوه الفكر الاسلامى فيها فلايزال مفروضا على الكليات العلمية (الهندسة والطب والعلوم والزراعة) ان تخضع للمصطلحات الغربية وتتعامل معها مع أن اساس النهضة الحقه ان تنقل العلوم التجريبية الى احضان اللغة العربية اساسا حتى يمكن أن يقوم الانبعاث على اساس مفهوم الاسلام نفسه للعلم وليس على اساس مفهوم الغرب الذى يتمثل الآن فى الاستعلاء العنصرى والتهديد الذرى ، والصراع بين المعسكرين ، والحيلولة دون تمكن المسلمين والعرب من الحصول على التكنولوجيا سواء العامة أم العسكرية والحربية وغاية ما يقال فى هذا الصدد ان معركة الترجمة لم تبدأ من منهج صحيح مدروس ينظم مدى ما نحتاجه ومالسنا فى حاجة اليه ، وانما أخذ التغريب

والغزو الثقافى المبادرة ومضى يقدم لنا على مدى قرن كامل نتاجا سيئا غاية السوء ، قوامه ترجمة القصة المكشوفة الاجنبية والتراث اليونانى الوثنى ، والمفاهيم المادية والاباحية فى مجالات النفس والاجتماع والاخلاق والتربية ومن الاسف أن هذه الآثار قد قدمت لنا على أنها « علوم أصيلة » وليست « فرضا قابلة للخطأ والصواب » أو وجهات نظر تمثل امهما واصحابها ولم تسبق هذه الدراسات أو تلحق بما يكشف أمام القارىء العربى والمسلم مكانها من فكر أمتها وموقفنا كفكر له منهج متكامل جامع منها ، وبذلك زيفت هذه الترجمات كثيرا من العقول وأفسدت كثيرا من النفوس وخلقت أجيالا مضطربة لانها استطاعت أن تقرأ الفكر الغربى (القائم على عقائد ومفاهيم وقيم وايدلوجيات) على أنه « علم غير قابل للنقض » بينما لم تكن الا مجموعة من الفرضيات القابلة للخطأ والصواب والتى تختلف بل ربما تتعارض مع فكرنا الاسلامى العربى ، وكان القائمون على هذه الاعمال فى الاغلب من خصوم هذه الامة وفكرها ومن الراغبين الى : اتخاذ سلاح الترجمة سبيلا الى هدم هذه المقومات ٠

وفى نفس الوقت الذى حجبت حركة الترجمة ما يحتاج اليه المسلمون فى هذا العصر من مجالات العلوم التجريبيه والطبيعه والرياضة وغيرها ، وطرح فى أفق الترجمات ركاما مضطربا عاصفا يرمى الى هدم ذلك الحائط النفسى المرتفع القائم فى النفس المسلمة بالحق والتقوى والكرامة والفضيلة والعفاف ويصور الاباحيات الجنسية على انها شرعه المجتمع المباحة كما يصور الجريمة على انها ظاهرة طبيعية ويصل تأثير هذه المترجمات المسمومه الى جميع مؤثرات العقائد والاخلاق والاجتماع ، من حيث وجود تباين واضح وخلاف عميق بين مفاهيم الغرب ومفاهيم الاسلام حيث تقوم الحياة هناك على أساس عبادة الجسد وتقديس الجمال

والنظر الى العلاقات الجنسية نظرة حرة بعيدة عن القداسة والعفاف والايمان بالعرض وكرامة المرأة حيث تختلط الصور فى هذه الترجمات المطروحه فتحدث آثارها الخطيره فى النفس العربية الاسلامية حتى تصل الى صميم العقيدة نفسها .

كذلك كان من اسوأ آثار الترجمة ذلك الخلط الشائن بين المذاهب المتعارضة والنظريات المتضادة وهى نظريات ومذاهب لم تظهر فى وقت واحد هنا لك وانما ظهرت على أزمنة متفاوتة ولكنها حين نقلت الى فكرنا الاسلامى اريد طرحها جملة ليكون لاضطرابها وتباينها واختلافها أبعد الاثر فى تدمير هذا الفكر والادالة من أصالته .

ومن العجب أن ننقل ونترجم آثار الفكر الغربى اليوم وهو يمر بمرحلة الازمة والانهيار والهزيمة. وقد احيط به واحتوته مقررات التلمودية وبروتوكولات صهيون وآوى أهله الى ذلك الاحساس الرهيب بالغربة والقلق والتمرد والغثيان ، فنقل مسرح العبث واللا معقول واللا أدب واللا فن، ومثل هذه الفنون المهدمة المضطربة التى لسنا فى حاجة اليها ولا هى تستطيع أن تعطينا شيئا يعيننا على بناء أنفسنا أو فكرنا أو أمتنا وخاصة ما كتبه سارتر وكامى ومالرو من أحاسيس بالرعب والفزع والاضطراب نتيجة ذلك الانفصال الشائن عن العقيدة والاخلاق والمسئولية الفردية وهى فى مجموعها (الفطرة) التى لا تستطيع النفس الانسانية ان تتجاهلها أو تحتويها .

كذلك فان هذه الترجمات تصور الفرد الغربى وهو يحتقر الاخلاق ويسخر من الرحمة والصدق والعفة والشرف ويحتقر الوطنية ويضحك من الاخلاص للمجتمع ويستخف بفكرة الأسرة والعائلة .

وتجد مثل هذه الترجمات تحمل ذلك المثل الردىء بان لا يحب الانسان احدا ولا يحترم أى مثل أو دين أو مبدأ ويعتبر ذلك تقييدا

لحريته وما يتصل بهذا من انكار لله تبارك وتعالى وتهجم بالعبارات الرديئة عليه (جل جلاله) على النحو الذى عرف عن نيتشه وسارتر وبيراندللوا ، فضلا عن أحياء الاساطير واتخاذها أساسا لنظريات علم النفس والاخلاق والاجتماع أو مصادر لمفاهيم الأنثربولوجيا وغيرها من المفاهيم .

هذه السموم جميعها تترجم الى لغتنا العربية وتدخل الى دائرة أدبنا وفكرنا دون أن يقول مترجموها ما هو وجه الحق فيها وما هو الزيف ، وما موقفنا منها كأمة لها عقيدتها وفكرها ومفاهيمها وقيمها ، وهم بذلك يطرحون فى افق مجتمعنا الاسلامى موجة زائفة من اليأس والتشاؤم والملل وازدراء الحياة مما لا يتفق مع طبيعتنا المتفائلة المؤمنة بالله تبارك وتعالى والتى لا تخاف شيئا ولا احدا والتى تعتصم دائما برضوان الله ورحمته .

ولعل هذه السموم التى تطرحها عملية الترجمة من أخطر ما يواجه حركة اليقظة الاسلامية اليوم وتضع أمامها صخور وجنادل تحول بينها وبين اكمال المسيرة الى الحق وتحجب كثيرا من حقائق الاسلام وتفسد العقول والقلوب فى أعماق شبابنا وأجيالنا الجديدة . ويتساءل كثير من الباحثين أمثال الدكتورة نازك الملائكة وغيرها عن الغاية التى سينتهى اليها شبابنا نتيجة تبنينا لهذا الفكر الغربى المريض الزاحف .

ونحن نقول أننا اشد ما نكون حاجة الى ان ننبه ونحذر من نتائج الاخطار والتى تطرحها عملية « الترجمة غير الموجهة » اسلاميا وان نقف منها موقف التحفظ والتحذير والكشف عن أخطائها لتهدى ابنائنا الى الحق ، ونقول لهم فى صراحة ان هذه المفاهيم دخيلة وافدة ، وانها ليست مفاهيم المجتمع الاسلامي العربى ولن تكون ، نتيجة للخلاف العميق فى الاسس والمصادر والمقومات والقيم والعقائد بين فكرنا وبين هذا الفكر ما بين امتنا

وبين الغرب •

ولقد حق اليوم على أبواب القرن الخامس عشر ان يواجه الفكر الاسلامى هذه السموم والآثار التى طرحها الفكر المترجم الوافد ، وقد بلغنا مرحلة الرشد والاصالة والقدرة على التحرر من التبعية والاحتواء والاذابة فى بوتقة الفكر الاممى علينا أن نعاود هذا الفكر بالنظر والتحليل وكشف الجوانب التى تتعارض مع الاسلام وخاصة ما كتب عن الرسول والاسلام والقرآن واللغة العربية وتاريخ الاسلام مما يحمل بذور الشكوك والتخرصات الضالة المضللة وهناك مجالات عديدة تحتاج الى النظر والمراجعة :

١ — ما ترجم فى مجال الفكر الاغريقى الهلسى •

٢ — ما ترجم فى مجال العلوم الاجتماعية والنفس •

٣ — ما ترجم فى مجال الادب والنقد الادبى والقصة •

٤ — ما ترجم من التاريخ وتفسير التاريخ •

٥ — ما ترجم فى مجال الاقتصاد والسياسة •

٦ — ما ترجم فى مجال التراجم وحياة العظماء •

أنور الجندى

« بقية مقال الماركسية الصنم الذى يتحطم »

منطقهم بينما هم لم يحققوا سعادة للأفراد لا من الوجهة الروحية ولا من الوجهة المادية • ويختم سيلونى أحد كتاب هذا الكتاب كلامه بقوله : « ان الانسان أسمى من كل النظريات الاقتصادية والاجتماعية التى تقهره وتقمعه ويستطيع أن يفرق بمهارة بين الشيوعية والاشتراكية فالأولى هى الاشتراكية العلمية بجميع نقائصها والثانية هى الاشتراكية الحقيقية هى الخالدة الباقية » •

دكتور/عبد الغنى الراجحى

لماذا يرفض الإسلام الماركسية ؟

للأستاذ مجدى عبد الفتاح

أن شر ما منيت به الأرض الدعوة الماركسية التى استباحت لترسيخ قواعدها مالا يباح ، واتخذت من الوسائل أقبحها وأقذرها وأشنعها ، ومزقت كل الفضائل والقيم ، وحاربت كل الأديان ، وألقت المثل والأخلاق وداستها حتى لا تقف فى طريقها قوة تمنعها عن السير ، وتصدها عن الانتشار ٠

وتؤكد الدراسات أن ضحايا الشيوعية : منذ عام ١٩١٧ م وحتى الوقت الراهن بلغت ١٤٣ مليون قتيل (١) منهم ٦٦٫٧ مليون قتيل فى الاتحاد السوفييتى ما بين سنة ١٩١٧ ، سنة ١٩٥٩ ، ٣ مليون قتيل فى نفس البلد منذ سنة ١٩٥٩ م وحتى الوقت الراهن ، ٦٣٫٨ مليون قتيل فى الصين الشعبية ، ٣ مليون قتيل ألمانى بعد انتهاء الحرب العالمية ، ٢٫٥ مليون قتيل فى كمبوديا وحدها ما بين سنة ١٩٧٥ ، سنة ١٩٧٨ ، حيث دمر الشيوعيون قرية (كامبونج ترايس) على سكانها واستشهد فيها أكثر من ثلاثة آلاف مسلم من الأطفال والنساء والشيوخ وقد تم ذلك عام ١٩٧٢ ، وفى مارس ١٩٧٣ قتل الشيوعيون معظم سكان قرية (فهوم تريا) المسلمة ، وفى نوفمبر ١٩٧٤ تم اعدام ثلاثة آلاف وخمسمائة من المسلمين فى قرية (نيونج كهنوم) ودمر

---

(١) د . طارق حجى ــ الشيوعية والاديان ص ٥٩ .

الشيوعيـون سـبعا وعشرين مسجدا ، ولا يفوتنا قصة شـيخ الاسـلام فى كمبوديا الحـاج عبد الله بن ادريس ، فقد ألقى القبض عليه من قبـل السـلطة الشيوعية وسجن وعـذب ، حتى يوم ٨ أكتـوبر سـنة ١٩٧٥ ثم جاءوا به وألقوا به فى انـاء كبير به ماء يغلى ، وحطموا رأسـه بتضيب حديدى حتى الموت .. ، وأخيرا الغزو الشـيوعى الوحشى على أفغانسـتان والـذى راح ضحيته آلاف من القتلى الابرياء . هذا خلاف ٣٫٥ مليون قتيـل فى أماكن أخرى من العالم .

ان النظام الشيوعى الذى رفع شعاره ماركس ، وتبنته روسـيا والدول الاشتراكية يقوم أساسـا على فلسفة مادية خاصة ، تعارض الفلسفة المثالية والتعاليم الدينية، فهى تفسر التـاريخ والاجتمـاع والاقتصاد بتفسـير مادى بحت ، كما وأنها تنظر الى الانسان عـلى أنه كـائن أرضى بحت لا يرتفـع بمشاعره وعواطفه عن واقع المادة ، وأنه لابد أن يصاغ فى قالب خاص من حيث تفكيره ، وسكب العقلية الجماعية فى نفسه بحيث لا يفكر الا فى المصلحة الاجتمـاعية ولا ينـدفع الا فى سـبيلها ، وبذلك قضـوا على الملكيـة الفردية وأصـبحت الـدولة مسـيطرة على وسائل الانتاج ، واعتبرتهـا أساس تغير المجتمع اذ يرافق تغير وسائل الانتاج صراع بين الطبقة المسيطرة حاليا والطبقه الجـديدة الصاعدة ، وهكذا ترى الماركسـية ان صراع الطبقات ضرورة لتغيير المجتمع ... وبمرور الـزمن تبين ان تطورات خطيرة وقعت معارضة ومخالفة لما افترضته النظـرية الماركسية ، وان أساس الماركسية الذى يعطى سببا واحـدا لتغيير المجتمعات ، هو تبدل وسـائل الانتاج ، وان هذا التغيير يحصل عن طريق صراع بين الطبقـات قد تجـاوزه الـواقع والتاريخ ، وأكدت الاحـداث أن النـواحى الروحيـة والفكرية وغـيرها من ظـواهر لها أثرهـا فى تغيير المجتمعات .

وقد نادى ماركس بانكار وجود

الله ، وأعلن الحرب على الاديان ، والقوى الروحية باعتبار انهـا عوامل معطلة للنشاط الفـردى ، ومخدر يجذب الناس نحو النـوم والغفلة عن ركب الحياة المتحرك ، وألغى من فلسفته الايمـان بمـا وراء الطبيعة ، وقد ربط مـاركس والماركسيون ربطا قويا بين الثورة البروليتارية وبين القضـاء عـلى الدين فى نفوس الطبقة العمالية ، فالقضاء على الدين هـو من أهم اللزوميات لاشعال الحقد الطبقى فى أنفس العمـال ، ممـا يزكى الصراع الطبقى ويؤجج تلك النار فى نفوسهم ، فيثورون فى المرحلة العليا من النظام الرأسمالى ثورة تعبـر عن تذمرهم التـاريخى وحقدهم الطبقى الذى خدرهمـا الدين طويلا ••• ثورة يحطمـون فيها بضراوة لا مثيل لها وبارهاب دموى لا حـدود له الطبقـات الأخرى غير العمالية ، وهـذا ما يؤدى من وجهة نظر الماركسـية الى انتقال البشرية من الطـور الرأسمالى الى الطور الاشتراكى الذى هو الجسر الـذى بعبـور البشرية اياه تبلغ المرحلة العليـا حيث لا ملكية خاصة ولا طبقـات اجتماعية ــ وبالتـالى ــ وعليـه فلا دين بالضرورة لأن الدين كمـا قالوا مقترن بالملكية الخاصة وبما ينجم عنها من انقسـام المجتمع •

وتحت مـادة (دين) جـاء فى الطبعـة الأولى من (القـاموس السياسى) ما نصه (١) الدين فكرة وهمية نشأت فى عقول الناس من قوة خارجـة تسـيطر عليهم فى حياتهم اليومية وهى تصور تتخذ قوى عالمنا الأرضى منه اشكالا لا تتصل بهذا العالم ، ويقـول لينين « ان الدين ليس الا أحد أشـكال القهر الاجتماعى الذى يشغل كتل الشعب المرهقة بالعمل المستمر من أجل سواهم ، والدين يرهقهـم بالفقر والعزلة » •

وفى مطبوعات سوفيتية حديثة عن « الاشتراكية والدين » جـاء

(١) د • طارق حجي ــ المرجع السابق ــ ص ٢٤ •

فيها : القضاء على الدين لا يتم تلقائيا ، بل يستلزم العمل فى تعليم كتل الشعب روح الالحاد والدعوة الواسعة النطاق للتعمق فى علوم الطبيعة والنظرة الماركسية العالمية •

ومما لا شك فيه أن الماركسية جاءت فى ظروف معينة وفى زمن معين وفى واقع معين وبالتالى فان استنتاج كارل ماركس للماركسية من هذا الواقع المعين وان كان استنتاجا علميا ، الا انه وقع فى خطأ علمى عندما أراد أن يعمم هذا الاستنتاج ويجعله نظرية قابلة للتطبيق على المجتمعات وفى كل زمان ومكان ••• بغير تفريق بين ظروف هذه المجتمعات وبغير انتباه لتطور الحضارة فى كل مرافق الحياة من فكرية ومادية ، والادعاء بأن نظرية تفصيلية معينة يمكنها أن تحل كل المشاكل الاجتماعية الى الابد ، هو ادعاء باطل ومناقض للحقيقة كحقيقة متجددة ، ومناقض للعلمية كمحاولة مستمرة لملاحقة هذه الحقيقة والبحث المستمر عن جوانبها الغامضة وتفاصيلها المتطورة ••

والا لو صح هذا الادعاء لكان دفنا للعلم وللعلمية ، وميلادا لجاهلية جديدة باسم التقدمية ، وللجمود الصنمى باسم التطور ، ولاصبح تحطيما للقدرات والعبقريات باسم الانضباط الحزبى والعقائدى •

أكاذيب الشيوعية :

يظن الماركسيون انهم انتهوا الى العلم الصحيح بكل حقائق الأرض • والسماء ، ويصدقون كارل ماركس عندما زعم أن الانسانية بأسرها تتقيد به كل التقيد ، ولن تحيد عنه قيد شعرة، ولن يستطيع احد ان يضيف اليه جديدا لأنه نظام يحوى كل مايحتاج اليه العالم من دساتير وقوانين لاتختلف ولو بعد آلاف السنين ، ولن تقبل التبديل والتغيير لأنه نظام معصوم من النقص مبرأ من الخلل مطلق الكمال • ولقد زعم ماركس أن الأسرة ستمحي ،

والزوجية ستنفصم ، والملكية ستزول ، والوطنية ستموت ، والقومية ستفنى ، والعامل سيسود ويعيش عيشة ترف ورخاء ، والشيوعية ستصبح دين الانسانية كلها ... زعم ماركس كل هذا أو اكثر منه فما كان نصيب تكنهاته من الوقوع والتحقق ؟

* **كذبة الأسرة ستمحى :** محت الشيوعية الأسرة فى روسيا ، وجعلت كل مولود ولد للدولة ، وكل امرأة وسيلة انتاج للدولة ، ولكن لم تستطع هذه النبوءة ان تعيش الا سنوات قليلة ثم ماتت لأن الدولة اعترفت بالأسرة ، وبذلك كذب الكاهن الشيوعى الضال المضلل فقد قامت الأسرة من جديد فى روسيا .

* **كذبة القضاء على الملكية :** جاء فى المادة الخامسة من الدستور السوفيتى (١) : « الملكية الفردية لا وجود لها ، والملكية المباحة هى الملكية الاشتراكية ، وهى اما ان تكون جماعية أو تعاونية » .. ثم اعترفت الشيوعية بالملكية تحت شعار جمعيات التعاون فى امتلاك الأرض ، واباحت ملكية الفرد بعد ان حرموها عليه فأصبح الفلاح يملك الأرض على سبيل الاعارة الدائم على أن تستغل على أساس تعاونى وبذلك كذبت كهانة ماركس .

* **كذبة الوطنية والقومية :** كذبت الحرب العالمية الثانية نبوءة ماركس ، وكان أول المكذبين اتباعه المخلصين وعباده الاوفياء ، فقد نادى ستالين وعصابة الكرملين بالوطنية والقومية واعترفوا بها .

* **كذبة رفاهية العامل :** فى ظل الماركسية أصبح العامل جزءا من الآلة التى أوجدها ثم عبدها وابتهل اليها وأصبح مسخرا لخدمتها ، وعندما يتنكر العامل للآلة أولا يصلى لها يحكم عليه بالموت أو السجن ، لأن شريعة

---

(١) أحمد عبد الغفور ــ الشيوعية والاسلام ص ٩١ .

الشيوعية الباطلة الهدامة لاتعترف الا بالآلة ، فالشيوعية افقدت العامل الطمأنينه والسكينة ولم تتحقق الرفاهية المنشوده بل أصبح العامل فى حرمان وضياع وانهيار وانتحار .

*** كذبة الازمة الاقتصادية التى تسحق النظام الرأسمالى :** تنبأ ماركس (١) بالازمة الاقتصادية الماحقة التى تسحق النظام الرأسمالى بسبب ازدياد اجمالى الانتاج عن معدل الطلب والقدرة الشرائية نتيجة فقر العمال المدقع ، ولكن الملاحظ الى الآن أن كل أزمات الرأسمالية ذات طابع عرضى ، وبناء على نظرية ماركس فى فائض القيمة يتحدد الأجر للعامل فى الدولة الرأسمالية على أساس الحد الادنى اللازم لمعيشته ولكن الواقع كذب هذه التقديرات بفضل التشريعات الجديدة ونشاط النقابات والتعديلات التى أدخلها النظام الرأسمالى على نفسه حتى ارتفع أجر العامل .

*** كذبة أن الماركسية تحقق المساواة وتلغى الفوارق الفئوية والطبقية :** ادعاء الماركسية بأنها تحقق المساواة وتلغى الفوارق الطبقية لم يقم عليه دليل عملى حتى الآن ، بل قام الدليل على نقيضه تماما ، اذ لا تزال الفوارق بين الدخول من المجتمعات الماركسية قائمة حتى الآن ، بل وتزداد اتساعا بتزايد البيروقراطية من جهة ، وتطور المهارات والكفاءات الشخصية من جهة أخرى ، ولقد اشار الى ذلك ليون تروتسكى حيث قال (٢) : أن البيروقراطية نظرا لأنها الطبقة الوحيدة من بين كل طبقات المجتمع السوفيتى التى حلت بشكل أفضل مشكلتها الاجتماعية، فانها راضية تماما عن نفسها وعن وضعها وهى مستمرة فى الدفاع

---

(١) د . مصطفى محمود ــ الماركسية والاسلام ص ١٥ .
(٢) ليون تروتسكى ــ الثورة المغدورة ــ ص ٢٣٥ .

عن ملكية الدولة خوفا من « البروليتارية » واشار المفكر الاقتصادى اسحق دويتشر • فى كتابه تجارب اشتراكية — « الى انه بالرغم من الأسباب الموضوعية لظهور اللامساواة من جديد فى رأى ماركسى « الفاقة والندرة العامتين » فان نسبة هذه اللامساواه تتعلق بعوامل بشرية ذاتية ، كطباع الزمرة الحاكمة واندماجها الكبير أو القليل • بالفئات صاحبة الامتيازات الجديدة ، وموقفها الاخلاقى الذى يستطيع ان يشجع أو يعرقل اللامساواه ، ولقد رفض الرسميون الصينيون دائما — شأن الروس — ان يزيحوا النقاب عن الجداول الحقيقية للأجور ••• وهذا معناه انهم يؤثرون التكتم على مدى اللامساواه الموجودة فى بلادهم •

*** كذبة الشيوعية دين المستقبل** : اعلن ماركس أن الشيوعية ستصبح دين الانسانية كلها ، الا ان الواقع كذبه اشنع تكذيب ، والدليل واضح ، وهاهى الشيوعية بكل وسائلها الاجرامية تقتل الابرياء فى جميع انحاء العالم ، فقد اعتمدوا على الغش والكذب والخداع والعنف ، وطريق الخداع قصير فقد انكشفت الشيوعية على حقيقتها أمام الواعين الفاهمين الذين انخدعوا بها مثل أندريه جيد ، فكفروا بها وحاربوها ، بل ان الماركسيين أنفسهم تحللوا من نظم الماركسية ومبادئها وخرجوا عنها، لأن أقطابها عرفوا بالغريزة قبل العقل ، وان سوءاتهم هذه يجب ان يستروها ضمانا لاستمرار حكمهم وسلطانهم ، وخديعته لمن بهرهم بريق دعواهم الكاذبة ، ولما كانت الاحداث خير مصداق لأى قول فلنقدم هذه المظاهر البولندية ضد الشيوعية (١) : ورفض الملايين البولنديين الفكر الماركسى، فبعد أكثر من ثلاثين سنة من حكم الشيوعية فى بولندا ، ومن

---

(١) بمناسبة زيارة البابا يوحنا الثانى لبولندا سنة ١٩٧٩ •

انفرادهم المطلق بالسلطة وبالدعاية والتشويش والتشهير ضد الدين ، بعد كل هذا يأتى البابا الى بولندا فتخرج الملايين فى استقباله استقبالا شعبيا تاريخيا بمثابة الرد على ثلث قرن بأن كل ما فعلتم قد ذهب هباء ! .. وان الدين لا يزال متغلغلا فى نفوس الكافة رغم ما قلتم — وما أخسه — ورغم كل ما فعلتم — وما أحطه — وان الاستغلال الذى قلتم انكم أزلتموه من المجتمع لم يؤد للقضاء على الدين الذى وصفتموه بأنه صنو الاستغلال : وأن زوال أحدهما هو موجب حتمى — وفق قوانين المادية التاريخية — لزوال ثانيهما ! ..

شريعتنا الاسلامية ترفض الفكر الماركسى :

ويقول الاستاذ عباس محمود العقاد (١) : « جاء الاسلام من جوف الجزيرة العربية يعم بالدعوة ابناء آدم كافة ، ومنهم ابناء ابراهيم بالجسد وابناؤه بالروح ... فلم يكن فى نشأته ما يفسره املاء السوابق الدينية أو يفسره املاء البيئة العربية ، وجاء مع دعوته الانسانية بآدابه الاجتماعية أو الفردية التى يكابر المتعنت فى تعنته ما استطاع المكابرة ولا يستطيع أن يفسرها بممالأة الاغنياء والمحتكرين ، أو بانها خدر للنفس يروضها على الظل والاستكانة أو يلهيها عن الدنيا بخيال الآخرة ، فان الفجوة الواسعة بين حقائق الاسلام وهذه التفسيرات المادية تلوح للناظر من اللمحة الأولى ولا تجشمه أن يتعمق الى قرارها .. » .

لاشك أن الدين الاسلامى يتضمن المبادىء الرئيسية التى تكفل التطور المتوازن بين الروح والمادة — ويتسع للتطور المنهجى كى يمكن استخلاص الحلول التفصيلية الملائمة — لكل زمان ومكان ضمن الاطار الاسلامى

---

(١) عباس محمود العقاد — الشيوعية والانسانية من شريعة الاسلام — ص ٣٣٢ .

العام ، أما الماركسية التقليدية فانها تحبس مريديها داخل أسوار التقييد المذهبى باسم الانضباط العقائدى ، وتقيد ملكات مفكريها باسم الانقياد الحزبى ، وجاء الاسلام مقرراً مبدأ المساواه فى الفرص ، وضمان حد لكفاية الفرد ، وتحقيق التوازن بين حرية الفرد فى الربح وحقوق المجتمع ، ومبدأ الملكية الخاصة ومبدأ مصادرة الأموال للمستغلين لصالح الفقراء والمظلومين فالاسلام لا يسمح بالطبقية ، ويحرم تداول المال بين فئة محدودة من الاغنياء .

*** الماركسية تستلزم الصراع والاسلام يقر التدافع ويدعو الى التعاون :**

لا يعترف الاسلام بوجود طبقات بين الناس ، فهو الذى يقرر أن « الناس سواسية كأسنان المشط ، كلهم لآدم ، وآدم من تراب لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى والعمل الصالح (١) — وانما هو يعترف بالفئات والطوائف تبعا لاختلاف الثقافات والصنائع والمهن ، ومن ثم فهو لا يعترف بالصراع فيما بينهم ، وانما يعترف بتدافعها ويرى ذلك خيرا لها ولمجتمعاتها ، فالمسلمون جميعا فى الشريعة متساوون على اختلاف شعوبهم وقبائلهم متساوون فى الحقوق ، متساوون فى الواجبات ، متساوون فى المسئوليات ، والشريعة الاسلامية تطبق مبدأ المساواة الى ابعد مدى يتصوره العقل البشرى ، فلا قيود ولا استثناءات ، وانما مساواة تامة بين الافراد ، مساواة تامة بين الجماعات مساواة تامة بين الاجناس ، مساواة تامة بين الحكام والمحكومين ، وحتى غير المسلمين من رعايا الدولة الاسلامية ، هم والمسلمون أمام التشريع سواء ، فالاسلام جاء ليقرر وحدة الجنس البشرى . فى المنشأ والمصير ، فى المحيا والممات، فى الحقوق والواجبات ، امام

(١) جزء من خطبة الوداع .

القانون وأمام اللـه فى الدنيا والآخرة ، لا فضل الا للعمل الصالح ، ولا كرامة الا للاتقى ، يقول تعالى « **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء** » سورة النساء : آية ١ ، فهى نفس واحدة وزوجها منها ، ومنها انبث الرجال والنساء فهم من أصل واحد ، وهم أخوة فى النسب وهم متساوون فى الأصل والنشأة يقول تعالى : « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم** » سورة الحجرات : آية ١٣ ، فليست هذه الشعوب والقبائل لتتفاخر أو تتكابر ، بل لتتعارف وتتآلف ، وكلها عند الله سواء ، لا تتفاضل الا بالتقوى ، ولقد برىء الاسلام من العصبية القبلية والعنصرية الى جانب براءته من عصبية النسب والأسرة ، فبلغ بذلك مستوى لم تصل اليه الماركسية الى يومنا هذا .

*** الماركسية لا تعترف الا بالاعمال المادية والحسية وحدها :**

ان الاسلام لا يجرد الاعمال المادية من النوايا التى دفعت اليها أو لابست مباشرتها ، ويجعل هذه النوايا الأساس فى قياس الاعمال وتقويمها « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى » (١) بل يذهب الى ماهو ابعد من ذلك حيث يجزى على النية الطيبة ، وان لم يترجمها صاحبها الى عمل مادى خارجى وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله تبارك وتعالى ... « اذا هم **بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة ...** » (٢) ومن ثم كانت الماركسية لعدم اعتدادها بالنوايا فى حاجة الى رقابة خارجية ومستمرة وصارمة حتى تضمن تحقيق الانتاج المخطط كما وكيفا،

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) رواه مسلم بلفظه والبخارى بمعناه .

ومع ذلك لم يتحقق لها ، بينما الاسلام كون عامل الرقابة الداخلية النابع مع الضمير الذاتى للانسان وعقيدته التى تدفعه الى العمل والاتقان فيه ، وبالتالى كانت الرقابة فى الاسلام طبيعية ، وانسانية ومستمرة تؤتى ثمرتها فى الانتاج والاتقان دون عناء ، أما الماركسية فالشدة والصرامة ، والدقة مرهونة بيقظة الرقيب ومتابعته ، ومما لاشك فيه ان تعدد اجهزة الرقابة تؤدى الى تعويق العمل والحد من النشاط فالمواطن السوفيتى نتيجة لكونه يشعر انه يعيش تحت رقابة مستمرة يعانى من التوتر الدائم .. ولا شك ان الرقابة الشديدة الواقعه التى تحكيها قصة الاعرابية التى طلبت الى ابنتها ان تخلط اللبن ببعض الماء لتزداد كميته فيزداد الدخل من بيعه ، فردت ابنتها عليها قائلة : يا أماه اما بلغك أمر أمير المؤمنين بألا يخلط اللبن بالماء ، فقالت الأم : وهل يرانا أمير المؤمنين الآن ؟ فما كان من الفتاة الا ان ردت عليها فورا بقولها : اذا كان أمير المؤمنين لا يرانا ، فان رب أمير المؤمنين يرانا » (١) هذا هو الاسلام الذى كون الضمير الحى اليقظ فى المؤمن فأغنى بذلك عن الرقابة الخارجية من الدولة ضمانا لتنفيذ قراراتها وأحكامها .

*** الماركسية تعتمد على العنف :**

ان تاريخ الماركسية القريب المعاصر يثبت ان مذاهبهم قائم على العنف، واثارة القلاقل والفتن والحروب ، ويكفى ان نعلم ان الماركسية تمنع الخير وتدخر الشر للانسانية ، وتخمد انفاس من لا يدنيون بها ، ولو كانوا عزلاً من السلاح ، أما الاسلام فهو لا يقبل الاستسلام والخنوع ، وهو يكره العنف ويمجد القوة ولكن دون اعتداء ولا ظلم ولا طغيان ولا عذر ، بل القوة فى شرف ومن أجل

---

(١) عبد العزيز سيد الاهل ـ الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز ـ ص ١٤ ، ١٥ .

الشرف ، وهو يتحرك فى رحاب أوامر الله سبحانه وتعالى حيث يقول : « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » سورة النحل آية ١٢٥ ، والقتال فى الاسلام لا يكون الا دفاعا لقوله تعالى « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم» سورة البقرة آية ١٩٠ ٠

* الماركسية تنكر وجود الله : نادى ماركس بانكار وجود الله وأعلن الحرب على الأديان ومن ورائه المجتمع الماركسى ، فقد جحدوا الصانع المدبر العالم القادر ، وزعموا أن العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه بلا صانع ولم يزل الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان كذلك كان وكذلك يكون ابدا ، على هؤلاء فى كل زمان ومكان يرد القرآن فى استفاضة وفى تنوع ، وما من شك فى ان مسألة وجود الله لم تكن فى يوم من الايام هدفا من اهداف القرآن الكريم ، ولم تكن فى يوم من الايام هدفا من اهداف الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو أحد الصحابة وذلك ان الايمان بوجود الله مسألة فطرية وبديهية ، والواقع أن القرآن الكريم يمكن أن يؤخذ منه الرد على من انحرفت فطرتهم ، فالقرآن يرد على الجاحدين أولا بضروريات فكرية فيثبت الدلالة الضرورية من الخلق على الخالق (١) ولقد نسى الماركسيون دليلا هاما على وجود الخالق وهو دليل النظام أو القصد أو التدبير ، أو الغائية ، وهذا الدليل هو الذى يستند الى ما نراه فى العالم من تناسق وتضامن ، وانسجام ومن تدبير محكم بكل صغيرة وكبيرة فكلها دلائل واضحة على وجود الله ٠

* الماركسية تنكر الملكية الفردية : أن النظام الشيوعى

---

(١) أرجع الى التفكير الفلسفى فى الاسلام ــ للامام عبد الحليم محمود ص ٧١ من الجزء الاول ٠

لا يعرف الملكية الفردية ، فقد حرمها فى جميع المجالات وقضى بتأميها ، وتأمين جميع وسائل الأنتاج للمجوع ، وكان فى هذا شذوذا عن الفطرة الاصلية التى طبع عليها الأنسان • أما الاسلام فقد أقر الملكية الفرديه للحال ــ بوسائل التملك المشروعة ويجعلها قاعدة نظامه ، وما يترتب على هذا التقرير نتائج الطبيعة فى حفظ هذا الحق لصاحبه وصيانته له عن السرقه أو النهب أو السلب أو الاختلاس بأية طريقه من الطرق أو المصادرة بدون ضرورة عامة مع التعويض المجزى الذى لا غبن فيه ، ويضع الحدود الرادعة لكفالة هذا كله ، فوق ما يصنع من التوجيهات التهذبية لكف النفوس عن التطلع الى ما ليس لها ، وما هو داخل فى ملك الآخرين ، كما يترتب عليه نتائجه الاخرى وهى حق التصرف فى هذا المال بالبيع أو الاجارة أو الرهن أو الهبة أو الوصية ••• الى آخر حقوق التصرف الحلال وفى نطاق الحدود التى سنها للتصرفات ، والملكية العامة موجودة فى الاسلام وذلك لحماية المجتمع من اخطار الاحتكار والاستغلال لبعض موارد الطبيعة ومصادر الرزق فيها ، فانها لا تكون الا فى نطاق ما يشكل بضرورة عامة وشاملة لجميع افراد المجتمع « كالماء والكلأ ، والنار والملح » ، أو كان غير متأثر فى تكوينه أو تشكيله بالعمل الخاص (كينابيع البترول ــ ومناجم الفحم والمعادن على اختلافها) أو تكون فيه مصلحة عامة للجماعة الاسلامية «كالحمى» ولاشك أن ذلك كله يستهدف تحرير ارادة الفرد ورأيه ــ عن طريق تحرير لقمة عيشه ــ من أن يكون تحت سيطرة أى نوع من انواع الاستغلال ناشىء عن الملكية الخاصة حتى يمكن تحقيق التعاون بين أفراد المجتمع •

وخلاصة القول : أن الفكر الماركسى مجموعة متناقضات وخروق فى ثوب مهلهل يحاول ان يفسر الانسان والمجتمع والتاريخ والكون والنشأة من وجهة نظر شمولية ثم يعجز عن التفسير ثم

« البقية صفحة ٧٨٠ »

استقلال الشخصية الإسلامية

الدكتور أحمد عمر هاشم

من الملامح البارزة فى حياة الانسان المسلم : استقلال شخصيته ، فهو يعتنق الحق ويسير على ضوئه ، ويعمل فى دائرته ، دون أن يكون هناك أى تأثير خارجى عليه ، لأنه يؤمن بأن جزاءه منوط بعمله ، فاحسانه لنفسه ، واساءته لها ، وقد غرس الاسلام فى نفسه أصول الحق ليتبعها : « ان احسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها » (١) وأنار القرآن الكريم الطريق أمام المسلم ، مبينا له : أنه وحده الذى ينال مثوبة هدايته ، وأنه وحده الذى ينال جزاء ضلالته ، فلا ينجى اهتداؤه غيره ، ولا يردى ضلاله سواه ، وكل نفس وما حملت من وزرها ، فلا تحمل وزر نفس أخرى ، ولكل استقلاله وجزاؤه على حدة ، قال سبحانه : « من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى » .

وقد نص القرآن على أولئك الذين وقعوا أسرى العادة والالف تجافيهم عن الحق ، وضرب مثلهم بمن ينادى على حيوان يسمع الصوت ولا يفهم له معنى ، فهم فى انهماكهم فى التقليد الأعمى ، ووقوعهم فريسة التبعية البلهاء ، كمثل الصم البكم ، قال تعالى : **« واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ، ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع**

الا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلــون » • وهــذا الصنف من الناس : لم يعط شخصـــيته اســـتقلالها ، ولم يمنحهـــا حريتها فى البحث عن الحق ، وانما حبســـها بين أســـوار التقاليد الموروثة ، توثقها العادات البالية ، وتمتهن كرامتها وانســـانيتها ، وتتابع الســـنة الشريفة شخصـــية المســلم فى ســـلوكها بالتقـــويم والتهذيب ، لئلا تتأرجح بين مـــد الحيـــاة وجذرها ، فتتدهور قواها المعنوية ، متابعة كل ناعق ، ومنادية كل انسان : أنا معك ، محسنا كان أو ظالما ، روى الامام الترمـــذى بســـنده عن حذيفة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تكونوا امعـــة ، تقولون : ان أحسن الناس أحسنا ، وان ظلموا ظلمنا ، ولكن وطنوا أنفســكم ان أحسن الناس أن تحســـنوا ، وان أســـاءوا فلا تظلموا » • فاذا كان الله تعالى قد أعد المســـلم اعدادا محكما ، وهيأه لأســـباب الحق والفلاح بما ألهمه من رؤية واضحة للخـــير حتى يتبعـــه ، وللشر حتى ينأى عنه ، فليس للمسلم أن يكون امعة ، ولم تعد له حجة ، فى تعطيل ما أودعه الله فى حسه ووجدانه ، فكيف به يقف على مفترق الطرق ، يميل مع رياح الحياة حيث تميل ؟! لقد ســـوى الحق نفسه وألهمها فجـــورها وتقـــواها ، قال تعالى : **« ونفس وما ســـواها فألهمها فجـــورها وتقـــواها ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها »** •

وفى اســـتقلال الشخصية حماية لمقومات الحق والخير التى أودعها الله فى الانســـان ، فلا يتأثر بالعوامل الخارجيـــة ، والمؤثرات المحيطة به ، فاذا كان قاضـــيا أو شـــاهدا أو مدربـــا أو قائما بالاصـــلاح بين الناس أو مقوما لأعمـــال البعض أو ما الى ذلك من مسالك الحياة التى يرتادها ، فان عليه أن ينظر الى الحـــق ، بغض النظـــر عن أى عامل آخر أو أى مؤثر خاجى ، فاذا قام بالحكم بين الناس أو القضاء بينهم ، أو طلب منه أداء شـــهادة أو فصـــل فى

خصومة ، فعليه أن يتحرى جانب الحق فلا تؤثر عليه صلة قرابة أو نسب أو غير ذلك ، قال تعالى : **« فاذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى »** وكما دعا الاسلام الى المحافظة على استقلال الشخصية فى قول العدل دون التأثر بصلة القرابة ، أو ما يدعو الى الانحياز ، فكذلك حذر من أن تكون الكراهية والبغضاء من دواعى الانحراف عن العدل والحق ، فقال تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون »** ٠

فشخصية المسلم تتنافى مع الظلم ، فيقيم العدل ولو على نفسه ، أو أقرب الناس اليه ، وتتنافى مع الباطل ، فيقول الحق ولو على نفسه ، ويعدل مع العدو كما يعدل مع القريب والحبيب ، فهو لا تحكمه تبعية تهدم شخصيته ، ولا يجور على عقيدته الهوى ولا تتسرب المحاباة الى داخله ، يحيا بين الناس قواما بالقسط شاهدا لله ولو على نفسه أو والديه أو أقربائه ، قال الله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين ، ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا »** ٠

واستقلال الشخصية الذى يربى الاسلام أتباعه عليه : يعنى المحافظة على النفس من التأثر بخصائص الغير التى لا تتفق مع روح الاسلام ، وتتنافى فضائله ، أما الاستبداد بالرأى ، أو التمادى فى الخطأ : فليس فيه من قوة الشخصية واستقلالها أدنى علاقة ، بل ان ذلك يتنافى معها تنافيا تاما ، فان الرجوع للحق فضيلة ، ولا يوصف من يرجع للحق بأنه لا شخصية له بل انه قوى الشخصية فى ضبط النفس ، وكبح جماحها ، والاتجاه بها صوب الحق ، فلا يتجمد عند الخطأ ، بل يفىء الى الصواب أينما كان ٠

وكما أن استقلال الشخصية

لا يتنافى مع الرجوع للحق ، فانه كذلك – لا يتنافى مع التعاون ، ومشاركة الجماعة الاسلامية ، فالمراد باستقلال الشخصية : ألا يذوب سلوك الفرد فى سلوك آخر ، وألا تذوب الجماعة فى جماعة أخرى فلكل انسان مقوماته وقدراته الخاصة ، وحين يسلب هذه المقومات : فلا تكون له حريته ورغبته المستقيمة المخلصة ، فانه يقوم حين يقوم للعمل وهو مسوق اليه ومكره عليه ، فلا يستشعر المتعة بأداء العمل ، ولا يتذوق الرغبة الدافعة الى اتقانه ، ومن ثم : يفقد روح النشاط والحيوية ، ولا يقبل على العمل بجد أو فاعلية ، بل يؤدى عمله وهو مكره متبرم ، وأيضا : لو ترك الانسان بلا توجيه سديد وأطلق لشخصيته العنان دون رعاية وضبط ومن غير حدود ، فان ذلك شر مستطر لما يترتب على سلوكه بلا مقاييس ما يترتب من انطلاق نوازعه النفسية فتنمو الأنانية والأثرة ، ويتجاوز الحدود بلا رادع أو ضابط .

ومن أجل هذا كله : أرسى القرآن للشخصية الاسلامية معالم محددة لا تتعداها ، بحيث يجد المسلم ثواب عمله الصالح ، ويتحمل تبعة اساءته ، فقال تعالى « من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها » ، هذا بالنسبة للفرد ، فشخصيته محوطة بدائرة الحق ، والعمل الصالح وأما بالنسبة لعلاقته مع الجماعة الاسلامية ، وعلاقة الناس مع بعضهم ، فان تلك العلاقات مع ما وفره الاسلام لها من الاحتفاظ بالمقومات ، بحيث لا تذوب فى الآخرين فانه لم يمنع الانسان أو الجماعة من التعاون والمشاركة ، بل أمر بذلك ، اذكاء لروح التعاون ، وابقاء لوحدة الأمة ، واثراء لها بالعمل المشترك والتضافر المثمر ، وذلك يتم فى اطار البر والتقوى ، وبعيدا عن الاثم والعدوان ، كما قال الله سبحانه : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

ويتضح مما سبق أن استقلال

الشخصية ، يعنى الاحتفاظ للانسان بقدراته ومقوماته الخاصة ، بحيث لا يعتدى عليها من الخارج ، والاحتفاظ بالثقة بالنفس حين يكون على الحق فيحترم اقتناعه به ، ويقوى على ضبط نفسه وتوجيهها الى الخير حين لا يكون فى جانبه ، فيرجع للحق ، ويلبى نداء التعاون مع الجماعة حين يحتاجون اليه ، ولا يعتبر هذا أو ذاك خروجا عن استقلال الشخصية ، وانما الخروج : أن يكون امعة بين الناس ، مشتت الرأى متطفلا على أحاديث الناس وأخبارهم • ورحم الله الشافعى حيث قال : ولست بامعة فى الرجال أسائل هذا وذا ما الخبر ؟ •

دكتور/أحمد عمر هاشم

« بقية موضوع لماذا يرفض الاسلام الماركسية »

يناقض نفسه بنفسه ، ثم لا يصل الى شىء الا عدة مصطلحات وشعارات مفرغة من المعنى •

فالماركسيون كفرة لئام ، بل هم شر الكفرة ، وكل من تبعهم ممن يتظاهرون بالاسلام فمن ينكر وجود الله ووحدانيته مرتد حلال الدم واجب قتله ، وكل من اطرى الشيوعية واجب أن يستتاب والا قتل كفرا •

حمى الله الانسانية من الماركسية ورعى أمتنا العربية من هذا الشيطان الرجيم آمين •

مجدى عبد الفتاح سليمان

هل ضاع من قدمي الطريق
أو عزَّ في سيري الرفيق ؟

للدكتور محمد كمال جعفر

هب صديقي من نومه مذعــورا يردد هذه العبارة فى هلع وفــزع مشوب بالحزن العميـــق • وظننت أنه ربما كان أســير حلم مزعج ، يرتبط بمن يحب ، أو بما يهـدف اليه ، لكنه حين تنبه الى وجـودى استجمع وعيه ، واسترد نفســــه رويدا رويدا ثم تثاءب متثاقلا على نفســــه حــين أراد أن ينهض ، فأسرعت لمســاعدته على القيام ، مقدرا ظروفه وســنه ، غـير أنه استكفنى شاكرا ثم عاد الى موضعه وراح يقول : —

حقيقة يا ولدى بعض الأحــلام قد لا تخرج عن كونها حديث نفس وهواجس خاطــر ، عجــزت عن الافصــاح فى اليقظة ، فتسللت فى جنح ظلام المنام ، وحقيقة يا ولدى لقد جربت كيف تكون آخــــر خواطرى وأفكارى فى اليقظـــة هى نقطة الانطلاق لأحلامى ورؤاى •

لقد شغلنى قبــل الذهــاب الى النوم تفكير غريب تغشــاه بعض الســحب الدكنــاء ، التى تمنـــع وضوح الرؤية ، وتصرف عن ادراك الحقيقة — أردت أن أعرف مصدر هذه السحب الكئيبة التى تشـــيع الظلام وتحجب الجمال ، فألقى فى خاطرى أنها سحب ســاقتها رياح البغض والشحناء والحقد والطمع والجشع واللامبالاة ، وباختصـــار يا ولدى سحب تخلفت عن اغفــاء الضمير وضلال النفوس •

استمعت الى الشيخ الجليل فى اهتمام بالغ ، وأردت أن أستخلص شيئا أفسر به لغز الشيخ ، ولكننى

لم أستطع أن أفهم ما يرمى اليه وما يريد أن يفضى به الى • ويبدو أنه أدرك عجزى عن فهم مرماه ، فانطلق يشرح فى صراحة ووضوح ما يقصد اليه ورأيت أن أشرك معى القارىء العزيز فى هذا الحديث الهام الذى يتصل بحاضرنا ومستقبلنا ــ نحن المسلمين ــ علنا نفلح فى استجلائه وتأمله •

قال الشيخ المهيب ، اعلم ياولدى أننى أقصد بهذه السحب الدكناء والأدخنة المتصاعدة الحالة التى تحياها الأمة الاسلامية اليوم وما يكتنفها من التمزق والتفتت بصورة تثير اشفاق العدو قبل اثارتها لحزن الصديق •

هى الآن أمة تتسابق معظم دولها فى تأريث العداوة واثارة الحروب واشاعة الخيانة وفقدان الثقة ، ونشر القسوة والعنف والصلف فى ربوع البلاد ، لا تكاد تجد دولتين من دول هذه الأمة على المستوى الذى تقتضيه شريعتها الغراء ودينها الحنيف ــ لم تقف الخصومة بين هذه الدول الاسلامية عند حد المقاطعة أو التجريح باللسان ، بل جاوزت كل حد فى القتال الساخن بلارحمة ولاهوادة، يكيد بعضها لبعض ، ويبغى بعضها على بعض بلا وازع ولا حياء ولا ضمير ، والأدهى من ذلك والأخطر أن هذه الصور المقيته أضحت مألوفة حتى لم تعد تثير لدى البعض غيرة أو تحرك ساكنا •

ومما يزيد الطين بلة أن سوء الأمر وصل الى الحد الذى جعل عدوان الملحد عن المسلم لا يثير حفيظة الأخير فلا يتقدم حتى لمجرد الشجب أو الاحتجاج على مثل هذا العدوان •

بلغت المهزلة الى الحد الذى جعل غير المسلم يستحث المسلم لمناصرة أخيه ودفع الظلم عنه ، وما كان ينبغى أن ينتظر المسلم حتى ينبه الى واجبه الأقدس نحو دينه واخوته فى هذا الدين •

انني يابنى أتساءل : هل ضاع الطريق من قدم مثل هذه الدول ؟ هل ضلت سبيلها لأنها اتبعت السبل

الملتوية فتفرقت بها عن سبيل الله ، مخالفة بذلك التحذير الالهى فى قوله تعالى « **ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** » هل خفى عليها المسار المنير الذى يجمع الشمل ويدخر الطاقة ويرزق القوة والمنعة ويحقق الخير والرخاء والأمن والسلام ؟

هل يعقل أن يتردى المسلمون هكذا فى الظلمات .

وبأيمانهم نوران ذكر وسنة ؟ هل يجمل أن يختلف قوم بينهم الحق ، ويتفق قوم ومعهم الباطل ؟

أشفقت على الشيخ من شدة انفعاله وتشنج صوته ، فتلطفت فى الحديث معه أستميحه العذر وأطلب اليه التخفيف والرفق بنفسه وبأمته، وعرضت عليه بعض تأملاتى التى كسبتها من دراسة تاريخ هذه الأمة فأعجبه شىء من هذه التأملات وبخاصة ما أشرت اليه من سنة الابتلاء فى هذه الحياة ومن ضرورة خوض بعض المسلمين هذه التجربة ، وأن الشدائد — وان تكن أليمة ومحزنة — تستثير العزم وتوقظ غافى الهمة والوجدان ، وتستحذ القوى والملكات ، وقد ينتهى المخاص بمحمود العاقبة ومأمول الغاية من الوحدة والقوة والعز والرفاهية .

ألم يقل شاعرنا يوما :

جزى الله الشدائد كل خير
عرفت بها عدوى من صديقى :

فمن يدرى لعل ما نحن فيه الآن من تمزق وألم يدفعنا قسرا الى التقارب والتآزر لا سيما اذا علمنا أن هناك الأفواج الهادرة من الملاحدة وأعداء الانسان الذين لا هم لهم الا اطفاء نور الحق ، واضطهاد الاعتقاد والمعتقدين المؤمنين ؟

اعتدل الشيخ فى اهتمام ثم توجه الى قائلا : ما تقوله يابنى حق لاشك فيه ، ولكنى أخشى أن يسترسل أهل الغى فى غيهم فلا يدركون خطأهم الا بعد فوات الأوان فيندمون ولا ينفعهم الندم حين يرون بأس العدو وطغيانه . من أجل ذلك فزعت يا بنى وصحت بهذه العبارة التى سمعتنى أكررها وأنت مرعوب مكروب .

قلت للشيخ : وما دام الأمر

كذلك فهل الى خروج من سبيل ؟
قال الشيخ : المخرج يابنى هو قانون الله دائما ولعلك تعلمت فيما تعلمت أن القانون الالهى نوعان : نوع تشريعى ونوع تكوينى فالأول ما تعلق بأوامر الله ونواهيه تشريعا وتكليفا ، والثانى ما تعلق بالخصائص والحدود التى يلتزمها الكون بما ومن فيه .

أما الأمر التكوينى فلا يتخلف قيد شعرة لأنه قانون يحكمه السلطان الالهى الذى نذعن له سائر الكائنات بما فى ذلك الطبيعة . وهو قانون تحدوه الرحمة الالهية بالأكوان والمكونات وهو ما يعرف عندكم بالتسخير والتذليل والتطويع لمصالح العباد ، وأنت يا بنى لن تجد كائنا من الجماد أو النبات أو الحيوان — ما عدا الانسان — أو الملائكة الا وهو ملتزم بالقانون التكوينى لا يخرج عنه لحظة فلا تملك الأرض أن تبخل بالنبات مادامت العناصر الضرورية للانبات متحققة .

أما الأمر التشريعى فانه موجه لهذا المسكين الابله — الانسان ولأنه أريد له أن يكون مختارا ، فقد اختار أن يطيع أولا يطيع وهكذا رأينا البشر — من بين سائر خلق الله — هم وحدهم المعرضون للمخالفة ومجانبة الحق — وعلى ذلك فاذا أردت لقومك مخرج صدق فلن تجده الا فى شرع الله ونهجه الذى رسمه للانسان بحيث يسد أوجه النقص فيه ، ويمحو الضعف الذى يعتريه .

تمنيت أن ينطلق الشيخ بلا توقف حتى أستزيد من معرفته ولكنه راح فى صمت رهيب وتأمل عميق .

فقلت — وقد تملكنى حديث الشيخ — :

حقا ان ما أشرت اليه هو الصواب ، وهذا والحمد لله أمر واضح وقد عرفناه ، فما يمنع من تحقيقه وتطبيقه ؟ أليس فى ذلك انقاذ المسلمين وانقاذ العالم معهم ؟

ابتسم الشيخ فى مرارة وقال :
يا بنى تعم جيدا هذه الحكمة التى ثبت صدقها عبر تاريخ البشرية ، وقد سجلها كثير من الصحابة

رضوان الله عليهم . بالنسبة لهؤلاء الذين يسيئون استخدام المبادىء والشعارات المقدسة من أجل غايات ومآرب غير مقدسة أو شريفة ان التعبير عن هذه الحكمة انتقل الينا فى الألفاظ الآتية: **كلمة حق أريد بها باطل** : أفهمت هذه العبارة ؟

قلت نعم فهمت وما حديث قميص عثمان رضى الله عنه بخاف على أحد ، وما حادثة التحكيم المشهورة عنا بغائبة .

قال : حسنا فأنت اذن تعى ما أهدف اليه . وهو أن كثيرا ممن يدعون أو يدعون الانتساب الى دعوة تطبيق الشريعة لا يصدرون عن جدية وفهم واستيعاب لجوهر وروح هذا الدين : انهم بين منتهز يركب الموجات العالية ، أو متقوقع جامد الفكر لا ينظر الا تحت مواقع قدميه ، أو مغتر غير منضبط فى دعواه التجريبية أو ما يسميه بالتحرر ، أو متشنج لا يدرك مما يقول : الا المظهر والشكل .

أن القلة الخيرة هى التى تدرك أبعاد السعادة والخير والعزة والمجد الذى يمكن أن يتحقق من الالتزام الواعى البصير المتحرر بقانون الله فى تشريعه وأحكامه دون استثناء ، فلا يفرح مثلا لتطبيق الحدود دون فرحه بتحقيق ايجابيات الدين كلها من المودة والرحمة والتعاطف والمثابرة والانطلاق فى دروب الحياة لكسب النافع وتعميم الصلاح والخير فى ربوع الحياة .

اننى يابنى بصريح العبارة أريد زيادة خلقية فى كل موقع ، ونمطا دينيا مثاليا فى كل هيئة وفى كل مؤسسة وفى كل مجال من مجالات الأنشطة الانسانية ترشد بسلوكها أكثر مما ترشد بأقوالها ومواعظها .

أريد ريادة فى ميدان الطب وريادة فى ميدان المحاماه وريادة فى ميدان التدريس ، وريادة فى سائر المواضع الحيوية التى تتصل بمصالح الناس وسير معاشهم . أريد لهذه الطاقات الاسلامية أن يجمعها نظام ، وأن يوثق بينها الخلق النابع من الأصل الأصيل للمكارم كما تجلت فى الكتاب الكريم ، وكما برزت فى شخصية

مجمع المكارم صلى الله عليه وسلم ويوم تشـيع هذه الريادة يابنى ، ويوم تتجمع هذه الطاقات ، ويوم يستيقظ الضمير المسلم فى قلـوب الولاة ويوم يدرك من يحيط بهذه الريادة حلاوة الاستقامة والصراحة والمجـد والالتزام والرحمـة والتعاون •

يوم يتم ذلك يا بنى ستجد أمة اسلامية عزيزة واصلة حاضرهـا بماضيها ، جامعة بين الأصـالة فى قوانينها الأزليـة الثـابتة وبـين المعاصرة والمعايشة لأحداث العصر، مضيفة الى الحياة ـ كما أضـاف الاسلاف ـ ما تجمـل به الحيـاة وما يعد به الأحياء •

ويومها يا بنى لن تسمعنى أقول أو أتساءل •

هل ضاع من قـدمى الطـريق
أو عـز فى السـفر الرفيـق

لن تجد أمتك تجرى وراء هـذا أو وراء ذاك من الدول من أجـل الحماية والرعاية ، بل ستكون الملجأ والمثاب للمعذبين فى الأرض •

د • محمد كمال جعفر

كتاب الشهر

تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين

للراغب الأصفهاني

عرض للأستاذ / السيد حسن قرون

« تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين » كتاب صغير يقع فى ١١٦ صفحة ، ألفه الراغب الأصفهانى فى أواخر القرن الخامس الهجرى ، ليكون نبراسا للمسلم يرى فيه منشأه ومنتهاه ، ويهديه الى الوسائل التى تعينه على تحصيل السعادتين : الدنيوية والأخروية ، فى أسلوب يرضاه المنطق وتستريح اليه العاطفة الدينية ، وكأن الراغب حين ألف كتابه هذا كان ينظر الى الغيب من ستر رقيق ، لأن العالم الاسلامى حينئذ كان يموج بالاختلافات المذهبية ، من سنة وشيعة وغيرها ، مما جعل جسم الامة الاسلامية يتمزق ، وجاء القرن السادس ثم السابع فتمخض عن نقص الامة من أطرافها بهجوم الصليبيين ، ومن صميمها بضرب الخلافة الاسلامية فى بغداد ، حيث دمر التتار عاصمة النور فى ذلك الزمان ، والراغب نبه وذكر وهدى ، ولكن صيحته ذهبت أدراج الرياح •

وللراغب مؤلفات غير هذا الكتاب منها : « الذريعة الى مكارم الشريعة » وهو كتاب كان يعجب به حجة الاسلام الغزالى (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ) ويستصحبه • ولكنه اشتهر بكتابه « مفردات ألفاظ القرآن العزيز » الذى عرف بمفردات الراغب •

ونحن حين نراجع كتاب « تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين » ونبين مراميه ، نرى أنفسنا فى تفكيره ، ونراه فى تفكيرنا ، فنجده يكتب لنا كما كتب لمعاصريه منذ ٩٠٠ عام أو أكثر ، فما يقوله مستمد من كتاب الله وسنة رسوله ، وهما جاءا لكل زمان ومكان ، وسترى فيما نعرضه عليك ، ونزجيه اليك من خلاصة فكره ونبض قلبه أنه معنا وان غاب عنا تلك الحقب الطوال • وأغلب الظن أنه لم يكن راضيا عن سلوك معاصريه ، ثائرا عليهم ، لائما لهم ، يصب جام غضبه على تفكيرهم وأعمالهم ، انظر اليه فى مقدمة كتابه فى حديثه عن الانسان مرة يقول :

« قد كان قولنا الانســـان لفظا مطلقا على معنى غير موجــود ، واسما لحيوان غير معهود كعنقاء مغرب ، ونحو ذلك من الأســماء التى لا معانى لها ، كما قال تعالى فى صــفة الأصـــنام المســماة آلهة : (١) « **أن هى ألا أســماء سميتموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان** » ولم أعن بالانسان كل حيوان منتصب القامة ، عريض الظفر ، أملس البشرة ، ضــاحك الوجه ، ممن ينطقــون ولكن عن الهــوى ، ويتعلمــون ولكن مــا يضرهم ولا ينفعهم ، ويعلمــون ولكن ظاهرا من الحياة الدنيـــا وهم عن الآخرة معرضون » الى أن يقول :

فجلهم اذا فـــكرت فيهم
حمير أو كلاب أو ذئـــاب

وانما الانسان عنده من يعمــل لاكتساب الانسانية عن طـــريق العمل بالكتاب والســنة ، ولذلك يقول : « واعلم أنه ليس يحسن بذى همة قد احسن الله اليــه فى خلقه وخلقه ، وقيض له من ربـــاه فأحسن تربيته ،أن يرضى أن يكون حيوانا ، وقد أمكنــه أن يكــون انسانا ، أو بأن يكون انسانا ، وقد أمكنه أن يصير ملكا أو بأن يكون ملكا ، وقد أمكنه أن يصير ملكا فى مقعد صدق عند مليك مقتــــدر ، فتقوم الملائكة بخدمته كمـــا قال الله تعـــالى : « (٢) **والملائكـــة يدخلون عليهم من كل باب • سلام عليكم بما صـــبرتم فنعم عقبى الدار** » وقـــد بين النشــــأتين وتحصيل السعادتين فى بدء المقدمة قائلا : أما النشأتان فاحداهمــــا المذكورة فى قوله تعـــالى : « (٣) **ولقد علمتم النشـــأة الأولى فلولا تذكرون** » والثــانية المذكورة فى قوله تعالى : « (٤) **ثم الله ينشىء النشـــأة الآخرة ان اللـــه على كل شىء قدير** » وأمـــا الســـعادتان

(١) من آية ٢٣ سورة النجم .
(٢) ٢٣ ، ٢٤ من سورة الرعد .
(٣) ٦٢ سورة الواقعة .
(٤) ٢٠ سورة العنكبوت .

فاحداهما المذكورة فى قوله تعالى : « (١) **أذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم** » والثانية المذكورة فى قوله تعالى : « (٢) **وأما الذين سعدوا ففى الجنة** » •

وقد بنى كتابه على ثلاثة وثلاثين بابا ، هى بحوث ، كل بحث لا يتجاوز أربع صفحات أو أقل ، وهى مما قل ودل وأرانى لا أتقيد بعنواناته ، التى جعلها فى رأس أبوابه ، فقد رأيت أن أسير حسب منطقه فأجرى حسب ترتيب ذهنه ، وكأن كتابه قصة لها بداية ونهاية •

النفس

أورد الراغب رأيين تراهما متباينين ، وهما فى الحقيقة متواصلان ، يؤديان مطلوبا واحدا الأول : معرفة الانسان نفسه قبل غيرها ، الثانى : أول ما يلزمه معرفة الله تعالى • ومن الفضيلة أن يقدم الرأى الثانى ، ولكن الحقيقه تفرض معرفة الانسان نفسه ليصل بها الى معرفة ربه ، والقرآن يقول : « (٣) **أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون** » تنبيها على أنهم لو تدبروا أنفسهم وعرفوها عرفوا بمعرفتها حقائق الموجودات فانيها وباقيها ، وعرفوا بها حقيقة السموات والأرض ، ولما أنكروا البعث الذى هو لقاء ربهم ، كما بالنفس يعرف العالم الروحانى والعالم المادى ، ويعرف أعداءه الكامنة فيها على حد قول الرسول : « لا تكلنى الى نفسى طرفة عين فأهلك » ومن عرف نفسه وقدرها نجا من الغرور والهوى والأثرة ، ومن هنا يستطيع المؤمن أن يسوسها ، ويتسنى له أن يعدل ولا يجور فى

---

(١) آية ٤٧ سورة البقرة .
(٢) الأية ١٠٨ سورة هود .
(٣) الآية ٨ من سورة الروم .

أحكامه على غيره ، ويرى عيبه قبل أن يرى عيوب الآخرين ، ويتذكر قول الرسول « رحم الله امرأ شغله عيبه عن عيوب غيره » .

ويلح الراغب على أن من عرف نفسه عرف الله تعالى ، فقد روى أنه ما أنزل الله من كتاب الا وفيه: اعرف نفسك يا انسان تعرف ربك ، وهذا معنى قوله تعالى : « (١) **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم** .. » وفى هذا الخبر ثلاث تأويلات : أحدها أن بمعرفة النفس يتوصل الى معرفة الله عز وجل ، كقولك اعرف العربية تعرف الفقه . والثانى : أنه اذا حصل معرفة النفس حصل بحصولها معرفة الله بلا فاصل ، كقولك بطلوع الشمس يحصل الضوء ، فيكون الضوء مقترنا بطلوعها غير متأخر عنها بزمان . والثالث : أن معرفة الله ليست تثبت الا أن تعرف النفس : لأنك اذا عرفتها على الحقيقة فقد عرفت العالم ، فاذا عرفت العالم عرفت أنه محدث ، وأن لابد له من محدث ، لا يشبه المحدث بوجه وذلك هو غاية معرفة الله تعالى .

ويختم حديث النفس بقول على كرم الله وجهه : « ان العقل لاقامة رسم العبودية لا لادراك الربوبية » وقول أبى بكر : « يامن غاية معرفته القصور عن معرفته » وبقول الله تعالى : « (٢) **نسوا الله فأنساهم أنفسهم** » تنبيها على أنهم لو عرفوا أنفسهم لعرفوا الله ، فلما جهلوه دل جهلهم على جهلهم اياها . والمراد من قول أبى بكر وعلى أن يكون التفكير فى مخلوقات الله لا فى ذاته ، ومن هنا كان الجهل بالنفس يؤدى الى الضلال، فمعرفة النفس فضيلة يدركها من هداهم الله اليها ، فعرفوا الخالق والمخلوقات .

موضع الانسان من الموجودات

بدأ الراغب هذه المسألة بحقيقة

---

(١) الآية ٥٣ من سورة فصلت .
(٢) الآية ١٩ من سورة الحشر .

آمن بها المؤمنون وقررها علماء الكلام ، وهو ان الله تعالى هو الواجب الوجود الذى لا سبب لوجوده بل سبب كل موجود ، وكل موجود فمنه وبه تعالى وجوده •

والموجودات عنده — ضربان : المعقولات العلوية ، والمحسوسات السفلية ، وهنا يقترب الراغب من فلسفة اليونان حين يتحدث عن العلم والعقل فيقول : ليس المراد بالعقول البشرية ، بل الاشارة به الى جوهر شريف عنه تنبعث العقول البشرية • ثم يتحدث عن الروحانيات (الملائكة) وخلق الكائنات وخلق آدم (الانسان) •

وله فى ذلك فلسفة مقبولة يحسن النظر اليها ، لأنها تدل على تأمله الطويل فى القرآن الكريم ، **فهو يجعل خلق آدم تم فى مراحل تقابله مراحل خلق أبنائه فى الرحم ، وتفصيل ذلك أن آدم (الأب) جعله الله انسانا بسبع درجات حسب ما اقتضته الحكمة جاء ذلك فى مواضع من القرآن ، فقال فى موضع خلقه من تراب اشارة الى المبدأ الأول ، وفى آخر من طين اشارة الى الجمع بين التراب والماء ، وفى آخر من حمأمسنون اشارة الى الطين المتغير بالهواء أدنى تغير ، وفى آخر من طين لازب اشارة الى الطين المستقر على حالة من الاعتدال يصلح لقبول الصورة ، وفى آخر من صلصال من حمأ مسنون اشارة الى يبسه وسماع صلصلة منه ، وفى آخر من صلصال كالفخار وهو الذى أصلح بأثر من النار فصار كالخزف ، وبهذه القوة النارية حصل فى الانسان أثر من الشيطنة • وعلى هذا دل بقوله « (١) خلق الانسان من صلصال كالفخار • وخلق الجان من مارج من نار » فنبه على أن الانسان فيه من القوة الشيطانية بقدر مافى الفخار من أثر النار ، وأن الشيطان ذاته من المارج الذى لا استقرار له • ثم نبه الله على**

---

(١) الآيتان ١٤ ، ١٥ من سورة الرحمن •

تكميل الانسان بنفخ الروح فيه فقال : « (١) أنى خالق بشراً من طين ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » فهذه سبع درجات نبه عليها كما ترى •

فماذا يقابل تلك سبع الدرجات من الأجنة فى الأرحام حسب ما جعل لآدم ؟ الجواب قال تعالى : « (٢) **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين • ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين • ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين** » وقد عد الطين منها لغذاء الانسان من نبات الأرض ، ولك أن تناقش رأيه فى النار وشيطنة الانسان ، ولكنه رأى لا يهمل حين الحديث عن انحراف الانسان حيث يغوى ويضل •

وهذا الانسان — كما يرى الراغب — له ميزات لا توجد فى غيره ، ففيه قوى العالم أجمع من مركباته وروحانياته وجسمانياته ، ومبتدعاته ومكوناته ، فهو كالمختصر من الكتاب الذى قل لفظه واستوفى معناه • ومن ثم قيل : الانسان عالم صغير ، والعالم انسان كبير ، ويستدل بقوله تعالى : « (٣) **ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة**» ولكون الانسان اجتمعت فيه قوى الموجودات صار وعاء معانى العالم ، وطينة صورته ، ومعدن آثاره ، ومجمع حقائقه ، وكأنه مركب من جمادات ، ونباتات ، وبهائم ، وسباع ، وشياطين ، وملائكة ، ولذلك تظهر فيه خصائص المذكورات ، ففيه من الجمادات الكسل ومن النبات ما يمدح وما يذم ، فهو أترج حينا ، وحنظل حينا آخر ، وهو

---

(١) ٧١ ، ٧٢ من سورة ص •
(٢) الآيات ١٢ ، ١٣ ، ١٤ من سورة المؤمنون •
(٣) ٢٨ سورة لقمان •

كالنحل فى النفع ، وكالذئب فى الضرر ، وكالثعلب فى المراوغة ، وكالشيطان فى الاغواء ، وكالملك فى الروحانية والطاعة ، وهذه القوى المجتمعة فيه لو وضعت موضعها حسب الشرع والعقل كان خليقا بتسخير الكون له ، ورفعه فيما بعد الى الملأ الأعلى .

صلاحية الانسان للدارين

أنواع الأحياء ثلاثة : نوع لدار الدنيا وهى الحيوانات ، ونوع للدار الآخرة وهو الملأ الأعلى ونوع للدارين وهو الانسان ، فالانسان واسطة بين جوهرين : وضيع وهو الحيوان ، ورفيع وهو الملك ، جمع فيه قوى العالمين ، فجعل كالحيوانات فى الشهوة البدنية والغذاء والتناسل والمنازعة وغير ذلك من أوصاف الحيوانات ، وكالملائكة فى العلم والعقل . ووجه الحكمة فى ذلك أن الله رشحه لعبادته وخلافته وعمارة أرضه ، وهيأه بجانب ذلك لمجاورته فى جنته ، فاقتضت حكمته أن يجمع له القوتين : فانه لو خلق معرى من العقل كالبهيمة لم يصلح لعبادته وخلافته ولو خلق كالملائكة معرى عن الحاجة البدنية لم يصلح لعمارة أرضه كما لم يصلح لذلك الملائكة حيث قال تعالى فى جوابهم : « (١) **انى أعلم مالا تعلمون** » وفى تنبيه على أن الانسان دنيوى وأخروى ، وأنه لم يخلق عبثا قال تعالى : « (٢) **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون** » ولذلك كان خلق العالم وما حوى المقصود من ايجاده شيئا فشيئا هو أن يوجد الانسان ، فهو الخلاصة والزبدة ورمز الكرامة . « (٣) **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** » وجعل ما سواه معونة

(١) من آية ٣٠ سورة البقرة .
(٢) المؤمنون الآية ١١٥ .
(٣) آية ٧٠ الاسراء .

له كما قال تعالى فى معرض الامتنان : : « (١) **هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا** » وبم فضله ؟ لم يفضله لقوةجسمه فكثير من الحيوانات أقوى منه وأطول أعمارا ، ولا بكثرة ذهبه وفضته فالطبيعة أغنى منه ، وأنما فضله بالعقل ، ومن ثم أخطأ ابليس حين نظر الى أصل خلقته وأنه من طين ، وفاته أن يهتدى الى معرفة خصائصه الروحية والعقلية ، وقد اقتدى الكفار به فى ردهم على الأنبياء حيث قالوا : « (٢) **ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم** » وقالوا : « (٣) **ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق** » فالميزة فيهم ليس بظاهر أبدانهم ، وانما لمعان فى نفوسهم عمى عنها الكفار ، ويقول القرآن للرسول : « (٤) **وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون** » فمن وعى هذا من الناس ووفق لما رشح له ثم سعى لرفعته فقد أوتى خيرا كثيرا ، وما يتذكر الا أولوا الألباب •

وهنا سؤال يطرح نفسه : ما الغرض من خلق الانسان ؟

الجواب حاضر عند الراغب ، يتلو عليك قوله تعالى : « (٥) **وما خلقت الجن والانس الاليعبدون** » وقوله : « (٦) **انى جاعل فى الأرض خليفة** » وقوله « (٧) **يأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله** •• » الى كثير من الآيات •

وقد خص الله مخلوقاته بأعمال يؤدونها عن طريق الالهام أو الغريزة ، وخص الانسان بأعمال تقوم على العقل والبصيرة والقصد ، ليقوم بأشياء تحتاج

---

(١) الآية ٩ من البقرة .
(٢) الآية ٢٤ من المؤمنون •
(٣) الفرقان الآية ٧ .
(٤) الأعراف الآية ١٨١ •
(٥) الآية ٥٦ سورة الذاريات .
(٦) آية ٣٠ البقرة .
(٧) الآية ١٤ الصف .

الى صـــناعة وفن وابتكـــار ، مع الانتفاع بالزمان والمكان والحركه واستخدام الأعضاء ، وجعل لكل نوع من الناس مقاما معلـــوما ، وهم فى حياتهم الدنيا متباينون ، منهم من يرتفـــع الى المعـــالى ، ومنهم من يسقط الى الحضيض ، ومنهم من يبلغ شأوا يعجز غـــيره عنه ، والى ذلك أشـــار اللـــه فى ســـوره الواقعة فقال : « **وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحـــاب الميمنـــة ما اصحاب الميمنة • وأصـــحاب المشأمة ما أصـــحاب المشـــأمة • والســـابقون الســـابقون أولئك المقربون** » وقد بين الله جزاء كل نوع فى السورة نفســـها فقـــال تعالى : « فأما ان كان من المقربين **فروح وريحان وجنة نعيم • وأما أن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين • وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم** » •

ومن طرائف الراغب الذهنيـــة أن العاصين يسعون فى نصرة الله من حيث لا يشعرون ، كفرعـــون فى التقاط موسى من اليم وتربيته وجمعه السحرة ليكون ســـببا فى ايمانهم ، وكخال اخوة يوسف منه حيث أفضى عملهم الى أن يتمـــكن يوسف من أرض مصر ، وليجـــد اسرائيل وأبناؤه مستقرا فيها •

ومن نظراته الصائبة الماعه الى تباين الناس واختلافهم ليتعاونوا ، فكل عمل يكمل الآخر ، وكل وظيفة تغنى الأخرى ويستشهد بقـــول الرسول : « لا يزال الناس بخير ما تباينوا فاذا تســـاووا هلكوا » وما نشاهده اليـــوم من تبـــادل المنافع والمعارف أجمع يـــدل على صدق نظريته •

وهو لا يترك حديث الاختلاف حتى يبين الأسباب ، ويرجعهـــا الى عوامل كثيرة ، منها : اختلاف الأمزجـــة والبيئـــة ، ويركز على اختلاف الآباء والأمهات ، ويجعل للوراثة شأنا ، وللتربية أكبر شأن ، فحق الولد على الوالد أن ينشـــأ على الآداب الشرعيـــة ، وتعويده فعل الخـــير ، وتبغيضـــه فى الشر وأهله ، يؤخذ على ذلك من الصغر

حتى يشب وتشب معه مكارم الأخلاق ، وليكون انسانا جديرا بالسعادة فى الدارين •

شجرة النبوة

الناس فى حاجة الى الرسل ، والرسل والأنبياء صنف منفرد ، ونوع واحد ، شجرتهم سامقة ، ان أمرهم واقع بين الانسان والملك ، يشاركون الملائكة فى اطلاعهم على ملكوت السموات والأرض ، ويشاركون البشر فى أحوال المطعم والمشرب ، ولا عجب فى ذلك فالمرجان حجر يشبه النبات تشدب أغصانه ، والنخل شجر ولكنه كالحيوان فى حاجته الى التلقيح •

وقد جعل الله النبوة فى ولد ابراهيم ، ومن قبله فى نوح ، كما نبه عليه بقوله :

« (١) **ولقد أرسلنا نوحا و براهيم وجلعنا فى ذريتهما النبوة والكتاب** » فهم عليهم السلام وان كانوا من حيث الصورة كالبشر ، فهم من حيث الأرواح كالملائكة ، خصوا بالقوة الروحانية • قال تعالى فى عيسى عليه السلام « (٢) **وأيدناه بروح القدس** » وقال فى محمد صلى الله عليه وسلم : « (٣) **نزل به الروح الأمين • على قلبك لتكون من المنذرين • بلسان عربى مبين** » وقد خصهم بهذا الروح ليمكنهم من الأخذ عن الملائكة لما بينهم من تناسب الأرواح ، ويلقونه الى الناس لما بينهم من خصائص البشرية ، لذلك قال تعالى : « (٤) **ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم مايلبسون** » تنبيها على أن ليس فى قوة عامة البشر الذين ليس لهم هذا الروح أن يقبلوا الا من البشر ، ولما عمى الكفار عن ادراك هذه المنزلة وعما للأنبياء من تلك الميزة أنكروا ما جاء به الأنبياء ، وقد حكى الله

(١) الحديد ٢٦ •
(٢) البقرة ٢٥٣ •
(٣) الشعراء ١٩٣ — ١٩٥ •
(٤) الأنعام ٩ •

قولهم : « (١) **قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين** » .

وعلى هذا فالأنبياء بالاضافة الى سائر البشر كالقلب بالاضافة الى سائر الجوارح ، ومنزلتهم من أممهم منزلة الشمس من القمر ، فكما أن القمر يستمد نوره من ضوء الشمس وهو قاصر عنها كذلك منزلة الأمم من أنبيائهم فلولا الشمس ما كان القمر منيرا ، ولولا الأنبياء ما عرف الناس أمور دينهم ودنياهم . وقد دل على هذا قوله تعالى : «(٢) **ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم** » فالله يزكى الأنبياء بوساطة الملائكة ، ويزكى من يشاء بوساطة الأنبياء كالطابع الذى جعل له كتابة ، ثم بوساطته يثبت فى الشموع المختلفة شكل تلك الكتابة ، وكل التمثيل من كلام الراغب .

نزعة الانسان نحو السعادة

لكل شىء كمال ينساق اليه طبعا حسب قوانين اللـه التى بثها فى خلائقه ، « (٣) **أعطى كل شىء خلقه ثم هدى** » والانسان ينزع الى كماله الى السعادة ، ويجهد فى سبيلها ، وقد أبيح له ما فى البر والبحر من نعم لا تعد ولا تحصى « (٤) **وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها** » والسعادات فى مجملها على ضربين : ضرب دائم لا يبيد وهو النعم الأخروية ، وضرب يحول ويبيد وهو النعم الدنيوية ، والنعم الدنيوية — عند الراغب — ما لم توصلنا الى السعادات الأخروية سراب بقيعة ، وغرور وفتنة وعذاب . والناس يخطئون فى فهم السعادة مع أنهم لا يذوقونها الا غرارا ، ما أقبلوا

---

(١) يس ١٥ .
(٢) البقرة ١٢٩ .
(٣) طه الآية ٥٠ .
(٤) النحل الآية ١٨ .

على لذة حتى شعروا بانقضائها ، وقد تجلب لهم السعادة لو جرت على التقوى والاحسان ، ونأت عن الاساءة والعدوان ، وكانت النية فيها رضا الله كما قال تعالى : « (١) **الذين أن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** » أما الذين أذهبوا سعادتهم بزهرة الحياة الدنيا ، وعموا عن وجه الخير فيها فأولئك هم الموصوفون بقوله تعالى : « (٢) **انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون** » والسعادة الأخروية ليس لنا تصور حقيقتها ما دمنا فى العاجلة . قال تعالى : « (٣) **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين** » وكما قال النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه : « **أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر** » .

ولم قصرنا عن تصورها ؟ واجابة الراغب أن هناك شيئين حالا بيننا وبين ادراك السعادة فى الدنيا مدارك الانسان فهو لا يتمكن من معرفة الشيء حتى يدركه بنفسه عن طريق حواسه واذا لم يدركه ووصف له كان كالأكمه توصف له المرآة ، وكذلك نحن لا ندرك اللذة الأخروية ونتصورها الا اذا طالعناها ، فاذا طالعناها شغلنا بها عن سواها ، الى ذلك أشار القرآن « (٤) **ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون** » والثانى تنوع اللذات تبعا للحواس ، فلذة العين فى النظر الى ما تستحسنه ولذة السمع فى الاستماع الى مايستطيبه ، ومثلهما الوهم والخيال ، والفكر واللمس ، وكل واحد من هذه القوى اذا عرض له آفة تعوقه عن ادراك اللذة ، فيكون الانسان كالمريض

---

(١) الحج الآية ٤١ .
(٢) التوبة الآية ٥٥ .
(٣) السجدة الآية ١٧ .
(٤) يس الآية ٥٥ .

لا يشتهى الماء وهو ظمآن ، واذا تناوله لم يجد له لذة .

واللذات الأخروية لا تدرك الا بالعقل المحض ، وأين العقول المحضة ودنيانا تغشيها بالضباب ؟ ولما أراد الله أن يقرب لنا معرفة تلك اللذات من أفهامنا ، مثلها بأنواع تدركها حواسنا ، فقال تعالى : « (١) **مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى** » ليبين لنا طيبها بما عرفناه من طيب المطاعم والمشارب وقال : « **مثل الجنه التى وعد المتقون** » ولم يقل الجنة لينبه الخاصة على أن ذلك تصوير وتمثيل .

ويرى الراغب **أنه لا** سبيل الى **السعادة الا بأحد** أمرين : أن يفارق الانسان هيكله ويخلف وراءه منزله ، أو أن يزيل قبل مفارقة الهيكل الأمراض النفسية التى تعوق عن السعادة . كما حكى عن الصحابى حارثة حيث قال للنبى : عزفت نفسى عن الدنيا فكأنى أنظر الى عرش ربى بارزا وأطلع على أهل الجنة يتزاورون وعلى أهل النار يتعاوون ، فقال له النبى : عرفت فالزم .

الزاد ليوم الميعاد

الانسان مسافر ، ومسافر الى ربه ، والسفر طويل ، ولابد له من زاد يبلغه مأمنه ، وللسفر مبدأ ومنتهى . والراغب فيما سطره جمع آدم وأبناءه فى طريق واحد مستشهدا بالقرآن من قوله تعالى : « (٢) **وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين** » وقوله تعالى : « (٣) **يأيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه** » والانسان مجبول على طلب الراحة ، والراحة طلباتها كثيرة ، وهو فى طلبها على

---

(١) آية ١٥ سورة محمد .
(٢) آية ٣٦ البقرة .
(٣) آية ٦ سورة الانشقاق .

ضربين : الذين عموا عن الطريق قالوا : « (١) **ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين** » ولو عاش الراغب فى زماننا لرأى شعوبا كثيرة تعتنق هذ المذهب ، ورأى تحقيق الراحة فى المأكل والمسكن ، وكفى بالشيوعيين مثالا ، وهؤلاء فى هم ناصب ، وعذاب واصب ، وعمى كامل عن ادراك الحقيقة ، والضرب الآخر كانت له البصيرة والبصر ، فرأوا الدنيا قنطرة الآخرة ، فأعدوا للسفر الزاد الروحانى من المعارف والحكم ، والأخلاق الحميدة ، وحولوا الماديات الى نوع من الروحانيات بتزكية المال والأخلاق ، فكان جزاؤهم قول الله فيهم « **فأما الذين سعدوا ففى الجنة** » .

والموفق فى هذه الدنيا من اذا رأى نفسه قاصرة عن الجمع بين الأمرين اهتم بما يبقى وأقل العناية بما يفنى يراعى حكم الشرع ويستضىء بنوره مصغيا الى قوله تعالى : « (٢) **يأيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور** » .

وقول رسوله : « **من كانت الدنيا أكبر همه فرق الله تعالى عليه همته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ، ومن كانت الآخرة أكبر همه جمع الله تعالى شمله وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة** » وهذا معنى قوله عز وجل :

« (٣) **من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب** » .

ويعلن الراغب أن التوفيق مرجعه الى الشرع والعقل ، ويتحدث عن العقل فيقول : ان العقل لا يهتدى الا بالشرع ، والشرع لا يتبين الا بالعقل فالعقل

---

(١) الآية ٣٧ سورة المؤمنون .
(٢) آية ٥ سورة فاطر .
(٣) الآية ٢٠ سورة الشورى .

كالاس والشرع كالبناء ، ولا يثبت بناء ما لم يكن أس ، ويذكر الشاهد والمثل فى ذلك ثم يقرر أن العقل بنفسه قليل الغناء لا يكاد يتوصل الا الى معرفة كليات الأشياء دون جزئياتها ، فلا يعرف العقل مثلا أن لحم الخنزير والدم والخمر محرم ، وأن المحارم لا تنكح ، ولأهمية الشرع قال تعالى :

« (١) وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » .

فالشرع نور ودواء وشفاء ووسيلة لنيل المآرب الفاضلة ، والحياة الآمنة والراغب ينبهنا من وراء ما يذكره عن العقل أن من يعتمدون على عقولهم فقط يضلون من حيث يريدون الهداية ، ويشقون من حيث يريدون السعادة ، ومن ثم تحدث عن العبادة .

العبادة

وعلى طريقته فى تعريف أبوابه عرف العبادة بأنها « فعل اختيارى مناف للشهوات البدنية عن نية يراد بها التقرب الى الله تعالى طاعة للشريعة » .

واستخدم المنطق فى تحليل التعريف ، وانتهى الى أن العبادة ضربان : علم وعمل وحقهما أن يتلازما لأن العلم كالأس والعمل كالبناء ، والعلم أشرفهما لكن لا يغنى بغير عمل ، ولشرفه قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم : أى الأعمال أفضل يا رسول الله ؟ فقال : العلم ، فأعاد عليه السؤال: فقال : العلم فقال الرجل فى الثالثة : أسألك عن العمل لا عن العلم ، فقال عليه السلام : عمل قليل مع العلم خير من عمل كثير مع الجهل .

والعلم ضربان : نظرى وعملى فالنظرى اذا علم كفى ، ولم يحتج الى عمل كمعرفة وحدانية الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ومعرفة السموات والأرض والعملى اذا علم لم يفن حتى يعمل

(١) أية ١٥ الاسراء .

به كمعرفة الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهـاد وبر الوالدين .
والأعمال ثلاثة أضرب ، منهـا ما يختص بالقلب ، ومنها ما يختص بالبدن ، ومنها ما يشارك فيه البدن والقلب . والعلم اذا نظر اليه وهو مكتسب فاكتسابه عمل ، واذا نظر اليه قد اكتسب وتصور فى القلب خرج فى تلك الحال عن أن يـكون عملا ، ومن وجـه آخر ضربان ، واجب وندب ، فالواجب يقال له العدل ، والندب يقال له الاحسان، ويرتب عـلى تقسـيمه الثـواب والعقاب فيقول : الفرض والعدل تحرى الانسان لما اذا عمله أثيب ، واذا تركـه عـوقب ، والنـدب والاحسان تحرى الانسان لما اذا عمله أثيب ، واذا تركه لم يعاقب ، والانصاف من العدل ، والتفضـل من البر والاحسان ، فالانصـاف هو مقابلة الخير من الخـير والشر من الشر بما يوازيه ، والتفضـل والبر مقابلة الخير بأكثر منه والشر بأقل منه ، فالاحسان والتفضـل احتياط فى العدالة والانصـاف ، ليؤمن به من وقوع خلل فيه ، مثال ذلك اذا زدت فى اعطاء ما عليـك ونقصت فى أخذ مالك فقد احتطت وأخذت بالحزم كدفع زيادة زكاة الى الفقير ، وترك ما أحل لك أن تتناول من مال اليتيم ، فالعـدالة ان كانت جميـلة فالتفضل أجمـل منها ، ولذلك قال تعـالى فيمن استوفى فتحـرى العـدالة : **« (١) ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل »** وقال سبحانه بعده : **« (٢) وأن تعفـوا أقرب للتقـوى »** وقال عز وجـل : **« (٣) ولا تنسوا الفضل بينكم »** اشـارة الى أن الاحسـان حسن والتفضـل أحسن ، والله يقول : **« للذين أحسـنوا الحسنى وزيادة »** فالانسان انمـا يكون محسنا متفضلا بعد أن يكون عـادلا منصـفا ، فـأما من ترك ما يلزمه ثم تحرى ما لا يلزمه فانه

---
(١) آية ٤١ الشورى .
(٢) الآية ٢٣٧ من سورة البقرة .
(٣) الآية ٢٦ من سورة يونس .

لا يقال له متفضل ولا يجوز تعاطى التفضل الا لمن كان مستوفيا وموفيا لنفسه • فأما الحاكم المستوفى والموفى لغيره فليس له الا تحرى العدالة والنصفة •

والانسان فى استفادة العلم وافادته ثلاثة أحوال : حال استفادة فقط ، وحال استفادة ممن فوقه وافادة لمن دونه ، وحال افادة فقط ، وقل من يستحق أن يوجد مفيدا غير مستفيد ففوق كل ذى علم عليم ، الى أن ينتهى الأمر الى علام الغيوب ، وانظر الى موقف موسى من الخضر وقوله له: « **هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا** » وجواب الهدهد لسليمان : « **أحطت بما لم تحط به** ••• » تجد أن الكبير قد يفتقر الى الصغير فى بعض العلوم، فما دام الانسان يدب على الأرض فعليه ألا يخرج عن كونه مفيدا ومستفيدا ، ورسولنا يقول : الناس عالم ومتعلم وما سواهما همج • وهذه من الراغب لمحة دالة ، وتوجيه متوهج ، يدعونا الى طلب العلم من مظانه ، وأن يكون سبيلنا التقدم وتحقيق الحضارة ، وفى عصرنا عصر التخصصات ينبغى لنا أن نسأل أهل الذكر فى العلوم الدينية والدنيوية على السواء •

عود الى العبادة

العبادة تزكية لنا ويرجع نفعها علينا فى دنيانا وأخرانا ، والله غنى عن العالمين ، ولكنه أحنى علينا من حنو الام على وحيدها ، فهو يرشدنا الى العبادة لتطهير أنفسنا بازالة الأنجاس والأمراض النفسية وكسب الطمأنينة ، وفتح أبواب الأمل نحو حياة أجمل وأفضل •

وكما أن الانسان يرتاح الى نظافة بدنه وثوبه ومكانه فكذلك ينتعش وتأخذه الأريحية اذا برىء من الجهل والشره والعجلة والشح والظلم ، جامعا بين جوانحه العلم والعدل والسخاء والوفاء ، فتكون حياته فى الدنيا ربحا موفورا ، وكسبا كثيرا ، وفرق شاسع بين من اهتدى فاطمأن ، ومن ضل فحار واضطرب • ويقول الراغب : ان

الانسان منظور مع اصلاح نفسه، وصحيح أنه مخير ، وأن الله يقول فى شأنه « (١) **انا هديناه السبيل اما شاكراً وأما كفوراً**» وأن طريق الشر أمامه كطريق الخير ، لكـنه اذا اهتدى الى الخير الفه وتعوده واذا تعوده تطبع به ، واذا تطبع به صار له طبعا وملكة واذا تمكن منه الشر فالخير فيه منظور اليـه مأمول فيه ، ولولا ذلك لبطلت فائدة الوعظ والانذار والتأديب . وتلك نظرة متفائلة منـه تدعـونا الى استخدامها فى اصلاح من غلبهـم الشر .

فضيلة الموت

ناقش الراغب منـكرى المعـاد والنشأة الآخرة ، ووصفهم بالجهل والسـفاهة ، وأن عقولهم لم تتسع لادراك خاصية الانسـان ، وهو « النظر الى العواقب » ولم يجعل الله له هـذه الخاصـية الا لأمر جعله الله له فى « العقبى » والا كان وجود هـذه القوة فيـه باطلا ، فلو لم يكن للانسان عاقبة ينتهى اليها غير هذه الحياة الدنيا لكان أخس البهائم أحسن منـه حالا . وخلص من هذا النقـاش المنطقى — وهو طويل — الى الموت وفضيلته ،وعرفه بأنه مفارقةالروح للبدن ، وهنا تظهر فضيلة الموت ، فبه يصل الانسـان الى النعيم الأبدى : انه انتقـال من دار الى دار ، فهو وان كان فى الظاهر فناء فهو فى الحقيقة ولادة ثانية ، ولادة سابقة ، فمن شرط كمال الانسان أن يفارق هيكله ، ليكون مهيأ لحياة أشرف وأرفع ، وقد سماه اللـه توفيا وامساكا عنده ، فقال تعالى : « (٢) **اللـه يتـوفى الأنفس حين موتهـا والتى لم تمت فى منامهـا فيمسـك التى قضى عليهـا الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى** » ولهذا تقول العرب : استأثر اللـه بفلان ، ولحق بالله ونحـو ذلك ، ولذلك أحب الموت من آمنوا ووثقوا

---

(١) آية ٣ الانسان .
(٢) الآية ٤٢ الزمر .

بمقعدهم الكريم عند ربهم وكرهه من كفروا وعصوا ومن خافوا ذنوبهم . والرسول يقول : « **من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه** » ولولا الموت ما وصلنا الى الجنة التى وعد بها المتقون ، فقد من الله به على الانسان فقال : « **الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا** » فقدم الموت على الحياة تنبيها على أنه الموصل الى الحياة الحقيقية ، وعده علينا فى نعمه فقال: « (١) **وكنتم امواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم** » فجعل الموت انعاما ، لأنه لما كانت الحياة الأخروية لا وصول اليها الا بالموت كان الموت نعمة ، لأن السبب الموصل الى النعمة نعمة ، ولذلك أحبه الأنبياء والأولياء والصالحون وكانوا يتوقعونه ويرون أنهم فى حبس فينتظرون المبشر باطلاقهم وفى هذا روى : « **الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر** » .

وما الموت الا نقض للبنية لاعادتها على وجه أشرف كالنوى المغروس الذى لا يصير نخلا مثمرا الا بعد افساد جثته ، وهكذا الانسان بخروج روحه من جسده يصلح لحياة أشرف وأبهج وأبقى وأسعد .

وبعد

فان ما قدمته لك من هذا الكتاب قل من كثر ، ولكنها سبحات فى أضواء من المعرفة التى تستمد نورها من كتاب الله وسنة رسوله ، وأرانى قد أبحت لنفسى استخدام أسلوب العصر الا فى الموضوعات التى استخدم فيها منطقه، وأساليبه القائمة على التعليل والتفصيل بعد الاجمال وأسلوب الكتاب علمى متأدب ، فيه الاصطلاحات العلمية وهى يسيرة بجانب الأساليب التى يخفق فيها قلبه وتتوهج فيها مشاعره ، ولأنه يبنى معلوماته على حقائق أكثر من الاستشهاد بآيات كثيرة من القرآن الكريم ، ولم

---

(١) الآية ٢ سورة الملك .
(٢) ٢٨ البقرة .

يهمل الاستعانة بالأحاديث النبوية، ولم يذكر من أقــوال الصــحابة الا أقوال على كرم الله وجهــه ، وقول واحد لأبى بكر رضى الله عنه وأغلب الظن أن لعلى قدما ثابتــة فيما هو بصدده فلذا تمثل بقــوله مرة ومرة ، ولا تظن أن الرجــل شيعى ، بل هو سنى من قمة رأسه الى أخمص قدمه ، ومنهجه كمــا رأيت مبنى على تسلسل الأفكار ، وترابط الموضوعات ، ممــا دفعنى الى تناوله تناولا يسير على منهج القصة التى تسلمك من منظر الى منظر ، راجيا لك أن يلقى منــك قبولا ، ونفعا وسعادة فى الدارين .

وكتاب « تفصيل النشــأتين وتحصيل السعادتين » فى حاجة الى طبعة جديدة أنيقة محققة ، حتى يستقر فى أيدى القراء ، فيرتفع بهم عن أو ضار الحياة الى مناط الملأ الأعلى . والله الموفق للصواب .

السيد حسن قرون

* * *

شخصية فى سطور

بقلم سعيد عبد الحى

نسبه الطاهر : هو الحسن بن على بن ابى طـــالب الهاشمى القـــرشى

مولده • ولد رضى الله عنـــه فى منتصف شهر رمضان من العـــام الثالث الهجرى بالمدينة المنورة •

تسميته رضى الله عنه • ســــماه والده (حربا) وسماه جده حسن• وهذا الأســــم لم يكن معـــروفا فى الجاهلية وكناه أبا محمد •

وانشرح صدر فاطمة بوليـــدها الأول فجعلت ترقصه وتقول :

أشـــبه اباك يا حســـــن
واخلع عن الحـــق الزمن
واعبـــد الهـــــا ذامـــن
ولا تـــوالى ذا الأجـــــن

حب الرســـول لحفيـــده • رأى المسلمون حب الرسول الشديد له فسألوه عن ذلك الحب الشــــديد فقال : « ان هذا ريحانتى وان هذا ابنى سيد وعسى الله ان يصلح به بين فئتين من المسلمين » •

خلافته رضى الله عنه بويع لـــه بالخـــــلافه مـــن أهـــــل العراق بعد مقتل أبيه سنة ٤٠ هـ ــ فبلغ معاوية خبره فقصده بجيشـــه فى موضع بقال له « مسكن » فهال الحسن ان يقتل المســـلمون فكتب الى معاوية يشترط شروطا للصلح ووافق معاوية فخلع الحسن نفسه من الخلافة وسلم الامر لمعـــاويه سنة ٤١ هـــ • وفاته توفى ســـنة ٤٨ هــ على الصحيح •

سعيد عبد الحى

هكذا يكتب القراء

إعداد عبد العزيز احمد جبرة

« شباب الاسلام »

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ جمال بشطر محمد قائلا :

ان الشباب هم أشبال الحاضر ورجال المستقبل وقواده بهم تنهض الشعوب وقد حظى بهم الاسلام لانه ينشأ ليطبق ما تعلم ليساير ركب الحياة الذى لا يتوقف حيث أراد الله واستشهد الكاتب فى كلامه بقصة سيدنا يوسف عليه السلام وحكايته مع امرأة العزيز وكان ذلك فى شبابه فاعتصم بالله وابتعد عن الفاحشة رغم نشوة الشباب ثم ننظر الى سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شبابه كان مثلا يقتدى به ونبراسا يهتدى به فقد ابتعد عن الهوى واللهو والمجون واختار لنفسه (صلى الله عليه وسلم) الطريق الصحيح فلا يمرح أو يمزح كما يفعل شباب قومه وفتيانهم ولكنه كان يذهب بعيدا ليفكر فى هذا الكون ومابه من عجائب وبدائع أبدعها الله سبحانه وتعالى ويرى الكاتب أن الانسان حينما يمضى شبابه فى طاعة الله والبعد عن معصيته فقد أغتنم فرصة كبيرة بخلاف غيره من الشباب يظل فى لهوه ولعبه حتى يأتيه المشيب وينحنى ظهره فيلجأ الى الله فأى الفريقين أقرب الى رحمة الله ، ولذلك قال رسول الله (ص) **لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين أكتسبه وفيما أنفقه ، ومن هنا**

كان لرسول الله الشخصية القوية الصادقة الأمينة التى شـــهد لها الأعداء قبل الأهل والأصدقاء وكان قدوة حسنة لمن كان يرجــو اللــه واليوم الآخر •

« بداية الطريق الى اللــه »

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ أحمد مهران موسى يقول :

ان الحق سبحانه وتعالى قــال على لسان سيدنا نوح عليه السلام: **« فقلت اســتغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا »** صــدق الله العظيم ان سيدنا نوح عليــه السلام أمر قومه بالاستغفار مــن الذنوب وعبادة الواحد الديان لأنه هو بداية الطريق الذى يصل بــه العبد الى ربه ليكفر عن ذنوبه وما أقترف فى ماضيه من الذنــــوب والمعاصى وان للاستغفار فوائــد عظيمة فهو تطهـــير للانســـان من الذنـــوب ونــــدم عــلى ما ارتكبه من خطيئة وهو يخــرج العبد من كل ضــيق وهــم وكرب مادام ملازما عليه لقوله ســـيدنا رســول اللــه (ص) مــن لازم الاستغفار وداوم عليه آتاه اللــه من كل ضـــيق فرجـــا ومن كـــل هم مخرجا ومن فوائــد الاستغفار أيضا نزول الغيث وكثرة الاموال والاولاد والجنان والانهار التى هى قوام البشر وحيـــاتهم ولذلك عندما جاء رجل الى سيدنا عمر يسأله قلة المال وآخر قلـــة العيال وثالث قلة المطر فقال للجميع أستغفروا الله فتعجب الحاضرون فتلى قوله تعالى **« فقلت أستغفروا ربكم الى قوله تعــالى ويجعل لكم أنهارا »** ويتحدث الكاتب عن التوبة قائلا أنها الرجوع عن الذنب والكف عن المعصية والاسترشاد الى الهدى ومنبع النور واخــلاص من القلب حتى تتصل أعمال العبد بربه لأنه الله طيب لا يقبل الا طيبا والتوبة عندما تكون صادقة وخالصة للــه تمحو ما قبلهــا من ذنوب وآثام فعلى الانسان أن يستغفر اللهدائما ويتوب من ذنوبه ويندم على ماسبق منه من عمل مخالف لأوامر اللــه ونواهيه حتى يحظى برضا الله عليه ويكون من الفائزين •

عبد العزيز أحمد جبره

الفتـــاوى

إعداد الأستاذ عبد الحميد شاهين

ويجب عليها فضيلة الشـــيخ عبد الله المشد رئيس لجنة الفتوى بالأزهر ..

السؤال الاول :

« اللحوم المستوردة »

ردا على ما جاء بمجلة النهضة بالعدد رقم ١١٧ لســنة ١٩٨٠ م الصادر بسلطنة عمان على لسان الشــيخ حسن عبيدو ، والمتضمن ما نقل اليه من جهات عدة عن كيفية ذبح الدجاج واللحوم المستوردةمن بلاد أهل الكتاب وما حكم به فى هذه المجلة بحرمة أكلهـا على المسلمين عامة .

نفيد أنه لبيان الحكم الشرعى :

نرى أن الذبح اما أن يكــون عن مشاهدة الآكل وحضوره وامـا أن يكون فى غيبة منه ، فان كان عن مشاهدته وجب لحل آكله منه أن يكون الذبح مستكملا لشروطه من قطع الحلقوم والاوداج بما ينهر الدم غير السن والظفر عند القدرة عليه سواء أكان ذابحة مسلما أم يهوديا أم نصرانيا لاطلاق قــول الله تعالى فى أهــل الكتـــــاب « **وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم** » فقـــد اتفق جمهور علماء المسلمين على أن المراد من الطعام هنــا ما ذكوه لا ما أكلوه لانهم يأكلون الخنزير والميتة والدم ولا يحل لنا من ذلك شىء باجماع ، أما اذا لم تستكمل الذبيحة شروط الذبح بيد مسلم أو كتابى فلا يحل لمن شاهـــد

ذبحها حينئذ من المسلمين أن يأكل منها لانها ميتة لفقدانها شرطا أو شروطا من شروط الحل .

فان ذبحت الذبيحة فى غيبة المسلم بيد مسلم أو كتابى أبيح للمسلم الأكل منها دون المتحقق من استيفاء الذبيحة لشروط الذبح لان الاصل فى الاشياء الحل والاباحة لقوله تعالى «**هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا**» وقد أشار الى ذلك ابن رشد فى بداية المجتهد وابن حزم فى كتابه المحلى فقالا «كل ما غاب عنا مما ذكاه مسلم فاسق أو جاهل أو كتابى فحلال أكله وقد استدلا لذلك بما روى من طريق البخارى قال حدثنا محمد بن عبد الله أبو ثابت حدثنا أسامة بن حفص عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين «**أن قوما قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم**» أن قوما يأتوننا باللحم لا ندرى أذكروا اسم الله عليه أم لا فقال عليه السلام «**سموا الله أنتم وكلوا**» .

وجاء فى الخبر المشهور من طريق شعبة عن هشام بن زيد عن أنس ابن مالك «أن يهودية أهدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاة أو ذراعا فأكل منها» ولم يثبت أنه عليه الصلاة والسلام سأل عن كيفية ذبحها .

وعليه فمن شاهد مخالفة لشروط الذبح فى الذبيحة حرم عليه أكل شىء منها أما من لم ير مخالفة لشروط الذبح فى الذبيحة لانها ذبحت فى غيبة منه فانه يحل له الاكل منها لاطلاق قوله تعالى: «**وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم**» حتى لا يرتفع حكم آية التحليل جملة ولان الحرام ما ثبت حرمته بيقين ولان «الدين يسر ولن يشاد أحد الا غلبه» «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» وقد ورد فى البخارى «أعظم المسلمين فى المسلمين جرما من سأل عن شىء لم يحرم على المسلمين فحرم من أجل مسألته» .

السؤال الثانى :

«زكاة العقار»

السؤال من السيد/عبد الوهاب يوسف التاجورى يقول فيه :

١ — فى أواخر سنة ١٩٧١

اشترينا قطعة أرض لبناء عمارة سكنية فوقها .

٢ ــ فى أوائل سنة ١٩٧٣ شرعنا فى البناء مع فكرة تمليك الشقق .

٣ ــ وكان تمويل البناء من (أ) قرض من أحد البنوك (ب) مقدم ثمن بيع بعض الشقق . (جـ) بيع الجزء الخلفى من الارض .

٤ ــ فى يوليو سنة ١٩٨٠ سلم الجزء الاول من الشقق المباعة ، وبقية الشقق جاهزة للبيع .

٥ ــ اشترينا من ناتج الشقق قطعة أرض بهدف اقامة مبنى للتمليك ــ أو للايجار .

٦ ــ اشترينا قطعة أرض بهدف استعمالها كلها مخازن للتجارة الخاصة بنا ، أو بيع جزء منها بعد استيفاء أرض المخازن ــ الاسئلة .

والمطلوب معرفة الأشياء التى تجب فيها الزكاة ومقدارها ــ ومتى تجب .

وما حكم الزكاة فى الارض يوم أن كانت مخصصة لبناء عمارة سكنية بالايجار .

ثم بالنسبة لها بعد أن خصص البناء للتمليك وأصبح من عروض التجارة ، والارض الفضاء المعدة للبيع ، المال المستعمل فى البناء والارباح الناتجة والشقق المجهزة للبيع وكيف يقدر ثمن الارض وثمن الشقق أعلى ثمن المشترى أم على الثمن الحالى .

وما الحكم بالنسبة للقروض والمصاريف الشخصية له وللاسرة والمبالغ التى تدفع لهيئة التأمينات ومصلحة الضرائب وتكاليف انشاء مسجد من أرض وبناء مستوصف خيرى لمعالجة الفقراء .

الجــــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأن الزكاة **لا تجب** على الارض الفضاء المعدة لبناء عمارة سكنية عليها . وكذلك التى تهيأ لبناء مخازن للتجارة .

أما الارض الفضاء المعدة للتجارة **فانها من عروض التجارة التى تجب فيها الزكاة** وذلك ابتداء من نية التجارة فيها . وكذلك

الارض التى بنيت عليها الشقق للتمليك من يوم أن قامت الفكرة لبناء شقق التمليك اذ أنها أصبحت من عروض التجارة •

والمطلوب فى الزكاة أن تقوم الارض المعدة للتجارة **وكذلك شقق التمليك بما لها من أرض بعد سنة هجرية من بدء الفكرة** — ويكون التقويم كل عام بالسعر **الواقعى لكل عام** الشقق والارض لا بسعر المشترى • ويضاف الى قيمة كل ذلك ما يكون مع المالك من أموال سائلة وقيمة سندات مملوكة وديون له مضمونة على الغير للمالك ، ومن المجموع يخصم المصاريف الشخصية له ولاسرته وما تأخذه التأمينات والضرائب والقروض ثم ما فضل تجب فيه الزكاة يستوى فى ذلك **رأس المال والربح** ، والواجب اخراجه للزكاة هو ربع العشر (٢٫٥٪) أما الارض التى تبنى عليها عمارة سكنية للايجار فان ايراد العمارة يضاف الى مال الانسان من أموال سائلة ومستندات ديون له على الغير مضمونة التحصيل وتخرج الزكاة كل عام بالنسبة المتقدمة بعد خصم ما عليه من قروض ومصاريف وتأمينات وضرائب •

ويجوز المساهمة فى بناء المساجد، والملاجىء والمشافى ببعض الزكاة لا كلها • وكذلك المستوصفات الخيرية لانه صرف فى سبيل الله •

عبد الحميد شاهين

قالت الصّحف

إعداد عاطف زهران

ما هو موقف الاسلام من تغير الأحوال فى هذا العالم ٠

نشرت مجلة « المسلم المعاصر التى تصدر ببيروت » فى عـــــددها الثانى والعشرين افتتاحية جاء فيها :

هل يعتبر الاسلام التغير ظاهرة من ظواهر النمو والتقدم البشرى ، أم يعتبره انحرافا عن سنن الأولين ؟

المتتبع لآيات القرآن ومناقشته لقضية التغير على مدى التاريخ ، يجد أن التغير هو الأصل فى الحياة فيزيائيا وبيولوجيا واجتماعيا وتاريخيا وان مقياس الحكم على التغير لا يتعلق بمبدأ التغير ذاته ، وانما باتجـــاه التغير ومدى التزامه أو ابتعاده عن قيم الحق والخير والجمال ٠

فالاسلام يدعو الى التغير اذا كان الواقع بعيدا عن هذه القيم ٠ وهو يدفع عجلة الحياة باستمرار فى اتجاه الرقى بالفرد والمجتمع نحو المثل التى تظل دائما مصباح الهداية ، ويظل التغيير بالاقتراب منهـــا مقياسا للنمو والتقدم البشرى ٠

هذا الموقف الاسلامى من التغيير ليس قاصرا على القيم العقيـــدية والخلقية فحسب ، ولكنه شامل لجميع القيم الاقتصـــادية والاجتماعية والسياسية والدولية ٠ ومن هنا كان المسلمون ومازالوا فى طليعة الحركات الاصلاحية فى كل زمان ومكان ٠٠

امـــال

مجلة منار الاسلام التى تصدر فى أبو ظبى ذكرت فى عددها الصادر فى صفر ١٤٠١ هـ افتتاحية • نقتطف منهـا الكلمـات التاليـة : الوحـدة الاسلامية أمل يراود كل قلب مسلم ، والمحاولات التى قامت وتقـوم للوحدة فى العالم الاسلامى لاترتكز على ايديولوجية الاسلام ،بل اعتمدت على غيره من الأيديوجيات •

ومن ثم فشلت • وفشلها ليس فشلا للاسلام ، ولكنه يكون مسئولا اذا اتخذ منهج وحدة وضابط فكرة ، ولا بأس أبدا بأن تكون معه روافد أخرى من اللغة والأرض والتاريخ والمصلحة ، فانها معينة غير مثبطة ، وانها أيضا مقوية منشطة • ولا نكون مسرفين فى الآمال لو تصورنا قيام وحدة شاملة لهذه الرقعة الشاسعة من الأرض ، ولايكفى فى الاصـلاح الاسلامى الآن أن يعيش المسلمون واقعا ثقافيا واقتصاديا متوجدا • بل لابد من بناء دولة الاسلام التى نعم بها المسلمون فى القـرن الأول من تخوم الصين شرقا الى جبال البرينية فى جنوب فرنسا غربا ، فى وقت لم تكن فيه وسائل الاتصال بالشكل الذى يحظى به عالم اليوم •

الحكمة ضالة المؤمن

صحيفة الرائد الهندية تذكر فى عددها السابع والثامن من سـنتها الثانية والعشرين كلمة للكاتب الاستاذ محمد واضح رشيد الندوى جـاء فيها ، لعل أكبر اعتداء على التاريخ وأكبر تضليل وتشـويه للواقع هو القول بوجود التزمت والتحجر فى المسلمين رغم أن التاريخ الاسـلامى فى جميع عصوره خال من الاكراه والاستبداد الفكرى ، على أساس الدين أو التحيز على أساس عنصر أو جنس أو لون • فبينما يقدم التاريخ أمثلة لمشاركة المماليك فى الحكم بكل حماس واخلاص ، يقدم أمثلة لمشـاركة الموالى فى النهضة العلمية •

لقد ظل المسلمون فى سائر عصورهم يتبادلون التجارب والحكمة فى كل ميدان ، ويقتنون ما طاب وراق من سائر المصادر ، بغض النظر عن العقيدة الدينية • ووصل بسبب هذا التسامح والتوسع وحرية الفكر والحرص على توسيع المعرفة عدد من رجال العلم والأدب من غير المسلمين الى مناصب عالية • وكان هؤلاء العلماء يتمتعون بحرية تامة فى نشر علومهم وافكارهم • وقد استدعى الخلفاء والحكام المسلمون علماء من اليونان والهند ، وبلاد فارس ، لنشر العلم ، ونقل العلوم بدون أن يكرهوهم على تغيير عقيدتهم أو فرض قيود على تحركاتهم وانتقالاتهم والتقاءهم بالمسلمين • فاستفاد المسلمون من ثمار النهضة العلمية والعقلية التى كانت بلاد الروم والفرس قد وصلتا اليها • ثم وسعوا نطاق هذه العلوم ، وأقاموا بجهود مشتركة من العلماء من مختلف الجنسيات صرحا جديدا للعلم والفن والأدب •

وقد تأثرت الحركات العلمية والمذاهب الفكرية فى التاريخ من الفكر الذى حمله العلماء من مختلف الجنسيات بقدر احتكاكها واتصالها بهم مع الاحتفاظ بجوهر العقيدة الاسلامية • وكان هذا الالتقاء والتلقيح العلمى والفكرى ميزة للحياة الاسلامية فى سائر عصورها •

نحو معايشة صادقة

ذكرت مجلة (الضياء الاسلامية) التى تصدر فى دبى كل شهرين كلمة افتتاح من عددها السابع من السنة الثانية جاء فيها : جهود كبيرة تبذل من الجميع لتحقيق تعايش صادق تعيش فى ظله أمم الأرض لتنعم بالأمن والسلام والاستقرار • بدأ الانسان سيره نحو ذلك الهدف منذ بدء الخليقة ، وناضل لأجل ذلك مخترقا معوقات الجهل وحماقات الغرائز التى تدفعه نحو الفتن والشجار •

وأنزل الله عليه الكتب السماوية التى ترسم له الطريق الى تهذيب النفس والمجموعة • وأرسل اليهم الرسل والأنبياء والمصلحين ليقولوا

ويقودوا الركب ، ويحدوا الانسانية الى تعايش صـــادق ، وسار الركب نحو المسعى النبيل ، وعمل جاهــدا وتحت كل الظروف رخاءا كانت أم شدة ، ثراء أم فقرا ، قوة كانت أم ضعفا ، ساعيا نحو هدفه ، ومع تقدم المساعى ورغم طول المسيرة الانسانية ، ورغم تقدم المعارف ، فقد ظلت روح الشرور تعمل بجانب روح الخير • وهذه هى المناقشات الفردية تســـــمع فى كل بيت وفى كل ناد ، والمؤتمرات الصغرى والكبرى تنعقد وتنفض والدعاة فى كل مكان يتكلمون ويبشرون وينذرون ، الجمـــــوع البشرية تنظر الى أممها بين اليأس والرجاء وجاءت عصبة الأمم وما هى الا ســـنوات حتى أطاحت بها قوى الشر واندلعت حرب ضروس ظلت سنوات تأكل الشباب والرجال بل والنساء والأطفال ، وتحيل عمران الأرض خرابا ، وتجعل عاليها ســــافلها • حتى اذا ما وضعت الحرب أوزارها تعالت الأصوات هنا وهناك : أن أفيقوا واجمعوا أمركم على تعايش سلمى يهنأ فى ظله الانسان ، وقامت الامم المتحدة ومؤسساتها الكثيرة التى شملت جميع جوانب البناء والاقتصاد والعمران • وهدفها الأكبر العيش فى سلام لينعم الجميع بالهدوء والسلام والاستقرار •

ولأن التاريخ لم يحتفظ فى ســـــجلاته بأن أمة من الأمم احتفظت بمجدها من بدايته وحتى نهايته كاملا غير منقوص ولم يخبرنا بأن دولة قد احتلت مركز القوة الى الأبد ، ولم يحدثنا عن فقر استمر مخيما طوال القرون على مدينة أو قطر بل ينبئنـــا دائما بأن الأمم والدويلات كانت ولاتزال تتأرجح بين الغنى والفقر والقوة والضعف والهزيمة والانتصار فاذا كان كذلك فلم الاستبداد ؟ ولم العنصرية ؟ ولم الأنانية القاتلة ؟ ولم الثأر المضاعف ؟ انه انتقام يخبىء له القدر انتقامين ، وغدر يرصد له الغدر غدرين • لن يفلت الظالم • ولن يهزم المظلوم • تلك هى القاعدة الثابتـــة والتى تبرز ولو بعد مئات السنين • اذن لابد من التعايش الانســـانى العادل •

عاطف زهران

أخبار العالم الإسلامي

إعداد أحمد عبد الرحيم السايح

ـــ سافر فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر الى المملكة العربية السعودية خلال الشهر الماضى لاختيار الفائزين فى جائزة الملك فيصل العالمية ، وقد التقى فضيلته فى المدينة المنورة بالامير عبد المحسن بن عبد العزيز أمير منطقة المدينة كما التقى بعلماء وأساتذة الجامعة الاسلامية فى المدينة .

ـــ تمكنت اللجنة الاستشارية الأولى للمشاريع المشتركة بين الدول الاسلامية من تحديد الخطوات العملية لانشاء السوق الاسلامية المشتركة .

ـــ يعقد بالخرطوم فى مارس القادم بمشيئة الله المؤتمر العالمى للدعوة الاسلامية وستوجه الدعوة للمفكرين والعلماء من مختلف أنحاء العالم لحضور المؤتمر .

ـــ تدرس الحكومة الألمانية الطلب المقدم من الاتحاد الاسلامى العربى التركى فى المانيا الغربية المتضمن اعتراف المانيا الرسمى بالدين الاسلامى .

ـــ يعتزم الاتحاد الاسلامى العربى التركى فى المانيا الغربية اصدار صحيفة اسلامية « الاسلام » وستصدر الصحيفة فى ثلاث لغات هى العربية والتركية والألمانية .

ـــ تقرر الزام طالبات المدارس بدولة الامارات العربية المتحدة بجميع مراحل التعليم بارتداء الزى الاسلامى .

ـ افتتح مؤخرا فى مدينة (نورث هانلى) الكندية أول مركز للدراسات الاسلامية ٠ وفى مدينة شيكاغو بالولايات المتحدة ٠

ـــ كما تم افتتاح جامعة الشرق والغرب للدراسات الاسلامية ٠

ـــ تبرعت الحكومة الدانمركية بقطعة أرض مساحتها ٢٧ ألف متر للجالية الاسلامية فى كوبنهاجن لانشاء مركز اسلامى ثقافى عليها ٠

ـــ صدر الجزء الأول من الموسوعة الفقهية عن وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت ٠ والجزء الأول يشتمل على قسم كبير من حرف الألف بدءا من مصطلح أئمة حتى مصطلح ((اجزاء)) ٠

ـــ وصفت صحيفة (ناواى وقت) الباكستانية الدعوة الى قيام محكمــة عدل اسلامية ٠ بأنها خطوة عملية وجادة ٠

ـــ فى شهر فبراير سيقام معرض متنقل للكتاب الاسلامى فى دول الخليج الاسلامى ٠ تشارك فيه الدول الاسلامية ٠

ـــ ٢٥٠ ألف مسلم فى اســـتراليا من بينهم ٧٠ ألف مصرى يطالبون من القاهرة كل تســـجيلات الشيخ محمد متولى الشــــعراوى ، وبرامج اســــلامية ٠

ـــ وافق رئيس جمهورية (سيرى لانكا) على تأسيس ادارة للشـــئون الدينية والثقافية والأوقاف فى سيرى لانكا ٠

ـــ عقد المركز الاسلامى فى مدينة سيونيخ مؤتمره السنوى العــــــام لمناقشة الامور التى تهم الجالية الاسلامية فى ألمانيا الغربية ٠

ـــ تقرر أنشاء كلية اسلامية للمعلمين فى شيكاغو بالولايات المتحـــــدة الامريكية ٠

ـــ احيل مشروع حد السرقة الى مجلس الشعب السودانى لدراســـته واجـــازته ٠

ــ أكد المدعى العام للجمهورية الموريتانية بأن عمليات الاجرام والسرقة قد انخفضت وفى طريقها الى الانحسار بعد أن طبقت أحكام الشريعة الاســــلامية ٠

ــ تبدأ فى مدينة «سبر نجفيلد» بولاية الينوى بالولايات المتحـــدة الأمريكية اجتماعات المؤتمر السنوى الثالث لرابطة الشــباب المسلم العربى بأمريكا الشمالية ٠

ــ تقوم الجمعية الاسلامية فى «غويانا» وجزر الكاريبى ببناء مشروعين اسلاميين أحدهما جامع والآخر كلية ٠

ــ تم طبع خمسة ألاف نسخة من معانى القــــرآن الكــــريم باللغــة النرويجية حيث يعيش فى النرويج ٢٠ ألف مسلم ٠

ــ تصدر قريبا بالصين النسخة الكاملة لترجمة معانى القرآن الكــريم للاستاذ محمد مكين المدرس بجامعة بكين ٠

ــ تم بمدينة «ترور» بالهند تأسيس جمعية أســــلامية تحت اسم «جمعية الدعوة الاسلامية» وتهدف الى نشر رسالة الاسلام ٠

ــ يقوم معهد بندونج للتكنولوجيا باصـــدار مجلة شهرية تهتم بالثقافة الاسلامية وتشرف على تغطية النشـــاطات الدينية فى اندونســــيا بشـــكل عـــام ٠

ــ نشرت مجلة (كوريا اسلام هيرالد) أن قرية «سانق ريونق» الواقعة فى مقاطعة كيونق فى كوريا قد اعتنقت الاسلام وعدد افرادها ٦٣١ شخصا واصبح اسم القرية هو القرية الاسلامية ٠

ــ عقد فى مكة والطائف خلال الشهر الماضى مؤتمر للقمة الاســـلامية ناقش فيه ملوك ورؤساء العالم الاسلامى قضايا القدس وفلسطين خاصـــــة ٠

أحمد عبد الرحيم السايح

اخى الكاتب .. والقارىء

تهتم المجلة بمعالجة الموضوعات الآتية :

* الموضـــــوعات التى تعالج موقف الدين من التيارات المادية الالحادية المعاصرة ، كموقف الاســـــلام من الماركســـية والوجودية ، ومذاهب المنفعة وغيرها من التيارات التى تتنازع شــــبابنا المعاصر .

* الموضوعات التى تعالج مشكلات الشباب المتعددة من نواحيها النفسية والاجتماعية وعلاج الدين لهذه المشكلات .

* الموضوعات التى تعالج النظرية الاقتصادية الاسلامية وتبحث عن حلول المشكلات الاقتصادية والرأسمالية والماركسية وتعمل على تأصيل الاقتصاد الاسلامى .

* الموضـــــوعات التى تعالج بعض العادات والتقاليـــد الاجتماعية التى تتنافى مع المبادىء والقيم الاسلامية نحو تكوين مجتمع اسلامى افضل .

* الموضوعات التى تقارن بين الاســـــلام وتشريعاته والتشريعات والقوانين الوضعية فى سبيل ابراز أفضلية التشريع الاسلامى على هذه التشريعات البشرية .

فهـــرس العـــدد

الموضوع	صفحة
● كلمة فضيلة الامام الأكبر بمناسبة تطـــوير مجلة الأزهر . . .	٦٥٨
● الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر	٦٥٩
● حديث الشـــهر	٦٦٠
● الاسلام والعالم الحديث بقلم رئيس التحـــرير	٦٦١
دراسات قرآنية	
● مع آيات خلق الانسان فى القرآن للدكتـــور محمد محمد خليفـــة	٦٤٤
● وجه الدلالة فى البيان للدكتور محمـــــد أبو موسى	٦٧٥
● اللغة والمجتمع للدكتور عبد الغفار حامد هلال	٦٨٢
تشريع اسلامى	
● التهجم على الافتاء للدكتور محمـــــد رجب البيومى	٦٩٨
● مصادر التشريع الاسلامى للأستاذ محمد صابر البرديسى	٧٠٥
أعـــلام الاســـلام	
● صفحة خالدة من التضحية والفداء للدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر . . .	٧١٤
● أئمة الحديث النبوى من العلماء التابعين وتابعيهم للدكتور الحسينى هاشم الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية	٧٢١
● عبد الوهاب عزام أديب الاسلام للأستاذ محفـــوظ عزام	٧٢٨
● طرائف ... ومواقف اعداد عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٧٣٥

الموضوع **صفحة**

من حضارة الاسلام

● الايمان ضرورة نفسية
للدكتور محمد سيد أحمد المسير ٧٤٠

● الماركسية الصنم الذى يتحطم
للدكتور عبـــد الغنى الراجحى ٧٤٦

● حركة ترجمة الفكر الغربى الى العربية
بقلم أنور الجندى ٧٥٤

● لماذا يرفض الاسلام الماركسية ؟
للأستاذ مجدى عبد الفتاح ٧٦٣

● استقلال الشخصية الاسلامية
للدكتور أحمد عمــر هاشم ٧٧٦

● هل ضاع من قدمى الطريق أو عز فى سيرى الرفيق ؟
للدكتور محمــد كمال جعفر ٧٨١

● كتـــاب الشــــهر
عرض الأستاذ/الســيد حسن [illegible] ٧٨٧

● شخصية فى سطور
بقلم ســعيد عبد الحى . . ٨٠٨

● هكذا يكتب القراء
اعداد عبد العزيز أحمــد جبرة . . ٨٠٩

● الفتـــــاوى
اعداد الأســتاذ/عبد الحميد شاهين ٨١١

● قالت الصحف
اعــداد عاطف زهران ٨١٥

● أخبار العالم الاسلامى
اعداد أحمد عبد الرحيم السايح ٨١٩

طبع بمطابع مؤسسة روزاليوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

« كلمة التحرير »

هناك أشياء كثيرة نريد أن نقولها للقارىء فى هذا الحيز الضيق المخصص لهذه الكلمة ولسنا ندرى بأى شىء نبدأ أو ماذا نقدم .

فهناك ملحق أسبوعى (مجلة كاملة) سيصدر نصف شهرى مؤقتا بأسم « رسالة الازهر » تواكب تطور الفكر وتوالى القارىء المسلم بالتوجيه فى مشكلاتنا اليومية .

وهناك مناسبة أخرى تستحق التنويه ، وهى أن هذا العدد الذى بين يديك عزيزى القارىء لم يصدر منذ أكثر من نصف قرن لأن مجلة الأزهر كانت تصدر عشرة اعداد فقط كل عام ، ولكن ابتداء من هذا العدد ستصدر شهريا على مدار العام .

وهناك أشياء أخرى سنقولها فيما بعد ..

التحرير

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

فى أول كل شهر عربى

○ ◯ ○

العنوان ، إدارة الأزهر بالقاهرة

تليفون : ٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

● ● ● ● ●

رئيس التحرير

د. عبد المعطى محمد بيومى

مدير الإدارة

محمد صابر البرديسى

صورة الغلاف

مشربية قديمة تظهر منها بعض آثار ومساجد مصر الاسلامية

الجزء الخامس ـ السنة الثالثة والخمسون ـ جمادى الاولى ١٤٠١ هـ ـ مارس ١٩٨١ م

حديث الشهر

قوة الإسلام المتجددة : لماذا ؟

ظن بعض الناس أن التطور العالمى بما حفل به من تغـيرات ، وازدياد فى الثروة سيؤثران على قوة الاسلام باضعافه وزحزحته فى كل المجالات فاذا بالثروة لا تعارض الاسلام ولا تحد من ازدياد الوعى الدينى بل كانت عونا له وسندا ، واذا بالتطور ومتغيراته السـياسية والاجتماعية والعلمية يدعم الدين ويكشف حاجة الانسانية اليه كعلاج للأوضاع العالمية الشاذة •

وربما كان هناك اشفاق على الدين فى الأربعينات وخوف عـلى مسـتقبله فى مواجهة الثورة العلمية وازدهار المذاهب الاجتماعيـة والاقتصادية : كالرأسمالية والشيوعية ، ولذا كان المتدينون يجهدون أنفسـهم فى اثبـات أن الدين لايعارض العلم ، أو انه لايمانـع الرخاء الأقتصادى والرقى الأجتماعى ، فاذا بالعلم ومكتشفاته يناصر الدين ، واذا بالتغير الاجتماعى والسـياسى يثبت ضرورته لهـذا العالم الذى لم تستطع المادية أن تريح ضميره ولم يستطع الرخـاء الاقتصادى أن يسد كل حاجاته ولم يقدم له العلم انجازاته فى خدمة الانسان بقدر ما قدم له انجازاته فى مجالات الحرب وأسلحة الخـوف

بقلم ... رئيس التحرير

والدمار ، حتى أن هذا العلم الذى كان أمل الانسانية وملاذها منذ أربعين عاما ينتج الآن سلاح « النيوترون » الذى يميت الحياة والأحياء ، ويحافظ على المنشآت والمبانى ٠

وهكذا تقتل الانسانية نفسها بما ظنته أملها المرجو من قبل ، ويخيب أملها فى كل شىء غير الدين ٠

وبلا أدنى تعصب نقول : ان الاسلام وحده هو الحق ، لأنه يزاوج بين الدين والدنيا ، ويقدم الأسس الاخلاقية والعملية لحياة دنيوية أفضل ، ويجعل الحياة هادئة ميسرة ٠

ولكى نبرهن على هذه القضية فاننا نرى العالم يعانى من عدة أوضاع هى التى تعكر صفوه وتجعل الحياة مظلمة بائسة من أهمها :ــ

- الخوف والقلق ٠

- الاستبداد والظلم ٠

- طغيان القوى الكبرى على القوى النامية والكيانات الصغيرة٠

- تراكم الثروة وتبديدها فى ترف غير ضرورى ، فى جانب من العالم ، وقلة الامكانات والفقر والموت جوعا فى جانب آخر ٠

وعند الرجوع الى الاسلام نجد أنه قد وضع الوقاية للحيلولة دون ظهور هذه الأوضاع ، وحدد العلاج فى حالة ظهورها ٠

فظاهرة الخوف والقلق التى تعم العالم الآن ، ويشعر بها كل انسان فى أى ركن من الأرض مهما كان موقعه بعيدا عن الصراعات

الدولية لأنه ليس بعيدا من التهديد النووى ، فكمية الاسلحة التدميرية المخزونة الآن تكفى لتدمير الحياة البشرية كلها •

وليس بعيداً أن تتسبب غلطة صغيرة فى تدمير الأرض ، ويكفى أن نتذكر فى هذا المجال أن أمريكا أعلنت حالة الاستعداد فى قواعـــدها النووية فى احدى ليالى أكتوبر سنة ١٩٧٣ دون مشورة أو ابـــلاغ حلفائها الأوربيين ، وذلك كله لأن المصريين استطاعوا أن يســتردوا جانبا من صحراء سيناء من اسرائيل !!

كما يكفى أن نتذكر أن الاتحاد السوفيتى يقتحم البيوت الآمنة ، وينتهك حرمات الشعب الأفغانى المسلم ، غير عابىء لا بالعـــــالم الاسلامى الكبير الملىء بالثروة ، ولا بالقوة العالمية الأخرى ، مع أن هجومه على أفغانستان من شـــأنه أن يضايق هذه القـــوة ، ويقلب حساباتها وأسس الوفاق معها •

فاذا أضفنا أن الادارة الأمريكية الجديدة أعلنت سياسة « العصا الغليظة » أو سياسة « العين الحمراء » فى مواجهة التحـــــديات السوفيتية فمعنى ذلك أن فترة قادمة من عمر البشرية ستكون مـــلأى بالمخاوف والمخاطر ، والقلق والترقب •

• أما عن الاستبداد والظلم فأنه باستثناء بعض الأماكن القليلة جدا فى العالم فان الديمقراطية تنهار أمام طغيان الاستبداد بحيث لايكاد الانسان يجد القدر الكافى من الحرية فى ظل نظم الحكـــــم الشمولية التى تسود أكثر انحاء العالم مما تسبب كثيرا فى نشـــأة حركات النشوز والارهاب فى كثير من المجتمعات ، وقد تزايد عـــدد الحركات الارهابية فى العالم زيادة مروعة فى الفترة الاخيرة •

• ولم تضع القوى الكبرى علاجا نافعا لظاهرة الارهاب لانها نفسها سبب من أسباب هذه الظاهرة ، فهى لا تقيم العدالة ولا تحافظ

على استقلال القوى النامية ، والجماعات والشعوب المضطهدة حتى ان بعض السياسيين يرى أن الاستقلال فى عالمنا أصبح خرافة.فحقوق الانسان فى محنة والدول الكبرى تعمل على نشر مذاهبها بالقوة وراء الحدود وتقيم علاقاتها على اظهار القوة وتخويف الغير والتحرش ٠

ولو اتبع العالم هدى الاسلام فى ذلك كله ، لما كانت هناك فرصة لوجود هذه الأوضاع ٠

٭ فالاسلام لايعمل على نشر العقيدة وراء الحدود بالقوة ابتغاء توسع النفوذ ، لانه لا يقوم على الاكراه ويحترم اردة الانسان واقتناعه احتراما شديدا بعد أن يبين له الحق من الباطل يقول سبحانه : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » (البقرة ٢٥٦) ٠

جاء فى الوثيقة الاولى التى وضعها الرسول صلى الله عليهوسلم مع يهود المدينة :

« لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، الا من ظلم وأثم فانه لا يوتغ (يهلك) الا نفسه وأهل بيته (١) ٠

ثم ان الاسلام يحترم حقوق الجار ، ففى الوثيقة نفسها ٠٠ « وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم » (٢) ٠

كما يرى الاسلام ان اساس العلاقات الدولية يجب أن يقوم على البر ، لا على العدوان والتحرش ٠

ففى هذه الوثيقة أيضا « وان يهود الأوس مواليهم وأنفسهم

---

(١) « سيرة ابن هشام » ص ١٤٩ حـ ٢ ص ٣ دار احيـاء التراث العربى : بيروت .

(٢) المصدر نفسه ونفس الصفحة .

على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض (الخالص) وفى رواية « مع البر الحسن » وفيها « وان الله جار لمن بر واتقى ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم » ٠

يقول تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » (الممتحنة ٨) ٠

وما شرعت الحروب فى الاسلام الا لمراعاة أمورأهمها :

ــ للدفاع ومقابلة المعتدى بمثل عدوانه قال تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » (البقرة ١٩٤) كمــا قال تعــــالى : « انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » (الممتحنة ٩) ٠

ــ كذلك كانت القوى الحاكمة تحول بين الناس والاسلام وتمنع دعوة الله أن تصل اليهم ، فلم يبدأ الاســـلام بحرب هـــذه القـــوى الغاشمة الا بعد ان أرسل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الرسائل الى الملوك والأباطرة يدعوهم فيها الى الاسلام وأن يبقوا على ملكهم وما تحت أيديهم ، ولهم حينئذ عز الدنيا والآخرة ٠

فليست الحرب فى الاسلام لأجل الاستعمار وتوسيع الارض واستيطانها واستغلال ثروات الشعوب يقول تعالى : « ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحيـــاة الدنيـــا » (النساء ٩٤) ٠

على انه اذا قامت الحرب فان لها أدبا فى الاسلام لا تتجاوزه ، والسمة العامة لهذا الأدب : أنه لايجوز قتل غير المقاتل الذى يحمل السلاح ويتصدى للمسلمين ، فلا يجوز قتل الصبى والمرأة والشيخ بل

لا يجوز التعرض للرهبان فى صوامعهم ، ولا يجوز الاعتداء على المؤسسات المدنية ، ولا على الزروع والثمار ، وأدوات الانتاج .

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم ـ « رأى امرأة مقتولة فى بعض مغازيه فأنكر قتل النساء والصبيان » (متفق عليه) .

كذلك ينهى الاسلام عن الخيانة والغدر وكثيرا ما نقل عن عمر رضى الله عنه « لا تغلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليدا واتقوا الله فى الفلاحين كما روى عنه « لا تقتلوا هرما ، ولا امرأة ، ولا وليدا ، وتوقوا قتلهم اذا التقى الزحفان ، وعند شن الغارات » .

وفى ضوء هذه التعاليم الاسلامية ما كان للعالم أن يعرف هذه الأسلحة المدمرة التى لاتفرق بين المقاتلين وغير المقاتلين ، ولا بين مؤسسات الحرب ومؤسسات الانتاج .

وفى ضوء هذه التعاليم تتضاءل اتفاقيات منع انتشار الاسلحة النووية التى تحلم بها البشرية التى تصبو الى الأمان .

وذلك بعض ما يقدمه الاسلام للعالم المعاصر مما يحتاج اليه . وذلك نفسه ما يعطى هذا الدين قوة متجددة .

وامتياز هذه التعاليم ناتج من أنها تحدد نطاق الحرب وميدانها وأدواتها كما أنها تحد من نشاط العلماء التجريبيين وتوجه هذا النشاط لخدمة الانسان فتمنع منذ البداية اختراع وسائل الدمار الشاملة .

وقد جاء فى وصايا جابر بن حيان أن لاتعلموا الكيمياء الا لرجل تأمنون دينه خشية ان يصل بعلم الكيمياء الى اختراع مفاعلات مدمرة تخرج بالعلم عن رسالته فى خدمة الانسان .

ولكن الحضارة الغربية اطلقت للعلم زمامه ولم تضع له حدودا توجهه للخير فقط فما جنى الناس من وراء العلم الا الترويع والفزع٠

ولم تفكر الحضارة الغربية فى هذه النتيجة وما دعا الداعون الى منع انتشار السلاح النووى فى العالم الا بعد فوات الأوان ولـــذلك فان الخير للبشرية أن تصغى لصوت الاســــــلام وتذعن لمبادئه فى السلام والحرب وفى توجيه الحياة وذلك خير لها وابقى ٠

دكتور

دراسات قرآنية

الإيمان ومقوماته

للدكتور / محمد الطيب النجار
رئيس جامعة الازهر

هذا الكون العجيب الذى لا تدرك أسراره • ولا تسبر أغواره ، وهذا الملكوت الواسع بأرضه وسمائه ، وزرعه وثمره وكواكبه ونجومه •• يوحى الى العقل بالتأمل ويصل بأصحاب العقول الراجحه الى نتيجة حتمية لا غموض فيها ولا خفاء ، وهى أن الأثر يرشد الى المؤثر ، والصنعة تدل على الصانع • ووجود المخلوق يؤكد وجود الخالق •• ولكن من هذا الخالق ؟ وما حقيقة هذا الصانع الذى أوجد هذه الصنعة وأبدع هذه الآثار ؟

كل هذه الأسئلة تحتاج الى جواب • وتلح على الانسان منذ وجد ليظهر له الحق الذى يرشده ويهديه • ومن هنا كانت حاجة البشر الى الرسل والأنبياء ليكونوا سفراء بين الخالق وبين عباده يكشفون لهم الطريق الصحيح • ويرشدونهم الى العبادة السليمة والايمان الصحيح وهو الايمان الصادق بالخالق الرازق الواحد الأحد الذى بيده ملكوت كل شىء • والذى ليس كمثله شىء ••

وللايمان فى لغة العرب استعمالان لأنه أن تعدى بنفسه يكون معناه التأمين أى اعطاء الأمان ومنه قوله تعالى : ((**وآمنهم من خوف**)) وان تعدى بالباء أو اللام يكون معناه التصديق ومنه قوله : ((**أفتطمعون أن يؤمنوا لكم**)) • وكلا المعنيين يهدف الى غاية واحدة هى الأمان والاطمئنان •

وللايمان ركائز ومقومات لا يتم الا بها وقد أشار الله عز وجل اليها فى قوله : ((**انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم**

ايمانا وعلى ربهم يتوكلون • الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهـــم ينفقون • أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفـــرة ورزق كريم » •• ففى هذه الآيات يبين الله صفات المؤمنين وأحوالهم التى يختصون بها دون غيرهم • وهى ، وجل القلب عند ذكر اللـــه وزيادة الايمان عند تلاوة آياته • والتوكل عليه دون سواه واقامـــة الصلاة والانفاق فى سبيل الله •• فيقول : « **انما المؤمنون الـــذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم »** وذكر الله يكون باللسلن ويكون بالتذكر واستحضار القلب لعظمة اللـــه وجلاله وانما بنى « ذكر » للمفعول ليكون أعم وأشمل اذ يتناول ذكـــر الانســـان بنفسه • وسماعه الذكر من غيره • والوجل هو الخـــوف والفزع يقال وجل يوجل اذا خاف وفزع ومنه قول الشاعر :

لعمرك ما أدرى وانى لأوجـــل
عـــلى أينا تعـــدو المنيـــة أول

وانما يخاف المؤمن ويفزع لدى ذكر الله استعظاما له وتهيبا مـــن جلاله أو خوفا من عقابه •• وقـــد يبدو أن هناك تعارضا بين هـــذه الآية وبين قوله تعالى : « **الذيـــن آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر اللـــه ألا بذكر الله تطمئن القلـــوب »** وقوله فى آية أخرى : « **ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله »** •

ويجاب على ذلك بأن المؤمن له حالتان : حالة اطمئنان قلبى وهذه تكون عن شرح الصدر بمعرفة التوحيد • وحالة وجل وهى أنما تكون من خوف العقوبة أو من الهيبة التى يشعر بها المخلوق الضعيف أمام الخالق القوى •• ثم يقول سبحانه : « واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا » فتكشف هذه الجملة الحكيمة عن الصفة الثانية من صفات المؤمنين والمقصود بآيات الله القرآن الكريم • ومعنى زادتهم ايمانا أى يقينا وطمأنينة نفس فان تظاهر الأدلة وتعاضد الحجج والبراهين موجب لزيادة الاطمئنان وقوة اليقين • وقيل ان نفس الايمان الذى هو التصديق القلبى لا يقبل الزيادة والنقصان وانما زيادته باعتبار زيادة الأشياء التى يؤمن بها الانسان فكلما نزلت آية صدق بها المؤمن فزاد ايمانه عددا أى كثرت الأشياء التى يؤمن بها وأما الايمان نفسه فهو بحاله •• ولكن الراجح الذى يميل له القلب وتعضده الأدلة أن الايمان الذى هو التصديق يقبل الزيادة والنقصان ، وذلك للفرق الظاهر بين يقين الأنبياء وأرباب المكاشفات • وبين يقين آحاد الامة وللفرق الظاهر بين ايمان الشخص الذى سمع وايمان الشخص الذى رأى وسمع •• ولأن النفوس البشرية فى تأثرها بالمعلومات المختلفة مثلها كمثل الأجسام الصلبة فى تأثرها بالحفر والنقر فكلما كانت آلة الحفر حادة وكانت ضربات الحفار متكررة كان الأثر أعمق غورا وأبعد عمقا وأطول عمرا ، وكذلك كلما كثرت الأدلة والبراهين على شىء من المعلومات كان أشد رسوخا فى النفس وأعمق أثرا فى القلب ، بل ان النفوس البشرية لتختلف فى بعض الافراد عن البعض الآخر كاختلاف معادن الأجزاء المتنوعة من الأرض • فهناك أرض تستجيب لمن يصلحها فى يسر وسهولة ثم تؤتى أطيب الثمرات • وأرض تحتاج فى اصلاحها الى مجهود عنيف ثم تؤتى ثمارا أقل وأرض لاتصلح مهما بذل فيها من جهود وكذلك يختلف الناس فى ايمانهم باختلاف

نفوسهم واختلاف الأدلة والبراهين التى تتاح لهم •

وأما قوله تعالى : « **وعلى ربهم يتوكلون** » فهى جملة تفيد القصر وطريقة تقديم الجار والمجـــرور يعنى : لا يتوكلون الا على ربهم • ومعنى التوكل على الله الاعتمـــاد عليه دون ســـواء ، وهـــذه الحالة درجة عالية ومرتبة شريفة لايكـــاد يصل اليها الا القليل •

وفى مثل هؤلاء المتوكلين يقـــول الرسول صلى الله عليه وســـلم : « لو أنكم تتوكلون على الله حـــق توكله لرزقكم كما يرزق الطـــير تغدو خماصا وتروح بطانا (١) »•

وهذا التوكل المقصود فى الآيـــة هو **التوكل النقى الخالص الـــذى يبعد كل البعد عن التواكل والاهمال لأن التواكل هو ترك الأســـباب الموصلة التى جعلها الله أســـاسا لعمارة الكون ونظامه ، والاســـلام يدعو الناس الى العمل وترك الامر بعد ذلك لله فى النتيجة التى تترتب على هذا العمل وحينما يرزق اللـــه الطير اذ تغدو خماصا وتروح بطانا فانما يرزقها لانها خــــرجت من أعشاشها لتبحث عن رزقها وتنقب عنه فى السهول والوديـــــان وفى الاشجار والثمار وفى الانهــــار والبحار • ولو أنها بقيت حبيســـة العيش ونامت عن طلب رزقهــــا لوقعت فريسة للجـــوع والعطش ودفعت حياتها ثمنا للتواكــــــل والخمول •• ولله قول عمـــر بـــن الخطاب رضى الله عنه « لا يقعـــد أحدكم عن طلب الرزق ويقـــول اللهم ارزقنى وقـــــد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » •**

ولما كانت الصفات الثـــــلاثة المتقدمة وهى وجل القلب عند ذكر الله ، وزيادة الايمـــان عند سماع آياته ، والتوكل عليه ، لماكانت هذه الصفات من أعمال القلوب ناسب أن ينتقـــل منها الى أعمـــال الجـــوارح • ورأس الاعمـــــال والطاعات المعتبرة فى ذلك الصلاة والصدقة • وهذا ما يتضمنه قوله تعالى « **الذين يقيمون الصـــلاة**

---

(١) رواه الترمذى وصححه .

ومما رزقناهم ينفقون » واقامة الصلاة أداؤها كاملة لانقص فيها ولا عوج • ويكون ذلك بالخشوع وتجرد النفس من النزوات والهواجس • أما مطلق القيام والركوع والسجود دون خشوع وخضوع فهى صلاة ناقصة لايتحقق فيها معنى الايمان الكامل•

والصلاة الناقصة لاتنهى عن الفحشاء والمنكر وانما تنهى عن الفحشاء والمنكر اذا صاحبها الشعور الدينى القويم الذى يصل الانسان بربه أثناء صلاته اذ يناجيه قائما وقاعدا وراكعا وساجدا • فاذا تمت هذه المناجاة على هذا الوضع الكريم والاساس السليم تمت اقامة الصلاة واكتملت مقوماتها وآتت ثمارها المباركة ؛ وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « فان الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن (١) » •

والانفاق فى سبيل الله يكون بالزكاة المفروضة وبالصدقة النافلة وانما قدم الجار والمجرور فى قوله: « **ومما رزقناهم ينفقون** » ليفيد الحصر أى انهم لا ينفقون الا ممارزقهم الله وهو الحلال كما ذهب الى ذلك المعتزلة الذين لايعتبرون الحرام رزقا • ولاشك أن الصدقة النافلة لاتكون الا بعد أن تؤدى الزكاة المفروضة • لأن الصدقة النافلة تزيين وطلاء والزكاة المفروضة دعام وبناء ، ولن يتم الطلاء الا بعد قيام البناء•

وأخيرا وبعد ذكر هذه الأوصاف التى يتميز بها المؤمنون الكاملون جاء بما يؤكد ذلك فقال : « **أولئك هم المؤمنون حقا** » أى أولئك الموصوفون بما ذكر هم المؤمنون ايمانا حقا • فيكون بين هذه الجملة وما قبلها كمال الاتصال • و «حقا» صفة لمصدر محذوف أى ايمانا حقا أو مفعول مطلق لفعل محذوف أى حق ذلك حقا ••• ولاريب أن مثل هذا الايمان الكامل المقصود فى الآية انما يتحقق فى القليل من الناس فلقد روى أن الحسن سأله

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم

رجل : أو مؤمن أنت ؟ • فقـــال : الايمان ايمانان ، فان كنت تسألنى عن الايمان بالله وملائكته وكتبــه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن ، وان كنت تسألنى عن قوله تعالى : **« انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم •• الخ »** فوالله لا أدرى أنا منهم أم لا ؟

وأما قوله تعالى : **« لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريـــم »** فهو واقع فى جواب سؤال تقديره : وماجزاء هؤلاء الموصوفين بالايمان الكامل ؟ فأجاب الله بقوله **« لهم درجات عند ربهــم »** واذا كانت • مقابلة الجمع بالجمـــــع تقتضى القسمة آحادا فان المعنى حينئذ : لكل مؤمن درجته عند ربه ، وهـــى درجة معنوية أى كرامة ومكانـــة عالية ، والتنوين فى « درجـــات » للتفخيم والتعظيم ، ولهم مع ذلك « مغفرة »عظيمة لما فرط منهـــم « ورزق كريم » أى دائم مستمر كثير مقرون بالاكرام والتعظيـــم وهو ما أعد لهم من نعيم الجنة •

وقال بعض المحققين معنى كون الرزق كريما أن رازقه كريم ومن هنا وصفوه بالكثرة وعدم الانقطاع فان من عادة الكريم أن يجـــزل العطاء ولا يقطعه فكيف بأكـــرم الأكرمين تبارك وتعالى ؟

وبعد فهذه مقومات الايمـــان ودعائمه ، وتلكم صفات المؤمنيــن الذين خالطت بشاشة الايمـــان قلوبهم وامتزجت حلاوته بنفوسهم وسرت فيها مسرى الدم والجسم ولقد ضرب أسلافنا الأولون فى هذا المجال أروع الامثـــال • وتألقت سيرتهم فى تاريخ الانسانية كمـــا تتألق النجوم الهادية تحت قيـــادة النبى العظيم • وفى ضوء ما أنزل عليه من الذكر الحكم • ومن الحق علينا ــ نحن المسلمين ــ أن نسير على نهج أسلافنا الأبـــرار • وأن نتجه الى تحقيق الايمان فى حقيقته وجوهره لا فى شكله ومظهره • ومن سار على الدرب وصل ، **« ولـلـــه العزة ولرسوله وللمؤمنين »** هذا • ومن الله العون وبه التوفيق •

دكتور محمد الطيب النجار

رئيس جامعة الازهر

الإسلام يؤلف القلوب ويحقن الدماء

لفضيلة الشيخ / مصطفى محمد الطير

قال الله تعالى فى سورة آل عمران :

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » .

(آل عمران : ١٠٣)

البيان

قارىء التاريخ يعرف ما كان عليه العرب قبل الاسلام من تفرق وشتات ، لا دين يجمعهم ، ولا حكومة تردعهم ، ولا قانون يحكمهم ، الههم هواهم ، ودنياهم غايتهم ، فلا هدف لهم فى تلك الحياة سوى تلك الحياة بنقائصها ومتناقضاتها ، وتراهم يعاقرون المسكرات ويحبون الفخر والحماسة ، ويحمون المستجير ولو كان ظالما ، الى غير ذلك من العادات والغرائز التى تحول بينهم وبين تقدير العواقب ، فلهذا كله كانوا محتربين متقاتلين ، لا تخبو بينهم نار ، طلبا لثأر ، أو حفاظا على كرامة يحسبون أنها مست من قريب أو من بعيد ، أو حماية لنزيل مستجير ، وان كان غير جدير ، أو غير ذاك من البواعث التى كانت تدفعهم الى اراقة الدماء ، مع امكان علاجها بالحكمة والأناة .

وأوضح دليل على ضآلة عقولهم ، وضحالة تفكيرهم : عبادتهم للاوثان ، واشراكها بالواحد الديان ، واسنادهم

الامطـار والارزاق ، والامراض والشفاء منها ، الى أنصابهم التى يعبدون ، مع أنها لا تستطيع حماية أنفسها من الذباب « **وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب** » •

فلهذا كله بعث الله اليهم رسولا منهم ، فى حين أنهم لم يشرفوا من قبله بنبى عربى ، وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى « **لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك** » •

فلما جاءهم محمد رسول الله ، دعاهم الى عبادة الواحد الاحد ، وترك عبادة الاوثان التى تشبه بيوت العنكبوت « **وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون** » •

كما دعاهم الى ترك التعصب لغير الحق ، وأفهمهم أن الحياة الدنيا وسيلة لا غاية ، وأن الآخرة هى دار القرار ، وأنها سبيل الى جنة ذات نعيم مقيم ، أو نار ذات عذاب أليم ، فأما الاولى فقد أعدت للمؤمنين أصحاب الخلق العفيف والمسلك النظيف وحب السلام ونبذ الفرقة والخصام ، والشدة فى الحق ، والرحمة وحسن المودة بين المؤمنين ، والتائبين المستغفرين •

وأما الثانية فقد أعدت للكافرين الجاحدين ، والملحدين والمفسدين ، والضالين والمضلين « **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** » •

أما من مات من عصاة المؤمنين دون استغفار ولا متاب ، فأمره الى مالك الملك والملكوت فان شاء شمله بعفوه وغفرانه ، وان شاء حاسبه على مآثمه ومعاصيه ، وفى كلتا الحالتين فهو أحكم الحاكمين ، وأكرم الاكرمين • والحازم الفطن من قدم تقواه ، وخاف العقاب على ما قدمت يداه •

وفى تبليغ الرسول لدعوة ربه ، لم يمنع الناس من زينة الحياة الدنيا وعمارتها والسعى فى سبيلها ، الى جانب العمل للآخرة ، مبلغا أمر ربه فى ذلك بقوله سبحانه « **قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى الذين آمنوا فى الحياة الدنيا** » •

أثر الدعوة عند العرب

ولقد شرح الله صدور العرب

لهذه الدعوة النظيفة الخاليــة عن الخـــرافات ، الحاقنــة للدماء ، الداعية الى السلام ونبذ الخلاف والخصـــام ، الحاكمة بين الناس بالعدل ، المســوية بين طبقاتهم فى الاختصام الى الحكام ، الآخــذة بأيديهم الى مناط العزة والمتعــة ، فلهـــذا أقبلوا عليهـــا فرادى وجماعات ، ثم دخلوا فى دين الله أفواجا ، فعزوا وعز بهم الاسلام ، ورفرفت ألويتـــه عـــلى ربـــوع العالمين ، وفى ذلك يقول الله تعالى مذكرا لهم بما كانوا عليه وما آلوا اليه « **واذكروا نعمـــة الله عليكم اذ كنتم أعـــداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا • وكنتــم على شفا حفرة من النار فأنقذكـــم منهـــا** » •

الاوس والخزرج قبل الاسلام

الاوس والخـــزرج قبيلتـــان مدنيتان ينتميان الى أصل واحد ، فأبوهما الذى يجمعهما اســـمه حارثة بن ثعلبة ، وينتهى نسبه الى يعرب بن قحطان ، وأمهما الاولى التى تجمعهما اسمها قيلة ، وكانت القبيلتان مشهورتين بالانتســـاب الى أمهم ، فيقال لهم جميعـــا أبناء قيلة ، وكانت القبيلتـــان من مأرب باليمن ، فهاجـــرتا الى المدينة ، وكانت تسمى يثرب وقتئذ ، وكان فيها أسواق وحولها قرى محصـــنة يسكنها يهود بنى قينقاع والنضير وقريظة وقارسلة وزعورا وغيرهم ، فلما نزل بهـــا الاوس والخزرج وشـــاهدوا مســـاكن اليهود وحصونهم ، ابتنوا المســـاكن والحصون ، الا أن الغلبة والحكم فى يثرب كان لليهود ، لسبقهم فى الهجـــرة اليها ، ثم رأى الاوس والخزرج أن يتخلصـــوا من حكم اليهود ، فان يثرب أرض العرب ، وما اليهود الا مهاجـــرون اليها ، فحاربوهم حتى غلبوهم وانتزعوا السلطة والحكم منهم ، وظل أمـــر الاوس والخزرج على اتفاق ووئام واجتماع ، الى أن حـــدثت بينهم حروب عديدة وكان لليهود أثر فى الايقاع بينهم ، وتأليب بعضـــهم على بعض ، وكانت كل قبيلة منهما تستعين بطائفة من اليهـــود على الاخرى •

يوم بعـــاث

كان بين قريظة والنضـــير وبين الخزرج ثأر بسبب قتـــل الخزرج أربعين غلاما كانوا رهنـــا عندهم حتى لا يحـــالفوا الاوس عليهم ، وانما قتلوهم بسبب ما علمـــوه من أنهم حالفوا الاوس ردا على شاعر خزرجى وصمهم بالذلة حتى رهنوا أولادهم لديهم ، فلما علم الخزرج حلفهم مع أعدائهم من الاوس بعد قتلهم أولادهم ، جمعوا جموعهم وبعثوا الى حلفائهم من أشـــجع وجهينـــــة ، وبعثت الاوس الى حلفائهـــا من مزينة ، ومكث هؤلاء وأولئك يتجهـــزون للحرب أربعين يوما ، والتقوا ببعاث فى قريظـــة ، وتخلف عبد الله بن أبى بن سلول ومن تبعه عن مشـــــاركة قومه الخزرج فى قتالهم ، وتخلف بنـــو حارثة الاوســـيون عن قومهم ، فلما التقى الجمعـــان اقتتلوا قتالا شـــديدا وصبروا جميعا ، ثم ان القتل اشتد فى الاوس ، وراح منهم ضحايا كثيرون ، فولوا منهزمين •

ولكن حضيرا والد الصـــحابى الجليل أسيد بن حضير لم يرض بالفـــرار الذى كان من قومـــه الاوس ، فعقر قدمه بسنان رمحه وقال : واعقـــراه ، والله لا أعود حتى أقتـــل ، فان شـــئتم يا معشر الاوس أن تسـلمونى فافعلوا ، وكان حضـــير قائدا لقومه ، فدافع عنه غلامان من بنى عبد الاشـــهل يقال لهما محمود ويزيد ابنا خليفة حتى قتلا ، وأصاب سهم عمرو بن النعمان قائد الخزرج لا يدرى من أرسله فقتله ، فانهزمت الخزرج ، ووضع الاوس فيهم السلاح فاكثروا القتل فيهم ، فصاح صائح يا معشر الاوس : أحســـنوا ولا تهلكوا اخوانكم ، فجوارهم خير من جوار الثعالب — يريد اليهود — فانتهوا عنهم ولم يسلبوهم ، وانما سلبهم يهود قريظة والنضير وكانت حرب بعاث آخر حرب وقعت بين الاوس والخزرج ، حيث جاءهم الاسلام فألف بينهم ، بعـــد أن خسروا فى هذه الحرب معظم رؤســـائهم ، وكثيرا من رجالهم •

كيف ألف الاسلام بينهم ؟

بعـــد الحـــروب المتتابعـــة بين الاوس والخـــزرج طوال عشرات

السنين ، والتى كان آخرها حرب بعاث الهائلة ، التى أودت بمعظم شيوخهم ورؤسـائهم بعد تلك الحـروب التى أوقدت فى قلوب القبيلتين النار ، لم يكن أحد يدور بخلده أن يسـكت هؤلاء أو أولئك عن الاخذ بالثأر ، ولهـذا أراد من بقى من رؤساء الاوس أن يحالفوا قريشا على الخزرج ، اتقاء لثأرهم مما أصابهم يوم بعاث ، فأرسـلوا اياس بن معاذ وأبا الحير أنس بن رافع مع جماعة يلتمسـون ذلك الحلف فى قريش ، فلمـا جاءوا مكة ، لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم : هل لكم فى خير مما جئتم له ؟ أن تؤمنوا بالله وحده ولا تشركوا به شيئا ، وقد أرسـلنى الله الى الكافة ، ثم تلا عليهم القرآن ، فقال اياس بن معاذ : هذا والله خير مما جئنا له ، فحصبه أبو الحيصر ، وقال لـه : لقد جئنا لغير هذا فسكت :

ولما جاء موسم الحج بعد هـذا اللقاء ، لقى الرسول فيه ستة من الخزرج ، وهم أسـعد بن زرارة وعوف بن الحرث من بنى النجار ، ورافـع بن مالك من بنى زريق ، وقطبة بن عامر من بنى سـلمه ، وعقبـة بن عامر من بنى حرام ، وجابر بن عبد الله بن رباب (١) ، فدعاهم الى الاسلام ومعاونيه فى تبليغ رسـالة ربه ، فقال بعضهم لبعض : هذا هو النبى الذى كانت تعدكم به اليهود ، فلا يسـبقنكم اليه فأمنوا به ، وقالوا انا تركنـا قومنا بينهم من العداوة ما بينهم ، فان يجمعهم الله عليك فلا رجـل أعز منك ، ووعدوه اللقاء فى العام القـادم ، فكـان منهم الـوفاء والمبايعة .

ولعله يشـير الى هذا اللقاء ما أخـرجه الحاكم وأبو نعيم والبيهقى باسـناد حسن عن ابن عباس قال : حـدثنى على بن أبى طالب قال : لما أمر الله نبيـه أن يعرض نفسـه على قبائل العرب ،

---

(١) وهو غير جابر بن عبد الله الصحابى المشهور ، لانه كان صبيـا حينئذ .

خرج وأنا معــه وأبو بكر الى منى حتى دفعنا الى مجلس من مجالس العرب ، وتقدم أبو بكر وكان نسابة فقال : من القـــوم ؟ فقالوا : من ربيعة ، قال : من أى ربيعة أنتم ؟ قالوا : من ذهل ، فذكر حديثـــا طــويلا فى مراجعتهم وتوقفهم عن اجابة الدعوة .

قال : ثم دفعنـــا الى مجلس الاوس والخزرج ، وهم الـــذين سماهم الرســـول صلى الله عليه وسلم الانصـــار ، لكونهم أجابوه الى ايوائـــه ونصروه ، قـــال : فما نهضنا حتى بايعوا النبى صلى الله عليه وسلم) انتهى .

وفى موسم العام التالى قدم اثنا عشر رجـــــلا ، عشرة منهم من الخزرج واثنان من الاوس ، وفى الخزرجيين خمســة ممن اسلم فى العام الماضى ، فاجتمعــوا بالنبى صلى الله عليه وســلم عند العقبة وأســـلموا وبايعـــوه على أن لا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ولايزنـــوا ولايقتلوا أولادهـــم ولا يأتوا ببهتـــــان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصـــوه فى معروف ، كما بايعوه على الســمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره ، وأن لا ينازعوا الامـــر أهله ، وأن يقولوا الحق ولا يخافوا فى الله لومة لائم ــ وكانت هــذه بيعة العقبة الاولى .

ثم انصرفوا الى المدينــة بعــد الحج ، وكان أسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن أسلم ، وكان الاسلام قد انتشر بين الاوس والخزرج ، فبعثوا الى النبى صــلى الله عليه وســلم أن يبعث اليهم من يقرئهم القرآن ، فبعث اليهم مصــعب بن عمــير ، وأمــره أن يعلمهم أحكام الاســـــلام الى جانب اقرائهم القرآن ، وأن يجمــع بهم ، وكان يسمى بالمدينة المقرىء والقارىء ، ويروى أنه بعث معه عبد الله بن أم مكتـــوم ــ ابن خالة خديجة ــ ليساعده فيما جاء من أجله ، وكان المسلمون قد بلغوا أربعين كما رواه أبو داود .

وعلى يدى مصعب أسلم أسيد ابن حضير ، وتلاه ابن عمه سعد بن معاذ سيد الاوس ، ولما أسلم سعد رجع الى قومه بنى الاشهل ــ وهم

بطن من الاوس ــ وقــال لهــم : ما تعدوننى فيكم ؟ قالوا ســيدنا وابن ســيدنا ، قال : كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تسلموا ، فلم يبق بيت من بيوتهم الا أجابه ، ثم انتشر الاسلام فى دور المدينة ولم يكن لهم حديث سواه •

وفى العام التالى رجــع مصعب ابن عمير فى موسم الحج الى مكة ، كما جاءها خلق كثير من أهل المدينة مسلمين ومشركين ، وكان البــراء ابن معرور زعيم القوم •

ولما مضى الثلث الاول من ليــلة العقبة ، تسلل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة وســبعون رجلا وامرأتان بعد أن تواعدوا مع الرسول على ذلك ، وقد أوصــاهم أن لا ينبهوا فى ذلك الوقت نائما ، ولا ينتظروا غائبــا ، حتى لا تعلم قريش فتفسد الامر بينه وبينهم •

ووافاهم الرســول هناك ، ولم يكن معه سوى عمه العباس ــ وكان على دين قومه ــ جاء ليســتوثق لأمر ابن أخيه ، فقال العباس : ان ابن أخى لايزال فى منعة من قومه، حيث لم يمكنوا منــه أحــدا من أعــدائه ، وتحملوا فى ذلك أعظم المشقة ، فان كنتم وافين له ومانعيه ممن خالفه فأنتم وما تحمــلتم ، والا فدعوه بين عشــيرته فانهم لبمكان عظيم •

فقال كبيرهم البراء بن معرور : والله لو كان لنا فى أنفسنا شىء غير ما ننطق به لقلناه ، ولكننــا نريد الوفاء والصدق وبذل مهجنا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خذ لنفسك ولربك ما أحببت ، فقال الرســول صلى الله عليه وسلم : أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شــيئا ، ولنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم متى قدمت عليكم •

فقــال الهيثم بن التيهــان : يا رســول الله • ان بيننا وبين الرجال عهودا وانا قاطعوها ، فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ، فتبسم الرســول وقال : بل الدم الدم والهدم والهدم يعنى انهم ان طالبوا بدم طالب به ، وان أهدروه أهدره •

فبايعــوه على ما طلب ، وتخــير

منهم اثنى عشر نقيبا ، لكل عشيرة منهم واحد ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس ، ثم قال لهم : أنتم كفلائى على قومكم ، كفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومى — وهذه بيعة العقبة الثانية ولما بلغ خبرها قريشا طار صوابهم ، فجاءوا حيث ينزل الانصار ، فقالوا يا معشر الخزرج بلغنا أنكم جئتم لصاحبنا تخرجونه من أرضنا ، وتبايعونه على حربنا ، فأنكروا ذلك ، وجعل بعض المشركين من أهل المدينة يحلفون أنه لم يحصل منهم ذلك ، لانهم لم يحضروا البيعة ولا علم لهم بها ، وعبد الله بن أبى بن سلول يقول : ما كان قومى ليفتاتوا على بشىء من ذلك .

ثم هاجر النبى صلى الله عليه وسلم فى حماية الله ورعايته الى المدينة ، وهناك آخى بين المهاجرين والانصار ، وزالت المحن والاحقاد من نفوس الاوس والخزرج ، بعد الحروب الدامية بينهم قبل الاسلام ، وأصبحوا بنعمة الله اخوانا ، وفى ذلك يقول الله مذكرا بنعمته عليهم بالاخاء بعد العداء « **واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ..** » . الآية .

العبرة مما تقدم

من هذه الوثيقة القرآنية والتاريخية ندرك أن للخصام والمعاداة بسبب الاستماع الى دسائس الوشاة أصحاب المطامع أثرا قويا فى أحداث الفرقة والانقسام بين الاقارب والاحبة ، وأن هذه الفرقة ان لم تعالج بالحكمة من أصحاب العقول الراجحة ، والقلوب النيرة ، فانها تنتهى الى الصراع والقتال ، والحرمان من الامن والسلام ، وأن الاعتصام بكتاب الله والاحتكام اليه عن رضا وطمأنينة ، يعيد للمتفرقين وحدتهم وللأعداء مودتهم ، ويؤلف بين القلوب حتى يعود أصحابها بنعمة الله اخوانا .

تورط المسلمين فى المتاعب

ولم يتورط المسلمون فى المتاعب ، ويدب فيهم الوهن ، الا حين عادوا الى خلق الجاهلية ،

فنبذوا السلام الى الخصام ، والحفاظ على الحرمات الى اهدار الدماء ، وتحكيم الاسلام فى خلافاتهم ، الى تحكيم أعداء الاسلام ، والاستماع الى دعاة الفتنة ، واهدار موازين القوة ، ومبادىء الرشاد فى كتاب الله وسنة رسوله ، والغفلة عن تذكر الله الرحمن الرحيم « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين » •

الضحية الاولى لاعداء الاسلام

أول ضحية لفتنة المتآمرين أعداء الاسلام ، هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقد كان سعد بن أبى وقاص قائدا لجيشه فى فتح فارس ، وكان من آن لآخر يبعث اليه بأسارى الفرس وغنائمهم ، ومن هؤلاء الاسارى قائد يسمى الهرمزان ، وهو رجل خداع وداهية ، وقد تركه عمر بالمدينة طليقا ، وكان يرى أسارى الفرس يأتون تباعا فيأكل قلبه الحقد على عمر ، وكان أولئك الاسارى يجتمعون بالهرمزان المذكور ، ومنهم أبو لؤلؤة ، وكان يقول : أكل كبدى عمر ، لانه هو الذى أرسل الجيوش الى الفرس ففعلت بها الافاعيل •

وكان بالمدينة رجل من نصارى الانبار أقدمه سعد ليعلم أبناء المسلمين بالمدينة القراءة والكتابة ، اسمه جهينة ، وكانت الانبار تابعة للفرس ولجفينة بهم الف ، فكان يجتمع بالهرمزان وأبى لؤلؤة ، وقد رآهم عبد الرحمن بن أبى بكر يتناجون وهم جلوس ، فلما رأوا عبد الرحمن وقفوا ، فسقط بينهم خنجر له رأسان ونصابه فى وسطه •

وكان أبو لؤلؤة هذا عبدا للمغيرة ابن شعبة ، وأبو لؤلؤة كنيته ، أما اسمه فهو فيروز ، وفى أحد الايام كان عمر يمر بالسوق ، فجاءه أبو لؤلؤة يشكو له المغيرة من أنه جعل عليه خراجا يوميا مقداره درهمان ، فسأله عن صناعته ، فقال : انه نجار حداد نقاش ، فقال عمر ما أرى خراجك بكثير على تلك الصناعات ، لقد بلغنى أنك تقول : لو أردت أن أعمل

رحى تطحن بالريح لفعلت ، قال : نعم • قال : فأعمل لى رحى ، قال : لئن سلمت لأعملن لك رحى يتحدث بهـــا من بالمشرق والمغرب ، ثم انصرف يقول : لقد وســع الناس عـــــدل عمر غيرى ، فقال عمر لسامعيه : لقد توعدنى العبد آنفا ولم يؤاخذه بهذا الوعيد ، بل كان فى نيته أن يلقى المغيرة ويوصـــيه أن يخفف عن عبده مروءة لاحقا ، وسيأتى ما يدل على ذلك •

وبعــــد أربع ليال وثلاثة أيام خرج لصـــلاة الفجر ، وكان يوقظ الناس فى طريقه الى مصلاه ليؤدوا معه صـــــلاة الصبح ، ولما أقيمت الصلاة سوى عمر الصفوف ، ولم يكد يتجـــه الى القبلة حتى عاجله هذا العبـــد بالخنجـــر الـــذى رأه عبد الرحمن بن أبى بكر حين مر به وهو مجتمع مع الهرمزان وجهينة ، فطعنه به ست طعنات احـــداها فى بطنه تحت سرته ، وهى التى قتلته ، فدعا عمـــر عبد الرحمن بن عوف ليؤم الناس فى الصلاة •

ولما حمل الى منزله عرف من ابنه عبـــد الله أن قاتله هو أبو لؤلؤة ، فقال : ولماذا يقتلنى وقد أمرت به معروفا ــ يعنى أنه أوصى به سيده المغيرة بن شعبة أن يحسن اليه ، ثم حمد الله على أن قاتله لم يسجد لله ســجدة ، ولم يجعل الله له حجة يحاجه بها يوم القيامة أمام الله •

فانظـــــر كيف أدى التآمر من أعداء الاســـلام الى ارتكاب هذا الجرم الفظيع ، الذى أصاب الامة الاسلامية فى أعز بنيها ، وأصوبهم رأيا ، وأعـــدلهم حكما ، وأقومهم قيلا ، وأعظمهم نشرا للاســـــلام وتوحيدا للمسلمين •

فليحـــذر المســـــلمون أعـــداء الاســـــلام ، فلا يســـــتمعوا لدسائســـهم ، ولا يتخذوهم أولياء لهم ، وليكن بعضـــهم لبعض وليا ونصيرا •

ولولا الاطالة لذكرت كثيرا من الامثـــال قديمهـــا وحديثهـــــا ، وما يجرى اليوم بين المســــــلمين والعرب خير شـــاهد على ما يبذله الاعداء من دسائس ، « **فليـــحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** » •

مصطفى محمد الحديدى الطير

الأحداث الكونية للقيامة
في ضوء الإعجاز العلمي للقرآن

للدكتور / منصور محمد حسب النبي

— ٢ —

ثانيا : زلزال الأرض :

كوكب الأرض هو : دنيـــانا التى نعيش فيها ونتمتع بخيراتها • ونحن على سطح الأرض أشـــبه ما نكون بركاب ســفينة فضـــاء الهية ، ســقفها الغلاف الجوى ، تدور حول نفســـــها ، وحول الشمس ، وتدور أيضا مع الشمس حول مركز مجرة ســـكة التبانة ، وتتحرك أيضا مع هذه المجرة التى تجرى مع بلايين المجرات فى هذا الكون الشـــاسع ، وعلى هذا فالأرض التى تراها ثابتة مستقرة ســـاكنة ، هى فى الواقع كالدابة تتحرك ، بل ترمح وتركض بسرعات مختلفة ، دون أن تقذف بنا من على ظهرها ، ودون أن تتعثر خطــاها ، ودون أن نشعر بحركاتها ! • ولكن هذه الأرض الطيبة يمســـك الله بزمامهـــا ، فلا تثور الا بقــدر ولا تجمــح الا لثوان معدودات • فقد تتحـــول من دابة ذلول الى وحش جامح ، اذا فتحت أفواههـــا من براكين ، أو رقصت رقصـــة الرعب فى الزلازل ، وغير ذلك من الظواهر التى تجعلنـــا نحن معشر البشر ، كالفئران الصـــغيرة المحصورة فى قفص الرعب ، حيث نقف جميعـــا عاجزين عن كبح جماحها ، ولا نســتطيع التدخل فى أحداثها ، ولا نملك مهما أوتينا من

العلم الا أن نسجد لله ــ سبحانه وتعالى ــ ونطلب منه أن يعيدها الى الهدوء والاستقرار • واذا كان هذا هو حالنا عند حدوث الزلازل العادية ، التى تقع فجأة فى أماكن متفرقة على سطح الأرض ، فما بالك بزلزال القيامة الذى سيحدث على نطاق واسع ليشمل الأرض كلها ! ، والذى يصفه الله ــ سبحانه وتعالى ــ بقوله :

« اذا زلزلت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها » •
(الزلزلة ١ ــ ٢)

ويبدو من الآية الكريمة أن بناء « زلزلت » للمجهول أسلوب بيانى لتركيز الاهتمام فى الحدث ذاته ، وللايحاء بأن الأرض تزلزل عن طواعية ، واستجابة لتسخير تلقائى من الله عز وجل • وأما التعبير بالفعل الماضى : فهو تأكيد لحدوث الزلزال فى المستقبل ، كما أن « اذا » لها أثرها البيانى فى هذا الموقف الذى يأتى بغتة امعانا فى الترهيب ، وأما اضافة الزلزال الى ضمير الأرض ، فيدل كما قال الزمخشرى : أنه زلزالها الشديد الذى ليس بعده زلزال ، وكما قال أبو حيان : زلزالها التى تستحقه ويقتضيه جرمها • وتستطرد الآية الكريمة لتؤكد أن الأرض سوف تخرج أثقالها عند حدوث هذا الزلزال العظيم • فما هى يا ترى هذه الاثقال ؟ وما سر اندفاع الارض للتخلص من هذه الاثقال وعدم التردد فى القائها ، والتخلى عنها اذا أتيح لها ذلك ؟ مصداقا لقوله تعالى :

« واذا الأرض مدت ، وألقت ما فيها وتخلت »

(الانشقاق ٣ ــ ٤)

وللاجابة على هذا : فان العلم الحديث يؤكد وجود أثقال فى باطن الارض من الحديد والنيكل فى درجة ٥٠٠٠° مؤية ، وتحت ضغط ٤ر١ مليون ضغط جوى ! وكأن باطن الارض جهنم طبيعية ، تلتهب تحت بحارنا ومدننا ، وأننا واقفون الآن على ظهر لغم عظيم ، سوف ينفجر فى أى وقت ليدمر الأرض كلها ، بكتلتها التى تصل الى الف بليون بليون طن !

وطبقا لاحدث القياســـات فى الطبيعة الارضية ، فقد ثبت علميا أن الارض تتكون من ثلاث طبقات ، هى على الترتيب ، من الخارج الى الداخل كما يلى :

(أ) القشرة الرقيقة :

وســـمكها يتراوح بين ثلاثين وخمسين كيـلو مترا فى مناطــق القارات ، وستة كيلو مترات تحت قاع المحيطات • وفى أعلى القشرة الارضية توجد صخور رســوبية يليها طبقة من الجرانيت ثم طبقة أخرى من البازلت ، ثم طبقات من الصــخور تزداد كثافة كلما ازداد العمق ، مع ملاحظة أن القشرة عند قاع المحيطـــات تتكون فقط من البــازلت • وتتــراوح كثـــافة صخور القشرة فى المتوسط من ٢ر٧ الى ٣ر٣ جم/سم٣ عند ســـطح يدعى سطح موهو ، الذى يفصـــل القشرة عن الرداء •

(ب) الرداء :

ويصـــل عمقه تحت القشرة الى حوالى ٣٠٠٠ كيلو مترا ، ويتكون من صـــخور الاولفين التى تتزايد كثافتهـــا الى ٥ر٥ جم/سم٣ عند أسفل الرداء ، وهذه الصخور أكثر شبها بالسائل الكثيف اللزج منهـــا بالجسم البللورى الصلب ، وتتكون غالبا من أكاســـيد الفلزات الثقيلة كالحديد •

(جـ) القلب أو النواة :

ويمتد بعـــد الرداء مباشرة الى الداخل ، مسافة تصل الى ٣٤٠٠ كم حيث تنتهى عنـــد مركز الأرض • وقلب الارض يتكون من الحـــديد والنيكل مع نســـــبة ضئيلة من السيليكون والمواد المشعة ، وتصل الكثافة الى ١٢ جم/سم٣ ودرجة الحرارةالى ٥٠٠٠° مئوية، والضغط الى أكثر من ٤ر١ مليون ضـــــغط جـــوى !

وبذلك يتضـــح أن قلب الارض هو أثقل طبقاتها ، ونظرا لارتفاع الضغط ودرجة الحرارة فان هـــذه الاثقال سوف تندفع عندما تتصدع الارض نتيجة الزلزال العظيم يوم القيامة ، وبهــــذا تلتهب الارض ويحدث الدمار الشامل !

وصـــدق الله العظيم بقـوله تعالى :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم » .

(الحج : ١)

ثالثا : نسف الجبال وتسييرها ؟

لقد ورد ذكر الجبـال فى آيات قرآنية تتعلق بالقيامة وأشراطها ، ويتضح من هذه الآيات أن مصـير الجبال يتفق مع الأحداث الكونية التى سبق شرحها . فالجبال سوف تتحرك حركة شديدة وتصبح رملا متناثرا بعد أن كانت حجارة صلبة متماسـكة كما فى قوله تعالى :

« يوم ترجف الارض والجبـال وكانت الجبال كثيبا مهيلا » .

(المزمل : ١٤)

« اذا رجت الارض رجـا ، وبست الجبال بسا ، فكانت هبـاء منبثـا » .

(الواقعة ٤ ـ ٦)

ونظرا لشدة الحرارة على سطح الارض يوم القيامة ، فان الجبـال سـتنفجر تلقائيا ، وبهـذا يتم نسفها ، وتصبح كالصـوف المنفوش المتطـاير ، كما فى قوله تعالى :

« ويسـألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسـفا . فيذرها قاعا صفصـفا . لا ترى فيهـا عوجا ولا أمتـا » .

(طه ١٠٥ ـ ١٠٧)

« يوم يكـون الناس كالفراش المبثوث ، وتكون الجبـال كالعهن المنفوش » .

(القارعة : ٤ ، ٥)

وسـوف يكون المصير النهائى للجبال هو الزوال التام ، كما يتضح من الآيات الكريمة التالية :

« يوم تمور السـماء مورا ، وتسير الجبال سيرا » .

(الطور : ٩ ، ١٠)

« واذا الجبال سيرت » .

(التكوير : ٣)

« وسيرت الجبال فكانت سرابا »

(النبأ ٢٠)

وزوال الجبـال يقودنا الى الحديث عن زوال السـماوات

والأرض ، عندما يحدث التصادم الكونى العظيم ، وتلتقى جميـــع المجرات بنجومهـــا وكواكبهـــا وأقمارها ، فى انفجـــار هائل تلتقى فيه المادة والمادة المضـــادة فيزول الكون . ان اصـــطدام الاجرام السماوية ليس بغريب مطلقا ، بل الغريب حقا هو عـــدم وقوع هذا الاصـــطدام ! وصدق الله العظيم بقوله تعالى :

« وحملت الارض والجبـــال فدكتا دكة واحدة » .

(الحاقة : ١٤)

رابعا : زوال السماوات والارض :

لقد أشـــار القرآن الكريم الى فناء الكون بزوال الســـــماوات والارض ، اذا تغير نظام هـــــذا الكون بارادته سبحانه ، كما أشار الى عجز جميع الكائنات عن منع هـــذا الزوال عند حدوثه بقوله تعالى :

« ان الله يمسك الســـموات والارض أن تزولا ولئن زالتـــا ان أمسكهما من أحد من بعده » .

(فاطر : ٤١)

« واذا السماء كشطت » .

(التكوير : ١١)

« يوم تبدل الارض غير الارض والســـموات وبرزوا لله الواحد القهار » .

(ابراهيم : ٤٨)

فتأمل معى هذه الآيات ، واعلم أن زوال الســـماوات والأرض واعادة تشـــكيلهما حدث حقيقى ، يعترف به العلم الحـــديث ، على ضـــوء اكتشـــاف المادة والمادة المضادة ، وتحول المادة الى طاقة ، وتحـــول الطاقة الى مادة ، طبقا لقانون أنيشتين !

فلقد اكتشف علماء الطبيعة منذ ســـــنوات قليلة جسيمات ذرية مضادة للجســـيمات الذرية العادية تماما ، كما اكتشف الانسان صورته فى المرآة ! . وعلى ســـبيل المثال فالذرة العادية تتكون من نواة بها بروتونات موجبة الشـــــحنة ، ونيوترونات متعادلة ، ويدور حول النواة اليكترونات ســـالبة . أما الذرة المضـــادة فتتكون من الجسيمات المضـــادة فالبروتون الموجب له ضـــد يدعى البروتون

السالب • والنيوترون له ضـــديد يدعى النيترون المضـــــاد بعزم مغناطيسى معاكس • والاليكترون السالب له ضديد يدعى الاليكترون الموجب ، أو ما يسمى بالبوزيترون

•• وتشير الآيات الكريمـــة التالية الى هذه الحقيقة العلمية الهامة ، التى تم اكتشافها حديثا :

« ومن كل شىء خلقنـــا زوجين لعلكم تذكرون » •

(الذاريات : ٤٩)

« ســبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » •

(يس : ٣٦)

ولقد أصبح علماء الطبيعة الآن يبحثــون تلقائيـــا عن الجســيم المضـــاد ، اذا اكتشفوا أى جسيم ذرى جديد !

ومن خواص الجســـــــيمات المضـــادة ، أنها تفنى سريعا فور تقابلها مع الجســـيمات العادية المناظرة لها ، لتحولهما معـــا الى طاقة ، وذلك فى عملية افنـــاء ذرية معروفة لدى علماء الطبيعـــة ، وتم اكتشافها خلال التفاعلات النووية • ولا يمكن الاحتفاظ بجسيمات المادة المضادة فى عالمنا • ويتوقع العلماء أن ذرة المادة المضادة لا تختلف فى صـــفاتها عن ذرة المادة العادية ، واحداهما صورة معكوسة للاخرى ، ولا يمكن التمييز بينهمـــا الا اذا تقابلا فتحدث الكارثة بفنائهمـــا ، وتحولهما الى طاقة فى شكل أشعة غير مرئية ، مثل أشـــعة جاما • (كما أن الاشـــعة قد تتحول الى نوعى المادة ، ويحدث ما يســـمى بالتجســـيد) •

ويعتقد العلماء الآن أن الكون قد نشأ من طاقة تحولت الى نوعى المادة ، بحيث أن كميـــة المادة فى الكون لابد وأن تساوى كمية المادة المضـــادة ، وبحيث يظل النوعان متباعدين بدليل تباعد النجـــوم والمجرات عن بعضـــها بمسافات خيالية شـــاسعة ، وهذا التباعد ضرورى ، حتى يمنع تلاقى المادة مع المادة المضادة ، وبالتالى يمنـــع فناء الكون وزواله •

ولقد ثبت علميا أن الكون الحالى يتمدد ويتسع وتتباعد المجرات عن

بعضها ، وصدق الله العظيم بقوله تعالى :

« والسـماء بنيناها بأيد وانا لموسعون » .

« الذاريات ٤٧ »

ويتوقع العلماء أن تمدد الكون حاليا ما هو الا حالة مؤقتة سيتبعها تقلص عندما تسيطر الجاذبية على قوة الاندفاع (التى سبق أن اكتسبتها المجرات منذ الانفجار الكونى العظيم عند نشأة الكون) . ويبدأ الكون فى الانكماش حتى يصل فى النهاية الى التصادم والاندماج فى البيضة الكونية ، وعندئذ تلتقى المادة مع المادة المضادة ، ويتحول الجميع الى طاقة ، ويزول الكون المادى ، وتشير الآية الكريمة التالية الى هذا المعنى بقوله تعالى :

« يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين » .

(الانبياء ١٠٤)

وفى ضوء هذه الوقائع العلمية لم تعد مسألة نهاية الكون وزواله غير مفهومة ، وأن استبدال السماوات والارض أمر قائم ، وأن القيامة يجب أن تكون حقيقة معلومة فى أعماقنا ، ونحن اليوم نعرفها غيبيا ، ولسوف نلقاها فى صورة الواقع الذى أشارت اليه آيات القرآن الكريم ، وحقائق العلم الحديث . وأما تحديد موعد القيامة فهذا أمر يعجز العلم عن تحديده . وليس هذا غريبا فنحن نعلم حقيقة الموت ولكننا نجهل موعده ! وصدق الله العظيم بقوله تعالى :

« يسألونك عن الساعة أيان مرساها . فيم أنت من ذكراها . الى ربك منتهاها » .

(النازعات : ٤٢ ، ٤٤)

وبهذا صرف القرآن عن السؤال عن مرسى الساعة ومستقرها ، وأوانها ، لان الله تعالى قد استأثر بعلمها ، فاليه وحده منتهاها :

« اليه يرد علم الساعة »

(فصلت : ٤٧)

« ان الله عنده علم الساعة » .

(لقمان : ٣٤)

وسوف تحدث الساعة بغتة حتى يظل للقيامة رهبة المجهـول وعنف المفاجأة :

« حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة »
(الانعام : ٣١)

وليعلم الكفار أن الساعة آتيـة لاريب فيها وأن العلم الحـديث لا ينكر أحداثها ، كمـا وردت فى القرآن الكريم ، فى اعجـاز علمى بالغ .. وصدق الله العظيم بقوله تعالى :

« وقال الذين كفروا لا تأتينـا الساعة . قل بلى وربى لتأتينكم »
(سـبأ : ٣)

حقا سوف تأتى الآخرة كضرورة أخلاقية للثواب والعقـاب .. وكضرورة نفسية لان البعث هـو العزاء الوحيد لحتمية الموت ، بل لأن الوجود الانسانى كله ليس له معنى بدون الآخرة .

حقا سوف تأتي الآخرة كضرورة علمية ، كما وضح فى استعراضـنا لبعض الاحداث الكونية ، كتكور الشمس ، وانكدار النجوم وزلزلة الارض ، ونسف الجبال ، وزوال الكون .

والحمد لله الذى هدانا لهـذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ومنذر العالمين .

« ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا .. ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنـا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ، ربنـا وآتنـا ما وعدتنا على رسـلك ولاتخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد » .

(آل عمران)
١٩٣ — ١٩٤

دكتـور

منصور محمد حسب النبى

كيف تقرأ البخارى ؟

للأستاذ / محمد أحمد بدوى

من معاد القول ومكروره أن صحيح البخارى أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل .

فعند الاستشهاد أو الاستدلال بأحاديث البخارى ، — ومثله فى ذلك صحيح مسلم — لا يحتاج الأمر فيه الى التعقيب على الحديث بأنه صحيح لأنه علم أن جميع ما فيهما صحيح ، الا أحاديث قليلة جدا تكلم فيها ، وحصل الرد على ما تكلم به فيها .

أما عند الاستشهاد بما فى أمهات كتب الحديث الأخرى ، فان الأمر يقتضى التعقيب على الحديث بحالته من الصحة ، أو الحسن أو الضعف .. اما من المصنف نفسه ، واما من أحد الأئمة المشهورين بالعلم فى الجرح والتعديل ، لأنه علم أن هذه المصنفات تجمع .. الصحيح ، والحسن ، والضعيف .

وقد بذل البخارى فى نقد رواة حديثه وغربلتهم أقصى ما فى الطاقة البشرية ، فى ذلك الوقت ، بل وقد سبق زمنه بقرون ، ويكفى أنه اختار « الجامع الصحيح » من مئات الالوف من الأحاديث .

البخارى ليس مجرد جمع للحديث :

ان للبخارى فى مصنفه عملا بارزا واجتهادا واستنتاجا وفقها

قال العلامة ابن حجر : « .. ثم رأى ألا يخليه من الفوائد الفقهية ، والنكت الحكمية ، فاستخرج من المتون معانى كثيرة فرقها فى أبواب الكتاب » .

ولو كان مقصد البخارى مطلق التحديث ، لصنع صنيع مسلم •• فى تجميع الأحاديث والطـرق فى مكان واحد ، توحى به المناسـبة التعبدية ، التقليدية البـــارزة فى الأحاديث ، ولاكتفى بتحكيـــم منطوق الأحـــاديث ، أو المعنى التعبدى فيها •• فى صياغة تراجم الأبواب •

ان تبويب البخارى يمتـــــاز بالتنوع الذى يظهر فيه ســـبق العصر فقد أوفى الأبواب التقليدية المتداولة فى عصره حقهــــا من الاستيعاب والاستقصاء •

ثم استنتج أبوابا اجتماعيــة ، وسياسية ؛ وحربية ، ودولية •• وفى الزرع ، والصناعة ، والتجارة، والشركات ، والصلح ، والشهادات والحكم والأدب ؟

وقد انتبه البخارى ــ بعبقريته ــ الى الأطر الاجتمــــاعية ــ الشكلية ــ وأهميتها فى المضـمون الاجتماعى لســـلوك النـــاس وحياتهم •

ففى (٥٦ ــ كتاب الجهاد) ذكر أبوابا للفرس والحمار ، وتسميتهما واضمار الخيل ، والمجن ، والترس والحمائل •• وتعليق السـيف فى العنق ، وفى الشجر •• والخروج فى السفر بعد الظهر ، وفى آخــر الشهر ، وفى رمضان •

وذكر فى اللباس •• الثيــاب•• البيض ، والخضر ، والحمـــر ، والخمائص ، والقمصان ، والازر المهدبة •

وقد فضل بعض المغاربة صحيح مسلم على صحيح البخارى ، لأنه ليس فيه بعد خطبته الا الحديث السرد •• وليس فى سرد مســلم للحديث ــ بدون التفقه واستنتاج المعانى ــ أى ميزة له ، وانما الميزة للبخارى فيما زاده عـــــن سرد الجــديث •

وقد أشبع ــ العالم الكبـــير الأستاذ الدكتور الحسينى هاشم ــ هذا المعنى فى رسالته للدكتوراه ؟؟

وقال فى كتاب أئمة الحديث ! وقد أكثر البخارى فى كتابه مــن التراجم ، فقبل أن يذكر الحديث يذكر الترجمة التى تناسبه ، كأنها شرح له ، أو توجيه الى بديعـــة فيه ، أو معني خفي يدرك باجهــاد

الذهن •• وغرضه من ذلك ــ كما قال الامام النووى « الاستنباط منها ، والاستدلال لأبواب أرادها •• من الفقه ، والأصول ، والزهد، والأدب والامثال وغيرها ، وربط كثيرا من أحاديثه بآيات من القرآن وأقوال السلف ، وما يستنبطه من الأحاديث فكانت مقدمة لفهم الحديث وشرحا مركزا شرح به البخارى صحيحه ، حتى قيل : ان فقه البخارى فى تراجمه » أ هـ

ومنهج البخارى فى هذا جعله أقرب الى أن يكون كتابا للخاصة ، ففيه أمور كثيرة تحتاج الى مراجعة الشروح كلما اعترض القارىء منها شىء ؟؟

ونحاول هنا تزويد القارىء ببعض الملاحظات التى تعينه على الاستفادة من أثمن كنوز السنة قراءة وفهما ، واستشهادا ؟

سمى البخارى مصنفه : « الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وايامه » •

وكلمة « المسند » هنا تعنى •• أن أسانيد أحاديثه متصلة من البخارى الى النبى صلى الله عليه وسلم فى المرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم أو الى الصحابى ، أو التابعى ، فى المرسل ، والموقوف؟

فالكتاب كما سماه البخارى •• منهج حياة الأمة الاسلامية ، والدولة الاسلامية ، ممثلة فى سنن الرسول وأيامه •

والكتاب •• مقسم الى كتب تبلغ سبعة وتسعين كتابا •

والكتب مقسمة الى أبواب •• تقرب من أربعة آلاف باب ــ يطلق الشراح عليها ، وعلى مشتملاتها •• لفظ التراجم ، وهى التى سنستخدمها فى هذه الدراسة ؟

مقصود البخارى من صحيحه ؟؟

يصادف قارىء البخارى كثير من الأمور الغامضة نجمل أهمها ونوضحه فيما يلى ــ :

أولا ــ : يلاحظ القارىء اشتمال التراجم على الآيات القرآنية الكريمة ، وما لا يسوق له البخارى اسنادا ، أو يسوق له جزءا من السند ، من الآثار عن الصحابة ، والتابعين ، والأئمة ، والأحاديث المنسوبة الى النبى

صلى الله عليه وسلم وهذه تسمى المعلقات ، والمتابعات •

كما يجد القارىء هذه المعلقات والمتابعات ، فى ثنايا الأحاديث وقبلها وبعدها •

وأحيانا يجزم البخارى بما يسوق منها •• بأن يقول •• قال : فلان ، أو رواه فلان •

وأحيانا لا يجزم •• فيسوق عبارة تفيد التمريض (التضعيف) مثل : ويذكر عن فلان •

وبعض هذه المعلقات والمتابعات يكون البخارى وصلها فى مكان آخر من صحيحه •

وبعضها قد يكون وصله غيره من أئمة الحديث •

ففى أول باب من (٢ ــ كتاب الايمان) يجد القارىء جزءا من حديث مرفوع يأتى فى الباب ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس ، وآيات قرآنية ــ وقولا للبخارى ، وهو قول وفعل ، ويزيد وينقص ــ وآثارا عن عمر بن عبد العزيز ، ومعاذ ، وابن مسعود ، وابن عمر ، ومجاهد ، وابن عباس •

قال العلامة ابن حجر فى (هدى السارى) : « المقصود من هذا التصنيف (الجامع الصحيح) بالذات : هو الأحاديث الصحيحة المسندة ، وهى التى ترجم لها ، والمذكور ــ بالعرض والتبع ــ الاثار الموقوفة ، والأحاديث المعلقة ، نعم : والآيات المكرمة ، فجميع ذلك مترجم به » أ هـ

وتوضيح مقصود البخارى مما هو مذكور بالتبع والعرض •• يرجع فيه الى الشروح المطولة ، ولم يسبق لاحد أن علق على البخارى بخلاصة ما فى هذه الشروح •• خاص بذلك •• لا فى المخطوط مما خدم به البخارى ، ولا فى المطبوع ؟؟

ولا يجزىء من ذلك ما أفرد له ابن حجر كتابه (تغليق التعليق) الذى لم يطبع الى الآن من نسخته الوحيدة الكاملة فى الآستانة !؟

ان القارىء العادى ، بل والمتخصص يحب أن يسعف بكل ما يعينه على تمييز ما يقرأ •• بعضه من بعض ، وفى الموضع نفسه !؟

وخفاء كثير من ذلك على كثير من الدارسين ، جعلهم : يدخلون تعليقات لم يصلها البخارى فى أى مكان من صحيحه ، من صلب مقصوده •• فرقموها •• بالرغم من تنبيه الشروح •• الى عدم وصل البخارى لها !؟

والأمثلة متوفرة فى بعض طبعات البخارى الى الآن •

كما جعل بعض الباحثين يقعون فى خطأ نسبة كل ما تضمنه البخارى من تعليقات ، ومتابعات ، وآثار •• الى الصحيح — فيقولون عند ذكر شىء منه : رواه البخارى فى صحيحه !؟

يلاحظ القارىء أن بعض التراجم يدل على مطابقة ما فى عنوان الباب مع ما تحته من أحاديث ، كأنه يقول : هذا الباب الذى فيه : كيت وكيت — أو باب الدليل على الحكم الفلانى — كما فعل أئمة الحديث من قبله ومن بعده •

وبعض هذه التراجم قد يأتى بلفظ الحديث ، أو بجزء منه أو بمجمل معانيه أو بمعنى من معانيه ؟

ومن أمثلة ذلك فى (٢ — كتاب الايمان) فى (٨ — باب حب الرسول من الايمان) * والحديث:لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده •

وفى (٩ — باب حلاوة الايمان) ونص الحديث فى الباب : ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان •• أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ،وأن يحب المرء لا يحبه الا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر ، كما يكره أن يقذف فى النار — فقد ترجم هنا بما يدل على مجمل المعانى بلفظ من الحديث •

ثم كرر الحديث فى الكتاب نفسه تحت ترجمة من لفظ الحديث ، وهى : (١٤ — باب من كره أن يعود فى الكفر ، كما يكره أن يقذف فى النار) •

(*) تنبيه — الرقم الموضح هنا ، ثم فى سائر المقال .. هو للكتاب ، والباب من كتاب (صحيح البخارى) منقول من الطبعات الجديدة التى طبعت منه بالقاهرة ، كطبعة المكتبة السلفية ، أو طبعة الدكتور مصطفى كمال وصفى بمكتبة دار الشعب بالقاهرة — لهذا لزم التنويه •

ثم كرره فى (٧٨ — كتاب الادب) تحت ترجمة من ألفاظ الحديث وهى (٤٢ — باب الحب فى الله) •

ثم كرره فى موضع رابع فى (٨٩ — كتاب الاكراه) تحت معنى مقارب لجزء من الحديث فى (١ — باب من اختار الضرب ، والقتل ، والهوان •• على الكفر) •

غير أن كثيرا من التراجم يخفى فيها وجه المطابقة بينها وبين ما تحتها من أحاديث • وهذه التراجم هى التى توسع فيها البخارى ، وسلك فيها أوسع السبل، ومنها —:

١ — ما يكون فى لفظ الترجمة احتمال لأكثر من معنى ، فيورد الحديث ليعين أحد الاحتمالات تفقها من البخارى — وهو لا يجزم بشىء فى هذه التراجم •

ومثال ذلك فى (٦٨ — باب البول فى الماء الدائم) من (٤ — كتاب الوضوء) وساق الحديث بالنهى عن التبول فى الماء الدائم •

ومثال ذلك أيضا فى (٣٩ — باب كتابة العلم) من (٣ — كتاب العلم) فانه لم يجزم فى الترجمة •• لا بنهى ، ولا اباحة ، وساق الاحاديث •• مبينا فيها مشروعية كتابة العلم •

٢ — ويفتح البخارى أبوابا من العلم بصيغة الاستفهام ، وذلك — كما قال ابن حجر — « حيث لا يتجه له الجزم بأحد الاحتمالين ، وغرضه : هل يثبت ذلك الحكم أم لا يثبت ؟ لينبه على أن هناك اجمالا أو أن المدرك مختلف فى الاستدلال به » •

ومثال ذلك : (٣٥ — باب هل يجعل للنساء يوم على حدة ؟) من (٣ — كتاب العلم) وفى الحديث — المسوق له الترجمة — أن رسول الله جعل للنساء يوما •

ومثلة : (٤ — باب المتيمم ، هل ينفخ فى يديه ؟) من (٧ — كتاب التيمم ، وفى الحديث : أن رسول الله نفخ فى يديه حين التيمم) •

٣ — قد يفتح للبخارى بابا من العلم حديث ليس على شرطه ، فيأتى بمعنى الحديث أو بنصه ترجمة لباب يسوق فيه أحاديث على شرطه بمعنى ما يريد •

ومثال ذلك (٤٣ — باب قول

النبى صلى الله عليه وسلم : الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين ، وعامتهم) .

هذا الحديث ليس على شرطه ، وأخرجه مسلم — لكنه ساق فى الباب أحاديث على شرطه فى هذا المعنى.

ومثال ذلك أيضا : (٣٥ — باب اثنين فما فوقهما جماعة) فى (١٠ — كتاب الأذان) وهذا نص حديث ليس على شرطه ؟ وأورد فى الباب حديث مالك بن الحويرث ، وفيه .. قول الرسول صلى الله عليه سلم لمالك وصاحبه : « فأذنا وأقيما ، ثم ليؤمكما أكبركما » .

واذا لم يجد البخارى فى الباب حديثا على شرطه ، فانه يذكر الترجمة بلفظ الحديث الذى ليس على شرطه ، ويورد معها أثرا أو آية قرآنية ، أو جزءا من حديث — على شرطه — يسوقه معلقا (بدون سند) ويكون وصله فى مكان آخر من صحيحه ، أو جزءا من حديث ليس على شرطه ووصله غيره ، فكأنه يقول : لم يصح فى الباب شىء على شرطى .

ومثال ذلك (١٠ — باب العلم قبل العمل) من (٣ — كتاب العلم) فانه ساق فيه آيات قرآنية وآثارا وأجزاء من أحاديث .. واحد منها فقط على شرطه وهو « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » ولم يجد البخارى فى هذا الباب حديثا على شرطه ؟

٤ — من التراجم ما ظاهره قليل الجدوى ، لكنه اذا حققه المتأمل اكتشف جدواه كقوله (٢٠ — باب قول الرجل : « فاتتنا الصلاة » من (١٠ — كتاب الأذان) وأشار به الى الرد على من كره ذلك اذ أورد فى الباب قول الرسول صلى الله عليه وسلم « ما فاتكم فأتموا»

وكقوله (٢٦ — باب قول الرجل: ما صلينا) من (١٠ — كتاب الأذان) فانه أشار به الى الرد على أن كراهة قول ذلك — المحكية عن النخعى — ليست على أطلاقها ؟

٥ — قد يبوب بما ليس فى الخبر الذى يسوقه تحت الباب تصريح به ، ولكنه يشير الى ما ورد فى بعض طرقه من معنى هذه الترجمة ..

ومن ذلك (٢٣ — باب من اطلع

فى بيت قـــــوم ففقئوا عينه ، فلا دية له) من (٨٧ ــ كتـــاب الديات) فقد ساق فيه ثــــلاثة احاديث ليس فيها تصريح بمــــا جزم به من نفى الدية •• لكــــن فى الحديث الثالث نفى الجناح •• لا نفى الدية ••

٦ ــ قد يبوب البخارى بسبب لفظة تكون فى احدى روايـــات الحديث ليست فى الروايات الأخرى لـــه ••

ومثال ذلك (١١ ــ باب التصيد على الجبال) من (٧٢ ــ كتــاب الصيد) لوجود جملة فى رواية من روايات حديث أبى قتادة فى صيده حمار الوحش ، وأكل أصحابه منه وهم محرمون ، والجملة قـــول أبى قتادة : وكنت رقاء على الجبال

ثانيا الاختصـــار

مما يصادف القارىء فى البخارى ما فيه من اختصار أوقع كثيرا من الشراح فى الخطأ •• كما قـــال ابن حجـــر •

ويصادف القارىء اختصارا فى المتون ، أو فى الاسناد ، أو فيهمــا معــا ؟

الاختصار فى المتون

أما اختصار المتـــون فانه قـــد يحذف المتن بكامله •

(أ) حينما يكون عنده حـــديث ساق متنه باسناد ، وعنده المتـــن نفسه ، أو نحوه باسناد آخر •• فانه لا يعيد ذكر المتن ، ويقول بعد السند الثانى : بهذا أو بنحوه ــ وبعض المرقمين لأحاديث البخارى لا يرقم هذا الحديث !؟

(ب) حينما يكون البخارى عنده متن واحد ، باسنادين مختلفين ،أو أكثر ، فانه يسوق المتن مـــــرة واحدة •

وقد يضع رمز التحويل (ح) بين الأسانيد ــ وقد لا يضع ، وهو حرف الحاء المفرد •

والمثال الواضح على ذلك : أنه ساق متنا واحدا من أربعة متون ، بأربعة أسانيد •• عن النعمان بـــن بشير يقول النبى صلى الله عليـــه وسلم « الحلال بين والحرام بين » فى (٢ ــ باب الحلال بين والحرام بين) من (٣٤ ــ كتاب البيوع) •

(ج) حينما يكون عنده متـــــن باسنادين ، متفقين فى جميع الرواة

عن صحابيين ، فانه لا يكرر السند كما لا يكرر المتن •

وقد يختصر من المتن جزءا •• ويبقى جـزءا اذا كان الجـزء المحـذوف مذكـورا فى متـن سـبقه مبـاشرة ، ويكتفى بذكر ما حصل فيه اختلاف الثانى عـن الأول ، وقد يكون الجزء المحذوف من أول الحديث أو من آخره ؟

ومثال ذلك فى (١١ باب شـهود الملائكة بدرا) من (٦٤ ــ كتـاب المغازى) قد ساق حديثا عن رافع الزرقى ، وكان عنده هذا المتن لكن بسند آخر فذكر منه أوله (وكـان رافع من أهل العقبة ، فكان يقول لابنه : ما يسرنى أنى شهدت بدرا بالعقبة ــ قال : سأل جبريل النبى صلى الله عليه وسلم بهذا •• أى سأله : ما ذا تعدون أهل بـدر فيكم •• ؟ الخ ما فى الحـديث السابق •

وقد يكتفى من المتن الثـانى بكلمة واحدة ، هى ما حصـل به الاختلاف بين الروايتين ؟

ومثال ذلك فى (١٧ ــ باب مـن أسرع ناقته اذا بلغ المدينة) من (٢٦ ــ كتاب العمرة) فانه بعد أن ذكر حديث أنس فى هذا •• تـام الاسناد والمتن ، ساق اسنادا آخر عن أنس وقال : جدرات ــ والمعنى: أن المتن المحذوف مماثل للمتـن السابق ، الا فى قوله : جدرات •• بـدل : درجات ؟

٢ ــ الاختصار فى الأسانيد

أما الاختصار فى الأسـانيد ، فيكون ــ :

١ ــ من أولها فى المعلقـات ، والمراد من التعليق : ما حذف مـن مبتدأ اسناده واحد أو أكثر ، ولو الى آخر الاسناد •

وهذا التعليق •• اما أن يكون البخارى وصله فى مكان آخـر من صحيحه ــ أى ساق له اسنادا واصلا اليه •• واما أن يكون وصله غيره من أئمة الحديث •

وتارة يجزم به ، بأن يقول : قال فلان •

وتارة يذكره بصيغة التمريض (التضعيف) كأن يقول : ويذكر عن فلان •• ولا يعرف هـذا الا من الشروح وخفاؤه جعل بعض مرقمى البخارى يرقمون تعليقات لم يصلها

البخارى فى صحيحه !؟

ومثال التعليق الذى وصله البخارى فى موضع آخر من صحيحه .. جزء من حديث فى ترجمة (٢٢ ــ باب الجنة تحت بارقة السيوف) من (٥٦ ــ كتاب الجهاد) وهو قوله : وقال المغيرة بن شعبة : أخبرنا نبينا عن رسالة ربنا .. من قتل منا صار الى الجنة ــ وهذه الجملة جاءت ضمن حديث وصله البخارى فى أول (٥٨ ــ كتاب الجزية) .

ومثال التعليق الذى لم يصله البخارى ، ووصله غيره قوله فى ترجمة (٨٨ ــ باب ما قيل فى الرماح) من (٥٦ ــ كتاب الجهاد) ويذكر عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم (جعل رزقى تحت ظل رمحى ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى) .

وفى هدى السارى : وصله أبوداود .

وصيغة (يذكر) وما شابهها من صيغ التمريض التضعيف تكثر فى المعلقات التى لم يصلها البخارى فى موضع آخر ، أو وصلها لكن بالمعنى !؟

أما أكثر ما أوقع الشراح فى الخطأ .. فهو أجزاء من أحاديث ، أو أحاديث كاملة لها هيئة التعليق ، أو صورته .. باختصار جزء من أول السند ، فيظن بعض الشراح أنها معلقة .. وقد استدرك ابن حجر فى كثير منها على الشراح ، ومنهم الكرمانى نفسه واتهمه واتهم غيره بالخطأ والوهم !؟

ومثال ذلك فى (١ ــ باب بدء الوحى) حيث قال بعد أن ساق حديث عائشة عن بدء الوحى ، قال : قال ابن شهاب ، وأخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن .. أن جابر بن بن عبد الله الانصارى قال وهو يحدث عن فترة الوحى ، فقال فى حديثه : بينما أنا أمشى ، اذ سمعت صوتا من السماء .. الخ

قال فى الفتح : وأخطأ من زعم أن هذا معلق ، وان كانت له صورة التعليق ؟

وفى (٩ ــ باب الصلاة فى القميص والسراويل ، والتبان) من (٨ ــ كتاب الصلاة) بعد أن ساق الحديث عما لا يلبس المحرم من الثياب .

قال البخارى : وعن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله •

وقال ابن حجر فى الشرح (وزعم الكرمانى •• أن قوله : وعن نافع •• هو تعليق من البخارى — وقد قدمنا •• أن التجويزات العقلية لا يليق استعمالها فى الامور النقلية)•

٢ — قد يختصر البخارى الاسانيد من آخرها اذا كان الآخر مشتركا مع السند السابق :

ومثال ذلك فى :

(٣ — باب الدخول على الميت) • من (٢٣ — كتاب الجنائز) بعد حديث أم العلاء عن موت عثمان ابن مظعون •• ساق البخارى اسنادا لم يتمه ، قال : حدثنا سعيد بن عفير عن الليث •• مثله — وبين الليث ، وبين أم العلاء ثلاثة رواة •• حذفهم لوجودهم فى السند السابق •

٣ — الاختصار فى الاسانيد والمتون معا

قد يختصر البخارى فى الاسانيد والمتون معا •• وفى موضع واحد حينما يكون فى حديثين متتابعين — قدر مشترك — فى الاسناد ، وقدر مشترك فى المتن •

ومثال ذلك فى (٤٥ — باب مسح الرأس مرة) من (٤ — كتاب الوضوء) بعد أن ساق حديث عبد الله بن زيد عن وضوء النبى صلى الله عليه وسلم قال : وحدثنا موسى ، قال : حدثنا وهيب ، قال : مسح رأسه مرة •• والمعنى : أن الرواة من وهيب الى عبد الله ابن زيد ، وعددهم ثلاثة ، مذكورون فى السند السابق ، والمتنان متساويان الا لفظ « مرة » فانه ليس فى المتن السابق ؟

أقصى اختصار فى البخارى للاسناد والمتون •• فى موضع واحد يبلغ البخارى أحيانا حدا بعيدا فى الاختصار ، فيشير الى الحديث كله — سنده ومتنه — بكلمة واحدة فيقول : فيه فلان ، أو رواه فلان ، أو تابعه فلان ••

مثال ذلك فى ترجمة (١١٤ — باب من غزا — وهو حديث عهد بعرس) من (٥٦ — كتاب الجهاد) قال : فيه •• جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم وبيان هذا : أن البخارى أخرج بسند تام الى جابر حديثا طويلا ، فيه : أنه غزا وهو

حديث عهد بعرس ، وذلك فى (١١٣ ـ باب استئذان الرجل الامـام) من (٥٦ ـ كتاب الجهاد) •

ثالثا ـ التكرار

قد يلاحظ القارىء تـكرارا فى الاحاديث أحيانا باسهاب ، وأحيانا باختصار ، ولكنه قلما يجد حديثا مكررا باسناده ومتنه ، الا فيمـا ندر ، ويدل هذا على أمور ننبه •• منها على أمرين مهمين :

أحدهما : فقه البخارى ، الـذى يستخرج من الحديث •• معـانى كثيرة ، يضع لها أبوابا يضمنهـا الحديثبكامله ـ مطولا أو مختصرا ـ أو يضع الاحاديث فى الابواب التى تناسب كل معنى فيها ؟؟ كمـا سبق توضيحه فى (٩ ـ باب حلاوة الايمان) ؟

سبق البخارى الى الفهرسة الحديثة ؟؟

ثانيهما : سبق البخـارى عصره بمئـات السنين الى الفهرسـة الحديثة التى تهدى البـاحث الى مطلوبه اذا كانمتذكرا الأحد عناصره ففى حديث حلاوة الايمان من (٩ ـ باب حلاوة الايمـان) ثلاثة عناصر ، أيها يهدى البـاحث الى الحديث فى الباب الذى يتضمنه ـ ولو لم يلزم البخارى نفسه بـأن لا يذكر حديثا الا اذا كان له عنده سند مستقل : لزاد حجم البخارى أضعافا مضاعفـة ، ولأرانا ـ من تفننه فى التبويب ، وفتح أبـواب العلم ـ العجب العجاب ، ولأعطانا أعظم فهرسـة للسنة وأدقهـا ، وأوفاها ؟

وقد تكفـل ما اهتـدى اليه الباحثون ـ مؤخرا ـ من التعقيب على الأحاديث بمواضع تكرارها • بتحقيق جزء من أهداف البخارى •

أما المضى بمنهج البخـارى الى غاياته • فهو يشكلأحدث مااهتدى اليه الباحثون ، من الفهرسـة العلميـة الشاملة ، التى تهـدى الباحث الى جميع مواضع كل معنى فى أحاديث البخارى ؟ •

وقد يسر الله تعالى ـ لهـذا الضعيف ـ الاهتداء الى هـذه الفهرسة ، ومنهجها ، والبـدء فى فهرسةعلمية شاملة : للصحيحين فى كتاب (كفاية •• المسلم فى الجمع بين البخارى ، ومسلم) •

وأسأل الله العلى أن يعين على هذا العمل الشاق المضنى ، والذى تتكافأ ثمرته مع أى جهد يبذل فى سبيلها •

أسـباب التكرار فى البخـــارى

زيادة على ما سبق ــ منذ قليل ــ فقد ساق ابن حجر عن محمــد ابن طاهر المقدسى •• أن البخارى كان يذكر الحديث فى كتـــابه فى مواضع ، ويستدل به فى كل بـــاب باسناد آخر ويستخرج ــ بحسن استنباطه وغزارة فقهـــه : معنى يقتضيه الباب الذى أخرجه فيه ــ وقلما يورد حديثا فى موضـــعين باسناد واحد ولفظ واحد ، وانمـــا يذكر ممن طرق أخرى لمعان • منها :

١ ــ أنه يخرج الحـــديث عن صحابى ، ثم يورده عن صـــحابى آخر •• ليخرجه عن حد الغرابة •

٢ ــ ومنها : أحاديث يرويهـــا بعض الرواة تامة ، ويرويها بعضهم مختصرة ، فيوردها كما جـــاءت ، ليزيل الشبهة عن ناقليها ؟

٣ ــ ومنها : أن الرواة ربمـــا اختلفت عباراتهم فحــــدث راو بحديث فيه كلمة تحتمــل معنى ، وحدث به آخر فعبر بكلمة تحتمــل معنى آخر فيورده بطرقه ــ اذا صحت على شرطه ــ ويفرد لكـــل لفظة بابا مفردا ؟

٤ ــ ومنها : أنه ربما أوردحديثا عنعنه روايه (يعنى •• قـــال : عن فلان ••) فيورده من طريق آخر صرح فيه هذا الراوى بالسماع ، فقال : سمعت فلانا ، أو حدثنى فلان ــ على ما عرف من طريقته : فى اشتراط ثبوت اللقاء فى المعنعن؟

اقتراحـــات

يجب أن يتضـــمن أى عمـــل للبخارى : مقبل ، أو للجمع بينـــه وبين مسلم •• الأمور الآتية ــ :

١ ــ تمييز ما عناه البخـــارى بصحيحه من الأحاديث المســندة الموصـــولة مما ذكره بالتتبـــع ، والعرض ؟؟

٢ ــ ترقيم الأولى ترقيما جديدا ــ لا يتقيد فيه بأن ترقيم سبق•• يكون قد أدخل فى البخارى ماليس فيـــه ؟؟

٣ ــ بيان من وصل كل تعليـــق ومتابعة ؟؟

وذلك لتلافى اضـــافة ماليس فى البخارى اليه ، والله ولى التوفيق •

محمد أحمد بدوى

فى التشريع الإسلامى

الأدلة الشرعية المرنة

الاستصحاب ● المصالح المرسلة ● الاستحسان

للدكتور / محمد محمد الشرقاوى

تتسع شريعتنا الاسلامية السمحة لكل متطلبات الحياة المعاصرة، وما تتمخض عنه من حوادث وقضايا لم يسبق بها عند الفقهاء عهد ، ولم يكن لها لدى المسلمين الأوائل وجود ·· وذلك بعرضها على الأدلة المتفق عليها عند جمهور الفقهاء ومنهم الأئمة الاربعة ·· من كتاب أو سنة صحيحة أو اجماع أو قياس لاستنباط أحكامها ، واستتشفاف نظائرها وأمثالها ·· على أن ثمت ألوانا أخرى من الأدلة المرنة كانت مجالا واسعا لاجتهاد الفقهاء ، وحلبة رحبة لاستباق العقول ، ومباراة الأفهام ·· مما جعلها مثارا للتنازع عليها ، والاختلاف فيها ، والاعتماد عليها ·· وفقا لما اهتدى اليه كل فقيه بفكره ، وما وعاه من علمه ·· ومهما يكن من أمر اختلافهم أو تنازعهم فان هذه الأدلة الخارجة عن اطار اتفاقهم ·· كانت وستظل علامة بارزة على سعة أفق الشريعة ، ورحابة صدورها ، ومدى ما تتيحه لأبنائها ومجتهديها من سعة ويسر ، وما تمنحه للفكر الفقهى من حرية وانطلاق ومرونة ·· ونستطيع أن نجمل ذلك فيما يأتى :

١ ـ الاستحسان ·

٢ ـ عدم الدليل دليل على عدم الحكم ·

٣ ـ المصالح المرسلة ·

٤ ـ تعارض الأشباه .

٥ ـ الاستدلال .. ويشمل : (شرع من قبلنا ـ الاستصحاب ـ التلازم ـ وجود السبب ـ وجود المانع ـ فقدان الشرط) .

٦ ـ قول الصحابى .

واليك فكرة موجزة عن كل منها :

١ ـ الاستحسان .. وبه أخذ الحنفية ورده غيرهم لأنه قول بالهوى والتشهى .. وهو مما لا يجوز فى الشريعة .. والحق أن الاستحسان الذى اعتمده الحنفية دليلا فى أحكامهم الاجتهادية ليس هو القول بالتشهى ولا بالهوى فهذا مما لم يخطر ببالهم .. وانما هو فى أحسن أقوالهم قياس له علة خفية فى مقابلة قياس له علة ظاهرة فى موضوع واحد .. فالاخذ بما ظهرت علته يسمى قياسا ، والأخذ بما خفيت علته يسمى استحسانا ومن هنا لم يكن هناك خلاف فى الحقيقة ، كما لم يكن هناك محل لقول من قال : (من استحسن فقد شرع) ومن أمثلته : حفظ القرآن الكريم بجمعه فى مصحف ، وتوسيع المسجد النبوى .

٢ ـ عدم الدليل دليل على عدم الحكم : لم يأخذ به الحنفية وأخذ به غيرهم .. وبامعان النظر نجد أن الخلاف هنا لفظى لا حقيقى .. لأنهم جميعا متفقون على انعدام الحكم اذا انعدم دليله .. الا أن الحنفية يجعلون ذلك من باب العدم الأصلى لا من باب العلة .. اذ العلة لاتكون الا أمرا وجوديا .. بينما يرى غيرهم أنه من باب العلة التى لامانع لديهم أن تكون أمرا عدميا .

٣ ـ المصالح المرسلة : وقد أثبتها مالك بكثرة والشافعى فى قوله القديم ، ومنعها الحنفية وغيرهم لعدم مايشهد لها من نص معتمد ـ فى رأيهم ـ بينما يرى مالك وأتباعه أنها وان لم يشهد لها أصل معين .. لكن شهدت لها مجموعة أصول متعددة .. تدور كلها فى فلك المصلحة التى تتلقاها بالقبول عقول الفقهاء والمجتهدين ، وقد دافع القدافى عن مذهب مالك بقوله : (ان الجميع يقيسون

ويفرقون بين قيـــاس وآخــــر بالمناسبات لا بطلب شاهد بالاعتبار أو الالغاء ، ولامعنى لذلـــك الا المصالح المرسلة) ، وقد عمـــل بالمصالح المرسلة على نطاق واسع امام الحرمين فى كتابه (الغياثى) ونسج على منواله الغــــزالى فى (شفاء الغليل) ومستندهم فى هذا مطلق المصلحة .

٤ ــ **تعارض الأشـــباه** : أى تعارض الأدلة فى موضوع مشترك بحيث لايمكن الترجيـــح ، وبذا ينص الحكم على العدم الاصــلى .. مثل قــول زفر من الحنفية : لايدخل غسل المرافق فى الوضــوء فى قوله تعالى (**وأيديكـــم الى المرافق**) لوجود التعارض فى المراد بالى التى تفيد الغاية .. حيث جاء **قوله تعالى (وأتموا الصـيام الى الليل)** فلم يدخل الليل فى الصيام .. وجاء أيضا قوله تعالى : (**من المسجد الحرام الىالمسجد الأقصى)** فدخل مابعدها فيما قبلها .. فوقع الشك فى مدلولهـــا .. ولايثبت الوجوب بالشك ، فبقى حكم غسل المرافق علي العدم الأصلي .

وهذا كلام يدل على الفقاهـــة وعمق النظر ..وان كان غيره قد رد عليه بأن ما بعد الى ان كان جــزءا مما قبلها دخل فى حكم ما قبلها .. والا فلا .. والمرافق داخلـــة فى الأيدى طبيعة ولغة لانها اســـم للجارحة المخصوصـــة من رءوس الأصابع الى الابط .. بينما لــم يدخل الليل فى مطلق الصيام ، لان مطلقه يصدق ولو بالامساك ساعة .. وأحسن ما يقال هنا : ان غسل المرافق دخل فى وجوب غسلاليدين احتياطا فى العبادات والاحتياط فى صحتها واجب .

* **الاستدلال بشرع من قبلنا** .. أى بوجــود الحكم فى شرائع الامم السابقة اذا حكاه القـــرآن الكريم أو الســنة الصحيحة بدون انكار أو نسخ أو تأقيت أو انفساخ كقول القرآن الكريم فى ذكر قصـــة موسى عليه السلام (**وأقم الصلاة لذكرى**) فقد أخــذ منها وجــوب قضاء الصلاة التى نام عنها صاحبها متى ذكـــرها ويكون ذلك كفــارة لتأخيرها عن وقتها ، وقد أخذ بذلك الحنفية وعامة المتأخرين وخالف فى

ذلك غيرهم .

٦ ـ الاستدلال بالاستصحاب : وهو القول ببقاء الاحكام السابقة والظن بامتدادها ما لم يظن ارتفاعها ، وهو حجة عند الشافعية والحنابلة لان سبق الوجود دليل على الامتداد والبقاء حتى يوجد الناقض لذلك ولذلك بقيت رسالات الرسل ودلالات الكتب والهدايا المرسلة الى الغير الى حين وصولها سارية المفعول ، ويرى أبو زيد وشمس الأئمة وفخر الاسلام : أنها حجة للدفع لا للاثبات والاستحقاق ، ويرى الحنفية انها ليست حجة مطلقا .. والدفع مبنى على العدم الأصلى لا على الاستصحاب .. لان مثبت وجود الشيء غير مثبت بقائه وامتداده ، اذ يحتاج هذا الاخير الى دليل آخر وهو ظهور الناسخ بالنسبة لشريعة عيسى عليه السلام وعدمه فى حق شريعة محمد صلى الله عليه وسلم .

٧ ـ الاستدلال بالتلازم : أى باثبات الحكم الثابت لاحد المتلازمين للاخر اذا ثبت بالتتبع والاستقراء أنهما متلازمان طردا وعكسا ايجابا وسلبا مثل : كل من صح طلاقه صح ظهاره وذلك عند الشافعى الذى يجوز ظهار الذمى ، فانه يقال كذلك : كل من صح ظهاره صح طلاقه ومثل ذلك فى السلب .

٨ ـ الاستدلال بوجود السبب .. أو بوجود المانع .. أو بفقدان الشرط : مثال الاول : سوق الدابة التى تلف بها مال حيث يضاف الحكم الى سائقها .. ومثال الثانى الجنون المطبق مانع من وجوب الصلاة ومثال الثالث : انعدام النية أو الطهارة فى انعدام الصلاة ، والحنفية لا يستدلون بهذه الثلاثة لأنها كدعوى بلا دليل معين ، وغيرهم يستدل بها لأنها مأخوذة من أدلة فى الجملة .

٩ ـ قول الصحابى : وهو دليل شرعى فيما له حكم الرفع الى الرسول صلى الله عليه وسلم .. وهو أنواع :

(أ) ما لا مجال للاجتهاد فيه كصلاة على كرم الله وجهه صلاة الكسوف فى كل ركعة بأكثر من ركوعين .

(ب) الاخبار بالثواب أو العقاب

على أمر من الأمور لأنه لا يعرف الا بالتوقيف ٠

(جـ) اضـــافته الى زمن النبى صلى الله عليه وسلم كقول جابر (كنا نعزل على عهد رســـول الله صلى الله عليه وسلم) ٠

(البخارى ومسلم)

(د) قول الصحابى : أمرنا بكذا أو نهينا عن كذا مثل (أمر بلال أن يشفع الاذان ويوتر الاقامة) ٠

(البخارى ومسلم)

(هـ) قول أحد الرواة عند ذكر الصحابى : يرفعه أو ينميه أو يبلغ به أو رواية مثل حديث الاعرج عن أبى هريرة رواية : (تقاتلون قوما صغار الاعين) ٠

(البخارى)

(و) تفسير الصـــحابى لسبب نزول آية : مثل (كانت اليهـــود تقول : من أتى امرأته من دبرها فى قبلها جاء الولد أحول ٠٠ فأنزل الله تعالى : (نســـاؤكم حرث لكم ٠٠ الآية) ٠

أما اذا كان قول الصحابى مما لا يدخل فى حكم المـــرفوع فليس بحجة لأنه ليس منسوبا الى النبى صلى الله عليه وســـلم وانما هو منسوب اليهم ٠٠ وكل ما يفيد ذلك تقوية بعض الاحاديث الضعيفة ٠٠ أو أولوية العمل به باعتباره صادرا من أولى الالباب والبصائر ٠

دكتور محمد محمد الشرقاوى

من توجيهات الخليفة الراشد

"عمر بن الخطاب" إلى رجال القضاء

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

ذكرنا فى مقال سابق أن القاضى يلزم بقوله وأن المفتى لا يلزم بفتواه وان كان قولهما اخبارا عن حكم شرعى لذلك كان القاضى خطره أشد — أما المفتى فانه يكون أقرب الى السلامة من القاضى .

ولهذا جاء فى القاضى من الوعيد والتخويف ما لم يأت نظيره فى المفتى .

روى أبو داود الطيالسى من حديث عائشة رضى الله عنها أنها ذكر عندها القضاة فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (يؤتى بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى أنه لم يقض بين اثنين فى تمرة قط) .

وفى السنن من حديث ابن بريدة عن أبيه قال — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(القضاة ثلاثة اثنان فى النار وواحد فى الجنة — رجل عرف الحق فقضى به فهو فى الجنة — ورجل قضى بين الناس بالجهل فهو فى النار — ورجل عرف الحق فجار فهو فى النار) .

وفى سنن أبى داود من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب عدله جوره فله الجنة — ومن غلب جوره عدله فله النار) .

وفى سنن البيهقى من حديث ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الله مع القاضى مالم

يجر فاذا جار برىء الله منه ولزمه الشيطان) ٠

ولقـــد أورد الامام شمس الدين محمد بن قيم الجـــوزية فى كتابة اعلام الموقعين نص كتـــاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أبى موسى الأشعرى وهو ما رواه ســـعيد بن أبى بردة (أما بعد ــ فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ــ فافهم اذا أدلى اليك ــ فانه لاينفع تكلم بحق لا نفاذ له ــ آس الناس فى مجلســك وفى وجهك وقضائك ــ حتى لا يطمع شريف فى حيفك ــ ولا ييأس ضــــــعيف من عدلك ــ البينة على المدعى واليمين على من أنكر ــ والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا ــ ومن ادعى حقا غائبا أو بينه فاضرب له أمدا ينتهى اليه ــ فان بينه أعطيته بحقه وأن أعجزه ذلك استحالت عليه القضية فان ذلك هو أبلغ فى العذر وأجلى للعماء ــ ولا يمنعك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك فهديت لرشدك أن تراجع فيه الحق فان الحـــق قديم لا يبطله شىء ــ ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطـــل ــ والمسلمون عـــــدول بعضهم على بعض الا مجربا عليه شهادة زور ــ أو مجلودا فى حد ــ أو ظنينا فى ولاء أو قرابة ــ فان الله تعالى تولى من العبـــاد السرائر ــ وستر عليهم الحدود الا بالبينات والايمان ــ ثم الفهم الفهم فيما أدلى اليك مما ورد عليك مما ليس فى قرآن ولا سنة ثم قايس الأمور عنـــد ذلك واعرف الأمثال ــ ثم اعمد فيما ترى الى أحبها الى اللـــه وأشبهها بالحق ــ واياك والغضب والقلق والضجر والتأذى بالناس والتنكر عند الخصومة أو الخصوم (شـــك الراوى) فان القضاء فى مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر ــ ويحسن به الذكر ــ فمـــن خلصت نيته فى الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين بما ليس فى نفسه شانه الله ــ فان الله تعالى لا يقبل من العباد الا ما كان خالصا ــ فما ظنك بثواب عند الله فى عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام عليك ورحمة الله) ٠

وقد تلقى العلماء والفقهاء الاسلاميون هذا الخطاب بقبول حسن وبنوا عليه الأصول التى يقوم عليها الحكم والشهادة ولنجتزىء منه الفقرات المهمة الآتية :

« قوله (القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة) يشير فى ذلك أن ما يحكم به الحاكم نوعان أحدهما فرض محكم غير منسوخ — ومثاله الأحكام الكلية التى أحكمها الله فى كتابه والثانى أحكام سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وهذان النوعان هما المذكوران فى حديث عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم (العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل — آية محكمة — وسنة قائمة — وفريضة عادلة) •

وقوله (فافهم اذا أدلى اليك) تعنى صحة الفهم وحسن القصد — وكما يقول الامام شمس الدين ابن قيم الجوزية عنهما أنهما من أعظم نعم الله بها على عبده بل ما أعطى عبد عطاء بعد الاسلام أفضل ولا أجل منهما — بل هما ساقا الاسلام وقيامه عليهما — وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم وطريق الضالين الذين — فسدت فهومهم ويصير من المنعم عليهم الذين حسنت أفهامهم وقصودهم وهم أهل الصراط المستقيم الذين أمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم فى كل صلاة •

وصحة الفهم نور يقذفه الله فى قلب العبد يميز به بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والهدى والضلال والغى والرشاد ويمده حسن القصد وتحرى الحق وتقوى الرب فى السر والعلانية ويقطع مادته اتباع الهوى وايثار الدنيا وطلب محمدة الخلق وترك التقوى •

فعلى القاضى أن يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه الى معرفة حكم الله ورسوله كما توصل شاهد يوسف عليه السلام بشق القميص من دبر الى معرفة براءته وصدقه — وكما توصل على بن أبى طالب كرم الله وجهه بقوله للمرأة التى حملت كتاب حاطب لما أنكرته (لتخرجن الكتاب أو لنجردنك)الى

استخراج الكتاب منها .

وقوله (فما أدلى اليك) أى ما توصل به اليك من الكلام الذى تحكم به بين الخصوم ومنه قولهم أدلى فلان بحجته — وأدلى بنسبه ومنه قوله تعالى (**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام**) سورة البقرة الآية ١٨٨ أى تضيفوا ذلك الى الحكام وتتوصلوا بحكمهم الى أكلها ويكون هذا عن طريق رشوتهم .

وعن وجوب تنفيذ الحق قوله (فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له) والمقصود بذلك التحريض على تنفيذ الحق اذا فهمه الحاكم — ولا ينفع تكلمه به ان لم يكن له قوة تنفيذه فهو تحريض منه على العلم بالحق والقوة على تنفيذه — وقد مدح الله سبحانه أولى القوة والبصائر فى الدين فقال (**واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب أولى الأيدى والابصار**) سورة ص الآية ٤٥ فالايدى تعنى القوة على تنفيذ أمر الله — والأبصار تعنى البصائر فى دينه .

وقوله (وآس الناس فى مجلسك وفى وجهك وقضائك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك) فاذا عدل القاضى أو الحكام فى هذا بين الخصمين فهو عنوان عدله فى الحكومة — لكن اذا خص أحد الخصمين بالدخول عليه أو القيام له أو بصدر المجلس والاقبال عليه والبشاشة له والنظر اليه كان هذا عنوان حيفه وظلمه وفى تخصيص أحد الخصمين بمجلس أو اقبال أو اكرام مفسدتان احداهما طمعه فى أن يكون الحكم له فيقوى قلبه وجنانه والثانية — ان خصمه الآخر ييأس من وصول العدل اليه فيضعف قلبه وتنكسر حجته .

وقوله (البينة على المدعى واليمين على من أنكر) ويقصد بالبينة فى كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة اسم لكل ما يبين الحق فهى أعم من البينة فى اصطلاح الفقهاء حيث خصوها بالشاهدين أو الشاهد واليمين قال تعالى (**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات**) سورة الحديد الآية ٢٥ ويقول جلت كلماته

(وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون،بالبينات) سورة النحل الآية ٤٣ وفى هذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم لمن كان يدعى حقا له (ألك بينة) لذلك كان المقصود بقول عمر رضى الله عنه (البينة على المدعى) ان المدعى يجب عليه تبيان الحق بتقديم الشهود أو الدلالات فان الشارع فى جميع المواضع مقصده اظهار الحق بما يمكن ظهوره به من البينات التى هى أدلة عليه وشواهد له واثبات الحقوق جائز فى نظر الشارع الاسلامى بأى دليل وعلى القاضى أو الحاكم أن يحكم بالحجة التى ترجح الحق اذا لم يعارضها مثلها والمطلوب من أى منهما أن يعلم ما يقع ثم يحكم فيه بما يجب فالأول مداره على الصدق والثانى مداره على العدل قال تعالى **(وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم)** سورة الأنعام الآية ١١٥

ــ وأى الخصمين ترجح جانبه جعلت الشريعة اليمين من جهته لما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قضى بالشاهدين واليمين وثبت عنه أنه عرض الايمان فى القسامة على المدعين أولا فلما أبوا جعلها من جانب المدعى عليهم.

وقوله (والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا) وهذا القول مروى عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه الامام الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الصلح جائز بين المسلمين الا صلحا حرم حلالا أو أحل حراما ــ والمسلمون على شروطهم الا شرطا حرم حلالا أو أحل حراما) .

وقد ندب الله سبحانه وتعالى الى الصلح بين الطائفتين فى الدماء فقال **(وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما** سورة الحجرات الآية ٩

وندب الزوجين الى الصلح عند التنازع فى حقوقهما فقال جلت كلماته **(وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير)** سورة النساء الآية ١٢٨

وقال تعالى (**لا خير فى كثير مــن نجواهم الا من أمر بصـــــدقة أو معروف أو اصــلاح بين الناس**) سورة النساء الآية ١١٤ .

واصلح النبى صلى الله عليـه وسلم بين بنى عمرو بن عوف لمـا وقع بينهم ـ ولما تنازع كعب بن مالك وابن أبى حدرد فى دين على ابن أبى حدرد أصلح النبى صلى الله عليه وسلم بأن استوضع من دين كعب الشطر وغريمه بقضـاء الشطر ـ وقال لرجلين اختصـما عنده (اذهبا فاقتسما ثم توخيـا الحق ثم استهما ثم ليحلل كـل منكما صاحبه وقال (من كانت عنده مظلمة لأخيه من عـــرض أو شىء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ـ وان كان له عمل صالح أخذ منه بقــدر مظلمته ـ وان لم يكن له حسنات أخــذ من سيئات صاحبه فحمل عليه) .

وجوز صلى الله عليه وســلم فى دم العمد أن يأخذ أولياء القتيــل ما صولحوا عليه ـ ولما استشــهد عبد الله بن حرام الانصـــارى والد جابر وكان عليه دين ســأل النبى صلى الله عليه وسلم عرماءه أن يقبلوا ثمر حائطه ويحللوا اياه ـ وقال عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان لايرى بأســـا بالمخارجة يعنى الصلح فى الميراث ـ وسميت المخارجة لأن الــوارث يعطى ما يصالح عليه ويخرج نفسه من الميراث .

وصولحت امرأة عبد الرحمــن ابن عوف عن نصيبها من ربع الثمن على ثمانين ألفا ـ وقد روى عــن محارب قال قال عمـــــر (ردوا الخصوم حتى يصطلحوا ـ فــان فصل القضاء يحدث بين القـــوم الضغائن) ويروى عنه أيضا قوله (ردوا الخصوم لعلهم أن يصطلحوا فانه آثر للصدق وأقل للخيانة) .

وقوله (ردوا الخصوم اذا كانت بينهم قرابة فان فصل القضـــاء يورث بينهم الشنآن) .

الحقوق التى تقبل الصلح :

ان حقوق الآدمييــن هى التى تقبل الصلح والاسقاط والمعارضة عليها ـ والصلح العادل هو الذى أمر الله ورسوله صلى الله عليــه وسلم قال تعالى (**فأصلحوا بينهما**

بالعدل وأقسطوا) سورة الحجرات الآيـــة ٩ •

أما الصلح الجائز فهو الظلـــم بعينه ــ وكثير من الناس لا يتحرى العدل فى الصلح بل يصلح صــلحا جائرا يرضى به صاحب الجـــاه القادر ويكون له فيــــه حظ أما الضعيف فله الاغماض والحيف ولا يمكن المظلوم من أخذ حقه ــ وهذا ظلم ــ لكن تقرير العدل أن يمكن المظلوم من استيفاء حقه أولا ثــم يطلب اليه برضاه أن يترك بعض حقه بغير محاباه لصاحب الجاه •

ومن المسلم به أن حق الله لا مدخل للصلح فيه كالحـــــدود والزكوات والكفارات ونحــوها ــ وأن الصلح بين العبد وبين ربــه فى اقامتها لا فى اهمالها وتركهــا ولهذا لا يقبل الصلح بالحدود ــ واذا بلغت السلطان فلعن اللـــــه الشـــافع والمشفع •

كما أن الصلح الجـــائز بيـــن المســلمين هو الذى يعتمد فيــه رضا الله سبحانه رضا الخصــمين فهذا أعدل الصلح وأحقه ــ وهــو يعتمد العلم والعدل فيكون المصلح عالما بالوقائع عارفا بالواجب قاصدا للعدل ــ فدرجة هذا أفضل مــن درجة الصائم القائم ــ كما قــال النبى صلى الله عليه وســــلم (ألا أنبئكم بأفضل من درجـــة الصائم القائم قالوا بلى يارسول الله قال اصلاح ذات البين ، فــان فساد ذات البين الحالقة أما انى لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلـــق الدين) وبقول جلت كلماته : **(انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بيـــن أخويكم ــ واتقوا الله لعلكـــم ترحمون)** ســـورة الحجــرات الآية ١٠ •

وأما قوله (من ادعى حقا غائبا أو بينة فاضرب له أمــــدا ينتهى اليه •• •• ••) فهذا من تمـــام العدل فان المدعى قد تكون حجتــه أو بينته غائبة ــ فلو عجل عليــه بالحكم بطل حقه لذلك فانه ان سأل أمدا تحضر فيه حجته أجيب اليه ــ والحاجة تقدر بقدرها فان ظهر للقاضى عناده لم يضرب له أمــدا بل يقوم بالفصل فى الخصومة فان ضرب الأمد انما كان لتمام العدل لكن اذا كان فيه ابطال للعــدل لم

يجب اليه الخصم •

وقوله (ولا يمنعك قضاء قضيت به اليوم فراجعت فيه رأيك وهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحـق فان الحق قديم ولا يبطله شيء — ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل) يريد أنه اذا اجتهد القاضى فى خصومة ثم عرضت له خصومة أخرى مشابهة فلا يمنعه الاجتهاد الأول من اعادته فان الاجتهاد قد يتغير ولا يكون الاجتهـاد الأول مانعا من العمل بالثانى اذا ظهر أنه الحق فان الحق أولى بالايثار لأنه قديم سابق على الباطل •

وقوله (والمسلمون عـدول بعضهم على بعض الا مجريا عليه شهادة زور أو مجلودا فى حـد أو ظنينا فى ولاء أو قرابة) يعنى أن شهادة أى من المسلمين مقبولة فى مواضع الشهادة فهم عدول بعضهم على بعض الا من قام به مانـع الشهادة ومن أمثلة موانع الشهادة:

(أ) من جرب عليه شهادة الزور فلا يوثق بعد ذلك فى شهادته •

(ب) أو من جلد فى حد لأن الله سبحانه وتعالى نهى عن قبـول شهادته •

(جـ) أو متهم بأن يجر الى نفسه نفعا من المشهود له كشهادة السيد لعبده الذى سـبق له أن أعتقه بمـال •

(د) أو شهادة العتيق لسيده اذا كان فى عياله أو منقطعا اليـه يناله نفعه •

أما عن شهادة الأقارب بعضهم لبعض — فمن الفقهاء من جـوز شهادة القريب لقـريبه مطلقا كالأجنبى ولم يجعل القرابة مانعة من الشهادة بحال — قال بـذلك علماء أهل الظـاهر ومنهم الامام أبو محمد بن حزم الأندلسى •

ومن الفقهاء من منع قبـول شهادة الاصول للفروع والفـروع للأصول خاصة — وجوزوا شهادة سائر الأقارب بعضهم لبعض •

أما حجتهم فى المنـع فهى أن الأبناء بضعة من الآباء فاذا شهدوا لأبنائهم فكأنما لبعضـهم قالوا والشهادة ترد بالتهمـة — والوالد متهم فى ولده فهوظنين فى قرابته •

وقد قال النبى صلى الله عليـه وسلم فى الولد (أنت ومالك لأبيك)

فاذا كان مال الابن لأبيه فاذا شهد له الأب بحال كان قد شهد به لنفسه قالوا ولان بينهما من البعضية والجزئية ما يمنع قبول الشهادة كما منع من اعطائه من الزكاة وهذا ما يشير اليه قوله تعالى (**وجعلوا له من عباده جزءا**) سورة الزخرف الآية ١٥ (أى ولدا) فالولد جزء فلا تقبل شهادة الرجل فى جزئه •

قالوا وقد قال صلى الله عليه وسلم (ان أطيب ما أكل الرجل من كسبه ــ وان ولده من كسبه) فكيف يشهد الرجل لكسبه قالوا والانسان متهم فى ولده ــ مفتون به قال تعالى (**انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم**) سورة التغابن الآية ١٥ والفتنة محل التهمة •

الا أن فريقا من الفقهاء جوز شهادة الوالد لولده والولد لوالده والأخ لأخيه استنادا الى ما روى عن الزهرى قال لم يكن يتهم سلف المسلمين الصالح فى شهادة الوالد لولده ولا الولد لوالده ولا الأخ لأخيه ولا الزوج لامرأته ــ ثم دخل الناس بعد ذلك فظهرت منهم أمور حملت الولاة على اتهامهم فتركت شهادة من يتهم اذا كانت من قرابة وصار ذلك من الولد والوالد والأخ والزوج والمرأة لم يتهم الا هؤلاء فى آخر الزمان •

ولقد ذكر أبو عبيد فيما رواه عن شبيب بن غرقدة قال (كنت جالسا عند شريح فأتاه على بن كاهل وامرأة وخصم فشهد لها على بن كاهل وهو زوجها وشهد لها أبوها فأجاز شريح شهادتهما فقال الخصم هذا أبوها وهذا زوجها فقال له شريح (أتعلم شيئا تجرح به شهادتهما ؟ كل مسلم شهادته جائزة) ويبدو أن ما رآه القاضى شريح له ما يؤيده فى كتاب الله تعالى وذلك فى قوله (**يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم**) سورة المائدة ١٠٦ ولاريب فى دخول الآباء والأبناء والأقارب فى هذا اللفظ كدخول الأجانب وتناولها للجميع بتناول واحد ــ ولم يستثن الله سبحانه

ولا رسوله من ذلك أبا ولا ولدا ولا أخا ولا قرابة ولا أجمع المسلمون على استثناء أحد من هؤلاء وتطبيقا لهذا النظر روى عن شبيب بن غرقدة قال (سمعت شريحا أجاز لامرأة شهادة أبيها وزوجها فقال له الرجل انه أبوها وزوجها قال شريح فمن يشهد للمرأة الا أبوها وزوجها) .

كما روى عن عبد الرحمن بن عبد الله الانصارى قال (أجاز عمر بن عبد العزيز شهادة الابن لأبيه اذا كان عدلا) .

وقد ذكر الزهرى أن الذين ردوا شهادة الابن لابيه والأخ لأخيه هم المتأخرون — وقد سبق تبرير ذلك بأن سببه دخل الناس أى ما ظهر فيهم من المكر والخديعة والفساد وقوله (الا مجريا عليه شهادة زور) يدل على أن المرة الواحدة من شهادة الزور تكفى لرد شهادة صاحبها — وقد قرن الله سبحانه فى القرآن الكريم بين الاشراك بالله وقول الزور فى قوله تعالى (**فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به**) سورة الحج الايتان ٣٠ ، ٣١ وفى الصحيحين قول النبى صلى الله عليه وسلم (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا بلى يا رسول الله قال الشرك بالله ثم عقوق الوالدين — وكان متكئا فجلس ثم قال ألا وقول الزور ألا وقول الزور — ألا وقول الزور — فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت — وفى الصحيحين أيضا عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (أكبر الكبائر الاشراك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وقول الزور) .

وقوله (أو مجلودا فى حد) المراد به عدم قبول شهادة القاذف اذا أقيم عليه حد القذف فاذا ما تمت توبته فان شهادته تكون مقبولة فى رأى بعض الفقهاء وهم الامام مالك والامام الشافعى والامام أحمد — أما الامام أبو حنيفة وأصحابه فيرون عدم قبولها باعتباره فاسقا حتى ولو تاب ويحتجون فى ذلك بأن الله تعالى أيد المنع من قبول شهادتهم بقوله (**فاجلدوهم ثمانين**

جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبـدا وأولئك هم الفاسقون الا الـذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فـان الله غفور رحيم) سورة النـور الآيتان ٤ ، ٥ فحكم عليهم بالفسق ثم استثنى التائبين من الفاسقين لكن بقى المنع من قبول شهادتهم على اطلاقه وتأبيده لأنه جعل من تمام عقوبتهم •

أما فى السنة فقد روى عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده عـن النبى صلى الله عليه وسلم قولـه (لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا محدود فى الاسـلام ولا محدودة ولا ذى غمر على أخيـه رواه ابن ماجه ورواه البيهقى •

أما من يرى قبول شهادة المجلود فى الحد بعد التوبة فيرى أن النص القرآنى السابق الالماح اليه حجة لهم اذ الكلام تبع بعضه على نسق واحد فقال **(ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسـقون الا الذين تابوا)** فانتظم الاستثناء كل ما كان قبله •

أما فى السنة فان الامـام الشافعي كان يقول عن ابن عباس أنه كان يجيز شهادة القاذف اذا تاب ـ وأن ما ورد فى الحديث عن عدم قبول شهادة المجلود فهـو محمول على غير التائب لأنه ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أن التائب من الذنب كمن لا ذنب لـه وأن عمر وابن عباس رضى اللـه عنهما قبلا شهادة المجلود بعـد توبتـه •

ويلحق بالمجلود فى الحد فى عدم قبول شهادته من وصم بالكفـر والسحر وقتل النفس وعقـوق الوالدين والزنا لكنهم لو تابوا من هذه الأشياء قبلت شهادتهم •

وقوله (أو ظنينـا فى ولاء أو قرابة) ويعنى ذلك أن الشهادة لا ترد بالقرابة كما لا ترد بالـولاء وانما ترد بتهمتها لأن الظنين هو المتهم وهذا تأكيد لماسبق أن ذكرناه فى قبول شهادة القرابة بعضـهم لبعض فقد روى عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن عمر بن الخطاب أنه قال تجوز شهادة الوالد لولده والولد لوالده ، والأخ لأخيه اذا كانوا عدولا كما روى أبو عبيدة عن أبي حبيب أن عمر بن عبد العزيز

كتب أنه تجوز شهادة الولد لوالده — وفى ذلك يقول اسحق بن راهويه (لم تزل قضاة الاسلام على هذا — وانما قبل قول الشاهد لظن صدقه فاذا كان متهما عارضت التهمة الظن فبقيت البراءة الأصلية ليس لها معارض مقاوم) •

وقوله فان الله تبارك وتعالى تولى من العباد السرائر وستر عليهم الحدود الابالبينات والايمان يشير بذلك الى أن الله سبحانه لم يجعل أحكام الدنيا على السرائر بل على الظواهر ، والسرائر تبع لها فمن ظهرت منه علانية خير قبلت شهادته ووكلت سريرته الى الله — أما أحكام الآخرة فعلى السرائر والظواهر تبع لها •

والذنوب التى نهى الله عن قربانها سترها الله وهى التى عناها كتاب الخليفة الراشد بلفظ الحدود اذ الحد يراد به الذنب تارة والعقوبة تارة أخرى •

ويريد بالبينات كما قدمنا آنفا الأدلة والشواهد — فانه قد صح عنه اقامة الحد فى الزنا بالحمل فهو بينة صادقة وأقوى من الشهود — وكذلك اقامة حد الخمر على شاربها من واقع رائحة الخمر فى فيه فهى بينة عليه فى شربها •

ومقصوده بالأيمان الزوج فى اللعان — وايمان أولياء القتيل فى القسامة فهى قائمة مقام البينة • وذهب جمهور الفقهاء الى أن اليمين تشرع من جهة أقوى المتداعيين فأى الخصمين ترجح جانبه جعلت اليمين من جهته — وذهب باقى الفقهاء (وهم أهل العراق) الى تكليف المدعى عليه وحده باليمين على تفصيلات كثيرة يمكن الرجوع اليها فى مراجع الفقهاء المختلفة •

وقوله (ثم الفهم الفهم فيما أدلى اليك مما ورد عليك مما ليس فى قرآن ولا سنة — ثم قايس الأمور عند ذلك — وأعرف الأمثال ثم اعمد فيما ترى الى أحبها الى الله وأشبهها بالحق) •

يعنى بذلك الى أعمال القياس — وقد أرشد الله تعالى الناس فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم الى أهمية القياس فمنها على سبيل المثال :

١ ــ قاس النشأة الثانية على النشأة الأولى فى الامكان وجعل النشأة الاولى أصلا والنشأة الثانية فرعا عليها •

٢ ــ قاس حياة **الأموات بعد** الموت على حياة الأرض بعد موتها بنمو النبات عليها •

٣ ــ قاس الحياة بعد الموت على اليقظة بعد النوم •

فالله ضرب الأمثال وصرفها فى الأنواع المختلفة وكلها أقيسه عقلية ينبه بها عباده على أن حكم الشيء حكم مثله فان الأمثال كلها قاسات يعلم منها حكم الممثل من من الممثل به قال تعالى (**وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون**) سورة العنكبوت الآية ٤٣ •

فالقياس فى ضرب الأمثال من خاصة العقل ــ وقد ركز الله فى فطر الناس وعقولهم التسوية بين المتماثلين وانكار التفريق بينهما والفرق بين المختلفين وانكار الجمع بينهما •

أما عن تقسيمات القياس ــ فمنها الصحيح ومنها الفاسد فالصحيح هو الميزان الذى أنزله الله مع كتابه والفاسد ما يضاده والأقيسة المستعملة هى قياس علة وقياس دلالة وقياس شبه وقد وردت كلها فى القرآن الكريم •

فمثال قياس العلة قوله تعالى : **(ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)** سورة آل عمران الآية ٥٩ فأخبر الله أن المسيح عيسى نظير آدم فى التكوين بجامع ما يشتركان فيه من المعنى الذى تعلق به وجود سائر المخلوقات وهو مجيئهاطوعا لمشيئته وتكوينه فكيف يستنكر وجود المسيح من غير أب من يقر بوجود آدم من غير أب ولا أم ــ ووجود حواء من غير أم ؟ فآدم والمسيح نظيران يجمعهما المعنى الذى يصح تعليق الايجاد والخلق به •

أما قياس الدلالة فمثاله قوله تعالى (**ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى أحياها لمحيى الموتى انه على كل شيء قدير**) سورة فصلت الآية ٣٩ فدل سبحانه عباده بما أراهم من الأحياء الذى

تحققــوه وشـــاهدوه عـــلى الأحياء الذى استبعدوه وذلك قياس احياء على أحياء واعتبـار الشىء بنظـيره ــ والعلة الموجبـة هى عموم قدرته سبحانه وكمال حكمته واحياء الأرض دليل العلة ٠

أما قياس الشبه فلم يحكه الله سبحانه الا عن المبطلين ومثالـه قوله تعالى اخبارا عن اخوة يوسف عليه السلام أنهم قالوا لما وجـد صواع الملك فى رحل أخيهم (**ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل**) سورة يوسف الآية ٧٧ فلم يجمعوا بين الأصل والفرع بعلة دليلهـا وانما ألحقوا أحدهما بالآخر مـن غير دليل جامع ــ سوى مجـرد الشبه الجامع بينه وبين يوسـف فقالوا هذا مقيس على أخيه بينهما شبه ذاك قد سرق من قبل فكذلك هذا ــ وهذا قياس فاسـد اذ التساوى فى قرابة الأخوة ليس بعلة للتساوى فى السرقة لو كانت حقا ولا دليل على التساوى فيها فيكون هذا القياس لنوع شبه خال مـن العلة ودليلها ــ وبالجملة فلم يجىء هذا القياس فى القرآن **الا مردودا** مذموما ٠

والحكم الشرعى يدور وجـودا وعدما مع علته ــ **أى أنه يوجـد** حيث توجد علته ــ وينتفى حيث تنتفى علته فهى أمر ظاهر منضبط يمكن التحقق من وجوده ووجـود الحكم بناء عليه أو انتفائه وانتفاء الحكم بناء عليه وهو مناسب للحكم أى أن الشأن فيه أنه مظنة تحقيق الحكمة ــ وأن الحكمة تتحقق ببناء الحكم عليه وجودا وعدما فلأجـل هذا أدار الحكم وجودا وعدما مع العلة التى هى مظنة الحكمـة لظهورها وانضباطها ــ ولم يـدر مع نفس الحكمة لخفائها وعـدم انضباطها ومادام الشارع قد ربط الأحكام بعللها الظاهرة المنضبطـة وجعل الحكم يدور وجودا وعدما مع علته لا مع حكمته فليس للمفتى أن يبنى فتواه ولا للقاضى أن يبنى قضاءه الا على مراعاة العلة ٠

المستشار محمد عزت الطهطاوى

أعلام الإسلام

من أئمة الحديث النبوى

الإمام أحمد بن حنبل

لفضيلة الدكتور الحسينى هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

امام جليل ، طبقت شهرته الآفاق ، وأجمع الكل على احترامه ، دافع عن الدين دفاع الأبطال ، ولم تأخذه فى الله لومة لائم .

انه الامام الجليل ، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانى ، أبو عبد الله المروزى ، ثم البغداوى . ساق البيهقى نسبه الى ابراهيم الخليل « عليه السلام » فهو عربى من العرب الخلص ، ومع ذلك لم يتعصب لعربيته ، ولم يفتخر بها ، قال ابن معين « ما رأيت خيرا من أحمد ، ما افتخر علينا بالعربية قط » .

وقال محمد بن الفضل السدوسى الملقب بعارم : قلت لأحمد يوما : « بلغنى أنك من العرب ، فقال : يا أبا النعمان ، نحن قوم مساكين . قدم به أبوه من مرو ، وهو حمل فى بطن أمه ، فوضعته أمه فى بغداد فى ربيع الأول من سنة أربع وستين ومائةه وتوفى أبوه وهو ابن ثلاث سنين ، فكفلته أمه ، يقول أحمد : فتثقبت أذنى ، وجعلت فيها لؤلؤتين ، فلما كبرت دفعتهما الى فبعتهما بثلاثين درهما .

توجه فى حداثته الى دراسة الفقه فى مجلس القاضى أبى يوسف ، ثم ترك ذلك وتوجه الى سماع الحديث ، فكان أول طلبه له وسماعه اياه من مشايخه ، سنة تسع وثمانين ومائة وقد بلغ من العمر ست عشرة سنة ، وخرج الى

الحج لأول مرة سنة سبع وثمانين ومائة ، ثم خرج اليه مرة ثانية سنة احدى وتسعين ثم سنة ست وتسعين ، وجاور فى سنة سبع وتسعين ثم حج فى سنة ثمان وتسعين وجاور الى سنة تسع وتسعين ، وسافر الى اليمن فقابل عبد الرازق الصنعانى فكتب عنه .

قال أحمد : حججت خمس حجج ، منها ثلاث راجلا ، أنفقت فى احدى هذه الحجج ثلاثين درهما . ولقد ضللت فى بعضها عن الطريق وأنا ماش ، فجعلت أقول : يا عباد الله، دلونى على الطريق فلم أزل أقول ذلك حتى وقفت على الطريق .

وكان رحمه الله فقيرا فى المال غنيا فى النفس ، قال عن نفسه : خرجت الى الكوفة ، فكنت فى بيت تحت رأسى لبنة ، ولو كان عندى تسعون درهما لرحلت الى جرير ابن عبد الحميد بالرى ، ولقد خرج بعض أصحابنا ولم يمكنى الخروج لأنه لم يكن عندى شيء ولعل حجه ماشيا انما كان لهذا العذر .

وعن الشافعى قال : وعدنى أحمد بن حنبل أن يقدم على مصر، فلم **يقدم** .

قال ابن أبى حاتم : يشتبه أن تكون خفة ذات اليد منعته من أن يفى بالعدة .

ورغم نشأته فى بغداد ــ بلد الخلافة والعلم والحضارة ، والمدنية المتقدمة فى ذلك الوقت ، لم يكتف بما لقى فيها من كبار العلماء ، وأجلة الحفاظ ، مقيمين ووافدين ، بل رحل الى بلاد العالم الاسلامى يستنشق عبير العلم ، ويتغذى بلبانه ، ويتيح لنفسه فرصة المقارنة بين مختلف المدارس ، والبيئات ، فرحل الى الكوفة حوالى سنة ١٨٣ هـ والى البصرة سنة ١٨٦ هـ والى مكة والمدينة وجاور بهما بعض الوقت كما قدمنا والى اليمن والشام والعراق .

شيوخه وثناء الأئمة عليه :

سمع من كثيرين ، وروى عن عدد وفير من **العلماء ، والحفاظ .** **فروى عن بشر بن المفضل ، واسماعيل بن على وسفيان بن**

عيينه ، وجدير بن عبـد الحميد ، ويحيى بن سعيد القطان وأبى داود الطيالسى والشافعى ، وقد ذكـر أحمد فى المسـند وغيره ، الرواية عن الشافعى ، وأخذ عنه جملة من كلامه فى أنساب قريش وأخذ مـن الفقه ما هو مشهور ، حتى أنه لمـا توفى وجد عنده فى تركته رسالتى الشافعى القديمة والجديدة ، وقد بلغ ماروأه أحمد عن الشافعى من الأحاديث حوالى عشرين حديثاً ، وكان الشافعى يقدره ويحتـرمه ويجله ، فقد قال له ، لما اجتمع به فى الرحلة الثانية الى بغداد سـنة ١٩٠ ه : « يا أبا عبد اللـه ٠٠ اذا صح عندكم الحديث ، فأعلمنى به، أذهب اليه حجازيا كان أو شـاميا أو عراقيا أو يمنيا ، وهو قول يبين مدى ثقة الشافعى فى مكانة أحمد فى الحديث وتفوقه فى ذلك عـلى أقرانه ، وقد أثنى عليه كثـير من الأئمة المتقدمين غير الشافعى ٠

فعن أبى اليمان قال : كنت أشبه أحمد بن حنبل بأرطاة بن المنذر ٠ وعن أحمد بن سليمان الواسـطى قال : ما رأيت يزيد بن هارون لأحد أشد تعظيما منه لأحمد بن حنبل ، وكان يزيد يقعده الى جنبـه اذا حدث ، ولما مرض أحمد ذات مرة ركب اليه يزيد وعاده ٠

قـال

طلب المأمون من الناس القـول بخلق القرآن ، ولم يكتف باعتقاد ذلك ، بل حاول فرضه بالقـوة ، وكلف نائبه ببغـداد اسـحق ابن ابراهيم بن مصـعب بذلك ، فاستدعى جماعة من أئمة الحديث ودعـاهم الى ذلك فامتنعـوا ، فتهددهم بالضرب والمضايقة وقطع الأرزاق عنهم ، فأجاب أكثـرهم مكرهين أخذا بالرخصة التى منحها الله للمكره ، قال تعالى : **« الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان »** ، وفى الحديث « **رفع عن أمتى الخطـأ والنسيان وما استكرهوا عليه** » ٠

ولم يمتنـع من ذلك الا أحمد ابن حنبل ، ومحمد بن نوح فحملا مقيدين على بعير ، وهددا بالقتل ، ومـات المـأمون ، فردوهما الى بغداد مع بعض الأسارى ، ومات ابن نوح بالطريق ، فانفرد الامام بالمعارضة ــ وأودع السجن نحوا

من ثمانية وعشرين شهرا أو نيفا وثلاثين شهرا ، ثم أخرج الى الضرب بين يدى المعتصم وكان يصلى بالسجن بمن فيه وهو مقيد من رجليه .

ولما خرج الى المعتصم مكنه من مناظرة خصومه ، فطلب احمد على القول بخلق القرآن دليلا من القرآن أو السنة ، وبين أنه لايقول الا بهما ، وأن الاسلام قام عليهما ، ولكن خصومه يئسوا من التغلب عليه ، وهيجوا عليه الخليفة ، وخوفوه من تعلق الناس به ، وكبر على الخليفة أن يمتنع أحمد عن اجابته ولو ظاهرا ، لئلا تذوب الفكرة بعد طول تثبيت فى قلوب الناس ، فأمر بضربه وسحبه واقاموه على كرسى ، وظلوا يضربونه بالسياط حتى أغمى عليه مرارا يدعونه كلما أفاق الى الاستجابة فيأبى حتى يئسوا منه ، وخافوا من الفتنة بقتله ، فأطلقوا سراحه ، وأخرجوه من سجنه الى أهله ودوى مما أصابه حتى شفى ، وسأل لكل من آذاه العافية الا أهل البدع . هذه هى المحنة التى رفعت اسم احمد عاليا ، وشهرت ذكره ، ورفعت قدره بين أهل عصره ، حيث باع نفسه فى سبيل الله ، فكان آمله أملا وصبره عزا ، وكلل الله جهاده بالنصر والفخار .

ولما خلص من المحنة لزم منزله لا يخرج منه لجمعة ولا جماعة ، وامتنع من التحديث ، واكتفى بايراده من ملك له يدر سبعة عشر درهما فى الشهر ينفقها على عياله صابرا محتسبا ، فلما ولى المتوكل على الله الخلافة استبشر الناس بولايته ، وكان الفرج على يديه ، فمنع القول بخلق القرآن ، واستدعى نائبه الامام أحمد اليه وأكرمه وعظمه ــ وحدث ما منع لقاءهما ــ ثم استدعاه الخليفة مرة ثانية ، فامتنع عنذلك لمرضه ، فألح عليه فاستجاب وامتنع عن قبول مظاهر الملك ، واكرام الخلافة ، واكتفى بالصيام وشرب السويق ، وأقام على مضض ، حتى اذن له الخليفة بالعودة الى داره ، وتوفى رحمه الله يوم الجمعة الثانى عشر

من ربيع الأول من سنة احدى وأربعين ومائتين ، وله من العمر سبع وسبعون سنة « رحمه الله » قال عبد الوهاب الوراق ، ما بلغنا أن جمعا فى الجاهلية ولا فى الاسلام اجتمعوا فى جنازة أكثر من الجمع الذى اجتمع على جنازة أحمد بن حنبل .

منهجه فى الحديث وأثره فيه

كان بارع الفهم لمعرفة الحديث صحيحه وسقيمه حتى لقد تعلم الشافعى منه اشياء من معرفة الحديث ، وكان الشافعى يسأله حديث كذا وكذا قوى الاسناد محفوظ ؟ فاذا قال أحمد : نعم ، جعله أصلا ، وبنى عليه . وكان الامام يتشدد فى قبول أحاديث الأحكام ، ويتساهل فى أحاديث الفضائل ، فقد روى عنه قال : « نحن اذا روينا فى الحلال والحرام شددنا ، واذا روينا فى الفضائل تساهلنا » . وكان يأخذ بما فيه ضعف قريب محتمل يزول بتعدد الطرق ، وهو الحسن لغيره فيها وكان يقدم السند على أقوال الرجال ، ويود أن يكون الفقه مبنيا على النقل قبل أى اجتهاد ، قال أبو زرعة الرازى : كان أحمد يحفظ الف الف حديث ، فقيل له : وما يدريك ؟ قال : « أخذت عليه الأبواب » — وقال الخليلى : كان أفقه أقرانه وأورعهم ، وأكفهم عن الكلام فى المحدثين الا فى الاضطرار وهذا أدب زائد منه :

ومن أشهر اثاره مسنده فى الحديث ، ذلك الكتاب الخالد أبو السنن وأكثر المراجع فى مجال السنة من كتب أئمة الحديث التى كتب لها البقاء .

مسند الامام أحمد :

سمى بالمسند لأنه يقوم على جمع أحاديث كل صحابى على حدة دون نظر الى موضوع الحديث ، وهذا هو المسند فى اصطلاح المحدثين . وقد رتبه على حسب فضل الصحابة ، فبدأ بالعشرة المبشرين بالجنة ، ثم بمن بعدهم ، وقد شهد له المحدثون قديما وحديثا بأنه أجمع كتب السنة للحديث ، وأوعاها لكل ما يحتاج اليه المسلم

فى أمر دينه ودنياه • قال أحمد فى مسنده : عملت هذا الكتاب اماما اذا اختلف الناس فى سنة رسول الله « صلى الله عليه وسلم » رجعوا اليه • وقد انتقاه من ألوف الأحاديث التى كان يحفظها ، حتى لقد قيل انه انتقاه من سبعمائة وخمسين ألف حديث •

وقد اشتمل المسند على أربعين ألف حديث بالمكرر ، وثلاثين ألفا من غير المكرر ، ومع ذلك لم يستوعب كل الأحاديث ، قال ابن كثير لا يوازى مسند أحمد كتاب مسند فى كثرته ، وحسن سياقاته وقد فاته احاديث كثيرة جدا بل قيل : « انه لم يقع له جماعة من الصحابة الذين فى الصحيحين قريبا من المائتين » ولكنه أكبر جهد بذله عالم فى مجال السنة وجمعها والعناية بها • والمسند الذى بأيدينا اليوم ، ليس كله من رواية الامام أحمد ، ولكن أضاف اليه ابنه عبد الله زيادات ليست من رواية أبيه ، وكذلك فعل الامام أبو بكر القطيعى راوى المسند عن عبد الله بن أحمد ، قال الشيخ أحمد الساعاتى : « بتتبعى لأحاديث المسند وجدتها تنقسم الى ستة أقسام :

١ ــ قسم رواه عبد الله بن أحمد سماعا من أبيه ، وهو المسمى « بمسند الامام أحمد » وهو كبير جدا يزيد على ثلاثة أرباع الكتاب•

٢ ــ قسم سمعه عبد الله من أبيه ومن غيره وهو قليل جدا •

٣ ــ قسم رواه عن غير أبيه وهو المسمى « بزوائد عبد الله » وهو كثير بالنسبة لما عدا القسم الأول •

٤ ــ قسم قرأه على أبيه ولم يسمعه منه •

٥ ــ قسم وجده فى كتاب أبيه بخط يده •

٦ ــ قسم رواه الامام أبو بكر القطيعى عن غير عبد الله وأبيه « رحمهما الله تعالى » وهو أقل الجميع •

« البقية صفحة ٩١٢ »

منهج الحكيم الترمذى فى التفسير

للدكتور / محمد ابراهيم الجيوشى

يرتكز فكـر الحكيم أساسا على فهم القرآن الكريم ، والتعمـق فى اسـتخلاص أسراره ومعانيـه الظاهرة والباطنة .

وقد بدأ اهتمامه بالقرآن منـذ رحلته الى الحج التى حدثنا عنهـا فى رسالته « بدء الشـأن » والتى يقول فيها « فقدمت مكة فى بقيـة شعبان فرزق الله المقام بهـا الى وقت الحج وفتح لى باب الدعـاء عند الملتزم فى كل ليلة سـحرا ، ووقع على قلبى تصحيح التوبة ، والخروج مما دق وجل ، وحججت فرجعت وقد أصبت قلبى ، وسألته عنـد الملتزم فى تلك الأوقـات أن يصلحنى ويزهـدنى فى الدنيـا ويرزقنى حفظ كتـابه ، وكنت لا أهتدى لشىء من الحاجات غير هـذا ، فرجعت ، وقـد ألقى على حرص التحفظ للقرآن فى طريقى ، فأخذت صدرا منه فى الطريق ، فلما وصلت الى الـوطن يسر على ذلك بمنه حتى فرغت منـه ، فاقامنى ذلك بالليل فكنت لا أمل من قراءته حتى انـه كـان ليقيمنى ذلك الى الصباح ، ووجدت حلاوته (١) وقد انعـكس هـذا الفهم على آثـار الحكيم كلها فى شتى فروع المعرفة التى ناقشها فى كتبه ورسـائله المتعددة .

وبين مؤلفـات الحـكيم كتب ورسائل تتصل مبـاشرة بالقرآن

(١) بدو الشان مخطوط اسماعيل صائب ورقة ٢١٠ .

الكريم ، وتكشف عن جوانب مهمة من فهمه لكتاب الله عز وجل ، وهذه الكتب هى :

١ ــ كتاب الأمثال من الكتاب والسنة مخطوط بباريس وأسعد افندى وكلكتا .

٢ ــ كتاب تحصيل نظائر القرآن مخطوط بمكتبة بلدية الاسكندرية وطبع أخيرا بمعرفة الاستاذ حسنى زيدان .

٣ ــ تفسير آية لا شرقية ولا غربية ، وقد تناول تفسيرها فى أكثر من موضع ، ويوجد كتاب فى تركيا يحمل هذا العنوان وقد بينا انه ليس له .

٤ ــ طائفة كبيرة من المسائل يتناول كل منها تفسير آية من القرآن الكريم ومعظمها موجود ضمن مجموعة ليبزج .

٥ ــ تفسير القرآن الكريم، ذكر الهجويرى (١) ، انه بدأ فيه فى آخر حياته ، ولكنه لم ينته ولم يعثر علىأثر لهذا التفسير حتى الآن

ولم يلتزم الحكيم منهجا واحدا فى تفسيره للقرآن الكريم بل يجد الباحث له اكثر من منهج ، وان كان الاتجاه الصوفى يغلب على اكثر ما كتبه فى حقل التفسير ، فهناك التفسير الظاهرى الذى جرى عليه أغلب مفسرى القرآن نجده فى كثير من الآيات التى تناولها ، وهناك التفسير الذى يعتمد على التركيز على المعنى الباطن لكلمات القرآن الكريم معتمدا على أن لكل كلمة من القرآن ظاهرا وباطنا ، وهناك التفسير القائم على استنباط أسرار الحروف التى تتألف منها الكلمات .

هذه هى الاتجاهات العامة التى تجدها مبثوثة فى رسائله وكتبه فى التفسير وهناك اتجاهات خاصة قد نجد معها أحد هذه الاتجاهات الثلاث وخاصة الاتجاه الثانى والثالث . هذهالاتجاهات الخاصة قد يوجهها الهدف الرئيسى الذى يقصده من الكتاب ، ففى كتابه المسمى تحصيل نظائر القرآن عمد

(١) ترجمة كشف المحجوب لنيكلسون ص

الى طائفة من الألفاظ التى تداولها القرآن الكريم أكثر من مرة متناولا المعانى المختلفة التى استعملت فيها هذه الكلمات مشيرا الى الرابطة اللغوية بين المعنى الاصلى للكلمة والمعنى الفرعى الذى استعملت فيه ، وقد ظننت أول الأمر أن هذا المنهج من ابتكار ا حكيم وانشائه حتى وجدت فى السطور الاولى من مقدمة الكتاب ما يفهم منه أن هناك كتابا آخر نهج هذا النهج اطلع عليه الحكيم ثم نسج على منواله وبعد البحث تبين أن هناك كتابا الفه مقاتل بن سليمان سماه الأشباه والنظائر وسلك فيه المسلك الذى سلكه الحكيم حتى أنه بدأ بالكلمة التى بدأ بها الحكيم ، وهى « الهدى » وتوجد نسخة مخطوطة من كتاب مقاتل فى مكتبة تشستر بيتى بايرلندا .

وقد تناول الحكيم فى كتابه هذا ثمانين كلمة قرآنية بين المعانى المختلفة التى استعملت فيها كل كلمة ، ويلاحظ ان الحكيم فى استعراضه للكلمات التى تناولها يستطرد فيذكر معانى الكلمات والمقصود منها وخاصة بالنسبة للفهم الصوفى ، واحيانا يعطى تفسيرات ذات معان بعيدة كما فى حديثه عن ــ الحكمة والوحى والذكر وهذه قائمة بالكلمات التى جاءت فى الكتاب :

١ ــ الهدى ولها ثمانية عشر وجها .
٢ ــ الكفر .
٣ ــ الشرك .
٤ ــ السواء .
٥ ــ المرض
٦ ــ الفساد .
٧ ــ المشى .
٨ ــ اللباس .
٩ ــ السوء .
١٠ ــ الخزى .
١١ ــ باءوا .
١٢ ــ الرحمة .
١٣ ــ الفرقان .
١٤ ــ قانتون .
١٥ ــ الذكر .
١٦ ــ الخوف .
١٧ ــ الصلاة .
١٨ ــ الناس .

١٩ ـ كتب ٠
٢٠ ـ الخير ٠
٢١ ـ الخيانة ٠
٢٢ ـ الامام ٠
٢٣ ـ الأمة ٠
٢٤ ـ الشقاق ٠
٢٥ ـ الوجه ٠
٢٦ ـ الفتنة ٠
٢٧ ـ العدوان ٠
٢٨ ـ الاعتداء ٠
٢٩ ـ الفرص ٠
٣٠ ـ العفو ٠
٣١ ـ الطهور ٠
٣٣ ـ ان ٠
٣٢ ـ أنى ٠
٣٤ ـ الظن ٠
٣٥ ـ الحكمة ٠
٣٦ ـ المعروف ٠
٣٧ ـ الطاغوت ٠
٣٨ ـ الظالمين ٠
٣٩ ـ اطمأن ٠
٤٠ ـ السعى ٠
٤١ ـ الفواحش ٠
٤٢ ـ أدنى ٠
٤٣ ـ التأويل ٠
٤٤ ـ الاستغفار ٠
٤٥ ـ ألدين ٠
٤٦ ـ الاحساس ٠
٤٧ ـ الاسلام ٠
٤٨ ـ الايمان ٠
٤٩ ـ الشكر ٠
٥٠ ـ الفضل ٠
٥١ ـ الصر ٠
٥٢ ـ البأساء والضراء ٠
٥٣ ـ الوكيل ٠
٥٤ ـ المحصنات ٠
٥٥ ـ الشهيد ٠
٥٦ ـ الد ج ٠
٥٧ ـ الردى ٠
٥٨ ـ شيعا ٠
٥٩ ـ مناع ٠
٦٠ ـ الضحى ٠
٦١ ـ الخاسرين ٠
٦٢ ـ الاستطاعة ٠
٦٣ ـ فتولى عنهم ٠
٦٤ ـ الروح ٠
٦٥ ـ الاحزاب ٠
٦٦ ـ التقوى ٠
٦٧ ـ الصـف ٠
٦٨ ـ الحشر ٠
٦٩ ـ الرجاء ٠
٧٠ ـ الوعى ٠

٧١ ــ الجبار .
٧٢ ــ السوى .
٧٣ ــ اللغو .
٧٤ ــ ظل .
٧٥ ــ الأسباب .
٧٦ ــ الحق .
٧٧ ــ بغير حساب .
٧٨ ــ الماء .
٧٩ ــ الكبير .
٨٠ ــ يوزعون .
٨١ ــ السبيل .

اما كتاب الامثال فهو منهج فريد فى استعراضه لظاهرة خاصة فى التعبير عن المعانى تعمد الى ضرب الأمثال للايضاح والبيان، وقد بين الحكيم فى مقدمة الكتاب أن الله ضرب الأمثال للعباد لحاجتهم اليها ، ليعقلوا بها ويدركوا ما غاب عن أسماعهم وأبصارهم بقياسه على المشاهد المرئى ، والذى يوحى به عنوان الكتاب أنه اقتصر على الأمثال التى وردت فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، غير أننا لا نكاد نمضى بضع صفحات حتى نجده قد أضاف الأمثال الواردة على السنة الحكماء والعلماء .

وهذا الجزء الاخير قد استغرق أكثر صفحات الكتاب ، وقد تناول فيه المعانى التى تجذب انتباهه كواحد من شيوخ الصوفية الذين يرسمون الطريق لمن يأتى بعدهم من السالكين والسائرين فى الطريق .

أما الامثال القرآنية التى جاءت فى الكتاب فقد بلغت حوالى ثلاثة وعشرين مثلا وهى :

١ ــ مثل المنافقين .
٢ ــ مثل اليهود مع نبينا صلى الله عليه وسلم .
٣ ــ مثل المنافقين بتكذيب القرآن .
٤ ــ مثل محمد ودعوته مع الكافر كمثل الذين ينعق بما لا يسمع دعاء ولا نداء .
٥ ــ مثل المنفق ماله فى طاعة الله .
٦ ــ مثل المرائى والمشرك .
٧ ــ مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها

صر والمقصود هنا اليهود •

٨ ــ مثل الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث •

٩ ــ مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء •

١٠ ــ مثل الحق والباطل **« أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها »** •

١١ ــ مثل دعاء الكافر كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه •

١٢ ــ مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة •

١٣ ــ مثل اعمال الكفار كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف •

١٤ ــ مثل الوثن كمثل عبد مملوك لا يقدر على شىء •

١٥ ــ مثل ناقض العهد كالتى نقضت غزلها من بعد قوة •

١٦ ــ مثل أصنام أهل مكة **« يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له »** •

١٧ ــ مثل قلب المؤمن وأعماله ••

١٨ ــ الله نور السموات والأرض مثل نورة كمشكاة فيها مصباح •

١٩ ــ مثل أعمال الكفار كسراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا •

٢٠ ــ مثل آخر للكافر •

٢١ ــ مثل العنكبوت اتخذت بيتا •

٢٢ ــ مثل آخر للشرك : **« ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم »** •

٢٣ ــ مثل اليهود مثل الحمر **« مثل الذين حملوا التوارة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا »** •

ويوجد فى مجموع كلكتا كتاب بعنوان « تبيان الامثال » تحدث فى مقدمته عن الغاية من ضرب الأمثال كما فعل هنا مع اختلاف طفيف فى الكلمات لا فى الأفكار ثم اتبعه بذكر الأمثال التى جاءت هنا والحقيقة أنه نسخة أخرى من

الأمثال مع ــ اختــلاف فى بعض التعبيرات فقط •

أما الكتاب المسمى تفسير آيــة لا شرقية ولا غربيــة مع تأويــل أربعين حديثا الذى ذكره الدكتور عثمان يحيى فليس فى الحقيقة من كتب الحكيم ، والسبب فى ذلك أن مؤلف الكتاب صدره برأى الحكيم فى شرح الآية المذكورة ، فتــوهم من قرأ بعض الورقــة الأولى أن الكتاب له ، وليس كذلك ، وقــد عقب مؤلف الكتاب بايراد اربعين حديثا وتناول شرحها متبعا الطريقة التى سار عليها الحــكيم فى شرح الآية ، وهى الطريقة التى تقــوم على استخلاص أسرار ومعان من الحروف إلا أن صاحب الكتاب قد أغرق منى ذلك اغراقا شديدا •

ولم تأت الاحاديث مرتبة حسب أرقامها ، فالحديث السادس عشر يأتى بعــد الثــالث ، ثم الثــانى عشر ، وهذا الترتيب يعطى فــكرة واضحة عن مدى الاضطراب فىهذا المخطوط •

وفى نهاية الكتاب ورقة ١٣٣ بعد أن ينتهى مــن شرح الحــــديث الاربعين بقول ناسخه فى الهامش : هنــا ما كتبنا من شرح الحــديث لابراهيم بن محمــد الطــاوسى انتسابا والعردينى ولادا ، والذى الفه بعد الانتقال من بلاد خراسان الى مدينة همذان •

والذى يبدو أن هــذا الكتــاب والذى يليه فى المجموع من تأليف ابراهيم الطــاوسى الــذى ذكره الناسخ فى الورقة ١٣٣ ، ويرجح هذا أنه فى الورقة الثــالثة ١٣٤ يأخذ فى الاشارة الى كتاب آخــر يبين فيه معنى التقوى والوســيلة ودرجاتهمــــا وشرائف اسرار مبادئهما وغاياتهما ، وبيان ترتيب الجهاد ، ثم يشير الى كتاب آخر تحدث فيه عن بيان مراتب الايمان وباطنه وظاهره ، وأصل شجرتــه وشعبه وعروقه ويسميه « تحرير البيان فى تقرير شـــعب الايمان ورتب الاحسان » •

وقد تنــــاول الحكيم فى أماكن متفرقة من كتبه ورسائله طائفة من آيات القــرآن الكريم ، بالشرح والتفســير بلغت أربعــا وأربعين آية ، وكانت آية النور « **الله نور**

السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار» • أوفرها حظا وأوضحها فى الكشف عن منهج الحكيم فى التفسير وفهم القرآن الكريم ، وقد اعتمد بعض المفسرين الكبار على رأى الحكيم فى تفسير هذه الآية ونقلوا عنه فهم القرطبى من قدامى المفسرين فى تفسيره المشهور ، والشوكانى فى المحدثين فى تفسيره « كشف القدير » •

ومنهج الحكيم فى تفسير القرآن الكريم ذو اتجاهات ثلاث :

أولها المنهج الظاهرى فى فهم الآيات والذى جرى عليه جمهور مفسرى القرآن الكريم على اختلاف العصور •

ثانيهما : التفسير الصوفى الذى يرى أن للقرآن ظاهرا وباطنا •

وثالثها : استخلاص معانى واشارات خاصة من الحروف التى تتكون منها الكلمات ويرتبط هذا بوجهة نظره فى المعرفة حيث يرى أن الحروف أصل العلوم كلها من الاسماء والصفات •

وهذا الاتجاه الثالث يرتبط ارتباطا وثيقا بالاتجاه الثانى ، وكان من الممكن ان نقف على منهج كامل للحكيم فى التفسير لو أننا اهتدينا الى التفسير الذى قال الهجويرى ان الحكيم بدأه فى آخر حياته ولكننا لم نقف على أثر له حتى الآن •

ويجب ألا يفوتنا الاشارة الى ان فهم الحكيم لكثير من الأصول الصوفية وعرضه لها فى أسلوبه الخاص انما يستمد أساسا من فهمه للقرآن الكريم والسنة المطهرة ، فهو وان لم يكتب تفسيرا للآيات فى عرضه لهذه الأصول الا أن استلهامه لمعانيها كما فهمها كان واضح الأثر فى تلوين تفكيره وصبغه بالصبغة التى تطالع الباحث من خلال دراسته لكتبه ورسائله •

ويجدر بنا قبل أن ندع الحديث عن منهج الحكيم فى التفسير أن

نقدم نموذجا من تفسيره ، وهـو تفسـير الآية الكريمة « **الله نور السـمـوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصـباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مبـاركة زيتـونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتهـا يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشـاء** » قد كثرت التفاسير لهـذه الآية من وجـوه شـتى كل حسن ، ولكن التفسـير ما فسره الحكمـاء من الحكمـة العليـا التى خرجت من خزائن المعرفة ونطقت بهـا ألسن أهل العقول من بحور الالهام حتى سالت منها أودية مـلأت الافـق أما قـوله عز وجـل « **اللـه نور السموات والارض** » فان الانوار كلها تسـعة ، وهن كلهن من نور الله ، فأما النـور الأول فنـور الشـمس ولباسـه الضـوء ، وأما النور الثانى فنـور القمر ، وليس عليه لباس ، وانما معناه فى ذلك لباس الباطن لا لباس الظاهر ، فأما لباس الظاهر فان لكل واحـد منهما لباسا ، فلباس الشـمس من العـرش ، ولبـاس القمر من الكرسى ، هـذا فى المجـاز وفى التحقيق لا يقال لما ذكرنا لبـاس ، انما ذاك كسوة ، والكسوة سـوى اللباس ، الكسـوة بهـا توارى العورة ، واللباس ما يلبس فـوق الثياب ، ذلك للنفس وهذا للعين ، وشتان ما بينهما عند من له فقـه ولب فى التمييز بينهما ونكتة أخرى أن الكسـوة لحاجـة النفس واللباس فرح القلب ، وفيه ما لا يمكن الفحص عنه ، ولو قصـدت ذلك طال الكتاب ، رجعنا الى ماكنا فيه ، وأما النور الثـالث فنـور الكواكب ، وأما النور الرابع فنور النهار ، وأما النور الخامس فنور البرق ، وأما النور السادس فنور النار ، وأما النور السـابع فنور العين ، وأما النور الثامن فنـور الجواهر ، وأما النور التاسع فهو رأس الأنوار وملكها ، وذلك أنـه خرج من الوحدانية ، وعليه لباس الربوبية ، يـدل على الألوهيـة ، ويشير الى الفردية ، وذلك قـوله « **أفمن كان على بينة من ربـه** » فهو نور المعرفة « ويتلوه شـاهد

منه » فهو نور الشواهد والعلائم الذى معه يدل على اللـــه ويشـــير اليه ، ويؤدى عنـــه بالصــــفات والذات والاسماء الدالات ، وانما صــــار أبهى الأنوار واعلاهـــا وأشرفها ، وكلهن من رب واحــد لأن تلك أنوار الظاهر ، وهذا نور الباطن ، فبنور الظـــــاهر تـــرى الظاهر ـــ، وبنور البـــاطن تـــرى الباطن لو أنك اردت أن تنظر الى ما غاب عنك بنور بصرك لم تطــق ذلك أبدا ، ونكتة أخرى أن بنـــور البـــاطن ترى الظـــاهر والبـــاطن كلاهما ، وبنور الظاهر لا تطـــاق الرؤية الا للظاهر ، فجميع الأنوار التى ذكرنا بدت من ملكه وقـــدرته والنور الأشرف وهو نور المعرفـــة انما بدا من الوحدانية ، فتلك دالة على الملك والملكوت لانها بدت منها ومن نوريته خرجت هـــذه الأنوار كلها ، فوصف نوريته الذى بدا من الملك لأهل الســــموات وأهـــل الأرض ثم عطف عـــلى النـــــور الأعــــلى والأشراف ، وهـــــو نـــور المعـــرفة الـــذى بـــدا من الوحدانية فذكره ، وضرب له مثلا

ليفهمه خلقه وليعـــرفوا كرامتهم التى أكرمهم الله بها من بين خلقه وليشكروه على صنعه بهم ونظره لهم وعطفه عليهم فى سابق علمـــه بهم حيث لا أرض ولا ســــماء ولا عرش ولا كرسى ولا قـــــدر ولا فضـــاء ولا شىء ولا مقادير ، نظر اليهم فى هويتـــه وفرديتـــه وديموميته وقـــدمه ، فاجتبـــاهم وهداهم واختارهم لنفسه وجعـــل اسماءهم عنده فى سابق علمه ليوم خروجهم وربيتهم الله بين يديه فى غيبه المكنون اليهم ، وكنفه بالمحبة عليهم ، فيباهى بهم خلقه وخليقته حتى يمجدونه ويثنـــــون عليـــه ويركعون ويســـجدون له ، وحيث يسلون ســــــيوفهم النورانية من أغمادها مموهة بماء المحبة محددة بالمعرفة ، مصـــــقلة بالاخـــلاص فيهزونها بالشوق بين يدى الجليل على بساط الفرح فتلمع سيوفهم وتشرق منها أنوار فتحرق الحجب هيبته ، ويحير الملائكة ســـلطانه ، وتحرق الشرك والكفـــر نيرانـــه ، ويرتعد من الشوق الى صـــاحبها عرش الجليل ، وتنبع وتزهر جنان

الفراديس من طيبه ، فياله من عز (منزلة) وياله من شرف لــو كنت تعقل •

رجعنا الى ما كنا فيه فقــال : مثل نوره كمشــكاة فيها مصــباح المصــباح فى زجــاجة الزجــاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة • يقول يوقد القنــديل من دهن شجرة مباركة وهى الزيتونة « لا شرقية ولا غربية » يقــول : ليست الشجرة بشرقية ولا غربية « يكاد زيتها يضىء » يقول : يضىء القنديل بغير نار « ولو لم تمسسه نار : يقول : يضىء ضياء لو لم يكن « نور على نور » يقول : هو نــور يعنى الزيتون على نور يقول : على الزجاجة : « يهدى الله لنوره من يشاء » واما المثل فانه يقــول كأن بيتا له مشكاة وهى الكوة ، وفيهــا قنديل معلق ، قد صــب فيــه ماء وفوقه دهن الــزيت الى أن جاوز البأرق وصــارت الفتيــلة فيهــا مصبوغة ، ــ والقنديل يضىء اهل البيت بضــوء الدهن الذى فيه ، وهو دهن الزيتون من غير نار كأنه كوكب درى فى شدة ضوئه ودريته،

وأما تفســير مثــل القنــديل فان المشكاة الكوة ، والبيت الصــدر ، والمصــباح السراج ، والمصــباح الآخر الفتيلة ، والزجــاجة بابرق القنديل ، والزجاجة الاخرى نفس القنديل ، ووقوده من دهــن زيت لا شرقية ولا غربية بلا نار ، وأما معنى مثل القنــديل فان المشــكاة وهى الكوة هى الفم والبيت الذى فيه الكوة هو الصــدر والمصــباح المنسوب الى السراج الاقــرار ، والمصباح الآخر المنســـوب الى الفتيلة اللســـان ، والزجــاجة المنســوبة الى الفايزق الخــلق ، والزجاجة المنســـوبة الى نفس القنديل القلب ، وأما الوقود الذى ذكر أنه من الزيتون هو المعــرفة ، وأما الذى هو تحت الدهن فهو ماء الرحمة ، وأما تفسير القلب حيث سماه بالزجــاجة من بين جميــع الاشياء والحواجز فانما شبه القلب بالزجاجة لان الزجــاجة جوهرة أصلها من النور واستعمالها بالنور، وهى النار ، فلما اجتمعا ودخــل سلطان النار فيها ازدادت نــورا وضياء • وييســت من ســلطان

حراريتهماحرارة النار وحرارةالنور تضعفت ورخوت فمهما اصابتها يد اللامس (الادميين) انكسرت من غلبة سلطان النور وحرارته عليها ، ولذلك قال حكيم من الحكماء انما شــبه الله تعــالى قلب المــؤمن بالزجاجة لانها سريعة الانكســار بطيئــة الانجبــار ، اذا انكسرت لا تقبل الجبر ولا تصــــلح حتى لا تصيبها النار فســـماه لضـــعفه وسرعة انكساره وشـــــدة نوره وضوئه بالزجاجة التى وصف •

وأما تفسير القلب حيث شــبهه بنوره وضــوئه ودريته بغــير نار بالكوكب من بين الأشياء النورانية (الدريات) وانمــا شبهه بالكوكب لأن الكوكب أصــــله من النــور ولباسه النــور ، وهو معــلق من الســـماء يضىء لأهــل الأرض من مسيرة خمسمائة عام وأكثر بغــير نار بالنور الذى هو جوهره والنور الذى هو لباسه فشبه قلب المؤمن بضوئه ونوره وضوء المعرفة التى فيه من الأرض لأهل السماء بغيرنار بالكوكب الذى يضىء لأهل الارض من السماء بغير نار ، فقال كأنهــا كوكب درى ، وكما أن القنديل يعلق من الهواء بحبل ، والكوكب معلق من الســـماء ، وكذلك القلب معلق من السماء ، وســـماؤه العرش ، وجعله الأيمان وهو الاقرار به •

وأما تفسير قــوله : توقــد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقيــة ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار قــال : أما شــــجرة الزيتــون فأن أصــلها ومنبتها من شجرة طــوبى التى هى الجنــة أهداهــا الله تعالى لآدم عليــــه السلام يوم تاب عليه وزوده بها وسماها بإسم سوى اسم طوبى، وهــــو الزيتــون ، ولكنه بلطفه وحكمته غير حروفهــا ، وأبدل كل حرف منها بحرف آخر ، وختمهــا بحرف زائد ليس فيها وهو النون من الزيتون ، وذلك أن طــــوبى أربعة أحرف : طاء وواو وباء وياء وزيتون أربعة أحرف أيضــا زاى وياء وتاء وواو ، وزيادة حرف فى آخره وهو النون ، واما تفســـير الزيتونة فانها فى الحروف خمســة أحرف كما ذكــرنا ، وهى الــزاى والياء ، والتاء والواو والنون وكل

حرف منه يدل على فعـــله ، ما فى حشـــوه ، فالزاى زاى الـــزاد ، والياء ياء اليوم ، والتاء تاء التوبة، والواو واو السمة حيث وسم الله تعالى شجرة طوبى حين غرسها ، ولها قصة نذكرها فى بابها ان شاء الله ، والنـــون نون النـــور فاذا جمعت بين حروفهـــا المتفرقة دلك على أن الله جـــل وعز زود آدم عليه السلام بها يوم تاب عليـــه ، والنـــون علامة النور فى الزيتونة ودلالته على أن فيها نـــورا يضىء القنديل بنوره من غير نار كما قال: يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسســـه نار ، ها هنا تم الكلام ، ثم استأنف الكلام فقال : نور عـــلى نور .. « أى لأن الزيتون نور على نـــور الزجاجة : وهى القلب ، والزيتونة المعرفة يقول : كما أن دهن القنديل من شـــجرة الزيتونة كذلك دهـــن القلب من شجرة التوحيد ، وشجرة التوحيد هى التى ذكرها الله تعالى فى القرآن ، ومثـــل كلمـــة طيبـــة كشجرة طيبة « وهى التوحيد أصلها ثابت فى قلب المـــؤمن وفروعها فى السماء وهو العرش » تؤتى أكلها يعنى ثمرها كل حين كل ساعة باذن ربها ، نقول لا تثمر الا باذن ربها.

وأما تفسير قوله مبـــاركة فان قصتها فى ذكر قصـــــة طـــوبى ، وسنذكره فى موضعه ان شاء الله مع سمتها التى ذكرنا .

وأما تفسير لا شرقية ولا غربية فذلك أن الله عز وجل حيث اهداها الى آدم يوم أهداها غرســـها فى قلعة من الأرض ولم يكن يومئـــذ حيطان توارى عنها الشمس ولا ظل وكانت الدنيا فيافى وبرارى أهدى اليه حبة من حبات ثمر شـــــجرة طوبى حين تاب عليـــه وقبـــل له يا آدم : ان فيك داعية تدعوك الى جوهرها ولابد لك من اتباعها وهى جوهرة الثواب ،وهى التى دعتك الى أن أخرجتك من الجنة ، وأسكنتك الارض ، وهى كما دعتك من الجنة الى أن اخرجتـــــك من الجنـــة ، وأسكنتك الأرض ، وهى كما دعتك من الجنة الى أن أخرجتك من جوارى وأسكنتك الارض ، فهى لا تـــدعك أن ترجع الى جوارى ودارى لأنها تحب جوهرتها وتطمئن اليها وهى الأرض ، وتنسيك الآخرة فرحمتك

يا آدم وزودتك هذه الحبة لأنهـا من الجنة لتكون داعية الى جوهرها وهى الجنة ، كما أن جوهرة التراب تدعوك اليها ، وهى الأرض فخـذ هذه يا آدم واغرسها فغرسها آدم، فلما نبتت واسـتغلظت وأخرجت شطأها فازدهرت واستوت عـلى ساقها أعجب آدم عليه السـلام نباتها ، وكانت اذا طلعت الشمس طلعت عليها واذا غربت غربت عنها فأينعت وازدهـــرت وأورقت واخضرت وتسـنبلت وأثمـرت وأخرجت على كل ورقة منها سمة منقوشة بالسورية «لا اله الا الله» فلما نظر اليها أعجب بهـا وقـال ليتنى اعرف اسـمها ، فقيـل له : يا آدم هذه شجرة الزيتون ، قال يارب ولم سميتها شجرة الزيتون، وهى من شـجرة طوبى ، قـال : لأنى زودتك بها يوم تبت عليـك فالزاى زاى الزاد والياء ياء اليوم، والتاء تاء التوبة ، قال : يارب فما الواو الذى فيه قال : تلك عـلامة السمة التى وسمت بها أمها ، وهى طوبى فأخرجت هذه تلك السـمة قال : وما سمتها ، قال سمة طوبى

أنى أنا الله ، وسمة هـذه هـذا المنقوش على أوراقها وهو لا الـه الا الله قال : فما هـذه النون فى عقبها ؟ قال : ذلك علامة النـور الذى وضعت فيها ، فان فيها نورا يضىء منها ، وهو الذى قال : يكاد زيتها يضىء ، ولو لم تمسسه نار رجعنا الى ما كنا فيه فشـبه دهن شجرة القلب وهى المعـرفة بدهن شـجرة الزيتونة التى لا شرقيـة ولا غربية ، وهى التى غرسها آدم عليه السلام يومئذ ، يقول : فكما أن الزيتونة اذا كانت بتلك الحال يكون اجود لثمرها وأحسن كذلك يكون ثمر شجرة المعرفة أحسـن وأجود اذا كانت لاشرقية ولاغربية فشمس الزيتونة شمسنا هـذه ، وشمس شجرة المعرفة نظر اللـه الجميل اليها كل يوم بكرة وأصيلا، وليس فيما بينه وبينها شىء يمنعه عن النظر اليها ، ذلك أنه اذا كان بين نظره وبين الشـجرة هوى أو ذنب أو شىء لم يقع النظر على الشجرة ، كمـا أنه اذا كان بـين الشجرة وبين الشمس حائط أوستر لم يقع عليها الشمس ، وبقت تحت

ظل الحائط فسقمت وذبلت وتناثرت أوراقها واصفرت وتغيرت عن حالها ؛ وما أخرجت من الثمار أخرجت نكدا لا مذاقة لها وضف عليها اليبس ، ولذلك قيل ان الزيتون لا يستقر فى بطن المنافق حتى يضىء ولا يطيق اكله الا مؤمن طيب لانه من طوبى وطوبى من الجنة ولا يستقر ثمر الجنة فى بطن المنافق (١) •

دكتور : محمد ابراهيم الحبوشى

(١) راجع كتاب غور الامور مخطوط اسعد افندى رقم ١٣١٢ من ورقة ١٠٢٣ حتى ورقة ٢٦ ، وراجع كتاب الاعضاء والنفس مخطوط اسعد رقم ١٤٧٩ من ورقة ١٤٧ أ حتى ورقة ١٤٩ أ وكذلك مخطوط باريس رقم ٥٠١٨ •

بقية مقال من أئمة الحديث للدكتور الحسينى هاشم

وكل هذه الأقسام من المسند الا زيادات عبد الله ، وزيادات القطيعى « القسم الثالث والسادس » وقد امتاز مسند أحمد بثلاثياته ، وهى الأحاديث التى ليس بينه وبين الرسول « صلى الله عليه وسلم » فيها الا ثلاثة رواة ، وتزيد هذه الأحاديث فى المسند عن ثلاثمائة حديث • وقد جمع الامام مسانيد كثيرة من الصحابة • قال أبو موسى المدينى : أما عدد الصحابة فيه فنحو سبعمائة رجل ومائة ونيف امرأة ، وبلغ عدد شيوخه الذين روى عنهم فيه مائتين وثلاثة وثمانين رجلا •

(وبعد) فما زال مسند الامام أحمد مدرسة كبيرة ومجالا واسعا لفرسان الحديث نقدا واستخراجا وشرحا وتعليقا الى اليوم •

« د • الحسينى هاشم »
الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية

طرائف .. ومواقف

إعداد عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

أطيعوني ما أطعت الله

من خطبة عمر بن عبد العزيز عند توليه الخلافة :

أيها الناس : ان هذه الأمة لم تختلف فى ربها ، ولا فى دينها ، ولا فى كتابها ، ولا فى نبيها .. وانمــا اختلفت فى الدينار والدرهم ..

وانى والله لا أعطى أحدا باطلا ، ولا أمنع أحدا حقا .

أطيعونى ما أطعت الله ، فاذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم .

لكل شيء آفة

تزعم العرب أن لكل شىء آفــة :

فآفة الحلم : الغضـــــب ، آفة العقل : العجب ، وآفة العلم : النسيان ، وآفة السخاء : المن ، وآفة الكرام : مجاورة اللئام ، وآفـــة الشجاعة : البغى ، وآفة المال : سوء التدبير ، وآفة الكامل من الرجال : العـــــدم (أى الفقر) .

رضيت بما رضي الله به

قال الأصمعى : رأيت بدوية من أحسن الناس وجها ولهـــا زوج قبيـــح •

فقلت : ياهذه : أترضين أن تكونى زوجة لهذا ؟

فقالت : لعله أحسن فيما بينه وبين ربه فجعلنى ثوابه •

وأسأت فيما بينى وبين ربى فجعله عقابى •

« التقى الصـــادق »

التقى الصادق : قوته : ما وجد ، ولباسه : ما ستر ، ومســـكنه حيث أراد •

الدنيا : سجنه ، والقبر : مضجعه ، والخلوة : مجلسه •

القرآن : حديثه ، والرب أنيسه ، والذكر : رفيقه ، والزهـــد : قرينـــه •

الحكمة : كلامه ، والتراب : فراشه ، والتوكل : حسبه ، والعقل : دليله والعبادة : حرفته ، والجنة ــ ان شاء الله ــ وطنه !! •

« بين الجاهل والعالم »

قيل لأفلاطون : لم يبغض الجاهل العالم ، ولا يبغض العالـــــم الجاهـــل ؟!

قال : لأن الجاهل يستشعر النقص فى نفسه ،ويظن أن العـــــالم يحتقره ويزدريه فيبغضه !

والعالم لانقص عنده ، ولا يظن أن الجاهل يحتقره ، فليس عنده سبب لبغض الجاهل •

معرفة الأمور

قال الجاحظ : انك لا تعرف الأمور مالم تعــرف : أشباهها ، ولا اقبها ما لم تعرف : أقدارها ، ولن يعرف الحق من يجهل الباطل ، ولا يعرف الخطأ من يجهل الصواب ، وكيف يعــرف الســـــبب من يجهل المســـبب ! .

لها ... وعليها

عن عائشة ــ رضى الله عنها ، قالت : سألت النبى
ــ صلى الله عليه وسلم ــ أى الناس أعظم حقا لى المرأة ؟
قال : زوجهـــا .
قلت : فأى الناس أعظم حقا على الرجل ؟
قال : أمـــه .

مال البخيل

وذى حرص تراه يلم وفرا
لوارثـــه ويـــدفع عــــن حماه
ككلب الصـــيد يمسك وهو طاو
فريســــــته ليأكلهـــا ســــــواه

تذكرني بالراعي

قال بعض الوزراء لهارون الرشيد ، وقد رآه ينفق أموالا طائلة على العيون والجواسيس :

انك يا أمير المؤمنين تذكرني بالراعي الذي خاف على غنمـــه من الذئاب فاصطحب كثيرا من الكلاب لكنه اضطر بعد ذلك الى ذبح نصف قطيعه لاطعامها .

حُبَّان لا يَجتمعَان

حب الله وحب المعاصي ، حب الجهاد وحب الحياة ، حب التضحية وحب المال ، حب الاصلاح وحب السلامة ، حب العدل وحب الاستبداد ، حب الشعب وحب الطغيان .

دعاء

((اللهم انى أعوذ بك أن أضـــل أو أضـــل ، أو أذل أو أذل أو أظلم أو أظلم ، أو أجهل أو يجهل على)) .

((صدق رســول اللــه))

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

من حضارة الاسلام

الفارابى الفيلسوف المفترى عليه

للدكتور / أحمد عبد الحميد الشاعر

فى العـــام الماضى حضر الى القـــاهرة المســتشرق الفرنسى الدكتور آرنالديز أستاذ الدراسات الاسلامية بجامعة الســوربون . وقـــد رغب سيادته فى لقاء فكرى خاص مع أعضاء هيئة التدريس فى قســم العقيــدة والفلســفة بكلية أصول الدين ــ القاهرة ــ جامعة الازهر . وقد صادفت تلك الرغبة هوى فى أنفســنا . فنحن نرحب بالحــوار النزيه . مهما اختلفت الآراء ، وتباينت المعتقدات .

وفى ملتقى فكرى خاص تحققت رغبـــة الدكتور آرنالديز . وكان حــديثه يدور حــول « فلســفة الفارابى المعلم الثانى » . ولــم يكتف بهذا اللقاء . وانما رغب فى أن تتاح له الفرصة العاجلة لالقاء محاضرة خاصة عــن « فلســفة الفـــارابى وآرائه فى المدينـــة الفاضلة » وقد سعدنا بذلك رغبة منا فى التعـــرف عـــلى الرؤية الصحيحة للفكر الأوربى المعاصر فى الفلسفة الاسلامية .

وبعـــد يومين حضر الدكتور آرنالديز . وألقى محاضرته تلــك بمبنى الكلية باللغـــة الفرنسية . حيث أنه لا يجيد التحدث باللغـــة العربية .

وعلى ضــوء ما أثاره الرجــل مــن قضايا وأفكار ، تأكد لدينـــا ما اســتقر فى نفوسنا مــن نظرة الغالبية من المستشرقين نحـــو الفلاسفة المســلمين . وهى نظرة تصدر عن الاعتقاد . بأن الفلسفة الاســلامية ترجــع فى حقيقتــها

وأصـــولها الى الفلســـفة اليونانية بصـــفة خاصة • ولكن نفرا مـــن المتصـــفين للحقيقة يعترف بقيمة الفكر الاسلامى • وأصـــالته • فى اعزاز واجلال واكبار • ويعتقد ــ بحق ــ أن الحضـــــارة الأوربية تعتمد فى جوهرها عـــــلى الفـــكر الاسلامى الصحيح •

وقد حاول الدكتور آرنالديز ــ بذكاء ــ أن يكون منصـــفا • كما جاهد أن يعترف ــ مجاملا ــ بشىء من الاستقلال والاصالة لفيلسوفنا فى « المدينة الفاضلة » مخالفا بذلك أفلاطون فى كتابه عن «الجمهورية»

وبالطبع حوصر الرجل ــ برفق ــ بكثير من التساؤلات حول هذا الموضوع • ولكنه سرعان ما أنهى الموقف بقـــــوله « انا أنا مؤرخ للفلسفة ولست بفيلسوف » •

وقد خرجت من هذا اللقاء بعده نتائج أهمها : ــ

أولا : أنى أكبرت الرجل • رغم تباين العقيدة ، واختلاف وجهات النظر • فهو يعلم ــ يقينا ــ دور الأزهـــر • وجامعة الازهـــر • فى الدراســـات الفلســـفية بخاصـــة والاسلامية بعامة • ومع ذلك جاء الينا ليطرح فكرة • ويلقى بآرائه•

ثانيا : شـــعرت بمرارة وأسف شديد لمدى ما نحن فيه من تقصير فلماذا لا توفد جامعة الازهر نفرا من الاساتذة المتخصصين فى مختلف فروع العلم والمعرفة الى جامعات العالم لطرح الرؤية الصحيحة فى مختلف القضايا الراهنـــة • ؟ ان هذا ما تفعله الجامعات • خاصـــة أن الجامعات الاجنبية بدأت تتجه الآن نحو الأزهر وجامعته • مثلما حـــدث ، الصـــيف الماضى • حيث حضر الينا وفد من جامعات السويد وأقيمت عدة لقاءات لبحث كثير من المشـــكلات الفكرية والاقتصـــادية والاجتماعية •

انى لا أكون مغاليا • وأرجو أن أكون مقـــررا لحقيقة واقعـــة اذا ما قلت : ان الحضـــارة الأوربية الآن بدأت تفقد الثقة فيها • وأن العالم الأوربى فى شك من هـــذه الحضـــارة بل ان المخلصين مـــن المفكرين الأوربيين نفضوا أيديهم منها وهم ــ بلا شـــك ــ عـــلى محـــوره فى هـــذا حيث أن تلـــك

الحضارة عجزت تماما عن الوفاء بتوازن الانسان وتحقيق متطلبات الانســانية • وان حققت الكثــير والكثير من حاجاته المادية واشباع رغبته ونزواته •

أليس كل ذلك مما يتيح الفرصة للأزهـــر وجامعته فى أن يــؤديا رسالتهما نحو العالم بأسره ؟

ثالثا : لقد شــغلت بما أثاره « أدنالدين » من قضايا • لا لانها جــديدة علينــا ، بل لأن الرؤية الصحيحة فيــها لا تزال غامضة • ولأن الكثير مــن الباحثين يجانبهم الصواب فى ايضاح الحقيقة خاصة فيــما يتعلق بتقــدير الفلاســفة المسلمين •

مــن هنا كان اهتمامى بهــذا الموضوع • جلاء للحقيقة ، وانصافا للحق • ومن ثم يبدو واضحا أننا حينــما نعنى بمثل هــذا البحث لا يفهم منه أننا نسلم بكل ما جاءت به الفلسفة الاســلامية ولا بكل ما قاله الفلاسفة المسلمون • فنحن نختلف معهم فى بعض القضايا • ونخالفهم فى بعض الآراء •

من منطلق الحيدة والانصاف • فنعطى كــلا منهم حقه بما له وما عليه خاصة اذا كانت المسألة مناط البحث ــ تتعلق بالعقيدة • فذلك مسألة خطيرة لا نسمح لأنفسنا أن نلقى فيها القول جزافا أو نصــدر الحكم عليها اعتباطا •

المعلم الثانى « أبو نصر الفارابى »

وفى موضــوعنا هــذا عــن « الفارابى » نعنى خاصة بموقفه مــن النفس الانسانية ومصــيرها بعد الموت فهل تبقى أم تفنى ؟

واذا كانت السعادة هى الغاية المنشودة التى يستهدفها • فهــل تتحقق تلــك السعادة فى الحيــاة الآخرة أم لا ؟

الموضــع اذن يتعلق بعقيــدة الرجل مــن حيث الكفر والايمان على ضوء ما انتهى اليه من فلسفته وآرائه •

ومن الحق أن نضع فى تقديرنا أمرين :

الأمر الاول : أن الفــارابى المتوفى عام ٣٣٩ هو أول فيلسوف مسلم عنى بدراسة وشرح مؤلفات أرسطو « المعلم الأول » بصــفة

خاصة ، والتعرف علــى الفلسفة اليونانية بصفة عامة • ومن هنــا اعتبر « المعــلم الثانى » كما أن الفارابى أول فيلسوف مسلم بلغت به الفلسفة الاســلامية ذروتهــا خاصة فى الجانب الاخلاقى منها • واذا كان يعتبر أستاذا لابن سينا المتوفى عام ٤٢٨ هـ فى الفلســفة بعامة • فان الشيخ الرئيس لــم يشذ عن آرائه الأخلاقية بخاصة •

الأمر الثانى : أن الفارابى هو الفيلسوف المسلم الوحيد من بين الفلاســفة الالهيين الــذى يعتبر صاحب مدرسة أخــلاقية أهـــم شيوخها يحى بن عدى ٣٦٤ هـ ، وأبو ســليمان المنطقى ٣٩٤ هـ ، وأخيرا ابن مسكويه ٤٢١ هـ •

ومن الحق علينا ان نؤكد : أن الفارابى وان تأثر بالفلســـــفة اليونانية ــ فتلك حتمية التلاحم الفكرى وهى مسألة بدهية ــ الا أنه يتمــيز بطابعه الخـــاص ــ وسماته المميزه • وانتمائه ــ عقيدة وعملا الى الاسلام ومن هنا كان الرجل ــ رحمه الله ــ ينطلق فى منهجه عــلى أســاس مــن محبة الحقيــقة • ولو خالفت مــذهب أرسطو • (١) أما فى واقع حياته فقد كان صوفيا زاهدا • أو على حــد تعبير الشــــيخ مصــطفى عبد الرازق رحمه الله ــ «فيلسوف زاهد • وموسيقى شاعر » (٢) •

السعادة الانسانية •

ان الســعادة ــ كما أسلفنا ــ هى الغاية التى يستهدفها الفارابى من فلسفته وهى محور جهـــده وفكره ومن هنا كتب فيها « التينيه على سبيل السعادة » ، « تحصيل السعادة » ، « نصوص الحــكم و « المدينة الفاضلة » وغير ذلك من مؤلفاته : وهو يرى « السعادة أن تصير نفس الانسان من الكمال فى الوجود وبحيث لا تحتاج فى قوامها الى مادة •

ويوضح الطريق الى تلك الغاية بأن النفس « انما تبلغ ذلك بأفعال

---

(١) تاريخ الفلسفة ، الاسلام ص ٢٠١ ديبور ترجمة الدكتور عبدالهادى أبو ريده ط ٤ سنة ١٩٥٧ .

(٢) فيلسوف العرب والمعلم الثانى ص ١٤ ط ١ سنة ١٩٤٥ .

ارادية : بعضـــــها أفعال فــكرية وبعضها أفعال بدنية • وليست بأى أفعـــال اتفقت بل بأفعال محـــددة ومقـــدرة • تحصل عـــلى هيئات ما وملفات ما • مقدرة ومحددة •• والأفعال الارادية التى تنفـــع فى بلوغ السعادة هى الأفعال الجميلة •• والهيئات والملكات التى تصدر عنها هذه الافعال هى الفضائل • وهـــذه ليست خـــيرا لذاتها بل لما تجلب من السعادة » (١) •

النفس الانسانية بين البقاء والفنـــاء •

اذا كان هذا هو رأى الفارابى فى الســـعادة « والطريق اليهـــا بصـــورة موجزة فهـــل يا ترى : السعادة عنده دنيوية محضة • أم هى متحققة فى الآخرة أيضـــــا ؟ بالطبع • لا نستطيع أن نحزم برأى فى هذا الموضوع الا اذا وقفنـــا عـــلى رأى الفـــارابى فى النفس الانسانية •

فهل النفس الانسانية ــ فيما يعتقد الفارابى ــ باقية بعد الموت أم فانية ؟ واذا كانت النفس باقية بعد الموت فهل جميع الانفس تبقى أم بعضها ؟ •

تلك هى مشكلة المشـــاكل التى يرى معظم المفكرين قديما وحديثا أن الفارابى قد زل بها زلة لاثقال وعزة ليس بعـــدها جبر ــ فأين وجهه فى هذه المسألة ؟

رأى ابن طفيل ومناقشته :

قبـــل أن ندع المجال للفارابى ليعرض لنا بنفسه آراءه فى ذلك • نرى أن نذكر رأى ، الفيلســـوف الأندلسى « ابن طفيل » فى موقف الفارابى من هـــذا الموضوع لما له من قيمة علمية لدى الباحثين ولما يترتب عليه من أفكار عن الفارابى سنرى أهى عـــلى الحق أم عـــلى الباطل ؟

يقول ابن طفيل المتوفى عـــــام ٥١٢هـ فى رسالته «حى بن يقظان» : وأما ما وصـــل الينـــا مـــن كتب أبى نصر فأكثرها فى المنطق وماورد منـــــها فى الفلســـــفة فهى كثيرة الشكوك • فقد أثبت فى « الملـــة

---

(١) آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٧ ط بيروت ١٩٥٥ م •

الفاضلة » بقاء النفوس الشريرة بعد الموت فى آلام لا نهاية لها بقاء لا نهاية له ثم صرح فى « السياسة المدنية » بأنها منحلة وصائرة الى العدم • وأنه لا بقاء الا للنفوس الفاضلة الكاملة •

ثم وصف فى « كتاب الاخلاق » شيئا من أمر السعادة الانسانية وأنها انما تكون فى هذه الحياة ثم قال بعد ذلك كلاما هذا معناه : وكل ما يذكر غير ذلك فهو هذيان وخرافات عجائز ، فهذا قد أيأس الخلق جميعا من رحمة الله تعالى وصير الفاضل والشرير فى مرتبة واحدة اذ جعل مصير الكل الى العدم • وهذه زلة لاتقال وعثرة ليس بعدها جبر (١) •

هذا هو رأى ابن طفيل « فى المعلم الثانى » جعل مصير الكل الى العدم وما دام الامر كذلك فالسعادة عنده — لا تكون الا فى هذه الحياة • وتلك زلة كبرى وعثرة لاتقال !!

على أية حال ينبغى أن نضع فى تقديرنا لرأى « ابن طفيل — اعتبارين لابد منهما :

الأول : أن « ابن طفيل « كما أثبت فى النص — لم يطلع على ما سجله الفارابى عن السعادة والنفس الانسانية فى كتبه الاخرى • « كالتعليقات » وعيون المسائل ونصوص الحكم » ورسالته فى اثبات المفارقات و « التنبه على سبيل السعاده » و « تحصيل السعادة » •

الثانى : أن ابن طفيل فى نفسه شىء من الفارابى جمله على هذا الرأى • وفى ذلك يقول أستاذنا الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله « كان ينفر من الفارابى وكان يصفه بصفة المعتقد فى النبوة ويرى انه ليس فى حاجة الى ذكر آراء الفارابى لشكوكه ولسوء معتقده (٢) •

وعلى ضوء هذا كان رأى ابن طفيل وتقريره : انكار الفارابى للسعادة الأخروية لأن مصير الكل عنده الى العدم • وهذا رأى جرىء

---

(١) فلسفة ابن طفيل ورسالته ص ٦٢ ط ٢ • (٢) نفسه ص ١٧ وص ١٧ وص ٣٣٩ — ٣٤٠ من التفكير الفلسفى •

يعوزه الدليل ــ كما سنرى بعد ــ وقد جرى عليه كثير من الباحثين دون بحث أو تمحيص • وكأن رأى ابن طفيل أمر مسلم يجب الاقتناع به والسير عليه •

ولعل هــذا ما حمل « ديبور » عــلى أن يقول « كان فيلســوفنا (الفارابى) غانيا فى مجردات العقل وكان زهده وتقواه موضع العجب من معاصريه • وكان بعض تلاميذه يجلونه ويرون أن الحكمة تجسدت فيــه •• أما علمــاء المســـلمين الحقيقيون فقــد رموه بالزنــدقة فرسم بها الى الأبد (١) •

وفى رأينا : أنه عند الحكم على رأى الفيلسوف فى موضوع ما لا يقصر النظر على ما سجله فى بعض فقرات من كتبه ولكن يجب الرجوع الى كل ما كتب وسجله بنفسه فى الموضــوع الواحــد بل الى حياته وانطباعاته النفسية فبهــذه النظرة الموضوعية التكاملية يكون الوصول الى الرأى الصــحيح والحــكم الصائب دون انحراف أو قصور •

وهذا ما لم يفعله ابن طفيل ومن شائعة على رأيه وسار على نهجه•

وقد لمس هذه النظرة الموضوعية اثنان من كبار المستشرقين وهما : البارون كاراديفو « فى مقاله بدائرة المعارف الاسلامية » وديبــور فى كتابه «تاريخ الفلسفة فى الاسلام» وان كانا لم يضعا بين أيدينا النص القاطع من كلام الفارابى نفسه •

يقول ديبور « فى خلود النفس عند الفارابى « على أن مقــارنة النفس الناطقة لبدنها تعطيها كل ما للعقل من حرية • ولكن هل تبقى نفسا مســتقلة بذاتها ؟ أم تكون جزءا مــن العقل الكلى ؟ ان رأى الفارابى غامض فى هــذه النقطة ويناقض بعضه بعضــا فى مختلف الكتب » (٢) •

أما البارون كاراديفو • فيعرض لنفس الموضــوع ويتســاءل كما تساءل ديبورا الا أنه كان أقطع فى الرأى وأوضح اذ يقول « لا سبيل

---

(١) تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ٢٢٥ ــ ٢٢٦ . فى لام الام ط الانجلو سنة ١٩٦٤ .

(٢) تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ١٨ •

الى الشك فى أنه « الفارابى » كان يعتقد بخلود كل نفس على انفرادها . وقد زعم ابن طفيل وكان لا يميل الى رأى أبى نصر على ما يظهر أن فيلسوفنا كان متشككا فى خلود كل نفس على انفرادها وهذا الاتهام يجب أن يعزى سره الى بعض فقرات كتبها الفارابى على وجه غامض (١) .

ونحن من جانبنا ــ نرى ــ انصافا للحقيقة ــ أن الفارابى كان ــ كما يعتقد ــ يقول بخلود النفس الانسانية خيرة كانت أم شريرة لتلقى جزاءها من السعادة أو الشقاوة وهذا بالطبع لا يتأتى الا اذا كان الخلود لكل نفس على انفرادها . والمسألة فى غنى عن الاستنتاج والحوار والرجوع الى الباحثين الآخرين ما دامت نصوص الفارابى واضحة وصريحة فى ذلك .

اننا نرى الفارابى فى رسالته التى وضعها فى اثبات المفارقات (٢) يجعل الرابع منها على حد قوله « النفوس الانسانية وهى كثيرة بالأشخاص » وحينما يعرض للصفات العامة التى تنظم المفارقات تراه يقول « الثانية » أنها لا تموت ولا تفسد هكذا باطلاق دون قيد الخيرة أو الشريرة .

وهذا أوضح وأشمل مما كتبه الفارابى فى كتابيه « الملة الفاضلة والسياسة المدنية ، وأغلب الظن أنه فى هذين الكتابين قد غلبته النزعة الخلقية الكريمة وما كان يتصف به من زهد وتصوف . فأراد أن ينفر من الشرور وأهلها ويدفع الى الخير وحسن خاتمته فقال ما قال . وان كان أسلوبه قد تناقض فيها ولكن مع ذلك كان أوضح وأقطع فى الرأى فى كتبه الاخرى .

وهنا يكمن المعتقد الحق والرأى

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية المجلد الثانى مادة « أبى نصر الفارابى » طبعة دار الشعب .

(٢) رسالة الفارابى فى اثبات المفارقات ص ٣ طبعة حيدر اباد سنة ١٣٤٥ هـ .

الواضح لفيلسوفنا • فهو يقول فى « التعليقات » « الجسم شرط فى وجــود النفس لا محالة فأما فى بقائها فلا حاجة لها اليه ــ ولعلها اذا فارقته ولم تكن كاملة كانت لها تكميلا من دونه • ولم يكن شرطا فى تكميلهــا كمــا هـــو شرط فى وجــودها » (١) •

والفارابى الــذى يقول بخلود النفس على هذا الوضوح ليس من المعقول أن يقصر سعادتها على أمر الدنيا فحسب والا فعلى أى حال يكون خلودها ؟

وفى الحق ــ كما يرى الفارابى ــ أن السعادة عنــده متحققه فى الحياة الآخرة بل لا تكمل الا فيها يقول أبو نصر فى « عيون المسائل » « لا يجوز وجود النفس قبل البدن كما يقول أفلاطون ، ولا يجــوز انتقال النفس من جسد الى جسد كما يقــول التناسخيون • وللنفس بعد موت البدن سعادات وشقاوات وهــذه الاحوال متفاوته للنفوس وهى مستحقة وذلك لها بالوجوب والعدل (٢) •

والفارابى فى هـــذا لا يرى الســـعادة والشـــقاوة فى الآخرة فحسب وانما يذهب الى أكثر من هذا فيرى أن ذلك واجب عــــلى الذات الالهية بمقتضى عدلها وهذا رأى اعتزالى صريح كمــا يرى أن السعادة الاخروية هى الجديرة بأن تسمى سعادة وما عداها فهى غايات دنيوية فقط وفى ذلــك يقــول فى « احصــاء العلوم » ان التى فى الحقيقة سعادة لا يمكن أن تكون فى هذه الحياة بل فى حيــاة أخرى بعد هذه الحيــاة • والمظنون به ســـعادة مثــل الثروة والــكرامة واللذات انما جعلت هى الغايات فى هذه الحياة » (٣) •

بعد كل هذا : ينبغى أن نشــير

---

(١) التعليقات ص ١٣ حيدر أياد سنة ١٣٤٦ هـ •

(٢) عرون المسائل ضمن كتاب المجموع للفارابى ص ٧٥ ط ١ مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٠٧ م •

(٣) احصاء العلوم ص ١٢٢ تقــديم الدكتور عثمان أمين ط ٣ الانجلو المصرية ١٩٦٨ •

الى أن الفارابى كان مؤمنا صادق الايمان بل صوفيا زاهدا وكما يقول الدكتور عثمان أمين « فيلسوف مسلم بأجمل ما لهذه الكلمة من معان » (١) فهو فيلسوف زاهدا وتصوفه بتخلل جميع مذهبه وعبارات الصوفية واضحة فيه يقول « كاراديفو » عن تصوف الفارابى أنه يتخلل جميع مذهبه وعبارات المتصوفه شائعة تقريبا فى كل أقواله • وكأنما التصوف عنده ليس نظرية من النظريات وانما هو حالة ذاتية وقد ساهمت هذه الحالة الذاتية فى جعل مذهبه غامضا بعض الشىء (٢) •

ويقول الدكتور ابراهيم بيومى مدكور « اذا شئنا أن نعرف أقدم صورة للافكار الصوفية عند فلاسفة الاسلام وجب علينا أن نصعد الى أبى نصر الفارابى ، فانه أول من صاغ الفلسفة الاسلامية فى ثوبها الكامل ووضع أصولها ومبادئها ، أقام دعائم مذهب فلسفى متصل الحلقات ومن أهم أجزاء هذا المذهب وعلى قمة البناء ترى نظرية صوفية امتازت بها الفلسفة الاسلامية عن كثير من الفلسفات الاخرى — فالتصوف اذن قطعة من مذهب الفارابى الفلسفى •

ولا أدل على هذا من أن هناك ربطا وثيقا يربط النظريات الفارابية الاخرى نفسه كانت أو أخلاقية أو سياسية وقد أثر هذا التصوف تأثيرا بينا فيمن جاء بعد من فلاسفة الاسلام » (٣) •

رأى الدكتور محمود قاسم ومناقشته :

واذا كان الفارابى صوفيا الى حد أن يصبح التصوف جوهرا لفلسفته وأمرا ذاتيا فى مذهبه وانطباعا نفسيا فى حياته اذا كان الامر كذلك فاننا نستطيع القول بأنه رغم تأثره بالمعلم الاول فقد

---

(١) نفسه ص ٤٧ المقدمة • (٢) دائرة المعارف الاسلامية المجلد الثانى • مادة أبى نصر الفارابى •

(٣) فى الفلسفة الاسلامية ص ٣٠ للدكتور ابراهيم بيومى مدكور الطبعة الثانية ١٩٦٨ •

خالفه مخالفة تامة فيما رآه من خلود النفس والسعادة الأخروية.

وبهذا يتبين فساد زعم القائلين بأن الفارابى عجز عن التحرر من فلسفة أرسطو فى مسألة خلود النفس ومن هؤلاء الدكتور محمود قاسم الذى يقول « ربما كان أبو نصر هو الفيلسوف الوحيد الذى عجز عن التحرر تماما من فلسفة أرسطو فى هذه المسألة (١) وعلى هذا رأى الدكتور محمود قاسم أن الفارابى يقول بخلود بعض النفوس أى الخلود الجزئى على حد تعبيره زاعما أن الفارابى يحاول بذلك التوفيق بين فلسفة أرسطو والدين الاسلامى .

وقد اعتمد الدكتور فى هذا الرأى على بعض ما كتب الفارابى وفاته أن يذكر الفارابى من مصادره الاخرى وبذلك وقع فيما فيه فيلسوف الاندلس ابن طفيل من قبل مما أدى الى التجنى على أبى نصر الفيلسوف الصوفى المسلم ، وخير ما نختم به هذا الموضوع قول الفارابى فى كتابه « نصوص الحكم » ان لك منك غطاء فضلا عن لباسك من البدن . فاجتهد أن ترفع الحجاب وتتجرد فحينئذ تلحق . فلا تسأل عما تباشره ــ فان ألمت فويل لك . وان سلمت فطوبى لك . وأنت فى بدنك كأنك لست فى بدنك وكأنك فى صقع الملكوت فترى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاتخذ لك عند الحق عهدا الى أن تأتيه فردا (٢) .

أبعد هذا ثمة شك فى السعادة الاخروية لدى المعلم الثانى ؟؟ انه فيها الرجل المؤمن . وكما دعا بحق الى محبة الحقيقة ولو خالفت مذهب أرسطو فتلك هى الحقيقة فى جبين فلسفته والله ولى التوفيق .

دكتور/أحمد عبد الحميد الشاعر

---

(١) فى النفس والعقل ص ١٥٩ للدكتور محمود قاسم الطبعة الثانية ١٩٥٤ .

(٢) نصوص الحكم ص ٨ ط حيدر اباد سنة ١٣٤٥ هـ .

التربية الدينية "تصور للإصلاح"

للأستاذ / على عبد العظيم

مقـــدمة :

قبل رسم مناهج التربية الدينية ووسائلها وأساليبها يجب علينا أن نحمى أبناءنا ومجتمعنا من التيارات والعواصف والاوبئـــة التى تجتاحنا من حيث ندرى ولا ندرى فتهدم ما نؤسسه وتحطم ما نشيده وبهذه الحماية نصون مجتمعنا وبخاصة الشبيبة من عوامل التمـــزق والتصدع والفراغ والتهافت ، وبهذا نستطيع أن نبث فى النفـــوس روح التوعية الدينية ونحن آمنون عليها من التصدع والانهيار ٠

أما عوامل الهدم فيمكن اجمالها فيما يلى :

١ ــ الغزوات التبشيرية التى تنصب علينا فى صورة مدارس ومعاهد وكليات ومستشفيات وجمعيات خيرية هدفها جميعا تشـــويه سمعة الاسلام ، والدعوة الى اعتناق المسيحية بأســـاليب مختلفة ووسائل متباينة ٠

٢ ــ الغزوات الفكرية التى تطالعنا فى صورة أبحاث علمية مثـــل ما يكتبه المستشرقون من دراسات تاريخية وجغرافية وحضارية يدسون فيها ما يشاء لهم التعصب من تشويه الاسلام ٠

٣ ــ الغزوات الفلسفية التى تتجلى فى المذاهب الفكرية الغريبـــة

مثل الوجودية والبرجماتية (النفعية) والمادية الجدلية ٠

٤ ـــ الغزوات العلمية مثل الفرويدية (أتباع فرويد ومدرســـته النفسية) والداروينية (أتباع دارون ومدرسته الطبيعية) والدوركامية (اتباع دوركايم ومدرسته الاجتماعية) ٠

٥ ـــ الغزوات السياسية : مثـــل الشـــيوعية والرأســـمالية والاستعمارية من استعمار اقتصادى أو استعمار سلوكى أو استعمار اجتماعى ٠

٦ ـــ الغزوات المذهبية : الوافدة فى صورة انحرافية مثل مذاهب السخط أو العبث أو اللامعقول ، أو الهيبيزية (أتبـــاع مانسون) ٠

٧ ـــ الغزوات التعصبية : مثـــل الصهيونية والماسونيـــة وأندية الروتارى والليونز ٠

٨ ـــ الغزوات الطائفية : مثـــل البهائية والأغاخانية والقاديانية والماهوشية (دين جديد) ابتدعه المارقون ليحل محل الاسلام ٠

الى غير ذلك من أنواع التخريب والتدمير والتشويه لهـــدم العقيدة الاسلامية ليسهل بهذا القضاء على الامة الاسلامية وتمزيقها شر تمـــزيق ٠

القائمون على التربية الاسلامية

ان اهم الاجهـــزة التى تشرف لدينا على التربية الدينية هى :

١ ـــ الازهر عن طريق معاهده وكلياته وعن طريق جهـــاز الوعظ والارشـــــاد وما ينشره مجمـــع البحوث الاسلامية من مطبوعات ٠

٢ ـــ وزارة التربية والتعليم عن طريق المدارس العـــامة ابتـــدائية واعدادية وثانوية ٠

٣ ـــ وزارة الاوقاف عـــن طريق أئمة المســـاجد وجهـــاز الدعـــوة الاسلامية ٠

٤ ـــ الجمعيات الدينية عن طريق المحاضرات والمجلات وما يقوم به الدعـــاة المتطـــوعون وان اختلفت ثقافتهم وميولهم ٠

٥ ـــ الطرق الصـــوفية ولهـــا

طقوسها واساليبها الخاصة بها .

ونلاحظ أن هناك جهات عديدة كان من الممكن أن تؤدى دورها فى التربية الدينية والتعبئة الروحيـة ولكن لا يلقى لها بالا ، مثل المجلس الأعلى للشباب والجامعات وبعضها يؤدى دوره فى تكاسل واضطراب مثل الصحافة والاذاعة والتليفزيون والأحزاب السياسية كما نلاحظ انه لا تعـاون بين الجهـات المعنية بالتربية الدينية فكل منها تكاد تكون منقطعة الصلات بالجهات الاخرى فالازهر فى واد ، ووزارة التربية والتـعليم فى واد آخـر ووزارة الاوقاف فى واد والجمعيات الدينية فى واد آخر والأئمة جهاز وظيفى يؤدون ادوارهم كمهنيين محترفين وادارة الدعـوة فى واد والمجلس الاعلى للشئون الاسلامية فى واد آخـر ، وكـل جمعية دينية تكاد تعادى سائر الجمعيات والصحافة تعنى بنشر التيارات والغـزوات الفكرية المناوئة للاسلام اكثر مما تعنى بالقيم الاسـلامية وتكتفى بمقالات هزيلة متهافتة عن الظواهر الاسـلامية ، وكذلـك الاذاعـة والتليفزيون وتأتى السينما فتكاد تقضى على كل مقومات الاخـلاق الاسلامية والسلوك الروحى وكل المشتغلين بالشئون الدينية فى واد والطرق الصوفية تكاد تنعزل عـن الجميع فى واد سحيق .

لهذا ينبغى اقامة هيئة عليـا للتربية الدينية والتعبئة الروحيـة برياسة شـيخ الازهر تقـوم بالتخطيط العلمى والتنفيـذ العملى والمتابعة للتنفيذ على أن تشـترك فيها الهيئات التالية :

الازهر ــ الاوقـاف ــ التربية والتعليم ــ الثقافة والارشـاد ــ المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ــ ثلاثة منـدوبين عـن الجمعيات الدينية ــ المجلس الاعـلى للطرق الصـوفية ــ المجلس الاعـلى للشـباب ــ نقـابة الصـحافيين نقابة المعلـمين ــ رئيس اللجنـة الدينية بمجلس الشـعب منـدوب الحـزب الوطنى ــ بعض الشخصيات التى لها قدم راسـخة فى الدعوة الاسلامية .

اما ترك الامـور فـوضى دون تنسيق وتنظيم بحيث تنعزل كـل

هيئة عن بقية الهيئات فان ذلــك ينتج خلطا وخبطــا وتعارضــا فى الوسائل والاهداف بحيث لا ينتج عنه الا الدمار والخراب •

أسباب ضعف التربية الدينية

الاسرة الاسلامية :

هى الاساس الأول فى التنشئة الدينية فان الابوين همــا المعــلم الاول والقــدوة العملــية للاطفال والطفــل يقلــد والــديه فى أداء الشــعائر الدينية وفى التمســك بالفضائل الاســلامية ، والاسرة الاسلامية تكاد تتلاشى الآن فقد يــكون الأب متــــدينا ولكن الام ضعيفة الايمان وقد يكتفيان بأداء الشعائر الدينية دون أن يفرضاها على الابناء ، وبهذا يدرج الاطفال بعيدين عن الدين كل الابتعاد •

المدرسة :

يكاد التعليم الدينى عــن طريق المدارس يكون معــدوما أو شــبه معدوم فان أسس التعليم الدينى تقوم على :

١ ــ المدرس الصالح لان يكون قدوة حسنة لتلاميــذه فى التوجيه والارشاد العلمى الســليم والعلم الغزير بأسرار الدعوة الاسلامية•

٢ ــ الكتاب الصــالح لبســط الحقــائق فى لغة ســـهلة الفهم وبأسلوب صــالح للتطبيق العملى دون تطرق للخلافات الفرعية •

٣ ــ المنهج الســليم الملائم للتدرج العقــلى المناســب لاعمار التلاميذ وأخشى أن تكون الاسس الثلاثة غير قائمة او غير سليمة أو غير مطبقة •

المجتمع :

المجتمع الرشــيد وهــو يكمل الاسرة المدرسية والمجتــمع القائم الان غير دينى والمتدينون من أفراد أغلبيتهم العظمى تأخذ الاسلام عن طريق غير متكامل فهم اما رجعيون متحجرون واما مجددون متطرفون واما محصــورون فى نطاق خاص بحيث يرون أن جميع المســلمين ما عداهم كفار ومشركون ولا التقاء بين هــذه الاطراف جميعهــا بأى حــال •

والمجتمع القــائم الآن يتــأثر بالصــحافة والاذاعة والتليفزيون

والسينما وكلها بعيدة عن العناية بالتربية الروحية والدينية ان لم تكن حربا على الاسلام ، والمجتمع القائم الآن لا يطبق الشريعة الاسلامية والقانون الاسلامى لقوته وهيبته وتأثيره ، والقانون المصرى وليد القانون الفرنسى وما أبعده عن النفحات الروحية مع اغراقه فى المادية وبعده عن الثبات والاستقرار .

لهذا كله لا تجد غرابة فى أن ينشأ الشباب بعيدا كل البعد عن الاسلام .

وسائل العلاج

ان اصلاح الأسرة واصلاح المجتمع يقومان على تنظيم وسائل الاعلام وفى مقدمتها الوعظ والارشاد بالأزهر وجهاز الدعوة والأئمة بالأوقاف وأجهزة الاذاعة والتليفزيون والسينما والصحافة والنشر ، أما تربية الأطفال والشباب فتقوم على أساس المناهج السليمة والكتاب الصالح والمدرس السليم العالم العامل ثم على تنظيم حوافز مادية وأدبية للاقبال على الثقافة الدينية كاقامة المسابقات ورصد الجوائز وتيسير دخول الجامعات للطلبة الحاصلين على درجات عالية فى مادة الدين او من يحفظون القرآن الكريم .

ويمكن اجمال وسائل الاصلاح فيما يلى :

١ - انشاء الهيئة العليا الاسلامية التى تخطط وتنفذ وتتابع التنفيذ على أن تكون برياسة فضيلة شيخ الأزهر واشتراك الجهات التى أشرنا اليها سابقا على أن يتم تقسيمها الى اللجان الآتية .

١ ــ لجنة المناهج التعليمية (سواء مناهج الأزهر أو التربية والتعليم او الجامعات أو اللجنة العليا للشباب أو منظمة الطليعة ...) .

٢ ــ لجنة الكتب (وسواء الكتاب الأزهرى او المدرسى او الجامعى أو الكتب العامة فى الثقافة الاسلامية) .

٣ ــ لجنة اعداد الدعاة من أئمة ووعاظ واختيار المدرسين الصالحين .

٤ ــ لجنة للاشراف على التنفيذ والمتابعة •

٥ ــ لجنة لمتابعة وسائل الاعلام وامدادها بالملاحظات والتوصيات المناسبة •

٦ ــ الاتصالات الخارجية لتوثيق الصلات الثقافية بالعالم الاسلامى واستقبال الطلبة وايفاد العلماء وتبادل الاساتذة والكتب القيمة •

٢ ــ اعداد هيئة رقابة دقيقة لرقابة الشباب وابعاده عن التيارات الانحرافية وذلك بالتعاون مع وسائل الاعلام من الصحافة والاذاعة والتليفزيون والأفلام السينمائية والقصص المسرحية والأناشيد الدينية والكتب العامة •

٣ ــ استخدام وسائل الإعلام الحديثة فى نشر الثقافة الدينية وذلك باصدار كتب للأطفال تشمل القصص الهادفة والمسرحيات الموجهة والاناشيد الروحية واصدار سلاسل من الكتب للشباب وللمثقفين ثقافة عامة لابراز شعائر الاسلام وقيمه المثالية وحضارته المادية والروحية والانتفاع بالاذاعة والتليفزيون وأفلام السينما الدينية فى هذا المجال •

٤ ــ تعميم المساجد وأماكن العبادة بجميع المدارس والمعاهد والكليات والمصانع والهيئات والمؤسسات والوزارات •

٥ ــ تعميم الاحتفالات للمناسبات الدينية الهامة مثل الهجرة النبوية ومولد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم والاسراء والمعراج وليالى شهر رمضان الكريم •

٦ ــ اقامة مسابقات عامة واعداد جوائز مجزية لحفظ القرآن الكريم وتجويده ودراسة الثقافة الاسلامية العامة وتيسير الالتحاق بالكليات الجامعية لمن يحفظون القرآن الكريم أو ينالون درجات عالية فى امتحان الثانوية العامة فى مادة الدين •

٧ ــ تعميم التعليم الدينى فى جميع مراحل التعليم المختلفة بما فيه التعليم الجامعى •

٨ ــ انشاء مجلة اسلامية كبرى

تتفق وزعامة مصر الاسلامية للعالم الاسلامى واعداد قاعة كبرى للمحاضرات العلمية ودعوة كبار العلماء فى مصر وفى الأقطار الاسلامية لالقاء هذه المحاضرات بصفة دورية وطبعها ونشرها على نطاق واسع فى ربوع العالم •

٩ ــ اعداد قوافل الدعوة الاسلامية المتنقلة فى أرجاء البلاد على أن تعنى بالمصانع والمؤسسات والشركات الكبرى لنشر الوعى الاسلامى فى أوسع نطاق على أن تضم كل قافلة واعظا ومنشدا وفيلما سينمائيا أو تسجيلات صوتية •

١٠ ــ تشجيع الجمعيات الاسلامية القائمة وكليات الجامعات وامدادها بالمحاضرين المستنيرين والكتب القيمة والارشاد والتوعية والتوجيه الرشيد •

١١ ــ جدية الامتحان فى مادة الدين والتاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية وفى حفظ القرآن الكريم وبخاصة بين طلبة الأزهر •

١٢ ــ العناية بالاذاعة المدرسية وبالمكتبات الأسلامية والصحف الدينية بالمدارس والمعاهد والكليات والمعاونة على نشر القصص والاناشيد الدينية لانها محببة الى نفوس الأطفال والشباب والاهتمام بالاناشيد الدينية وبالمسرحيات الاسلامية •

١٣ ــ العناية بمؤسسات الشباب واعداد منهج دينى واف ليكمل التربية الرياضية والدينية العلمية •

١٤ ــ اعداد المسجد اعدادا كاملا لأداء رسالته الروحية والعلمية والاجتماعية وتزويده بالمكتبة الاسلامية المتكاملة •

١٥ ــ معاونة الجمعيات الدينية على أداء رسالتها والتنسيق بينها وامدادها بالمكتبات وبالتسجيلات الصوتية والأفلام الدينية •

١٦ ــ العناية باصلاح مناهج المعاهد والكليات الأزهرية وبخاصة كلية الدعوة الأسلامية لتخريج الدعاة الاسلاميين الصالحين لأداء رسالتهم الدينية بالداخل والخارج على السواء •

« البقية على صفحة ٩٤٦ »

الصّوفية ووجه الحقيقة

للأستاذ / موسى محمد على

يحلو لكثير من الناس الاعتقاد فى الصوفية ، أنهم متســاهلون فى الاقتداء ، متهاونون فى الاتباع ، وأنهم رواد الابتداع والالتزام بما لم يأت فى الشرع التزامه ، مما يقــولون به ، ويعملون عليــه ، ويسيرون نحوه •

والحق أن الصوفية الحقيقية على تباين كامــل لهذا الــزعم المفترى ، بل هم على خلاف ذلك قولا وعملا ، لأنهم لم يعتقدوا ذلك ، ولم يقولوا به ، فهم على اتباع دائم ، واقتداء مستمر •

فأول شىء بنوا عليه طريقهم هو اتباع ما جاءت به السنة النبوية الشريفة ، واجتناب ما نهت عنه مما يخالفها •

يقول الامام القشيرى رضى الله عنه معبرا عن الصوفية الحقة :

« انهم اختصوا باسم التصوف انفرادا به عن أهل البدع ، فقد ورد أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يتســم أفاضلهم فى عصرهم باسم علم سوى الصحبة ، اذ لا فضيلة فوقها ، ثم سمى من يليهم : التابعين ، ثم اختلف الناس وتباينت المراتب ، فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية فى الدين : الزهاد والعباد ، ثم ظهرت البدع وادعى كل فريق أن فيهم زهادا وعبــادا ، فانفرد خواص أهل السنة ، المراعون أنفســهم مع الله تعــالى ، الحافظون

قلوبهم عن الغفلة عنه سبحانه باسم التصوف ..

ويقول ابن خلدون رحمه الله تعالى عن التصوف :

« هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة ، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها ، من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، طريقة الحق والهداية ، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى ، والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة ، وكان ذلك عاما فى الصحابة والسلف ، فلما فشا الاقبال على الدنيا فى القرن الثانى وما بعده ، وجنح الناس الى مخالطة الدنيا ، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية » .

أما الامام الحافظ جلال الدين السيوطى رضى الله عنه ، فانه يقول فى كتابه تأييد الحقيقة العلمية :

« ان التصوف فى نفسه علم شريف ، وان مداره على اتباع السنة وترك البدع ، والتبرى من النفس وعوائدها ، وحظوظها وأغراضها ، ومراداتها واختياراتها ، والتسليم لله تعالى ، والرضى بقضائه ،وطلب محبته والاكتفاء بفضله عمن سواه سبحانه » .

ثم استطرد يقول :

وعلمت أنه قد كثر فيه الدخيل من قوم تشبهوا بأهله وليسوا منهم ، فأدخلوا فيه ما ليس منه ، فأدى ذلك الى اساءة الظن بالجميع، فوجه أهل العلم للتمييز بين الصنفين ليعلم أهل الحق من أهل الباطل، وقد تأملت الامور التى أنكرها أئمة الشرع على الصوفية فلم أر صوفيا محققا يقول بشىء منها ، وانما يقول بها أهل البدع والغلاة الذين ادعوا أنهم صوفية وليسوا منهم .

وقال الشيخ محمد عبده رحمة الله تعالى .

« قد اشتبه على بعض الباحثين فى تاريخ الاسلام وما حدث فيه من البدع والعادات التى شوهت جماله ، السبب فى سقوط المسلمين فى الجهل بدينهم ، فظنوا أن التصوف من أقوى الأسباب لوقوع المسلمين فى الجهل بدينهم ، وبعدهم عن التوحيد الخالص الذى هو أس النجاة ومدار صحة الأعمال وليس الأمر كما ظنوا ، فنذكر لك الغرض منه على وجه الاجمال ، وما آل اليه أمره بعد ذلك :

ظهر التصوف فى القرون الأولى للاسلام ، فكان له شأن عظيم ، وكان المقصود منه فى أول الأمر تقويم الاخلاق وتهذيب النفوس ، وترويضها بأعمال الدين وجذبها اليه ، وجعله وجدانا لها ، وتعريفها بحكمة وأسراره بالتدريج •

وكان الفقهاء الذين وقفوا عند ظواهر الأحكام المتعلقة بأعمال الجوارح والمعاملات ينكرون عليهم معرفة أسرار الدين ، ويرمونهم بالزيغ والالحاد ، وكانت السلطة للفقهاء لحاجة الأمراء والسلاطين اليهم ، فاضطر الصوفية الى اخفاء أمرهم ، ووضع الرموز والاصطلاحات الخاصة بهم ، وعدم قبول أحد منهم بشروط واختبار طويل ، فقالوا :

لابد فيمن يحب أن يكون معنا أن يكون أولا طالبا ، فمريدا ، فسالكا ، وبعد السلوك اما أن يصل واما أن ينقطع •

فكانوا يختبرون أخلاق الطالب وأطواره زمنا طويلا ليعلموا أنه صحيح الارادة صادق العزيمة ، لا يقصد مجرد الوقوف على أسرارهم ، وبعد الثقة يأخذونه بالتدريج شيئا فشيئا •

وقال الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى :

« لقد انفرد الصوفية بركن عظيم من أركان الدين لا يطاولهم فيه مطاول ، وهو التهذيب علما وتخلقا وتحققا ، ثم لما دونت العلوم فى الملة كتب شيوخ هذه الطائفة فى الأخلاق ومحاسبة النفس » •

ويبين الامام الجنيد رضى الله

عنه أن التصوف هـو الالتـزام بالاقتداء والاتباع لرسول اللـه صلى الله عليه وسـلم فيقول فى وضوح وأضح :

الطرق كلها مسدودة على الخلق، الا على من اقتفى أثر الرسـول صلى الله عليه وسلم .

وقـال :

« من لم يحفظ القـرآن ، ولم يكتب الحديث ، لا يقتدى به فى هذا الأمر ، لأن علمنا مقيد بالكتـاب والسنة » .

ويقول سهل التسترى رحمـه الله تعالى :

« أصولنا سبعة أشياء : التمسك بكتاب الله تعالى ، والاقتداء بسنة رسوله صـلى الله عليه وسـلم ، وأكل الحـلال ، وكف الأذى ، واجتناب الآثام ، والتوبة ، وأداء الحقوق » .

وكان الشـيخ أبو الحسـن الشاذلى رحمه الله تعالى يقول :

« اذا عارض كشـفك الصحيح الكتاب والسـنة فاعمل بالكتاب والسنة ودع الكشـف ، وقـل لنفسك : ان الله تعالى ضـمن لى العصمة فى الكتاب والسـنة ، ولم يضمنها لى فى جانب الكشـف والالهام » .

وقال أبو الحسن الوراق رحمه الله تعالى :

« لا يصل العبد الى اللـه الا بالله ، وبموافقة حبيبه صلى الله عليه وسلم فى شرائعه ، ومن جعل الطريق الى الوصول فى غير الاقتداء يضل من حيث يظن أنه مهتد » .

وسئل أبو يزيد البسطامى رحمه الله تعالى عن الصوفى فقال :

« هو الذى يأخـذ كتاب اللـه بيمينه ، وسنة رسوله صلى اللـه عليه وسلم بشماله ، وينظر باحدى عينيه الجنة ، وبالأخرى الى النار ويأتزر بالدنيا ، ويرتدى بالآخرة، ويلبى من بينهمـا للمـولى : لبيك اللهم لبيك » .

ومن جملة توجيه أبى يزيد رحمه الله تعالى قوله :

« عشرة أشياء فريضـة عـلى البدن : أداء الفرائض ، واجتناب المحارم ، والتواضـع لله ، وكف الأذى عن الاخوان ، والنصـيحة للبر والفاجر ، وطلب مرضاة الله

فى جميع أموره ، وطلب المغفرة ، وترك الغضب ، والكبر والبغض والمجادلة من ظهور الجفا ، وأن يكون وصى نفسه يتهيأ للموت » •

وقال سرى السقطى رضوان الله تعالى عليه :

« التصوف اسم لثلاثة معان : وهو الذى لا يطفىء نور معرفته نور ورعه ، ولا يتكلم بباطن علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب ، ولا تحمله الكرامات على هتك محارم الله تعالى » •

وفى شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى فى ترجمة أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه ، ومن كلامه :

« كل علم تسبق اليك فيه الخواطر ، وتميل النفس وتلتذ به فارم به وخذ بالكتاب والسنة »•

وفى هذا الباب كلام واسع وعبارات كثيرة ولا يتسع المقام للاطالة هنا :

وهؤلاء فوق ما اتصفوا به من تهذيب النفس والورع والزهد والعبادة ، قد قاموا فى عصورهم بالواجب عليهم ، من ارشاد الخلق الى الحق تعالى والدعوة اليه سبحانه ، وصدهم الناس عن التكالب على الدنيا وجمع حطامها ، والاسترسال فى الشهوات والملذات مما يؤدى الى الانهماك فى المحرمات •• والغفلة عن الواجبات ، ماخلق الانسان له ، وتكون نتيجة ذلك انتشار الفوضى ، وظهور الفساد •• وكثرة البغى والهرج •

فكان هؤلاء بوعظهم وارشادهم •• والحكم التى تفجرت من ينابيع قلوبهم ، هم حراس الاخلاق الفاضلة ، والآخذين بيد الامة الى مناهج الحق وسبيل الرشاد ، والدعاة الى السعادة الحقيقية وهى قيام الانسان بجميع ما أمر به مع عدم نسيانه نصيبه من الدنيا ، فكانوا فى جملة السامعين فى هذه الامة والمجيبين لقوله تعالى :

« ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » •

فسلف الصوفية هم أعلام الملة وسادة الامة وسراجها الوهاج ، وبهم وبأمثالهم من المحدثين والفقهاء ، اهتدت الامة الى

الصراط المستقيم ، وسلكت المنهاج القويم ، وانتظمت أحوال معاشهم، وصلحت أمور معادهم .

واذا تتبعنا آثار الصوفية وتراجمهم فى كتب تراثنا الصحيحة المعتمدة تجد بحق لا شية فيه :

كان للواحد منهم أتباع يعدون بالألوف ، كلما انتسب اليه شخص آخى بينه وبين سابقيه فتمكنت من اتباعه أواصر الالفة وروابط المحبة .. وتواسوا فيما بينهم ، وتواصوا بالحق ، وعطف غنيهم على فقيرهم، ورحم كبيرهم صغيرهم ، فأصبحوا بنعمة الله اخوانا ، وصاروا كالجسد الواحد ، وكانوا فى منتهى الطاعة والانقياد لشرع الله الحنيف ودينه القوى المتين ، يقومون لقيامه ويقعدون لقعوده ، ويمتثلون أوامره ، ويتبادرون لادنى اشاراته .

ومن جليل أعمال الصوفية ، وآثارهم الحسنة فى الامة الاسلامية ، أن الملوك والامراء متى قصدوا الجهاد ، كان الكثير من هؤلاء يحرضون أتباعهم على الخروج الى الجهاد ، ولعظيم اعتقادهم فيهم ، وانقيادهم لهم كانوا يبتدرون الى الانتظام فى سلك المجاهدين ، فيجتمع بذلك عدد عظيم من أطراف ممالكهم ، وكثيرا مادان أولئك يرافقون الجيوش بأنفسهم ويدافعون ويحرضون ، فيكون ذلك سببا للظفر والنصر .

واذا تتبعت بطون التاريخ وجدت من ذلك شيئا كثيرا ، على أننا لا ننسى أن مثل هذا العمل ، كان فى كثير من المحدثين والعلماء العاملين .

يقول أبو الحسن الندوى فى كتابه المسلمون فى الهند :

أن هؤلاء الصوفية كانوا يبايعون الناس على التوحيد والاخلاص واتباع السنة ، والتوبة عن المعاصى .. وطاعة الله ورسوله ، ويحذرون من الفحشاء والمنكر والاخلاق السيئة والظلم والقسوة،ويرغبونهم فى التحلى بالاخلاق الحسنة والتخلى عن الرذائل ، مثل الكبر والحسد والبغضاء والظلم وحب الجاه ، وتزكية النفس واصلاحها ، ويعلمونهم ذكر الله والنصح لعباده والقناعة والايثار .

وعلاوة على هذه البيعـــة التى كانت رمز الصلة العميقة الخاصـــة بين الشيخ ومريديه ، انهم كانــوا يعظون الناس دائما ، ويحاولون أن يلهبوا فيهم عاطفـــة الحـــب لله ســبحانه ، والحنين الى رضـــاه والرغبة الشديدة لاصـــلاح النفس وتغيير الحال •

ثم تحدث عن مدى تأثيرأخلاقهم واخلاصـــهم وتعليمهم وتربيتهم ، ومجالسهم فى المجتمع والحيـــاة ، فتحدث عن الشيخ أحمد الشـــهيد فقال :

ان الناس أقبلوا عليه اقبـــالا منقطع النظير ، وانه لم يمر ببلدة الا وتاب على يديه وبايعه عدد كبير من الناس •

ثم تحدث عن شيخ الاسلام علاء الدين رحمه الله تعالى فقال :

« ان السنوات الاخيرة من عهده تمتاز بأن كسدت فيهـــا ســـوق المنكرات من الخمـــر والغرام ، والفسق والفجور والميسر والفحشاء بجميع أنواعها ، ولم تنطق الالسن بهذه الكلمات الا قليلا ، وأصبحت الكبائر تشبه الكفر فى أعين الناس ، وظل الناس يستحيون من التعامل بالربا والادخار والاكتنـــاز وندرت فى السوق حوادث الكذب والتطفيف والغش •

فتربية هؤلاء الصوفية والمشايخ ومجالسهم كانت تنشىء فى الانسان رغبة فى افادة الناس وحرصـــا على خدمتهم ومساعدتهم •

ثم بين الأستاذ الندوى أن تأثير هذه المواعظ ، ودخـــول الناس فى الدين ، وانقيادهم للشرع أدى الى ان تعطلت تجارة الخمر ، فى أكبر مـــدن الهند ومـــركز الانجليز ، وكسدت سوقها ، وأقفرت الحانات واعتذر الخمارون عـــن دفـــع الضرائب للحكومة ، متعللين بكساد السوق ، وتعطل تجارة الخمر ••

ثم قال :

ان هذه الحالة كانت نتيجـــة أخلاق هؤلاء الصـــوفية والمشايخ وروحانيتهم ، التى اهتدى بهم فى هذه البلاد الواسعة عدد هائل من النـــاس ، وتابوا عـــن المعاصى والمنكرات واتباع الهوى ، ولم يكن بوسع حكومة أو مؤسسة أو قانون أن يؤثر فى هذه المجموعة البشرية

الضخمة ويحيطها بسياج من الاخلاق والمبادىء الشريفة لزمن طويل ..

وتحدث الاستاذ أبو الحسن الندوى فى كتابه رجال الفكر والدعوة فى الاسلام عن الصوفية وأثرها فى نشر الاسلام بصدد حديثه عن الصوفى الكبير سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه فقال :

وكان يحضر مجلسه نحو من سبعين ألفا ، وأسلم على يديه أكثر من خمسة آلاف من اليهود والنصارى ، وتاب على يديه أكثر من مائة ألف ، وفتح باب البيعة والتوبة على مصراعيه ، فدخل فيه خلق لا يحصيهم الا الله ، وصلحت أحوالهم،وحسن اسلامهم .. وظل الشيخ يربيهم ويحاسبهم .. ويشرف عليهم وعلى تقدمهم ، وأصبح هؤلاء التلاميذ الروحانيون .. يشعرون بالمسئولية بعد البيعة والتوبة ، وتجديد الايمان .

ثم يجيز الشيخ كثيرا منهم ممن يرى فيه الاستقامة والمقدرة على التربية ، فينتشرون فى الآفاق يدعون الخلق الى الله ، ويربون النفوس ، ويحاربون الشرك والبدع والجاهلية والنفاق ، فتنتشر الدعوة الدينية وتقوم تكنات الايمان ومدارس الاحسان ومرابط الجهاد فى أنحاء العالم الاسلامى .

وقد كان لخلفائه وتلاميذه ، ولمن سار سيرتهم فى الدعوة وتهذيب النفوس من أعلام الدعوة وأئمة التربية فى القرون التى تلته فضل كبير فى المحافظة على روح الاسلام وشعلة الايمان ، ولولاهم لابتلعت المادية التى كانت تسير فى رجال المدنيات ، هذه الامة ، وانطفأت شرارة الحياة والحب فى صدور أفرادها ، وقد كان لهؤلاء فضل كبير لنشر الاسلام فى الاقطار البعيدة التى لم تغزها جيوش المسلمين ، أو لم تستطع اخضاعها للحكم الاسلامى وانتشر بهم الاسلام فى افريقيا السوداء وفى اندونيسيا وجزر المحيط الهندى وفى الصين وفى الهند .

فالصوفية ينشرون الاسلام فى العالم ، ونذكر أنه منذ خمسين

عاما كتب الشيخ البكرى كتابا ذكر فيه نقلا عن المبشرين يقول :

ان هؤلاء يقولون : ماذهبنا الى أقاصى المناطق البعيدة عن الحضارة والمدنية فى أفريقيا وأقاصى آسيا الا وجدنا الصوف يسبقنا اليها ، وينتصر علينا •

هذا هو منهج الصوفية الصحيح السليم الذى ارتضاه الله ورسوله وسار عليه أهل التصوف ، أما ما عليه الدخلاء الذين تشبهوا بالصوفية بلباسهم وكلامهم ، وباينوهم بأفعالهم وأخلاقهم ، وقلوبهم فالتصوف منهم براء •

ذلك أنه لا يستحق من لايتبع الرسول صلى الله عليه وسلم اتباعا صحيحا ، ولا يتقيد بما أرشد اليه من صراط الحق ، أن يسمى نفسه صوفيا اسلاميا ، فان مثل هذا التصوف ليس من الاسلام فى شىء أبدا •••

فان التصوف فى حقيقة الامر عبارة عن الحب الصادق لله ولرسوله ، بل الولوع بهما والتفانى فى سبيلهما ، والذى يقتضيه هذا الولوع والتفانى ألا ينحرف المسلم قيد أنملة عن اتباع أحكام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فليس التصوف الاسلامى الخالص بشىء مستقل عن الشريعة ، وانما هو القيام بأحكامها بغاية من الاخلاص وصفاء النية وطهارة القلب •

فليت المسلمين يفهمون مافى الصوفية من قوة روحية ومادية ، فقد ثبت أن رأى الكثير من الناس أن على حدود الحبشة والسودان وأريتريا بعثة سويدية للتبشير ، ووجدت الى جانبهم أكواخا أقامها الصوفيون ، وأفسدوا على المبشرين السويديين اقامتهم أربعين سنة •

فما علينا الا أن نفهم ماحققته الصوفية من جهاد وبذل لصالح الاسلام ، فنقتدى بفعالهم ، ونتعاون لاخماد الحركات التى تؤذينا دينيا وسياسيا ، خاصة وأن الذين يحملون على الصوفية ليسوا فوق مستوى الشبهات ، بل هم غارقون فى الشبهات ، حتى كان من أكبر المصائب التى أصابت المسلمين من المنتسبين الى الاسلام

أنفسهم ، وهم ليسوا منه فى شىء .

أما الصوفية الحقيقية فقد ألزموا أنفسهم الا يأخذوا بالرخص بل بالعزائم ، مع أن الله سبحانه يحب أن يؤتى رخصة كما يحب أن تؤتى عزائمه .

أخذوا بالعزائم لان مذهبهم يقوم على أساس الزهد الذى جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم ، زاهدا فى هذه الحياة ولذائذها .

« اللهم اجعل رزق آل محمد فى الدنيا قوتا » .

وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المثل الاعلى للمسلمين كافة ، والصوفية قد ألزموا أنفسهم ، كما نصوا على ذلك فى كتبهم ، على أن لايكون بينهم صوفيا الا من استمسك بالكتاب والسنة ، ووضعوا لذلك أصولا فى كتبهم :

منها : الرسالة القشيرية لأبى القاسم القشيرى ، واحياء علوم الدين للغزالى ، وكتاب حلية الاولياء لأبى نعيم الاصفهانى ، وكتاب قواعد التصوف لأحمد زروق وغير ذلك مما ذخرت به مكتبات التراث الاسلامى .

ها هى الصوفية ووجه حقيقتها التى سارت عليه منذ أن قامت بدورها ، وأخلصت النية فى تبليغ دعوتها ونشر رسالتها .

أما اليوم فانه لا يخفى على من به مسحة من ايمان ، أننا لو تلمسنا أحوال الطرق الصوفية ، وما هى عليه الآن من تقصير خطير فى وظيفتها ، وتقاعس أليم عن القيام بواجبها ، او جدنا أنها بحق فى بعد تام عن أداء رسالتها .

ولا عجب من هذا القول ، ولا اتهام فيه ، فان لكل شىء أمارة تدل عليه ، وأمارة الايمان بالشىء العمل الجاد الذى هو فرع عن تصوره .

والامارة الصادقة تدل : أن دور الصوفية فى عصورها السالفة يقرر فى وضوح واضح ، ما حققته الصوفية فى عصورها السالفة من عظيم الخدمات ، وجليل الافعال للاسلام والمسلمين .

كما ان الامارة الصادقة من الواقع الحالى للطرق الصوفية

نقرر أيضا أن الذى يعايش الطرق الصوفية اليوم ، ويتفقد أحوالها ، ويمارس بالتجربة واقعها الملموس يجد انها فى تقصير كامل عـــن القيام بدورها ، وانسلاخ حقيقى عن لب واجبها ، حتى صارت وكأنها فى غربة عن المجتمع الاســـلامى لا ترقب فيه الا جشـــع المادة ، والتمسك بالاغاليط ، والتمســـح بذكريات الافاضل من مشـــايخ السلف وشيوخهم ، حتى ضـلت طريقهـــا ، فآثرت التخاصـــم والتشاجر . عـــلى التســـامح والســـماحة ، وناصرت الفرقـــة والتناحر على الاعتصام والتآلف.

فى حين أن درب الاسلام واسع .. وصراطه المستقيم ممتـــد ، وحـــقل دعوته متســـع ، وحالة المجتمع فى المشارق والمغارب أحوج ماتكون الى الدعاة المخلصـــين ، والأوفياء المجاهدين .

لهذا : نرجـــو ونؤمل أن يهىء الله سبحانه لصـــوفية اليـــوم من أمرها ما يعيدها الى خطيرة قدسها الأولى ، وينـــزع من صـــدور روادها جشع المادة ، حتى تفعـــم بأنوار ذاته انه هو الســـميع المجيب .

« ومن يعتصم بالله فقد هـــدى الى صراط مستقيم » .

بالله التوفيق ..

موسى محمد على

« بقية مقال التربية الدينية »

١٧ ــ العمل الجاد على تطبيق الشريعة الاسلامية وتنفيذ الحدود الشرعية لتكوين مجتمع اســـلامى متكامل ملتزم بأداء الشـــعائر الاســـلامية والتمســـك بالفضائل الأخلاقية لينشأ الاطفال والشباب فى جـــو مشـــبع بعبير الحقيقة الســـمحاء والروحيـــة العطرة والانسانية الكاملة المتـــكاملة التى تدرج عـــلى ســـطح الأرض وهى متصلة بالسماء .

على عبد العظيم

ملتقى الفكر الإسلامي بالإسماعيلية يناقش :

مستقبل العالم الإسلامي في عصر العلم والتكنولوجيا

مشكلات الشباب في مجتمع الإيمان

الإعلام الديني وقضايا المجتمع الإسلامي

إحياء التراث الإسلامي

* الملتقى يوصى بضرورة التعاون بين الدول الاسلامية لحسن استغلال قواها البشرية ومواردها المادية .

* على الشباب ضرورة التمسك بالقرآن الكريم كمنهج حياة وسيرة الرسول كأسوة حسنة .

* الاعلام الدينى مطالب بالتصدى للتيارات الفكرية الواحدة والالتزام بقيم وتعاليم الاسلام .

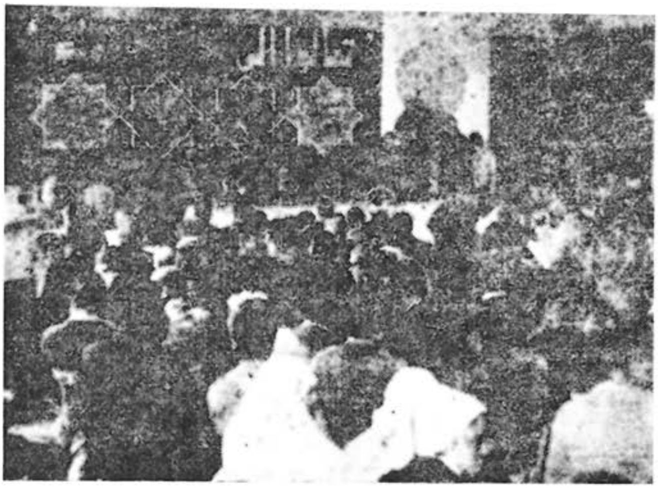

المهندس عثمان أحمد عثمان يشهد ملتقى الفكر الاســـلامى بالاسماعيلية

فى اطار احتفـــالات مصر بمطلع القرن الخامس عشر الهجـــرى نظمت مدينة الاسماعيلية فى الفترة من ٢٤ ــ ٢٨ ربيـــع الاول ملتقى للفكر الاسماعيلى حضره واشترك فى جلســـاته نخبة من كبار رجال الدين والعلم والفكـــر والاعلام الاســـلامى ٠ وقد افتتح المؤتمر عقب صلاة الجمعة بمســـجد خالد ابن الوليد بمدينة الاســـماعيلية حيث أدى خطبـــة الجمعـــة وام المسلمين الاســـتاذ الدكتـــور محمد الطيب النجار مدير جامعـــة الأزهر بحضور الرئيس محمد أنور بحضـــــور الرئيس محمد أنور الســـــادات وكبار رجال الدولة والوزراء ٠٠ من بينهم المهنـــدس عثمـــان احمد عثمـــان نائب رئيس الوزراء للتنمية والمهندس مشهور احمد مشهور نائب رئيس الوزراء ورئيس هيئـــة القناة والدكتـــور مصطفى كمال حلمى وزير التعليم والدكتور زكريا البرى وزير الدولة للاوقاف والدكتور عبد المنعم النمر وزير الاوقاف الســـابق والسيد عبـــد المنعم عمـــارة محـــافظ

الاســماعيلية • كما حضر الملتقى عدد من السفراء ورجال السلك السياسى الاسلامى من بينهم سفيرا الصومال وماليزيا وقــد دارت جلســات الملتقى الكبير حول أربعة موضوعات رئيسية هى :

*** مستقبل العالم الاسلامى فى عصر العلم والتكنولوجيا •**

*** الشباب فى مجتمع الايمان •**

*** الاعلام الدينى •**

*** احياء التراث الاسلامى •**

فى الجلسة الاولى التى ناقشت مستقبل العالم الاسلامى فى عصر العلم والتكنولوجيا قدمت أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا عــدة أبحاث ودراسات غاية فى الاهمية حول هذا الموضــوع من بينها : **التكامل الاســـلامى فى العلوم والتكنولوجيا كســبيل للتقدم** للدكتــور ابراهيم بــدران رئيس الاكاديمية وصــحة الاسرة فى **الاســلام** للدكتور فؤاد الحفناوى الاستاذ بكلية طب الازهر **والقوى البشرية فى العالم الاســلامى** للدكتور احمد اسماعيل الاســتاذ بكليــة الاداب جامعــة القاهــرة **والتنميــة والملكيــة ودور العنصر البشرى فى المجتمع الاســلامى** للدكتور حاتم القرنشاوى الاستاذ بكلية التجارة جامعة عين شمس •

وقد اتخذ الملتقى عدة توصيات وقرارات فى هذا الجانب الهام من بينها :

* ضرورة اســتخدام التكنولوجيــا الحديثة فى تقييم الموارد الطبيعية وحسن استغلالها لرفع مستوى الوطن الاســلامى اجتماعيا ودينيا وثقافيا •

* ضرورة التعاون بين الدول الاسلامية لحسن استغلال القوى البشرية اللازمة لتنميــة الموارد فى كل منها وذلك بتحــديد موارد كل دولة ووضــع خطة للتكامل بينها لتحقيــق نوع من الاكتفاء الذاتى للعالم الاسلامى •

* ضرورة الاهتمام بصــحة المسلم من خلال التوسع فى صناعة الدواء وتقديم الخدمات الصــحية مع الاهتمام بالاسرة المسلمة •

* حسن توظيف مصادر القوى البشرية فى العالم الاســلامى بما يكفل أعلى قدر من التقــدم

للمجتمعات المسلمة مع ضرورة تأمين قدرة الدولة فى الوقت ذاته مع توفير الاستقرار والامن الداخلى والخارجى بالمفهوم الشامل ، أى بأبعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

*** توظيف كافة الامكانات المتاحة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وعلميا لتحقيق رفعة شأن الاسلام والمسلمين .**

*** الشباب فى مجتمع الايمان**

وفى الجلسة الثانية من الملتقى الاسلامى الكبير نوقش موضوع الشباب فى مجتمع الاسلام بحضور وزير التعليم وعمداء بعض الكليات الجامعية واساتذتها ورئيس المجلس الاعلى للشباب وعدد كبير من الشباب وأعضاء الاتحادات الطلابية فى الجامعات وقد طرح الملتقى الموضوع من جميع جوانبه ، واستمع لجميع وجهات النظر وانتهى الى اتخاذ عدد من التوصيات والقرارات من بينها :

* وضع خطة متكاملة لحل مشكلات الشباب ورفع المعاناة عنه تشترك فيها جميع الهيئات والمؤسسات المعنية بالشباب .. وعلى الهيئات والمؤسسات الدينية بوجه خاص ضرورة ايجاد الحلول للقضايا الدينية المعاصرة التى تشغل أفكار الشباب ولا يجدون اجابات عنها ومن ذلك القضايا المتعلقة بالاقتصاد والمعاملات المصرفية .

*** على الشباب ضرورة التمسك بالقرآن الكريم كمنهج حياة وبالرسول صلى الله عليه وسلم كقدوة وأسوة حسنة .. ففى ذلك ما يغنيهم تماما عن الايدلوجيات المعاصرة .**

* ضرورة وضع خطة **للتنمية الروحية** لدى الشباب تواكب الخطط الخمسية المرتبطة بالشئون المادية .

* يدعو الملتقى الشباب الى عدم الخوف من أى فكر مادام محصنا بالاسلام وقيمه الخالدة ؛

ويدعوهم الى الانطلاق فى الحياة للتزود منها بما يكون شخصيتهم •

* الاعلام الدينى

وخصص ملتقى الاسماعيلية للفكر الاسلامى الجلسة الثالثة لمناقشة موضوع الاعلام الدينى فى حضور عدد كبير من رجال الدعوة الاسلامية والاعلام الدينى فى الاذاعة والصحافة والتليفزيون وأساتذة الاعلام فى الجامعة •• وفى هذه الجلسة تعرض الملتقى لبحث ودراسة الاعلام الدينى كواجب وضرورة ومسئولية وأمانة والاعلام الدينى وقضايا المجتمع الاسلامى •• وضرورة التنسيق بين أجهزة ومراكز الاعلام الدينى المختلفة ••

وقد تحدث فى هذه الجلسة من رجال الاعلام الاساتذة **صبرى أبو المجد** نائب رئيس مجلس ادارة **دار الهلال ومحمود مهدى رئيس** الشئون الدينية بجريدة **« الاهرام » وفهمى عمر** مدير اذاعة الشعب ومن رجال الدعوة بجانب وزير الاوقاف فضيلة الشيخ **محمد حافظ سليمان** والدكتور **جمال الدين محمود** والدكتور **محمد الأحمدى أبو النور** ومن أساتذة الجامعات الدكتورة **اجلال خليفة استاذة الصحافة** بكلية الاعلام •

وعن قضايا المجتمع الاسلامى التى يجب أن يوليها الاعلام اهتماما كبيرا قال الاستاذ **محمود مهدى** فى الدراسة التى قدمها للملتقى حول هذا الموضوع ان أهم هذه القضايا **قضية التيارات الفكرية الوافدة** وما يتبعها من قيم دخيلة على أصالتنا الاسلامية وهو ما يمكن تسميته بالغزو الفكرى ويمكن معالجة هذا الخطر بطرح تراثنا الاسلامى الاصيل على النحو الذى يحصن المسلم ضد هذه التيارات من ناحية ويعينه على معايشة عصره من ناحية اخرى •

ثم كانت هناك قضية **الفراغ الدينى** الذى دفع ببعض الشباب الى التحلل وألقى بالبعض الآخر فى مهاوى الافكار المادية الملحدة ثم ولد تيارا متطرفا فى غياب الفكر الدينى المستنير •• **وكذلك** قضية

الجهل بحقيقة قدرات المسـلمين البشرية ومـواردهم المادية لـدى كثير من أفراد المجتمع الاسلامى ، وعلى الاعلام مسـئولية كبرى فى تعريف المسلمين بواقعهم .. ومن القضايا أيضا قضية طرح البدائل الاسلامية للمعاملات الاقتصـادية المعاصرة .. ثم القضـايا المتعلقة بالتمزق والخصام والنزاع والقتال الذى يجـرى الآن فى بعض الدول الاسلامية .. على الاعلام ضرورة التبصير بتعاليم الاسـلام التى تحض عـلى الحب والاخـوة والاعتصام والسلام بين الناس .

وقد اتخـذ الملتقى فى مجـال الاعلام الدينى عدة توصـيات من أبرزها :

* التزام الاعلام بشـكل عام بقيم الدين وسـلوكياته ، وهو مسئولية وأمانة وواجب .

* الابتعـاد عن الخـلاعة والمجـون وكل ما يسىء الى قيم المجتمع والدين .

* الاهتمام باعـداد الدعاة الدينيين اعدادا خاصا .

*** احياء التراث الاسـلامى**

وفى الجلسـة الرابعة والاخيرة للملتقى الاسلامى ناقش المـؤتمر موضوع احياء التراث الاسلامى ودارت أبحاث دراسات المشتركين فى الجلسـة حول جذور الثقـافة الاسلامية ومصادرها ــ دور مصر فى تطوير واثراء التراث الاسلامى ــ ماذا نأخـذ وماذا ندع ــ استخدام أساليب العصر فى حفظ ونشر التراث ــ احيـاء التراث الاسلامى احياء لحضارتنا الممتدة .

وقد رأس الجلسـة المهندس مشهور احمد مشهور نائب رئيس الـوزراء وحضرها الدكتـور عبد المنعم النمر وعـدد كبير من أسـاتذة الجامعـات والعاملين فى مجال التراث والمهتمين به .. من بينهم الدكاترة أحمد الحوفى وأحمد شلبى وأحمد النجار وأنور الجندى ومحمد المعلم وحسن صـالح العنانى .

وقـد أوصى الملتقى بضرورة اعـداد جيل من المحققين من بين

طــلاب الدراســـــات العليــا فى الجامعات ليخلف جيــل الرواد فى هذا المجــال •• كما أوصى المؤتمر بضرورة تحقيق ونشر كتب التراث ذات الصــلة بواقعنا المعاصر •• وما يخدم منها اهتمامات الشباب •

وقد وافق رئيس هيئـــة القناة على أن تتكفل الهيئة بنفقات طبــع ونشر خمسة كتب سنوية من كتب التراث ••

* أمســيات دينية

وقد نظم الملتقى خـــــلال أيام انعقاده عدة أمسيات دينية اشترك فيها فضـــــيلة الشيخ احمد حسن الباقورى والدكتور محمد الاحمدى والاستاذ عمر التلمسانى والدكتور حسن صــــــالح العنانى وعدد من الشعراء الاسلاميين منهم المستشار محمد التهامى وتاج الدين نوفل •

كما اتخــذ الملتقى خطوة عملية على طريق توحيد جهــود الاعلام والاعلاميين وتنســــــيق العمل الاعلامى الاســلامى بينهم ، حيث أعلن عن قيــــام أول اتحـــــاد للاعلاميين الدينيين فى مصر يضم رجال الاعلام الدينيين فى الصحف والاذاعة والتليفزيون مع الكتــاب الاســـلاميين ذوى الانتاج الدائم لهـــذه الأجهـــزة والمؤسسات الاعلامية •

إلى شعب أفغانستان :

اشدد يديك

للأستاذ / حامد الجوجرى

أشـــــدد يديك ولا تخضــــع لطغيـــــان
انا جميعــا معــا يا شـــــعب أفغـــــان

ان العقيـــــدة فيمـــا بيننـــــا رحم
تظلنـــــا كلنـــا رايـــات ايمـــــان

ما طعنــة فى حنــــايا مســـلم نفـــذت
الا تنــزى بجنبى الــــــدم القـــانى

ولا جــرت دمعــــة من جفن شــــاكية
الا وجــــدت لظـــاها بين أجفــــانى

لا فرق فى الــدين والاســـلام لحمتنـــا
مــا بين فـــرس وأتـــراك وعربـــــان

لولا يـــد فرقت من شـــملنا قـــد مـا
ســــدنا البـــرية من قـــاص ومن دان

شــعب على الحـق والاســـلام مجتمـع
وان تفـــــرق فى دور وأوطـــــــان

يا شـــعب أفغــــان لا كانت حيـــاتى ان
لم أمض جنبـــك ايمــــانا لايمـــــان

لمــن أهب ومن بالـــــــروح أوثـــــره
ان لم أهب لاســــــلامى وايمـــــانى

لمــن اذن غضــــــبتى ان لم أعــــــذبها
فى أرضـــــك الطهــر أترابى واخـــــوانى

لمــن اذن دمى المصـــــــهور أســــفحه
الا لأجـــل فتـــاك الثـــائر العـــانى

لأجــل شـــيخ يمــد الكف مرتعشـــــا
بدعـــــــوة ما لهـــا الاى اذنـــــــان

من أجـــل طفـــل بكــأس اليتم باكـــــره
باغ ومــا كان بالعـــــادى ولا الجـــانى

من أجــل عــذراء أحمى عرضــها قدســـــا
من ســــفلة أو غلـــوا فى الشر مجـــــان

لبيــك أفغــــان بالدنيـــــا ومـــا جمعت
بالنفس والمـــال لا شـــــــاه ولاوانـــى

يا زارع النـــــار فى الآجـــام يحصـــــدها
ماض الى حتفــــــه ســـــــاع لخسران

يا صـــــاحب الرايــة الفرعـــاء ظامئـــة
الى دمــــــاء الأعـــــادى شر قربـــان

فى كــل درب أقــم قبـــرا يضـــــــمهم
وافتـــح على كل ســـفح جـــوف بركـــان

وكن لهـــم رصـــــدا كالشـــهب يتركهم
صرعي ويرجمهم فى كــل ميـــــــــدان

ولا تنخـــدع بدعـــاواهم مزيفـــة
فكـــم خدعنـــا بتضـــليل وبهتـــان

حتى رمتهم يـــد الســـــادات قـــادرة
وحققت بعـــدهم نصرى وســـــلطانى

يا عـــالم اليـــوم أين العـــدل فى زمن ؟
أضـــحى الســـلام به فى كف شـــيطان

رهـــائن قلـــة ثـــار الوجـــود لهم
وفجـــر الغضـــب العـــاتى كبركـــان

من أجلهم قـــامت الدنيـــا وما قعـــدت
فمن لشـــعب رهـــين خلف قضـــبان

حامد الجوجرى

يا رباه

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

أتغسـل كـل أخطـائى الدمـوع
ويمحـوها التبتـل والركـوع
اذا ما الليـل فاض عـلى الروابى
وغلصـت فى دياجـره الربـوع
ولـف الصـمت حـولى كل شىء
وغشى أعيـن النـاس الهجـوع
مـددت اليـك يـاربّاه كفـا
يجللهـا من القـلب الخشـوع
ويبتهـل اللسـان اليـك جهـرا
وأومن أنـك البـر السـميع
أتحـرقنى بنـارك يـا الهى
وضـعفى عنـد بابـك لى شـفيع
أيعظم يا رحيـم لديـك ذنب
وعفـوك بحـره جـم وسـيع
فمـن بالعفـو والغفـران يحظى
اذا مـا فـاز بالخلـد المطيـع
معـاذ الحـق أن يعصـاك عبـد
عـلى عمـد وفطرته الخضـوع

فجـــد النـــاس آدم من تـــراب
وفيــــه الى طبيعتــــه نــــزوع
من المســـــنون كان أبو البـــــرايا
فكـــــان جبلـــة منــه الوقـــوع
وكنت بــه رحيمـــا حيــن ينأى
وتقبلــه اذا كـــان الرجـــــوع

* * *

أنــا يــا خــالقى أخشى ذنــوبى
فاخـــذك ان أخـــذت بهـــا مريــع
ولكنى أرجى منـــــك عفــــوا
وراجى العفــو عنــدك لا يضـــيع

محمد عبد الرحمن صان الدين

الفتــــاوى

إعداد الأستاذ عبد الحميد شاهين

س : ما حكم حضـــور النســـاء لصلاة الجماعة فى المساجد ؟

ج : اختلف العلماء فى جـــواز حضور النساء الجماعة ، والمعتمد عند متـــأخرى الحنفية : منع كل النساء من حضور الجماعات مطلقا الآن ولو اسماع الوعظ ، لفســـاد الزمان وانتشار الســـــفه فى كل الاوقات •

ومذهب الامام أحمد : أنه يباح لهن حضور الجماعة مع الرجال ، ولكن صلاتهن فى بيوتهن خير لهن وأفضل •

فقـــد جاء فى المغنى لابن قدامه ص ٣٥ من الجزء الثانى ما نصه : (ومباح لهن حضـــور الجماعة مع الرجال ، لأن النساء كن يصلين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) قالت عائشة رضى الله عنها « كان النساء يصلين مع رسول الله صلى الله عليه وســـــلم ، ثم ينصرفن متلفعات بمروطهن ما يعـــرفن من الناس » • متفق عليه •

وقال النبى صلى الله عليه وسلم « لا تمنعوا اماء الله مســـاجد الله وليخرجن تفـــلات » يعنى (غـــير متطيبات) رواه أبو داود •

وصـــــلاتهن فى بيوتهن خير لهن وأفضـــل ، لما روى ابن عمر قال : قال رســـــول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تمنعوا نســـــاءكم المســـاجد وبيوتهن خير لهن » رواه أبو داود ، وقال صـــــلى الله عليه وسلم : « صـــــلاة المرأة فى بيتها أفضـــل من صـــلاتها فى حجرتها ،

وصلاتها فى مخدعها أفضل من صلاتها فى بيتها » رواه أبو داود — انتهت عبارة المغنى ..

(والمراد من الحجرة فى الحديث صحن الدار ، قال ابن مالك أراد بالحجرة ما تكون أبواب البيوت اليها .. والمخدع : بضم الميم وتفتح وتكسر مع فتح الدال فى الكل — هو البيت الصغير الذى يكون فى داخل البيت الكبير تحفظ فيه الأمتعة النفسية) ذكر هذا فى شرح عون المعبود لسنن أبى داود.

والظاهر لنا ما ذهب اليه الامام أحمد من اباحة حضورهن الجماعة . للاحاديث الكثيرة الواردة فى ذلك . نعم ينبغى تقييد هذه الاباحة بما اذا لم يترتب على حضورهن مفسدة ، كما يرد عليه ما جاء فى الحديث من الامر بخروجهن تفلات أى غير متطيبات ، ومثل الطيب فى معناه من حسن الملبس . والتحلى الذى يظهر أثره والزينة الظاهرة وغير ذلك ومما مدعاة للفساد .

وفضل أفضلية الصلاة فى البيت عن الصلاة فى المسجد محمولة على ما اذا كانت الصلاة فى المسجد غير مقترنة بسماع وعظ ونحوه مما لا يتيسر للنساء فى بيوتهن ، أما اذا كان حضورهن للصلاة ولسماع ما يصلح شأنهن فى أمور دينهن وتربية أولادهن والقيام بحقوق أزواجهن ، فالظاهر أن حضورهن فى هذه الحالة أفضل .

س : ما حكم المسلم الذى يترك الفرائض الاسلامية ، من صلاة وصيام وحج . هل يعد بتركها كافرا ؟

ج : لا خلاف بين المسلمين فى أن من ترك شيئا من فرائض الاسلام وأركانه ، منكرا لوجوبه ، كان خارجا عن الاسلام ، وحكمه حكم المرتدين .

أما الترك مع اعتقاد الوجوب والفرضية ، فهو بالاجماع وبالدلائل الصريحة ، كبيرة من الكبائر ، يستحق فاعلها الجزاء الأخروى الذى توعد الله به أرباب الكبائر ، ولا يطهره منها سوى

التوبة الصادقة ، أو الحج المبرور • وهذا هو الحكم الأخروى •

أما الحكم الدنيوى الذى يجب على امام المسلمين اقامته على التارك ، فانا لا نعلم فى ثبوته بالنسبة للحج رأيا يعتد به لأحد الأئمة ، غير أنهم أجمعوا على تعزيره والتشهير به بالنسبة للصوم والزكاة ، كما أجمعوا على أن الزكاة يجب على الامام أن يأخذها قهرا من تاركها •

وأما قوله تعالى بعد آية الحج : « **ومن كفر فان الله غنى عن العالمين** » (١) فليس المقصود منه الكفر بترك الحج ، وانما المقصود الكفر بفرضية الحج على الناس وهى المذكورة قبل بقوله تعالى : « **ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا** » (٢) •

نعم : تكلموا فى تارك الصلاة كسلا ، وكان لهم فيها مذاهب ثلاثة :

أولها : أنه يخرج عن الاسلام ويقتل كفرا كالمرتد •

وثانيها : أنه لا يخرج عن الاسلام ولكن يجب قتله حدا اذا لم يتب ويصلى •

وثالثها : أنه لا يخرج عن الاسلام ولا يحد بالقتل وانما يعزر بالضرب والحبس حتى يصلى •

وبالنظر الى أدلة هذه المذاهب رأينا أن أقربها الى الصواب هو المذهب الأخير ، لا كفر ولا قتل وانما الضرب والحبس ، وحجته قوله عليه الصلاة والسلام « لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث : كفر بعد ايمان ، وزنى بعد احصان ، وقتل بغير حق » •

أما الاحاديث التى استدل بها القائلون بالقتل ، فان ما صح منها وكان فى الموضوع وهو الترك كسلا ، وذلك كقوله عليه السلام : « بين الرجل وبين الكفر ترك

---

(١) الآية ٩٧ من سورة آل عمران .

(٢) الآية السابقة .

الصلاة » وقوله : « العهد الذى بيننا وبينكم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر » فانه يجب حمله على التغليظ والتوبيخ ، ومعناه أنه فى صورة الكفر باعتبار العمل ، وليس كفرا على الحقيقة ، وانما وجب حمله على التغليظ لا على الحقيقة لقيام الأدلة على أن صاحب الكبيرة لا يخرج بها عن الاسلام ٠

أما القول بالقتل حدا ٠ فقد قال فيه الامام ابن رشد المالكى : (انه قول ضعيف ، ولا مستند له الا قياس ترك الصلاة على القتل ، باعتبار أن الصلاة رأس المأمورات ، وأن القتل رأس المنهيات ، وهو قياس ضعيف ، ولا يباح بمثله دم موثوق بايمان صاحبه) ٠

أما بعد : فهذه خلاصة موجزة عن آراء الأئمة فى تارك الصلاة كسلا وحسب المسلم المؤمن بالله واليوم الآخر فى المحافظة عليها قوله تعالى : « **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين** » (١) ٠

وقوله : « **واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين ، الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون** » **(٢)** وقوله : « **وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون** » **(٣)** وقوله : « **ان الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا ، الا المصلين ، الذين هم على صلاتهم دائمون** » **(٤)** ٠

كيف وهى الشعار الخاص الذى يعرف به المسلم من غيره ؟ ، وهى غذاء الايمان الذى يقرب العبد من مولاه ٠

عبد الحميد السيد شاهين

---

(١) الآية ٢٣٨ من سورة البقرة ٠
(٢) الآية ٤٥ ، ٤٦ من سورة البقرة ٠
(٣) من الآية ٤٥ من سورة العنكبوت ٠
(٤) الآيات من ١٩ ــ ٢٣ من سورة المعارج ٠

هكذا يكتب القراء

إعداد عبد العزيز أحمد جبرة

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ جمال محمد محمود بخيت يقول :ــ

شرع الله سبحانه وتعالى الصلاة على نبيه وفرضها عليه صلى الله عليه وسلم فى ليلة الاسراء والمعراج وكانت فى البداية خمسين صلاة ولكن سيدنا موسى عليه السلام قال له ارجع يامحمد وسل ربك التخفيف فظل هكذا يسأل ربه التخفيف الى ان جعلها الله خمسا فى العمل وخمسين فى الأجر وذلك رحمة بأمة سيد الأنام صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى فى كتابه الحكيم **(ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا)** صدق الله العظيم وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام فى حديثه الشريف (بنى الاسلام على خمس :

١ ــ شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله •

٢ ــ واقام الصلاة •

٣ ــ وايتاء الزكاة •

٤ ــ وصوم رمضان •

٥ ــ وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا •

ومن هنا كانت الصلاة صلة بين العبد وربه فمن حافظ عليها وأداها فى أوقاتها وبخشوع لله تعالى كانت له نورا وبرهانا يوم القيامة ومن نجا من حسابها والسؤال عنها نجا من هول هذا اليوم لأنها أول ما يحاسب عنها العبد يوم القيامة ولذلك نجد أن الله تعالى وصف المحافظ على آداء الصلاة فى خشوع وخضوع وفى

توقيتها المعلوم قائلا (**قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون الى ان قال والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون**) صدق الله العظيم والفردوس هذا أعلى درجات النعيم فى الجنة بدليل ان الرسول صلوات الله وسلامه عليه قال (أسألوا الله الفردوس فانها أعلى مكان فى الجنة) وعلينا نحن المسلمين المحافظة على الصلاة وتعليم اولادنا الصلاة وذلك فى سن مبكرة من عمرهم لقوله صلى الله عليه وسلم (مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم فى المضاجع) والرسول عندما يأمر المسلمين بتعليم أولادهم الصلاة وهم فى بداية العمر فهو يعلم مدى الفائدة التى تعود على هؤلاء الأولاد اذا تعلموا الصلاة فى سن السابعة وهو مرحلة الصبى وذلك لينشأ الطفل متمسكا بربه قوى الايمان بدينه لأنه اذا شب على شىء شاب عليه ثم يأتى الكاتب الى تارك الصلاة فيذكر أن الانسان اذا حافظ على صلاته لفت فى ثوب أبيض وقالت وهى صاعدة الى السماء حفظك الله كما حفظتنى واذا تهاون العبد فيها وتكاسل عن تأديتها لفت فى ثوب خرق وضرب بها على وجهه ورجعت من السماء وهى تقول ضيعك الله كما ضيعتنى وهنا يذكر الكاتب قوله تعالى (**ويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون**) ويذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه (ليس بين المؤمن والكافر الا الصلاة فمن أقامها أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين) صدق رسول الله وجعلنا الله واياكم من المقيمين للصلاة المحافظين عليها الآمرين بها أولادنا والله أسأل النجاة من هول يوم القيامة •

القرآن دستور المسلمين

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ يسرى المتولى حورية يقول : —

جاء النبى محمد صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين وكذلك رسالته خاتمة الرسالات السماوية

فهى رسالة عامة وقد أكد عمومهـا الله عز وجل فى كتابه الكريم فقال « **وما أرسلناك الا كافة للنــاس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر النـاس لا يعلمون**) صدق الله العظيم .

ولقد تميزت هذه الرسالة فوق عموميتها بأنها صاحبة كتـاب ان صح هـذا التعبـير يتميز من بين سائر الكتب بأنه معجزة ومنهـج بينما الكتب السـابقة عليه كانت منهجا فقط ومن هنا فـان هـذا الكتاب العظيم قد اشتمل على كل ما يصل الانســان بربه أولا ثم ما يصل نفس الانسان بالمجتمـع الذى يعيش فيه ثانيا فأما صـلة الانسان بربه فتتحقق بما عـرف لدى علمائنا بالعقيدة والشريعـة وما من شك فى أنه عندما يستقيم هذا الجانب لدى الانسان ينتـج عنه الاستقامة فى الجانب الآخـر وهو المجتمع فيتحلى الانســان بالصفات الفاضـلة والاخـلاق الحميدة والافعال الكريمة وهنـا تكون المعاملة الطيبة ولعـل ذلك ما قصده الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله « الدين المعاملة »

اذا فالاسلام عقيـدة وشريعة ومعاملة وأخلاق ومصدر هذا انما هو القرآن الكريم فقد نزل هـذا الكتاب على النبى الكريم محمـد صلى الله عليه وسلم وجاء بما جاء من أحكام ومعاملات وعبادات لينظم حركة الحياة عقيدة وعبادة وينظمها اقتصاديا وفكريا وكـل ما تتطلبه الحيـاة من نظـم فهـو الخير كله فقـال فى العقيـدة (**قل هـو الله أحد الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد**) صدق الله العظيم وفى العبادة قوله تعالى (**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكـاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون**) وفى الجانب الاقتصادى (**وكلـوا واشربوا ولا تسرفوا**) وفى الجانب العسـكرى (**واعـدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن ربـاط الخيـل**) صـدق الله العظيم وهـذه الآيـات على سـبيل المثال لا الحصر وأخيرا قد عرفنا أن القرآن هو دستور الحيـاة للمسلمين وفقنا الله لما فيه الخير .

عبد العزيز أحمد

قالت الصحف

إعداد عاطف زهران

« الدولة الاسلامية »

فى عددها الأخير لشهر ربيع الآخر سنة ١٤٠١ نشرت مجلة الوعى الاسلامى الكويتية تحت هذا العنوان أفتتاحية ننتقى منها ما يلى :

الشريعة الاسلامية التى أنزلها الله تعالى حملت فى كيانها الخصائص التى تحقق هذا الهدف السامى ، فكانت شاملة لكل شئون الحياة من عبادات ومعاملات ، وعقائد وأخلاق .

وهذا الشمول يقتضى أن يكون من أحكامها وقواعدها ما يتعلق بنظام الحكم فى الدولة ، كمبدأ الشورى ، ومسئولية الحاكم ، وأحكام الحرب والسلم ، والمعاهدات والعقوبات .

والدولة الاسلامية هى التى تقوم على تنفيذ هذه المبادىء والأحكام بمقتضى ماليها من قوة وسلطان ، فتقيم المجتمع على العدل والانصاف ، والنظافة والطهر ، والعمل الشريف الجاد .

وفى رحاب هذا المجتمع يسهل على الفرد أن يقيم علاقاته مع غيره فالانسان كائن اجتماعى . يتأثر بالبيئة التى يعيش فيها . فان كانت بيئة صلاح وخير اتجه الفرد نحو الصلاح والخير ، وان كانت بيئة فساد وضلال اتجه نحو الفساد والضلال .

فالدعوة الى الله يتذكر بها أولوا الألباب ، ويلوى عنها أرباب الفسا وأعوان الباطل ، وهؤلاء لا يردعهم عن غيهم وينجي

المجتمع من شرورهم الا القــوة الفعالة • ورضى اللــه عن عثمان ابن عفاف صاحب القولة الخــالدة « ان الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن » •

ان قيام الدولة الاسلامية التى تؤمن بالاسلام وتعمل بأحكامه ، وتنفــذ فى الأمــة تعــاليمــه ، وتقود الأمة فى مكافحة الأعداء • أمر يفرضه الله على المســلمين ، لتســتقيم أمورهم ، ويعــزوا فى أرضهم • وفى هذا يقول الحق جل شأنه لرسوله صــلى الله عليــه وســـلم :

« ثم جعلناك عــلى شريعــة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين

مؤتمر القمة الاسلامى والتحديات الكبيرة

تحت هذا العنوان كتبت مجلة الأمة القطــرية افتتاحية نقتطف منها (١) •

انعقد مؤتمر القمة الاسلامى الثالث فى مدينة الطــائف ، ويأتى انعقاده موازيا للصحوة الاسلامية التى بدأت تعبر عن نفسها فى أكثر من مجال ، وبأكثر من وسيلة ، ترفض الأفكار المستوردة ، والعقــائد الجاهلية ، وجميع ألوان الولاء وشتى مبرراته ، والعمالة الحضــارية والثقافية والسياسية لأية كتلة شرقية كانت أم غربية •

يأتى انعقاده فى الوقت الذى تشتد فيه الهجمة الشرســة عــلى العالم الاسلامى ، وتكثر الجروح النازفة هنا وهناك ، وتدرس ظواهر الوعى الدينى المتعــاظم ، وتنصب له الفخــاخ والشراك ، وتدرس الوسائل المدمرة له ، وتشكل اللجان المتخصصة ، وتربى أدوات التنفيذ على عين أعداء الاسلام •

---

(١) العدد الرابع ربيع الآخر سنة ١٤٠١ هـ •

لا يعلمون ، أنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين » .

انعقد المؤتمر فى وقت تزداد فيه خيام اللاجئين ، وأرض النازحين من أفغانستان ضحية الغزو السوفيتى ، ووسائل الفتك والارهاب التقدمية الى الأوغادين ، ومن أريتريا الى الفلبين ، الى سائر الأقليات الاسلامية المسمومة تحت عناوين وشعارات الحرية والتقدم الى الغربة والاغتراب ، وهجرة العقول من بلاد الاسلام لسبب أو لآخر ، الى غربه المسلم وغربة اسلامه فى بلاد العالم الاسلامى نفسه .

ان هذه الجروح النازفة لاينفع معها الا الاسعاف السريع ، وان استمرار الاعتماد على الدول الكبرى نوع من الخداع . فالذى ذبح المسلمين وتنكر لهم ولحقوقهم فى فلسطين لا يمكن أن ينتصر لهم فى أفغانستان أو يدافع عنهم ، والذى يذبح المسلمين فى أفغانستان لا يمكن أن ينتصر لهم ويدافع عنهم فى فلسطين ، التى اعترف بها دولة لليهود من اللحظة الأولى ، وأمدها بكل العناصر البشرية التى شكلت الاستعمار الاستيطانى والمادة البشرية اللازمة .

لقد استهلكت خلال الثلاثين سنة الماضية كل الشعارات ، والحلول المطروحة فى المنطقة العربية لتحرير فلسطين ، ولم يبق الا الحل الاسلامى ، فهل نلتزم به باخلاص وصدق ؟ وهل نعد له عدته بكل مقوماته ومقدماته كما أراده الله وبينه رسوله الكريم بسنته العملية ؟

صحوة الاسلام فى الاتحاد السوفيتى

تحت هذا العنوان كتبت مجلة الثقافة فى عدد مايو سنة ١٩٨٠ م موضوعا نقتطف منه : لا تتوقف الصحف الفرنسية عن تقديم الدراسات حول العالم الاسلامى . خاصة بعد الثورة الايرانية والثورة الأفغانية .

وكانت من آخر تلك الدراسات ما نشرته صحيفة « لوموند » فى أربعة أعداد متوالية عن الاسلام فى آسيا وعن الظروف الاقتصادية

والفكرية والسياسية لأربعمائة مليون مسلم فى آسيا غير العربية .
ومن القضايا الاسلامية التى نوقشت كثيرا قضية مسلمى الاتحاد السوفيتى الذين يتعاظم عددهم بطريقة سريعة سوف تصل — ان شاء الله — بهم فى نهاية هذا القرن الى ثلث سكان الاتحاد السوفيتى .

دأبت وسائل الاعلام السوفيتية فى الترويج عن عمد من أن الذين يطبقون الاسلام فى الداخل لا يزيدون عن ثلاثة ملايين من العجائز وان معلوماتهم ضئيلة ، وأن الاسلام ليس الا بقايا من ذكريات الماضى .

ان عدد المسلمين فى الاتحاد السوفيتى يزيد حاليا على خمسين مليون مسلم وهم يشعرون بالانتماء الى الأمة بمفهومها الاسلامى .

ومن الشائع جدا أن يوصى المسلم بأن يدفن بأرض لم يدفن فيها شيوعى وقد مرت بهم أوقات — كثيرة — عصيبة .

ووصفوا الدين الاسلامى بأنه « دين رجعى ابتكره أحد التجار العرب الذين كانوا يمتصون أرزاق الطبقات الفقيرة » .

كما حرمت الدولة الصوم والزكاة والحج ووصفت نشاط علماء الاسلام بأنه مضاد للثورة ، وأغلقت المساجد واختفت كلمة مسلم من الأوراق ليحل محلها « مواطن سوفيتى » .

والسؤال المطروح : هل استطاعت الشيوعية القضاء حقا على الاسلام فى الجمهوريات الواقعة تحت حكمها ؟

وهل الشعور الدينى فى هذه الجمهوريات بعيد عن الشعور العام بالصحوة فى البلاد الاسلامية المتاخمة — أفغانستان — باكستان — ايران ؟؟

عاطف شحاته زهران

أخبار العالم الإسلامي

إعداد أحمد عبد الرحيم السايح

بعث فضيلة الامام الأكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر البرقية التالية الى السيد الرئيس محمد أنور السادات تعزية فى استشهاد فقيد الأمة المجاهد الشهيد أحمد بدوى ورفاقه من المجاهدين .

السيد الرئيس المؤمن محمد أنور السادات

ان المصاب الفادح بوفاة البطل الفدائى المشير أحمد بدوى ورفاقه الأمجاد هز المشاعر وأثار الخواطر لما للفقيد الراحل من مواقف خالدة فى الجهاد الصادق والنضال الدائم لسحق الأعداء وتطهير البلاد ورفع راية العزة والكرامةبعد معارك دامية وحروب طاحنة أثبت فيها بقيادته الحازمة بطولة الجندى المصرى وعزمه الأكيدواصراره على تحرير أرضه وحماية وطنه بالهمة العالية والشجاعة النادرة والايمان العميق ..

لقد كان الفقيد الراحل مثلا للصبر والصمود والمثابرة ورمزا للبذل والعطاء وصورة ناطقة للتضحية والفداء وقلبا نابضا فى معركة المصير فبقى حيا فى ضمير التاريخ ..

واننا اذ نحتسبهم عند الله فاننا نضرع اليه تعالى أن يظلهم

برحمته ويشملهم برضوانه وينزلهم جنات النعيم مع الابرار والشهداء والصديقين ..

ألهمكم الله الصبر والسلوان وأعظم لكم الأجر والثواب

« ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين .. الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون .. »

دكتور / محمد عبد الرحمن بيصار
شيخ الأزهر

كما نعى فضيلته المجاهدين الشهداء الى العالم الاسلامى بهذه الكلمة ..

بقلوب مؤمنة راضية بقضاء الله ينعى شيخ الأزهر وعلماؤه الى العالم الاسلامى والعربى البطل المجاهد ورفاقه البواسل بعد حياة حافلة بالكفاح والتضحيات فى ميادين النضال والجهاد فى سبيل الله وساحات الشرف والكرامة مسجلا أروع البطولات وأخلد المواقف فى الصمود والتصدى لمواجهة الأعداء الطامعين فحقق النصر ورفع أعلام الحرية خفاقة على أرض الوطن .. وأعاد العزة والكرامة لكل عربى ..

رحم الله الفقيد الراحل وصحبه الامجاد وشملهم برضوانه وأسكنهم رحاب جناته لينعموا فى الفردوس الأعلى مع الصديقين والشهداء والأبرار « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا .. »

القاهرة :

*** تستعد « اسلام أباد » عاصمة الباكستان لاستقبال فضيلة الامام الأكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار ــ شيخ الازهر ــ خلال** زيارته فى مارس ضمن جولة فى عدة دول آسيوية اسلامية ، تعول

باكستان كثيرا على هذه الزيارة لتدعيم العلاقات الدينية مع مصر .

* **يجتمع بالقاهرة خـــلال شهر مارس المؤتمر العالمى للشباب المسلم وتنظمه جامعة الأزهر ، وتشهده وفود من شباب الدول الاسلامية والدول التى بها أقليات اسلامية .**
* تقرر فى مصر انشاء معهد اسلامى لتدريب القضاة الحاليين عــلى العمــل بأحكام الشريعة الاسلامية التى ستطبق قريبا بعد اقرار قوانينها فى مجلس الشعب ..
* ذكر مصدر مسئول أن لجنة تقنين الشريعة قد انتهت من اعــداد القانون المدنى والبحرى ، وســـــيعرضان على اللجنة التشريعية بمجلس الشــعب .
* اعلن الدكتور صوفى أبو طالب رئيس مجلس الشعب أن المنــاخ العام قد أصبح مواتيا لتطبيق أحكام الشريعة الاسلامية .

الســعودية :

* **وجه المسئولون السعوديون الدعوة لجامعة الازهر باعتبارها أكبر وأقدم الجامعات الاسلامية للاشتراك فى مؤتمر الجامعات الــذى يعقد بمكة المكرمة خلال شهر فبراير لمناقشة اسلوب دعم هــذه الجامعات والتعاون بينها ، وتقرر أن يرأس فضيلة الدكتور محمد الطيب النجار مدير جامعة الازهر وفد الجامعة بالمؤتمر .**
* قررت لجنة البرامج بمنظمة اذاعات الدول الاسلامية فى اجتماعها الذى عقد بجدة خلال شهر ربيع الأول مواجهة التحــديات التى تواجه المسلمين .

الســودان :

* ذكرت الأنباء أن ثلاثة عشر رجلا من علماء اللاهوت بالســودان أشهروا اسلامهم وأعلنوا عن تحولهم الى دعاة اسلاميين فى غرب الســودان .

المغــرب :

* يقام فى مدينة طنجة بالمغرب مركز اسلامى للتنمية التجارية مهمته تشجيع المبادلات التجارية بين البلدان الاسلامية .

الصــومال :

* قررت الحكومة الصومالية اعتماد اللغة العربية لغة رسمية للبلاد فى مختلف المجالات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية .

صنعاء :

* يبحث المؤتمر الثانى لوزراء العدل العرب فى اجتماعهم المقرر عقده فى صنعاء خلال شهر فبراير اقرار خطة توحيد التشريعات العربية على أساس الشريعة الاسلامية .

الباكستان :

* يصدر قريبا قانون محكمة العدل الاسلامية التى تتولى قضــايا الأمة الاســلامية .

* أوصى البنك المركزى الباكستانى فى تقريره الســنوى بضرورة ادخال النظام الاسلامى للزكاة لجمــع الضرائب من الأغنياء فى الريف والمدن كاجراء يساعد على حل مشاكل الفقراء .
* سيعقد فى « اسلام أباد » اجتماع المائدة المســتديرة لوزراء الصناعة فى الدول الاسلامية .
* تمت فى « اسلام أباد » اجتماعات مكتب التنسيق الاســلامى الأسيوى ، وقد حضرها ممثلون عن الدول الاسلامية .

* **محمد عز الدين شرف سفير مصر فى باكستان أصدر قرارا هــو الأول من نوعه فى سفارات مصر بالخارج . اذ قرر ألا تشــترى**

السفارة أو رجالها أو مكاتبها الفنية أى نوع من الخمور وألا تقدم الخمور فى حفلاتها العامة والخاصة • وقد لاقى القرار المصرى ترحيبا كبيرا من المسئولين الباكستانيين اذ أنه يتمشى مع سياسة باكستان الاسلامية •

* أصبحت اللغة العربية لغة اجبارية فى جميع مدارس باكســـتان الابتدائية ليتمكن الطلبة من قراءة القـــرآن الكريم ويتـــوقع أن تصبح اللغة العربية هى اللغة الأساسية خلال السنوات القادمة•

الســـنغال :

* أثبتت الدراسة التى قام بها الصحفى الفرنسى « جاك لاكوت » أن المسلمين فى السنغال يشكلان ٨٠ ٪ من مجموع السكان •

ماليزيا :

* تم مؤخرا انشاء بنكين اسلاميين فى ماليزيا • وبهذا يصبح عـــدد البنوك الاسلامية العاملة فى الدول الاسلامية خمسة عشر بنكا •

لوكســـمبرج •

* عندما أعلن الرئيس السادات فى خطابه التاريخى من فوق منبـــر البرلمان الأوربى فى لوكسمبرج « أن الاسلام لا يمكن الحكم عليه بأخطاء من يدعون الانتماء اليه فالاسلام دين تسامح وحب وليس بغضا وكراهية وتعصبا • ان ثورة اسلامية لا يمكن الا أن تقوم على الرحمة والعدل والحفاظ على كرامة الانسان وحريته » قوبل بالوقوف والتقدير من جميع أعضاء البرلمان الأوربى •

أحمد عبد الرحيم السايح

فهـــرس العـــدد

الموضـــوع	صفحة
● حديث الشهر للدكتور عبد المعطى محمـد بيومى	٨٢٦
دراسات قرآنية	
● الايمان ومقوماته للدكتور محمد الطيب النجار	٨٣٤
● الاسلام يؤلف القلوب ويحقن الدماء لفضيلة الشيخ مصطفى الطير	٨٤٠
● الأحداث الكونية للقيامة فى ضوء الاعجاز العلمى للقرآن للدكتور منصور محمد حسب النبى	٨٥٠
● كيف تقرأ البخارى للأســتاذ محمد أحمد بدوى	٨٥٨
التشريع الاسلامى	
● الأدلة الشرعية المرنة للدكتــور محمد محمد الشرقاوى	٨٧٢
● من توجيهات الخليفة الراشد عمر بن الخطاب الى رجال القضاء للمســتشار محمد عزت الطهطاوى	٨٧٧
أعلام الاسلام	
● من أئمة الحديث النبوى الامام أحمد بن حنبل للدكتــور الحسينى هاشم	٨٩٢
● طرائف ٠٠٠٠ ومواقف اعداد عبـد الحفيظ محمد عبـد الحليم	٩١٣

الموضـــوع | صفحة

من حضارة الاسلام

- **الفارابى : الفيلسوف المفترى عليه**
للدكتور أحمد عبد الحميد الشاعر ٩١٨

- **التربية الدينية « تصور للاصلاح »**
للأستاذ على عبد العظيم ٩٢٩

- **الصوفية ووجه الحقيقة**
للأستاذ موسى محمد على ٩٣٦

- **ملتقى الاسماعيلية للفكر الاسلامى** ٩٤٧

- **الى شعب أفغانستان**
للأستاذ حامد الجوجرى ٩٥٤

- **ياربـاه**
للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين ٩٥٧

- **الفتاوى**
للأستاذ عبد الحميد شـــاهين ٩٥٩

- **هكذا يكتب القراء**
للأستاذ عبد العزيز أحمد ٩٦٣

- **قالت الصحف**
اعداد : عاطف زهـــران ٩٦٦

- **أخبار العالم الاسلامى**
للأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح ٩٧٠

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث
الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

العنوان إدارة الأزهر
بالقاهرة
تليفون : ٩٠٣٩٦٢ / ٩٠٥٥٦٧

رئيس التحرير
د. عبد المعطى محمد بيومى

صورة الغلاف

محراب الرسول : وهنا يتسابق المسلمون لاداء ركعتين حيث يضع المسلم جبهته موضع الجبهة الشريفة .

الجزء السادس — السنة الثالثة والخمسون — جمادى الآخرة ١٤٠١
ابريل ١٩٨١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة التحرير

بعد خطى التطوير التى حققناها ، وكانت موضوعا لكثير من رسائل القراء لابد أن نوجه الشكر الجزيل لفضيلة الامام الأكبر فهو الذى يدفع مسيرة المجلة الى الأمام ويوليها عنايته الشخصية .

كما أن فضيلته صاحب البادرة الطيبة باصدار قرار مجلة « رسالة الأزهر » التى نعد لها حتى باتت وشيكة الصدور .

ونشكر كتابنا الذين كان اهتمامهم بالموضوعات التى تحدد موقف الاسلام من التيارات الفكرية المعاصرة .

وفى هذا العدد يلاحظ القارىء أننا خصصنا بعض الصفحات « لملف الشهر » حول قضية دينية لغوية أثارها كتاب مقدمة فى فقه اللغة العربية للدكتور لويس عوض .

وبهذا تؤدى مجلة الأزهر رسالتها فى تصحيح الأفكار والدفاع عن اللغة والدين .

التحرير

رسالة العروة الوثقى

كلمة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار
شيخ الأزهر
بمناسبة مرور مائة عام على صدور مجلة العروة الوثقى

بسم الله الرحمن الرحيم

أيهـا السـادة :

أحمد الله تعالى اليكم ، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد صاحب الرسالة الجامعة ، والدعوة الشاملة « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وتابعيهم أجمعين ٠

وبعـد :

فقد كان القرن الثالث عشر الهجرى ، والتاسع عشر الميلادى فى حياة الأمة الاسلامية قرن الدعاة والمصلحين الذين نهضوا لايقاظ الأمة ، وجمع كلمتها ، واصلاح ما اعتل من شئونها ، فى جوانب الدين والسياسة ، والعلم والاجتماع ، وكانت الأمة فى حاجة اليهم ٠

نهض من هؤلاء الدعاة رجال كبار ، فى مصر والشام ، وفى الهند وتركيا ، وفى شمال أفريقيا ٠

وكانت أصداء دعواتهم لانهاض الأمة الاسلامية تتجاوب بها الأرجاء فى مختلف الأقطار ٠

كانت حركة الأفغانى ومحمد عبده أكثر الدعوات تنبيهًا للرأى الإسلامى العام

وكانت أكثر الدعوات بركة ، وتنبيها للرأى العام الاسلامى هى الدعوة التى قامت فى مصر على يد جمال الدين الأفغانى وتلميذه محمد عبده المصرى ٠

التقى الرجلان على حرية الضمير ، وصدق اللهجة وعفة النفس ، ودقة النظر ، وقوة الحجة ، والسعى لتوحيد كلمة المسلمين ، وجمع شتاتهم فى مختلف الأقطار تحت شعار واحد : شعار الأمة الاسلامية ، التى أمر الله أن تعتصم بحبله ، وألا تتفرق ٠

ولقد وجد جمال الدين فى تلميذه محمد عبده عنصر الاباء ، والفروسية والاعتزاز بالنفس ، والشجاعة فى الحق ، فنمى فيه هذه الطبائع الأصيلة ، وقربه من بين تلاميذه وأفاض عليه من آرائه وتجاربه ، وثقافته الواسعة ، وخبرته بالأمم وبالشعوب ٠

فصار التلميذ عونا لأستاذه ، وامتدادا لرأيه ، ولسانا لدعوته الاصلاحية ٠

نشأ جمال الدين فى أسرة من أشهر البيوت شرفا ونســـبا فى أفغانستان ، فهو ينتمى الى الامام أبى عيسى الترمذى ، صـــاحب السنن ، ويرتقى فى النسب الى الامام الحسين بن عـلى ، رضى الله عنهمـا •

وهو من أمة الأفغان ، وهى أمة عزيزة النفس ، شديدة البأس ، لم تذل لحاكم ، ولا لأجنبى قط •

أمة تعظم آل البيت النبـــوى أكبر التعظيم ، وتوليهم مكانة رفيعة ، لقرابتهم من النبى صلى الله عليه وسلم •

وكان جمال الدين عضوا من أعضاء الحكومة ، وركنا من أركان الزعامة فى بلده ، لدى أمير له شأن فى بيت امارتها ، وهو الأمـير : (محمد أعظم خان) •

أما محمد عبده : فهو ابن فلاح مصرى ، فيه طبيعـة الوفاء ، والصبر والاكتفاء ، والأنفة وعزة النفس الفطرية •

ولم يكن بيته ذا وجاهة على مستوى القطر المصرى ، لكنه كان أوجه بيت فى قريته ، وكانت هذه المنزلة ذات أثر فى نفس الشـــاب الناشىء محمد عبده فى اطار عالمه الصغير •

كانت وراثة السيد/جمال الدين ، ومكانته فى بلده ناهضـــة به الى الآمال الكبار ، حافزة له الى مقاومة الظلم والفساد ، داعية الى الاصلاح ، سواء على مستوى الدول ، أو مستوى الجماعات •

وقدم جمال الدين الى مصر ، والتقى بمحمد عبده ، وهو شاب طموح ، تواق الى المعرفة والعمل •

فغذاه جمال الدين من غذائه ، وعلمه مما تعلم ، وعرفه بأحوال الأمم وسير الممالك ، وفتح له الى المعرفة آفاقا جديدة •

وعمل الرجلان معا فى مجال الاصـلاح السياسى والاجتماعى ، فطالب محمد عبده باقامة نظـــام نيابى فى حكم مصر ، وعمل على اصلاح التعليم فى وزارة المعارف •

فلما قامت الثورة العرابية ، ونفى محمد عبده من مصر ، دعاه السيد/جمال الدين للعمل معه فى جمعية العروة الوثقى ، التى أنشـــأها فى باريس ، للعمل على ايقاظ العالم الاســــلامى ، والسعى لاجلاء الجيوش البريطانية عن بلاد الشرق ٠

الجامعة الإسلامية أهم أهداف العروة الوثقى

وكان الهدف البعيد لهذه الجمعية ــ كما يقول الســيد محمــد رشيد رضا ــ اعادة الحكم الاسلامى ، وهداية الدين الى ما كان عليه من الطهارة والعــدل والكمال فى العصر الأول : بتأسيس حكومة على قاعدة الخلافة الراشدة فى الدين ، وما تقتضيه حــالة العصر لمجــد الاســـلام فى أمور الدنيا ، ويتبع هذا : انقاذ المسلمين وغيرهم من الشرقيين من الاستعمار المذل لهم ٠

وأما الغرض القريب لها : فهو انقاذ مصر والســـودان من الاحتـــلال ٠

واستجاب الشيخ محمد عبده لنداء أستاذه ، وسافر الى باريس ليساعده تجاه هذه الأهداف ٠

وأنشآ معا مجلة « العروة الوثقى » ، وصدر العدد الأول منها فى ٥ من جمادى الأولى سنة ١٣٠١ هـ ، الموافق ١٣ من مارس ســـنة ١٨٨٣ م ٠

وكان جمال الدين يدير سياستها ، ويضع أفكارها ٠ وكان الشيخ محمد عبده يحررها ويقدم مبادئها ، ويصوغ دعوتها بأسلوبه ٠

ولقد حددت العروة الوثقى لنفسها أربعة أهداف وهى : الجامعة الاســـلامية ، والرابطة الشرقية ، والقضــية المصرية ، والقضـــية السودانية ــ ازاء الاحتلال البريطانى لهما ٠

وكانت الرابطة الشرقية مرتبطة بالجامعة الاسـلامية فى العمل لهما ، ولم يكن بالمجلة فصول تخص احداهما دون الأخرى ، وقلمـا تخلو مقالة عن الجامعة الاسلامية من ذكر الرابطة الشرقية ، ووجوب الجمع بينهما ٠

لم تكن العروة الوثقى مجلة طائفية .. بل كانت للجميع ولإنهاض الجميع على كلمة ســـواء.

وكانت المجلة ـــ وهى تقوم بالخدمة الاسلامية تعطى الرابطة الشرقية والروابط الوطنية حقهما كاملا ٠

لقد دافع الشيخ محمد عبده ـــ وهو منفى بسوريا ـــ عن بطرس باشا غالى حين اتهمته بعض الجرائد المصرية آنذاك بالتعصب فى بعض أعماله ، فأورد الشيخ محمد عبده ما ذكرته الصحف فى هذا الموضوع ، واهتم بمقالة الصحف التى دافعت عن الوحـــدة الوطنية فى مصر ، وأيدها فى نفى أية حزازات بين المسلمين واخوانهم فى الوطنيـــة من الأقباط ، وأورد الأدلة التى أقامتها الجريدة على ارتباط المســـلمين والأقبـــاط فى مصر بالألفة والمحبة ، وأخذ كل منهم بعضد أخيه عند الشـــدة ، ورسوخ ذلك فى نفوسهم بالتوارث عن أســـلافهم ، وأقوى برهان على ذلك : وقوف الأقباط مواقف القتال مع اخوانهم المسلمين ، فى مواقف الحروب فى فتنة كريت وحرب الحبشـــــة ، وفى المعارك الســـودانية ، وما سبق ذلك وما لحقه ، يناصرونهم ويؤازرونهم ، فكانوا حربا لمن حاربهم ، وسلما لمن سالمهم ، وأن الخلاف المذهبى لم يحدث شقاقا وطنيا فى زمن من الأزمان ٠

ثم قال الشـــيخ محمـــد عبـــده : فنحن نرى رأى الجريدتين المحاميتين خصوصا عن طائفة الأقباط فى مصر ، فانها اظهرت يحسن

سيرها مع المسلمين من مواطنيها ما أهلها لوجوب المحافظة على وصية النبى – صلى الله عليه وسلم : فقد عهد الى أصحابه اذا فتحوا مصر أن يستوصوا بقبطها خيرا ، وقد كان حسن حال الأقباط مظهرا لصدق نبئه عليه الصلاة والسلام •

على أن كثيرا من أســـــلاف هذه الطائفة كانوا أمناء على مال الحكومة المصرية فى الدول الاســـلامية المتعاقبة ، بما أجادوا من صناعتى : الحساب والكتابة فى تلك الأوقات ، ولم تعهد لهم فتنة ، ولم تذكر لهم على البلاد غائلة ، فلا ينبغى لمبتغى الحق أن يمس شـــأنهم بالعنوان العام •

ثم قال : وأما بطرس باشا غالى فهو رجل ذكى ، حازق فى عمله ، بصير بأمره ، تقلب فى وظائف الحكومة من عنفوان شبيبته ، ورقى به اجتهاده الى ما وصل اليه من ســـامى وظيفته ، ووثقت به الحكومة الخديوية فى كثير من أعماله المهمة ، ونال فيها مكافآت على ما أدى من الأعمال التى نيطت به ، فمن الظن ألا يصدر عنه ما يبعث عليه لائمة من مصيب فى رأيه ، محق فى حكمه •

وكان جمال الدين أول من وضـــع أســـاس الجمع بين الرابطة الشرقية السياسية والجامعة الاسلامية ، وتوجيه العمل لكل منهما من غير تعارض بينهما •

وقد أعترف بهذا كل من ترجم له من المسلمين والمسيحيين على سواء ، وكذلك كان تلميذه من بعده •

كانت لكل الناس :

وقد اشتبه على بعض الناس أمر اللهجة الاســـلامية فى العروة الوثقى ، وظنوا أن عملها خاص بالمسلمين فدفع صاحباها هذه الشبهة عنها ، بكلمة نشرت فى العدد الثامن الذى صدر فى باريس ١٨ من رجب سنة ١٣٠١ هـ الموافق ١٥ من مايو سنة ١٨٨٤ م ، ونصها :

« لا يظن أحد من الناس أن جريدتنا هذه بتخصيصها المسلمين بالذكر أحيانا ، ومدافعتها عن حقوقهم تقصد الشقاق بينهم وبين من يجاورهم فى أوطانهم ، ويتفق معهم فى مصالح بلادهم ، ويشـــاركهم بالمنافع من أجيال طويلة ، فليس هذا من شأننا ، ولا مما نميل اليه ، ولا يبيحه ديننا ، ولا تسمح به شريعتنا ٠

ولكن الغرض تحذير الشرقيين عموما ، والمسلمين خصوصا من تطاول الأجانب عليهم ، والافســـاد فى بلادهم ، وقد نخص المسلمين بالخطاب ، لأنهم العنصر الغالب فى الأقطار التى غدر بها الأجنبيون ، وأذلوا أهلها أجمعين ، واستأثروا بجميع خيراتها ٠

المجلة والجامعة الاسلامية :

وأما دعوة المجلة الى الجامعة الاسلامية ، فكان الغرض منها :

أرشاد المسلمين الى الوحدة الاسلامية ، والاسترشاد بالقرآن الكريم ، وبسنة النبى صلى الله عليه وسلم وسيرته ، وسيرة الخلفاء الراشدين الى اقامة النظام الاسلامى ، وتأسيس حكومة اسلامية ، والاقتداء بسيرة السلف الصالحين فى هدايتهم ، والالتزام بمذاهب الائمة المجتهـــدين ، ومناهجهم العلمية فى تدوين أحكام الشريعـــة الاسلامية ، واحياء الدراسات العلمية والفنون الاســـــلامية لبناء الحضارة ، وتوجيه جميع شعوب المسلمين الى الاســتقلال وتقارب بلادهم ، وتعاونها على احياء مجد الاسلام ، وترك عصبيات المذاهب والجنسيات التى تفرق كلمة المسلمين ٠

وقد ظن بعض الناس أن جمال الدين أراد بالجامعة الاسلامية : أن يكون للمسلمين جميعا دولة واحدة ٠

لكن هذا المقصد لم يظهر على الاطلاق فى مجلة العروة الوثقى ٠ وقد حرر الشيخ محمد عبده مقاصد أســتاذه فى دعوته الى الجامعة الاسلامية ، فكتب مقالا نشر تحت عنوان : « الوحدة الاســلامية »

بالعدد التاسـع بالعروة الوثقى ، فقال : « لا ألتمس بقولى هذا عن الوحدة الاســـلامية أن يكون مالك الأمر فى الجميع ــ أى جميع البلاد ــ شخصا واحدا ، فان هذا ربما كان عسيرا ، ولكننى أرجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن ، ووجهة وحدتهم الدين ، وكل ذى ملك على ملكه ، يسعى بجهده لحفظ الآخر ما استطاع ، فان حياته بحياته ، وبقاءه ببقائه » .

ألا أن هذا ــ بعد كونه أساسا لدينهم ــ تقضى به الضرورة وتحكم به الحاجة فى هذه الأوقات .

وطلب المقال : أن تقيم ايران وأفغانستان اتحادا بينهما ، شبيها بالاتحـاد الذى أقامته الشـعوب الجرمانية فى أوربا ، وبينها من اختلاف المذاهب شىء كثير ، فكان هذا الاتحاد سبيلا لقوة الشعوب الجرمانية .

والظاهر : أن جمال الدين كان يكتفى فى الوحدة الاســلامية بالوحدة الدينية ، وبالاصــلاح الاجتماعى والثقافى والاقتصـادى والعسـكرى للشـعوب الاسـلامية وأن تعقد المحالفات بين دولها « كالترك والفرس والأفغان فى ذلك الوقت » وأن تعترف كل مجموعة لأقوى دولة بينها بريـاسـة الحلف أو الرابطة أو الاتحاد ، ممثلة للخلافة الاسلامية .

المجلة والمسألة المصرية :

أما المســألة المصرية : فكانت مقالات العروة الوثقى : تهتم بالدفاع عن مصر ، وتسعى لانقاذها من الاحتلال الانجليزى ، باثارة الرأى العام الاسلامى : فى مصر والهند وغيرهما على الســلطة البريطانية ، وحث الدولة العثمانيــة على اخـراج الانجليز من مصر بالسياسة والقوة معا ، ومحاولة اقناع فرنســا وغيرها من الدول الأوربية بمساعدة مصر للتخلص من الاحتلال .

وكذلك كانت جهودهما موجهة لاخراج الانجليز من السودان ، واقناعهم بتركه ، ولقد حاولا أن يذهبا الى السودان خفية ، لتنظيم قوة السيد محمد أحمد المهدى ، توسلا لانقاذ مصر بجيشه ، وتأسيس دولة قوية من مصر والسودان ، يعتز بها الاسلام والشرق ٠

هذه هى مقاصد العروة الوثقى وأهدافها ٠

فهل كان من الممكن أن يسمح لها الانجليز أن تحقق أهدافها ؟ وأن يتركوا لها فرصة الحياة ؟

لقد عرف الانجليز جمال الدين من قبل ، واشتهر لدى ساستهم بأن له الأثر الفعال فى اثارة الرأى العام ضدهم ، لما فعلوه فى بلاده وفى بلاد الهنـــد ٠

وأن له تأثيرا كبيرا فى السياسة المصرية فى آخر عهد اسماعيل باشا ، مما جعل الخديوى يميل الى الفرنسيين ٠

ولذا : فان القنصل الانجليزى هو الذى أغرى الخديوى توفيق باخراج جمال الدين من مصر ، كذلك فقد حجرت عليه حكومة الهنـــد ومنعته من مغادرة كلكتا ابان الثورة العرابية ، بعد أن حجبت عنـــه أخبـــارها ٠

مواجهة الاستعمار :

لهذا كله : حسب الانجليز لصحيفة العروة الوثقى كل حساب ، وجهر بعض الســـــاسة البريطانيين بتحريض حكومتهم عليها قبل صـــــدورها ٠

ولم يمض وقت طويل بعد صدور المجلة ، وتتابع أعدادها ، حتى صـــــدر قرار فى مصر والهند بمنع دخولها اليه وعمل الانجليز على مطاردتها ، فتوقفت عن الصدور بعد العدد الثامن عشر ، فى ٢٦ من ذى الحجة سنة ١٣٠١ ـــ ١٦ من أكتوبر سنة ١٨٨٤ ٠

لقد حملت العروة الوثقى الى العالم الاسلامى رسالة اصلاحية كبرى ، تتناول مختلف الجوانب للمجتمع الاسلامى ٠

رسالة العروة الوثقى فى عهدها الجديد

وقد آن لها أن تعود الى الحياة فى ظل جامعة الشـعوب الاسلامية والعربية ، فتجمع العالم الاسلامى والعربى على وحـدة الفكر ، والمشاعر والأهداف ، ومناهضة الاحتلال الأجنبى فى جميـع أشـكاله ، وبث روح العزة القومية عن طريق العقيـدة الدينيـة الصحيحة ، وتوثيق الصلات بين الشعوب الاسلامية كلها لتتعاون على دفع أذى الأجنبى عنها ، وتأسيس الحيـاة الاجتماعية والدينيـة والسياسية على أصـول الاسـلام القويمة ، وطرد العقائد والافكار الدخيلة المفسـدة ، التى تريد أن تتسلل الى بلاد المسلمين وتوعية الشعوب جميعها بأن الاسلام فى مبادئه القيمة صـديق للعلم ، لا يعارض المدنية ، ولا يمنع السبق فى مضـمار الكشف ، وميدان الرقى والحضـارة ٠٠

والله ولى التوفيق ، وهو نعم المولى ونعم النصير ٠٠

حديث الشهر

العروة الوثقى ... بين ميلاد وميلاد

ما أعجب ما تأتى به الأيام ..

منذ مائة عام كانت القوة الحاكمة فى مصر تمنــع دخــول مجلة « العروة الوثقى » الى البلاد وتتعقب من تصـــل اليه وتضبط من تضبط معه .

وكانت هذه المجلة أخطر على الحكومة القائمة حينــذاك من أى خطر لأنها تنادى بالحرية والشرف والوحدة الاسلامية .

ودارت الأيام مليئة بالكفاح والجهد والجهاد لتتولى الحكومة فى مصر اصدار العروة الوثقى لتتوالى أعداد المجــلة من جديد بعد أن عطلت مائة عام .

واذا كان هــذا الحــدث العجيب يبعث السرور فى النفس فان الأعجب فى الوقت نفسه ان يجد المسلمون انفسهم بعد مائة سنة ان الحاجة الى اصـــــدار المجلة العتيدة مازالت قائمة وأن دعوتها الى الوحدة الاسلامية مازالت ملحة كأن هذه الوحدة التى كافح من أجلها محررا المجلة الشيخ جمال الدين الأفغانى والأستاذ الامام محمد عبده ظلت معطلة هذا العمر الطويل .

كأن الأمس لم يمض بعد !

وكأن شريط التاريخ والأحداث قد توقف وتجمــد الزمان ولم تتقدم الأمة الاسلامية خطوة على طريق الوحدة التى قامت من أجلها المجلة مما دفع الغيورين على الامة الاسلامية الى اعادة اصدارها بعد

بقلم ... رئيس التحرير

قرن لتعيد الدعوة الى أهدافها بنفس الصبر والالحاح والمثابرة والأمل ٠

وكأنى بالشيخين المجاهدين وقد بعثا من مرقدهما الذى طال عليه الأمد فاذا بتلاميذهما المخلصين يجددون الدرب ويبعثون الصوت هذه المرة من القاهرة لا من باريس وبامكانات اكبر دولة فى العالم الاسلامى قوة وتأثيرا ، بأمكانات مصر لا بامكانات شيخين غريبين فقيرين ، لا يملكان سوى الغيرة والرغبة فى الاصلاح والأمل فى الله ٠

وبين الميلادين عبرة التاريخ ٠٠

الميلاد الأول يوم حطت رحال الشيخ جمال الدين الافغانى فى باريس بعد ان طارده الاستعمار الانجليزى فى بلاد الاسلام المفككة المستعمرة المغلوبة على أمرها من الحكام المستبدين والمستعمرين الظالمين ٠

وفكر جمال الدين فى ادارة الصراع ضد الظلم والاستبداد والاستعمار فأرسل الى تلميذه محمد عبده المنفى فى بيروت ليوافيه فى باريس ٠

ووافى التلميذ شيخه الذى سأله : ما العمل ؟

قال محمد عبده بمنطق المربى : أرى أن ننشىء مدرسة نعلم فيها بعض أبناء الاسلام من البلاد العديدة حتى اذا رجعوا الى اهلهم بذروا بذور الحرية والوحدة والثورة على الظلم ٠

رد الامام جمال الدين محنقا : « انما انت مثبط ! » ٠

كانت روحه الوثابة وحدة مزاجه تستعجل الاصلاح ٠ فرأى أن تؤلف منهما وممن ينضم اليهما جمعية تسمي العروة الوثقي

تصدر مجلة بنفس الاسم يوجهانها رسـالة الى الشـعوب لتوقظ الشعور فى العالم الاسلامى ٠

كان القسم الذى يقسم به كل داخل فى جمعيـة العروة الوثقى بأن « يبذل كل ما فى وسعه لاحياء الوحدة الاسـلامية ، وانزالها منزل البنوة والأبوة الصـحيحة وألا يقدم الا ما قدم الدين والا يؤخر الا ما أخره الدين ولا يسعى قدما واحدة يتوهم فيها ضررا يعود على الدين جزئيا كان أو كليا ، وان يطلب الوسائل لتقوية الاسلام عقـلا وقدرة وان يوسع معرفته بالعالم الاسـلامى من كل نواحيه بقدر ما يسـتطيع » ٠

وسرعان ما اصـبح للجمعية فروعهـا (السرية) فى العالم الاسلامى وكانت تعقد اجتماعات دورية لتدارس أحوال المسلمين وفى ختام الاجتماع يتبرع الاعضاء فى صـندوق خشبى له ثقب بحيث لا يعرف احد بكم تبرع الآخرون ٠

وفى يوم الخامس عشر من جمادى الأول سـنة ١٣٠١ هـ (١٣ / ٣ / ١٨٨٤ م) صـدر العدد الأول من مجلة العروة الوثقى وعلى صدر صفحاتها الأولى بيان اهدافها فى خدمة الشرقيين عن طريق بيـان الواجبـات التى كان التفريط فيهـا موجبـا للسـقوط والضعف وتوضيح الطريق التى يجب سلوكها لتدارك ما فات مع بيان العلل التى دفعت بهم الى هذا التفريط ٠

* كشف الشبهات التى تشغل أوهام المترفين باليأس من مداواة العلل ، وبيان ان طريق الخلاص ليس طويلا كما يصوره الوهم ٠

* أن دفـع الكـوارث التى حاقت بالشرقيين انما يلزم له التمسك ببعض الأصول التى كان عليها آباء الشرقيين واسـلافهم ولا ضرورة فى ايجاد المنعة الى اجتماع الوسائط التى جمعها وسلكتها بعض الدول الغربية الأخرى ، ولا ملجـا للشرقى فى بدايته ان يقف موقف الأوربى فى نهايته بل ليس له أن يطلب ذلك ٠

* كشف ألوان الخداع والمسالك الدقيقة التى تسلكها الأمم الغربية للنيل من الشرقيين ·

* دفع ما يرمى به الشرقيون عموما والمسلمون خصوصا من التهم الباطلة التى وجهها اليهم من لا خبرة لهم بحقائق أمورهم وابطال زعم الزاعمين بأن المسلمين لا يتقدمون الى المدنية مادامو على اصولهم التى فاز بها أباؤهم الأولون ·

* تبليغ الشرقيين ما يمسهم من حوادث السياسة العمومية وما يتداوله السياسيون فى شئونهم مع اختيار الصادق وانتقاء الثابت ·

* تقوية الصلات العمومية بين الأمم وتمكين الألفة بين افرادها وتأييد المنافع المشتركة بينها والسياسات القيمة التى لا تميل الى الحيف والاجحاف بحقوق الشرقيين ·

وقد تولى جمال الدين ادارة المجلة بنفسه فكانت افكارها له واسلوبها فى الغالب لمحررها الأول الشيخ محمد عبده ·

وكانت المجلة ترسل مجانا لمن تعرف اسماءهم ومن كان يريد الحصول عليها فما كان عليها الا ان يكتب لادارتها فترسل اليه ·

وقد سعى الاستعمار الانجليزى الى تعطيل صدورها عندما علم بفكرة اصدارها واهدافها فلما لم يتمكن من ذلك منع دخولها الى الهند ومصر وسعى الى الدولة العثمانية فمنعت هى الاخرى دخولها الى احد من رعاياها ·

ومع ذلك استطاعت المجلة رغم كل هذا الحصار الدولى أن تعيش سبعة أشهر أصدرت فيها ثمانية عشر عددا ، اذا بالأحرار وذوى الغيرة يسعون للحصول عليها بكل ما فى طاقتهم من حيلة وكانوا يتناقلونها بينهم ويتدارسون افكارها ويروجونها فكان أثرها فى العالم الاسلامى كله اكبر من حجمها ومن طاقتها بل كان أثرها اكبر من الزمن الذى صدرت فيه ·

ونظرة واحدة الى اهدافها تلك تبرر الميـــلاد الجديد أو بعبارة أصح اعادة الاصـــدار •

* فمازالت الأمة الاسلامية فى حاجة الى كشف أوهام المترفين اليائسين الذين رضوا بالحيـــاة الدنيـــا واطمأنوا اليها وتخاذلوا فى مواجهة القوى العظمى التى راحت تعبث بمقدرات الشعوب الاسلامية وتخدعها بكل ما تستطيع باسم الصداقة والتعاون المشترك •

* ومازالت الامة الاسلامية فى حاجة الى اثبات أن الاصـــول التى ســـلكها اباؤهم الأولون هى الجديرة بأن تؤدى بهم الى العزة والمنعـــة •

* كما ان هذه الامة مازالت فى حاجة ملحة الى تمكين الألفـــة بينها وتقوية الروابط والتفاهم وازالة اسباب الخلاف •

* *

ولقد أحسن القائمون على اصـــــدار العروة الوثقى حين جعلوا العدد الجديد يأخذ رقم التاسع عشر بعد أن فصل الزمان بينه وبين سابقه بقرن لتستمر العروة الوثقى ولا تنفصم أملا فى الله أن يؤكـــد هذه العروة فى أمة الاسلام فتكفر بالطاغوت وتؤمن بالله وتلتقى على كلمة سواء يعيد لها مجدها الأصيل ويرد لها مكانتها الرائدة فى التاريخ « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمســـــك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » •

« ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الأمور » (٢) •

---

(١) سورة البقرة ٢٥٦ •
(٢) سورة لقمان ٢٣ •

دراسات قرآنية

التولى يوم الزَّحف

لفضيلة الدكتور/ محمد الطيب النجار
رئيس جامعة الأزهر

يقول الله عز وجل : « **يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير** » الأنفال آية ١٥ و ١٦ وفى هاتين الآيتين الكريمتين يرسم الله عز وجل الطريق السليم للمؤمنين عند لقائهم للكفار • ويحثهم على الصبر عند جهاد عدوهم والثبات فى ميدان القتال ، وينهاهم عن التولى والفرار اذا جد الجد والتحمت الجيوش حتى تعلو راية الاسلام وتقوى هيبة المسلمين على توالى الأزمنة والعصور •• ومن يتتبع الآيات القرآنية التى تعرضت للقتال يتجلى له أنها تهدف الى غرضين : أولهما الدفاع عن النفس ورد الظلم والعدوان • وثانيهما الدفاع عن الدعوة اذا وقف أحد فى سبيلها بفتنة من آمن أو بصد من أراد الدخول فى الاسلام • أو بمنع الداعى من تبليغ دعوته ، وفى ذلك يقول الله عز وجل فى سورة الحج : « **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير • الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز • الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف**

ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » ففى هذه الآيات يظهر السبب الذى من أجله فرض القتال على المسلمين وهو أنهم ظلمـــوا وأخرجوا من ديارهم بغير حق • ثم تنبه الآيات المؤمنين الذين أذن لهم فى القتال الى ما يجب أن يفعـــلوه اذا هم انتصروا على عـــدوهم وهو أن يقيموا الصـــلاة ويؤتوا الزكاة ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ليكونوا خير دعامة لهـــذا الدين الحنيف •

ثم يأمر الله المســلمين بعد أن رد الظلم والعدوان الذى أصابهم من قـــريش بأن يقـــاتلوا كل من يتعرض لهم بسوء أو يبدؤهم بشر فيقـــول فى ســـــورة البقرة : **« وقاتلوا فى ســـبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتـــــدوا ان الله لا يحب المعتدين ، واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخـــرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشـــد من القتل ولا تقاتلوهم عند المســجد الحرام حتى يقاتلوكم فيـــه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جـــزاء الكافرين »** •• ثم يأمرهم بالقتال لتعزيز حرية العقيدة والبعد بهـــا عن الأغراض والاهواء كى يكتمل لها الجـــــو الملائم فينضـــوى تحت لوائها من يشاء دون خوف من اضطهاد وفتنة وذلك بقوله فى السورة نفســـها : **« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنـــة ويكـــون الدين لله فان انتهـــوا فلا عدوان الا على الظالمين »** •

من أجـــل ذلك كان الثبات فى ميدان القتال أمام الأعـــداء من أقرب القـــربات الى الله • وكان الفرار والتـــولى يوم الزحف من الكبـــائر الموبقـــة وقد ثبت فى الصحاح عن الرســـول صلى الله عليه وسلم أنه قال : **« اجتنبـــوا الســـبع الموبقات »** وذكر منهـــا التولى يوم الزحف • وانما شـــدد الله العقاب على هـــؤلاء الـــذين يفرون عند لقاء العـــدو لأنهم وباء خبيث ينشر الضعف والخـــور ويقضى على العزة والكرامة • وقد أدركت القوانين الوضـــعية هذا المعنى فجعلت الاعـــدام عقوبة الفرار من ميدان القتال ••

على أن الله فى تكليفـــه لعباده ــ وهو انما يريد الخـــير لهم ــ

لا يطالبهم الا بما يســتطيعون • ولذا كان التــولى يوم الزحف من الكبائر الا اذا كان عدد الأعـداء أكثر من الضـعف فان التـــولى ــ حينئذ ــ لا شيء فيــه مادامت الضرورة تدعو اليه ، ويكون ذلك داخلا فى قوله تعالى : **« ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة »** وقد وقــع ذلك فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفى غزوة مؤتة حيث تولى خالد بن الوليــد قيــادة جيش المسلمين بعد استشــهاد ثلاثة من القواد الأبطال هم زيد بن حارثة • وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة •

وذلك أن خالدا دبر خطة للفرار وأحكم تدبيرهـا • فنظم الجيش من جديد بأن جعل مؤخرة الجيش مقدمة ، ومقدمته مؤخرة وجعـل الميمنـة ميسرة والميسرة ميمنة • فلما أصبح الصـباح ظن العدو أن مـددا قد جاء للمســلمين فلم يهاجموهم وفرحوا حين ســكت المســلمون عن قتالهم وتمنوا أن يعودوا دون اشتباك ، أما خالد فقد آثر المحافظــة على المســلمين بالانسحاب • وكان هذا الانسحاب بهـذه الطريقة مهارة بارعة حيث اسـتطاع أن ينقذ جيش المسلمين من خطر محقق • واعتبر هـــذا الانسـحاب نجاحا وانتصارا ولم يعتبر فرارا • اذ كان عدد المسلمين لا يزيد على ثلاثة آلاف ويقابلهم من الأعداء ما يقرب من مائة ألف ، ولذا أثنى رســول الله صلى الله عليه وســلم على خالد وأعجب بمهـــارته الحربية وحينما وجــد بعض المســلمين يقول لخالد ومن معه : يا فرار فررتم من الميــدان وتركتم الجهاد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : لا • ليسوا فرارا وانما هم كرار •• وقد أشــار الله عز وجل الى ذلك بقوله : **« الآن خفف الله عنــكم وعلم أن فيــكم ضعفا فان يكن منكم مائة صــابرة يغلبوا مائتين وان يكن منــكم ألف يغلبــوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين »** •

أما اذا كان عدد العدو لا يزيد على الضعف فان الفرار حينئـــذ يكون جريمة كبرى يبوء صــاحبها بالاثم والغضب وســوء المنقلب •

وهذا هو ما يشير اليه قوله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ›› »** الخ والزحف مصدر زحف القوم زحفا اذا مشوا قليلا قليلا ، وزحف الصبى على الأرض قبل أن يمشى • والزحف الجيش الكثير العدد الذى يرى لكثرته كأنه يزحف ويدب • وهو هنا فى هذه الآية مؤول بالمشتق لأنه حال من « الذين كفروا » والمعنى يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا حال كونهم زاحفين عليكم ، ويصح أن يكون «زحفا» مفعول مطلق أن يزحفون زحفا • **« فلا تولوهم الأدبار »** أى فلا تفروا وتولوهم ظهوركم ، والأدبار جمع دبر وهو ما يقابل القبل ويطلق على ما يقابل البطن وهو الظهر وهذا المعنى هو المرادوهوكنايةعن التقهقروالانهزام لان المنهزم عادة يولى ظهره للعدو أى يجعل ظهره موجها له ، وانما ذكرت كلمة الأدبار بدل الظهور فلم يقل فلا تولوهم الظهور ومن يولهم يومئذ ظهره ليكون فى ذلك تعريض بهذا العمل القبيح وهو الفرار وذلك بذكر حالة تستهجن من فاعلها وهى حالة الفرار المهينة وهذه الحالة يناسبها لفظ الدبر أكثر مما يناسبها لفظ الظهر ››

ولما كان الفرار فى ميدان القتال يلحق بصاحبه العار والصغار ويعرضه يوم القيامة للنكال والوبال بين الله تلك العاقبة الوخيمة والنهاية الأليمة بقوله : **« ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله »** ، ويلاحظ فى هذه الجملة أنها تحتوى على فعل الشرط وجوابه فأما فعل الشرط فهو قوله **« يولهم »** وأما جوابه فهو قوله : **« فقد باء بغضب من الله »** • وقد فصل بين الشرط وجوابه بقوله : **« الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة »** ليشير الى حالتين لا ينطبق عليهما حكم الفرار ، وقدمهما على جواب الشرط ليسارع الى تطمين من يتصف باحدى هاتين الحالتين وهما التحرف للقتال أو التحيز الى فئة أخرى من المسلمين ، فأما التحرف للقتال فهو

الكر بعد الفر حيث يخيل الى عدوه أنه منهزم ثم يكر عليه بعد ذلك • وهو من باب خـدع الحـرب ومكايـدها • وأما التحيـز فهـو الانضمام الى فئة أى جماعة أخرى من المسلمين يستنجد بها سـوى الفئة التى هو فيها ليقاتل العـدو من جديد • اذ لا ريب أن هـذه الحالة مع سابقتها تدلان على قوة الروح المعنـوية والاخلاص فى الجهـاد وهما لا يعدوان أن يكونا تلونا فى أساليب الحرب أو اختيارا لطـريق أقوى أثرا وأكثر فائدة ، ومعنى « **باء بغضـب من اللـه** » أى رجـع ومعه غضب من الله يصـاحبه بدل الغنيمة التى كانت تنتظره لولم يفر من الجهاد • كما أنه رجع ومعه الأسباب الموجبـة للعـذاب يوم القيامة بدل الثواب الذى أعـده الله لمن يقاتلون فى سـبيله ، ووصف الغضب من الله ليدل على مدى الهول الذى يترتب على ذلك فهو القوى القهار وأخذه للظالمين أليم شـديد • ولذا أتبع ذلك ببيان النتيجة التى تترتب على غضب الله على كل من يفـر من الجهـاد فقال : « ومأواه » أى المكان الذى يأوى اليه ويستقر فيه « **جهنم وبئس المهاد** » أى وبئس المرجع والمصير •

وبعد فهذا منهج الاسـلام فى القتال ، اخلاص يدفع بصاحبه الى الجهاد والتضـحية ، ورحمة تمنع الانسـان أن يلقى بنفسـه الى التهلكة ، وحكمـة تنأى عن التهور وتضـع كل شىء فى موضـعه المناسـب يكون الكر على العدو حمقا وطيشـا وغرورا • وأحيانا يكون هو المنهج القويم والطـريق السليم •

والايمان الحقيقى هو الموجه الى التوفيق والمرشد الى أقوم طريق •

د / محمد الطيب النجار
رئيس جامعة الأزهر

واجب التأمل فى الظواهر الكونية

من القرآن الكريم

للدكتور / عبد الغنى الراجحى

يلقى القرآن الكريم على الانسان واجب التأمل اذ يتردد ذكر الانسان كثيرا فى معرض الآيات الكونية من أرض وسماء وشمس وقمر وليل ونهار ونبات وجماد وحيوان • كواحد منها بل وسيد وأمير لها كأنه حجر الزاوية فيها وانسان عين الموجودات جميعها على اعتبار أنها خلقت من أجله • وكما يحرضه القرآن ويحثه على التأمل فى هذه الكائنات بجميع أنواعها علويها وسفليها يحرضه كذلك ويحثه على التأمل فى نفسه والتدبر فى كيانه وشئونه وأحوال كأنه لوحة حية من لوحات هذا الكون الواسع الجنبات المترامى الاطراف • والحكماء يقولون ان الانسان هو الكون الصغير وجميع الكائنات الاخرى هى الكون الكبير والله تعالى يقول : « **وفى الارض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم ، أفلا تبصرون** » (1) (سورة الذاريات ٢١) ويقول : « **فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فماله من قوة ولا ناصر** » (سورة الطارق) •

---

(١) يخطىء كثير من الكتاب حتى خواصهم فى ايراد هذه الآية بطريقة «وفى أنفسكم أفلا تبصرون» حيث يعطفون المعطوف عن المعطوف عليه متوهمين أنها جملة مستقلة والواقع انها معطوفة على ماقبلها •• والمعنى وفى الارض آيات للموقنين وفى أنفسكم آيات للموقنين ثم يقع الاستئناف بقوله (أفلا تبصرون) (أبصروا وفكروا) .

فمن خلال الكائنـــات والموجودات يرى الانسان ربه ويعرف عظمتـــه وجلاله ومن خلال التأمل فى نفسه يدرك عظمة خالقه • وبمقـــــدار معرفتنا بأنفسنا وبالكائنات المحيطة بنا تكون معرفتنا بالله • وقد نقلوا عن الفيلســـــوف بيكـــون قوله : « اننا نعرف الله بضوء منكسر » يعنى أن أشـــعة منبعثة من اللــــه من خلال الكائنات من انسان وغيره العالم الصغير والعالم الكبـــير • بواسطة هذه الاشعة الواصلة الينا من خلال هذه الكائنات ومن خـــلال ذواتنا نعرف الله منبعها ومبدأها ومصدرها • فالله نور الســـموات والارض ولقد قارن القرآن بين العوالم المســـتوردة والانســـــان وقرن فى الـــــذكر والخلق بين السموات والارض وبين النـــاس فقال فى مقام التمدح بالقدرة على الخلق والايجاد « لخلق السموات والارض أكبر من خلق النــــاس ولكن أكثر الناس لا يعلمـــون » • (سورة غافر ٥٧) وقال فى سورة النازعات ٢٧ ــ ٣٣ : « أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكهـــا فسواها وأغطش ليلها وأخـــــرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرســـاها متـــاعا لكم ولأنعامكم »

وقال فى شأن منكرى البعث فى سورة يس الآية ٨١ : « أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم ، بلى وهو الخـــلاق العليم » • وقرن بين الانســـان وكثير من المخلوقات فى مجال التأمل والنظـــر والحث على ذلك فقال فى سورة السجدة الأية ٧ : « الـــذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلـــــق الانسان من طين ثم جعل نســـله من ســــــلالة من مـــاء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعـــل لكم الســـــــمع والابصـــــار والافئدة قليـــلا ما تشـــكرون » وقال فى ســـورة فاطر الآية ٢٧ ، « ألم تر أن الله أنزل من الســـماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفـــــا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك انمـــا يخشى اللــــه من عبـــاده العلمـــاء • ان اللـــه عزيز غفور » الماء من الســـماء ، وعالم النبات والثمرات المختلفـــة

الالوان وعالم الجبال المختلفة الالوان ، والخلائق من الناس ، والدواب من الخيل والبغال والحمير والانعام من الابل والبقر والغنم ، واختلاف الالوان فى هذه العوالم من الحيوانات والناس ، كاختلاف الالوان فيما سبقها من عوالم الثمرات والجبال كل ذلك فى لوحة واحدة . من الظواهر الكونية فى معرض القرآن الكريم ويعاود القرآن الكريم عرض لوحات أخرى قريبة من ذلك للاتيان بالانسان فى معرض غيره من الكائنات فيقول تعالى فى سورة الحج (الآية ١٨) **« ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس »** .

وفى سورة الجاثية (الآية ٣ ، ٤ ، ٥) : **« ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا بة الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون »** . وفى سورة النحل **« خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون ، خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين »** . وفى سورة الشمس الآيات ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ **« والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها، والليل اذا يغشاها ، والسماء وما بناها ، والارض وما طحاها ، ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها »** . وفى سورة **فصلت** (الآية ٥٣) : **« سنريهم آياتنا فى الآفاق ، وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد »** .

لقد ربط القرآن فى اعجاز فائق برباطات وثيقة بين الانسان وسائر الكائنات التى هو واحد منها ، وسيد لها ، يحيا بها ويعيش فيها ويمشيها ويلامسها ويراها رأى عين مندمجا فيها متفاعلا معها ، وذلك أوفق شىء بتربية الله له ومن أظهر مظاهر لطفه تعالى بالانسان وتيسيره عليه ، وتقريبه من متطلبات حياته . حيث لم يكلفه

شططا ولم يبعد به عن المحيط الذى هو فيه والكون الذى هو منه ويحتويه فمن تحت قدميه وفوق رأسه وحواليه ومتناول يديه ، مابه يحيا ويسعد ، ويرى فى مرآته الخالق الاوحد ، فالكون بما فيه محراب كبير . تأملات الانسان فيه وتطلعاته وتفاعلاته معه : عبادة وصلوات ، وقربات الى الله ، وتحقيق للغاية التى أبرز الله من أجلها الكائنات من العدم الى الوجود ليجعل سيدها الانسان خليفة عنه فيها أثر يدل على المؤثر ، وصنعة تدل على الصانع . ليل داج ، ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج ، ان فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا .

ان آيات ربنا ثاقبات
لا يمارى فيهن الا الكفور
خلق الليل والنهار فكل
مستبين حسابه مقدور
ثم يجلو النهار رب رحيم
بمهاة(١) شعاعها منشور

وفى ضرورة التأمل فيما حوالينا من الكائنات والحث عليه والتثريب على من أعرض عنه ورفع درجة من يمارسه يقول القرآن : **« وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون »** سورة يوسف ١٠٥ ويقول أيضا **« ان فى خلق السموات والارض ، واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب الذى يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار »** سورة آل عمران (الآية ١٩٠) : يقول : **« انظروا ماذا فى السموات والارض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون »** سورة يونس الآية ١٠١، والآيات القرآنية المنطوية على أمثال هذه المعانى والناطقة بها كثيرة الذكر والورود فى كتاب الله تحث على التفكر والتدبر وفى هذا المقام يروون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رفع درجة التفكر والتدبر على كثير من العبادات فقال : **« تفكر**

---

(١) المهاة : هى الشمس .

ساعة خير من عبادة ستين سنة ».

ان التأمل والتفكير والنظر والتقدير كرامة كرم الله بها الانسان ، وضريبة فرضها الله على ما خصه به من العقل والتمييز . وهى مفرزة انسانية ومقتضى نظرته ونوعيته وطبيعته وهى الامانة التى عرضت على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان . فاذا ما كان الانسان فى حياته متفاعلا بحسه وروحه مع هذه الموجودات بما فيها هو نفسه . فقد عرف قيمة نفسه. واذا كان قصارى أمره أن يعيش مع هذه الكائنات كواحد منها فقد حق عليه قول الله سبحانه فى سورة الاعراف (الآية ١٧٩) :

« ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون»

ان القرآن يعرض اللوحة من الكائنات والمخلوقات يذيلها فى نهاية حديثة عنها بالامر الصريح بالنظر والتدبر منوها بما فيها من الدلائل التى بواسطتها يحصل الايمان فى قلوب المتوجهين اليه فالسماء وما ينزل منها من ماء والنبات ولونه الاخضر والحب المتراكب بعضه فوق بعض والنخل وطلعها وعراجينها المتدلية والحدائق من الاعناب والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يختم ذلك كله بقول الآية الكريمة فى ختامها : « **أنظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون** » وفى ذلك فائدة النظر اليه أحق بالذكر والتنويه من فائدة الاكل منه فان بالاول غذاء الروح والنفس وبالثانى غذاء البطن واللحم والشحم والشاعر يقول :

أقبل على النفس واستكمل فضائلها
فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

« وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه أنظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون » (الانعام آية ٩٩) .

دكتور عبد الغنى الراجحى

النحو .. دراسة قرآنية

للدكتور / السيد رزق الطويل

من الحقائق التى يسجلها تاريخ الحضارة الاسلامية أن العلوم التى نشأت منذ مشرق الاسلام لسانية كانت أو دينية كان القـرآن الكريم محورها ومدارها ، اذ كانت الأولى بدافع من الغـيرة عليه ، وصيانته ، وتيسير فهمه وادراك جوانب البيان فيه ، حتى تستمر آيته قائمة ما بقيت الدنيا ، كما كانت الثانية مستبطة منه ، شارخة له ، حتى تكون الأحكام التشريعية فيه دانية القطوف عند التطبيق •

ومما تميز به القرآن الكريم لسانه العربى ، لأن هذا اللســـان قد أتيح له من خصائص التعبير والفصاحة والبيان التى استمدها من بيئته الأولى وبداوته الخالصة ما لم يتح ذلك للسان آخر من ألســنة البشر الذين يسكنون أرجاء المعمورة • يقول تعالى : (انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) يوسف / ٢ وقال تعالى : (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين) الشعراء من ١٩٣ — ١٩٥ وقال تعالى : (فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنـذر به قوما لدا) مريم / ٩٧ • فاذا كانت هذه الآيا تتؤكد ميزه اللســـان العربى التى أهلته لأن يكون وعاء كريما ووافيا للقـرآن الكـريم فان القرآن قد منح هذا اللسان مزيدا من القوة والخصوبة والحيوية كما ضمن له البقاء والخلود وحرص القرآن على التعبير باللسان أقوى من التعبير باللغة ، وأدل على المراد منها •

ولأجل هذا عندما انتشرت الفتوح الاسلامية ، واختلطت ألسنة العجم بلسان العرب وبدأ اللحن يظهر فى محيط الفصحاء فزع الغير على القرآن من أن يصل أمر اللحن بالعرب المسلمين الى حال يصعب عليهم معه فهم الكتاب العزيز الذى يسره الله لهم بلسانهم المبين لاسيما وأنه قد وصل الى مسامعهم قول النبى صلى الله عليه وسلم لرجل لحن أمامه :أرشدوا أخاكم فقد ضل ·· (١)

وتقدمت الفتوح ، وتكاثر اللحن ، وأهل العلم والسلطان جميعا يتابعون ما يحدث بقلق بالغ حتى انهم أرخوا لكل شىء يتصل باللحن ، وفكروا بكل ما أوتوا من جهد عقلى وعلمى فى التماس الوسائل التى تعصم اللسان من الخطأ فى القرآن •

ومن مظاهر اهتمامهم أنهم قالوا : أول لحن ظهر بالبادية هذه عصاتى ·· وصوابها عصاى ، وأول لحن ظهر بالحاضرة كان بالعراق وهو قول مؤذنهم حى على الصلاه بالكسر ، والصواب الفتح ، بل وصل بهم الأمر الى أنهم حصروا من لم يلحنوا • قال الأصمعى : أربعة لم يلحنوا فى جد ولا هزل : الشعبى وعبد الملك بن مروان ، والحجاج بن يوسف وابن القرية ، والحجاج أفصحهم •

ثم كان وضع القواعد الأولى للنحو فى عهد عمر بن الخطاب ، أو فى عهد على بن أبى طالب على يد أبى الأسود الدؤلى واليه على الكوفة ، كما ذكرت ذلك الروايات المختلفة التى رواها الأنبارى فى كتابه نزهة الألبا •

وكان هناك عامل آخر فى ظهور الدراسة النحوية ونضجها واكتمالها يتمثل فى هذه الكثرة من المسلمين غير العرب ، ولابد لهم من فهم القرآن والوعى به ، ولا سبيل لهم الى ذلك الا باتقان لسانه فأسهموا فى عملية التعقيد النحوى خدمة للسان

---

(١) هذا الحديث الشريف نسب للشعبى فى معجم الأدباء جـ ١ ص ٨٢ وجاء فى الخصائص جـ ١ ص ٤٠٨ باب ترك الأخذ من أهل المدر .

القرآن الذى أصـــبح لســـانا للمسلمين فى كل مكان •

وظاهرة اشتغال الموالى بالنحو كانت لافتة للنظر • قــال المبرد : مر الشـــعبى بقوم من المـــوالى يتذاكرون النحو فقال لئن اصلحتموه افكم أول من أفسده) (١) •

وسر هذا حاجتهم اليه من أجل المعرفة بالكتاب الحكيم الذى آمنوا به وبالرسول الذى أنزل عليـــه بل ان مشاهير النحويين الذين خدموا هذه الدراسة كانوا من المـــوالى ، فعبد الله بن أبى اسحاق الحضرمى كان مولى لآل الحضرمى ، وعيسى ابن عمر الثقفى كان مولى خالد بن الوليد والأخفش الأكبر كان مولى قيس بن ثعلبة ، ويونس بن حبيب الضبى كان لبنى ضيه وسيـــبويد امام النحـــو وصـــاحب الكتـــاب فارس الأصل ، والأخفش الأوسط وهو أشهر الثلاثة ، وهو المراد عند الاطلاق وهو أبو الحسن سعيد بن مسعدة كان مولى بنى مجاشع بن دارم بطن من تميم ، والجـــرمى صالح بن اسحاق كان مولى لبنى جرم من قبائل اليمن ، والمـــازنى أبو عثمان كان مولى بنى شدوس والرياش كان مـــولى محمـــد بن سليمان الهاشمى ، وكان الرؤاس مولى لمحمد بن كعب القرطى ، وكان الكســـائى مولى لبنى أســـد ، وكان ثعلب مولى لبنى شيبان (٢)•

ومن الطريف أن اشتغال هؤلاء الموالى بهذه الدراسة كان سلاحا ذا حدين ؟ اذ نهض بها من ناحية ، وكساها ثيابا من العجمة من ناحية آخرى • مثال ذلك : ثعلب الكوفى برغم تعمقه فى الدراسة النحوية ، وشططه فى فلســفتها كان يقــول لتلاميذه : أقعدوا بفتح الهمـــزة بمعنى أنه لم يكن يلتزم الفصيحة فى لسانه بل انه كان اذا كتب كتابا لبعض اخـــوانه من أصـــحاب السلطان لا يخرج فيـــه عن طبع العـــامه (٣) •

---

١ ــ رغبة الآمل من كتاب الكامل جـ ٤ ص ١٩٣ •
٢ ــ راجع نزهة الألبا ، ووفيات الأعيان فى ترجمة هؤلاء الأعلام •
٣ ــ العربية : يوهان فك ص ١٤٠ ، ١٤١ •

لكن هـــذا كله لا يمنعنا من ذكر قضيه نؤكدها هى أن الباعث لهؤلاء هو صيانة القرآن ، وتقويم اللسان الاعجمى ليتسنى له فهمه ، وترشيد اللسان العربى الذى ضلله اللحن. وبهذا كان النحو دراسة قرآنية •

وشىء آخر يعزز هذه القضـــية وهى أن النحو نشأ فى ظلال القرآن ومن أجله •

يقول ابن هشام عن ســـيبويه امام النحاة وقد بدأ حياته دارسا للحديث النبوى : جاء سيبويه الى حماد بن سلمة لكتابة الحـــديث ، فاستملى منه قوله صلى الله عليـــه وسلم : ليس من أصحابى أحد الا ولو شئت لأخـــذت عليه ليس أبا الدرداء فقال سيبويه : ليس أبو الدرداء فصـــاح به حمـــاد لحنت يا سيبويه انما هذا اســـتثناء فقال ســـيبويه : واللـــه لأطلبن علمـــا لا يلحننى معه أحـــد ، ثم مضى ، ولزم الخليل وغـــيره (١) فأجـــاد النحو وصـــار اماما فيـــه ، وذلك مهما أجـــاد ما أجـــاد من علـــوم ومعارف •

واذا نظـــر بعض الأوائل الى الدراسة النحـــوية على أنها بعيدة عن الدين ، وليس لها فضل العلوم الاسلامية كالتفســـير والحديث والفقه فذلك فى تقديرى فهم غـــير سديد ، لأن النحو من علوم الآلات والوسائل التى لا تصلح غاياتهـــا الا بها فمن يعرفها تخضع لها كل معرفة ، ومن لا علم له بها يصعب عليه كل دراسة •

قال أبو بكر بن مجاهد كنت عند أبى العباس ثعلب فقال : يا أبا بكر، اشتغل أهل القرآن بالقرآن ففازوا، واشتغل أصحاب الحديث بالحديث ففازوا ، واشتغل أهل الفقه بالفقه ففازوا واشتغلت أنا بزيد وعمرو ، فليت شعرى ماذا يكون حـــالى فى الآخرة ؟! فانصرفت من عنده تلك الليلة فرأيت النبى عليه الصـــلاة والسلام فى المنام ، فقـــال أقرىء أبا العباس عنى السلام ، وقل له : لأنه مع اللحن تسقط منزلة الانسان أنت صاحب العلم المستطيل (٢) •

---

١ ـــ معنى ببيب ـــ ببس .
٢ ـــ نزهة الألبا ص ٢٣١ ترجمة ثعلب .

وسواء أكانت هـذه الـرواية صحيحة أم من وضع نحوى يريد أن يؤكد فضل دراسته فانها تشير الى قضية لاخـلاف عليها هى ان أعلام النحاة كان لا يزايل نفوسهم المهدف الأسمى وهو المحافظة على القرآن الكريم ، ولو أن الباحثين فى علوم القرآن الكريم اتبعـوا منهجا سديدا ووافيا فى دراستهم ما قصروا علوم القرآن على أسباب النزول والناسخ والمنسوخ ، ورسم المصحف ونحو هذا ولعدوا علوم النحو والبلاغة فى مقـدمة علـوم القـرآن •

ان القرآن الكريم كان جمـاع العلوم وجامعتها • وهـو المنهـل العذب الذى استمد منه العرب كل معرفة صحيحة فى ظلال حضـارة الاسلام الوارفه •
كبـار النحـاة والدراسـة الاسلامية •

ان نظرة متأنية لمشاهير النحاة تجدهم فى ظلال دراساتهم فى النحو كانوا مبرزين فى التفسير والحديث والفقه والعقيدة والقراءات •

فالزمخشرى وهو من أسـاطين النحاة كان مفسرا ذائع الصيت ، مجادلا عمـلاقا فى فكر المعتزلة فى العقيدة •

وأبو حيان من نحـاة الأندلس كان مفسرا عظيما وتفسيره البحر المحيط يشهد له بتلك •
والسهيلى من نحاة الأندلس كان عالما بالفرائض ، ومن شراح السيرة النبوية •

ومن قبـل هؤلاء جميعـا نرى الكسائى امام المدرسة الكوفية من أئمة القراء •
بل ان نحاة المدرسـة الكوفيـة اتخذوا لهم منهجا فى النحو خالفوا به مدرسة البصرة يقوم على أساس التعقيد لكل سـماع صـحيح عن العرب ، وذلك من أجل توجيـه القراءات •

والأنبارى صاحب الأنصاف كان أديبا ، ومفسرا وفقيها •
وكل علم من أعـلام الثقـافة الاسلامية شهد له تاريخ الحضارة كان له ضلع قوى فى النحو ونظرات ثاقبة فيه •

ومما اتفق عليه العلماء أن من شرط المفسر للقرآن أن يكون مجيدا للنحو ، والمجتهد فى الفقه لمن يتأتى له ذلك : لا بالتعمق فى النحو ، والدراسة الأصولية دراسة نحوية .

وكتب التراث التى وصلت الى أيدينا عندما نلقى النظر عليها نجد الفكر النحوى يغالبها وقد يغلبها .

فأى كتاب من كتب التفسير خلا من قضايا النحو والاعراب ؟

وهناك عشرات من الكتب ألفت فى اعراب القرآن .

والفراء النحوى الكوفى المبرز ألف كتابه المشهور معانى القرآن . كما ألف الزجاج معانى القرآن واعرابه ، وكلاهما من الكتب التى طبعت وحققت ، وتتداولها الأيدى فى عصرنا الحاضر القرآن مصدر الدراسة النحوية .

لقد كان القرآن الكريم هو المصدر الأول والأوثق للدراسة النحوية،فمنه أخذ النحاةشواهدهم التى أقاموا عليها قواعدهم .

ففى كتاب سيبويه من الشواهد القرآنية أكثر من ثلاثمائة آية . يقول المازنى وقد عرض عليه أحد الذميين مبلغا كبيرا من المال ليعلمه كتاب سيبويه فاعتذر ، وقال فى سبب اعتذاره : ان هذا الكتاب يشتمل على ثلاثمائه وكذا آية من كتاب الله عز وجل ، ولست أرى ان أمكن منها ذميا .

وسار النحاة على هذا الدرب وهو التماس الشواهد من القرآن الكريم ولو أنهم عمقوا هذا الاتجاه لكانت دراستهم أكثر خصوبة ويسرا وأرقى فهما .

وممن أكثروا من شواهد القرآن فكانوا مبرزين فى النحو ابن هشام الأنصارى سئل هلا فسرت القرآن أو أعربته قال أغنانى المغنى اذ أن الشواهد القرآنية فيه بلغت نحو أربعة آلاف آية بما يقرب من ثلثى القرآن تقريبا ويقول : انى وضعت الكتاب ويقصد كتابه مغنى اللبيب ــ لافادة متعاطى التفسير والعربية جميعا (١) .

ومما يؤخذ على بعض النحاة

---

١ ــ مغنى اللبيب آخر الباب الخامس .

بهذا الصدد وبخاصة نحاة البصرة أو بعضهم أنهم كانوا يتوقفون أمام بعض قراءات القرآن السبعية بينما يقولون على بيت من الشعر قد يكون مجهول القائل •

فتوقفوا أمام قراءة حمزة لقوله تعالى : **(واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام)** (١) • بكسر الميم وذلك لأن فى رأى البصريين لايصح العطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار •

وتوقفوا أمام قراءة ابن عامر لقوله تعالى : **(قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون)** (٢) • ببناء يجزى للمجهول وذلك لأن من قواعدهم أن غير المفعول لا ينوب عن الفاعل مع وجود المفعول به • ويركبون متن التأويل فى هذه الآية ويعدون نائب الفاعل ضميرا مستترا عائدا على الغفران المفهوم من الآية •

وأما الكوفيون ــ وكانوا قراء قرآن ونشطت فى بيئهم القراءات ــ يقبلون القراءتين بل ويقيمون لأجلهما قاعدتين مخالفين بذلك مدرسة البصرة ، فيجيزون العطف على المجرور من غير اعادة الجار كما يجيزون أن ينوب غير المفعول عن الفاعل مع وجود المفعول به •

ماذا لو اكتفينا بالقرآن الكريم وقراءاته ؟

وفى ختام هذه الدراسة التى أكدت فيها أن النحو ربيب الدراسة القرآنية نشأ فى مهدها ، وكان صباه فى رحابها ، وشبابه غير بعيد عنها أريد أن أطرح هذه القضية : ماذا لو اكتفينا فى الاستشهاد بالقرآن الكريم ، وأقررنا من القواعد ما سار عليه الكتاب العزيز بقراءاته المتواترة ، وعضضنا الطرف عن القواعد التى عف القرآن الكريم عن استخدامها ؟ الا يكون فى ذلك دنو من الفصيحة، ونأى عن العجمة ، واعفاء للدراسة

---

١ ــ سورة النساء / ١ •
٢ ــ سورة الجاثية / ١٣ •

النحوية من أثقال الفلسفة والمنطق، ومتاهات العلل الثوانى والثوالث والضرب فى بيداء فلسفة العامل ؟

ان القرآن الكريم نزل بلسان عربى مبين ، معنى هذا أن القواعد التى لها صدى وشاهد فى القرآن تمثل الأسس الصادقة والخصائص الصحيحة للسان الأمة العربية •

لقد اتجه الباحثون أخيرا الى ربط الدراسة النحوية بالقرآن وهو اتجاه حميد ، لكنه فى التطبيق المنهجى غير سديد • فقد كتبوا فى أسلوب النفى فى القرآن ، وأسلوب القسم فى القرآن ، والتوكيد فى القرآن الخ •• وكان عملهم مجرد احصاء يغنى عنه تماما الحاسب الآلى ، وبالاضافة الى ترديد القواعد التى ذكرها النحاة • وكان المنتظر لو كان المنهج سديدا ، ومحققا للغاية الكبيرة التى نرجوها من ربط الدراسة النحوية بالقرآن أن يتبع الباحث احصاءاته بتصورات كاملة للقواعد النحوية التى أقامها على القرآن الكريم وحده • لكنهم لم يفعلوا •

ولا يزال الأمل قائما فى عودة الدراسة النحوية الى القرآن الكريم لتثرى وليسلس قيادها ، وتدنو للشادين تطوفها كما تتجنب السهام التى تنوشها وترمى نحو العربية بالصعوبة والجمود •

على أننى أؤكد أن دراسة قامت لخدمة الكتاب العزيز لن تدوى ولن تموت •

دكتور / السيد رزق الطويل

القيمة الحقيقية لكتاب
مقدمة فى فقه اللغة العربية

ألف الدكتور « لويس عوض » كتابا أسماه « مقدمة فى فقه اللغة العربية » أصدرته الهيئة المصرية العامة للكتـــاب ، ويقـــع فى ٦٥٢ صفحة من القطع الكبير .

وكنا نعتقـــد أن الدكتور لويس سيلتزم فى هذا الكتاب المتخصص منهج البحث العلمى المحايد الذى يعنى بالوصول الى الحقيقة ويؤمن بهـــا ، الا أنـــه التـــزم منهـــج المستشرقين الذى يلبس فى الظاهر صورة العلم ولكن جوهره بعيد عن البحث عن الحق .

فهـــو يؤمن بفكـــرة مســـبقة ويتلمس لهـــا بعـــد ذلك من كتب التراث وأقوال السلف ومذاهبهم مقتطفات ونتفا منقوصة ليضـــم بعضها الى بعض ويلوى الجميـــع ليتخذ منها فى النهـــاية ما يظنـــه دليلا على دعواه وفكرته المسبقة .

وفى هذا الكتاب يقدم عقيـــدة قـــدم الكلام الالهى ويتخـــذ من مشكلة خلق القرآن معبرا لتشويه العقيدة الاســـــلامية والطعن فى اللغة العربية ، ولو أنه سمى هـــذا « الكتاب » مقدمة فى هدم الاسلام واللغة العربية لكان صادقا .

ولقـــد أثار هذا الكتاب العلماء والباحثين ودفعهم الى التقـــويم

الصحيح لما جاء فيه ووضـــعه فى مكانه المناسب وكشـــف المغالطات والاخطاء التى احتـــواها هـــذا الكتاب ٠

وفى هذه الصفحات نختار مما وصـــلنا مقالين : ، المقـــال الاول للاستاذ أنور الجنـــدى البـــاحث الاسلامى المعروف ٠

المقال الثانى : للاستاذ الدكتور عبد الغفار هلال رئيس قسم فقه اللغة بجامعة الأزهر ٠

والكاتبـــان كمـــا يبـــدو مـــن المتخصصين فى هذه الدراسة الذين تعمقـــوا فى فهم النصـــوص التى أوردهـــا المعتزلة وأهـــل الســـنة وغيرهم ممن استشهد بهم الدكتور لويس وهم بهذا يكشفون الى أى حد أخطأ الدكتور لويس فى فهـــم النصوص أو توجيهها والاستدلال بهـــا ٠

وبذلك لا تبقى لهـــذا الكتـــاب « مقدمة فى فقه اللغة العربية »أى قيمة علمية ٠

المؤامرة على الفصحى لغة القرآن

للأستاذ / أنور الجندى

ماتزال المؤامرة على الفصحى لغة القرآن مستمرة منذ قدم النفوذ الاجنبى الى العالم الاسلامى وحاول السيطرة عليه ومنذ ذلك الوقت ماتزال المعاول تضرب فى جدار اللغة العربية بهدف ادخال اللغة العربية الى المتاحف كما دخلت اللغات اليونانية والسريانية والفرعونية وعشرات من اللغات ، ولكن هيهات فان اللغة العربية الفصحى خالدة باقية لانها تحمل على جناحيها آيات القرآن الكريم التى لا تزول .

هذه المؤامرة تلبس فى بعض حلقاتها ومراحلها ثوب البحث العلمى وتحاول ان تعتمد على بعض النصوص (١) التى وردت فى كتابات الباحثين المسلمين فى فترة من الفترات التى غلبت فيها الفلسفة اليونانية وتأثر بها بعض العلماء أو بعض الشعراء على النحو الذى نراه فى كتابات المعتزلة عن قصة خلق القرآن على النحو الذى كتبه القاضى عبد الجبار أو من تأثر بالمفاهيم اليونانية الفلسفية من الشعراء امثال أبى العلاء المعرى ، ثم يجىء اليوم بعض الباحثين

---

(١) حتى هذه النصوص لم يستطع الدكتور لويس ان يفهمها كما اراد اصحابها او فهمها ووجهها توجها يتناسب مع مقصوده فى الطعن على القصيدة واللغة . « انظر المقال التالى للدكتور عبد الغفار هلال » .

(التحرير)

ليستخدم هذه النصوص فى الغض من شـأن اللغة العربية أو الادعاء عليها بدعاوى مختلقة يراد بهـا انقاصها وانقاص شرفها فى حمل ايات القرآن الى العالمين •

ونحن نعرف أن قضية الفلسفة اليونانية وترجمتها الى اللغة العربية وتأثيراتها ليست قضية مستقلة ، وانما هى موجة من موجات هذا الفكر قد واجهها العلماء المسلمون بالرد الواضح الذى زيف هذه الاثار التى لبستها بعض أقلام الفلاسفة أو الكتاب أو الشعراء •

وقد كان واضحا وضوحا لا شك فيه أن علوم فقه اللغة والنحو والتاريخ قد نشأت وترعرعت وتكامل مفهومها الاسلامى قبل ترجمة الآثار اليونانية وهى علوم عربية أصيلة، لم تتأثر بالفكر اليونانى وانما الذى تأثر هو علم الكلام والبلاغة وهى تأثرات لم تستمر كثيرا فان المحاولات التى حاول بعض الباحثين التأثير بها على المضامين العربية قد لفظتها اللغة والآداب العربية كما يلفظ الجسم القوى الجسم الغريب ، ولذلك فانه سرعان ما ارتفعت صيحة الاصالة التى حررت الفكر الاسلامى كله من هذه التأثيرات وبرز مفهوم السنة الجامعة الذى استصفى وصهر فى أعماقه كل ايجابيات فرق المعتزلة والشيعة والخوارج ، ولم تبق هذه الكتابات الا بمثابة وثائق تاريخية ولكن التغريب والاستشراق يحاول أن يعيد هذه القضايا الجزئية خارجة عن اطارها فى المعركة العامة بين الفلسفات اليونانية وبين أصالة الاسلام التى ردت كل ما يتعارض مع التوحيد الخالص ، وقضية خلق القرآن ، هى احدى القضايا التى جرت حولها أبحاث كثيرة وانتهى الرأى فيها الى مفهوم أهل السنة وهى أن القرآن كلام الله غير مخلوق•

وان كتابات أمثال القاضى عبد الجبار فى هذا المعنى ليست

الا جزءا من هذه القضـــية التى انتهت والتى كانت تمثـــل تــلك المحــاولات التى حاولها قــدامة ابن جعفر فى البلاغة أو الفارابى وابن سينا فى الفلسفة أو ابنعربى والحلاج والسهروردى فىالتصوف ووحــدة الوجود ، كل هــذا رده الفكر الاسلامى الاصــيل وكشف زيفه وتأثره بالفلسفات اليونانية وقد تعالت هــذه الصــيحة الى تحرير الفكر الاســلامى من آثار الاغريق والمجوســية وغيرها فى عشرات من الدراسات والابحاث التى قطعت معها جهيزة قــول كل شعوبى فى القديم والحديث .

تاريخ متصل فى الطعن على اللغة:

ومن هنا فان هذه المحاولة التى يقدمها الدكتــور لويس عوض فى كتابه : (مقــدمة فى فقــه اللغة العربية) ليست الا حلقة جــديدة من حلقات حربه المتصــلة للغــة العربية الفصحى التى بدأها منــذ ظهور ديوانه (بلوتولاند) الذى طبعه عام ١٩٤٧ وأعلن فيه الحرب على الفصحى وما يتصل بذلك من دعوتــه الى العامية وكسر عامود الشعر ، وقــد ادعى من قبــل أن استخدام العامية سيؤدى بعــد قرنين الى ترجمــة القــرآن الى العامية ، وقد أراد الدكتور لويس عوض فى كتابه الجــديد الدخول الى هذا الموضوع بأسلوب جديد ومن ذلك دعاوى زائفة منها دعواه العريضة بأن العــرب لم يكونوا الا قوما من القوقاز هاجروا الى الجزيرة العربية وقد ادعى هــذه الدعوى المعارضة لطبائع الاشياء ولمختلف صور الهجرات التى ترى أن المهاجرين يخرجون من الارض الجافة الى الارض الخصبة ، وأن الصــحيح الذى ثبت أن الجزيرة العربيــة هى التى كانت منزحــا لهجرات كثيرة منها الى خارجها ، ولكن الدكتور لويس عوض يعارض كل نواميس الكون والحضارة من أجل أن يصــل الى غرض بعيــد المدى هو الادعاء بأن اللغة العربية ليست الا فرعا من فروع الشجرة التى خرجت منها المجموعة الهندية الاوربيــة وأن هنــاك من الادلة ما يشير الى وجــود علاقــة بين

العربية وبين القوطية والجرمانية القديمة •

وبدلا من أن يقال أن اللغة العربية قد دخلت اليها عشرات أو مئات الكلمات من اللغات الاجنبية يجيء الدكتور لويس عوض ليعلن هذا الرأى الخطير الذى لم يقدم له أى دليل علمى أو تاريخى أو حتى مجرد افتراض افترضه باحث قبله فهو يحاول القاء هذه الشبهة على نحو غريب لم يعهده البحث فى العلماء الذين يقدمون بين يدى أبحاثهم بالوثائق والاسانيد ويقول فى جرأة غريبة :

« وقد انتهيت من أبحاثى الى أن اللغة العربية هى احدى فروع الشجرة التى خرجت منها اللغات الهندية الاوربية » ثم يصل بعد أن يعتبر اللغات اليونانية فرعا من هذه الشجرة ، واللغات العامية فرعا آخر ، الى القول : فالامر اذن يتجاوز أن يكون مجرد اقتباس اللغة العربية لمئات الالفاظ أو آلاف الالفاظ من اللغات الهندية الاوربية المحيطة بها كاليونانية واللاتينية والهندية وأكثرها من ألفاظ الحضارة كما كان يظن بعض فقهاء اللغة ، لان اللغة العربية كغيرها من اللغات السامية ليست فى صلبها وسمتها الاصلى الا تطورا طبيعيا من نفس الجذور التى خرجت منها السنسكريتية وايرانية الزند واليونانية واللاتينية والمجموعة التيوتونية وان ما نجده من أسماء الاعداد والحيوانات والنباتات مشتركة فى الجذور يشتبه فى أن هذا التواتر ليس نتيجة للتأثر والتأثير وانما هو نتيجة لوحدة فى الاصول » •

ولا ريب أن هذه النظرية مرفوضة أساسا لانها لا تقوم على أى دليل علمى ولا سند واضح وانها ليست سوى فرضية تحيطها كلمات الاحتمال المغرض الذى يطوى من ورائه غرضا مبيتا وهدفا مقصودا لا يخرج عن الخط الذى سار عليه الدكتور منذ مطالع حياته •

ولقد ترددت محاولات الدكتور

لويس عوض بين امتعاض اللغـــة العربية والغض من قـــدرها أو محاكمتها الى منهج علم اللغــات الغربى الذى وضـــع تحت ضـــوء تطور اللغـــات الاوربيـــة بعــد انفصالها عن اللاتينية وتحولها من لهجات محلية الى لغـــات ، هــذه الظاهرة التى تختلف فيها عن اللغة العربية التى حمـاها القرآن من التحول الى لغة تاريخية كما تطمح أهــواء الاستشراق وكمـا جرت المحاولات المتعددة لاعلاء العاميات العربية للقضاء عليها دون جــدوى ان محاولة اخضاع اللغة العربيـــة لعلم اللغات الاوربى هى محاولة فاسدة ومضللة ، واذا كان الدكتور لويس عوض يحاول أن يغض من شأن العرب واللغة العربية لانهـا من نتاج الالف الاولى قبل الميلاد وقد سبقتها أمم وحضارات كأشور وبابل والبطالســة ويونان ومملكة ســبأ ومعين وفينيقيـا فأين هى الآن هذه كلها من العــرب الذين خلد ملكهم باللغـــة العربيـــة التى اتخـــذها القرآن الكريم أداة لـــه وهى اللغة التى لم يقـــل العـــرب والمسلمون يوما بأنها مقدسة وانما كرمها نزول القرآن بهــا وأعطاها هذه الميزة ،التى تعلو فيها وتختلف عن اللغات التى نزلت بها التوراه (العبرانية) والانجيل (الارامية) وهى لغات انطوت وانتهت بالرغم من محاولة الصهيونية احياء لغـــة جـــديدة عبريـــة تختلف عن لغـــة التوراه .

والدكتور لويس عوض يعـــرف كيف سيطرت اللغة العربية بفضل حملها رسالة القرآن على اللغات المختلفة التى كانت تعيش فى هذه المنطقة كالارامية والقبطية وغيرها وكيف قطـــع القـــرآن الامتـــداد التاريخى فى هذه المنطقة بين ألف سنة من حكم الرومان والفراعنـــة وبين ظهور الاسلام وكيف انتهت وثنية فارس والهند والرومان عن هذه المنطقة العربية هذا الانقطاع التاريخى الـــذى تحـــدث عنـــه المؤرخـــون المنصـــفون غير ذوى الاغراض والاهواء .

والدكتور لويس عوض يعـــرف أن هذه « السامية » المـــدعاة هى زيف من الزيف ، وأنها ليســـت

حقيقة تاريخية ، وانما هى من مبتكرات أحد المتزلفين الى اليهود حتى تنسب اليها أمجاد التاريخ العربى القديم وسلبه من أصحابه الحقيقيين وخاصة اسماعيل ابن ابراهيم وأبناءه وأحفاده واضافة ذلك كله الى مصدر غامض ليس له سند علمى ويستمد مصدره الاساسى من التوراة التى كتبها اليهود بأيديهم وليست التوراة الحقيقية المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام وذلك بهدف اشراك اليهود مع العرب فى هذه الامجاد بينما لا يوجد لليهود أى اتصال بانشاء هذه الحضارة •

ذلك أن «الابراهيمية الحنيفية» هى أم هذه الحضارة الحقيقية ولما كان مطمح اليهود هو طمس هذه الحقيقة فقد ابتكر شلوسر هذه الدعوى « السامية » اعتمادا على ما جاء فى التوراة المكتوبة بأقلام الاحبار فى بابل ، بينما لم يرد هذا المصطلح مطلقا فى كتابات العرب والمسلمين على مدى التاريخ وهذا (شلوسر) الذى اتكأ عليه الدكتور لويس عوض فى دعاواه وهو موضع الشبهة نتيجة لهذه الخطة الواضحة الهدف •

وقد برز هذا المعنى فى ظل تقسيم مستحدث ظهر فى أوربا ابان استعلاء نزعة العنصرية الاوربية التى قسمت العالم الى ساميين وآريين لتضع العرب والمسلمين فى قائمة موازية للجنس الآرى غير أن المحاولة التى رمت الى ترويج مصطلح السامية فى دراسات اللغات فى الجامعات انما كان يرمى الى حجب الابراهيمية الحنيفة الام الحقيقية للعرب والعربية وهى محاولة ماكرة خطيرة تهدف الى نسبة أمجاد التاريخ الاسلامى الى اسم قديم لا يعرف التاريخ له مصدرا واضحا أو صحيحا •

والغربيون يعرفون أن التوراة التى فى أيدى الناس اليوم هى توراة مكتوبة بأيدى الاحبار ، وقد تطور الفكر الاستشراقى مرحلة أخرى هى التى يقدمها لنا اليوم الدكتور لويس عوض بدعواه أن اللغة العربية فرع من شجرة واحدة مع اللغات اليونانية •

يقـــول الدكتـــور لويس عوض « القضـــية التى حاولت طرحهـــا واثباتها فى هـــذا الكتـــاب هى أن صلب اللغة العربيـــة ذاته كان من نفس الشجرة التى تفرعت منهـــا المجموعة الهندية الاوربيـــة حتى قبـــل هجرة العـــرب من موطنهم القوقازى الى شبه الجزيرة التى تحمل الآن اســـمهم وبالتالى فان ما نجده من عناصر غـــير هنـــدية أوربية هو الدخيـــل وليس صلب الاصلاب » .

وهـــذه مغالطة واضحة وادعاء باطل لا دليل له ، ترمى الى ماذكره الدكتـــور لويس عوض بعـــد ذلك بقليل وهو الغض من شـــأن مكانة اللغة العربية ، والقول بأنها واحدة من اللغات التى نزلت بهـــا الكتب المقدسة من ناحية وأن ما يقال عن اعجاز القرآن لا يعدو أن يكون فى صرف الله قلوب العرب عن محاولة الاتيان بمثله وهو ما كان يقول به فريق من المعتزلة ومن أجـــل ذلك ركز على كتاب القاضى عبد الجبار وقـــد التقط الدكتور لويس عوض بعض عبارات من كتب فقـــه اللغة (المزهر للســـيوطى ، والالفـــاظ والحروف للفـــارابى الجـــوهرى والخصائص لابن جنى) ليثير بها الشـــبهات حول اعجاز القرآن ، وهـــاجم الدكتـــور لويس عوض ما أسماه تطرف الاحساس بشرف اللغة العربية وعلوها عـــلى غيرها من اللغات بعد نزول القرآن بهـــا الى حد أنهم ينظرون الى وجـــود الالفاظ الاجنبية فى اللغة العربيـــة نظرهم الى شىء بخس ينبغى أن تنزه عنه اللغـــة أو عـــورة ينبغى الاعتذار عنها .

ولا يهدف من هـــذا التقول غير الالحاح بالاشارة الى ازالة مكانة اللغة العربية (بوصفها لغة القرآن) ومحاولة هدم مكانتها بالنقـــل من الكتب بعض النصـــوص المبتورة التى تؤيـــد وجهـــة نظـــره ، أو الاســـتعانة برأى القائلين بخلق القرآن والتشكيك فى قدم اللغـــة العربية أو مكانتها لان هذه مكانة تشترك فيها مع كل اللغـــات التى نزلت بها رسالات الانبياء ، ونحن نعـــرف أن القـــاضى عبد الجبار ومفاهيمه كلهـــا داخلة فى دائـــرة

الفلسفة اليونانية وأنها تقلل من فكرة تقبل الالفاظ المستعارة من اللغات الاخرى ، ولقد كان المسلمون على خطة تختلف بل وتتعارض مع رأى القاضى عبد الجبار فقد كافحوا هذا التدخل وصنعوا الالفاظ العربية لكل المفاهيم التى قدمتها العلوم المترجمة ، وكشفوا عن أن هذه الالفاظ الاعجمية المدعاة فى القرآن (مثل سندس واستبرق وسجيل) هى كلمات عربية الاصل .

بل أن الدكتور لويس عوض يريد أن يعلى من شأن القاضى عبد الجبار على الامام الشافعى صاحب الصيحة الاولى فى رد المسلمين عن الفكر اليونانى المستمد من علم الاصنام ، ويعترض على قول الامام فى أنه يقرر أنه حينما يجد لفظين متشابهين فى اللغة العربية وفى لغة أجنبية ، أن اللغة الاجنبية هى التى أخذت من العربية وليس العكس لان الناقص يأخذ من الكامل ويشكك الدكتور لويس عوض فى رأى الامام الشافعى بأن لسان العرب أوسع الالسنة مذهبا وأكثرها ألفاظا ويقول أن هذا الموقف ينسب الى العرب ولغتهم عراقة ليست لهم دلالتها بين الحضارات القديمة .

وفى ثنايا البحث يدس الدكتور لويس عوض كثير من السموم فهو يعتمد على كتاب (الخوارج والشيعة) ليوليوس فلها وزن فى الوصول الى القول بأن القول بشرف اللغة العربية هو مصدر الخلاف الذى نتجت عنه فرقتا الخوارج والشيعة ، وأن دعاة السيادة العربية هم الذين كانوا حريصين أشد الحرص على اثبات نقاء القرآن من كل كلمة أعجمية ، أما الشعوبيون فقد حرصوا على أن يثبتوا أن القرآن قد داخلته ألفاظ أعجمية عديدة ولا شك أن هذا ادعاء غير صحيح فان نظرية الموالى التى ركز عليها لم تكن على هذا النحو الذى ضخمه المستشرقون ، وأن أبناء الاقطار المفتوحة كانوا أشد اعتزازا بالقرآن وباللغة العربية من أهلها العرب وأن الامور لم تكن على هذا النحو من أنحاء الخلاف بين

الحاكمين العرب فى عهد الدولة الاموية والمحكومين من كافة المسلمين .

علماء لا رجال دين :

كذلك فقد أخطأ الدكتور لويس عوض عندما وصف الحكومة الاسلامية بأنها حكومة(تيوقراطية) على نحو الحكومة الدينية التى عرفتها أوربا ، وهذا النوع لم يعرفه العالم الاسلامى ولا يقره مفهوم الاسلام الصحيح فليس فى الاسلام أساسا رجل دين وانما هناك عالم دين لا يعدو مكانه فى توجيه الحاكم والنصح له .

ويحاول الدكتور لويس عوض أن يقدم نصا من رسالة الغفران للمعرى يسخر فيه من أن اللغة العربية هى لغة الجنة ، وأن آدم كان يتكلمها فى الجنة فلما نزل الى الارض تكلم بالسريانية ، ونحن نعرف أن المعرى كان من ضحايا الفلسفة اليونانية وأنه تردد كثيرا بين هذه المفاهيم الزائفة .

ولا ريب أن فكرة خلق القرآن هذه فكرة دخيلة على الفكر الاسلامى ، وأن هناك من كان يقول بخلق التوراة ، وانها جاءت مع سموم الفكر اليونانى وقد صفت حركة اليقظة الاسلامية هذه المفاهيم جميعا ولقد كان مفهوم أهل السنة والجماعة الذى قال به الامام أحمد بن حنبل أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، ولم يقل بقدم القرآن ، وان المفهوم العقلانى المطلق الذى ذهب اليه المعتزلة لم يكن مفهوم الاسلام الصحيح وهذا ما صححه من بعد ظهور الامام الاشعرى ومن العيب الذى وقع فيه الدكتور لويس عوض ومن قبله الدكتور زكى نجيب محمود ، هو التقاط(شبهات) من خلال معركة طويلة استمرت قرنين كاملين لطرحها من جديد اليوم وبلبلة الافكار بها ولقد كان حقا على الباحثين المنصفين أن يتحدثوا عن هذه القضايا فى اطار عصرها وأن يكشفوا الحقيقة التى انتهت اليها وهى سقوط مذهب الشعوبية كاملا واستصفاء السنة الجامعة لكل ما هو ايجابى من هذه المذاهب والفرق وليعلم

« البقية على صفحة ١٠٤٢ »

اللغة واعجاز القرآن

دكتور / عبد الغفار هلال

لقد بنى الدكتور لويس عوض كتابه « مقدمة فى فقه اللغة » على محاولة اقحام بعض النظريات الغربية على الاسلام من خلال عرض قضايا لغوية قد يظنها القارىء بعيدة عن الدين ولكنها — فى الحقيقة — تحمل فى طواياها ما يريد الدكتور لويس من وصل الاسلام بالمسيحية وأنهما يتفقان **— فى زعمه — على مبدأ التثليث .**

كما يحاول رمى الاسلام بالعنصرية والعصبية من خلال محاولته رمى العرب بأنهم عنصريون متعصبون وأن علماء العربية عربا ومستعربين كانوا — فى زعمه — كذلك عنصريين .

والكتاب يشتمل على كثير من المغالطات وهو يعرض لاية قضية لغوية .

ونحب أن ننبه الى أننا نقوم **فى** هذه البحوث التى ننشرها ببيان وجه الحقيقة الاسلامية البعيدة عن الزيف وان لها طبيعتها التوحيدية الخالصة ثم انها لا تنبنى على عصبية أو همجية ، ونناقش القضايا العلمية **واللغوية** بموضوعية البحث العلمى **البعيد** عن الزيغ والهوى والضلالة .

وهنا نعرض لقضية **واحدة من** قضايا الكتاب المشار اليه **آملين أن** نناقش — بعون الله — **كل فصوله فى بحوث أخرى ننشرها تباعا .**

ولما كانت قضية اعجاز **القرآن** قضية رئيسية **من قضايا البحث** الدينى واللغوى على سواء **فقد** آثرت أن تكون أولى القضايا **التى**

تعرضها ونبرز المغالطات الكثيرة التى وقع فيها الدكتور عند عرضه لها ونبرز خفايا توجيهاته الملتوية فيها .

فنقول وبالله التوفيق :

حاول الدكتور لويس أن يفلسف لآراء علماء العرب فى نشأة اللغة وذهب فى هذه الفلسفة مذاهب غريبة فى الفصل الثانى من كتابه وعنوانه (اللغة ونظرية اللوجوس) (من ص ٥١ ــ ٩٥) وفيه زعم بأن اعجاز القرآن يرتبط بنظرية اللوجوس اليونانية المسيحية القائمة على قداسة الكلمة التى عبر عنها بـ (روح القدس)(١) ودار فى هذا الاطار دورات بعيدة المدى حاول ــ من خلالها ــ أن يطمس معالم الحقيقة الناصعة وأن يصرف الاذهان عما يريد بعرضه لنظرية التعصب الذى وقع فيه العرب الذين حملوا رسالة الاسلام وجعل هذا التعصب يقوم على الطعن فى اللغة العربية من مدخل القول بقدم القرآن .

فقد عرض لمشكلة خلق القرآن نظرية من سماهم غلاة السنة ثم الاشاعرة فى قدم القرآن ووجوده بنصه فى عقل الله واللوح المحفوظ قبل الخليقة وما انبنى عليها من نظريتهم فى أن اللغة العربية التى نزل بها القرآن قديمة قدم الله أو على الأقل قدم الخليقة وأن

فقد عرض ــ كما يرى ــ وآراء المعتزلة واهل السنة فى ذلك وحاول دائما ــ أن يلقى التبعة على أهل السنة الذين قالوا بقدم القرآن وروج لمذهب المعتزلة القائل بخلق القرآن وادعى أن الفريق الأكبر من علماء العربية قال بقدم اللغة العربية رابطا بينها وبين القرآن ، فاذا كان القرآن قديما فاللغة العربية كذلك قديمة ، وادعى كذلك ــ أن معظم علماء العربية ذهب الى هذا الرأى ، أما المعتزلة الذين تحرروا من جعل القرآن قديما فقد ذهبوا الى القول بحداثة اللغة العربية .

١ ــ مقدمة فى فقه اللغة العربية ص ٨٥ ، ٨٦ .

آدم كـان يتـكلم العربيـة فى الجنة (١) .

تلك المناظرة الكبـرى التى شطرت الفكر الاسلامى نحو ثلاثة قرون أى منذ المائة الأولى بعـد موت الرسول (صلى الله عليـه وسـلم) مباشرة الى شـطرين عظيمين : شطر يرى رأى السـنة والأشاعرة وغيرهم بأن الله موجود بذاته وصفاته وبأن الجبر يحـكم الوجود الانسانى وبأن القـرآن قديم قدم الله أو قدم الخليقـة ، ومثل القرآن فى القدم اللغة العربية التى نزل بها وشـطر يرى رأى المعتزلة وغـيرهم أن الله موجود بذاته فقط أما صـفاته فهى غـير مساوية لذاته لأنهـا لو سـاوتها لا متنع التوحيد وانفتح الباب أمام تعـدد الآلهـه من جـديد وبأن الانسان مخـير لا مسـير والا لامتنع العدل ، وبأن القرآن ومعه اللغة العربية التى نزل بهـا محـدث أو مخـلوق وليس قديما (٢) .

واتفق أكثر الفريقين على اعجاز القرآن ــ وان كان الفريق الأول مرجعا له الى المعنى والفريق الثانى اختلف فى وجوه الاعجاز وجعـل الصرفة أحداها ، وهـذا فى رأى الدكتور لويس ــ كان يمثل تيارين الأول متعصب للعرب والعـروبة والسيادة العربية والثانى كان داعيا للسيادة الاسلامية أو المساواة فى الاسلام (٣) .

وفى زعـم الدكتـور لويس أن الغلاة من أصحاب النظرية الأولى ربطوا بين اعجاز القرآن واعجاز اللغة العربية فهما اشرف لغـات الارض وأفصـحها وأنضـجها وأعظمها اسـتعدادا التعبـير عن الوحى ، وقد كان التعبير الفلسفى عن اعجاز القرآن نظـرية قـدم القرآن التى تساوت فى علـم الـكلام بنظـرية قـدم الـكلمة

---

١ ــ مقدمة فى فقه اللغة العربية ص ٥٢ .
٢ ــ المصدر السابق ص ٥٣ وانظر ايضا ص ٦٩ .
٣ ــ المصدر السابق ص ٥٣ ، ٦٤ .

وملازمتها لعقل الله أو انبثاقها منه قبل الخليقة ، وبالتبعية ظهرت نظرية قدم اللغة العربية كلها حتى قال البعض ان آدم كان يتكلم العربية فى الجنة وهى النظرية التى سخر منها المعرى فى رسالة الغفران (١) .

وأما المعتزلة فرأيهم أن كلام الله (القرآن الموحى) محدث وليس قديما ، فكلام الناس (اللغات) من باب أولى تكون محدثة وليست قديمة بما فى ذلك اللغة العربية ، وهذه من النظريات الهامة التى وضعها فقهاء المعتزلة فى تاريخ اللغة العربية (٢) .

*** أخطاء ومغالطات فى تصوير عقيدة المسلمين فى خلق القرآن**

وقد وقع الدكتور لويس فى مغالطات كثيرة أهمها ، أنه وصل قضية القول بقدم القرآن بنظرية اللوجوس التى تقول بقدم الكلمة ، ففى نظره أن فقهاء الاسلام اجتهدوا أن يضعوا نظرية الوحى فى الاسلام على غرار نظرية اللوجوس Logos فى اليونانية المسيحية وهى كلمة الله المرادفة لعقل الله أو للروح القدس أو نظرية الفيربوم Verbum أو الخلق الأول بكلمة (كن فيكون) فكان الكون وهى فى نهاية الأمر صورة من صور اللوجوس المرادف لعبارة (روح الله وكلمته) (٣) .

ولعلى لا أكون مجاوزا للصواب اذا قلت : ان القائلين بقدم القرآن — أهل السنة والاشاعرة — لم يكونوا يقصدون ذلك الذى ادعاه الدكتور لويس فقد خصوا كلام الله القديم بالكلام النفسى ، فالمعنى النفسى فى القرآن قديم واللفظ المعبر به عنه حادث ، وهم يقصدون — فى الحقيقة — تنزيه الذات الآلهية عن الحدوث لاعن أنيكون هناك اله ثان كما يفهم من بعض من ذكر ذلك ،وكما يقول الفيلسوف

---

١ — د . لويس : ص ٦٤ .
٢ — المصدر السابق ص ٨٨ .
٣ — المصدر السابق ص ٨٥ ، ٨٦ .

ابن رشد : ان الاشعرية خافوا أن تكون ذات الله محلا للحــــوادث فقالوا : ان المتكلم هو الذى يقوم الكلام بذاته وأن الكلام ــ بالنسبة لله سبحانه ــ صفة قديمة كالعلم وهذا يصـــــدق على كلام النفس لا اللفظ (١) .

فالكلام ــ عند أهل الســنة ــ صفة أزلية قديمة قائمة بذاته تعالى ليست بحرف ولا صـــوت منزهة عن التقــدم والتأخــر والاعراب والبناء ومنزهة عن السكوت النفسى بأن لا يدبر فى نفســه الكلام مع القدرة عليه (٢) .

وعلى هذا فهم يقصدون بقولهم: « ان القرآن قديم » المعنى النفسى أما اللفظ من الحروف والكلمــات فلا جـــــدال فى أنهم يعتقــدون حدوثها . ويقول صاحب الجوهرة فى ذلك .

ونزه القـــرآن أى كلامه
عن الحدوث واحذر انتقامه

قال الشارح : مذهب أهل السنة أن القــرآن بمعنى الكلام النفسى ليس بمخلوق وأما القــرآن بمعنى اللفظ الذى نقرؤه فهو مخلوق لكن لا يقـــال ذلك الا فى مقام التعليم لأنه ربما أوهم أن القــرآن بمعنى كلامه تعالى مخلوق ، ولذا امتنعت الأئمة عن القول بخلــق القرآن ، فربما يتوهم من اطلاقه أن القرآن حادث أن الصـــــفة القائمة بذاته تعالى حادثة (٣) .

فالمعتزلة قالوا : ان الكــلام هو ما فعله المتكلم ــ ويقصــد منــه حيــنئذ ــ اللفظ فقط ولهــذا قال هؤلاء ان القرآن مخلوق باعتبـــار حروفه وكلماته الملفوظة ، أما المعنى النفسى فهو فى نظرهم ــ ايضا ــ كأهل الســنة ــ صــفة قديمة له تعالى .

فالخلاف بين القائلين بقـــــدم القرآن أو خلقه خــلاف لفظى لان كل فريق منهم ينظر الى ناحيـــــة

---

١ ــ مناهج الادلة فى عقائد الملة لابن رشد ص ١٦٤ .
٢ ــ شرح البيجورى على الجوهرة ص ٨٤ .
٣ ــ شرح البيجورى على الجوهرة ص ٦٤ وما بعدها .

واحدة (١) فأهل السـنة والمعتزلة متفقون على أن كلام الله النفسى قديم ، وأما حـروف القـرآن وكلماته المنطوقة فهى حادثة •

واذا فان القائلين بقدم القرآن لم يكونوا يقصـدون الازدواجية التى تؤدى الى وجـود قديمين متداخلين على حد نظرية اللوجوس التى توهم الدكتور لويس وصـلها بقدم القرآن وانما يراد من القول بقدم القرآن تنزيه الله سـبحانه وتعالى عن أن يلتصـق به شىء محدث وبهذا يبعد مذهب الاشاعرة السنية عما ذهب اليه الدكتور •

*** أهل السنة لم يقولوا بالجبر كما يزعم الكاتب**

وقد ارتكب الدكتـور لويس فى سبيل عرض هذه الفكرة خطأ علميا حين وصف أهل السـنة بالقول بالجبر ، واسـتنبط ذلك من عدم حكمهم على مرتكبى الكبائر بالكفر واسـتمرار وصـفهم بالايمان لمرتكبيها •

ونقول للدكتـور انه لم يفهم عقائد السـنة فى ذلك وأن عليه أن يرجع الى مصادر أهل السنة التى تقول : ان أهل السنة يجعلون للعبد كسبا كما يقول صاحب الجوهرة :

وعندنا للعبد كسب كلفا (٢)

وهذا اسـتنادا الى الآيات القرآنية الكثيرة التى تجعل للعبـد كسبا يجازى عليه :

قال تعالى : « **أولئك لهم نصيب مما كسبوا** » (٣) ـ « **لها ما كسبت وعليهـا ما اكتسـبت** » (٤) ـ « **للرجال نصيب مما اكتسـبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** » (٥) ـ « **ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه** » (٦) ـ « **يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون** » (٧)

---

١ ـ من كلام الدكتور محمود قاسم فى شرح رأى ابن رشد ص ٧١ •
٢ ـ شرح البيجورى ص ٩٤ ـ ٩٦ •
٣ ـ البقرة الآية ٢٠٢ •
٤ ـ البقرة الآية ٢٨٦ •
٥ ـ النساء الآية ٣٢ •
٦ ـ النساء • الآية ١١١ •
٧ ـ الانعام : الآية ٣ •

ـ « ولا تكسب كل نفس الا عليها » (١) •

ثم ان عدم حكمهم بتكفير مرتكبى الجرائم قائم على أصول اسلامية صحيحة ، فالايمان يتعلق بالتصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر •

أما ربط الدكتور لويس لنشأة اللغة وقدمهاوحداثتها بالقولبقدم القرآن وحداثته فهذا ربط لا يجد دليلا عليه ، وقد ذكرنا اتجاه القول بقدم القرآن وأنه خاص بالمعنى النفسى وأن الحروف والكلمات المنطوقة التى هى تعبير لغوى حادثة ، واذا ينتفى ما بناه الدكتور على ذلك من قدم اللغة ، وينتفى الربط بين الامرين •

على أن القول بقدم اللغة ، وأنها وحى ليس أمرا خاصا بالعرب ، بل قال به المحافظون من اصحاب الديانات المختلفة ومن الفلاسفة كهيراكليت وأفلاطون واستدل أصحاب الديانات من غير القرآن بالتوراة (٢) •

ويؤخذ على الدكتور انه يصم الفكر العربى بالتوقف وأن أكثر علماء العربية على القول بالتوقيف، وكأن مسألة قدم اللغة العربية وامتدادها حتى تصل الى آدم شغلت الفكر الاسلامى واللغوى العربى الى حد الجمود عندها ، والأمر ليس كذلك •

الحقيقة من المصادر الاصيلة :

ولو أن الباحث رجع الى المصادر الاساسية ــ كما ذكرت ــ وقرأها لوجد أن المحققين من علماء اللغة تركوا الخوض فى مسألة نشأة اللغة نهائيا فهى بحث لم تنضج أدلته ولنقرأ معا ما أورده السيوطى فى المزهر عن بعض علماء العربية وهو قوله : الصحيح عندي أنه لا فائدة لهذه المسألة وهو ما صححه ابن الأنبارى وغيره ، ولذا قيل : ذكرها فى الأصول فضول (٣) وهذا هو

---

١ ــ الانعام الآية ١٦٤ •
٢ ــ انظر كتابنا اللغة العربية خصائصها وسماتها •
٣ ــ المزهر ١/٢٦ •

ما ذهب اليه علماء اللغة المحدثون يقول الدكتور كمال بشر « ان أكثر ما كتب فى هذا الموضوع لم يتجاوز مرحلة التخمين والافتراض » (١) ويذكر الدكتور على عبد الواحد وافى أن المحدثين من علماء اللغة اعرضوا عنه لان منهج البحث فيه لا يتفق فى شىء مع ما ينبغى أن تكون عليه مناهج البحث فى العلوم (٢) .

وعلماء العربية — فى بحث نشأة اللغة — لا يتحدثون عن العربية وحدها وانما يتحدثون عن اللغات — بصورة عامة — وقد حكى السيوطى فى المزهر آراء متعددة كلها دائرة بين التوقيف والاصطلاح فى جميع اللغات ، ونقل ذلك عن المعتزلة وأهل السنة كذلك قال : ولم أر من صرح عن الأشعرى بخلافه ، والذى أراه أنه انما تكلم فى الوقوع وأنه يجوز صدور اللغة اصطلاحا ، ولو منع الجواز لنقله عنه القاضى وغيره من محققى كلامه ، ولم أرهم نقلوا عنه ، بل لم يذكره القاضى وامام الحرمين وابن القشيرى والاشعرى وذكر امام الحرمين الاختلاف فى الجواز ثم يقول : والمختار أن العقل يجوز ذلك كله (٣) .

وقد ساق حديث العلماء عن ذلك بما يؤكد انهم يتكلمون عن جميع اللغات وليس عن العربية وحدها .

قال الزركشى فى البحر : حكى الاستاذ أبو منصور قولا : ان التوقيف وقع فى الابتداء على لغة واحدة وما سواها من اللغات وقع التوقيف عليها بعد الطوفان من الله تعالى فى أولاد نوح حين تفرقوا فى أقطار الارض .

والجمهور وأهل التحقيق على أن التوقيف يقع فى لغة واحدة ثم يجوز بعدها أن يكون ما بعدها من اللغات اصطلاحا ، وأن يكون توقيفا ولا يقطع بأحدها .

---

١ — قضايا لغوية ص ١١٢ .
٢ — علم اللغة د . وافى ط ١٩٣٨ ص ٥ ، ٦ .
٣ — المزهر ٢١/١ ، ٢٤ .

والأقوال دائرة ــ كذلك ــ حول أول لغة هل هى العربية أو سواها ، ويذكر ان العربية الباقية ربما كانت اصطلاحا بين اسماعيل وجرهم ورثها عنهم (١) •

فأين التعصب أو القول بقدم العربية على وجه الخصوص ، ان الحديث عام شامل وعرض لآراء متعددة مبعثها اعمال العقل والفكر كما ذكر السيوطى وليست هناك أدلة موضوعية على هذا أو ذاك •

بيد أن الدكتور لويس ــ كذلك ــ يضم معظم علماء اللغة العرب بأنهم قالوا بالتوقيف ولا يعرض فى هذا لرأى آخر الا لابن جنى الذى نقل عنه القول بالمواصفة والاصطلاح ورجوعه عنه الى القول بالتوقيف •

وقد أثبتنا للباحث والقارىء بما نقلناه عن السيوطى وما تذكره المراجع المختلفة أن علماء العربية وعلماء الفقه والأصول قالوا بالأمرين معا : التوقيف والاصطلاح ولم يخصوا ذلك بلغة دون أخرى •

ثم ان ابن جنى يقف على رأس القائلين بأحدث الآراء العصرية فى نشأة اللغة وهو صدورها عن محاكاة الاصوات يقول : « ان أصل اللغات كلها انما هو من الاصوات المسموعات كدوى الريح وقصيف الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبى ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد » ثم يقول : وهذا عندى وجه صالح ومذهب متقبل (٢) •

وبهذا الرأى أيضا قال الخليل ابن أحمد من قبله • نقل عنه ابن جنى قوله « كأنهم توهموا فى صوت الجندب استطالة ومدا فقالوا : صر وتوهموا فى صوت البازى تقطيعا فقالوا : صرصر » (٣) •

وذهب الى ذلك من المحدثين

---

١ ــ المصدر السابق ١/٣٧ ، ٣٨ •
٢ ــ الخصائص ١/٤٦ ، ٤٧ •
٣ ــ المصدر السابق ٢/١٥٢ •

احمد فارس الشدياق يقول : انى رأيت معظم اللغة مأخوذا من حكاية صوت أو صفة » (١) وهذا هو رأى معظم الباحثين المحدثين من العرب وغيرهم .

وعلى هذا فشأن العربية شأن غيرها من اللغات دون ربط لذلك بقدم القرآن تعصبا أو عنصرية .

على أن وصف العربية بأنها أولى اللغات ليس بدعا من القول فان كثيرا من شعوب العالم حاولت — ولا تزال تحاول — أن تجعل لغتها أصل كل اللغات ، فالعبريون يزعمون أن لغتهم أولى اللغات جميعا وقد وقف مسئول تركى فى العصر الحديث فى مؤتمر لغوى عقد سنة ١٩٣٤ وادعى أن التركية هى الاصل الذى اشتقت منه جميع لغات العالم (٢) .

واذا فلا معنى للقول بأن علماء العربية جمدوا أمام شرف اللغة وقداستها وانما هم وقفوا مذهولين أمام دقتها وجوهرها الاصيل مفسرين لذلك تفسيرا علميا ولغويا يقول ابن جنى :

« واعلم فيما بعد اننى على تقادم الوقتدائم التنقير والبحث عن هذا الموضع فأجد الدواعى والخوالج قوية التجاذب لى مختلفة جهات التغول على فكرى وذلك أننى اذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والدقة والارهاف والرقة ما يملك على جانب الفكر حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر »(٣) .

دكتور عبد الغفار هلال

---

١ — سر الليالى فى القلب والابدال ص ٢٢ .
٢ — د . ابراهيم انيس : دلالة الالفاظ ص ١٠ وانظر أيضا : كتابنا « علم اللغة بين القديم والحديث » ص ٨ .
٣ — الخصائص ١/٤٧ .

في التشريع الإسلامي

من توجيهات الخليفة الراشد

"عمر بن الخطاب" إلى رجال القضاء

للمستشار محمد عزت الطهطاوي

— ٢ —

الشروط الواجب توافرها فيما يكون علة للحكم ثلاثة : —

١ — أن يكون وصفا ظاهرا أى مما يدرك بالحس ويمكن التحقيق من وجوده وعدم وجوده لأن العلة علامة على الحكم ويهتدى بها الى حكم ما لانص فيه — فالاسكار وصف ظاهر فى الخمر يدرك فيه بالحس ويمكن التحقيق من وجوده فى أى شراب آخر مما يسمى بالشراب الروحى .

٢ — أن يكون وصفا منضبطا — ومعنى انضباطه أن تكون له حقيقة معينة تتحقق فى الأفراد على السواء أو بتفاوت غير مؤثر لأن أساس القياس تساوى الأصل والفرع فى العلة حتى يبنى على هذا تساويهما فى الحكم — فالاسكار الذى فى الخمر توجد حقيقته فى أى شراب روحى آخر .

٣ — أن يكون وصفا مناسبا للحكم — ومعنى مناسبته له أن يكون ربط الحكم به ودورانه معه وجودا وعدما مظنة تحقيق الحكمة التى شرع لأجلها الحكم وهى جلب المصلحة أو درء المفسدة فالاسكار فى الخمر وصف مناسب لتحريمها لأن فى تحريم المسكر حفظ العقل — وذلك لأن قصد الشارع من تشريع الأحكام هو جلب مصالح الناس ودفع الضرر عنهم .

أما المسالك التى يهتدى بها الى معرفة علة الحكم الشرعى فأشهرها ثلاثة : —

المسلك الأول النص ـ فاذا دلت آية من آيات القرآن الكريم أو حديث من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم على أن هذا الوصف علة للحكم كانت هذه العلة المنصوص عليها أساس القياس وثبت الحكم المعلل بها لكل فرع تحققت فيه .

ودلالة النص هذه قد تكون دلالة صريحة قاطعة لا تحتمل أى وجه آخر ومثاله قوله تعالى بعد أن قص نبأ قتل أحد ابنى آدم بفعل أخيه « **من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا** » سورة المائدة الآية ٣٢ . وقد تكون دلالة النص على أن الوصف علة ليست صريحة ولكنها دلالة بالايماء والاشارة وذلك كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لايقضى القاضى حين يقضى وهو غضبان) فان اقتران النهى عن القضاء بالغضب يشير الى أن الغضب علة النهى عن القضاء .

المسلك الثانى : الاجماع ـ فاذا اتفق مجتهدوا عصر من العصور على أن هذا الوصف علة هذا الحكم كان الوصف علة وبنى عليه القياس ـ وهذا مسلك فرضى لأن الاجماع لم يتحقق انعقاده على حكم فأولى لم يتحقق انعقاده على علة حكم ـ فضلا عن ذلك فان فريقا من فقهاء الشيعة والظاهرية لايحتجون بالقياس أصلا فلا يجمعون على علة أو تعليل .

المسلك الثالث ـ المناسبة ـ والمراد بمناسبة الوصف للحكم ملاءمته له بحيث يكون فى ربط الحكم به ودورانه معه وجودا وعدما تحقيق ما يقصده الشارع بتشريع هذا الحكم من جلب مصلحة أو درء مفسدة ومثاله الصغير والصغيرة تثبت عليهما ولاية التزويج لعصبتهما ولم يدل نص ولا اجماع على علة ثبوت الولاية عليهما ويوجد فى كل منهما وصف ظاهر منضبط مناسب للحكم وهو الصغر لأن الصغر مظنة العجز عن ادراك المصلحة ـ وفى ثبوت الولاية بناء عليه دفع الضرر عن العاجز فهو علة الحكم .

وليس كل وصف ظاهر منضبط مناسب يصلح أن يكون علة للحكم فان من الأوصاف الظاهرة المنضبطة المناسبة ما ألغى الشارع اعتباره فلا يصلح علة للحكم ومثاله ماروى أن بعض ملوك المغرب أفطر عامدا فى نهار رمضان بغير عذر فأفتاه أحد فقهاء المغرب بأن كفارة افطاره عامدا صيام شهرين متتابعين — مع أن هذا الصيام غير متعين عليه لأنه قادر أن يكفر باعتاق رقبة — وقد علل ذلك المفتى فتواه بأن تعيين الصيام كفارة له لأنه هو الذى يشق عليه وهو الذى يردعه عن العودة الى مثل هذا الافطار — وأما اعتاقه رقبة فهو ميسور له — فهذا الذى علل به مناسب لأنه يحقق مقصد الشارع من حفظ فرائض الدين وردع من ينتهك حرمتها عامدا ولكنه أخذ بالمشقة ومخالفة النص والشريعة قامت على دفع المشقة عن المكلفين فتعليل الحكم بأنه مشقة تعليل بوصف ألغى الشارع اعتباره •

ونكتفى بهذا القدر عن القياس ومن أراد التوسع فعليه بالرجوع الى كتب الفقه المختلفة خصوصا ما تعلق منها بعلم الأصول •

وقول الخليفة الراشد عمر رضى الله عنه (واعرف الأمثال ثم اعمد فيما ترى الى أحبها الى الله وأشبهها بالحق) ومن هذا ما وقع فى القرآن الكريم من الأمثال التى لا يعقلها الا أرباب العلم فانها تشبيه شىء بشىء فى حكمة — وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر ومثاله قوله تعالى **(انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس — كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون)** سورة يونس الآية ٢٤ ففى هذه الآية الكريمة شبه سبحانه الحياة الدنيا فى أنها تتزين فى عين الناظر فتروقه بزينتها وتعجبه فيميل اليها ويهواها اغترارا منه بها حتى اذا ظن أنه

مالك لها قادر عليها سلبها بغتة وهو أحوج ما كان اليها وحيل بينه وبينها فشبهها بالأرض التى ينزل الغيث عليها فتعشب ويحسن نباتها ويروق منظرها للناظر فيغتربها ويظن أنه قادر عليها مالك لها فيأتيها أمر الله فتدرك نباتها الآفة بغتة فتصبح كأن لم تكن فيخيب ظنه وتصبح يداه صفرا منها — فكذا حال الدنيا والواثق بها سواء ٠

ولما كانت الدنيا عرضة لهذه الآفات والجنة سليمة منها قال سبحانه عن الجنة (**والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء**) سورة يونس الآية ٢٥ فسماها دار السلام وذلك لسلامتها من هذه الآفات التى ذكرها فى الدنيا فعم بالدعوة اليها لكنه خص بهدايته من يشاء من عباده ٠

ومنها قوله تعالى (**مثل الذين اتخذوامن دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون**) سورة العنكبوت الآية٤١٠ فذكر سبحانه أن هؤلاء المشركين ضعفاء وأن الذين اتخذوهم أولياءهم أضعف منهم فهم فى ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت اتخذت بيتا — وهو أوهن البيوت وأضعفها فهؤلاء المشركون أضعف ما كانوا حين اتخذوا من دون الله أولياء فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء الا ضعفا — وهذا مصداق قوله تعالى (**وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم — فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شىء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب**) سورة هود الآية ١٠١ — والتتبيب هو الخسران ٠

ومنها قوله تعالى (**أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون — ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا**) سورة الفرقان الآية ٤٤ — فشبهأكثر الناس بالأنعام والجامع بين النوعين التساوى فى عدم قبول الهدى والانقياد له — وجعل الأكثرين أضل سبيلا من الأنعام لأن — البهيمة يهديها سائقها فتهتدى وتتبع الطريق لكن أكثر الناس يدعوهم رسل الله ويهدونهم

السبيل فلا يستجيبون ولا يهتدون ولا يفرقون بين ما يضرهم وما ينفعهم والأنعام تفرق بين مايضرها من النبات والطريق فتجتنبه وما ينفعها فتؤثره ـ والله تعالى لم يخلق للأنعام أفئدة تعقل بها ولا ألسنة تنطق بها وأعطى ذلك لهؤلاء الناس ومع ذلك فلم ينتفعوا بما جعل لهم من العقول والقلوب والألسنة والأسماع والأبصار فهم أضل من البهائم فان من لا يهتدى الى الرشاد والى الطريق المستقيم مع الدليل اليه أضل وأسوأ حالا ممن لا يهتدى حيث لا دليل معه •

ومنها قوله تعالى فى تشبيه من أعرض عن كلامه وتدبره (**فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة**) سورة المدثر الآية ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ شبههم فى اعراضهم ونفورهم عن القرآن الكريم بحمر رأت الأسد أو الرماة ففرت منه ـ فهم فى جهلهم بما بعث الله به رسوله كالحمر وهى لا تعقل شيئا فاذا سمعت صوت الأسد أو الرامى نفرت منه أشد النفور ـ وهذا المثل غاية الذم لهؤلاء المعرضين فانهم نفروا عن الهدى الذى فيه سعادتهم وحياتهم كنفور الحمر عما يهلكها ويعقرها ـ بل انها لشدة نفورها قد استنفر بعضها بعضا وحضه على النفور •

ومنها قوله تعالى (**ألم تركيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون**) سورة ابراهيم الآيتان ٢٤ ، ٢٥ فشبه سبحانه وتعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين الذين يقولون (الكلمة الطيبة) هى (شهادة أن لا اله الا الله) فانها تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة فكل عمل صالح مرض لله ثمرة هذه الكلمة •

ويرى آخرون من المفسرين أن (كلمة طيبة) هذا مثل الايمان ـ (فالايمان الشجرة الطيبة وأصلها الثابت الذى لا يزول الاخلاص فيه

وفرعه فى السماء خشية اللـــه) فشجرة التوحيد ثابتة راسـخة فى القلب التى فروعها من الأعمـــال الصالحة صاعدة الى السـماء ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمـال الصالحة كل وقت بحسب ثباتهـا فى القلب ومحبة القلب لها واخلاصه فيها ومعرفته بحقيقتها وقيامـــه بحقوقها ومراعاتها حق رعايتها •

وفى معرفة الأمثال وفقهها يتبين للحاكم أو القاضى مدى ما تشتمل عليه من تسوية بين المتماثليـــن فيسهل عليه الحاق النظير بنظيره واعتبار الشىء بمثله والتفريق بين المختلفين وعدم تسوية أحدهمـــا بالآخر وهذا ما فطر الله به العباد بأن هداهم الى أن حكم النظيرحكم نظيره وحكم الشىء حكم مثله وعلى انكار التفريق بين المتماثلين وعلى انكار الجمع بين المختلفين والعقل والميزان الذى أنزله الله سـبحانه شرعا وقدرا يأبى ذلك ــ لذلك كان الجزاء مماثلا للعمل من جنســه فى الخير والشر فمن ستر مسلما ستره الله ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخـرة ــ ومن نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة الخ ••

وقوله (واياك والغضب والقلق والضجر والتأذى بالنـــاس ــ والتنكر عند الخصـــومة ــ أو الخصوم ــ شك الراوى ــ فـان القضاء فى مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر ويحسن به الذكر) •

والتحذير من الغضب له مـــا يبرره فهو غول العقـل يغتاله كما تغتاله الخمر ــ ولهذا نهى النبى صلى الله عليه وسـلم أن يقضى القاضى بين اثنين وهو غضـبان لأن الغضـب نـــوع من الغلــق والاغلاق الذى يغلق على صـاحبه باب حسن التصور والقصد •

ومن علاج الغضب التحـريض على تنفيذ الحق والصبر عليـــه وجعل الرضا بتنفيذه فى موضـع الغضب والصبر فى موضع القلـق والضجر ــ والتحلى به واحتساب ثوابه فى موضع التأذى •

والتنكر للخصوم من جـــانب القاضى فيه اضعاف نفوسهم وكسر قلوبهم واخراس ألسنتهم عـــن

التكلم بحجتهم خشية معرة التنكر ولا سيما أن يتنكر لأحد الخصمين دون الآخر ــ فان ذلك هو الـــداء العضـــال •

وعبودية الحكام وولاة الأمـــر والقضاة التى تراد منهم هـــــى القضاء فى مواطن الحق فهى توجب لهم من الله الأجر فلله ســبحانه على كل واحد من خلقه عبـــودية بحسب مرتبته سوى العبـــــودية العامة التى سوى بين عباده فيها •

فعلى عالم الاسلام من عبوديته نشر أحكام السنة والعلم الـــذى بعث الله به رسوله وعليــــــه من عبودية الصبر على ذلك مـــا ليس على غيره •

وعلى الحاكم من عبودية اقامة الحق وتنفيذه والزام من هو عليه به والصبر على ذلك والجهاد عليه ما ليس على المفتى •

وعلى الغنى من عبـــودية آداء الحقوق التى فى ماله ما ليس على الفقـــير •

وعلى القادر على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بيده ولسانه مـــا ليس على العاجز عنهما •

ثم ختم الخليفة الراشد كتابه الجليل الى أبى موسى الأشـــعرى بقوله (فمن خلصت نيته فى الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينـــه وبين الناس ومن تزين بما ليس فيه شانه الله فـــان الله لا يقبـــل من العباد الا ما كان له خالصا فمـــا ظنك بثواب عند الله فى عاجـــــل رزقه وخزائن رحمته) فالعبـــــد اذا خلصت نيته لله تعالى وكـــان قصده وهمه وعمله لوجهه سبحانه كان الله معه فانه سبحانه مــــع الذين اتقوا والذين هم محســـنون ــ ورأس التقوى والاحسان خلوص النية لله فى اقامة الحق واوللـــــه سبحانه لا غالب له فمن كان اللـــه معه لم يغلبه غالب أو يناله أحـــد بســـوء •

ولايكفى التزام القائم فى الحق لله اذا كان على غيره حتى يكـــون أول قائم به على نفسه فحينئـــذ يقبل قيامه به على غيره والا فكيف يقبل الحق ممن أهمل القيـــام به على نفسه وتدليلا على ذلك فانـــه لاخطب عمربن الخطاب يوما وعليه

ثوبان فقال أيها الناس ألا تسمعون فقال سلمان لا نسمع فقال عمر ولم يا أبا عبد الله ؟ قال انك قسمت علينا ثوبا ثوبا وعليك ثوبان فقال لا تعجل • يا عبد الله يا عبد الله فلم يجبه أحد فقال يا عبد الله بن عمر فقال لبيك يا أمير المؤمنين فقال نشدتك الله الثوب الذى ائتزرت به أهو ثوبك ؟ قال نعم • اللهم نعم فقال سلمان أما الآن فقل نسمع •

وأما قوله (**ومن تزين بما ليس فيه شانه الله**) — لما كان المتزين بما ليس فيه ضد المخلص فانه يظهر للناس أمرا وهو فى الباطن بخلافه عامله الله بنقيض قصده فمن تزين للناس بما ليس فيه من الخشوع والدين والنسك والعلم افتضح فيشينه ذلك من حيث ظن أنه يزينه وأيضا فانه أخفى عن الناس ما أظهر لله خلافة فأظهر الله من عيوبه للناس ما أخفاه عنهم جزاء له من جنس عمله •

وقوله (فان الله لا يقبل من العباد الا ما كان له خالصا) أى ما كان لله خالصا ولسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم موافقا — أما المردود فهو ما فقد منه الوصفان أو أحدهما يشرح ذلك الفضل ابن عياض فيقول — الخالص أن يكون لله — والصواب أن يكون على السنة ثم قرأ قوله تعالى (**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**) سورة الكهف الآية ١١٠ • وجزاء المخلص عند الله عظيم يرزقه الرزق العاجل اما للقلب أو للبدن أو لهما معا ورحمته مدخرة فى خزائنه فان الله سبحانه يجزى العبد على ما عمل من خير فى الدنيا ثم فى الآخرة يوفيه أجره مصداقا لقوله تعالى (**كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة**) سورة آل عمران الآية ١٨٥ •

وقد دل القرآن فى غير موضع على أن لكل من عمل خيرا أجران — أجر فى الدنيا ثم يكمل له أجره فى الآخرة يقول جلت كلماته •

١ — (**للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين**) سورة النحل الآية ٣٠ •

٢ – (**والذين هاجروا فى اللــه من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون**) سورة النحل الآية ٤١ ·

٣ – (**من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حيــاة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحســن ما كانوا يعملون**) سورة النحــل الآية ٩٧ ·

« المستشــار »

محمد عزت الطهطاوى

(بقيــة مقال المؤامرة عـــلى الفصــحى)

هؤلاء أن محاولة اعادة بث هــذه الشبهات من جــديد للتقليــل من شأن القرآن أو اللغة العربية هو عمل مكشوف مفضوح قد تنبه اليه المثقفــون المســلمون فلم يعــد يخدعهم وانه لمن المؤسف حقا أن يعتمــد الدكتور لويس عوض فى اثارة هذه القضية الكبرى عــلى مصدر غربى مشبوه (هو شلوسر) ومصدر اسلامى له وجهــة نظــر جزئية هو القاضى عبد الجبــار فى اثارة مثل هذه القضــايا وما أظن هذه الاثارات ببالغــة شــيئا ولن تحدث مــن الــدوى أو الاثارة ما أحدثته كتابات طــه حسين وعلى عبد الرازق من قبل فقد مضى ذلك العهد وانقضى وتكشف أمام الناس جميعا فســاد مذاهب الاستشراق ودعــاواه وتســاقطت أهــواؤه وسمومه فلم يعد يخدع بها أحد·

أنور الجندى

ترشيد الإنفاق فى ضوء تعاليم الإسلام

للأستاذ / مجدى عبد الفتاح سليمان

يعد الاستهلاك فى واقع الامر ، سمة مميزة من سمات هذا العصر ، اذ لا يكاد يخلو أى نظام اقتصادى من ارتفاع متزايد فى معدلات الاستهلاك سواء كان هذا النظام رأسماليا أم اشتراكيا ، متقدما ام ناميا ، ومع التسليم بعمومية هذه الظاهرة ، الا أنه من الملاحظ تزايد معدلات الاستهلاك فى البلاد الاسلامية بصورة خطيرة ، باتت تهدد مصالح هذه الدول ، وتعوق مجهوداتها الانمائية ، وفى مواجهة هذه الظاهرة وضع الاسلام قيودا محكمة على الاستهلاك ، ايمانا بأن حرية الاستهلاك تؤدى فى النهاية الى اصابة الاقتصاد القومى بأفدح الأضرار .

وتشير الدراسات (١) الى ارتفاع قيمة الواردات الاستهلاكية الى اجمالى الواردات من نسبة تدور حول ١٠٪ فى النصف الثانى من الستينيات ، الى متوسط سنوى بلغ ٢٨٫٣٪ عن الفترة من ١٩٧٠ — ١٩٧٣ ، وأخذت اتجاها مطردا فى النمو حيث بلغت متوسطا سنويا ٣٤٫٧ ٪ من اجمالى الواردات عن الفترة من ١٩٧٤ — ١٩٧٧ ، هذا وقد أخذت نسبة الواردات الاستهلاكية الى الدخل المحلى الاجمالى فى التزايد فمن متوسط سنوى ٣٫٧ ٪ عن الفترة

---

١ — انظر الأهرام الاقتصادي ، العدد ٥٨٩ ص ٦ .

من ١٩٧٠ ــ ١٩٧٣ ، ارتفعـــت وبسرعة فائقة الى ٩٫٧ ٪ ما بين الفترة من ١٩٧٤ ــ ١٩٧٧ بما يفيد بأن هناك اســـتنزافا متزايدا للدخل • نســتخلص من البيانات السالفة الذكر **أن ظاهرة الاستهلاك الكبير والمتضخم قائمة ومستمرة ، ومعنى اســـتمرارها هو انفاق كل الدخل الفردى والقومى ، وتسرب مدخراتنـــا وأموالنا الى الخـــارج لتمويل شراء السلع الاستهلاكية ، ايضـــا ســنواجه مصـــاعب امام التنميـــــة ، تؤدى الى مـــزيد من المشـــاكل الاقتصـــادية ، وتزداد الصعوبة امام المســئولية عن حل تلك المشاكل ،** ولا يفوتنا فى **هـــذا المقام ما حدث فى السوق المصرية خلال شهر رمضان الماضى فقد زاد حجم الاســـــتهلاك** من كل السلع الغذائية بنسب مرتفعة جـــــدا ،

ومما **لا** شك فيه أن ترشـــــيد الاستهلاك يعتبر من الامـــــور الحيوية التى يجب التفكير فيهـــا جديا ، بسبب ما سيترتب عليـــــه من آثار فى مصلحة الاقتصـــــاد القومى ، وكفى بالمرء اسرافا ان يأكل كل ما يشتهيه ويفعل كل مـــا يهواه ، فكثرة الطعام تميت القلوب فقد قال صلى الله عليه وسلـــــم **« لا تميتوا القلوب بكثرة الطعـــام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء »** (١) •

ينبغى أن نترك هذا التقليـــــد الأعمى المدمر ، وهذه العـــادات السيئة ، والجرى وراء أوهـــــام وسراب الاستهلاك ، وأن نعـــود الى تعاليم هذا الـــدين الحنيف ، فهو السبيل الوحيد لانقاذ البشرية من أزماتها وهو وحده كفيـــل بأن يحقق للانسان ما ينشده من كمـــال ورفعة وتقدم وازدهار وارتقاء •

* الاستهلاك وتعاليم الاسلام :

الاستهلاك والاستفادة والانتفاع بما خلق الله تعالى أمـــر طيب فى الاسلام ، طالما أنه لا يقـــوم على ادخـــال الضرر بالنفس أو الاضرار بالغير، والاسلام يكلف الفرد تمتيع

---

١ ــ احياء علوم الدين ــ للامام الغزالى ــ ج ٣ ــ ص ٧٨ دار احياء الكتب العربية .

ذاته فى الحدود المشروعة ، ويكره الناس أن يحرموا فى غير محرم ، لأن الحياة لابد أن تستساغ وأن تجمل ، وأن تكون بهيجة فى غير لهو ولا اسراف ، فهو يأمر بنى آدم بأن يتزينو الزينة اللائقة فقال تعالى : ((**يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ، قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ، قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والاثم والبغى بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**))(١)فالاسلام(٢) يطلب الاستمتاع بمباهج الحياة المعقولة للناس جميعا ، كبيرهم وصغيرهم ، وغنيهم وفقيرهم ، لذلك وجه الخطاب هنا الى « بنى آدم » فاذا دعا من بعض الأحيان الى الصبر والرضا فليست هذه دعوة الى التزهد والحرمان، انما هى دعوة لاحتفاظ النفس بطمأنينتها على الشدائد الى أن تزول أو تزال ، أما بعد ذلك فكل فرد مطالب بأن يستمتع المتاع الحلال ، والجماعة مطالبة أن تهيىء هذا المتاع لأفرادها جميعا ، فلا تحرمهم مما يدعوهم الله أن يستمتعوا به فى الحياة هذا كله من ناحية ، أما أن يتضخم هذا التمتع والتنعم كما هى صفة المجتمع غير الربانى فأمر لا يقره الاسلام ويصفه بالاسراف والتبذير ، من هنا فان للاسلام تعاليم تهدف الى تنظيم الاستهلاك وترشيده فحرم الاسلام حياة الترف ، ونهى عن الاسراف والتبذير والسفه ، وأمر بالاعتدال فى الانفاق على الاستهلاك دون مغالاة أو امساك .

* تحريم الاستهلاك الترفى :

حرم الاسلام الاستهلاك الترفى بكافة صوره وأشكاله ، فالرسول

---

١ ـ سورة الأعراف : ٣١ ـ ٣٣ .
٢ ـ سيد قطب ـ العدالة الاجتماعية فى الاسلام ص ١٤٣ .

صلى الله عليه وسلم يقول : **« لا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا فى صحافهما ، فانها لهم فى الدنيا ولكم فى الآخرة»** متفق عليه والحديث دليل على تحريم الأكل والشرب من آنية الذهب والفضة وصحافهما سواء كان الاناء خالصا ذهبا أو مخلوطا بالفضة ، اذ هو مما يشمله أنه اناء ذهب وفضة ، وقال الامام النووى: **« انه انعقد الاجماع على تحريم الأكل والشرب فيهما ، واختلف** فى **العلة فقيل للخيلاء وقيل لكونه ذهبا وفضة »** (١) ويصور لنا الرسول صلى الله عليه وسلم عقاب من يخالف ذلك فيقول : **« ان الذى يشرب فى آنية الفضة انما يجرجر فى بطنه نار جهنم »** متفق عليه ولمسلم : ان الذى يأكل أو يشرب فى اناء الذهب والفضة (٢) .

وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن لبس الحرير والذهب بالنسبة للرجال أما النساء فأبيح لهن الحرير والذهب ،فعن أبى موسى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : **« احل الذهب والحرير للاناث من أمتى وحرم على ذكورها »** (٣) .

ونهى عليه الصلاة والسلام الجلوس على الحرير فعن حذيفة رضى الله عنه قال : « **نهانا النبى صلى الله عليه وسلم أن نشرب فى آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه** » البخارى .

ومن يلبس الحرير فى الدنيا يحرم منه فى الاخرة ، فقال صلى الله عليه وسلم **« من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة »** البخارى .

وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن التعالى فى البنيان والتوسع فيه لغير ضرورة ، **وقد روى أبو داود وابن ماجه والطبرانى(٤)** أنه عليه السلام خرج يوما فى

---

١ ــ سبل السلام ــ للصنعانى ــ ج ١ ص ٣٩ .
٢ ــ نيل الأوطار ــ للشوكانى ــ ج ١ ص ٦٨ .
٣ ــ ورواه أحمد والنسائى والترمذى صححه .
٤ ــ البهى الخولى ــ الثروة فى ظل الاسلام ــ ص ١٥٨ .

بعض صحابته فرأى قبة مشرفة فقال : ما هذه ؟! قالوا هذه لفلان فقال : كل ما كان هكذا فهو وبال على صاحبه وعلم الرجل فهدمها وسواها بالأرض ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فلم يرها ، فسأل عنها فأخبر بما صنع صاحبها فقال : « **يرحمه الله، يرحمه الله** » والرسول صلى الله عليه وسلم — **يسمى بيوت المترفين بيوت الشياطين** لما ينبع فيها من الفساد ، ولما يخرج منها من الفتنة (١) : « تكون ابل للشياطين، وبيوت للشياطين ، فأما ابل الشيطان فقد رأيتها يخرج أحدكم بنجيبات معه قد أسمنها ، فلا يعلو بعيدا منها ، ويمر بأخيه قد انقطع فلا يحمله ، وأما بيوت الشياطين فلا أراها الا هذه الأقفاص التى تستر الناس بالديباج » «أبوداود»

واذا كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رآها ابلا للشياطين لا حاجة بأصحابها الى ركوبها ، بينما المنقطعون لا يجدون ما يركبون ، فنحن نجدها سيارات فخمة تروح وتغدو للتافه الصغير من الأمور ، وألوف لايجدون أجرة الترام ، ومئات لا يجدون حتى أرجلهم للمشى بها ، فهى مقطوعة ذهبت بها الآفات ! أما البيوت التى رآها محمد — صلى الله عليه وسلم — فى الأقفاص التى تستر الناس بالديباج ، فنحن نراها ووسائل الترف فيها فلم تخطر على قلب بشر فى ذلك الزمان •

ان الترف منبع شر يملأ القلوب حقدا وضغينة ويقضى على حياة الأمن والاستقرار ، يصل بأصحابه الى جحود الحق وانكار الشرائع ، ويغرس فى نفوسهم الأثرة وفتنة الطبقات • اذن فلا جرم أن يكون الترف سبب العذاب فى الآخرة — فيقول الله تعالى فى سورة الواقعة: آية ٤١ — ٤٨ « **وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال فى سموم وحميم ، وظل من يحموم ، لابارد ولا كريم ، انهم كانوا قبل ذلك مترفين ، وكانوا يصرون على**

---

١ — سيد قطب — المرجع السابق — ص ١٤٦ ، ١٤٧ •

الحنث العظيم،وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون » .

ولكن هذا الهلاك والعذاب لا يصيب الفرد المترف وحده ، بل يصيبان الجماعة التى تسمح بوجود مترفين « **واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا »** سورة الاسراء آية ١٦ ـ ذلك أن وجود المترفين فى الجماعة ، وسماح الجماعة بوجودهم ، وسكوتهم عليهم، وقعودها عن ازالة أسباب الترف وتركها المترفين يفسدون .. كل ذلك أسباب تؤدى حتما الى الهلاك والتدمير .

*** تحريم الاسراف والتبذير والسفه :**

الاسراف هو الانفاق فى الحلال بصورة تزيد كثيرا عن الحاجة والمعقول وهو محرم ، وحقيقة هذا الاسراف مجاوزة الحد فى كل فعل أو قول (١) ويقول الحق تبارك وتعالى : « **كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين »** سورة الأنعام : آية ١٤١ فقوله : « **لا تسرفوا** » نهى عن الاسراف فى كل شىء ولا شك أنه صحيح ، وقد ورد فى تفسير ابن كثير : أى لا تسرفوا فى المأكل لما فيه من مضرة العقل والبدن ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « **البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا كل جسم ما اعتاد** » (٢) .

ونظر المصطفى صلى الله عليه وسلم الى رجل سمين البطن فأومأ الى بطنه بأصبعه وقال : لو كان هذا من غير هذا لكان خيرا لك (٣) أى لو قدمته لآخرتك وآثرت به غيرك .

وقيل للرسول صلى الله عليه وسلم : **أى الناس أفضل قال : من قل مطعمه وضحكه ورضى بما يستر به عورته** (٤) .

---

١ ـ أنظر سبل السلام للصنعانى ج ٤ ص ١٥٩ .
٢ ـ أحياء علوم الدين ـ للامام الغزالى ج ٣ ـ ص ٨٤ .
٣ ـ نفس المرجع السابق ص ٨٦ .
٤ ـ احياء علوم الدين ـ المرجع السابق ج ٣ ص ٧٨ .

أما التبذير فهو النفقة فى معصية الله تعالى . وفى غير الحق والفساد ، وقال مجاهد (١) : لو أنفق انسان ماله كله فى الحق لم يكن مبذرا ولو أنفق مدا فى غير حق كان مبذرا » وقد شبه القرآن الكريم المبذرين بالشياطين اعداء البشرية ، فيقول الله تعالى : **« ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » الاسراء : ٣٧**

أما السفه فهو التبذير وعدم حسن التصرف فى المال ، والسفيه عند الشافعية (٢) : المبذر فى ماله ، والذى ينفقه فيما لا يعود عليه بمنفعة عاجلة أو آجلة ، كأن يقامر به أو ينفقه فى اللذات المحرمة الضارة بالبدن والعرض والدين كالزنى ، وشرب الخمر ، أو ينفقه فى المكروهات كأن يشرب به الدخان أو يضيعه بسوء تصرفه كأن يبيع ويشترى بالغبن الفاحش » .

ويقول الحق تبارك وتعالى : **« ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما »** سورة النساء الآية ٥ .

وفى تفسير هذه الآية يقول الامام النسفى **« ولا تؤتوا السفهاء »** المبذرين أموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغى ولا قدرة لهم على اصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للأولياء وأضاف الى الأولياء أموال السفهاء بقوله **(اموالكم)** لأنهم يلونها ويمسكونها ، فالأموال التى بأيدى السفهاء انما هى فى الحقيقة أموال المجتمع ، وتوجب الشريعة الاسلامية على ولى الأمر معاقبة السفيه بالحجر عليه وغل يده عن أمواله .

*** تحريم استهلاك السلع والخدمات الضارة :**

يحرم الاسلام كل مايضر بالمجتمع من سلع وخدمات ضارة

---

١ ــ انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ــ ج ٣ ــ ص ٣٦ .
٢ ــ عبد الرحمن الجزيرى ــ الفقه على المذاهب الاربعة ــ ج ٢ ص ٣٧٠ .

بالجسم أو العقل أو تؤدى الى تبديد الموارد من غير فائدة حتى لو لم تكن فى نفسها ضارة ، فحرم الاسلام أكل الميتة والدم ولحم الخنزير .. ، وحرم الخمر والميسر . وحرم الاسلام الخبائث .

يقول الله تعالى « **حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقودة والمتردية والنطحية وما أكل السبع الا ماذكيتم وماذبح على النصب** ، وأن **تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق ..** » سورة المائدة آية ٣ .

نهى المولى سبحانه وتعالى عن **تعاطى** هذه المحرمات من الميتة **وهى** ما مات من الحيوان حتف أنفه من غير ذكاة ولا اصطياد ، **وماذاك الا لما** فيها من المضرة لما فيها من الدم المحتقن ، فهى ضارة للدين وللبدن فلهذا حرمها الله عز وجل ، وقد أحل الله لنا ميتتان ودمان فيقول المصطفى صلى الله عليه وسلم « **احل لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالسمك والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال** » رواه أحمد بن حنبل وان ماجه .

وحرم (الدم) أى المسفوح وهو السائل ، وحرم لحم الخنزير وكله نجس ، « **وما أهل بغير الله به** » أى رفع الصوت به لغير الله.

(والمنخنقة) التى خنقوها حتى ماتت أو اتخنقت بالشبكة أو غيرها **(والموقوذة)** التى أثخنوها ضربا بعصا أو حجر حتى ماتت **(والمتردية)** التى تردت من جبل أو من بئر فماتت **(والنطيحة)** المنطوحة وهى التى نطحتها أخرى فماتت بالنطح **(وما أكل السبع)** بعضه ومات بجرحه **(الا ماذكيتم)** الا ما أدركتم ذكاته وهو يضطرب اضطرب المذبوح والاستثناء يرجع الى المنخنقة وما بعدها فانه اذا أدركها وبها حياة فذبحها وسمى عليها حلت **«وما ذبح على النصب»** كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها يعظمونها بذلك ويتقربون اليهاتسمى الانصاب (١)

(البقية على صفحة ١٠٨٠)

---

١ — النسفى — تفسير النسفى ج ١ ص ٢٠٩ .

أعلام الإسلام

من أئمة المحدثين :

الإمام البخاري

للدكتور / الحسيني هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

لا أحـــد فى العالم الاســلامى يجهل شخصية الامام البخـــارى وما قدم للعالم الاســـلامى من خدمات . فماذا قدم ؟ ومن هـو هذا الرجل اللامع الاسم الذائـــع الصيت ؟

نســـبه :

أبو عبد الله محمد بن اسماعيل ابن ابراهيم بن المغيرة بن بردزية الجعفى ولاء ، البخارى مولدا ، شرف الله جده المغيرة بالاسلام ، على يد اليمان الجعفى والى بخارى ، فانتمى اليه بولاء الاسلام وسرى منه هذا الولاء الى ذريته جيـــلا بعد جيل ، ومنهم الامام البخارى . وبخارى مدينة من أعظم مــــدن ما وراء النهر (نهر جيحون) وهى الآن تحت النفوذ السوفيتى بولاية « أزبكستان » فى آسيا الوسطى .

مولده :

ولد رحمــه الله ببخارى لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال ســـنة أربع وتسعين ومائة من الهجــــرة (١٩٤ هـ) فى بيت مبارك بالعلم ، معطر بالتقوى ، فقـــد كان أبوه اســـماعيل من العلماء العـــاملين ، والنبـــلاء الورعين ، قابل مالكا ، وابن المبارك وحدث عن جماعـــة من مشاهير المحدثين ، وحدث عنه بعض العراقيين وشهد له كثيرون بالصدق والوثوق ، وكان الى جانب علمه وتقواه كثير المال الخـــالص الحلال .

واستقبل منزل الحديث والتقوى والثراء العريض محمد بن اسماعيل البخارى فقرت به عينا والديه ثم

ما لبث الوالد أن توفى وتركه يتيما فى ظل والدته التقية تحبوه بعطفها، وتستلهم السبيل القويم لتربيته .

عصر البخارى :

ولدا البخارى فى عصر راجت فيه سوق الحديث وانتصرت مدرسته بعد صراع عنيف مع المتبـــدعة برز فيه دور الامام أحمد بن حنبل واستمر فى عهد المأمون والمعتصـــم والواثق حتى ختمه المتوكل على الله ابن المعتصم برفع المحنة عن أهـــل الحديث ، والوقوف ضـــد المبتدعة وهو صراع امتد من ســـنة ٢١٢ هـ من عهد المأمون الى سنة ٢٣٢ هـ فى عهد المتوكل أى عشرين عامـــا كاملة ــ وككل معارك الفكر لم يكن الجمهور بعيدا عن الصراع ، وكان ميل أهل التقوى مع المحدثين طوال المحنة ، فلما زالت عنهم زاد الميل اليهم وكثر جمهورهم .

من هنا ، كان توجه والـــدته فى تربيتها له الى مجال العلـــوم ا دينية والحديث عـــلى وجـــه الخصوص . أضف الى ذلك ما كان عليه الوالد من طلب العلم ، وبذل التعليم ، وبالجملـــة ، كان البيت تفوح منه رائحة العلوم الزكية ، وتهب عليه نسائم العلم التى تملأ جو الشرق الاســـــلامى فى ذلك الوقت .

ولقد هيأ الله للامام البخارى ، وسائل الرفقة ، وآيات الارتقـــاء فظهرت عليه مخايل الزكاء والنجابة فى صغره بصورة واضـــحة نادرة فحفظ القرآن ، وبدأ يحفظ الحديث وهو فى سن العاشرة .وما أن جاوز العاشرة ودخل فى سن الحـــادية عشرة حتى ترك الكتاب وانصراف الى مدارس الحديث فى دائرة وطنه لينهل من مواردهم حاملا عقـــلا وقادا وذاكرة واعية وخلقا كريما ، فاكتسب بذلك ثقـــــة مكنته من التحصيل ، ودفعته لان يقف وهـــو فى سن مبكره ليصحح ما أخطأ فيه استاذ من عمالقة الحديث . وهـــو استاذه « الداخلى » ويدخل معـــه فى مناقشة علمية انتهت بتســـليم استاذه له ، واعترافه بصـــــحة ما قال به البخارى عن ذلك ، فيقول: ثم خرجت من الكتاب بعد العشر ، اختلفت الى الداخلى وغيره فقـــال يوما فيما كان يقرأ على الناس :

(سفيان عن أبى الزبير « المكى » عن ابراهيـم النخعى • فقلت له : يا أبا فلان ، ان أبا الزبير لم يرو عن ابراهيم ، فانتهرنى • فقلتله: ارجع الى الاصل ان كان عندك ، فدخل ونظر فيه ثم خرج ، وقال : كيف هو يا غلام ؟ فقلت : هو الزبير ابن عدى عن ابراهيم ، فأخذ القلم منى ،وأحكم كتابه ، فقال : صدقت — فقال له بعض أصحابه : ابن كم كنت اذ رددت عليه ؟ قـال : ابن احدى عشرة سنة •

رحلة البخارى فى طلب الحديث

لم يشبع قطر البخارى نهمه ولم يحقق حاجته فرحل عنه بعد أن أتى على ما فيه من علم وخير ما فيه من علماء ، فطار على أجنحة همة عالية يطوف فى أرجاء الدنيا طالبا للحديث ورجاله ، جامعا لكل ما يمكن منه ، متعرف على كل ما يدور فيه وحوله •

ملامح من صفاته الرشيدة :

كان البخارى لا يجهل مكانته ، وحب الناس له ، فآثر أن لا يترك مجالا يمكن أن ينفر منه هذا الحب كأثر مادي فى حياته • فقـد حكم « وراقة » أنه سـمعه يقول : ما توليت شراء شىء قط ولا بيعه ، كنت آمر انسانا فيشترى لى ، قيل له : ولم ؟ قال : لما فيه من الزيادة والنقصان والتخليط وكان غاية فى الحياء والكرم والسخاء والزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة ، وكان له مال كثير ينفق منـه سرا وجهرا لاسيما فى طلب العلم وعلى طلبته ، وقد قال عن نفسه : كنت استغل فى كل شهر خمسمائة درهم فانفقها فى الطلب وما عند الله خير وأبقى •

وكان دائم المراقبة لله تعالى فى حركاته وسكناته وكل اموره •

قال البخارى : دعوت ربى مرتين فاستجاب (يعنى فى الحال) فلن أحب أ نأدعو بعد فلعلـه ينقض حسناتى — وقال : لا يكـون لى خصم يوم القيامة فقيل لـه : ان بعض الناس ينقمون عليك التاريخ يقولون فيه اغتياب الناس فقال : « انما روينا ذلك رواية ولم ننقله من عند أنفسنا ، وقد قال صـلى الله عليه وسـلم « بئس أخـو العشيرة » وقال : ما اغتبت أحـدا قط منذ علمت أن الغيبة حرام » •

وكان يصلى ذات يوم فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة ، فلما قضى صلاته قال : انظروا أى شىء هذا الذى آذانى فى صلاتى فنظروا فاذا الزنبور قدورمه فى سبعة عشر موضعا ، ولم يقطع صلاته ، وكان قليل الاكل كثير الاحسان ، مفرط الكرم ، وبالجملة كان مثالا فى قوله وفعله سرت السنة فى لحمه وعظمه، وسيطرت على سلوكه وتصرفاته ومشاعره فكان قدوة فى كل مجال ومن شعره الحكيم •

اغتنم فى الفراغ فضل ركوع
فعسى أن يكون موتك بغتة كم
صحيح رأيت من غير سقم • ذهبت
نفسه الصحيحة فلتة •

مؤلفاته :

وشخصية كشخصية الامام البخارى رغم أثرها الهائل فى مجال الدرس والتعليم والرواية والدراسة لم يخل أثرها من مؤلفات فى شتى المجالات التى تتصل بالحديث الشريف والسنة النبوية الكريمة ومن هذه المؤلفات •

١ ــ الجامع الصحيح « صحيح البخارى » •

٢ ــ الادب المفرد ــ مطبوع •

٣ ــ رفع اليدين فى الصلاة ــ مطبوع •

٤ ــ بر الوالدين •

٥ ــ التاريخ الكبير (مطبوع) •

٦ ــ التاريخ الاوسط •

٧ ــ التاريخ الصغير ــ مطبوع

٨ ــ كتاب الضعفاء ــ مطبوع •
« موجود بمكتبة الجزائر » •

٩ ــ كتاب التفسير الكبير

١٠ ــ القراءة خلف الامام « مطبوع » •

١١ ــ الكنى « مطبوع » •

١٢ ــ العلل •

١٣ ــ أسامى الصحابة •

١٤ ــ الاشربة •

١٥ الوجدان •

وهذه الكتب اما فى مجال جمع الحديث فى مجالات خاصة أو بصوره عامة أو مجال البحث عن رواة الحديث من ناحية الجرح والتعديل والتمييز بين الرواة رغم

عددهم الهائل ومجال انتاجهـــم الغزير •

صـــحيح البخارى :

قال فيه العلماء بحق أنه أصح كتاب بعد كتاب الله وهو الكتـــاب الذى أصبح به البخـــارى أمير المؤمنين فى الحـــديث وكتب له به الخـــلود ورفع ذكـــره مقترنا بالصحيح من حديث رســول الله (صلى الله عليه وسلم) ســماه البخارى (الجــامع الصـــحيح المســند) المختصر من حـــديث رسول الله « صـــلى الله عليه وسلم » وسننه وأيامه ، ولما كانت ميزته الكبرى التى اختص بهـــا هى وصفه بالصحيح اشتهر بذلك اختصارا فقيـــل « صـــحيح البخارى » •

سبب تصنيفه :

كان البخارى خلاصـــة عصره فيما يتصل بالسنة النبوية الكريمة وكان أقدر الناس على هذا العمل الجليل ، وقد طلبمنه ذلك أستاذه الجليل « اسحق بن راهوية » فى مجلس حافل بالعلماء ، فاستحث همته وقوى عزيمته •

ثم انه رأى النبى (صلى الله عليه وسلم) وهو واقف بين يديه، يذب عنه بمروحة فى يده فىالمنام ، وفسرت الرؤيا بأنه يذب الـــكذب عن رسول الله (صـــلى الله عليه وسلم) •

قال ابن حجـــر ، فلمـــا رأى البخارى هذه التصانيف(الموجودة فى عصره) واستنشـــق رباها ، واستحلى محياها وجدها بحسب الوضع جامعة بين ما يدخل تحت التصحيح والتحسين والكثير منها يشمله التضعيف فتحـــركت همته لذلك •

وقـــد استغرق انتقاء الجـــامع الصحيح ستعشرة سنة ، وخرجه من ستمائة ألف حـــديث ، وكان يغتسل ويصلى ركعتين قبـــل أن يكتب فيه حـــديثا ، ويستخير الله تعالى فى كتابته •

منهجه فى الجامع الصحيح :

لم يضع فى كتابه الا ما صـــح مسنده ، واتصل بنقل العـــدول الضابطين ، وخلا من الشـــذوذ

والعلة واشترط أن يثبت لقاء الراوى من روى عنه ولو مرة اذا روى بعن زيادة فى التأكد ، وانتقى من الرجال أكثرهم صحبة لمن روى عنهم ، وأعرفهم بحديثه ، وأشهرهم بالراوية عنه ولا ينزل عن ذلك الا فى حديث له أصل ثابت بالطريق الأولى ، لذلك أجمع العلماء كابن حجر والنووى والسيوطى وغيرهم على وجوب العمل بأحاديث البخارى ، بل لقد قال ابن الصلاح ومن تابعه أن كل ماورد فى البخارى ومسلم بالاسناد المتصل مقطوع بصحته والعلم النظرى حاصل بصحته فى نفس الأمر لأن الأئمة تلقت ذلك بالقبول •

وعدد أحاديث صحيح البخارى كما قال ابن حجر بالمكرر سوى المعلقات والمتابعات سبعة آلاف وثلثمائة وسبعة وتسعين حديثا وجملة ما فيه من التعليق الف وثلثمائة وواحد وأربعون وأكثرها مخرج من أصول متونه ، والذى لم يخرجه مائة وستون • — وفيها من المتابعات والتنبيهات على اختلاف الروايات ثلثمائه وأربعة وثمانون •

ومعنى المعلق • ما ورد بسند غير متصل بأن حذف من أول اسناده راو أو أكثر ، وجاء به البخارى هكذا ليبين أنه ليس من مقصود كتابه ، وانما أتى به ايناسا واستشهادا ، ولزيادة التوضيح •

وقد أكثر فى كتابه « الصحيح » من التراجم فقبل أن يذكر الحديث أو الأحاديث يذكر الترجمة التى تناسبه كأنها شرح له أو توجيه الى بديعه فيه ، أو معنى خفى يدرك باجهاد الذهن معه ، وغرضه من ذلك ، كما قال الامام النووى ، الاستنباط ، والاستدلال لابواب أرادها من الفقه والأصول ، والزهد والأدب والأمثال • وغيرها ، وربط كثيرا من أحاديثه بآيات من القرآن وأقوال السلف ، وما يستنبطه من روح الأحاديث ، فكانت مفتاحا لفهم الحديث وشرحا مركزا شرح البخارى صحيحه •

وقد سمى كتابه (الصحيح بالجامع لجمعه كل أو أكثر مقاصد العلم الدينى وشموله لكل ما عبرت

عنه السنة من أوجـه النشـاط كالعقيدة والعبادة والسلوك وغـير ذلك •

ومن فوائده :

١ ـ الحكم على أساس ما فيه من الأحـاديث الصحيحة عـلى اجتهـاد المجتهدين تصـويبا أو تخطيئا •

٢ ـ الـرد عـلى المبتـدعه والزنادقة والمفسـدين بما فيه من الأحاديث الصريحة الصحيحة •

٣ ـ تنشيط مدرسـة الحديث وعلومه وفتـح المجـال للانتقـاء والمبالغة فيه •

٤ ـ تدعيم النشاط فيما يتصل بلغة العرب وقواعده والاستشهاد لها وبها •

وفاة البخارى :

وفى سن الثانية والستين بعـد حياة حافلة بالعلم خرج البخارى الى (خزنتك) «من قرى سمرقند» ونزل ضيفا على بعض أقربائه بعد أن أنهكه الجهاد ، وأرهقه العمـل فدعا قائلا : « اللهم قد ضاقت على الأرض بما رحبت فاقبضنى اليك» وأقام فى « خزنتك » أياما فمرض حتى وجه اليه رسول من سمرقند يتلمسـون منه الخـروج اليهم ، فأجاب ، وتهيأ للركوب ولبس خفيه وتعمم ، فلما مشى عشرين خطوة أو نحوها الى الدابة ليركبها ، قال : أرسلونى ، فقد ضـعفت ، فتركوه فدعا بدعوات ثم اضطجع فقضى •

وكان ذلك ليـلة السبت ليـلة عيد الفطر سنة ٢٥٦ هـ بعد أن ملأ الدنيا نورا بأحـاديثه عن النبى (صلى الله عليه وسـلم) وتـرك الأثر الخالد الذى ينير الطـريق أمام البشرية ويهديها الى الصراط المستقيم •

دكتور الحسينى هاشم

الأمين العـام لمجمـع البحـوث الاسلامية

المنحى الإسلامي عند العقاد

للدكتور / محمد رجب البيومي

يحـــار الكاتب حين يدرس اسلاميات العقاد ، لانه الكـــاتب الكبير متعدد الثقافـــة ، متنوع المواهب ، غزير الانتاج فى اتجاهات كثيرة ، تصل من قريب أو بعيـــد بالحقل الاسلامى الذى أولاه أكبر اهتمامه ، فأثمر فى روضة دوحـــا يانعا يؤتى أشهى الثمار ، وينفرد بسمات خاصة لا تتاح لسواه .

لم يعرف عن الكاتب الكبـــير الاستاذ عباس محمود العقـــاد انحراف دينى فى كل ما كتب عـــلى امتداد عمره السعيد ، بل كان قلمه بمنجاة مما تورط فيه بعض الكبار من زملائه حين أخذوا فى شبابهم الاول ببعض بهارج الاستشراق ، وحين رحلوا الى أوربا فى عهد كانت فيه سيدة الشرق ومصباح النـــور عند قوم ، فنقلوا بعض ما يسمعون منبهرين ، وفيما نقلوه مـــا ينحى باللائمة ظلما وافتراء على الاسلام كان الاستاذ العقاد منذ نشـــأته الاولى بمنجاة مما تورط فيه هؤلاء ، لان فطرته الصافية قد هدته الى الطريق القويم فكان يقرأ فى كـــل اتجاه لا ليكون أسيرا لما يقرأ ، بل ليصبح صاحب الرأى الاول فيما يطالع ، لم تخدعه الاسماء المجلجلة ، ولم تعشـــه الانوار الفـــاتنة ، بل عرف كيف يميز الخبيث من الطيب عن فطرة خالصة يمـــدها البصر الثاقب ، والفكر المطمئن السديد .

لقد اتجه فى مطلع حيـــاته الى الفكر الادبى ثم الى النضـــال السياسى ، ولم ينذر نفسه للدفاع عن حقائق الاسلام منذ ملك اليراع

القوى ، والبيان الصارم النافذ ، ولكنه كان فى هذه المرحلة يستحصد ويقوى ويكابد ويعالج حتى اذا بلغ أشده ، وجاوز الاربعين شاء الله له أن يلج المضمار الاسلامى وقد ملك قوة العقل ، وسطوة البيان ، مع ايمان مطمئن لحقائق الاسلام ، ايمان تغذى بالحب والصدق والاستقلال والنزاهة ، واذا وجدت هذه الصفات مع عقل مفكر ، وخاطر واثب ، وبصر لامح فلا عجب أن يبدع صاحبها فى حقل الثقافة الاسلامية ما أبدع عباس محمود العقاد .

بين الرافعى والعقاد :

عرف اتجاه العقاد فى المنحى الاسلامى منذ كتب نقده لاعجاز القرآن الذى ألفه قريعه المبدع الاستاذ مصطفى صادق الرافعى رحمهما الله ، فقال فيما قال «فليكن كتابه (الرافعى) نموذجا فى البلاغة البدوية أو تسبيحا بالآيات القرآنية . أو تحية يقرأها المسلم فيرتاح اليها ، ويقرأها غير المسلم فلا تزيده بالقرآن علما ، ولا تطرق من قلبه أو عقله مكان الايمان والتسليم » (١) واذا كان فى هذا القول بعض الشطط حين جعل كتاب الرافعى نموذجا للبلاغة البدوية وحدها : مع أنه نموذج البلاغة العربية فى أرقى عهودها الزاهرة ذات الحضارة المثمرة ، فان منحى العقاد فى اقناع غير المسلم ، هو الهدف الذى يجب أن يوضع صوب العينين لدى كل كاتب اسلامى ، لان العقاد يرى أن الاسلام رسالة عالمية ، ويجب على من يكون من فرسانها أن يخاطب العقل البشرى كافة بمنطق العقل وحده ، لذلك جاءت كتابة عباس محمود العقاد الاسلامية مقنعة هادية لمن يتلمس الحقيقة الخالصة بعيدا عن التحيز ، وكان الفكر الاسلامى على يد العقاد صالحا للرواج فى آفاق بعيدة تتنكر للاديان بعامة ، وللاسلام بخاصة ، وأعنى بالرواج دوام النظر

---

١ ـ ساعات بين الكتب ص ١٠ ط ٤ .

والتأمل ، وان لم يدفـــــع الى الاعتناق لان الايمان لدى الكثيرين ليس قضية اقتناع بالدليل ، ولكنه ارث يمتد من الاجـــــداد الى الاحفاد لدى الكثرة الكاثرة الا من استضاء بمصباح التأمل بعيدا عن الجواذب والحوائل ، ومن يكتب له الهداية من هؤلاء يكون فى تأثيره واحدا بألف ! لقد كتب العقـــاد مؤلفاته الاسلامية جميعهـــا وفى اعتقاده أن قارئه لجوج « ملحاح » يريد الدليل المقنع ، والمنطق الجاد، ويتربص بالثغرات والمنعرجـــات ليصل منها الى ما يريد من العناد ، فكانت هذه المؤلفات جميعها نمطـــا من الجدل الهادف ، ذى الحســـم الواضح ، وقد ذكر الكاتب الكبير فى مقدمة « عبقرية محمـــد » أنه يكتب عن رسول الله بالقدر الذى يطمئن اليه المسلم وغير المسلم ، فاذا أنس القارىء من كاتبه بسطا فى الجدل ، وعمقـــا فى النقص ، وتلمسا للسيطرة الملزمة ، فليعرف أنه فارس فى ميدان ينازل فرسانا ملئوا الساحة بالضجيج عن غرض مريض •

ولسنا هنا فى مجـــال السرد لمؤلفات العقاد الاسلامية وقد ناهزت الاربعين كتابا ، يحتاج كل كتـــاب منها الى بحث مستقل، ولكننا نسلط الاضواء على اتجاهه الفكـــرى فى الطريق الاسلامى ، حين نختار من هذه المؤلفات ما يقرب فكره الدينى تقريبا ملموسا لمن أراد الاطـــلاع السريع ، وقد تحدث الكاتب الكبير عن حقائق الاسلام فى عدة مؤلفات، وعن أباطيل خصومه فى مؤلفـــات أخر على التفصيل ، وان تعرض لهذه الاباطيل اجمالا فى حديثه عن حقائق هذا الدين ، كما تحدث عن حالة الاسلام المعاصر مقارنا بمـــا كان من مجده السالف ، وعـــزه الغابر ، ومتطلعا الى مســـتقبله المشرق باذن الله ، أما حديثه عـــن أعلام الاسلام فقد اشتهر اشتهارا ذائعا اذ كان ولايزال موضـــع الدراسة لطلاب التعليم الثانوى فى مدى فسيح ، وقد حظى من التقدير والاحتفاء بما لم يحظ به جـــانب آخر من جوانب الحقل الاسلامى ، لان حديث الاعلام ذو جـــواذب وجدانية تجعله أكثر بريقا ، وليس

معنى ذلك أنه يفوق فى مادته العلمية شتى الجوانب الاخرى ولكن معناه أن الحظ السعيد قد مضى به الى أفق فسيح •

وسنختار فى مجال الحديث عن حقائق الاسلام ماكتبه تحت عنوان (حقائق الاسلام وأباطيل خصومه) وتحت عنوان (الفلسفة القرآنية) وتحت عنوان (التفكير فريضة اسلامية) لان هذه البحوث تدور فى فلك واحد ، وبعضها مكرر معاد ، ولكن تكرار العقاد لا يعنى اعادة السابق كما مر ، ولكنه يعنى التفصيل للمجمل والتوضيح للغامض ، والايجاز للمسهب ، لدواع يتطلبها موقف دون موقف ، والنظرة الفاحصة لكتاب (حقائق الاسلام) تدل على أنه كتبه للخاصة أولا ، وقد تملكه شعور بأن كتابه سيترجم الى عدة لغات (وهذا ما قام به المؤتمر الاسلامى فعلا) وسيقرؤه نفر كثير من خصوم الاسلام ، وفى هؤلاء الخصوم من يرتفع بذكائه الى مستوى سقراطى بحيث لايعييه أن يمارى فى سطوع الشمس اذا شاء ، لذلك نجد الطابع الفلسفى الرصين يعم هذا الكتاب الثمين فى كل ما تعرض له الكاتب الكبير من بحوث ، نجده فى الباب الاول حين تحدث عن حقيقة الدين، وعن ضرورته اللازمة فى الحياة ، فذكر أن أكبر الشبهات التى تعترض عقول المتشككين والمفكرين شبهتان ، هما شبهة الشر ، اذ لا يستطيعون التوفيق بين وجود الشر فى العالم ، وبين الايمان بالله رحيم قدير فى جميع الصفات ، وشبهة الخرافة فى كثير من العقائد الدينية حين تعجز بعض العقول عن التوفيق بين العقائد وبعض المحسوسات والمعقولات ، والمدار مدار فلسفى جاد سبق فيه الباحث سبقا يعتمد على الحجة العقلية والنقاش المفحم ، وقارىء هذا الفصل يجده دفاعا عن حقيقة الاديان السماوية بعامة ، وعن الاسلام بخاصة باعتباره الصورة الصحيحة لدين الله منذ نزل من السماء الى الارض ، وقد اكتمل اكتمالا وضيئا على يد محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، وقد أصاب الكاتب مفصل الحق

حين وازن بين الاسلام وغيره ، فذكر أن الديانة (أى ديانة) تفضل سواها بمقدار شمولها لمطلب الروح وارتقاء عقائدها وشعائرها فى آفاق العقل والضمير ، وكـــذلك كانت الديانة الاسلامية كما آمنا بها ، ملة لا تفضـــلها ملة فى شـــمول حقائقهـــا ، وخلوص عبـــادتها وشـــعائرها من شـــوائب الملـــل الغـــابرة حـــين حرفت عن مسارها الصحيح ، اذ أن بعض العقائد يصيب النفس بما يشبه داء الفصام لانه يقسم الشخصـــية الانسانية على نفســـها ، ويمزق الضمير الحائر بين نوازع الجسد ، ونوازع الروح ، وبين ســـلطان الارض وسلطان الســـماء ، وبين فرائض السعى ، وفرائض العبادة ، وشمول العقيدة الاسلامية هو الذى يعصم ضمير المسلم من هذا الفصام الروحانى ، وهو الذى يعلمه أن يرفع رأسه حين تدول دولته أمام المسيطرين عليه ، وهو الذى يحفظ كيان الدولة الاسلامية أمـــام الضربات التى تلاحقت عليها مـــن غارات الفاتحين والاســـتعمار والحروب الصليبية والتبشير •

ثم أفاض الباحث افاضة مشبعة عن العقيدة الالهية فى الاســـلام فوازن بين الاله فى رأى افلاطون وأرسطو مبينا خطأ الاثنين معـــا وهما من أصحاب العقول المثالية ، واستعرض عقائد الهنود والمصريين منتقلا الى ما يدين به أهل الكتاب فى افاضة واشباع لينتهى الى أن الله رب العالمين فى الاسلام لم يكن صورة محرفة من صورة اللـــه فى العقائد الكتابية كما يوحى بذلك بعض المبشرين بل كان هـــو الأمل الذى يئوب اليه من ينحرف عـــن العقيدة فى الاله الكامل كأكمـــل ما كانت عليه ، وكأكمل ما ينبغى أن يكـــون •

ووالى الحـــديث عن النبوة فى القديم والحديث ليرى أن النبوة فى الاسلام كانت كمال النبـــوات وختام الرسالات عن حق صريح ثم تحدث عن الانسان والشـــيطان حديثا يجمل ما فصله فى كتـــابين مستقلين عن الموضوعين ، وخص العبـــادات والمعاملات بفصـــلين رائعين ، وجاء الفصل الثالث ليعمد

الى اللباب من حقـائق التشريع ، فيتحدث عن الحرية الاســلامية والامة والاسرة والـرق ، وزواج الرسول ، وحقوق الحـرب فى الاسلام وحق الامام ، وقد أكثر من الشواهد والنقول عن أئمـة الاسلام من المحافظين والمجددين معا ليبين أن هؤلاء الاعلام مـع اختلاف مناحيهم فى التحـديد والمحافظة قد فهموا جوهر الاسلام، عن ادراك واع صحيح فلم يحدث بينهم من الاختلاف ما نراه لـدى بعض النحـل المخالفـة حين يقف المفكر من أخيه فى ساحة الـدين الواحد موقفالنقيض من النقيض! أما الفصل الرابع فقد تحدث عـن الاخلاق والاداب حـديث المثقف المعاصر ، وقد كان المؤلف صريحـا حين ذكر فى خاتمة كتـابه أنه لم يؤلفهليبشر بالاسلام هؤلاءالماديين المتعطشين الى انكـار كل معنى شريف من معانى الحياة البشرية ، ولكنه كتب هذا المؤلف للمتـدين المنصف الذى ينظر الى دينه نظرة واعية ثم للمسـلم الذى يتلقى حملات الخصوم ليعلم أنه حقيق بالاطمئنان الى حقيقـة دينـه ، وبمواجهةالمستقبل بعزيمة وايمان.

أما كتاب الفلسفة القرآنية فقد تحدث عن أكثر ما جاء فى كتـاب الحقائق ، وهو حديث اذا اتفق فى النتائج والنصوص والاحـداث التاريخية قد اختلف فى السـياق والتركيب وتعدد التناول النظـرى للحقائق ، وقد ذكر العقاد أنه فى كتابه هذا بين صلاح العقيـدة الاسلامية لحياة الجماعة البشرية ، وأن الجماعات التى تدين بها انما تستمد حاجتها من الـدين الذى لا غنى عنه ، ثم لا تفوتها منـه حاجتها الى العلم والحضـارة ولا استعدادها لمجاراة الزمن حيثما اتجـه بها مجراه .

وقد جاء الباب الاول ليتحـدث عن القرآن والعلم ليوضـح أن الاسلام يفتح أبواب المعرفـة للمسلمين ، ويحثهم على ولوجهـا والتقدم فيها ، وقبول كل مستحدث من العلوم على تقـدم الزمن ، وليست فضيلته الكبرىأنه يقعدهم عن البحث والنظر كمـا يزعم الواهمون . وتوالى الحديث عـن

الاسباب والخلق ، وعن الاخــلاق المثلى فى منطق الاسلام ورجوعها الى المصدر الالهى وحده ، لانها فى مناطها الاعلى لاتتعلق بمنفعــــة المجتمع ، ولا باستطاعة القـــوة ، ولا بالقانون والسلطان ، بل تتعلق فوق ذلك كله بما فى الانسان مـــن حب للجمال ، وشوق الى الكمال ، وكلاهما نفحة من الخالق يهتدى بها الاحياء عامة فى معارج الرفعــــة والارتقاء .

وفى الحديث عن الطبقات أوضح الباحث الكبير كيف أعطى القرآن بنصوصه المفصلة المساواة حقها ، كما أعطى التفاوت بين الاحـــاد والطبقات حده ،فلا يمتنع التفاوت، ولا يكون مع هذا ســـببا للظلم والاجحاف بالحقوقبل سببا لاعطاء كل ذى حق حقـــه ، ولو كان من المستضعفين فى الجنس ، أو مـــن المستضعفين فى المنزلة الاجتماعية، وقد اتسع الحديث لنقد الشيوعية نقدا واعيا بصيرا ، وهو حـــديث صحب العقاد فى شتى مراحل حياته عن ثقة وايمان ، وربما كان كتابه عن (الشيوعية والانســـانية فى شريعة الاسلام) من أوفى وأدق ما كتب فى موضوعه ، وهو حديث يفصح عن خلق العقاد الشـــجاع قدر ما يفصح عن عقله النافـــذ البصير .

ولا نقف عندما قال عن المـــرأة والزواج فى الفلسفة القرآنية اذ أن العقاد أفرد لذلك كتابا مستقلا ، ولكننا نشير الى أن قارىء هذين الموضوعين فى كتاب الفلســـــفة القرآنية يشعر أن الكاتب الكبـــير سيد الموقف ، وأنه حين يوجـــــز الحديث يطوى من المعانى مايلحظه القارىء البصير من خلال السطور، أما حين يبسط الحديث فى الموضوع نفسه ، فأن القارىء البصير يشعر براحة نفسية اذ يجد ما استشعره من خلال الكلمات قد جاء مبسوطا مسهبا ، ومعنى الاسهاب لـــــدى العقاد يختلف عن معناه لدى سواه، لان اسهاب العقاد هو استرســـال فى الحجة واستطراد فى الاقناع ، واحاطة بالموضوع من كافة نواحيه وليس قطا لالفاظ تتسع وتمتد دون أن تضيف الجديد ، واذا أضافت شيئا فليس بالرائع الباهر .

الفلسفة القــرآنية :

وفى كتاب الفلسفة تقرير لحقائق قوية عن الرق فى الاسلامومقارنــا بسواه وعن العلاقـــــات الدولية ومسألة الروح والقضاء والقدر ، والتصرف ، والحياة الاخرى، وكلها بحوث عويصة لم تكتب بالسهولـة التى يظنها القارىء حين يستمرىء طعاما شهيا قد نضج عـــلى ناره الهادئة ، فيظن أن طاهيه لم يتكلف شيئا ! ولكنه لو أحاط علما بما قرأ الكاتب الكبير حين قدم هـــذه الفصول من مراجع فلسفية ، ذات استعصاء ، لادرك أى عناء كان ، وطبيعى أن يكون عناء التحدث عن القضاء والقدر والروح والمـــادة والحياة الآخرة والجنة والنـــار وموقف الحساب والعقاب ، وأمثال هذه الشوائك الدقيقة مما يتطلب برهانا قويا ، لان العقاد لا يجعل النص وحده دليله بل يجعل العقل مفسر النص ومؤيده وهاديه ! وقد يضطر القارىء الى مخالفة الكاتب الكبير فى بعض اتجاهاته كما جاءفى بعض حديثه عن نعيم الجنـــة الروحى ولكنها مخالفة من يقـــدر وجهات النظر واعتماد الباحث على نصوص قويـــة الأئمـــة كبـــار من المفسرين والمتكلمين ، بلغوا الذروة الشاهقة فى دنيا النظر الصـــائب والجدل السديد ، مع مقـــارنات طريفة بين ما قاله أعلام الاسلام وأحبار الديانات الاخرى تنتهى الى قول العقاد الدقيق « اذا أعطينـــا أسلوب العقيدة حقه من التعبير ، ففى العالم الآخر كمـــا يدين به المسلم رضا للوازع الأخـــلاقى ، ورضا لدوافع التفكير ، ورضـــا لعقيدة الدين » .

أما كتاب (التفكـــير فريضـــة اسلامية) فقد كتبه العقاد متأففا من قوم يدعون أنهم درســـــوا الاسلام وتبطنوا حقائقه فـــرأوه يدعو الى الانقياد والتسليم دون تفكير وتأمل : وهؤلاء يكذبون عن عمد حين يزعمون أنهم درســـــوا الاسلام ، وانتهوا الى نتيجتهـــم الباطلة ، لأن دارس الاسلام لابد أن يقف على نصــــوص القرآن والحديث وتطبيق السلف لما جـــاء بهما ! وكل ذلك يدل دلالة صريحـــة على أن الاسلام دين العقل ، ولكن

المغرضين من هؤلاء يبذلون أعنف الجهد فى جمـــع مايوحى ببعض التعارض من النصوص ، للوهلـــة الأولى محاولين أن يضربوا الاقوال بعضها ببعض ليجبروا القارىء على أن يعتقد أن الاســـــلام يقف فى طريق التفكير ، لهـؤلاء وأمثالهم أعاد المؤلف الكرة ليجمع فى كتاب واحد ما يؤكد أن التفكير فريضـــة اسلامية محتومة ، وأن مزية القرآن الأولى ، هى التنويه بالعقـــــل والتعويل عليه ، فالعقل لايذكر فى كتاب الله ! الا فى مقـــام التعظيم والتنبيه الى وجوب العمـــــل به ، والرجوع اليه ولاتأتى الاثارة اليه عارضة ولا مقتضبة فى سياق الآية بل هى تأتى فى كل موضــــع من مواضعها مؤكـــــدة جازمة باللفظ والدلالة ، ومن خصائص العقـــــل ملكة الادراك التى يناط بها الفهـــم والتصور ، كما أن من خصائصـــه أنه يتأمل فيما يدركه ويقلبه على وجوهه ، ويستخرج منه بواطنـــه وأسراره ليعرف كيف يهتدى الى الحكم الصحيح ، والرشد من أعلى خصائص العقل الانسانى اذ هـــو تمام تكوينه وثمرة وجوده ، ثـــم يكثر الأستاذ من النصـــــــوص القرآنية الصريحة فى تأييد ذلك كله ليصل الى أن العقل الذى يخاطبه الاسلام هو العقل الذى يعصـــم الضمير ويدرك الحقـــائق • ويميز بين الأشياء ويوازن بين الأضداد حتى يصل صـــــــاحبه الى مرتبة الحكمة (**ومن يؤت الحكمـــة فقد أوتى خيرا كثيرا**) •

وفى باب الواقع والأعذار تحدث الكاتب عما يمنع أشعة العقل مـــن النفاذ الى الحقائق ، وأكبر هـــذه الموانع عبادة السلف فى عــــــرفها السائد ، والاقتداء الأعمى بأصحاب السلطات الدينية ، والخوف المهين من أصـــحاب السلطة الدنيـــوية ، والاسلام يأبى على المرء أن يحيل أعذاره على الســـــلف من الآباء والأجداد ، كما يأبى له الخضوع الى ذوى الكهانة من المحترفيـــن ، ويدعو المسلم الى الجهاد والهجرة فرارا بعقيدته من الاضــــــطهاد ، وصفوةالقول ــ فى منطق العقل ــ أن الاسلام لا يعذر العقل الـــذى ينزل عن حق الانسان رهبة للقوة

أو استسلاما للخديعة ولا حـدود لذلك الا حدود الطاقة البشرية كما تنهض بهـا الأمم دون أن تقتصر على طاقة فرد •

عن المنطق :

وفى مجال اكبار العقل تحـدث الكاتب عن المنطق باعتباره جامعا لأسباب النظر والتمييز ، وقد فرق فى دقة بالغةبين المنطق والجدل ، فالمنطق فى أصل وضعه علم يبحث عن الحقيقة منطريق النظر المستقيم والتمييز الصحيح ، أما الجـدل فيبحث عن الغلبة والالزام بالحجة وقد يتحرى مجرد السبق والفوز فى مجال المناقضة دون نظر الى الحق فى ذاته ، وكل ما يشير الى كراهة المنطق فى بعض أقوال الأئمة مـن السابقين يختص بالجدل وحده ، لأنه فى كثير من أموره لجاج وعناد وتطاول ، أمـا المنطق العاصم من الشبهة ، والمانع من الخطأ ، فلن يكرهه أحد ، وقد استشهد العقاد بنصوص صريحة للغـزالى وابـن تيمية والسيوطى تعضد دعواه ثم جال القلم الجبار جولاته الموفقة متحدثا عن الفلسفة والعلم والفـن الجميل ، وعن المعجزة والاجتهاد فى الدين وعن فنون تتعلق بالتصوف والمذاهب الفكرية والاجتمـاعية والعرف والعـادات ، لينتهى الى أن التفكير الصحيح واجب محتوم فى الاسلام ، وليقول انه ليس من روح الدين الحنيف أن يجمد المؤمن على عادة موروثة لأنها عادةموروثة فحسب ،وليس من روحه أن يرفض عادة جديدة لأنها عادة جـديدة فحسب ، ولكن المسلم يعتصم من روح الاسلام بحصافة تعيذه من سحر الغلبة ، فلا تهوله بروعتها ، وتلك مفخرة للاسلام تتمناها الامم متى اختارت لنفسـها الصراط القويم •

دكتور

محمد رجب البيومى

منهج الحكيم الترمذى

فى الحديث والفقه

للدكتور/ محمد ابراهيم الجيوشى

– ٢ –

(ب) الحكيم المحدث :

ظهرت عناية الحكيم الترمذى بالحديث منذ صباه الباكر ، فقد كان أبوه – محدثا ، وروى عنه احاديث كثيرة فى كتبه المختلفة ، وقد كانت امه كذلك ذات اهتمام بالحديث ، وروى عنها حديثا فى كتابه الرد على المعطلة (١) وكذلك كان جده ولعله جده لامه ، هذا الجو الأسرى العام الذى أحاط بالحكيم منذ صغره لفت نظره منذ الصبى الى طلب الحديث رواية ودراية ، وقد أخذ عن كثير من شيوخ المحدثين فى عصره ، وقد تبين من تتبع شيوخهمن المحدثين انهم بلغوا السبعين ومائة ، وان دل ذلك على شىء فانما يدل على مدى العناية والاهتمام اللذين أولاهما الحكيم لعلم الحديث ، وليس عجيبا بعد ذلك أن يلقب بالمحدث فقد اضفى عليه ذلك الوصف كثير من الذين ترجموا له ، ويصفه الذهبى فيما يصفه بقوله « الحافظ » (٢) وقال عنه أبو نعيم : كتب الحديث مستقيم الطريقة ، يرد على المرجئة وغيرها من المخالفين . تابع للآثار (٣) ويقول عنه السلمى : كتب الحديث الكثير ورواه (٤) .

---

(١) مخطوط الاسكندرية ورقة ٨٨ ب .
(٢) تذكرة الحفاظ جـ ٢ ص ١٩٧ .
(٣) حلية الاولياء جـ ١٠ ص ٢٣٢ طبع الخانجى .
(٤) طبقات الصوفية ص ٢١٧ تحقيق شريبة .

وقال عنه ابن السبكى : المحدث .. سمع الكثير من الحديث بخراسان والعراق (١) وقد نقل ابن حجر ما قاله عنه ابن النجار فى ذيل تاريخ بغداد فقال : كان اماما من أئمة المسلمين ، له المصنفات الكبار فى أصول الدين ومعانى الحديث وقد لقى الأئمة الكبار وأخذ عنهم ، وفى شيوخه كثرة (٢) .

وقال عنه شارح الرسالة القشيرية : انه من أقران البخارى وفى شيوخه كثرة (٣) وقد أخذ عنه الحديث جماعة من علماء خراسان رووا عنه كتابه المشهور .. نوادر الاصول فى معرفة أخبار الرسول.

وقد انعكس المام الحكيم الشامل بالحديث رواية ودراية علىطريقة تفكيره وهيأ له اطلاعه الواسع على الحديث مادة غزيرة يشرح بها آراءه ، ويقرر أفكاره فى التصوف ، ولا يخلو كتاب من كتب الحكيم من مجموعة من الاحاديث مروية بأسانيدها بل لا تخلو صفحة مما كتب من حديث أو أكثر يرويه فى تأييد أو شرح الفكرة التى يتناولها ويحاول تجليتها ، وبالاضافة الى هذا فقد ترك كتبا تقوم أساسا على — الحديث جمعا ورواية أو رواية ودراسة وهذه هى الكتب التى خصصت بأكملها للحديث أو كانت دراسة لأحد موضوعاته :

١ — المنهيات وكل ماجاء من حديث بالنهى — مخطوط

٢ — نوادر الأصول فى معرفة أخبار الرسول — مطبوع

٣ — الفرق بين الآيات والكرامات — مخطوط

٤ — الامثال من السنة جزء من كتاب الأمثال من القرآن والسنة (مخطوط) .

والمستعرض لآثار الحكيم فى الحديث يرى أنه لم يسلك الطريق

---

(١) طبقات الشافعية جـ ٢ ص ٢٠ الطبعة الاولى .

(٢) لسان الميزان جـ ٥ ص ٣٠٨ طبع حيدر آباد .

(٣) شرح الرسالة القشيرية وشرحها المسمى نتائج الافكار القدسية جـ ٢ ص ١٦٤ .

التى تعارف عليها المحدثون من قبل والتى تقوم على جمع الأحـــاديث وانتخابها وتبويبهـــا ، بل اتجـــه اتجاها آخر نابعا من منهجه العام الذى أخذ به فى تآليفه القرآنية ، ذلك أنه كان يعمد الى موضوع من الموضوعات فيستوعب الأحـــاديث التى جاءت فيه ، ويحشدها جميعا فى كتاب واحد حتى لا يدع مجالا للشك فى صحة ما يدعـــو اليـــه ، وأحيانا يكون عمله قـــاصرا على جمع الأحاديث فقط من غـــير أن يتبعها بشرح واستنتاج كفعله فى كتاب الرد على المعطلـــة ، الـــذى حشد فيه كل ما وقـــع عليـــه من أحاديث ترد ما ذهب اليه المعتزلة من قولهم بنفى الصفات وتـــؤيد وجهة نظر أهل السنة الذين يثبتون الصفات لله سبحانه ، وأوضح أن موضوع الكتـــاب داخـــل فى علم الكلام وهـــو اثبات الصـــــفات أو نفيها ، ولكن الجهد الذى بذل فى جمـــع الأحـــاديث وروايتهـــا بأسانيدها هو جهد محدث .

اما المجموع الثانى فهو ، كتاب المنهيات وكل ماجـــاء من حـــديث بالنهى فالذى يوحى به عنـــوان الكتاب ان الحكيم عمد الى طائفة من الأحاديث التى تناولت أمـــرا منهيا عنه وحشدها جميعا فى سياق واحد ، الا أنه اتجـــه هنـــا الى احصاء الامور المنهى عنها مبينـــا أسباب النهى كاشفا عن الاضرار التى تلحـــق بالشـــــخص اذا ما خولفت هذه المنهيات ، وعملـــه هنا على العكس من المجمـــوع الأول ، فهناك ترك الأحـــاديث تعطى القارىء ما يريد المؤلف أن يقوله بدون تدخل منـــه بشرح أو استنتاج ، وهنا يتدخل شارحـــا موجها معللا لماذا كـــان النهى عن أمر من الامور .

أما المجموع الثالث فقد طبع فى تركيا منذ حوالى تســـعين عـــاما وبالتحديد سنة ١٢٩٣ هـ وقد عمد الحكيم فى هذا الكتاب الى جمـــع مائتين وواحد وتسعين حديثا اعتبر كلا منها أصلا من الأصـــول التى يحتاج اليها المسلم فى ســـــلوكه وسعيه ومعاملاته وعباداته، وهو هنا يأتى بالحـــديث ثم يأخـــذ فى شرحه شرحا وافيـــا مســـتفيضا

يستخلص منه ما يراه من معان وأسرار ، وفى شرحه هذا يخوض فى كل المعارف الدينية الظاهرة والباطنة • ويكشف عن أسرار النفس والقلب وجوهر العبادة والسلوك ، وينتقل بين أنواع العلوم من فقه الى تفسير الى توحيد الى كشف عن خبايا النفس وأسرار القلوب ، وأنواع المعارف والعطايا الالهية ، والاتجاه الصوفى فى كل هذه المجالات هو الميزان الذى يزن به الأمور ، ويحكم به على سير القلوب وسيرها ، ومن خلال عرضه لهذه الأصول قد ألم بكل الأفكار الصوفية التى أخذ على عاتقه تجليتها والابانة عن مراميها مثل الولاية والاولياء ، وطبقاتهم والوحى ، والحديث ، والالهام ، والفراسة ، وما الى ذلك مما لا يسمح المجال هنا بحصره •

موقف الحكيم من قبول الحديث أو رفضه :

وللحكيم رأى فى قبول الحديث أو رفضه جاء به فى كتابه نوادر الاصول فقد عقد فصلا عن صدق الحديث افتتحه بحديث يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا حدثتم عنى بحديث تعرفونه ولا تنكرونه قلته أو لم أقله فصدقوا به ، وانى أقول ما يعرف ولا ينكر ، واذا حدثتم عنى بحديث تنكرونه ولا تعرفونه، فكذبوا به فانى لا أقول ما ينكر ولا يعرف » وفى اتيان الحكيم لهذا الحديث فى صدر الأصل ٤٤ ما يدل على رأيه فى تقويم الأحاديث ودورانها بين القبول والرفض ، فهو يرى أن الحديث الذى يقبله العقل ويستسيغه تصح نسبته الى النبى صلى الله عليه وسلم قاله أو لم يقله ، وأما ما يرفضه العقل ويأباه فلا يقبل نسبته الى النبى صلى الله عليه وسلم والمبدأ الذى قرره الحكيم فى مجموعه مقبول الا أن المشكل فيه قوله « قلته أو لم أقله » فكيف يطلب التصديق بنسبة حديث الى النبى وان كان لم يقله ، ؟ ويبين الحكيم هذا فيقول :

أن الرسول وان لم يقل لفظ

الحديث المروى الا أن أصله ومعناه وارد عنه قطعا ، ما دام ليس فيه ما يصادم العقل ، وقد جعل المقياس فى ذلك اطمئنان القلب لما يروى وعدم اطمئنانه .

ثم أخذ فى تطبيق هذا المبدأ بأن أورد عددا من الأحاديث المقبولة لتلقى القلب لها بالقبول ، وعددا من الأحاديث المرفوضة لموقف القلب منها .. موقف الرفض والانكار (١) وقد يقوى وجهة نظر الحكيم هنا الحديث المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى يقول فيه :

« استفت قلبك وان أفتاك الناس وأفتوك » .

(جـ) الحكيم الفقيه :

لم ينتسب الحكيم الى مذهب من مذاهب الفقه الاسلامى المشهورة وان كان ابن السبكى فى كتابه طبقات الشافعية قد عده من علماء الشافعية ، ولكن المتتبع لكتابات الحكيم فى حقل الفقه لا يجد فيها اشارة من قريب أو من بعيد الى انتسابه لهذا المذهب أو ذاك ، وتجد فى بعض رسائله نقدا لاذعا لطائفة من الفقهاء يستغلون معارفهم الفقهية لنيل مغنم دنيوى ، أو الحصول على كسب مادى ، وهذا النقد نابع من اتجاهه العام الذى يرى أن المعرفة لابد أن تنعكس آثارها على منهج العالم وسلوكه ، والعلم النافع هو الذى يهدى صاحبه الى الطريق الموصل الى الله سبحانه ومعرفته، وقد عاب الحكيم أصنافا من العلماء يفنون حياتهم فى دراسة خلافات الناس ومشاكلهم لأن ذلك يشغلهم عن الهدف الاول للمعرفة وينعكس أثر هذه المشاكل على سلوك الدارسين لها حتى أنهم لا يجدون لأنفسهم فرصة للتدبر والتمعن فى آيات الله والاهتداء بهدى النبى صلى الله عليه وسلم خلال أقواله وأفعاله ولذلك تظلم قلوبهم وتقسو فلا تستشعر برد الهدى . ولا تبصر ضياء المعرفة ، وقد ذكر

---

(١) نوادر الاصول الاصل ٤٤ ص ٥٩ .

الحكيم أصحاب أبى حنيفة كأمثلة لهؤلاء الصنف من العلماء الـذين يضيعون اعمارهم فيما لا ينفع من العلم ولا يهدى صاحبه الى الحق، وقد ذكر طائفة من المسـائل التى تبين عن هـذا المذهب المذموم ، وتعتبر استغلالا سـيئا للعـلم ، وسماها المسائل العفنة ، حشد فيها طائفة من الأمور التى يلجأ الفقهاء فيها الى استعمال الحيل للخروج ظاهريا من الالتزامات المترتبة على هذه الاحكام سواء كانت التزامات أدبية أو مادية ، ويقصد بعرضها مجتمعة أن يعطى أمثلة لسـوء استغلال المعرفة بالأحكام الفقهية.

وقد كتب الحـكيم عـددا من الكتب والرسائل تتصـل مباشرة بموضوعات فقهية الا أن الملاحظ عليها عـامة أنه يعنى أولا بابراز الآثار والاهداف الروحيـة التى تعود على المرء من القيـام بألوان العبادات المختلفة بصرف النظر عن التفريعـات التى أولاها الفقهـاء عناية خاصة .

وثانيا يحاول أن يكتشـف عن العـلل التى من أجلهـا جـاءت العبادات على الصـورة المعروفة وثالثا : يبنى أغلب هذه التعليلات على ماجاء عن النبى صلى الله عليه وسلم من أحاديث تتعلق بالموضوع الذى يناقشه .

رابعا يتحـدث عن الآفات التى تعطل هـذه العبادات عن تحقيق الأهداف الروحيـة المقصـودة والآثار النفسية المترتبة عليها .

العالم .. والفقيه

وليس عسيرا على الدارس أن يلمس سيادة التفكير الصوفى على هذا الجانب من كتابات الحكيم كما هو الحـال بالنسـبة للجـوانب الأخرى ، والحكيم يرى أن هناك فرقا بين العلم والفقه وبين العالم والفقيه .

« فالفقه هـو معـرفة الشىء بمعناه الدال على غيره ، والعـلم هو تجلى الأشياء له بنفسها ولذلك يوصف الله تعالى بالعـلم ولـم يوصف بالفقه (١) » والذى يفهم

---

(١) مخطوط ليبزج ورقة ٦٦ .

مراد الله فى الأشـــياء حسب ما يمنحه من توفيق فى تعظيم أمره سبحانه واجتناب نهيه هو الفقيه فى أصول الدين وفروعه •

والفقـه فى الحقيقة هو فقـه القلب • كما قال النبى صلى اللـه عليه وسلم « رب حـامل فقه الى من لا فقه له ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه » •

والفقه فى الدين هو النور الذى يقذف الله تعـالى به فى قلب عبده المـؤمن مثـل السراج يبصر به ، والفقيه الذى نور الله قلبـه بنور البصر ، هو الذى أشار اليه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : اذا أراد الله بعبد خيرا فقهه فى الدين، وبصره عيوب نفسـه وبصره بداء الدنيا ودوائها ، واستنباط الفقيه فى الاحكام هو استنباط المسـائل على موافقة السنة واقامة الشريعة، واستنباط الفقيه فى باطن العلم هو استنباط الخـواطر على موافقـة الحقيقـة ومشـاهدة الربوبية ويتضـح الفـرق بينهمـا فى استنباط معنى فى الباطن والظاهر لآية ما يوجب ظاهرها حكما ويكون تحت ظاهرها من العبـارة التى فى باطنها اشارة وعلم فيستنبط الفقيه ما يـوافق حجـة الله تعـالى ، ويستنبط الحكيم ما يوافق مـراد اللـه تعـالى ، ويهـدى الى محجته (١) •

ولهذا يرى الحـكيم أن ادراك علل العبادات انما يأتى من طريق الحـكمة التى يمنحهـا اللـه عباده (٢) •

ومؤلفـات الحكيم فى الفقـه وفلسفته وأصول أحكامه هى :

١ ــ اثبات العـلل فى الامـور والنهى مخطـوط ولى الـدين وخراجى اوغلو •

٢ ــ الحج وأسراره مخطـوط بباريس • وطبع أخـيرا بمعـرفة حسنى زيدان •

٣ ــ سبب التكبير للصـلاة مخطوط خراجى أو غلو •

٤ ــ شرح الصلاة ومقاصـدها

« البقية على صفحة ١٠٩٣ »

---

(١) بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩
(٢) اثبات العلل مخطوط ولى الدين ورقة ٣٨ •

طرائف .. ومواقف

إعداد عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

خشية من رسول الله

بكى عمرو بن العاص قبيل وفاته !! .

فقال له أحد الحاضرين : ما يبكيك أجزعا من الموت ؟ .

فرد قائلا : لا جزعا من الموت ، ولكن خشية من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

اذا لقيته أن أكون قد قصرت فى عهده ، أو ظلمت أحدا من عباد الله ، وقد أسلمت وما استطعت أن أملأ عينى منه حياء واجلالا فكيف أقابله فيسألنى عن أمته ، وقد أكون نسيت أو أخطأت .

٥ × ٥

وضع الله ــ سبحانه وتعالى ــ خمسة فى خمسة :

العز فى القناعة ، والذل فى المعصية ، والهيبة فى قيــام الليل ، والحكمة فى بطن جائع ، والغنى فى ترك الطمع .

مــراتب الذكر

قال بعض المفسرين فى تفسير قوله تعالى : « فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات .. »

الظالم لنفسه : هو الذاكر بلسانه فقط .

والمقتصد : هو الذاكر بقلبه .

والسابق : هو الذى لا ينسى ربه .

حسن تعـزية

لما مات العباس بن عبد المطــلب ـ رضى اللــه عنه ـ جلس ولده عبد الله للناس يعزونه ، فجاء أعرابى ووضع يده فى يده ، وقال :

اصــبر نكن بك صــابرين فانمــا
صبر الرعيــة بعــد صــبر الراس
خــير من العبــاس أجرك بعــده
واللــه خــير منــك للعبــاس

حقـــًا

أولها عناء ، وآخرها فناء ، فى حلالها حســـاب ، وفى حرامها عقاب ، من أمن فيها سقم ، ومن مرض فيها ندم ، ومن استغنى فيها فتن ، ومن افتقر فيها حــزن .

هى : « الدنيــا » !!

شركة الأبدية منها

قال الامام الغزالى : تلاوة القرآن حق تلاوته هـو أن يشترك فيه :

اللسان ، والعقل ، والقلب ·

فحفظ اللسان : تصحيح الحـروف بالترتيل ، وحفظ العقل : تفسير المعانى ، وحفظ القلب : الاتعاظ والتأثر ·

فاللسان يرتل ، والعقل يترجم ، والقلب يتعظ ·

قيل ...

امتداح المرأة قبل الزواج من قبيل العطف ، أما امتداحها بعد الزواج فهو من قبيل الضروريات للمحافظة على الهناء العـائلى ·

وصية فى ليلة الزفاف

قالت أعرابية توصى ابنتها ليلة زفافها :

انك فارقت بيتك الذى منه خرجت ، وعشك الذى فيـه درجت ، الى وكر لا تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فكونى له أمة يكن لك عبدا ، واصطحبيه بالقناعة ، وعاشريه بحسن السمع والطـاعة ، ولا تعصى لـه أمرا ولا تفشى له سرا وكونى أشد الناس له اعظاما ، وآثرى هواه على هواك ·

متى الامتحان ؟ وفيم ؟

يختبر ذو البأس : عند اللقاء ·
والأهل : عند الفاقة ·
والاخوان : عند النوائب ·
وذو الامانة : عند الأخذ والعطاء ·

من هو ؟

قوام كل مائل ، وقصد كل حائر ، وصـــلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصفة كل مظلوم ، ونصرة كل ملهوف ·
يسمع كلامه الله ويســمعهم ، ينظر الى الله ويريهم ، ينقاد الى الله ويقـودهم كالقلب بين الجـراح تصـلح بصلاحه ، وتفسد بفساده ·

« الامام العادل »

دعـاء

اللهم انى أعوذ بك : من علم لاينفع ، ومن قلب لايخشع ، ومن عين لا تدمع ، ومن دعاء لا يسـمع ، أعـوذ بك من هؤلاء الأربع ·

عبد الحفيظ محمد عبد الحـليم

بقية موضوع ترشيد الانفاق

أما بالنسبة للشراب فقد حرم الاسلام شرب الخمر وما اشتق منها وما شابهها وقد جاء تحريم الخمر فى قوله تعالى : « **انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** » سورة المائدة آية ٩٠ .

*** التوسط والاعتدال فى الانفاق على الاستهلاك :**

يهدف النظام الاقتصادى فى الاسلام الى تحقيق رفاهية المجتمع ودعم قدرته الاقتصادية بصفة مستمرة حتى يتمكن من تحسين مستويات المعيشة ، ولا يمكن أن يتحقق ذلك الا بالاعتدال والتوسط ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول « **خير الأمور أوسطها** » (١) .

ويقول الله تعالى « **ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا** » سورة الاسراء الآية ٢٩ يقول العلامة ابن كثير فى تفسيرها يقول تعالى آمرا بالاقتصاد من العيش ذاما للبخل ناهيا عن السرف « **ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك** » أى لاتكن بخيلا منوعا لا تعطى أحدا شيئا « **ولا تبسطها كل البسط** » أى ولا تسرف فى الانفاق فتعطى فوق طاقتك وتخرج أكثر من دخلك فتقعد ملوما محسورا أى فتقعد ان بخلت ملوما يلومك الناس ويذمونك ويستغنون عنك» .

وقال صلى الله عليه وسلم « **كل واشرب والبس وتصدق فى غير سرف ولا مخيلة** » « أخرجه أبو داود وأحمد » .

وهذا الحديث يدل على تحريم الاسراف فى المأكل والمشرب والملبس والتصدق ، فهو جامع لفضائل تدبير الانسان نفسه ، وفيه تدبير مصالح النفس والجسد فى الدنيا والآخرة .

مجدى عبد الفتاح سليمان

---

١ ــ احياء علوم الدين ــ للامام الغزالى جـ ٣ ص ٥٦ .

من حضارة الإسلام

الشعوبية أمس واليوم

للأستاذ / السيد حسن قرون

هل الشعوبية التى نراها اليوم هى الشعوبية التى تسعرت نارها ابان العصر الاسلامى والعصر العباسى أو هى شىء آخر ؟

سؤال تجيب عنه الأحداث من القديم والحديث ، فما نراه اليوم من تفكك وانقسام ، وتمزق واصطدام فى العالم العربى والاسلامى وما أداه الانقسام من تخلف حضارى ، وبعد عن مقتضيات الايمان ، وانحراف عن المثل العليا وغيرها يدفعنا الى التفكير فى المصير ، والخوف من الضياع ، وكفانا أن مواردنا الطبيعية من نبات وشجر وبترول وحيوان لا نستفيد منها الا بمعرفة الدول المتقدمة ، ولا تزيدنا الأحداث الا تباعدا وتماديا فى الخصام والصدام كأننا لم تكن لنا دولة اسلامية يقول أحد خلفائها وقد رأى السحابة اذهبى كيف شئت فان خراجك راجع الينا .

ومعروف وموصوف أن الاسلام حين ظهر فى الجزيرة العربية بالوحى المنزل على خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم وهو من أشرف أرومة ، وأطهر جرثومة كان من أوضح مبادئه وأجل تعاليمه المساواة التامة بين البشر ، وأن الناس يتفاضلون بالأعمال الصالحة لا بالاباء والاجداد ، ويقول : الناس سواسية كأسنان المشط . لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى الا بالتقوى ، وهو فى هذا مستجيب لقول ربه فى القرآن الكريم : « ان

أكرمكم عند الله أتقاكم » وبهـذا الروح العظيم حمل أصـحابه الدعوة بعده الى مشـارق الارض ومغاربها ، وبدءوا بأهل الجـوار رغبة فى انقاذهم من الفسـاد والارتفاع بهم الى عبـادة رب العالمين حتى ينجوا من عذاب النار التى وقودها النـاس والحجارة ، واسـتجابت الشـعوب المفتوحة للدعوة ، وغمرهم نور أضاء ما بين أيديهم وما خلفهم فسـاروا على النهج القويم ، والصراط المستقيم ، ونعموا بالاخوة الاسـلامية ، وشـاركوا فى النهضـة العلمية والادبية ، وصـاروا من تراث الاسلام نذكر علم علمائهم ، وشعر شـعرائهم ، وبطولة المجاهدين منهم •

ولما كانت الدولة الاسـلامية تحتضن شعوبا وأجناسا لها تاريخ وحضارة فقد ظهر من تلك الشعوب أناس أسـلموا ولم يملأ الايمان قلوبهم فمالوا الى التعصـب لشـعوبهم وأجناسهم وأوهام تاريخهم • فاضـطغنوا العداوة للعـرب وعملـوا على الحط من شأنها ، مع أن النبى صلى الله عليه وسلم صاحب الرسالة العامة رمى مبغض العرب بالنفـاق فى حديث جرى بينه وبين سلمان الفارسى ، لان العرب حملوا النور الى غيرهم ممن يعيشون فى الظلام ، والعدل لمن جار عليهم الحكام ، والسعادة لمن غشيتهم الشقاوة • ولم يظهر منهم أثناء الفتح ولا بعده ما يثير العداوة والبغضاء ، ولا ما يفرق بين المسلم والمسلم ، وليس ببعيد أن يكون الذى جرى كان من تدبير أعداء الاسلام آن ذاك من الروم واليهود والحسـاد لتلك الدولة الناشـئة التى اكتسحت الجيوش والجحـافل التى أرادت وأدها فى مهدها ، وفى مدة قصيرة أقل قرن من الزمان خفقت رايتها على نصف المعمورة ، فعاش فى ظلهـا فى دار الاسلام الناس من جميع الأجناس فى اسـتقرار وحياة آمنة مطمئنة يأتيهم الرغـد من كل مكان ، وهل هناك أجمل من المساواة بين الراعى والرعية ، وما يجرى على الصغير يجرى على الكبير ، تحكمهم وتحفظ كرامتهم شريعة سـماوية عادلة ،

فليس فيها فاضل ولا مفضـــول ، ولا سيد ولا مسود ، مبدأ لا يرجع فيه الى العــــرق أو النســـــب فالأعرابى الفزارى هو وجبلة بن الايهم فى الامية ســـواء ، يقتص من الملك للســـــوقة ، ويغضـــب الخليفة عمر بن الخطاب من واليه عمرو بن العاص لان ابنـــه أهان مصريا فيقول له : متى استعبدتم الناس وقد ولـــدتهم أمهـــــاتهم أحرارا ؟ ويأمر بالقصاص من ابن الأكرمين • فلم الشـــــعوبية اذن والعدل قد عم الجميع ؟

ويقول المؤرخون ان الفتنة بدأت باستلحاق زياد بن ســـــمية بأبى سفيان ، اذ جعله معاوية أخاه لأمر جرى فى جاهلية أبيه ، ولكن العرب لم تقر له بذلك لعلمهم بنســـبه • قالوا : فألف زياد كتابا ذكر فيـــه مطالب العرب وألصـــــق بهم كل نقيصـــة ، وليس هناك شعب مبرأ من العيـــوب ، ومن فتش عن عيب وجده •

وليت الأمر وقف عند هذا الحد فهو محتمل ، ولكن الشعوبية راحوا يمعنون فى تحقير العرب بكل باطل من القول وزور ، وخلفاء المسلمين حتى فى عهد بنى أمية الذين يقال فى خلافتهم انها عربيـــة أعرابيـــة كانوا يغضون الطرف عن أشـــياء تغضب الحليم ، وتقض مضـــاجع الحكيم ، فشاعر مثل (اسماعيل بن يسار) وقد بلغ فى التعصب غايته أو على حد تعبير صاحب الأغانى أبى الفرج الأصـــــفهانى : « كان أصـــله من الفرس ، وكانت فيهم شـــعوبية شديدة وتعصب للعجم على العــــــرب (١) •• » دخل اسماعيل هذا على هشـــــــام بن عبد الملك وهو خليفة ، وخليفة يمتد ملكه من غانة الى فرغانة الى شمال الأندلس ويعامل الشعوب جميعها بميزان الاســـــلام ، وهو ميزان ينهى عن التفاخر بالآباء والاجداد

---

(١) تهذيب الاغانى لابن واصل الحمدى ـ المجـــــلد الثانى ـ اخبار اسماعيل بن يسار

ليقول أمامه وقد جاءلمدحه :

انى وجدك لاعودى بذى خور
عند الحفاظ ولاحوضى بمهدوم
أصلى كريمومجدى لايقاس به
الى لسان كحد السيف مسموم
منمثل كسرىوسابورالجنودمعا
والهرمزان لفخـر أو لتنظيم ؟

مما جعل الخليفة هشاما يغضب ويقول له على تفخـر وتنشد قصيدة تمدح بها نفسك وقومك ؟ ثم طرده من مجلسه والرصـافة التى كان مقيما فيها ، ولكنـه لم يعاقبـه بالضرب أو السـجن ٠٠ وبقى هذا الشعوبىالى آخر عمره وقد طال يشتم ويهجو العرب ٠٠ طال عمره ولم يحسن عمله وأغلب الظن أنه هو الذى فتح البـاب أمام شعراء جنسه ليقولوا شعرا فى هجاء العربكأبى نواس وبشار وغيرهما ٠

وجاء العصر العباسى ، وبلغت فيه حرية القول حماقة الفوضى ، وبدت البغضاء من أفواه وأقـلام الزنادقة والمنحلين وأدعياء اللغة والادب يؤلفون الكتب وينظمـون الشعر ويملئون القلوب بالضغائن بذكر مثالب العرب ، ويذكـرون أمورا تضحك من غثاثتها وتفاهتها وتعجبلامام العربية عمرو بن بحر الجاحظ فى تصـديه للرد عـلى الشعوبية تعجب به وترثى لـه فى آن واحد ، فما يقوله الشعوبيون لا يستحق كل هذا العـناء من الجاحظ ، فماذا يضـير العرب أن يقال فيهم زمن جاهليتهم أنهـم كانوا رعاة ابل وغنم ؟ أو أنهـم يحملون العصا عنـد خطبهم ؟ أو أنهم يحاربون نهارا ولا يحاربون ليلا ؟ أو أنهم يفخرون بطـول الرمح وقصر السـيف ؟ أو ما الى ذلك ممـا لا يـشين الشريف ولا يخدش البطل ٠٠ وينبغى أن نفهم أن الجاحظ لم يغضـب ذلك الغضب ، ولم يتجشم ما تجشمه الا بعد أن طفحالكيل وفاض الاناء ولم يجد مندوحة عن الرد ، فقـد لمس حقد الشعوبية واكثارهم من القول ولو فى أدنى الهفوات التى لا تبرأ منها الشعوب مما جعلـه يقـول فى البيـان والتبيين فى الصفحات الاولى من الجـزء الثالث :

« أعلـــم أنك لم تر قوما قط أشقى من هـــؤلاء الشعوبية ، ولا أعدى على دينه ، ولا أشــــد استهلاكا لعرضه ولا أطول نصبا ولا أقل غنما من أهل هذه النحلة . وقد شفى الصدور منهم طـــول جثوم الحسد على أكبادهم ، وتوقد نار الشنآن فى قلـــوبهم .. ولـــو عرفوا أخلاق كل ملة ، وزى كـــل لغة ، وعللهم فى اختلاف اشاراتهم وآلاتهم وشمائلم وهيئـــاتهم ، وما علة كل شىء من ذلك ؟ ولــــم اختلقوه ولم تكلفوه ؟ لأراحـــوا أنفسهم ولخفت مئونتهم على من خالطهم .. » وينطلق الجاحظ فى هذا المجال مستدلا بالعقل والنقل كـــأنه يدافع عن دين أو مذهب ، والمثالب كلها لا تعـــدو الحـــديث عن الادوات ومطالب الحياة .

وثورة الجاحظ حقا لـــم تـــأت عفو الخاطر ولو لاول اثارة ، فقد حاول بكل مالديه من بلاغة الكلم والقلم أن يوحد بين هذه الشعوب والاجناس ليكونوا فى بوتقـــة الاســـلام كيانا واحدا قـــوامه كتاب الله وسنة رســـوله ، فكتب رسالة الى الفتح بن خاقان وزير المتوكل على الله الخليفة العبـــاسى تعد كتابا صغيرا وهى الثالثة من رسائل الجاحظ عنوانها « رســـالة الى الفتح بن خاقان فى منـــاقب الترك وعامة جند الخلافة عـــالج فيها مسألة الشعوبية معالجة الخبير ببواطن الامور الناظر الى المستقبل بعين الأريب ، وكأنه يعلم ما يجره الخلاف الى الانفصال وتجـــزئة الكيان الواحد ، وجند الخـــلافة ولا ريب يمثلون الشـــعوب التى نشئوا فيها ، ولهم حنين اليهـــا ، فاذا اختلفوا وبلغ الخلاف حـــد التماسك بالأيدى أو التضـــارب بالسلاح ، فقد انفض الجمـــع وانفرط العقد ، وضاعت الخـــلافة وهان أمر المسلمين على أعدائهم ، والدولة الاسلامية فى ذلك الحين كانت مترامية الاطـــراف ماتزال شعوبها مرتبطة بحاضرة الخـــلافة بغداد ، ولم ينفصل عنها غـــير

---

(١) تهذيب الأغانى لابن واصـــل الحمدى ــ المجلـــد الثانى ــ أخبار اسماعيل بن يســـار .

الاندلس والمغرب ، ففى الأندلس بنو أمية وفى المغرب الأدارسة العلويون ، وهما امارتان لم يدع حكامهما الامامةوالخلافة . وهكذا كانت الدولة على عهد المتوكل وخلافة من ٢٣٢ هـ الى ٢٤٧ هـ (١) حيث قتل وقتل معه وزيره الفتح ابن خاقان الرسل اليه .

وكاتب الرسالة الجاحظ (١٦٠هـ ــ ٢٥٥ هـ) عاش عمره الطويل وشاهد الدولة فى شبابها ، ويود أن تبقى حافظة (دار الاسلام) بيد أن أمرا جليلا شغله وشغل الناس فى ذلك العهد هو الجند الجدد الذين طرءوا على أجناد الخلافة « الجند الاتراك » فقد استحدثهم الخليفة المعتصم ابن الرشيد (٢١٨ هـ ــ ٢٢٧ هـ) وبنى لهم مدينة « مسر من رأى » على نهر دجلة فضم بهم الى الشعوبية عنصرا آخر ، وصار جند الخلافة خمسة أنواع ، خرسانى ومولى وعرب وبنوى (٢) وترك ، وكل نوع تعصب لجنسه فذكر محاسنه وما أداه من خدمة لبنى العباس ، وبنظرة عابرة تدرك أن سر التحزب الجديد هو ظهور العنصر الجديد وما حظى به من العناية والتشريف ، وبعد أن كانت الساجلة بين الشعوبية والعرب أصبحت الساجلة ذات ميادين ، لكن الامر أخيرا يعود على العرب بالقدر ، فمنذ قامت الدولة العباسية والامور تدفع العرب الى الوراء ، وزاد الطين بلة جند « سر من رأى » فقد استأثروا بالوظائف القيادية ، ومن هنا كان على الجاحظ والغيورين على الدولة أن يعالجوا الوضع الجديد . ورسالة الجاحظ جاءت فى وقتها والرسل اليه تركى ولكنه مثل الجاحظ فى الحفاظ على الدولة والطاعة للخليفة والاخلاص للاسلام والاعتصام بحبل الله ويريد أن يبقى الكيان الموحد سليما ، وأن لهما مايريدان ؟

أورد الجاحظ فى مقدمة الرسالة

---

(١) من هذا التاريخ بدأت الدولة فى الضعف .
(٢) يطلق البنوى على من نزول اليمن من أبناء الفرس .

تقولات المتقولين ممن نـأى عنهم الظـل ، وتخلى عنهم السـلطان وحرمـوا الصدارة غلب العنصر التركى وتقهقر العنصر الفـارسى والخراسانى والعربى وأبنـاء الدعوة ، وقد حرص الجاحظ على تعداد فضائل كل نوع ، وقد حمد للفتح بن خاقان موقفه من الوحدة فقد عاب الفتح خطبة أحد الخطباء لانه عد أنواع الجند ونسـبهم الى شعوبهم مع أن الخطيب شكر الله على أياديه وسـابغ نعمه أن ألف على الطاعة هـذه القلوب المختلفة والاجناس المتباينة ، ولم يعجب الفتح هذا ، ووصف الجند جميعا بالاتفاق ، وأنكر التباعد فى النسب والتباين فى السبب • وهنا ينداح الجاحظ كعادته مبينا وسائل الاتفاق فى النسب الى أن أرجعهم الى أب واحد ، اما بالعرق واما بالولاء ، والـولاء لحمة كلحمـة النسب ، وأسهب فى بيان مزايا كل فريق ، وخص الجند التركى بمزايا تجعله جامعا لخصال العـرب وشجاعة الخوارج وطـاعة أبناء الدعوة من الخراسانيين وغيرهم ،

ويضرب المثل لتقارب الجند مـع اختلاف النسب بالعرب ، وأنهـم جذمان : عدنانى وقحطانى ولكنهم فى آخر الامر عرب ، ويسـأل سؤالا ويجيب عنه • فـان قلت ، فكيف كان أولادهما جميعا عـربا مع اختلاف الابوة ؟

قلنا : ان العرب لما كانت واحدة فاستووا فى التربة واللغةوالشمائل والهمة وفى الانف والحميـة ، وفى الاخلاق والسجية ، فسبكوا سبكا واحدا ، وأفرغوا افراغـا واحدا ، وكان القـالب واحدا تشـابهت الاجزاء ، وتناسبت الاخلاط حتى صار ذلك أشد تشابها فى بـاب الاعم والاخص ، وفى باب الوفاق والمباينة من بعض الارحـام ، وجرى عليهم حكم الاتفـاق فى الحب ، وصـارت هذه الأسـباب ولادة أخرى حتى تناكحوا عليهـا وتصاهروا من أجلهـا ، وامتنعت عدنان قاطبة من مناكحة بنى اسحق وهو أخو اسماعيل ، وجادوا بذلك فى جميع الدهر لبنى قحطان وهـو ابن عابر ••• وهو بهذا يوشـك أن يسلك جند الخلافة فى نسـب

واحد بالمعانى التى ذكرها ، ويقرر أن ولاء الاتراك للبـــاب قريش ولمصاص عبد مناف وفى سر هاشم ــ يقصد بنى العبــاس ــ جعلهم يشاركون العرب فى أنســـابهم والموالى فى أسبابهم .. وهـــذا التكلف من الجاحظ ليجعل جميــع جند الخلافة متفقين فى النســب والسبب ليبقى الكيان لدار الاسلام قائما وسليما . ويقارب بين العرب وكل جنس خوف أن يميل الخلفاء كل الميل للعنصر الجديد ، فيجعــل الدعاة الاول فى خراسان من العرب أمثال ابن قحطبة أو مواليهم مثل أبى مسلم ، وهــكذا يقارب بين باقى الجند .. ويؤكد المماثلة بين الترك والعرب فينكر خصــائص الشعوب فى زمانه من الصـــين واليونان والهند ، فالصين أصحاب عمل واليونان أرباب فلسفة ومنطق والهنــد لهم معرفة بالحســـاب والهندسة وشـــئون الزراعة .. والعرب لم يكونوا تجارا ولا صناعا ولا أطباء ولا حسابا ولا أصحاب فلاحة، فلم يكونوا مهنة ولا أصحاب زرع لخوفهم من صغار الجــزية ، ولم يكونوا أصحاب جمع وكسب ولا احتكار لمـــا فى أيديهم وطلب ما عند غيرهم ولا طلبوا المعــاش من ألسنة الموازين ورءوس المكاييل ولم يفتقروا الفقر المدقع الــذى يشغل عن المعرفة ولم يســتغنوا الغناء الذى يورث التبليــد (١) ، والثروة التى تحدث الغــيرة ، ولم يحتملــوا ذلا قط فيميت قلوبهم ، أو يصغر عندهم نفوسهم ، وكانوا سكان فياف ، وتربية العراء (٢) . أذهان حداد ونفوس منكرة ، فحين حملوا حدهم ووجهوا قواهم لقول الشعر وبلاغة المنطق وتشـــقيق اللغة وتصاريف الكلام ، وقيــافة البشر بعد قيافة الاثر وحفـــظ النسب ، والاهتداء بالنجـــوم والاستدلال بالآثار وتعـــرف الانواء ، والبصر بالخيل والسلاح وآلة الحرب ، والحفظ لكل مسموع

---

(١) التبليد = ترك الاتجاه لشىء .
(٢) القضــــاء .

والاعتبار بكل محسوس واحكام شأن المناقب والمثالب بلغوا فى ذلك الغاية ، وحازوا كل أمنيـــة .. وببعض هذه العلل صارت نفوسهم أكبر ، وهممهم أرفع ، وهـم من جميـــع الامم أفخر ، ولأيامهم أذكر .. وكذلك الترك أصـحاب عمد وسكان فياف وأرباب مواش وهم أعراب العجم كمـا أن هذيلا أكراد العرب ، فحين لم تشـغلهم الصناعات ولا التجارات ولا الطب والفلاحة والهندسة ، ولا غرس ، ولا بنيان ، ولا بشـق أنهار ، ولا جباية غلات ، ولم تـكن هممهم غـير الغزو والغارة ، والصـيد وركوب الخيل ، ومقارعة الابطـال وتدويخ البلدان ، وكانت هممهم الى ذلك مصروفة أحـكموا ذلك الامر بأسره .. فلما كانوا كذلك صاروا فى الحروب كاليونانيين فى الحكمة ، وأهل الصين فى الصـناعات ، والاعراب فيما عددنا ونزلنا ... وبذلك أعطى الترك القرابة والمماثلة للعرب ونبه الى الحاجة الى العنصر العربى .

والجاحظ حريص على أن ينفى عن نفسه الهوى ، وأن سبيلـه التوحد لا التعدد ، وأنه لم يسلك طريق أصحاب الخصومات فى كتبهم وطريق أصـحاب الاهـواء فى الاختلاف الذى بينهم ، « وكتابنا هذا انما تكلفناه لنؤلف بين قلوبهم ان كانت مختلفة ، ولنزيد فى الالفة ان كانت مؤتلفة ... » .

وأنا على مذهب الجاحظ وعلى نهجه أنحو ، فلست أريد خـير الاتفـاق بين شعوب العـالم الاسلامى ، وأود أن يسود شعور الانسان المسلم على شعور العرق والجنس ؛ واذا كان موقفى يختلف عن موقف الجاحظ فذلك لا يعوق الاتجاه الى الهدف النبيل ؛ فقـد كان يعالج جند الخلافة ويوفـق بينهم بكل صدق أو مجاملة خـوفا على كيان الدولة أن ينهار ، أمـا أنا فأنا أدعو الى الاخاء الاسلامى فى العالم الاسلامى الذى لا خلافة له ، ولا رياسة تضم أطـرافه ؛ وأفضل اتجاه هو اتجاه الانصـار فيجب الاقتداء به ، ولهـم موقف يحسن النظر اليه ومحاكاته ما وجدنا الى ذلك سبيلا .. فقـد تركوا

نسبهم وهو عظيم الى نسب أعظم منه وهو أنصار الرسول • ذكر أن وفود الانصار حضرت باب معاوية ابن أبى سفيان ، فخـــرج اليهم صاحبه (سعد بن أبى درة) فقالوا له : استأذن للأنصار ، فدخل اليه وعنده عمرو بن العاص فاستأذن لهم فقال عمرو : وما هذا اللقب ياأمير المؤمنين ؟ أردد القوم الى أنسابهم فقال له معاوية : انى أخاف من ذلك الشفاعة •• فقال : هى كلمة تقولها ان مضت غضـــتهم ونقصـــتهم والا فالاسم راجع اليهم • فقال : أخرج اليهم فقل : من كان هنا من ولد عمرو بن عامر فليدخل ، فدخل ولد عمرو بن عامر كلهم الا الأنصار فنظر معاوية الى عمرو نظر منكر ، فقال له باعدت جدا . فقال : أخرج فقل : من كان ها هنـــا من الأوس والخزرج فليدخل • فقالهـــا فلم يدخل أحد ، فقال معاوية : أخرج فقل : من كان ها هنا من الأنصـــار فليدخل ، فخـــرج فقالها فدخلوا يقدمهم النعمان (١) بن بشير وهو يقول :

ياسعد لا يعد النداء ، فمالنا
نسب نجيب به سوى الأنصـــار
نسب تخيره الا لـــــه لقومنا
أثقـــــل به نســـبا على الكفار

والاقتداء يكون اليوم بالنسب الذى لا يعلوه نسب وهو الاسلام فليست الانساب حائلا يحول بين المسلم وأخيه المسلم ، وما أعظـــم أن نعود الى ما دعاناه اللـــه من الاخوة والتعاون على البر والتقوى وأن نكون عند قوله صلى الله عليه وسلم : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » • وكفانا اختلافا وافتراقا ، فقد كان الخلاف سببا فى ضياع الخلافة العباسية بعد أن تقسمت الى دويلات بسبب أخطاء جنـــــد سر من رأى ثم بالزحف التترى •• ثم هيأ الله لنا خـــلافة الاتراك العثمانيين ولكنها ضاعت تحت براثن المؤامرات من أعـــداء

---

(١) الاغانى أخبار النعمان بن بشير •

الاسلام ، ومن أبنائها فى الداخل حين اتجهوا الى الغــرب وتناسوا الاخوة الاسلامية ، وما جرى من أتاترك من التبــاعد عن الــدين وتعاليمه لا تمحوه الايام •

كتب الاستاذ فتحى رضــوان مقالا فى مجلة عربية تحت عنوان « فى مذكرات الزعيم محمد فريد » جاء فيها وذلك أثناء الحرب العالمية الاولى : يقــول محمــد فريد : « حضرت خطابة ألقاها (يوســف أفجورة) من أنصار التتريك يــوم الجمعة ١٦ مــارس ١٩١٧ فكانت كلها على تاريخ الترك القــديم والأتراك الموجودين بروســيا ، والجامعة التركية الى غــير ذلك ، فاستغربت جدا لاشتغال الأتــراك باخوانهمبالشمال ، وعدماهتمامهم بالمسألة العربية : بغداد والجزيرة فان الخطيب لم يذكر كلمة عن هذا الموضوع ، مع أن بغــداد قد سقطت فى يوم ١١ هذا الشهر •• مارس ١٩١٧ ، هذا دليل عــلى عدم اهتمام الترك ببلاد العرب ، واعتقــادهم بامكانهم البقــاء بمفردهم بدون أن تكون بــلاد العرب معهم وهى شماتة عظيمــة سمعتها من الكثيرين ، ولكنهم بكل أسف يضــيعون مملكتهــم ، وسيخرجون من هذه الحرب دولة صغيرة كالعجم أو الأفغان،وتصبح كل البلاد العربية فى أيدى الانكليز أو الفرنساويين » وهذه شــهادة تاريخية صدقها الواقع وأيدتهــا أحداث التاريخ ، وقبل كــل شىء تدل على نظرة ثاقبة تســتشف المستقبلبمنظار السياسى الحصيف •• وأين يقع كلام الخطيبالتركى الحديث منمنطق العربىالجاحظ ؟ ان التركى الحديث شعوبى غفــل لا يتدبر العواقب ، والجاحظ عربى اسلامى همه كله أن يرى المسلمين جميعا فى اطار واحد ، التركى فى يده ثروة يبددها دون مبــالاة ، والجاحظ فى يده ثروة يعض عليها بالنواجذ ، كأن الجاحظ يــود من أتراك عصره أن يكونوا عند حسن الظن بهم ولكنهم عاشوا فى الارض فسادا ، ومن غير تفكير فى الجاحظ اتجه اتجاهه الزعيم محمد فريد ، فلم يرقه أن يكون خطيب التــرك يعمل على قومية لم يكن لها جذور

يقف عليها زهر وثمر ..

ان الترك اليوم أو أيـــة دولة اسلامية لا اطمئنان لها ، ولا ضمان لكيانها مادامت منعزلة عن أخواتها المسلمات فى ذلك العصر القائم على التكتلات ، وهذه التكتلات أتيح لها من العلم والابتـــكار والاختراع ما جعلها تتفوق وتملى ارادتهـــا على الشعوب المتخلفة ، وما يحدث فى أفغانستان نذير لكل من أعمتــه قوميته أو غرته شـــعوبيته . ولو كان للمسلمين خلافة أو جامعـــة تربطهم ، ولو اتجهوا الى كتـــاب الله وسنة رسوله ما حـــل العداء بينهـــم ، ولكانت كل أرض هى للمسلمين جميعا .

سقطت الخلافة العباسية ولـــم نتعظ ، وسقطت الخلافة العثمانية ولم ننتبه فمتى نبصر الطريق ؟

اننا نريد من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم أن يســـتجيبوا لدعوته ، ويعود الاخاءبينهم ليقوم البناء من جديد.لقد صاغ الله لهم دستورهم ، وهل هناك أوضح من قوله : « انما المؤمنون اخوة » ؟

السيد حسن قرون

منهج الحكيم الترمذى فى الحديث والفقه ــ بقيـــة

طبع سنة ١٩٦٥ القـــاهرة بتحقيق وعناية الاســـتاذ حســـنى زيدان وتوجد منه نســـختان مخطوطتان بباريس وأسعد أفندى .

٥ ــ المسائل العفنة مخطـــوط وتوجد منه ثلاث نســـخ بالظاهرة ولبيزج واسماعيل صائب ، وقـــد سماها الدكتـــور عـــلى حســـن عبد القادر والبرفسوز آربرى .. المسائل النفسة ، وجـــاء الدكتـــور عثمان اسماعيل يحيى فى مقـــدمة كتاب ختم الأولياء فسماها المسائل العفة وليست واحـــدة من كلتـــا التسميتين صحيحة ، والصـــحيح العنوان الذى أثبتناه .

٦ ــ كيفية الوضوء والســـواك والصلاة أو علل الشريعـــة وهـــو مخطوط وتوجد منـــه نســـختان احداهما فى ولى الدين والأخـــرى فى القاهرة .

دكتور / محمد ابراهيم الجيوشى

الإسلام وتقرير العقائد

دكتور/ محمد سيد أحمد المسير

يتفرد سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – من بين سائر الأنبياء بأن معجزته كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، يحمل دليله معه وينادى صباح مساء :

« وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين » (١) .

لقد كان لكل نبى معجزة تتناسب وعصره الذى عاش فيه ، فموسى عليه السلام بعث فى قوم انتشر فيهم السحر ، فكانت معجزته أن انقلبت عصاه حية تسعى وتلقف ما يأفكون ، فأدرك سحرة فرعون الفرق بين فعل الخلق وفعل الخالق فسجدوا ايمانا برب العالمين .

وأرسل عيسى عليه السلام الى قوم برعوا فى الطب واشتهروا به ، فكانت معجزته شيئا يفوق طورهم ويعلو مقدرتهم ، وقد عبر القرآن عن ذلك فقال :

« ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ، وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيى الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين » (٢) .

ثم كانت أمة العرب ولها شأنها فى الغلب بالقول والبيان فى الحجة

---

١ – البقرة – ٢٣ .
٢ – آل عمران – ٤٩ .

والسبق الى امتلاك المشاعر والتأثير الوجدانى ، فبعث محمد صلى الله عليه وسلم — من تاك البيئة ومعه القرآن المجيد فسجدوا له قبل أن يؤمنوا لسمو بلاغته وعظم معانيه ٠

وحيث كانت رسالة الاسلام خاتمة لمطاف الرسالات الالهية ، وعامة لجميع الأزمنة والأمكنة ، وخالدة الى أن يرث الله الارض ومن عليها فقد ارتكزت على التفكير العلمى وأشادت بالعقل الانسانى اذ هو أعدل الأشياء قسمة بين البشر ٠

ولقد بدىء القرآن العظيم بتلك الاشراقة الأولى للوحى فى قوله سبحانه :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ٠ خلق الانسان من علق ٠ اقرأ وربك الأكرم ٠ الذى علم بالقلم ٠ علم الانسان ما لم يعلم » ٠

هذه الاشراقة الأولى أرشدت الى بداية الطريق العلمى وهو الأمر بالقراءة والكتابة فى قوله « اقرأ » فان القراءة تستلزم مقروءا أى مكتوبا ، ثم بينت القانون العام الذى يحكم الطريق ، وهو أن يسلك باسم الله واهب الملك والملكوت ، ثم ألمحت الى أن يكون العلم بحثا عن حقائق الأشياء ، ورمزت لذلك بالعلق الذى هو أحد أطوار الجنين فى رحم أمه ، وبقوله : «مالم يعلم» من مكنونات نواميس الارض والسماء ٠

وحين اشتد عناد المشركين للدعوة الاسلامية نزل القرآن يقول :

« قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد » (١) ٠

وحول هذه الآية الكريمة يقول الامام الزمخشرى :

والمعنى انما أعظكم بواحدة ان

---

١ ــ سبا ــ ٤٦ ٠

فعاتموها أصبتم الحق ، وهى أن تقوموا لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين ، وواحدا واحدا ، ثم تتفكروا فى أمر محمد ، صلى الله عليه وسلم — وما جاء به .

أما الاثنـــان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صـــــاحبه ، وينظران فيه نظر متصـــادقين متناصـــفين ، لا يميل بهما اتباع هوى ، ولا ينبض لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصـــالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه .

وكذلك الفرد يفكر فى نفســــه بعدل ونصفة من غير أن يكابرها ، ويعرض فكره على عقله وذهنــــه وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجارى أحوالهم .

والــذى أوجب تفــرقهم مثنى وفرادى أن الاجتماع مما يشوش الخواطر ، ويعمى البصائر ، ويمنع من الروية ، ويخلط القــول ، ومع ذلك يقل الانصاف ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يســمع الا لنصرة المذهب .

وأراهم بقوله « **ما بصــاحبكم من جنة** » أن هــذا الأمر العظيم الذى تحتــه ملك الدنيــا والآخرة جميعا لا يتصـــدى لادعاء مثله الا رجلان :

اما مجنون لا يبالى بافتضــاحه اذا طولب بالبرهان فعجـــز ، بله لا يدرى ما الافتضــاح وما رقبة العواقب .

واما عاقل راجح العقل مرشح للنبوة مختـــار من أهل الدنيا ، لا يدعيه الا بعد صــحته عنده بحجته وبرهانه ، والا فما يجــدى على العاقل دعوى شىء لا بينــة له عليه ؟!

وقد علمتم أن محمدا — صلى الله عليه وسلم — ما به جنة ، بل علمتوه أرجح قريش عقلا وأرزنهم علما ، وأثقبهم ذهنا ، وآصــلهم رأيا ، وأصــدقهم قولا ، وأنزههم نفسا ، وأجمعهم لما يحمد عليــه الرجال ويمدحون به » ا هـ .

ولعل هــذا الفرق بين المعجزة العقلية لسيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — المعجزات الحســية

لباقى الأنبياء هو ما أشـــار اليه المصـــطفى الكريم عنـــدما قال ـ كما فى الحديث المتفق عليه ـ :

« ما من الأنبياء من نبى الا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحـاه الله الى فأرجو أن أكـون أكثرهم تابعا يوم القيامة » .

من هذا المنطلق أرسى القـرآن قواعد البحث وأصول التفكير على النحو التالى :

١ ــ حرر العقل من رواسـب التقليد وعادات البيئة فقال :

« وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجـــدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » (١) .

٢ ــ نعى على اتبــاع الظن والهوى والاسـترسال مع الباطل فقال :

« وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظـن وان الظـن لا يغنى من الحق شيئا » (٢) .

٣ ــ أرشد الى العناية بحواس الانسان والحفاظ على سـلامة استخدامها فقال :

« ولا تقف ما ليس لك بــه علم ان الســمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » (٣) .

٤ ــ أمـر بالبحث فى ظواهـر الطبيعة ونواميس الكون فقال :

« ان فى خلق الســموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، والفلك التى تجـرى فى البحـر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السـماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح ، والســحاب المسـخر بين الســماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » (٤) .

٥ ــ لفت النظـر الى قوانين الاجتماع وسنة الله فيما سـلف

---

١ ــ الزخرف ــ ٢٣ .
٢ ــ النجم ــ ٢٨ .
٣ ــ الاسراء ــ ٣٦ .
٤ ــ البقرة ــ ١٦٤ .

من الأمم ، وأكد استمرارها فقال :

« قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ، هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » (١) .

وحرصا على هذه الأصول قرر القرآن عقائد الايمان كلها مدعمة بالحجة والبرهان ، وليس به قضية بلا دليل أو دعوى بلا بينة حتى فى باب الادب الخلقى فقال :

« ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » (٢) .

والشعار الذى رفعه القرآن العظيم فى حجاجه مع المخالفين هو :

« قل هو عندكم من علم صادقين » (٣) .

« قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا » (٤) .

ان القرآن المجيد قد أحصى الجدل الذى دار على عهد النبوة احصاء دقيقا وفصل الشبهات تفصيلا كاملا فى الالوهية والوحدانية ، وفى النبوة والرسالة وفى البعث والنشور .. وأردفها بالدليل والبرهان ، وما على المرء الا أن يفتح المصحف الشريف حيث شاء ليجد صدق ما نقول ، سيجد نماذج لعقائد الدهريين الذين كذبوا بلقاء الآخرة ، وعقائد المشركين الذين عبدوا غير الله ، وعقائد اليهود والنصارى الذين انحرفوا عن منهج الله .

وانطلاقا من هذه الاصول القرآنية للفكر الراشد
اتفقت كلمة جمهور المسلمين على أن عقائد الاسلام فى الالوهية والنبوة يجب العلم بها والبحث فيها ببرهان ودليل قاطع للوصول الى اعتقاد جازم مطابق للواقع .

ولما كانت الادلة التفصيلية ورد

---

١ ــ آل عمران ــ ١٣٧ .
٢ ــ فصلت ٣٤ .
٣ ــ النمل ــ ٦٤ .
٤ ــ الانعام ــ ١٤٨ .

الشـــبهات لا تتيسر لكافة الناس قالوا ان المعرفة الاجمالية واجبـــة على كل مكلف بمعنى أن يســـــأل الانسان عن دليله على وجود الله تعالى فيقول مثلا : هـــذا العالم ، أو هذا النبات الذى يخـــــرج من الارض ، أو هذا الانســـان الذى يولـــد من الرحم •• ويكتفى بذلك من غير بيان لدقائق الصنع وغرائب التدبير ، ومن غير مقدرة على دفع ما يثيره الخصوم •

واذا كان الانسان أهلا للنظـــر والبحث الفكرى وجب عليه تفصيلا معـــــرفة ما يجب وما يجـــــوز وما يســـــتحيل فى جانب الالوهية والرسالة •

وهنـــاك بحث طريف لعلمـــــاء التوحيد عن أول واجب على المكلف هل هو المعرفة ؟ هل هو النظـــر ؟ هل هو القصد الى النظر ؟

بل ذهب أبو هاشم من المعتزلة الى أن أول واجب على المكلف هو الشك فهو مفتاح اليقين •!!

وقد أجمع العلماء على نقصـــان ايمان المقلـــد الذى يؤمن ايمـــانا جازما بالحق فى الاله والنبى دون معرفة دليل تفصيلى ولا اجمالى ، لان القرآن العظيم يقول :

« قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (١) •

وغالى بعضهم فزعم أنه لا نجاة معـــه وأن المقلد كافر لان المعرفة واجبة وجوب الأصول ، وأن الأمر القـــــرآنى صريح بالعلم وليس بالايمان وحـــــده قال تعـــالى : **« فاعلم أنه لا اله الا الله (٢) »•**

وقد يتساءل انسان ويقـــول :

دع عنك هذا التشدد ، ولســـنا فى حاجة الى كل هذه التعقيـــدات فان دين الله يسر ، وغاية جهدنا أن نصل الى ايمان كايمان العـــوام ، وقد كان صحابة رســـول اللـــه ــ صلى الله عليه وسلم ــ مقلـــدين

---

١ ــ الزمر ــ ٩ •
٢ ــ محمد ــ ١٩ •

لا شـأن لهم بدليـل أو برهان ، وما علم الرسول دليلا على وجود الله .. !!

وأقول : رويدك يا أخى .. !!

ان الأعرابى فى باديته .. وهو أول من فقه اللغة وتذوقها ـ سجد للقرآن المجيـد قبل أن يؤمن به وعرف أسراره البلاغية واعجـازه البيانى وتروى كتب السير أن عتبة ابن ربيعة قدم الى رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعرض سخى وقال :

يا ابن أخى : ان كنت تريـد بما جئت به من هـذا الأمر مالا جمعنـا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد به ملكـا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الأطباء وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه .

فلما فرغ عتبة من عرضه قال له الرسول الكريم :

فاستمع منى ثم قرأ : **بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصـلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون . وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمـل اننـا عاملون . قـل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحـد فاستقيموا اليه واسـتغفروه وويل للمشركين))** .

ثم مضى رسـول الله فيها وهو يقرأها عليه ، فلما سـمع عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما حتى انتهى الرسول الى السجدة منها فسجد ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك .

وفى رواية فلما بلغ قوله تعالى : **((فان اعرضـوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود))** .

قال عتبة : حسـبك حسـبك ، وأمسك على فيه وناشده الرحم ثم رجع الى أصـحابه فقال : لقد سمعت قولا والله ما سمعت مثـله قط ، والله ما هو بالسـحر ولا بالشعر ولا بالكهانة .. !!

هذا وقد قال الأعـــرابى فى جاهليته : البعرة تدل على البعير ، والاثر يدل على المسير ، فسـماء ذات أبراج وأرض ذات فجـاج وبحار ذات أمواج ألا يدل ذلك على العليم الخبير • !!

هذا العقل الفطرى تلقى هدى القرآن فآمن به عن اقتناع ، فهذا الأمين محمد ما عرف عنه الكذب ••

وهـذه الأصـنام لا تضر ولا تنفع ••

وهذه الكواكب الساهرة لابد لها من مكوكب ••

والدين الذى جاء به محمد يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ••

وقد عبر عن ذلك جعفر بن أبى طالب أمام نجاشى الحبشة فقال :

أيها الملك كنا قوما أهل جاهليـة نعبد الأصـنام ونأكل الميته ونأتى الفواحش ونقطـع الرحم ونسىء الجوار ويأكل القوى منا الضعيف •• فكنا على ذلك حتى بعث اللـه الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفـافه ، فدعانا الى الله عز وجل لنوحـده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دون الله من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجـوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهـانا عن الفواحش وشهادة الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة •

ــ وأخذ جعفر يعدد له محاسن الاسلام ــ فصدقناه وآمنا به ••

هكذا تكلم جعفر بن أبى طالب فى صـدر الاسـلام يوم هاجر المسـلمون الى الحبشة ، ولا أظن انسانا من الصحابة رضى الاسلام دينا الا وتعقل هذه المعانى كلها •

ان الاسلام يوم دعا الناس فى مكة الى عقائده لم يكن لديه مغريات مادية ، فالحق وحده له سـناؤه وصـولته بل لقد رفض منطق المسـاومة وتخطى موقف الترغيب المادى السـخى وانحنى التاريخ وهو يستمع لسـيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قائلا :

« والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هـذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » •

وحين حاولت أم سـعد بن أبى وقاص صرف فلذة كبـدها عن هذا الدين الجديد وأضربت عن الطعام والشراب كى تموت صـبرا ويعير بها ولدها ان لم يرجـع قال لها بلسان المؤمن على بصيرة :

والله يا أمـاه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت دينى هذا فكلى أو لا تأكلى •• !!

ولقد ذاق المسلمون ألوان الأذى وصـنوف الاضـطهاد ابتداء من التعذيب الفردى الى الحصـار الاقتصادى لجماعة المؤمنين مـدة ثلاث سنين فى شعب بالجبل أكلوا خلالها أوراق الأشجار ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا بل صدقوا ما عاهدوا الله عليه ••

فهل كان ذلك كله ناشئا عن تقليد أعمى وانسـياق مجرد وارتجال ساذج ؟!

سبحانك هذا بهتان عظيم •• !!

ان مما لا شك فيه أن الصحابة جميعا تلقوا القرآن المجيد من فم الرسـول صلى الله عليه وسلم وعقلوه وأدركوا مقاصـده ، وهم الذين شـاهدوا النبوة فى لآلئها ، وعاينوا المعجزات الحسـية للمصطفى الكريم ، وسـايروا الوحى فى تشريعه ، ولمسوا الحقيقة عن قرب ولذلك كانوا خير القرون.

دكتور

محمد سيد أحمد المسير

التربية الصوفية وعناية الصوفية بالمرشد

للأستاذ/عبد الحفيظ فرغلي القرني

ـ ٢ ـ

المتابعة فى التربية :

انتهينا فى المقال السابق الى عناية الصوفية بالمرشد واشتراطهم وجوده ، فالشيخ محمود أبو الفيض المنوفى يقول فى ذلك « وتربية النفس ليست من الأمور السهلة ، بل هى محتاجة الى طب وخبرة وبعد نظر ، وكل ذلك لا يتم الا على يد شيخ عارف بعلم الدين والسلوك ومفاوز الطريق : عرف الحقيقة وأرضى الله حتى أحب الله » .

ويقول الشيخ حسن رضوان : جهاد النفس لا يتم بدون دليل عارف .

ويقول القشيرى فى رسالته «ثم يجب على المريد أن يتأدب بشيخ فان لم يكن له أستاذ لا يفلح أبدا» ويقول أبو اليزيد البسامى « من لم يكن له أستاذ فامامه الشيطان ، وسمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : الشجرة اذا نبتت بنفسها من غير غارس فانها تورق لكن لا تثمر ، كذلك المريد اذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته نفسا فنفسا فهو عابد لهواه لا يجد نفاذا » .

لقد نبهوا على ضرورة الشيخ لأن المريد لا يمكنه التقدم بنفسه فى مراحل الطريق التى يجهلها ولا يمكنه بنفسه معرفة خفاياها ، انه يجهل وساوس النفس ولايمكنه التفرقة بين حقها وباطلها . ويعز عليه أن يدرك دقائق ما تبطنه من رياء يكمن فى كثير من النفوس

ويستعصى فهمه على كثير من الناس .

وقد تمكن الصوفية الراسخون من معرفة هذه الدقائق ولهم فى بيانها ومعرفتها طرائق متعددة تدل على نفاذ البصيرة ودقة الفهم ومعرفتهم نوازع النفس واتجاهاتها وخصائصها يدل على أنهم قطعوا شوطا بعيدا فى ادراك ذلك ادراكا عمليا مبنيا على قواعد ثابتة من الحس والكشف واليقين ...

والشيخ الصادق لا يغفل فى تربيته عن مريده ، انه يلاحظه بعين يقظة ويتابعه بعزم صادق ، وعلماء التربية يقولون : ان كل عمل يضيع بلا ثمرة اذا لم يتتبع صاحبه الجهود المبذولة فيه ، وهذه قاعدة صوفية قديمة ، فالقائد الصوفى يقظ حريص متتبع لخطوات أبنائه ليعرف مدى حرصهم على تنفيذ تعليماته وتوجيهاته ، يأخذهم بالحزم والشدة متى رأى التفريط والاستهانة فى ورد أو طاعة أو ذكر أو غير ذلك مما يرشدهم اليه .

من طرق التوجيه : وقد يكون ـ بعد القدوة الطيبة ـ للنظرة القاسية أو الصد والجفاء والاعراض أثر أشد من ضرب السياط أو أكثر ألما من لفح النار ، لأن الطريق صاعدة الى الله ، والقائد فيها أمين الله على هذا الركب الصاعد اليه ، فينبغى التعلق به والتأدب معه والاخلاص له . ثم ان العلاقة التى تحكم الشيخ بمريديه هى المحبة الخالصة والوداد الصادق والوفاء التام ، فالجفاء هنا عقاب ما بعده عقاب .

ضرورة المتابعة : والمفروض أن يتابع الشيخ مريديه أو يكل هذه المتابعة الى من يثق فيه من أبنائه الذين وصلوا الى منزلة تهيىء لهم ذلك ، فيعرف من هذه المتابعة مدى مداومة تلاميذه على الذكر وحرصهم على الورد واستقامتهم على الطريق واستجابتهم للتوجيهات التى تلقى اليهم .

ويطلق على الذى يعهد اليه الشيخ بأمر هذه المتابعة لقب « شيخ التربية » ويعهد اليه بأمر

المبتدئين فيجتمع بهم وينصحهم ويتعرف على أحوالهم ، فاذا وجد من أحدهم استعدادا قويا أعده لمرحلة أخرى عن طريق ورد آخر أو تكليف جديد • كالتزام نوع من السلوك ونون من المجاهدة ومن ذلك الزامه الخلوة أو السياحة أو الانقطاع أو غير ذلك مما يقضى على مألوفات النفس وعاداتها السيئة • وكثيرا ما تختلف حالة مريد عن مريد •

ومن أمثلة ذلك ما يقصه علينا الدكتور حسن الاشمونى فى كتابه التعبئة الروحية فى بناء المجتمع : تاب « أبو بكر الشبلى » فى مجلس « خير النساج » ولما أراد أن يتخذ له شيخا دلوه على « الجنيد » فذهب اليه وقال له : لقد حدثونى أن عندك جوهرة العلم الربانى ، فاما أن تمنحنيها أو تبيعنيها •

فقال الجنيد : لا أستطيع أن أبيعكها فما عندك ثمنها ، وان منحتها لك أخذتها رخيصة فلا تعرف قدرها ، ولكن ألق نفسك غير هياب فى عباب المحيط مثلما فعلت لعلك ان صبرت ظفرت بها •

فسأله الشبلى عما يفعل ، فقال الجنيد : اذهب بع الناس كبريتا •

وفى ختام العام قال له : لقد شهرتك هذه التجارة بين الناس فكن « درويشا » لا تشغل نفسك بغير السؤال ، وفى خلال العام كان الشبلى يجوس شوارع بغداد يسأل المارة احسانهم ، بيد أن أحدا لم يأبه له •

ثم رجع الى الجنيد فقال له : أرأيت الآن ؟ لست فى أعين الناس شيئا فلا تصرف فكرك اليهم ولا تقم لهم وزنا ، وقد كنت فى بعض أيامك حاجبا ثم اشتغلت حاكما لبعض الأقاليم فاغد اليه ، واسأل جميع الذين أسأت اليهم أن يعفوا عنك •

وأطاع الشبلى وصرف أربعة أعوام يذهب من باب الى باب حتى ظفر بالعفو من كل أحد الا واحدا فشل فى العثور عليه • فقال الجنيد حين عاد اليه : لا يزال فيك ميل الى الشهرة ، اذهب واسأل الناس عاما آخر • وفى كل يوم كان الشبلى يحضر الصدقات التى أعطيت له للجنيد فيفرقها على

الفقراء ، ويدع الشبلى بلا طعام الى الصباح التالى ، حتى انقضى العام على هذا المنوال ، وتقبلـه الجنيد مريدا من مريديـه على أن يخدم المريدين عاما ، فلما انقضى العام سأله الجنيد : ماذا تظن فى نفسك الآن ؟ فأجاب الشبلى : أعد نفسى أحقر مخلوقات اللـه ، فقال له شيخه : الآن توثق ايمانك •

فانظر كيف قطع الشبلى طريقه مجاهدا تحت نظر شيخه وملاحظته حتى صار اماما يعرف الناس قدره •

لا يقول قائل : ان فى ذلك امتهانا للكرامة الانسانية ، فالصوفية من أحفظ الناس للكرامة الانسانية وأحرصهم على صيانتها وهم فى مجاهدتهم لنفوسهم انما يرفعون من قدرها ألا تسمعهم يقولون : من دفن نفسه فى أرض الخمول نبت ؟ والصوفية انما يهمهم ــ فى المقام الأول ــ أن يرتفعوا فى نظر الخالق لأن ذلك هو الفوز العظيم •

من هو الشبلى ؟ والشبلى هو أبو بكر دلف بن مجدر الشبلى ، خراسانى الأصل بغدادى المولد والنشأة ، صحب الجنيد ومن فى عصره من الشيوخ ، جاهد حتى صار أوحد وقته حالا وعلما ، وكان عالما فقيها على مذهب الامام مالك ، وكتب الحديث ورواه وعاش سبعا وثمانين سنة ومات فى ذى الحجة أربع وثلاثين وثلاثمائة ودفن فى مقبرة الخيزران وقبره بها ظاهر ــ والحديث الذى رواه هو : « عن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال : الق اللـه فقيرا ولا تلقه غنيا ، قال : يارسول اللـه ، كيف لى بذلك ؟ قال : ماسئلت فلا تمنع وما رزقت فلا تخبأ ، قال : يارسول الله ، كيف لى بذاك ؟ قال : هو ذاك والا فالنار •

ومن أقوال الشبلى : التصوف ضبط حواسك ومراعاة أنفاسك • التصوف التآلف والتعاطف • من عرف الله خضع له كل شىء لأنه عاين أثر ملكه فيه •

هذا هو الشبلى الذى وصل الى

هذه المنزلة بمتابعة شيخه الجنيد له • فمن هو الجنيد ؟

هو من أئمة القوم وسادتهم واسمه أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز ، ولد ونشأ بالعراق وكان فقيها تفقه على أبى ثور وكان يفتى فى حلقته ، وصحب السرى السقطى والحارث المحاسبى وغيرهما من أئمة القوم ، والجنيد مقبول على جميع الألسنة توفى سنة سبع وتسعين ومائتين ، أسند الحديث الآتى •• عن أبى سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : احذروا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى ، وقرأ : ان فى ذلك الآيات للمتوسمين • قال : للمتفرسين » •

ومما ينسب الى الجنيد من أقوال : ما أخذنا التصوف عن القيل والقال لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات لأن التصوف هو صفة المعاملة مع الله تعالى وأصله التعزف عن الدنيا ، كما قال حارث: عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى (١) •

ومن أقواله : الطرق كلها مسدودة على الخلق الامن اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم واتبع سنته ولزم طريقته فان طرقات الخير كلها مفتوحة عليها — من طبقات السلمى —

فى العصر الحديث : هؤلاء الصوفيون القدامى كانوا يتابعون تلاميذهم متابعة دقيقة ، وسار على نهجهم صوفية العصر الحديث ومن أمثلة ذلك ما يحدثنا عنه الشيخ محمد عبده رحمه الله وما فعله معه أستاذه الصوفى الذى كان له أكبر الأثر فى اقباله على العلم بعد أن انصرفت نفسه عنه وعزم على ترك الاشتغال به •

قال : « حملنى أبى الى طنطا وكانت سنى أربعة عشر عاما لأدرس العلم الازهرى وبدأت بتلقى شرح الكفراوى على

---

١ — يشير الكاتب الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لقى حارث ·· كيف أصبحت يا حارث ؟ قال أصبحت مؤمنا حقا ·· قال : وما حقيقة ايمانك ؟ قال : عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى وكأنى أنظر .... الخ .. الحديث .

الأجرومية فى المسـجد ، وقضيت سنة ونصف سنة لا أفهم شيئا ٠٠»

وكان هذا سببا فى يأسه من التعليم ورجوعه الى قريته واشتغاله بالفلاحة وتزوجه ٠ ولكن أباه أمره بمعاودة الدرس مرة أخرى ، فرفض وهرب الى قرية خال أبيه الشيخ درويش الصوفى، الذى أخذ بزمام الشيخ محمد عبده ومازال به حتى استطاع بتربيته الصوفية أن يحبب اليه العلم ويرغبه فيه ويصل ما انقطع منه ٠٠ وعاد الى طنطا مرة أخرى ثم الى الأزهر الشريف فى القاهرة٠

وظل الشيخ درويش يتابعه أيضا ، فكلما كان يعود فى اجازة من اجازاته يسمع منه طرفا من البرامج التى يدرسها ثم يقول له : هل درست المنطق ؟ هل درست الحساب ؟ هل درست الهندسة ؟ يفتح ذهنه الى مختلف العلوم ويحضه على تحصيلها ٠ يقول الشيخ محمد عبده : «فكنت اذا رجعت الى القاهرة ألتمس هذه العلوم عند من يعرفها فتارة كنت أخطىء فى الطلب وتارة كنت أصيب ، الى أن جاء السيد جمال الدين الأفغانى الى مصر أواخر سنة ١٢٨٦ هـ ، وقد صاحبته وأخذت أتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والحكيمة والكلامية » ٠

ويبدو أن الامام محمد عبده تأثر بما سمع من كلام ونقد موجه الى دروس الأفغانى ، ، فسرعان ما وجد عند شيخه الصوفى جواب ذلك مما شفى صدره وأرجع اليه يقينه ونشاطه فى تلقى هذه الدروس فقد قال له : ان الله هو العليم الحكيم ولا علم يفوق علمه وحكمته ، وان أعدى أعداء العليم هو الجاهل وأعدى أعداء الحكيم هو السفيه ، وما تقرب أحد الى الله بأفضل من العلم ، فلا شىء من العالم بممقوت عند الله ولا شىء من الجاهل بمحمود لديه الا ما يسميه الناس علما وليس فى الحقيقة بعلم كالسحر والشعوذة وغيرها ٠

وكان لهذه الكلمات صدى طيب فى نفس الامام فقد استراحت مما لحقها من شكوك ووساوس ، ثم تظل متابعة شيخه له وملاحظته

بعين رعايته ، فيخرجه من عزلتــه التى فرضها على نفسه ويحرضــه على نفع الناس بعلمه الذى تعلمه قائلا له : أن من لم ينفع بما تعلم فقد أضاع أهم ثمرة تقصــد من غراس المعرفة ، فعليك أن تخالط الناس وتعظهم وترشــــدهم الى الطريقة القويمة والسنة الصالحة.

وكان هــذا الدفع القــوى من أستاذه الصوفى سببا من أســباب دخوله فى غمار المجتمع وقيـــامه بدعواته المتكررة فى مختلف نواحى الاصلاح الدينى والاجتماعى .

نفاذ الى الأعماق واصـــلاح السرائر : لم يكتف الصــوفية فى تربيتهم باصلاح الظواهر فحسب، ولكنهم اعتنــوا باحيـــاء ميزان المراقبة فى نفــوس المريدين حتى تحيا الضمائر ويتهذب الوجدان ، وربما اعتنت التربية الحـــديثة بالنواحى الخلقيـــة ولكنهــا كثيرا ما تقف عند الظاهر لا تتعــداه ، فهى تحث على الأمانة مثلا ثم تترك الانسان يباهى بذلك أمام الملأ دون ضير فى ذلك ، أما الصوفية فيهمهم فى المقام الأول نكران الذات وقتل تطلعات النفس وشهواتها ، فهــذه هى التربيـــة الحقيقيـــة لمن أراد السعادة الكاملة والوصــــول الى أعلى مدارج الكمال . وفى قصـــة الشبلى مع الجنيد السابقة دليـــل على ذلك .

وهذا نموذج من نماذج التربية يضـــعه أمامنا الدكتـــور أبو الوفا التفتـــازانى من ســـــيرة المرسى وتلميذه ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنهما فيقول : « كان من أبرز صفات المرسى كأستاذ اكرامه الطلبة اذا جاءوه ، وكان ينهى أن يعوق المريد اذا جـــاءه ويقــول : المريد يأتى بشعلة همته فاذا قيـــل له : قف ساعة أطفأت ما جاء به ، وكان لا يدلـــه على المتــــــاعب والمشقات ولا يلزمه ذلك ، وكـــان يحكى عن شيخه الشاذلى : ليس الرجل من دلك على تعبك وانمـــا الرجل من دلك على راحتك » .

وليس فى هذا تعارض مع سلوك الجنيد مع الشبلى ، فالشــــبلى كان متطلعـــا الى أقصى درجـــات الكمال فلابد أن يركب الصـــعب ، ولم يشك الشبلى من صــــعوبة

ما دلفه ولكنــه كان يستســهله فى سبيل الوصــول الى غايتــه ، وما أصدق الشاعر الذى يقول :

لابد لشهد من نحـــل يمنعه
لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وينفــد المرسى الى أعمـــاق السـكندرى فيقضى على داء كان يعترض طريقه هو داء الوسوسة . قال له شيخه المرسى حين شكا لــه هذا الخــاطر الـــذى يعتريه فى وضوئه وطهــارته فينغص عليــه حاله : هذه الطائفة تلعب بالشيطان لا الشيطان يلعب بها .وكان للثقة العظيمة التى بثها فى تلميــذه أثر كبير فى القضاء على هذا الداء .

صـــعوبة الرســالة التربوية : وتربية الرجال ليست أمرا هينــا ولكنها مهمة شاقة تحتاج الى صبر ومعاناة وتحمل وقد ندب الصوفية أنفســـهم لها لأنهم هم الـــورثة الحقيقيون للأنبياء عليهم السلام، فالعلماء ورثة الأنبياء كما جــاء فى الأثر الشريف ، وأشرف العلــوم علوم تهدى الى الله وتنير الطريق اليــه وتحض على التعرف به عن طريق تهذيب الروح والاخلاص فى الطاعة . وقد أشرت ســابقا الى أن من طرق الصـــوفية أحيانا فى التربية اظهار القســوة فى بعض المواطن على المريد تربيه لوجدانه وتنقية لمعدنه وتصفية لجــوهره ، والشاعر الحكيم يقول :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما
فليقس أحيــانا على من يرحم

يحدثنا نجــل الشــيخ حسن رضوان فى مقــدمة كتــاب روض القلوب المستطاب عن تربية أستاذ والده له فيقول : « واستعمل له فى مدة الاقــامة معه من أنواع الطب والتربية ما يعجز عن الصبر عليه الفحــول ، مع الاختبـــــارات والامتحانات الهائلة التى لا يثبت معها الا ذوو النفــوس الكاملة ، فمرة يصدعنه ومرة يهجره ومــرة بدون سبب يزجره ومرة ينــاديه بنداء يشعره بأنه من جملة أعاديه، ويوما يبــدى الــود لمن يؤذيه ، وتارة يذكره بين المريدين وغيرهم بأقبح ذكر ، وطورا يلزمه الاقامة وحده بالمكان القفر شهرا أو أكثر من شـــهر ، ثم يقــول لجميــع المريدين : من جلس معه فى قفاره

أو قضى له مصلحة من مصالحه فهو مطرود عن المحبين .. وقد اجتاز الشيخ حسن رضوان هذه الامتحانات القاسية بنجاح باهر أهله الى أن يقود الرجال ويربى بعد ذلك الأبطال .

جدوى هذه الطريقة : وهذه سياسة عليا تحيى ميت القلوب وتصقل جوهر الروح وتربى فى النفوس ملكة المحاسبة والمراقبة وتظهر الصامد من غيره ، وتؤتى هذه السياسة ثمارها عند الصوفية لأن العلاقة القائمة بينهم قوامها الحب الخالص العميق ، وهى سياسة مقتبسة من أدب القرآن الكريم الذى يقص علينا قصة الثلاثة الذين خلفوا فى غزوة تبوك ، وهم كعب ابن مالك ومرارة ابن الربيع وهلال بن أمية ، وقد أعرض النبى صلى الله عليه وسلم بعد عودته من الغزوة عنهم وأمر المسلمين بمقاطعتهم . فلم تزد هذه المقاطعة هؤلاء الثلاثة الا حبا للنبى صلى الله عليه وسلم وصحبه ، وتمسكا بالدين وحرصا عليه حتى تاب الله عليهم ان الله هو التواب الرحيم .

ان التربية الصوفية تسير فى سياستها وفق مناهج سليمة مستمدة من نور القرآن الكريم والسنة الشريفة المطهرة . وتقوم أولا وأخيرا على توثيق العلاقة بين المريد ومربيه ، وفى الحديث القادم بمشيئة الله بيان لمنزلة المربى لدى الصوفية . وبالله التوفيق .

عبد الحفيظ فرغلى القرنى

بلال بن رباح الإنسان

للأستاذ / حامد الجوجري

لك نفسى بـــــلال من كـــل ضر
كم تـــلاقى من محنـــــة وتعـــانى
أى ذنـــب جنيت حتى تداعــــوا
ليذيقــوك مــن ضــنى وهـــوان
كنت فيهـم نعـم المطيـع اذا مـا
أمــروا لم تمـــل الى عصـــيان
راعيــا شـــاءهم دءوبا ذلـــولا
لا تبــالى بالقهـــر والحـــرمان
ساعيا فى شـــعاب مـكة حـــين
ان بدنيا من صـــنعة الشـــيطان
بـــذر الشرفى رباهــــا وألقـــى
ظـــله فى الوهـــاد والوديـــان
بشر كالسـوام هـاموا مـع الشر
ك ، وســاغوا عبـــادة الأوثـــان
بـــين بطش القـــوى والقيـم الشـــو
هاء ضـــاعت كرامة الانسان
ظلمـــات كأنهـــا كشـــف الليـــل
وظـــلم كوقـــدة النـــيران

ثـــم أبصرت يا بـــــلال ضـــــــياء
يعمر الأفــق من ســـــنا الايمـــان
ورســــــــولا يهــــدى الى البـــر
والخير ويدعو العــدل والاحســـان
ويــرى للعبيـــــد منكم حقوقـــــا
فى حيـــــاة كريمـــة وأمـــــان
كل من فوقهـــــا ســـــواء ولاسلـ
ـطـــــان الا لما لـــــك الأكــــوان
فتبعت النـــــور الجــديد ومنـــــذا
ينكـــر النــــور باديـــا للعيـــان
قلت (ربى الرحمـــن) لا اعبد الار
بـــاب شـــــتى من جلمد صــــوان
أتراه جــــرما اذا ادرك العقــــــ
ــل حــدود الهـــدى من البهتـــان ؟
انمـــا المــــرء فــــكرة ويقـــين
بهما صـــــار من بنى الانســــــان

حامد الجوجرى

شخصية فى سطور

بقلم سعيد عبد الحى

* هو محمد بن عبده حسن خير الله ولد سنة ١٨٤٩ م — سنة ١٢٦٦ هـ بقرية من قرى الغربية ولكنه نشأ بقرية محلة نصر بالبحيرة ..

* حفظ القرآن فى فترة وجيزة جعلت والده يأمل فيه الخير .

* ذهب الى الجامع الأحمدى وتعلم به التجويد وأتم فنونه وبعده انضم الى دروس العلم فى المسجد ولم تعجبه طريقة التدريس التقليدية فتركها ..

* ذهب الى الجامع الأزهر فى شوال سنة ١٢٨٢ هـ — ١٨٦٦ م.

* حصل على العالمية سنة ١٢٩٤ هـ رغم ما كان يكنه له اعضاء اللجنة وذلك لاشتغاله بالفلسفة وكتابته عنها فى فصول بجريدة الأهرام وقد زاده ذلك نشاطا ورغبة فى الاصلاح ..

* كان الشيخ محمد عبده ثائرا على الاحتلال الأجنبى ولكنه كان على خلاف مع الزعيم أحمد عرابى فى برنامجه العملى .. ولم يجمع العزم على تأييد العرابيين الا لتوحيد الصفوف فى وجه الاحتلال الأجنبى بعد التجاء الخديوى توفيق الى الدولة البريطانية ..

* ولما استفحلت الحركة العرابية وضرب الأسطول الانجليزى

الاسكندرية انضم محمد عبده الى العرابيين ووضع يده فى أيديهم ٠٠ وكان ما خاف ان يكون ٠٠ فلم يسعه الا ان يكون مع قومه على الغريب ولو كانو مخطئين ٠٠

* بعد اخفاء عرابى اتهم الشيخ محمد عبده بالتآمر مع رجال الثورة وحكم عليه بالسجن ثم بالنفى ثلاث سنوات ٠٠ فاختار سوريا وأقام بها وذلك سنة ١٨٨٣ م ثم سافر الى أوربا على موعد مع استاذه السيد جمال الدين الأفغانى ٠٠

* وقد كافح الشيخ محمد عبده ضد الاحتلال الاجنبى الى اقصى جهد وبلغت به الصراحة وقال لهم فى عقر دارهم فى صحيفة ((البال مال)) البريطانية لما لا تغادرون بلادنا فى الحال ٠٠ لقد علمنا الانجليز شيئا واحدا ٠٠ هو التضامن فى مطالبتكم بالجلاء ٠٠ ولما سأله محرر الصحيفة عن الخديوى توفيق قال : ان توفيقا اساء الينا ابلغ الســـوء لأنه مهد لدخولكم بلادنا وانضم أيام الحرب الى اعدائنا ولا يمكننا أن نشعر أزاءه بأقل احترام ٠٠ قال هذا وهو لا يبــالى ان يظــل منفيــا عن بلاده ابدا ٠٠

* أنشأ جريدة العروة مع السيد جمال الدين الأفغانى بباريس فى ١٣ مارس سنة ١٩٨٤ م ٠ التى أوقفها الانجليز بعد صدور ثمانية عشر عددا فقط ومع قصر عمرها فقد كان لها أثرها على الشـــعوب الاسلامية وغيرها ٠

* عاد الى مصر سنة ١٨٨٨ م واستقر بها الى ان توفى ســنة ١٩٠٥ م رحمه الله ٠٠

سعيد عبد الحى

الفتـــاوى

إعداد الأستاذ عبد الحميد شاهين

ويجيب عليهـا لجنة الفتــوى بالأزهر

س : يحكم بعض الناس عقولهم فحسب فى فهم كتـاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعملون على نشر فهمهم هذا بدعوى أن هذا هو الفهم الصحيح للاسلام ٠

فمثلا يقولون : أنه ليس لمسـلم أيا كان أن يلزم مسـلما آخر بفرائض الدين وأركانه معتمـدين فى ذلك على ظاهر قوله تعـالى : (لا اكراه فى الدين) ويقولون : ان نفى الاكراه فى الدين كما ينصب على العقيدة ينصب كذلك على أركان الاسلام وفرائضه ، وبذلك فليس لنا أن نكره أحدا على الصلاة أو الصيام أو غير ذلك من أركان الاسـلام وأوامـره ٠

ج : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد ٠

فنفيد : بأنه ليس لمسلم أن يجتهد فيما فيه نص قاطع من كتاب أو سنة اذ لا اجتهاد مع النص أما مالم يرد فيه نص قاطع من كتاب أو سنة فانه يكون محلا للاجتهاد من أهل الاجتهاد وهم الذين توفرت فيهم الأهلية لذلك من دراية تامة بعلوم القرآن وعلوم السنة وأصول الفقه واللغة وغير ذلك ٠

فهؤلاء هم الذين يستطيعون استنباط الأحكام من أدلتها وليس لغيرهم أن يسلك هذا الطريق اذ أن العقول التى يعتمد عليها وحـدها

متفاوتة فى الفهم والاســـتعداد والحكم على الأشياء ولو ترك الأمر للعقول لاختلفت الأحكام تبعا لتباين العقول واختلافها من حـل الى حرمة ولا اختلط الحلال بالحرام وضل الناس بذلك •

وما ذكروه مثلا ، غاب عنهم أن المقصود من الدين فى قول الله تعالى (**لا اكراه فى الدين**) هو المعتقد والعلة بدليل قوله تعـالى : (**قد تبين الرشد من الغى**) ومعنى الآية على ذلك أنه ليس لمسـلم أن يكره أحدا من أهل الكتاب على الدخول فى الاسلام •

وهذا المبدأ تعلمه الصحابة ــ رضى الله عنهم ــ من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ والتزموه فى كل البلاد التى دخلوها وأجمع المسلمون على الالتزام به والعمل بمقتضاه •

أما من دخل فى الاسلام فانه يلتزم بفرائضه وأركانه وأوامره وليس له أن يخالف شيئا منها فاذا اترك ركنا منها أو خالف أمرا مـع القدرة عليه كان على الامام أن يلزمهبهذا الركن الذى تركه ، والا أقام الامام الحد الذى فرضه الله عز وجل على تارك هذه الفريضـة فان أجمع جماعة على ترك فريضة من فرائض الاسلام كان على الامام أن يقاتلهم حتى يعودوا الى أداء ما تركوه ومن هنا كان حـرب أبى بكر رضى الله عنه ــ لما نعى الزكاة وقال : واللهلأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة :

والذى يقيم الحد هو الامام أو نائبه دون غيره من الافراد حتى لا يؤدى ذلك الى فتنة لايعلم مداها الا الله (**واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصـة**) (**فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**) والله تعالى أعلم •

س : جندت فى القوات المسلحة وأنا شاب ملتحى وطبقا للقانون المعمول به بالقوات المسلحة بعدم اطلاق اللحية طلب منى حلق لحيتى فرفضت فقدمت للمحاكمة فحكم بستة أشهر فى السـجن مع الزامى

بحلقها فرفضت فحكم على مرة ثانية بتكرار العقوبة فما هو مـوقف الاسلام منى ؟

ج : حالتك هذه تخضع لقانون الجندية المعمول به فى القـوات المسلحة ويجب عليـك شرعا حلق لحيتك ، على أن هـذه حالة ضرورة وتستوجب الطاعة ٠

س : رجل قتل رجلا وامرأة ، وقد قتل هذا القاتل ، واليوم تريد عائلة الرجل والمرأة المقتولين أن يقتصا من هذا القاتل فى شخص ابن عمه فهل يجوز ذلك ؟

ج : القصاص يكون من القاتل نفسه ، ولا يجوز أن يقتص من أحد أقاربه أو يتعرض له بسـوء ، والذى ينفذ القصـاص انما هو الحاكم وليس لانسان مهما كان أن يقتص من القاتل بنفسه ، ومادام هذا القاتل قد قتل فقد سقط القصاص ٠

س : شاب عقد على فتاة ثم توفيت قبل الدخول والخلوة ، فهل يجوز لهذا الشاب أن يتزوج من أم الفتاة التى عقد عليها وتوفيت ؟

ج : لا يجوز شرعا لهذا الشاب أن يتزوج من أم زوجته التى عقد عليها وتوفيت قبل الدخول ، لأن القاعدة الشرعية تقول : « العقد على البنات يحرم الأمهات » ٠

س : رجل يعطى زكاة أمواله لرؤساء المؤسسات والمعاهد وأئمة المساجد ليقوموا بتوزيعها على أربابها ٠ فهل تبرأ ذمته بذلك ؟

ج : الأولى والأفضل للانسان أن يباشر توزيع الزكاة بنفسه حتى يضعها فى موضعها قدر المستطاع ، وليبدأ بالأقربين ممن لا تجب عليه نفقتهم والجيران ، وليصرفها فى باقى المصارف كذلك ٠

فاذا وكل غيره فى توزيع الزكاة صح هذا التوكيل ، وبرئت ذمته بتوزيع الوكيل للزكاة ٠٠٠ فاذا تيقن أن الوكيل لم يقم بالتوزيع فان ذمته لا تبرأ من الزكاة والله وأعلم ٠

عبد الحميد السيد شاهين

قالت الصّحف

إعداد عاطف زهران

هذا العار على الأمة الاسلامية :

تحت هذا العنوان كتبت مجلة الاعتصام القاهرية تقول :

أولى سماحة العالم الجليل ـ ابن باز ـ بحديث لجريدة أخبار العالم الاسلامى فى مكة . دعا فيه الى تحكيم شرع الله تعالى فى النزاع القائم بين العراق وايران .ودعا قادة الدول العربية والاسلامية الى التشاور لازالة عوامل الفرقة والنزاع . وقال سماحته : « ان الطريق الأمثل والوحيد فى حل ما قد ينشأ من نزاع ومشاكل هو اتباع كتاب الله وسنة رسوله الكريم . وتحكيم شريعته السمحاء .. » .

وهذا حق لا مراء فيه .. وكان يجب أن يكون منذ الساعات الأولى للقتال ..

ان أرض العراق هى أرض الاسلام وليست ملكا للبعث . وأرض ايران هى أرض الاسلام وليست أرض الفرس .. فكيف يقاتل المسلمون بعضهم بعضا على أرض اسلامية بدلا من أن يقاتلوا معا على أرض اسلامية مغتصبة لغير المسلمين . فى فلسطين وأرتيريا.لقد صرح رئيس هيئة الأركان الاسرائيلى أثر الأزمة السورية الاردنية قائلا : « ان الحرب بين دولتين عربيتين مما تسر له اسرائيل » لأنها دون شك فى مصلحة اسرائيل . فهل يتدبر العرب مثل هذا الكلام .. ؟

ان حرب ايران والعراق وصمة عار فى جبين الشعوب المسلمة

قاطبة .. هذه الشـــعوب الراكدة لن يعذرها الله .

تآمر عالمى على الاســـلام

تحت هذا العنوان كتبت مجلة الارشاد اليمنية فى عددها الصادر فى (ربيـــع ثانى) ســـنة ١٤٠١ هـ تقول :

هذا هو واقع المسلمين اليوم .. غزو ثقافى ، وتمزق ســـياسى ، وتخلف اقتصـــــادى ، وتحلل اجتماعى . ومع كل ذلك هناك تآمر عالمى رهيب من أعداء الاسلام .. اليهودية العالمية .. الشـــيوعية العالميـــة ، وعمـــلاء كل فى الأرض المسلمة .

وهذه بعض أقوالهم :

فى أفتتاحية جريدة الحـــزب الشيوعى فى أوزباخســـتان قال المحرر « من المســـتحيل تثبيت الشيوعية قبل سحق الاســـلام نهائيا » !!

وقالت صحيفة أخرى :

« ان العقيدة الاســـلامية هى القوة المظلمة التى لا تزال تفســـد العقول ، وحياة الشعوب ، وتعيق النمو . وتقف كأى حاجز فى طريق السعادة والنور والمعرفة » !! .

وقـــال بن غوريـــون ــ رئيس وزراء اسرائيل الأسبق ــ :

« ان أخشى ما أخشاه أن يظهر فى العالم العربى محمد جديد »!!

وقال لورانس براون :

« ان الخطر الحقيقى كـــامن فى نظام الاســـلام وفى قـــدرته على التوسع والاخضاع وفى حيـــويته .. انه الجدار الوحيد فى وجـــه الاستعمار » ..

وبعد : فهذه بعض مقولاتهم . دليلا على بغضـــهم لدين اللـــه الحنيف . والكيد الـــدائم لـــه . وما خفى كان أعظم . فهل ننتبه . ونأخذ حذرنا .. ؟ !! ياليت !! .

من سعادة الخلافة

الى شـــقاء التبعية

فى عددها الأخير ــ الثـــامن . جمادى الأولى ســـنة ١٤٠١ هـ ــ نشرت مجلة البعث الاســـلامى الهندية افتتاحية قالت فيها :

رغم أن الانسان المعاصر قد قام

بتجــارب منــوعة فى المجــالات الحيوية • واستطاع أن يختــرع أســـــاليب من العلم والفــكر والحضارة ، وأيدلوجيات جــديدة يستند اليها فى ترقيــة الحيـــاة واسعاد المجتمع • لم يســـاعده الحظ على تحقيق غايته • وظــل يتيه فى متاهات من القلق والخوف والفوضى والأنانيــة • ويعيش فى يأس وتشاؤم وجو خــانق يبحث لنفسه عن مخرج من المأزق فــلا يكاد يجده •

ومن ثم التجأ الى أســـاليب أخرى لتهدئة اليأس القــاتل •• كتعاطى المخــدرات والانزواء الى الخنفسة ، أو الانتحار • كل ذلك فرارا من تكاليف الحياة • وتخلصا من عــار الاخفـــاق فى احراز السعادة •

هذا الانسان الذى أظلمت عليه دروب الحياة هو الــذى خرج عن ولاية ربــه فلم يغن عنــه علمــه وحضارته ، وفكره وفلسفته ممــا كان يتصوره قمة التقدم • نشأت أفكار ومذاهب خدعت الانسان • أنســـــته وظيفتــه التى خلق من أجلها فتمادى فى الغى والضـــلال كثيرا ، وانحط عن مكانته وتسفل • حتى نشأت معسكرات الســـباق الدولية فى مجال التعرى عن لباس الانسان الطبيعى ، وقامت معارض عالمية للمتجــزات الابليســية فى عواصم العالم الكبرى • وتحقق قول الله سبحانه فى الانســـان بنوعيه ــ الفاســق والمؤمن ــ :

« أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون •• »

« ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العـــذاب الأكبـــر لعلهم يرجعــون •• » (١) والعـــذاب الأدنى ماثل أمام أعين العــالم فى أشكال شتى •

أليس ما يعانى منه الانســان اليوم من اشتراكية ، وشيوعيــة ، وبلشـــفية ورأســـمالية ، وديمقراطيــة ، وجمـــاهيرية ، ودكتـــاتورية •• وما اليهــا من

(١) السجدة آية ١٨ ، ٢١ •

لافتات وشارات • أليس كل ذلك مثالا للعذاب الأدنى دون العذاب الأكبر ؟ •

فهل يفهم الناس ويرجعون ، أم ينخدعون ويعذبون ؟

وهل الى الرجوع الى منهج الله من سبيل ؟ !!

المد الاسلامى ...

كتبت مجلة الأمة (١) القطرية تحت هذا العنوان مقالا للأستاذ أنور الجندى قالت فيه :

لم تعد ظاهرة المد الاسلامى موضع شك من خصوم الاسلام والمراقبين على السواء •

هذا المد الذى كان ثمرة العمل الذى تولته بصدق واخلاص طلائع اليقظة الاسلامية • فكشفت عن زيف التجربة التى فرضت على الأمة الاسلامية منذ وقعت فى براثن النفوذ الأجنبى • حين خدعها ذلك الجيل الذى خرجته مدارس الارساليات ، ومحافل الماسونية ، وتلاميذ المستشرقين من التغريبيين والشعوبيين • الذين انبثوا فى المجتمع الاسلامى ليخدعوا المثقفين بأن أسلوب العيش الغربى هو الوسيلة الوحيدة للخروج من أزمة التخلف التى يمرون بها •

واليوم ينكشف بوضوح أن تلك المدرسة العصرية التقدمية • كانت مضللة وفاسدة • رفضها الحس الاسلامى • ولم يخدع بها الا القليل • وتبين أن مدرسة اليقظة الاسلامية كانت صادقة فى وجهتها حين دعت الى التماس المنابع الاسلامية من القرآن والسنة ، واقامة المجتمع الربانى ، والتحرر من النفوذ الوافد •

ومن هنا فان القوى الاسلامية كلها مطالبة بحماية هذا المد وترشيده ودفعه الى الطريق الصحيح ، وتحريره من عوامل العنف والتعصب حتى يبلغ رسالته

---

(١) العدد الخامس جمادي الاولى سنة ١٤٠١ هـ

الحقة الى عالم الغرب الذى تجتاحه مخاوف كاذبة تبثها الصهيونية ، بينما الاسلام كان ولا يزال رسالة السماحة والرحمة والاخاء .

ان القوى الخصيمة للاسلام تحاول اليوم محاولات جديدة فى مجال الاستشراق والتبشير والتغريب . من أجل أن تحول بين المسلمين وبين اقامة المجتمع الربانى الأصيل . وتجرى الآن هذه المحاولات لهدم مشروعية الجهاد ، وهدم ترابط الدين بالدولة ، وانتقاص الشريعة الاسلامية والتشكيك فى التاريخ الاسلامى واللغة العربية .

كما أن هناك محاولات تمزيق الوحدة الاسلامية بالدعوات الاقليمية والعنصرية والقومية .

ولقد بدأت هذه المحاولات منذ أكثر من قرن ، وقاومتها حركة اليقظة الاسلامية . وكشفت زيف هذه القضايا التى ثارها الاستشراق الغربى والشعوبية المحلية ودعاة التغريب .

وستكون هذه القوة الاسلامية الجديدة قادرة دائما على دحض هذه الشبهات والانتقال من مرحلة « المقاومة » الى مرحلة «الأصالة»

ويؤمئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ..

عاطف شحاته زهران

هكذا يكتب القراء

إعداد عبدالعزيز احمد جبرة

من اخلاق الرســـول الاعظم

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ/محمود الشرقاوى يقول :

كان محمد صلى الله عليه وسلم أحسن قومه خلقا وأصدقهم حديثا وأفضلهم مروءة وحلما وقد سمى صلوات ربى وسلامه عليــه بالصادق الأمين وكان عليه السلام هو الفاصل فى الخصــــومة بــين قومه ، ومما يدل على ذلك ما حدث عندما ارادت قريش تجديد بنــاء (الكعبة) فأتموا البناء وهم متفقون الى أن وصلوا الى وضــــع الحجر الاسود فى موضعه وهنا نشب الخلاف بينهم وتنافس اشرافهم على ذلك الامر فاختلفوا اختلافا كاد أن يوقع بينهم حربا تقضى على اتفاق كلمتهم منذ بداية البناء ، وظل هذا الاختلاف اربعة أيام فقــال أبو أمية ابن المغيرة المخزومى (وكان أكبر اشراف قريش سنا) يا قوم لا تختلفوا وحكموا بينكم من ترضونه حكما فقالت قريش (نكل الامر لاول داخل) وحينما كانوا ينظرون ناحية القادم فاذا به الامين المأمون محمد صلى الله عليه وسلم فاستبشروا به وقالوا هذا محمد رضيناه حكما فحل لهم المشكلة بان جعل كل قبيلة تأخــــذ بطرف من الرداء ووضعوا الحجر الاسود مكانه وقضى صلوات ربى وسلامه عليه على هذا الخلاف ومن هنا نرى أن الله سبحانه وتعالى رفع شأنه بين قومه ، ذلك الانسان الذى سيبعثه الله نبيا ورسولا لهم وللناس اجمعين ،

وكان أمر الحجر الاسود ارهاصا لنبوته واعلاما لرسالته وليكون حجة عليهم حينما يختلفون ٠

ولقد كان محمد صلى الله عليه وسلم قبل بعثته جامعا للخصال الحميدة والاراء السديدة باغضا للاوثان لم يحضر لها عيدا ولم يأكل مما ذبح على النصب كما حرم الخمر على نفسه ، وهكذا كان الرسول صلوات الله عليه وسلامه يخالف عادات قومه الجاهلية وتقاليدهـــم السيئة وذلك لم يكن بنزول أمر سماوى ٠ بل بارادة من ربه الذى أراد أن يربيه ويؤدبه ويؤهله تأهيلا الهيا ليكون على استعداد لمـــا سيوحى اليه من قبل ربه من تحمل للرسالة وتأدية للامانة ، ولذلك قال صلوات ربى وسلامه عليه فى حديثه الشريف(أدبنى ربى فأحســن تأديبى) وقال الله فى كتابه العزيز واصفا له مادحا اياه (وانك لعلى خلق عظيم) صدق الله العظيم ، ومحمد صلى الله عليه وسلم قد ولد يتيما ٠ مات أبوه قبل ولادته وماتت أمه وهو فى السادسة من عمره ولم يتركا له شيئا ولكنه بلغ مبلغا لم يبلغه من قومه وأهله من عاش أبوه وأمه ٠ فبعث الامل فى قلوب البؤساء وكان قدوة حسنة فى تجارته مع السيدة خديجة رضى الله عنها التى اختارته عندما سمعت عن صدقه وأمانته فربحت تجارتها منذ تولى أمورها ٠ وصدق الله حين قــــال (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) فصلاة وسلاما على رسول الله الكريم ، وعلينا أن نترسم خطاه قولا وعملا حتى نصل الى الخير دائما وفقنا الله واياكم للعمل بتعاليم ديننا الحنيف ولا قتداء برسولنا العظيم صلوات الله وسلامه عليه ٠

***

هـــــذه هى الدنيـــــا

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ/عبد المعبود محمد عبد المعبود يقــــول :

الدنيا لفظ أتى من الدنو وعكسها الآخرة وهى خير وابقى وهـــذه

الدنيا بما حبت فانها فانية بمن عليها وهذا الفناء قد جـاء حكمة فى القرآن الكريم فقال تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجـــه ربك ذو الجلال والاكرام) والحقيقة ان هذه الدنيا غرور تجذب النـــاس اليها ببريقها الخادع الكذاب، بل ولن ينجذب اليها الا من دنت نفوسهم وتحولوا الى طلاب لها ، ولا ننسى هنا حديث رسول الله الذى يقول فيه ما معناه (لو كانت الدنيا تساوى عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء) أن الدنيا التى هبط اليها سيدنا ادم عليه السلام بعد أن أكل من الشجرة المحرمة ليست شرا على الاطلاق أو خيرا على الاطلاق وأنما هى كالسوق بما فيه من أوراق رابحة وأخرى خـاسرة يكسب فيها من كسب ويخسر فيها من اساء لنفسه ولغيره من بنى البشر أى أنه ليس للانسان ألا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى • وأيضا قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خير يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) • معنى هذا أننا نحيا بهذه الدنيا ونعمل فيها كأننا نعيش أبدا وأن نعدل للآخرة كاننا نموت غدا متمثلين قول الله(وابتغى فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا وأحسن كمـا أحسن الله اليك) • وأما عن الانسان وعمره المحدود وما يأخذ منهـا وما يعانيه فيها فهو شريط «سينمائى» يعرض مرة واحدة وخيرنا فى هذا الوجود من يتخذ لنفسه طريق الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فعال للخير لا لشىء الا لانه خير فى ذاته ولذاته حتى لا يكون كأجير السوء يعمل من أجل العطاء ، وأما الذين يتمثلون أدوار شـياطين فتبا لهم والنار أولى بهم وسيصـــلون ســـعيرا • والدنيـا يا ولدى كمـا يراهـا العقـــلاء هى مزيج من المتناقضــــات المكونة للوجـــود ، الخــير والشر فيهـا كامنان كمون النار فى الحجـــر الصوان فان أو ريتها أورت وان تركتها توارت فاورى الخير فيهـــا ماستطعت ليتحول الى نور يهدى الناس جميعا الى طريق الاخلاق والقيم الرفيعة والايمان القوى المتين ، وهذا الخير سيأخذ بيد امتك

الى الامن والامان والحب والود والصفاء ويعم الرخاء جميـــــــع البشر لانهم يبحثون عنه ويفعلون الخـــير من أجـــله ، اتـــرك الشر ولا تبحث عنه ودعه يموت فهو كالفتنة النائمة لعن الله موقظها ، وليكن ياولدى وجودك فى هذه الدنيا ذكرا وصمتك فكرا وحديثك عبرة فان عرفت خيرا تشيعت اليه مسرعا وجاهدت فى سبيله حتى يعم الناس جميعا ٠ وأن لم تقدر على فعل الخير فعليك بالصمت عن ضده وعدم مساعدة من يفعله وانصح بالخير وانه عن الشر وأعلم بأن الله وحده هو الذى سيجزيك عما تفعله من خير أو شر كما قال تعالى (من عمـــل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها) واذا لحق بك أى ضرر ففوض أمرك الى الله وحده فانه سوف يحاسب كلا على عمله ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا وابتغ دائما فى عملك مرضاة الله دون انتظار مثوبة من احد لان عطاء الله كبير وكثير لانه صاحب الملك يعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الملك وهو على كل شىء قدير ٠ ولتعلم ياولدى دائما أن ســـلبيات الدنيا هى تجارة شياطين البشر وأما ايجابيات الدنيا فهى غذاء لقلوب وارواح عباد الله المخلصين الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون ٠

فانعم بايجابياتها عن طريق التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ٠ وما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل وأن الآخرة هى خير وابقى لمن عمل صالحا والتزم الحق فى دنياه ، واخيرا ياولدى تربت يداك والى طريق الايمان والحق هداك ورعاك امين يارب العالمين ٠

عبد العزيز أحمـــــد

أخبار العالم الإسلامي

إعداد أحمد عبد الرحيم السايح

ــ وافــق الرئيس أنور الســـادات رئيس الحــزب الوطنى الديمقراطى على المشروع الذى تقــدمت به دار مايو الوطنيــة للنشر والخاص باصدار جريدة دينية اســبوعية من ٣٢ صــفحة من الحجم النصفى وغلاف بالألوان وتباع بخمسة قروش ٠

وقد قرر الرئيس السادات تسميتها : « اللواء الاسلامى » ومن المنتظر صدور أول عدد خــلال الأشهر القليلة القــادمة حيث يتولى تحريرها نخبة من كبار المفكرين الاسلاميين ٠

ــ وجه السيد الرئيس أنور السادات يوم ٣١ مارس رســـالة الى الشعوب العربية والاسلامية بمناســبة مرور قرن هجرى عــلى اصدار جريدة « العروة الوثقى » وذلك بقاعة الاحتفالات الكبرى قاعة محمد عبده بجامعة الأزهر ٠

القـــاهرة :

ــ تجرى دراسة مشروع لانشاء شركة اســـلامية لطبع كتب التراث الاسلامى من جديد وتقديمه للمسلمين فى صورة طباعة معاصرة وبعد تخليص كتب التراث من المدسوسات ٠

ــ جامعة الشعوب الاسلامية والعربية ستصــدر من أول مايو مجلة « العروة الوثقى » العدد التاسع عشر ٠ وكان الامام جمال الدين

الأفغانى والشيخ محمد عبده قـــد اصدرا منها ١٨ عددا فى باريس فى الفترة من ١٣ مــارس حتى ١٤ أكتوبر ســنة ١٨٨٤ م ثم أغلقتهــا بريطانيا ٠

السـعودية :

ـ صرح وزير المالية السعودى بأن انشاء سوق مشتركة للدول الاسلامية سيكون ذا أهمية كبرى بالنسبة لتنمية التعاون التجارى بين الدول الاسلامية ٠

ـ وضع المركز العالمى لابحاث الاقتصاد الاســلامى بجـدة « ثبتا » بالمراجع المعاصرة فى الاقتصاد الاسلامى ٠

ـ تعقد بمكة المكرمة خلال شهر جمادى الآخرة المسابقة الدولية الثالثة للقرآن الكريم ويشترك فيها متسابقون من خمسين دولة وجمعية اســلامية ٠

اليمن :

بحث المؤتمر الثانى لوزراء العدل العرب خطــة اقرار توحيــد التشريعات العربية على أساس أحكام الشريعة الاسلامية ٠

باريس :

ـ الملتقى الدولى عن الاسلام الذى عقد بمقر منظمة اليونسكو فى باريس طالب من منظمة المؤتمر الاسلامى العمل على اعادة الفكرة الحقيقية للاسلام فى الغرب ٠

ـ تم فى باريس افتتاح مسجد باسم مسجد طنجة الجـديد ، وأدى فيه المسلمون صلاة الجمعة فى احتفال اسلامى رائع ٠٠

ـ يجمتع المسلمون فى فرنسا خلال فبراير للبحث فى أوضــاع المسلمين الاجتماعية والثقافية ٠٠

الولايات المتحدة الامريكية :

ـــ لجنة الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجرى بالولايات المتحدة الامريكية والتى تضم عددا من الشخصيات الامريكية ستقوم بعدد من المشاريع والبرامج للتعريف بالحضارة الاسلامية ، وتفيد التقارير الواردة من امريكا أن عدد المسلمين فى أمريكا الجنوبية أكثر من مليون مسلم ٠

ـــ افتتح متحف « هاريسون » بواشنطن معرض الفن المعمارى الاسلامى الذى يحتوى على التصاميم التى حازت على جائزة فن للعمارة الاسلامية ٠

ـــ تقرر فى الولايات المتحدة الامريكية اعتبار يومى العيدين : « الفطر والاضحى » عطلة رسمية للمسلمين فى امريكا ٠٠

ـــ قام المسلمون فى مدينة « فورت توليتز » الامريكية بشراء كنيسة وتحويلها الى مسجد لاقامة الشعائر الاسلامية به ، وليكون مركزا لنشر الدعوة الاسلامية ٠

ـــ أقيمت فى واشنطن ندوة بمناسبة مرور عشرة قرون على ميلاد العالم الاسلامى ابن سينا واشرفت على اقامة هذه الندوة منظمة التنمية الاسلامية فى واشنطن ٠٠

تم تشييد مركز اسلامى جديد فى مدينة « بانتيستا » بولاية « ماويلاند » لاستقبال الراغبين فى الدخول فى الاسلام ٠٠

سيرلانكا :

ـــ وافق رئيس جمهورية « سيرلانكا » على تأسيس ادارة للشئون الدينية والثقافية والأوقاف الاسلامية فى سيرلانكا ٠

ـــ قررت حكومة سيرلانكا تدريس اللغة العربية والقرآن الكريم فى جميع المدارس الحكومية وبجميع مراحل التعليم واصبحت اللغة العربية مادة اجبارية ٠

ـــ تصدر الجامعة التنظيمية الاسلامية بسيرلانكا مجلة اسلامية

شهرية باسم الفكر الاسلامى باللغة الانجليزية ولغة « التأمل » لغة المسلمين هناك ٠

الهنـــد :

ـ شهدت حيدر أباد بالهند مؤتمرا اسلاميا كبيرا تناول بالدراسة والتحليل قضايا الأمة الاسلامية وكيفية مواجهة التحديات ٠

ـ ندوة العلماء بدار العلوم بلكهنو تعقد فى الشهر القادم ندوة عالمية حول الأدب الاسلامى وما يجب أن يكون عليه ٠

بريطانيـــــا :

ـ يقوم المركز الاسلامى بلندن بترجمة الفقه عـــلى المـــذاهب الأربعة الى اللغة الانجليزية ليتمكن المترددون على المركز من الرجوع الى الفقه يعرض لهم من وقائع وأحداث ٠

ـ قرر المجلس الاسلامى لأوربا بلندن أصدار ميداليات تذكارية بمناسبة القرن الخامس عشر الهجرى ٠

ـ أقيم بلندن معرض للكتاب الاسلامى تحت اشراف منظمـــة المؤتمرات الثقافية الاسلامية ضم مؤلفات اسلامية حضارية وفلسفية ٠

بروكســـــل :

عقد مؤخرا فى بروكسل المجلس القارى للمساجد فى أوربا واتخذ عدة قرارات وتوصيات هامة منها :

ـ العمل على اعداد أئمة للمساجد فى أوربا قادرين علميا وثقافيا ودينيا على الدعوة الى الله ٠

ـ الاهتمام بالاسرة المسلمة وربطها بالمســـجد وانشاء المدارس لأبناء المسلمين لتنشئتهم النشأة الصالحة ٠

ـ اقامة مجالس محلية للمساجد فى أوربا لتكون مصدر اشعاع ودعم لحقوق المسلمين فى حرية العبادة والعيش الكريم ٠

السـودان :

يناقش المؤتمر العالمى للدعوة الاسـلامية بالخرطوم القضـايا الاسلامية ، وخطة لنشر الدعوة الاسلامية على مستوى العالم .

الفلبين :

سيقام فى « مانيلا » عاصمة الفلبين معهد اسلامى يقوم بالتعليم ونشر الدعوة الاسلامية .

اندونسـيا :

ــ تم فى جاكرتا افتتاح مقر المجلس المحلى للمساجد فى جاكرتا للبحث فى رسالة المساجد فى العالم الاسلامى .

المـانيـا :

تبحث حكومة المانيا الغربية مشروعا لاعتراف الدولة الرسـمى بالدين الاسلامى كأحد الأديان المعترف بها فى ألمانيا ، ومن الملاحظ أن المسلمين بألمانيا يشكلون نسبة مؤثرة فى الحضارة القائمة .

طشـقند :

اذاعت وكالة الأنباء الفرنسية تقريرا هاما بعث به مراسلها من طشقند . عن أن الخبراء الغربيين يتوقعون حدوث انفجار اسلامى فى الاتحاد السوفيتى الذى يقطنه أكثر من ستين مليونا من المسلمين نظرا للزيادة المذهلة فى عدد السكان المسلمين وتمسك السـكان بالتقـاليد الاسـلامية .

ازربيجان :

فى جمهورية ازربيجان الاسلامية الواقعة تحت وطأة الاستعمار السوفيتى حركة اسلامية نشطة تعمل على عودة الاسلام الى الحياة .

الارجنتين والبرازيل :

ــ يقوم المسلمون فى البرازيل بانشاء جـامع كبـير فى مدينـة

« سان باولو »·· كما تشـــهد الأرجنتين والبرازيل اهتمـــاما بتعليم الاســـلام ·

فنلنـــدا :

تم فى فنلندا انشاء مركز اسلامى لخدمة المسلمين الذين يقـــدر عددهم بثلاثة آلاف مسلم ومعظمهم ذوى النفوذ والجاه ··

اســـبانيا :

ـ تسعى جمعية المسلمين بأسبانيا الى انشـــاء مسجد بغرناطة واقامة مدرسة للأطفال · والجمعية الاسلامية تضم مائة عضـــو الى جانب خمسمائة طالب مسلم من البلدان الاسلامية ·

ـ تشهد أسبانيا زحفا اسلاميا هائلا وقد ظهـــرت بوادر هـــذه الحركة منذ انشاء « جمعية دعوة الاسلام الى اسبانيا » ··

أحمد عبد الرحيم السايح

اخى الكاتب ٠٠ والقارىء

تهتم المجلة بمعالجة الموضوعات الآتية :

* الموضوعات التى تعالج موقف الدين من التيارات المادية الالحادية المعاصرة ، كموقف الاسلام من الماركسية والوجودية ، ومذاهب المنفعة وغيرها من التيـــارات التى تتنازع شبابنا المعاصر ٠

* الموضوعات التى تعالج مشكلات الشباب المتعددة من نواحيها النفســـية والاجتماعية وعلاج الدين لهـــذه المشـــــكلات ٠

* الموضـــوعات التى تعالج النظرية الاقتصـــادية الاسلامية وتبحث عن حلول المشـــكلات الاقتصـــادية والرأسمالية والماركسية وتعمل على تأصـــيل الاقتصـــاد الاســــلامى ٠

* الموضوعات التى تعالج بعض العادات والتقاليد الاجتماعية التى تتنافى مع المبادىء والقيم الاسلامية نحو تكوين مجتمع اسلامى افضل ٠

* الموضوعات التى تقارن بين الاسلام وتشريعاته والتشريعات والقوانين الوضعية فى سبيل ابراز أفضـــلية التشريع الاسلامى على هذه التشريعات البشرية ٠

الموضـــوع صفحة

● **رسالة العروة الوثقى**

كلمة فضيلة الامام الأكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر ٩٧٨

● **حديث الشهر**

بقلم رئيس التحـــرير ٩٨٨

دراســـات قرآنيـــة

● **التولى يوم الزحف**

لفضيلة الدكتور / محمد الطيب النجـــار ٩٩٤

● **واجب التأمل فى الظواهر الكونية من القرآن الكريم**

للدكتور / عبـــد الغنى الراجحى ٩٩٩

● **النحو .. دراسة قرآنية**

للدكتور / السيد رزق الطـــويل ١٠٠٤

● **القيمة الحقيقية لكتاب**

مقدمة فى فقة اللغة العربية ١٠١٢

● **المؤامرة على الفصحى : لغة القرآن**

للأستاذ / أنور الجندى ١٠١٤

● **اللغة واعجاز القرآن**

دكتور / عبد الغفـــار هلال ١٠٢٣

فى التشريع الاسلامى

● **من توجيهات الخليفة الراشد عمر بن الخطاب الى رجال القضاء**

للمستشار / محمد عزت الطهطاوى ١٠٣٤

● **ترشيد الانفاق فى ضوء تعاليم الاسلام**

للأستاذ / مجـــدى عبد الفتاح ســـليمان ١٠٤٣

أعـــلام الاســـلام

● **من أئمة المحدثين : الامام البخارى**

للدكتور / الحسينى هاشم ١٠٥٣

• **المنحى الاسلامى عند العقاد**
للدكتور / محمد رجب البيــومى ١٠٥٩

• **منهج الحكيم الترمذى فى الحديث والفقه**
للدكتور / محمد ابراهيم الجيــوشى ١٠٦٩

• **طرائف .. ومواقف**
اعداد عبد الحفيظ محمــد عبد الحليم ١٠٧٦

من حضــارة الاســـلام

• **الشعوبية امس واليوم**
للاستاذ / السيد حسن قــرون ١٠٨٢

• **الاسلام وتقرير العقائد**
دكتور / محمد سيد أحمد المسير ١٠٩٤

• **التربية الصوفية [illegible]**
للأستاذ / عبد الحفيظ فرغلي القرني ١١٠٣

• **بلال بن رباح انسان [illegible]**
للأستاذ / حامد [illegible] ١١١٢

• **شخصية فى سطور**
بقلم ســعيد عبد الحى ١١١٤

• **الفتــاوى**
اعداد الأستاذ عبد الحميد شــاهين ١١١٦

• **قالت الصحف**
اعــداد عاطف زهران ١١١٩

• **هكذا يكتب القراء**
اعداد عبد العزيز أحمــد جبره ١١٢٤

• **اخبار العالم الاسلامى**
اعداد أحمد عبد الرحيم السايح ١١٢٨